

جامعة المصطفى العالمية

أفكار ورؤى قرآنية للإمام الخميني رحمه الله

تعريب: جعفر الساعدي

مركز المصطفى صلى الله عليه وآله العالمي للترجمة والنشر - قسم الترجمة


بسم الله الرحمن الرحيم



مركز المصطفى العالمي للترجمة والنشر ـ قسم الترجمة

سرشناسه:	همايش انديشه‌هاي قرآني امام خميني (١٣٨٧ : قم)
عنوان قراردادي:	مجموعه مقالات همايش انديشه‌هاي قرآني امام خميني .عربي
عنوان و نام پديدآور:	افكار و روي قرآنيه للامام‌الخميني: مجموعه من المقالات في موتمر الآراء القرآنيه للامام‌الخميني/ المولف موسسه تنظيم و نشر تراث الامام الخميني؛ الترجمه جعفر الساعدي؛ اعاد النظر في الترجمه كمال الحزباوي.
مشخصات نشر:	قم : مركز بين‌المللي ترجمه و نشر المصطفي، ١٣٩٣.
فروست اصلي :	مركز بين المللي ترجمه و نشر المصطفى ٥٩پ/١٣٩٣/١١٥
فروست فرعي :	واحد ترجمه انتشارات المصطفى ٧
شابك:	٩٧٨-٩٦٤-١٩٥-٨٩٢-٥
وضعيت فهرست نويسي:	فيپا
يادداشت:	عربي.
يادداشت:	كتابنامه: ص. ٥٨٦؛ همچنين به‌صورت زيرنويس.
موضوع:	خميني، روح‌الله، رهبر انقلاب و بنيانگذار جمهوري اسلامي ايران، ١٢٧٩ - ١٣٦٨. -- ديدگاه درباره قرآن
شناسه افزوده:	ساعدي، جعفر، ١٣٣٥ - ، مترجم
شناسه افزوده.	موسسه تنظيم و نشر آثار امام خميني
رده بندي كنگره:	DSR١٥٧٦/٢/م٧٤٠٤٣ ١٣٨٧
رده بندي ديويي:	٩٥٥/٠٨٤٢
شماره كتابشناسي ملي:	٣٥٤٨٥٩٢

أفكار ورؤى قرآنية للإمام الخميني رحمه الله

مقالات ومحاضرات ألقيت في مؤتمر الآراء القرآنية للإمام الخميني رحمه الله

تعريب
جعفر الساعدي



مركز المصطفى العالمي
للترجمة والنشر

أفكار ورؤى قرآنيّة للإمام الخميني

مقالات ومحاضرات اُلقيت في مؤتمر الآراء القرآنيّة للإمام الخميني

تعريب: جعفر الساعدي

الطّبعة الأولى: ١٤٣٥ق / ١٣٩٣ش

النّاشر: مركز المصطفى العالمي للترجمة والنشر

المطبعة: نارنجستان ● **السّعر:** ٢٤٥٠٠٠ ريال ● **الكمية:** ٣٠٠ نسخة

حقوق الطبع محفوظة للناشر.

مراكز التوزيع:

- ايران؛ قم، ساحة الشهداء، شارع معلم الغربي (شارع الحجّتية)، زقاق ١٨. هاتف: ٣٧٨٣٩٣٠٦ ٢٥ ٩٨+
- ايران؛ قم، شارع محمّد الأمين، تقاطع سالاريّة. هاتف: ٣٢١٣٣١٠٦ ٢٥ ٩٨+ فاكس: ٣٢١٣٣١٤٦ ٢٥ ٩٨+
- ايران؛ طهران، شارع انقلاب، بين شارع الوصال وشارع الشيرازي، الرقم ١٠٠٣. هاتف: ٦٦٩٧٨٩٢٠ ٢١ ٩٨+
- ايران؛ مشهد المقدّسة، شارع الإمام الرضا، شارع دانش الشرقي، بين فرعي ١٥و١٧. هاتف: ٨٥٤٣٠٥٩ ٥١١ ٩٨+

miup@pub.miu.ac.ir pub.miu.ac.ir

نشكر أعضاء المركز الذين تابعوا مراحل تنضيد الحروف والمقابلة والطباعة والنشر حتى مراحله الأخيرة.

- **مدير مركز النشر:** محمد سعيد پناهي
- **مدير الإنتاج:** تورج روحاني
- **المشرف على الإنتاج:** جعفر قاسمي‌لاهي
- **المشرف الفني:** محمدباقر شكري
- **مصمم الغلاف:** مسعود مهدوي
- **المشرف على الطباعة:** نعمت‌الله يزداني
- **الإعداد الفني:** السيّد جاويد حسيني
- **الإخراج الفني:** محمد خسروبيگي
- **تقويم النصّ:** عادل الأسدي
- **المقابلة الفنية:** محمد خسروبيگي

كلمة الناشر

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾.[1]

والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله الطيبين الطاهرين المعصومين.

لقد شهدت دائرة العلوم الإسلامية على اختلاف موضوعاتها وأغراضها عبر تاريخها الطويل، اتّساعاً واضحاً ونمواً مطّرداً، صاحبَهَا ازدهارٌ مشابهٌ في العلوم الإنسانية، وفي الفكر، والثقافة والتعليم، والفن والأدب.

وقد ازدادت هذه العلوم نشاطاً وحيويّةً وعمقاً وشمولاً بعد انتصار الثورة الإسلامية بقيادة الإمام الخميني قدس سره، وتصاعدت حركة أسلمة العلوم، وتركيز القيم الدينية والروحية والإنسانية، بعد تزايد الحاجة الماسّة إلى إيجاد الحلول للمشاكل والاستفهامات الدائرة في شتّى الموضوعات الاجتماعية والسياسية والعقائدية، في ظلّ المتغيّرات الحاصلة في مجمل دوائر الفكر والمجتمع، وانتشار شبهات العولمة والفكر الإلحادي، وحتى التكفيري المتطرّف، بخاصّة بعد ثورة الاتصالات الكبرى التي هيّأت للعالم فرصة فريدة للاطلاع الواسع بما يحيط به.

من هنا دعت الحاجة إلى وضع مناهج للبحث والتحقيق، واستخلاص النتائج الصحيحة في كلّ علمٍ من علوم الشريعة: في التوحيد، والفقه، والأُصول، والفلسفة، والكلام، والحديث، والرجال، والتاريخ، والأخلاق والنفس، والاجتماع، وغيرها؛ لتوقّف سعادة الإنسان عليها في الدنيا والآخرة؛

---

١. الكهف: ١.

ولتحقيق الغرض العبادي الذي خُلق الإنسان من أجله ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[١]

فقامت في الحوزة العلمية حركة علمية كبرى بتوجية من قائد الجمهورية الإسلامية الإمام الخامنئي (دام ظلّه) وجهود الفقهاء والعلماء والمفكّرين، والعمل الجاد وبذل غاية الوسع، من أجْل بناء صرح علمي ديني رصين، وصياغة مناهج جديدة تُعنى بعلوم الشريعة، وعموم حقول المعرفة الإسلامية والإنسانية.

وأخذت جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالمية على عاتقها المساهمة الفعّالة في صياغة كثير من المناهج الدراسية، التي تنسجم مع تصاعد الحركة العلمية والثقافية الحديثة.

فأسست «مركز المصطفى العالمي للترجمة والنشر» لينهض بنشر هذه الآثار العلمية وتقديمها لطلاب العلم وروّاد المعرفة.

نأمل أن تأخذ هذه الآثار مكانها في المكتبة الإسلامية، وتلقى جميل الأثر، وحسن الردّ من رجال العلم والفضيلة؛ بأن يرسلوا إليها بما يستدركون عليها من نقص، أو خطأٍ يفوت جهد المحقّق الحصيف، والمؤلّف الحريص.

والكتاب الذي بين يدي القارئ الكريم عبارة عنه مقالات ومحاضرات لعدّة منه الأساتذة والمفكّرين قُدّمت إلى مؤتر الآراء القرآنية للإمام الخميني رحمه الله قام بترجمتها الأستاذ الفاضل جعفر الساعدي جاء متّسقاً مع أهداف الجامعة، ومفردة من مفردات مناهجها الدراسية المترامية الأطراف.

يتقدّم «مركز المصطفى صلى الله عليه وآله العالمي للترجمة والنشر» بوافر الشكر لمترجمه الكريم على ما بذله من جهد وعناية، ولكلّ من ساهم بجهوده لإعداد هذا الكتاب، وتقديمه للقرّاء الكرام.

نسأل الله تعالى التوفيق والسداد وهو من وراء القصد.

مركز المصطفى صلى الله عليه وآله العالمي

للترجمة والنشر

---

١. الذاريات: ٥٦.

الفهرس

التعريف بالقرآن والإمام والثورة

حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ الهاشمي الرفسنجاني

لا بدّ لنا أن نقدّم الشكر الجزيل ونثمّن جهود المركز العالمي للعلوم الإسلاميّة[1] لما قدّمه ـ في هذا الوقت الخاصّ ـ لهذا الموضوع المهمّ والأساسي؛ لكونه عملاً جيّداً ومؤثّراً. وبعونه تعالى سوف تكون الخطب والمقالات التي أعدّت؛ بالإضافة إلى أنّه سيعقد جلسات للحوار في هذا المجال، لتكون خطوة على طريق التعريف بالقرآن والإمام والثورة، وإنّي أتوقّع أن يهتمّ الإعلام بهذه الأهداف.

وهذه المحاور الثلاث ـ وهي القرآن والإمام والثورة ـ لها أهميّة خاصّة في نظام الثورة الإسلاميّة وأهدافها، وأهمّ هذه المحاور هو القرآن الذي بقدر ما نستطيع علميّاً كشف الحجب عن أسراره سوف نتمكّن أكثر فأكثر من التعريف به وهو ممّايقرّبنا إلى مبدأ العالم والأهداف السماويّة والإسلاميّة البنّاءة.

والمحور الثاني: شخص الإمام؛ الذي يعتبر ما قدّمه من جهود وما تركه من آثار لتأريخ الإسلام ـ خصوصاً التاريخ المعاصر ـ هو أكثر من المستوى المتعارف الذي يمكن لمرجع وعالم ديني أن يقدّمه، فهو حجّة علينا في زماننا، وهبة من الله تعالى وهبها للإسلام، ولعلّه هبة للعالم بأسره.

أمّا المحور الثالث: الثورة، والتي هي وليدة الإسلام ونهضة الإمام وأنصاره جميعاً.

---

١. حالياً تحوّل إلى: جامعة كبيرة سميت بجامعة المصطفى العالميّة، تدرّس فيها مختلف الاختصاصات في العلوم الإسلامية والإنسانية.

إنّ القرآن هو أصحّ، وأتقن وثيقة لهداية البشريّة في عصرنا الحاضر، وجميع رجال الدين الإلهيّين من جميع الأديان ممّن يعتقدون بالمبدأ الواحد ـ سواء كانوا يعترفون بالقرآن أو لايعترفون به ـ يسلّمون بهذا الأمر، وهو أنّ الله تعالى لأجل هداية الناس وتكاملهم قد أرسل لهم الأنبياء وإنزل الوحي والكتاب؛ ليصلوا إلى القرب الإلهي ـ أي: أنّه جعل طريق الكمال مفتوحاً ـ وهذا ما يتّفق عليه الجميع.

لكنّي لم أرَ بين الأديان ـ سواء الإبراهيميّة منها أم غير الإبراهيميّة، وسواء الذين لهم كتاب سماوي معيّن أم الذين يدَّعون كتاباً سماويّاً ونصوصاً من الهداية السماويّة ـ ديناً يدّعي أنّ كتابه أكثر شموليّة لكلّ الأمور التي يحتاج إليها الإنسان؛ لأنّ بعضها اهتمّ بالمسائل العرفانيّة والمسائل الاعتقاديّة، واهتمّ بعضها بالمسائل الماديّة، وبعضها بالقصص والأناشيد و... .

ومن بين الأديان الأكثر أتباعاً الديانة المسيحيّة، ويعترف أتباعها أنّ الإنجيل ليس كتاباً يستعمل على ألفاظ إلهيّة مخلوقة، بل هو عبارة عن معارف علّمها السيّد المسيح عليه السلام لأصحابه، ثمّ برزت بهذا الشكل الموجود اليوم. وأنّ كتاب اليهود *التوراة* هو الوحيد الذي له صبغة سماويّة أصيلة، إلّا أنّه لم يسلم من التحريف والدّس، بخلاف القرآن الكريم الذي ظَلّ محفوظاً بنصّه وكلماته، ولحنه ومقاطعه، وسوره المعيّنة، وهويته الواضحة، وقد نزل من قبل الله تعالى بواسطة جبرئيل عليه السلام على النبيّ صلى الله عليه وآله.

وحتى كتّاب الوحي معروفين في التأريخ، وطريقة جمع القرآن أيضاً مشخّصة فالجميع معلوم أمرهم، وقد اتّفق الجميع على بقائه على ما كان عليه مصوناً من التحريف إلى يومنا هذا.

نعم، قد يردّد البعض شبهات حول القرآن بأنّه محرّف، إلّا أنّها لا تستند إلى دليل علمي رصين يمكن الاعتماد عليه، ولا يسع أيّ شخص إن أراد أن يحكّم ضميره وإنصافه إلّا الإذعان بأنّ هذا الكتاب السماوي لم تلمسه يد التحريف؛ لأنّ الله تعالى وعد بحفظه وصيانته عن ذلك، فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.[١]

فالنصّ الذي يكون خالقه ربّ السماء والأرض، والذي حافظ عليه السلف حتّى وصل اليوم إلينا، فهو وثيقة سماويّة معتبرة بالنسبة للبشريّة جمعاء، وأفضل ما يمكن التعويل عليه والوثوق به.

والأمر الآخر الذي أُريد التأكيد عليه، هو أنّ القرآن الذي يمتاز بأهميّة فائقة. فعندما يقرأ الإنسان القرآن بدقّة ويتدبّر فيه، ويستعين بالعرفان الحقيقي؛ لأجل فهم مفاهيمه السامية

---

١. الحجر: ٩.

ليتمكن من إيجاد علاقة بينه وبين حقائق العالم، حينئذٍ سوف تكون تصوّراته عن القرآن مختلفة تماماً عن سائر التصوّرات، وهكذا كان الإمام﴿.

إنّ مفاهيم القرآن مفاهيم جامعة وشاملة في حقيقة الأمر، والجامعيّة هنا ليست بمعنى الدخول في جزئيّات العلوم والمسائل التاريخيّة والاعتقادات الجزئيّة، بل المقصود منها هو كون الكتاب شامل لجميع حاجات الإنسان من حيث الهداية والحركة التكامليّة للبشريّة، وكذلك كلّ ما يحتاج إليه الإنسان في مسيرة حياته وثقافته التي يحتاج إليها.

وهو كتاب فيه كلّ شيء، ولو تأمّلنا الآيات القرآنيّة لوجدنا فيها أحكاماً إسلاميّة متقنة كثيرة جداً، مضافاً إلى ما فيها من أصول أخلاقيّة قد بيّنت بطريقة جميلة جداً.

ففيما يرتبط بالمعتقد نجده قد بيّن أفضل طريق يوصل الإنسان إلى العقيدة السليمة النابعة من الفطرة، وفيما يخصّ الدنيا والله تعالى، وما بين المبدأ والمعاد طرحت فيه بحوث بأفضل بيان وبلسان يفهمه جميع الناس. فهو سهل بالنسبة للعرب باعتبارهم عارفين بألفاظه، وللفيلسوف المتبحّر الذي يفكّر في العلاقة بين العالم والموجودات الطبيعيّة، وللعارف الواصل في سلوكه إلى قرب الرّب، وأيضاً لمن يريد التعرّف على الأبعاد الاجتماعيّة للإنسان.

وكذا في مجال الأدب، فانّ القرآن مع أنّه ليس بكتاب قصصي، لكنّه عندما يريد بيان أهدافه وأغراضه يطرحها بأعلى مستوى من مَن الأدب والبلاغة ضمن قوالب علمية وفنّية راقية جداً.

وفي مجال التاريخ مزج القرآن بين التاريخ وفلسفة التأريخ، فليس القرآن سرداً لحوادث تأريخيّة محضة، وليس عرضاً لفلسفة التاريخ أيضاً، لكنّه في المواضع التي يكون له فيها إشارات تأريخيّة يظهر منه التاريخ ممزوجاً بفلسفته وهدفه.

وهكذا بالنسبة لطرح معارف القرآن فإنّ سرده لها يكون في قمّة الكمال.

ومن الضروري جداً التعرّف على شخصية الإمام كشخصيّة قرآنيّة، فهو وإن كان من الناحية السياسيّة لا يحتاج إلى تعريف، وكذلك من الناحية الفلسفيّة فيلسوف كامل، ومن الناحية الأخلاقيّة إنسان أخلاقي وعالم بالأخلاق وثقافة الإسلام إلّا أنّه لا بدّ من التعرّف على شخصيّته القرآنيّة.

وعندما كان يدرّس في تلك الأيّام القرآن والأخلاق لم يكن لأبحاثه نظير، وكذلك كان من الناحية الاجتماعيّة والإدارة كان من الممتازين. ومثل هذه الشخصيّة التي كانت تتمتّع بصفة العرفان والإخلاص.

ولعلّ لبعض الأمور الأخرى جذور في هذا الإخلاص والعرفان، كالمعرفة الصحيحة

للعالم والمبدأ والمعاد وعلاقتهما مع بعضهما الآخر، أو علاقة الإنسان بالمعاد والمعنى الحقيقي للوحي، وتنزيل القرآن ودرجات التنزيل و... ولجميع هذه المفاهيم معنى عرفاني رفيع جداً، وكان هو رحمه الله في القمّة من ناحية إدراك هذه المفاهيم.

وعندما كان يتحاور معه أحد يذعن لقول الحق.

ولقد كنت من الطلبة الذين يكثرون عليه السؤال، وأحياناً كنت ألحّ وأصرّ على السؤال كثيراً، وكنت في أوائل شبابي أكثر التساؤل عما ما يتبادر لي من الأسئلة في القرآن. وكان الإمام رحمه الله يقول أحياناً أموراً يثقل عليّ تحملها، وكنت أحياناً أستدلّ بكلام الآخرين، فيقول لي: «إنّ هؤلاء لم يدركوا معاني الآية أصلاً، فدع عنك الخوض في أمثال ذلك».

لقد كانت المطالب بالنسبة له عين اليقين، ومن يكون عارفاً بالأمور والمعارف هكذا، فإنّ ذلك سوف يؤثّر قطعاً في معنويّته وإقدامه وشجاعته ومقاومته بلا شكّ.

لقد كان الإمام فقيهاً ومتخصصاً في علم الأخلاق والفلسفة أيضاً، حيث عرفها بأحسن وجه، وكذا في العرفان، فإنّي عندما كنت أحياناً أُراجع كلمات العلماء الذين كانوا أساتذة الإمام، كنت أرى أنّه أضاف إليها شيئاً آخر. وكان يرى أنّ الذكر مخُ العبادة، وكان يكره الرياء والتعريف بنفسه بشدّة. وعندما كنّا نحن الطلبة نفكّر في مرجعيّته، في كتابة رسالة عمليّة من قبله، كنّا قد توصلنا إلى أنّه بدون رسالة عمليّة والإعلان عن المرجعيّة المحسوسة والمشهودة لا يمكن مواجهة النظام الشاهنشاهي ـ الملكي ـ المقبور، مع هذا كلّه أنّ الإمام لم يكتب رسالة علمية لمقلديه.

لقد كان مصدر معنويّة الإمام ناشئة من عرفانه وفلسفته، وكان في أواخر عمره كثيراً ما يؤكّد على أمر السياسة وإدارة المجتمع البشري، ويرى أنّ ذلك وظيفة قرآنيّة، ويعجب من الذين يقرؤون القرآن، ومع ذلك يقولون: **لا علاقة لنا بالأمور السياسيّة، وأنّ ما لقيصر لقيصر، واتركوا المسجد والمعبد لأهله.**

وكان الإمام يقول في بحث النظام والحكومة:

> إنّ بإمكان الحاكم تعطيل كلّ شيء من أجل مصالح الدولة والنظام، كالصلاة والزكاة والحجّ الذي عطّلوه عدّة أعوام، مع أنّ أحداً غيره لم يستطع التفوّه بذلك.

وكان يرى أنّ لمسألة الولاية والإمامة، وإدارة النظام والسياسة، وتدبير معاش الخلق شأناً سامياً في معارف القرآن إلى حدّ لو وجدت أرضية ومناخ مناسب لذلك، لم يتردّد لحظة واحدة في أداء وظيفته.

إنّ الفكر السياسي للإمام لم يظهر دفعة واحدة إلى الصعيد في سنة (١٣٤٠ش ـ ١٣٨٠هـ) وذلك بعد وفاة السيّد البروجردي المرجع. المعروف، بل كان ذلك قبل عدّة سنين عندما كنّا معه استطعنا أن نشاهد ذلك منه، ولكن على كلّ حال لم تكن تسمح ظروف الحوزة له بذلك آنذاك ليتمكّن من القيام بعمل سياسي، كالذي قام به بعد ذلك إلّا بعد رحيل السيّد رحمه الله.

وفي زمان البهلوي الأوّل أصبحت إيران سجناً كبيراً، فقد سلب النظام من الجميع القيام بأيّ عمل إصلاحي وثوري، ولم يكن يُسمع من إيران أيّ صوت.

فقد كانت أصعب مرحلة في تاريخ إيران التي تبدّلت بعض الشيء بخروج رضا خان من إيران وانهيار نظامه الديكتاتوري القاسي، وبعد العشرين من شهر شهريور انفرج الوضع السياسي، وكان بإمكان كلّ أحد أن يعبّر عن رأيه، وكان الوطنيّون والإسلاميّون قد بدؤوا النشاط السياسي تدريجيّاً، وصاروا جماعات أمثال: فدائيو الإسلام الذين كانوا من المتشدّدين جدّاً، حيث طالبوا بتنفيذ الإسلام بحذافيره.

وفي مثل هذه الظروف وجدت حركات أمثال حركة آية الله الكاشاني رحمه الله، ولحق به جمع كثير من المسلمين المجاهدين، وانطلقت النهضات مثل: نهضة تأميم النفط، التي كانت قضيّة وطنيّة، وكانت جميع فئات الشعب وافقت على ذلك، ولم يكن هذا الأمر يخصّ جهة معينة كالإسلاميين والشيوعيين و....

ومن أهمّ الأمور التي قام بها آية الله البروجردي، والتي ينبغي لنا نحن طلبة العلوم الدينيّة أن نرى أنفسنا مدينين لذلك دائماً هو تأسيسه للحوزة الكبيرة في قمّ بعد وفاة السيّد أبي الحسن الأصفهاني الذي كان في النجف. وقد كان حقّاً عملاً صعباً وكبيراً. وكان قد طلب الإمام وغيره من آية الله البروجردي أن يغادر العراق ويتّجه إلى إيران ليقوم بتأسيس الحوزة فيها، ووقفوا إلى جانبه ودعموه، فكان مرجعاً عاماً للعالم، وإن تخلّلت تلك الفترة بمحاولات البعض لعزل الإمام عن الساحة، والحديث عن ذلك مؤلم جدّاً، ولكن فتح الحوزات في قمّ وفي غيرها من المحافظات وتقوية دعائم طلّاب العلوم الدينيّة، والتعويل على الدراسة وتربية علماء فضلاء، كلّ ذلك كان من ثمرات وجود آية الله البروجردي، مع أنّنا جميعاً نعلم أنّ الدراسة ليست من أهمّ ما يلزم فعله في الحياة.

فالإمام مع أنّه كان قادراً على العمل السياسي، لكنّه لم يرد كسر هذه السنّة والسياسة التي اتّخذتها الحوزة، ولم يكسرها بالفعل، مع أنّه لم يكن يوافق على بعض الأعمال والعلاقات التي كانت تجري آنذاك.

وعلى كلّ حال فقد كان الإمام يولي اهتماماً كبيراً لإيجاد حوزة قويّة، وهذا ما قام به

السيّد البروجردي حقّاً، وعندما توفّي ترك بعده طلّاباً أقوياء جدّاً، وعلماء وفضلاء، وكانوا في سنّ الشباب إلى حدّ ما، وقد ورث الإمام ذلك التراث الجليل.

وفي ذلك الوقت التفّ حوله طلّاب مفكّرون واجتماعيّون ومجاهدون سياسيّون؛ لأنّهم كانوا قد وجدوا في الإمام آمالهم وكانوا يبحثون عن آفاق أُخرى.

وبعد أن فقدت الحوزة وعالم التشيع السيّد البروجردي المرجع، وصار النظام البهلوي بصدد إيجاد الفرقة والشتات بين الحوزويّين، وكذلك إيجاد الشقة بين المراجع والتنافس فيما بين حوزتي قمّ والنّجف، في مثل هذه الظروف لم يكن النظام ـ الذي كان يعرف الإمام جيّداً ـ لم يكن يرغب في أن يكون الإمام أحد المراجع المطروحين على الساحة كبديل، لكن إرادة الله تعالى كانت هي الغالبة. وبرغم من هذا كلّه وصل الإمام إلى المرجعيّة العامّة، ومن حينها مارس وبجدّ الأُمور السياسيّة والجهاد.

وعندما تمّ نفيه من إيران إلى النجف واستقرّ فيها، وواجه هناك مضايقات خطيرة لم تنقطع على الرغم من ذلك في مواصلة الحركة الجهاديّة في إيران على ذلك المستوى من الإرادة والتدبير الذي كان يتمتّع به، فوصل إلى الهدف الذي كان ينشده، وقد أمدّه الله تعالى بعمر تمكّن فيه من تنفيذ كلّ ما هو لازم للأجيال القادمة من الأُمور السياسيّة والحكوميّة أو البناء والإرشاد، فبقي ذلك خالداً كلّه بعده.

لقد كان الإمام يبيّن دروس التاريخ بما لديه من أفكار فلسفيّة وعرفانيّة، وتفسيريّة عميقة دون أيّ تعقيد، بل بلغة سلسة وسهلة، وإن كان يستعمل أحياناً اصطلاحات وعبارات يصعب فهمها حتّى على تلامذته، بحيث كانت بحاجة إلى بيان وتفسير.

وكان الإمام يؤكّد كثيراً ضمن الحديث عن المضامين العامّة للقرآن على الإدارة الشاملة، والنظام والإمامة والولاية، ولكن حيث إنّه كان في مركز الولاية لم يكن يكثر الحديث عنها، إلّا أنّه كان يتكلّم عن الإمامة والتشيّع؛ لكونهما من المحاور الأساسية للحركة التاريخيّة الشيعيّة منذ البداية وحتّى الآن وإلى المستقبل.

والحقيقة أنّ ما تركه الإمام من تراث خالد كفى به هادياً لنا، ولمن يشعر بآلام المجتمع وآماله ومشاكل الدين، ولمن أراد حقّاً أن يعمل لله تعالى.

وأمّا بالنسبة للقرآن، فإنّي أتصور أنّ هذا المؤتمر سوف يترك أثراً خالداً لمعرفة القرآن من منظار الإمام مع أنّ ما بأيدينا اليوم من مجموعة كبيرة جامعة بكلّ ما يتعلّق بالقرآن ضمن

البحوث والتفاسير الكثيرة التي كتبها علماء الشيعة والسنّة في هذا المجال، إلّا أنّنا نريد أن ننظر إلى القرآن من ذلك البعد الذي كان الإمام يوليه اهتماماً في بحوثه، وإنّي أُشير هنا إلى بعض النماذج من أقوال الإمام في القرآن على هذا الصعيد، إنّ مفتاح معرفة الله هو القرآن، فإنّ لمعرفة الله عدّة طرق، إلّا أنّ مفتاح هذه الطرق في رأي الإمام هو القرآن:

«القرآن يبني الإنسان، وبه تتجلّى أسماء الله وحقائق العالم»

وهذا هو البعد العرفاني للإمام، وهو بالنسبة لي مهمّ جدّاً. فإنّ الإمام كان يؤكّد على عدم النظر إلى القرآن من بُعد واحد وزاوية واحدة، بل الجامعيّة والشموليّة للقرآن في أبعاده المختلفة، الماديّة والمعنويّة والعبادية و....

لقد كان يرى أنّ أمر الحكومة ونشوء الدولة ـ من التعاليم المهمّة للقرآن ـ وأنّ إقامة العدل هي من أهمّ أوامر القرآن، وأنّ عامل الوحدة والأُخوة من الأُمور الأساسيّة التي يؤكّد القرآن عليها، فإنّه لا شيء اليوم سوى القرآن يمكن أن يكون محوراً للوحدة في العالم الإسلامي.

فإن أردنا أن نصنع في عالم الإسلام شيئاً، فعلينا أن نتمسّك بالقرآن؛ لأنّ الروايات والسيرة قد تختلف فيها الفرق الإسلاميّة، ويمكن أن يكون القرآن مفيداً للجميع، وهذا ما كان الإمام يؤكّد عليه كثيراً.

وكذلك أكّد كثيراً في بحوثه على إعجاز القرآن وعدم تحريفه، وكان يرى أنّ القرآن بعينه معجزة خالدة، فهذا القرآن بهذه الألفاظ والتركيب، واللحن والمضمون معجزة، والإنسان لايستطيع أصلاً أن يأتي بمثله، ولم يأتِ ولن يأتيَ في المستقبل، وفي هذا فقد تحدّى القرآن مخالفيه ومنكريه بقول صريح.

وممّا كان يؤكّد عليه ﷺ أيضاً التأنّي في فهم القرآن؛ لأنّ فهمه ليس أمراً سهلاً كما يتصوّر، وقراءة القرآن لا توصل الإنسان إلى شيء. نعم، هو يثاب عليها، وهي تبني الإنسان، إلّا أنّ فهمه بحاجة إلى تأمّل ودقّة، وكذا نحن بحاجة إلى صبر في مقام العمل بالقرآن.

لقد كان يؤكّد على أنّ هذا القرآن يسدّ الطريق على أعدائنا ويحفظنا ويحفظ مجتمعنا وأُمتنا والبلاد الإسلاميّة، ويتألّم كثيراً من أن يكون القرآن مهجوراً ـ وللأسف ـ فإنّ مضمون القرآن مهجور في العمل خلافاً لظاهره الذي هو معزّز في الدنيا وله تواجد وحضور في كلّ بيت من بيوتنا، وفي مراسيم الزواج والوفاة اللذين هما من أهمّ ما يحدث للإنسان في حياته.

لكنّه مهجور حتّى في مجتمعنا وبين المتدينين منّا، وليس هو القرآن الذي يفهمه الإمام، بل حقيقة القرآن.

والثمرة التي حصلنا عليها من هذا الإنسان العظيم، وذاك القرآن الكريم وهذه الحوزة العلميّة في قم المقدسّة التي هي ميراث الشيعة المجاهدين في صدر الإسلام، ثمرة كلّ ذلك هو هذه الثورة العظيمة.

فإنّ هذه الثورة كما هي مظلومة بيننا فإنّها أكثر مظلوميّة في العالم أيضاً. فقد كانت هذه الثورة ثورة شعبيّة صرفة انتفض فيها الشعب على النظام البهلوي مستاءً منه غاضباً عليه، فجاء الإمام وأحدث في الحوزة حركة، ولولاه لما انتفضت الحوزة؛ لأنّ الحوزويّين كانوا فِرقاً ومجموعات عديدة، ولولا طلّاب العلوم الدينيّة لم تتحرّك الأمة، وعلى الرغم من وجود مجموعات مجاهدة كثيرة آنذاك، لكنّها لمّا لم تكن متّحدة، لذا لم تتحد الأُمة ولم تنهض.

لقد حرّك طلبة العلوم الدينيّة الناس وعرّفوهم الواقع من خلال المساجد والخطب فانتفضوا، ولا بدّ من الالتفات إلى أنّه في ذلك الوقت لم يجر الحديث عن الديمقراطية وغير ذلك من أُمور، ومع ذلك نهض الإمام وطلّاب العلوم الدينيّة بالأُمة وجرّوهم إلى الساحة.

وكان الشعب قد أصرّ بعد ذلك على إزالة الشاه، ومجيء الإمام إلى السلطة، وأيضاً أصرّت الأُمة على تحقيق (الاستقلال، والحريّة، والجمهوريّة الإسلاميّة) وقد صدر ذلك منهم بصورة تلقائية، ورغم ما كنّا نقوم به من تنفيذ بعض الخطط والبرامج لم نكن قد لقنّا الأمة بذلك، بل نبع ذلك من صميمها، وليس لنهضة الإمام نظير في التاريخ المعاصر للعالم في أيّ مكان آخر، فهي من النوع الذي له علاقة بعقائد وروح الأُمة، لذا صارت هذه الثورة مقدّسة، وقد عاش الناس مع هذه القدسيّة، وسوف يبقون كذلك ما زالت هذه القدسيّة موجودة بينهم، وما زال هذا التقدّس محفوظاً فيهم ولم ينحرفوا، ولن ينسوا طريق الله؛ لأنّ القرآن منهجهم، وذكر الله جارٍ على ألسنتهم.

لقد كان ما قام به الإمام أمراً عظيماً جداًّ، وكانت هذه الثورة عظيمة جداًّ، ولا زالت قلوب كثيرة في جميع أرجاء العالم تخفق لها وتعشقها، وقد تركت هذه الثورة تاريخاً مشرقاً بمضمون يفتخر به خلال ٢٧ عاماً بعد الثورة، و١٧ عاماً قبل الثورة.

إنّ محرّك التاريخ هو القرآن والإسلام، ومرشد هذا التاريخ هو الإمام، ولدينا اليوم مسؤوليّة ثقيلة جداًّ، وهي ألّا نسمح بضياع هذه الثروة العظيمة، فإنّه على طول الألف وثلاث مئة وبضع أعوام ومنذ فتح الإسلام فيها إيران لايوجد مثل هذا المقطع الزمني، وهذه الوديعة الإلهيّة لا زالت اليوم في أيدينا، ونسأل الله التوفيق للعمل بواجباتنا في هذا الطريق، وأن لا نكون مقصّرين أمام الله تعالى.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الرؤية العرفانيّة للإمام في التفسير والقرآن الكريم

آية الله معرفة رحمه الله

إنّي سعيد جداً لمشاركتي في هذا المؤتمر الموقّر للبحث في موضوع يحظى بأهمّية فائقة، يكشف عن الأفكار القرآنيّة للإمام، وهذه هي وظيفة كلّ الذين يعلمون ذلك عن الإمام لغرض توثيقه في التاريخ؛ للحاجة الماسة إليه في الأجيال القادمة التي تريد معرفة الإمام بصفته الشخصيّة التي غيّرت مسير التاريخ في العالم.

وبالنسبة إلى آراء الإمام الجديدة في القرآن هناك أُمور ومطالب كثيرة نشير هنا إلى بعضها لضيق الوقت على النحو التالي:

كان للإمام في: القراءات المتعدّدة للقرآن، والإعجاز في القرآن، والتفسير بالرأي، والمجازات القرآنيّة آراء خاصّة تدلّ على اهتمامه الخاصّ بهذا الكتاب السماوي، ويمكن القول بأنّ حياة الإمام العلميّة والسياسيّة قائمة ومنظّمة على أساس هذا الكتاب، وبعض آرائه تركت آثاراً مباشرة على الفقه كرأيه في متعلّق ﴿بسم الله...﴾.[1]

والملاحظة التي أود الإشارة إليها هنا هي الرؤية العرفانيّة للإمام في التفسير والقرآن الكريم، وهي رؤية قلّما وقعت محلّاً للبحث، بل قد تكون مغفولاً عنها نهائياً.

لقد كانت شخصيّة الإمام شخصيّة عرفانيّة إسلاميّة أصيلة، تجلّى البعد العرفاني في جميع أبعاد حياته الوجوديّة بما في ذلك رؤيته للقرآن الكريم، وسوف نسلّط الضوء في هذا المجال

---

١. راجع: *آداب الصلاة*: ٢٤١ ـ ٢٤٢.

على هذا البعد باختصار. وعندما كنّا نُسأل عن أهمية التفسير العرفاني كنّا في الغالب نجيب بإجابة سطحية، ولو سُئلنا ما هي المباني العرفانيّة للتفسير؟

كان جوابنا: هل للعرفان مبنى معيّناً ليكون له في التفسير مبنى خاصّ؟!

كانت تفاسير أهل العرفان تعرف بين كتب التفسير بتفسير الباطن الذي يُعتقد ببطلانه في الغالب، مع أنّ الكثير من تفاسير أكابر العلماء كان لها صبغة عرفانيّة، وأنّ مفسّريها فسّروها برؤية عرفانيّة.

ورغم أنّ تفاسير بعض العرفاء الكبار أمثال ابن عربي غير قابلة للاهتمام، لذا وقعت مورداً لعدّة إشكالات من قبل الشيخ محمّد عبده في *تفسير المنار*. يقول في هذا المورد: «وفيه من النزعات ما يتبرأ منه دين الله وكتابه العزيز».[1]

إلّا أنّ هناك تفاسير أُخرى أمثال *تفسير القشيري*، و *تفسير الميبدي*، وحتّى *تفسير أبي عبدالله الصوفي*، *والخواجة عبدالله الأنصاري*، لايمكننا الإشكال عليها، وإن كان من الممكن وجود بعض الإشكالات في هذه التفاسير، إلّا أنّها نوعاً ما ـ خصوصاً *تفسير الميبدي* ـ تفاسير جيّدة جدّاً.

والمسألة التي لا بدّ من بحثها هي أنّ المطالب المنقولة عن هؤلاء الأكابر، هل هي تفسير للقرآن أو إفاضات نفسيّة تصل إلى المفسّر حال استماع الآية أو تلاوتها ـ لكونه عارفاً يتمتّع بصفاء روحي وتهذيب نفسي ـ ويكون دائماً مرتبطاً بعالم آخر، وأنّ الله تعالى يخصّه بعنايته لأجل ما يتمتّع به من رياضات نفسانيّة حال الغور في المعارف، فيفيض على قلبه الحقائق من باب ﴿يؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يشَاءُ﴾؟[2]

ذكر الراغب الإصفهاني في مقدّمة *التفسير الجامع* عشرة أُمور عدّها من شروط المفسّر، وذكر أنّ الشرط الأخير منها هو علم الموهبة، الذي أثار جدلاً واسعاً بين المفسّرين؛ لأنّ ذلك يعني أنّ المفسّر لو أراد تفسير القرآن فعليه أن يهيئ نفسه لتلقي الفيض، مع أنّه أمر غير اختياري.

يقول الراغب: إنّ إعداد أرضيّة الأنوار الملكوتيّة والقدسيّة هي بيد المفسّر؛ لأنّه يعمل بتكاليف الشرع بدقّة، فلو كان الإنسان متّقياً وكان ملتزماً بالعمل بوظائفه الشرعيّة، فإنّه حينئذٍ سوف تحصل له هذه الحالة بناءً على ما جاء في الخبر:

---

١. *تفسير المنار*: ١٨/١.

٢. البقرة: ٢٦٩.

من أخلص لله العبودية أربعين صباحاً جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه.[١]

ثمّ دعم الراغب كلامه بقول أمير المؤمنين عليه السلام ـ على الرغم من أنّي لم أعثر على هذا الحديث، بل مصدره الوحيد هو هذا الكتاب ـ.

«قالت الحكمة: من أرادني، فليعمل بأحسن ما علم». وكلّ الحكمة في هذه الكلمة، فإنّ الحكمة هي البصيرة الباطنيّة، فالقرآن عندما يقول: ﴿يعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾،[٢] ويقصد من الكتاب: علم الشريعة، ومن الحكمة هي: رؤية الشريعة. فإنّ للشرع علم ورؤية.

والمهمّ هو أن تكون الرؤية إلى جانب العلم.

وكان الأنبياء يسعون للحصول على هذه الرؤية، ولم تكن المسألة مسألة تعلّم علم محض أو إقامة لصلاة وصيام، وإن كان ذلك مصداقاً للإنسان المسلم الكامل، إلّا أنّه إذا كان فاقداً لهذه الرؤية فهو لايعدو كونه مسلماً عادياً؛ لأنّ هذه الرؤية هي التي تعطيه زخماً من التكامل والرقي، قال الله تعالى في كتابه: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾،[٣] والتقوى هي الالتزام بما جاء به الدين، وقال تعالى في موضع آخر: ﴿لَا يمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾،[٤] أي: إن لم تكن طاهراً، فلا يمكنك إدراك حقائق القرآن.

إنّ تفاسير كبار العرفاء ـ الذين أغلبهم من المتحرّرين [فكريّاً] ـ هي من قبيل واردات القلوب، والفرق بيننا وبين العارف هو أنّه عندما يتلو آية شريفة أو يستمع إليها يُدرك المفهوم الظاهري للقرآن، وتحصل له واردات قلبيّة أيضاً ـ فيكتب هذه الواردات القلبيّة إلى جانب التفسير ـ وأنتم لو راجعتم *تفسير الميبدي* تجدون أنّه فسّر كلّ آية على ثلاث مراحل:

الأُولى: يشرح الآية شرحاً ابتدائياً.

الثانية: يفسّرها كغيره من المفسّرين تفسيراً مناسباً.

الثالثة: يوضّح وارداته القلبيّة التي يُصطلح عليها «بتداعي المعاني».

أي: أنّ العارف يتداعى إلى ذهنه معنى آخر يتناسب مع المعنى المتعارف ويرتبط به ارتباطاً وثيقاً.

---

١. *بحار الأنوار*:٢٤٢/٦٧، ح ١٠.

٢. البقرة: ١٢٩.

٣. البقرة: ٢٨٢.

٤. الواقعة: ٧٩.

فإنّنا وإن كنّا قد لا نفهم ما يقوله جيّداً؛ لأنّنا نستنبط من الآية مفهوماً عاماً، ولكن العارف يفهم الآية فهماً خاصّاً يتناسب مع ذلك المفهوم العامّ مما لا يفهمة غيره.

وفي الحقيقة ما يفهمه العارف من الآية يكون قائماً على أساس الموازين والأُصول، لا أنّه لا علاقة له بالآية أو المنطق، فمثلاً يقول الله تعالى في الآية الشريفة: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾[1] بمعنى: أنّكم إذا أردتم مقاتلة الكفر والطغيان عليكم، أولاً أن تحاربوا من هو أقرب إليكم.

ثُمّ يتساءل العارف، ويقول: أيّ عدو أقرب إليك من نفسك؟

فعليك بمحاربة نفسك.

والسؤال الآن هو: هل هذا هو التفسير؟

كلا، بل هذا استنباط من مفهوم كلّي، وفي الآية المذكورة المصداق الأتمّ والأكمل للعدو هو نفس الإنسان.

ومن هذا القبيل أيضاً قوله تعالى: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾.[2]

فمن هو موسى؟ هو الرسول من قبل الله تعالى.

لكن العارف يقول: أليس أمر الرسالة على عاتق كلّ واحد منّا؟ ألسنا جميعاً رسل الله تعالى؟

أليس العقل الذي هو حجّة باطنيّة لله تعالى موجود في كلّ فرد منّا؟ فهو حجّة باطنية، وكلّ منّا هو حامل لرسالة الله، ثُمّ يقول العارف: ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ...﴾.[3]

فمن هو فرعون؟ أليس هو فرعون الذي في داخلك؟

ففي الحقيقة استنبط العارف هذا المعنى من الآية، وهذا ما يسمّى بتداعي المعاني، وليس هو من التفسير.

لكن الفيض الكاشاني يقول في مقدّمة *تفسير الصافي* في تعريف التفسير بالرأي: إنّ قول الصوفي قال الله تعالى: ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾، ويشير إلى قلبه، ويومئ إلى أنّه المراد بفرعون هذا هو التفسير بالرأي.[4]

---

١. التوبة: ١٢٣.

٢. طه: ٤٣ ـ ٤٤.

٣. طه: ٢٤.

٤. *تفسير الصافي*: ٣٧/١.

إنّ المحقّق الفيض الكاشاني وإن كان له حقّ علينا جميعاً ، وهو رجل محقّق، إلّا أنّه من الممكن أن يخطأ أحياناً، وما ارتكبه هو خطأ كبير فعلاً؛ إذ كيف لم يلتفت إلى كلامهم، وفسّر الرأي بذلك؟

وبالطبع أنّ الإمامﷺ عندما فسّر القرآن بالطريقة العرفانيّة اعترض الكثير عليه، على أنّ الإمام في كتاب *آداب الصلاة* صرح بأنّ ما استفاده من الآيات الشريفة هو من قبيل تداعي المعاني والواردات التي تفاض على القلب.[1]

إذاً الإمامﷺ كان ملتفتاً إلى هذا المعنى، لذا لايصحّ إنكار هذه الصبغة العرفانيّة في تفسير الإمام، وقد ذكر في كلماته في مسألة الإعجاز الكثير من هذه المعاني.

لقد ذكر الشيخ مجتبى القزويني: أنّ إعجاز القرآن متعلّق بالمضمون والمحتوى، أي أنّ هذه المعارف القرآنيّة السامية هي التي أوجدت هذا الإعجاز الخارق للعادة.

فلو سألنا شخصٌ: هل القرآن معجزة؟

لقلنا: نعم، والدليل على إعجازه هو ما أوجده من تحوّل عظيم وتغيير في مجرى تاريخ البشريّة، حيث غيّر مسيرها مئة وثمانين درجة، وقد عرض الإسلام هذه المفاهيم بواسطة القرآن على البشريّة، إلّا أنّ الذين يطرحون إعجاز القرآن فيما يرتبط بالمعارف والمطالب السامية والقيّمة لايريدون إنكار جوانب الإعجاز البياني للقرآن.

وقد ورد في إحدى المجلّات المختصّة بالقرآن أنّ الشيخ المجتبى القزويني يرى إعجاز القرآن في محتواه، فإنّ كان مراده الإعجاز الفحوائي الصرف فهو غير مقبول، لكنّني عندما طالعت كتابه وجدته يرى أنّ الثقل الأعظم للإعجاز في جانب المحتوى، وهذا لا يعني نفيه الجوانب الأُخرى؛ ولذا لا بدّ من الدقّة في كلمات هؤلاء الأكابر، ولاينبغي الحكم عليهم بدون تعمّق وفهم النكتة الأصليّة في كلماتهم. والسلام.

---

١. *آداب الصلاة*: ٣٤٧.

استنتاجات قرآنيّة للإمام الخمينيّ رحمه الله

آية الله السبحاني

قال الله الحكيم في محكم كتابه الكريم: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾.[1]

من دواعي الفخر بالنسبة لي المشاركة في هذا المؤتمر المهمّ الذي انعقد تحت عنوان بيان الأفكار القرآنيّة للإمام رحمه الله، لأنّي أحد الذين اقتطفوا ثمار هذا العالِم الكبير، وسوف أطرح آراءه القرآنيّة بشكل مُوجز بما يناسب ذلك.

لا بدّ أوّلاً من طرح السؤال التالي: هل يحتاج القرآن إلى تفسير؟

يعتقد البعض أنّ القرآن غنيّ عن التفسير والبيان، مستندين في ذلك إلى آيات تصف القرآن الكريم بأنّه نزل: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾،[2] فإن كان كذلك، فما هي الحاجة إلى التفسير؟

وفي المقابل يعتقد البعض الآخر بأنّ القرآن الكريم ليس غنيّاً عن التفسير؛ لوصفه النبيّ صلى الله عليه وآله بأنّه مبيِّن للناس، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾،[3] فلم يجعل مهمّته قراءة القرآن وإلقائه على الناس فحسب، بل ألزمه بتبيينه لهم.

---

١. فاطر: ٣٢.

٢. الشعراء: ١٩٥.

٣. النحل: ٤٤.

وأمّا عندما يصف الله القرآن بأنّه أنزله: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾،[١] فهو في قبال كلام الكهنة الذي هو عبارة عن ألفاظ مبهمة مسجّعة غير مفهومة.

فالآية الكريمة تريد التأكيد على أنّ القرآن لا يشبه كلام الكهنة، إلّا أنّه في الوقت نفسه بحاجة إلى تبيين وتفسير، وهذا من قبيل ما يصنّف من كتب للجامعة أو الحوزة باللغة الفارسيّة الواضحة (أو أيّ لغة أُخرى)، فإنّ تأليفها لا يعني إمكانيّة الاستفادة منها بدون أُستاذ، وكذا الحال في قوله تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾، فإنّه مع كونه بلسان فصيح وبليغ يتضمّن حقائق لا بدّ من بيانها.

وبعد هذه المقدّمة المختصرة التي هي في حدّ ذاتها بحاجة إلى تفسير وتفصيل نصل إلى الأفكار القرآنيّة للسيّد الإمام، وسوف نذكر استنباطه واستنتاجه القرآني في اثني عشر محوراً كنت قد سمعت بعضها بنفسي منه﵀ في المجالس الخاصّة، وذكر هو بعضها الآخر في مجلس الدرس، وهي كالتالي:

المحور الأوّل

إنّه﵀ لا يرى أنّ نزول القرآن وواقعه هي هذه الألفاظ المعروفة، بل كان يؤكّد على أنّ نزول القرآن وحقيقته هي تنزّل الوجود، فإنّ للقرآن وجود عقلاني بسيط يتنزّل إلى وجود برزخي، ثُمّ يتنزل بواسطة جبرئيل﵇ إلى ألفاظ فصيحة وبليغة على قلب النبيّ الأكرمﷺ، وهذه هي حقيقة الوحي.

فما هو في العالم الأعلى هو الحقيقة السامية: ﴿وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ﴾،[٢] الذي تقصر أيدينا عن الوصول إليه، لكنّه بعد النزول يكون له وجود برزخي، ثُمّ وجود حسّي في مرحلة أكثر تنزّلاً، وهذه النظريّة كانت مطروحة قبل السيّد الإمام في كتاب *الأسفار* للملّا صدرا.

المحور الثاني

إنّ الإمام يردّ نظريّة المعتزلة في تكلّم الله التي تشير إلى أنّه هو من صفاته تعالى، فالمعتزلة تعتقد أنّ تكلّم الله يتمّ بإحداث هذه الأصوات والألفاظ القرآنيّة في حجر أو شجر ـ كما هو الحال في نزول التوراة ـ أو بنزولها على قلب النبيّ الأكرمﷺ.

---

١. الشعراء: ١٩٥.

٢. الطور: ٢.

لكن الإمام يقول: إنّ مسألة التدرّج في نزول القرآن لا يمكن أن تكون المحور في تكلّم الله؛ لأنّ التكلّم صفة للذات،[1] والتدرّج لا يكون إلّا في عالم المادّة والحسّ، والشيء المتدرّج لا يمكن أن يكون فعلاً لله تعالى مباشرة؛ لتنزّهه تعالى عن الحركة وما شابه ذلك، وإنّما يحدث ذلك بواسطة جنود الله الذين منهم جبرئيل الأمين، ينزل على قلب النبيّ صلى الله عليه وآله، فليس هذا هو ملاك التكلّم، وإنّما ملاك التكلّم شيء آخر.[2]

المحور الثالث

يعتقد الإمام رحمه الله أنّ للقرآن خفايا وزوايا، فكلّ منّا يدرك منها شيئاً ويزيل ستاراً، ولعلّه من المستحيل أن يزيل أحد جميع الستائر ويحيط بجميع بطون القرآن؛ لأنّ هذا فعل الله، وفعل الله بحر لا ينتهي، والإحاطة بهذا البحر لا يمكن أن يكون فعلاً لغير معصوم، بل ذلك بحاجة إلى معصوم يدرك جميع البطون ويُزيل الحجب.

فالإمام يرى أنّ الروايات التي تتحدّث عن بطن القرآن إنّما تكشف عن جانب من الواقع.

المحور الرابع

في الوقت الذي نرى الإمام يطرح آراءه جازماً في المسائل الأُصوليّة، بل وحتّى المعارف البرهانيّة أمّا في القرآن فلا يجزم بشيء في تفسير القرآن، فيطرح آراءه بنحو الاحتمال، رغم كونه معتقداً بما يقوله؛ لأنّه يترجّح في كون ما فهمه هو المراد الواقعي، ولذا نجده يكثر من كلمتي «يحتمل» و«لعلّ»، حيث يلاحظ ذلك واضحاً في تفسيره لسورة الحمد.

المحور الخامس

إنّ السيّد الإمام رحمه الله يعتمد في بحث الأخلاق على الروايات، وفي بحث العقائد والمعارف على القرآن والأدعيّة. وقد سمعته يقول:

> عندما شرعت في تدريس الأخلاق في المدرسة الفيضيّة، أردت أن أجعل محور البحث كتاب *إحياء علوم الدين* للغزالي، ولكنّي بعد إلقاء محاضرتين من الدرس لم أجده مناسباً، لذا فقد اعتمدت على الروايات في طرح دروس الأخلاق.

وكتاب *الأربعون حديثاً* هو خلاصة هذه الدروس الأخلاقيّة الذي تمّ الفراغ منه عام ١٣٥٨هـ، حيث كان يبدأ بذكر الحديث أوّلاً، ثُمّ يشرحه.

---

١. *مصباح الهداية*: ٧٣.

٢. المصدر: ٧٨.

وأمّا في الأُمور العقائديّة، فإنّه كثيراً ما يعتمد على القرآن والأدعيّة المأثورة عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام.

وكان يكرر قراءة الحديث التالي في مجلس الدرس:

روي عن علي بن الحسين عليه السلام أنّه قال:

إنّ الله عزّ وجلّ علم أنّه يكون في آخر الزمان أقوام متعمّقون، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وآيات من سورة الحديد إلى قوله: ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

وكان يدعو إلى البحث والتأمّل في سورتي: «الإخلاص» و«الحديد»، ويقول:

إنّ العقائد والمعارف قد تبلورت في ستّة آيات من سورة الحديد. وكان رحمه الله كثيراً ما يقرأ قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.[1] ثُمّ يشرحها.

المحور السادس

يقول الإمام رحمه الله:

إنّ تسبيح العالم والموجودات ليس تسبيحاً رمزيّاً من قبيل التشبيه، فإنّ العالم بأسره يسبّح الله تسبيحاً حقيقيّاً.[2]

وهو يعتقد أنّ جميع الكائنات ـ ابتداءً بعالم العقول ووصولاً إلى عالم الهيولى ـ كلّها علم ومعرفة وشعور،[3] ويستدلّ بذلك بطريقين: عقلي وقرآني.

الدليل العقلي

فقد قال فيه: إنّه لو ظهر كمال في مرحلة من مراحل الوجود، فإنّ هذا الكمال لا بدّ أن يسري إلى جميع مراحله، فمعرفة الإنسان ـ مثلاً ـ لا بدّ أن تكون متوفرة في جميع مراحل الوجود؛ لسريان هذه المعرفة بسبب وحدة حقيقة الوجود.

وهذا الكمال إمّا مرتبط بالوجود، أو بالعدم، أو بالماهيّة؛ أمّا العدم، فهو ليس شيئاً حتّى يمكن نسبة الكمال إليه. وأمّا الماهيّة فهي الأُخرى تأخذ كمالها من الوجود. إذاً هذا الشعور المتعلّق بالوجود، والوجود حقيقة واحدة، وبحفظ هذه الحقيقة لا بدّ من تجلّي أثر الوجود حتّى في مرحلة التراب والجماد والشجر، وحينئذٍ فإنّ تسبيح هذه الموجودات تسبيح عن علم ومعرفة.

---

١. الحديد: ٣.

٢. راجع: شرح *چهل حديث*: ٦٥٤ ـ ٦٥٥.

٣. شرح *دعاء السحر*: ٩٠.

وقد استدلّ الإمام ببعض الآيات منها: قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾.[1,2]

وعليه فإنّه رحمه الله كان يستفيد ويستنبط من هذه الآية سيلان العلم في جميع مراحل الوجود حتّى في مرحلة الجماد، ويرى أنّ لجميع الموجودات نوعاً من الشعور والإدراك ـ بقدر وجودها ـ وكلّما كانت أكثر تكاملاً كانت أكثر نصيباً من المعرفة، وكلّما كانت أكثر نقصاً كانت أقلّ نصيباً منها.

المحور السابع

كان الإمام الخمينيّ رحمه الله ـ مضافاً إلى استعانته بالأدلّة البرهانيّة لإثبات تجسّم الأعمال ـ كثيراً ما يستعين بآيات قرآنيّة، وحاصل ما أفاده في هذا المجال هو: أنّ لأعمالنا في الخارج تأثيراً في نفوسنا، فإنّ طاعاتنا توجد فينا ملكات في قالب الصور المثاليّة، وتكون هذه الصور في البرزخ وفي عالم الآخرة قرين للإنسان، تكون هذه الصور أحياناً صوراً بهيّة وممتعة، وأحياناً أخرى مؤلمة وكريهة، تسبّب في عذاب العصاة والمذنبين. وفي هذا قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا﴾.[3]

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾.[4]

إنّ للذهب والفضة ـ تبعاً لمحيطهما ـ نوعين من الحقيقة: فهما يظهران في هذا العالم بصورة ذهب يبهر العقول، وفي عالم الآخرة بصورة النار.

وإنّ كان جمالهما في عالم الدنيا يبهر العقول، إلّا أنّهما في عالم الآخرة يتبدلان إلى نار تكوى بها أجزاء مختلفة من البدن.

وكان الإمام كثيراً ما يقرأ في بحوثه الأخلاقيّة، في بحث حضور الأعمال في الآخرة قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾.[5]

---

١. الإسراء: ٤٤.

٢. شرح *چهل حديث*: ٦٥٥ ـ ٦٥٦.

٣. آل عمران: ٣٠.

٤. التوبة: ٣٥.

٥. آل عمران: ٣٠.

إنّ للعمل وجودين:

وجود دنيوي: وهو ما يظهر من أعمال صالحة، كالصلاة والصوم، أو أعمال طالحة كالغيبة والنميمة.

ووجود آخروي: وهو الذي يسّر الإنسان لو رآه كالطاعات، أو يؤلمه كالمعاصي.

والآية الأُخرى التي كان رحمه الله يقرأها كثيراً هي قوله تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.[1]

فهو يرى أنّ حضور العمل يكون عن طريق تجسيد الأعمال والأفعال، ولاينحصر هذا في العقاب والثواب، فإنّ العقاب والثواب هما نوع من أنواع تجسيد الأعمال أيضاً.

وقد تعرّضنا في كتاب *تهذيب الأصول* لبحث تجسيد الأعمال عند تعرّضنا لمسألة: **ترتّب العقاب على مقدّمة الثواب.**

ولا ينحصر تجسّم العمل أيضاً في العقاب والثواب، فإنّهما من أقسام تجسّم الأعمال.

المحور الثامن

للأُصوليّين في موضوع (قصد الأمر) بحث مفصّل، فإنّهم يقولون: هل يمكن أخذ قصد الأمر في متعلّق الأمر أو لايمكن؟

كما لو قال، مثلاً: «صلِّ صلاة الظهر» بقصد الأمر، فإنّ الإمام يرى بأنّنا لسنا بحاجة إلى قصد الأمر؛ فإنّ روح العبادة ليست هي قصد الأمر، بل روح العبادة هو العمل لله تعالى.[2]

ويرى أنّ الدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾،[3] القيام لله والعمل لله.

فحقيقة العبادة ليس هي قصد الأمر، بل العمل لله، ولو كان المكلّف غافلاً عن أمره تعالى.

المحور التاسع:

إنّ الإمام يرى في المسائل الحرجيّة حرمة الإتيان بالعبادة الحرجيّة وعدم مشروعيتها،[4] خلافاً للفقهاء حيث يرون أنّ الأفعال الحرجيّة ترفع اللزوم والوجوب، إلّا أن مشروعيّتها باقية.

---

١. الكهف: ٤٩.

٢. *صحيفة إمام*: ١٢٦/١٨.

٣. سبأ: ٤٦.

٤. *كتاب الطهارة*: ١٢٤/٢.

ومستند الإمام في ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾؛[١] وذلك لأنّ الآية المباركة تنفي جعل وتشريع الحكم، واعتبار الأعمال الحرجيّة مشروعة تحميل على قوانين الله، وذلك مثل الذين لم يفطروا في السفر عندما أفطر النبيّ صلى الله عليه وآله ، فقالوا: «أفضل الأعمال أحمزها».

فسمّاهم رسول الله صلى الله عليه وآله العصاة.[٢]

المحور العاشر

إنّ الإمام رحمه الله كان حسّاساً جدّاً في مسألة تحريف القرآن، حتّى أنّه لم يرضَ بالحدس أو الظنّ في هذا المجال، وكان يرى أنّ غيرة المسلمين تأبى العبث بكيانهم ـ أيّ القرآن الكريم ـ فيخدش فيه أو يُتلاعب.

المحور الحادي عشر

إنّه كان يرى أنّ تعدّد القراءات أمر مجعول لا مشروعيّته له، خلافاً لمن يرى أنّ للقرآن الكريم سبع قراءات مشهورة، وثلاث قراءات شاذّة، وأنّ لكلّ قارئ راويين ـ وهو ما يُعرف بالقرّاء السبعة أو العشرة ـ وحينئذٍ لو أحصينا عدد الرواة، لكان مجموع الروايات في قراءة القرآن عشرين رواية على ما يبدو.

قال الإمام رحمه الله:

إنّ القرآن ليس له أكثر من رواية واحدة، وهي التي قرأها ملايين المسلمين طيلة قرون متمادية، وقد ورد في رواية: «إنّ القرآن كتاب واحد نزل من عند واحد». فالقراءة واحدة، وكثرة القراءات هي من رأي القرّاء واجتهادهم، ولو كان لها واقع في القرآن، ومنسوبة إلى النبيّ صلى الله عليه وآله لما كان هؤلاء بحاجة إلى دليل لإثباتها.

ومنشأ هذا التعدّد في القراءات هو أنّ هؤلاء كانوا بعيدين عن مبدأ الفيض، حيث تفرّق الصحابة. فكانت خطوط قرآنيّة لها حروف قابلة للقراءة على صور مختلفة، لذا كلّ قرأ بنحوٍ، ولكن القراءة الوحيدة التي تعبّر عن الحقيقة القرآنيّة هي القراءة برواية حفص عن طريق عاصم عن علي بن أبي طالب عليه السلام[٣] فحسب.

---

١. الحج: ٧٨.

٢. صحيح *ابن حبّان*: ٨/٣٢٠.

٣. *آداب الصلاة*: ٢٦٧ ـ ٢٦٩.

المحور الثاني عشر

إنّ الإمام رحمه الله يرى أنّ الظرف الزمني والمكاني هما أحد العوامل المؤثّرة في الاجتهاد واستنباط الحكم الشرعي،[1] وليس مراده ـ كما تصوّر البعض ـ تأثير الزمان والمكان في أصل الأحكام؛ إذ لا يعقل أن يكون رأي الإمام هو ذلك، بل مقصوده أنّ الزمان والمكان إمّا يتصرّفان في المصاديق فيبدّلانها فيكون ذلك سبباً في تقدّم حكم على حكم آخر،

وإمّا يستلزمان الأولويّة وتقديم حكم على آخر.

والزمان والمكان مؤثّران أيضاً في تفسير القرآن، يقول ابن عبّاس:

إنّ القرآن يفسّره الزمان، وقال تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.[2]

فمثلاً اختلف قدماء المفسّرين مع المتأخّرين في المقصود من الزوجين في الآية المباركة.

فقال القدماء: إنّ المراد منهما الصورة والهيولى.

وقال بعض آخر: إنّ المراد الجوهر والعرض.

وعندما تقدّم العلم كشف لنا حقيقة أُخرى وهي أنّ جميع الأشياء ترجع إلى الذرّة المكوّنة من شحنتين: سالبة وموجبة.

ومن هنا فسِّر الزوجين بذلك.

وهذا البيان العلمي يكشف عن طبقة من طبقات القرآن وبطن من بطونه، وعلينا أن نصبر لنرى هل يكشف المستقبل عن طبقة أخرى وبطن آخر؟

إنّ انقطاع الإمام عن التفسير يعتبر خسارة لا يمكن جبرها بتاتاً، فقد كشف رحمه الله عن جانب خاصّ من جوانب القرآن، حيث كان يتعرّض للبحوث العرفانيّة التي لايفهمها سوى أهل المعرفة على نحو الخاصّة، ولم يكن يتعدّى في تفسيره للقرآن الضوابط الشرعيّة.

فسلام عليه يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حيّاً.

---

١. *صحيفة إمام*: ٢١/ ٢١٧.

٢. الذاريات: ٤٩.

حوارات علمية

مؤتمر الآراء القرآنيّة للإمام الخمينيّ

السيّد بويا: لقد كُتب ـ لحد الآن ـ في أفكار الإمام وعطاءاته القرآنيّة أكثر من عشرة عناوين من الكتب في خمسة عشر جزءاً، وعشر رسائل في الدكتوراة، عدا المقالات التي وصلت المؤتمر، وهي مئة مقالة تقريباً. وقد طبعت في المجلّات التخصصيّة القرآنيّة وغيرها في أرجاء البلاد.

ومن جملة آثار الإمام تفسيره لسورة الحمد، وقد كُتبت مجموعة أُخرى من آثاره تحت عنوان *قرآن كتاب هدايت* القرآن كتاب الهدى، و*مجموعة كلمات السيّد الإمام في القرآن* باهتمام مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام.

وقد جمعت كلمات الإمام القيّمة القرآنيّة في ألف ومئتي صفحة تقريباً، مضافاً إلى *تفسير القرآن المجيد* المقتبس من آثار الإمام الخمينيّ في ثلاثة آلاف صفحة.

وقد طبع كتاب *سيماي قرآن در أنديشه حضرت إمام* [ملامح القرآن في فكر الإمام الخمينيّ]، وكتاب *فهم القرآن* باللغة العربيّة، وكتاب *القرآن والنهضة*، وهو تحت الطبع.

إنّ الإمام الخمينيّ وإن اشتهر عالميّاً بصفته شخصيّة سياسيّة واجتماعيّة، إلّا أنّه عندما كان يجلس على كرسي الفقاهة يتكلّم كفقيه كبير، وعندما كان يتكلّم في العرفان والفلسفة يتكلّم كفيلسوف وعارف كبير، وعندما كان يتكلّم عن القرآن تراه يبيّن مقاصد القرآن كمفسّر كبير.

وهذا المؤتمر هو أحد المؤتمرات التي تعقد للتعرّف على آراء وأفكار الإمام الخمينيّ، ولأجل عظمة القرآن ومكانته الرفيعة اتّسم هذا المؤتمر بكونه أوّل مؤتمر ينعقد

في الحديث عن الإمام الخمينيرحمه الله باهتمام المركز العالمي للدراسات الإسلاميّة.[١]

وها نحن بخدمة أساتذة الحوزة والجامعة، وهم: الأُستاذ حجّة الإسلام والمسلمين رضائي إصفهاني، وحجّة الإسلام والمسلمين الدكتور دياري، وحجّة الإسلام والمسلمين السيّد رضا المؤدّب.

إنّ تنوّع آثار الإمام الخمينيرحمه الله تتطّلب فتح باب الحوار في كلّ عنوان، ونشير هنا إلى بعض العناوين التي تناولتها كلماتهرحمه الله في مجال القرآن، وهي كالتالي:

نزول القرآن ومراتب ذلك.

طريقة ومنهج فهم القرآن.

المخاطبون الحقيقيّون بالقرآن.

إعجاز القرآن.

روايات التحريف ورأي السيّد الإمام.

التفسير بالرأي وحدوده.

النسخ في القرآن، وغير ذلك من عناوين.

ونبدأ الحوار أوّلاً مع السيّد رضائي الإصفهاني ليتحدّث لنا عن المناهج التفسيريّة للإمامرحمه الله.

ـ **السيّد رضائي الإصفهاني:** فيما يتعلّق بالمناهج التفسيريّة للإمامرحمه الله لا بدّ من القول بأنّ للمفسّرين إلى يومنا هذا خمسة مناهج معتمدة في هذا الجانب، وهي:

١. منهج تفسير القرآن بالقرآن، وهذا المنهج سار عليه المفسّرون أكثر من سائر المناهج الأُخرى.

٢. منهج التفسير الروائي للقرآن، أي تفسير القرآن على أساس الروايات الواردة عن النبيّ الأكرمصلى الله عليه وآله وأهل البيتعليهم السلام.

٣. منهج التفسير العقلي.

٤. منهج التفسير العلمي، نظير تطبيق آيات الآفاق القرآنيّة مع نظريّة بطليموس، ونظريّات الآفاق الحديثة.

٥. منهج التفسير الإشاري، أي: التفسير العرفاني، والتفسير الباطني القائم على الشهود والمكاشفة.

وهذا المنهج هو الذي استخدمه الإمام كثيراً في مجال التفسير خصوصاً في تفسير سورة الحمد.

---

١. يسمّى المركز حالياً: جامعة المصطفىصلى الله عليه وآله العالميّة.

والفقرة التي لا بدّ من الإشارة إليها هي أنّ هناك فرقاً بين المنهج التفسيري والنزعة التفسيريّة التي تقوم على أساس ذوق المفسّر ورغبته الذاتيّة. فقد كان الإمام ينظر إلى القرآن ويحلّل آياته على أساس نزعته الفلسفيّة والعرفانيّة؛ لأنّ لهيكله الوجودي وتوجهه الباطني مطاطيّة وبناء عرفانياً وأخلاقياً؛ لذا نجده يميل إلى المسائل العرفانيّة في تفاسيره دائماً، حتّى أنّه يستعمل الاصطلاحات بشكل واسع، وله اهتمام بالأبحاث الأخلاقيّة، وأيضاً الأبحاث الفلسفيّة في التفسير.

ولايخفى أنّ كلّ مفسّر ينظر إلى التفسير من الزاوية التي تنسجم ورؤيته وتخصّصه، فمثلاً يميل الزمخشري في *الكشاف* إلى التفسير الأدبي، وقلّما يتعرّض إلى الأبحاث الأخرى، ولكن حيث إنّ للإمام رحمه الله أبعاداً ورؤى عديدة نجده في الوقت الذي له نظريّة واهتمام عرفاني وأخلاقي إلى جانب هذا كلّه كذلك له نظريّة ورؤية اجتماعيّة قويّة، لذا فهو يستدلّ في كلماته دائماً بالآيات القرآنيّة في المجال السياسي والاجتماعي، وفيما يتعلّق بالوحدة والحكومة الإسلاميّة.

وفي المجالات المختلفة الأخرى، فتوجّه الإمام في الحقيقة توجّه سياسي وجهادي وتقريبي، فهو سياسي؛ لأنّه كثيراً ما يستند إلى القرآن في المسائل السياسيّة، وهو تقريبي لكونه يفسّر القرآن بنحوٍ لايمسّ أو يهين المذاهب الأخرى. فهو يعمل على أساس تعاليم أهل البيت عليهم السلام وفقاً لأسس التشيّع، فأنت لا تجد في آثاره التفسيريّة أدنى إهانة للآخرين، بل كلّ ما هناك دعوة للتقريب بين المذاهب ووحدة المسلمين على أساس آيات القرآن الكريم.

وله رحمه الله توجّه جهادي أيضاً، خصوصاً في مرحلة الحرب المفروضة، فقد كانت سياسته في البلاد قائمة على أساس التعاليم القرآنيّة، وفي الحقيقة كان تفسيره ذا أبعاد عديدة، أي: أنّه كان يعمل بآيات القرآن في الحياة الاجتماعيّة على أساس الأبعاد الثلاثة: السياسي، والتقريبي، والجهادي.

ـ السيّد دياري: أُريد الحديث عن مفهوم ومعنى التفسير، وأنّه أساساً ما حقيقته؟

والأمر الذي أُريد توضيحه هو أنّ السيّد الإمام رحمه الله لم يعط تعريفاً واضحاً وصريحاً للتفسير، لكنّه ذكر في بيان واضح الهدف الأصلي من التفسير، فهو يقول: لا بدّ للمفسّر من متابعة مفاهيم القرآن ليستفاد من النصّ وبطن الكلام الإلهي، فلا بدّ للمفسّر من رؤية أهداف ومقاصد في نصّ الآيات، وهذا ما لا يمكن دركه بمجرّد اللغة العربية التي يذكرها المفسّرون والباحثون في القرآن عادة لأجل فهم الآيات القرآنيّة، بل التفسير هو محاولة استكشاف وبيان الغاية، والمراد النهائي للمتكلّم من الكلام، والذي يرشدنا إلى ذلك تيك الغاية نفسها.[1]

---

١. *آداب الصلاة*: ١٩٢ـ١٩٣.

ثُمّ إنّ للمفسّرين منذ العصور المتقدّمة في باب المناهج والطرق منهجين في التفسير:

أحدهما: المنهج النقلي (الروائي)

والآخر: منهج التفسير بالرأي.

فلو أنّ المفسّر اعتمد في تفسيره على الرأي والاجتهاد الشخصي كان تفسيره تفسيراً بالرأي، ولو اعتمد في فهم الآيات على نفس الآيات الشريفة وكلمات المعصومين، فإنّ هذا النوع من التفسير يُقال له: **التفسير النقلي أو الروائي.**

وإنّما يقال للتفسير بأنّه تفسير بالرأي فيما لو استند المفسّر على رأيه الشخصي فقط بغضّ النظر عن القرائن والشواهد النقليّة المعتبرة المتوفّرة في القرآن والأخبار.

والحدّ الوسط بين هذين المنهجين التفسيريين، منهج ثالث، لا هو نقلي ـ روائي محض ـ ولا هو تفسير بالرأي، بل هو منهج تفسيري اجتهادي وتدبّري وذات طابع عقلائي، فيه مزايا المنهج التفسيري النقلي الذي يعتمد على القرائن والشواهد النقليّة القرآنيّة وغير القرآنيّة، ويكون في الوقت ذاته مصوناً عن معايب منهج التفسير بالرأي.

وقد جمع الإمام بين هذين المنهجين، فلم يكتفِ بتوضيح ألفاظ القرآن، بل حاول الكشف عن الغاية المنشودة من النزول، فالمفسّر الحقيقي هو الذي يفهم الغاية والهدف الرئيسي للمتكلّم، ومن ثَمّ يرشد الآخرين إليه، ولا يكتفي ببيان معاني الألفاظ القرآنيّة.

والسبب الذي دعا الإمام إلى ذمّ الأخذ ببعد واحد في تفسير القرآن والنهي عنه هو أنّه لا يرى هذا النوع من التفسير تفسيراً حقيقيّاً؛ لأنّه لا يكشف عن الغاية المنشودة للقرآن.

فمثلاً الأديب والأخصائي في النصوص الأدبيّة والبلاغيّة تراه يبحث عن النكات البلاغيّة والأدبيّة الظريفة في القرآن لكي يبيّنها، وكذا المتخصّص في العرفان والفلسفة والعلوم العقليّة، فإنّه يسعى من أجل كشف الجوانب العرفانيّة والفلسفيّة والعقليّة في القرآن، وفي الواقع كلّ من يريد الأخذ بجهة من جهات القرآن الكريم بحسب ظنّه ونزعته الاعتقاديّة أو العلميّة، فإنّ ذلك يعني تفكيك القرآن والنظر إليه من زاوية خاصّة، في حين أنّ ذلك ليس هو مراد الله تعالى، وهذا في الواقع نوع من المناورات العلميّة، وليس تفسيراً للقرآن الكريم.

ـ السيّد بويا: يرى الإمام أنّه لم يدوّن إلى الآن تفسير جامع للقرآن.

السيّد رضا مؤدّب: استعمل الإمام كلمة التفسير في مواضع عديدة بمعانٍ مختلفة، فتارة يرى أنّ المقصود من التفسير الوصول إلى مقام الغيب، وكان يعتقد أنّ مثل هذا التفسير

لم يدوّن إلى يومنا الحاضر، بل ليس بإمكان البشر الوصول إليه؛ لأنّ الإنسان محدود في سعة إدراكه، لا يستطيع الوصول إلى ذلك الغيب المطلق، وتارة يرى أنّ التفسير هو ذاك الاصطلاح المتداول بين المفسّرين للقرآن.[1]

ويعتقد الإمامرحمه الله أنّ سور القرآن الكريم وآياته تمثّل المنزلة السابعة من مراحل نزوله، أي: أنّ القرآن عندما نزل من مقام القدس كان له سبع مراحل من النزول، وفي هذه المرحلة ـ وهي المرحلة السابعة من النزول ـ تكون مهمّة التفسير، ومن ثُمّ بيان المراد من الآيات.[2]

وقد يُستشكل على الإمام في أنّه كيف يقول بأنّ القرآن لم يفسّر إلى الآن، مع أنّ كبار المفسّرين قاموا بتفسيره في أكثر من ألفي كتاب تفسيري؟

إلّا أنّه على حدّ تعبير أحد المعاصرين، حيث يقول:

> مراد الإمام من ذلك هو أنّه لم ينطق أحد من المفسّرين بالكلام الفصل، وأنّ كلّ ما قيل هو استنباط قد يكون صحيحاً، وقد لا يكون.

وعلى كلّ تقدير، لو كان المراد من التفسير هو الوصول إلى المستوى الأعلى منه، فهذا ليس في منال الإنسان، ولم يتحقّق ولن يتحقّق، ولكن على الرغم من ذلك فإنّ القرآن قد تنزّل إلى المرحلة السابعة لأجل أن نستفيد منه، ولذا فإنّ بإمكان كلّ أحد ـ بما لديه من إلمام باللغة واختصاص ـ أن يُدرك ما يمكن إدركه من فحوى القرآن كريم، فإنّ ذلك أمر مقدور، ويكون من التفسير؛ لفهم الآيات.

المنهج التفسيري لدى الإمام الخمينيرحمه الله

المنهج التفسيري هو عبارة عن: الأدلّة التي يستند إليها المفسِّر في فهم الآيات، وهذه الأدلّة تارة تكون نقليّة، وهي الآيات الشريفة أو الروايات أو كلام الصحابة التي يستفيد منها في تفسير القرآن، وهو من أشهر المناهج. وأُخرى تكون عقليّة واجتهاديّة.

وثالثة: شهودية كشفية؛ لاعتقاد البعض عدم الحاجة الماسّة للاستفادة من الآيات نفسها في فهم بعض الآيات الأُخرى، وكذا الروايات التي قد لا يمكن الاستفادة منها لبعض الموانع، لذا يستعان بالكشف والشهود ليقف الإنسان على أسرار القرآن.

---

١. *تفسير سورة الحمد*: ٩٣ ـ ٩٥.

٢. *صحيفة إمام*: ٤٣١/١٧.

ويقول البعض: إنّ المنهج التفسيري للإمام عرفاني، أي: أنّه عرفاني بلحاظ الكشف والشهود، ولا يخفى أنّ الإمام يوافق على منهج تفسير القرآن بالقرآن أيضاً، فهو مثلاً عندما يريد تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾،[١] كان يستعين بآيات أُخرى كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾،[٢] و﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ﴾،[٣] وكذا غيرها من الآيات بنفس الطريقة والسياق المألوف لدى المفسّرين.

ولكنّه مع ذلك كان يرى أنّه لا بدّ لتكميل المشهد التفسيري من توفير الكشف والشهود العرفاني والاستفادة منه في معرفة المراد النهائي من آيات القرآن، ومن هنا نجده في تفسير سورة الحمد، عند قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾،[٤] وأنّه لماذا يجب أن نقول ذلك بصيغة الجمع مع أنّ المتكلّم واحد. لا يستعين بالآيات والروايات، بل يذهب إلى الكشف والشهود، ثُمّ يبيّن جملة من المطالب التي أفيضت على قلبه، وحينئذٍ فمنهجه يكون عرفانيّاً.

يقول الإمام:

> ليس تفسير القرآن بالأمر الذي يستطيع أمثالنا القيام به، إلّا أنّ كلّ مفسّر يفسّره ويكشف عنه ستاراً وحجاباً بمقدار ما لديه من كفاءة في اختصاصه ونوعيّة المهارة التي يملكها.[٥]

وقد فهم الكثير من عبارته: إنّ كلّ مفسّر يفسّره ويكشف... .

المذهب التفسيري؛ لأنّ المذهب التفسيري هو المهارة والاختصاص، يعني من الممكن أن تفسّر الأحداث تفسيراً أدبيّاً أو لغويّاً، أو نفسيّاً أو اجتماعيّاً، وإنّي أتصوّر أنّ المذهب والرؤية التفسيريّة للإمام رؤية اجتماعيّة سياسيّة نظراً إلى أنّه كان يرى أنّ القرآن أكثر ما يكون كتاباً اجتماعيّاً من كونه كتاب آيات للأحكام، وأكثر ما يكون ذا نزعة اجتماعيّة من كونه ذا نزعة فقهيّة.

ـ السيّد بويا: أشار السيّد رضائي إلى أنّ المفسّرين لو اختاروا أيّ منهج فإنّهم يبقون أوفياء للعمل بذلك المنهج إلى آخر التفسير، لكن حيث إنّ الإمام لم يكن يعتقد في تفسير القرآن ببعد ومنهج واحد؛ لذا فإنّي أرجو من السيّد رضائي بيان شيء من الحديث فيما يتعلّق بهذا المورد.

---

١. الحديد: ٣.

٢. الحديد: ٤.

٣. النور: ٣٥.

٤. الفاتحة: ٥.

٥. *تفسير سورة الحمد*: ٩٣.

السيّد رضائي الإصفهاني: ينقسم المنهج التفسيري إلى نقلي واجتهادي. والتفسير الاجتهادي ينقسم إلى: تفسير اجتهادي معتبر، وتفسير بالرأي.

فإنّه قد يفسّر المفسّر القرآن أحياناً على أساس القرائن العقليّة والنقليّة، ويقال لمثل هذا النحو من التفسير: التفسير الاجتهادي المعتبر، أمّا لو كان ذلك بدون مراجعة أو توجّه للقرائن العقليّة والنقليّة، فهذا التفسير الاجتهادي يكون تفسيراً بالرأي، وحينئذٍ فليس التفسير بالرأي هو وحده في قبال التفسير النقلي.

ومن أقسام التفسير الاجتهادي: تفسير القرآن بالقرآن، والتفسير العقلي، والتفسير العلمي.

والجامع لهذه الأقسام هو منهج: التفسير الاجتهادي.

وقد اتّبع الإمام في تفاسيره منهج: تفسير القرآن بالقرآن، والتفسير الروائي، والعقلي، والإشاري ـ العرفاني والباطني ـ والتفسير العلمي أحياناً.

ولمّا كان الإمام يعتقد بالتفسير الاجتهادي الكامل ـ وإن كان يميل إلى التفسير العرفاني ـ فإنّه صرّح في بعض أقواله بنقصان المناهج الأُخرى؛ لأنّه يرى أنّ العمل بمنهج تفسيري ذو بعد واحد في كلّ القرآن عمل ناقص، لذا يقول في تفسير سورة الحمد: «إنّ التفسير العرفاني لمحيي الدين بن عربي ومنهج التفسير العلمي للطنطاوي، والتفسير الاجتماعي للسيّد قطب، كلّها تفاسير ناقصة».

لكنّه يرى بعض التفاسير جيّدة مثل: *مجمع البيان* الذي يقول عنه: إنّه تفسير جيّد وجامع لأقوال العامّة والخاصّة.[1]

إنّ الإمام بذل كلّ وسعه للأخذ بجميع المناهج وحاول التجنّب عن منهج التفسير بالرأي، وذكر مراراً بأنّ منهج التفسير بالرأي منهج منحرف ولا ينبغي العمل به.[2]

ويعتقد الإمام أنّه لا ينبغي الاكتفاء في تفسير القرآن الكريم بظاهره، بل لا بدّ من أخذ الباطن بنظر الاعتبار أيضاً. وقد قال في تفسير سورة الحمد لأجل إثبات دعوى أنّ جميع المحامد لله تعالى مستدلّاً عليها بآيات عديدة، منها: قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[3] لأنّ الكمال كلّه لله، فجميع المحامد والثناء له تعالى، وكذا استدلّ بآية: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾.[4]

---

١. راجع: المصدر: ٩٣ ـ ٩٤.

٢. المصدر: ٩٥.

٣. النور: ٣٥.

٤. الانفال: ١٧.

إنّ الإمامرحمه الله يرى أنّ البسملة من كلّ سورة مختصّة بتلك السورة، وكان كثيراً ما يستفيد في التفسير الروائي من الروايات الواردة عن النبيّ الأكرمصلى الله عليه وآله والأئمّة الأطهارعليهم السلام، فمثلاً في تفسير قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾،[1] نقل رواية عن الإمام الباقرعليه السلام أنّه قال: «نحن الأمة الوسطى، ونحن الشهداء على الخلق».[2]

واستنتج منها: أنّ المصداق الكامل للصراط المستقيم هو طريق أهل البيتعليهم السلام.

وكذا في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾،[3] فإنّ الإمام ـ وفي سياق إشارته إلى معجزة النبيّ بتسبيح الحصى في يده ـ يقول:

إنّ تسبيح الموجودات لفظي وإن كنّا حسب تصريح الآية لا نفهمه.[4]

ـ السيّد بويا: لقد طرح السيّد الإمامرحمه الله في التفسير بالرأي رؤية خاصّة لعلّ غيره لم يطرحها من قبل، نرجو من الدكتور دياري التحدّث عن التفسير بالرأي من منظور الإمامرحمه الله بصورة موسّعة.

ـ السيّد دياري: إنّ المنهج التفسيري لدى الإمام اجتهادي وتدبُّري، يعدّ التفسير بالرأي، إحدى آفات التفسير، و يقول الإمام ردّاً على التفسير بالرأي:

من الأمور الممنوعة في الإسلام التفسير بالرأي، وهو أن يطبّق الشخص آراءه على آيات القرآن، ويفسّر القرآن برأيه.[5]

وقد وردت هذه الجملة في صدر الإسلام مراراً، وهي أنّ: «من فسّر القرآن برأيه، فليتبوء مقعده من النار». فنحن لا نستطيع تفسير القرآن بالرأي والقول بما هو خلافه؛ نظراً إلى ما ورد عنهمعليهم السلام: «إنّما يعرف القرآن من خوطب به»، بل علينا أخذ القرآن عن طريق الوحي وعمّن هو مرتبط بالوحي،[6] ولدينا ـ ولله الحمد ـ روايات كثيرة في تفسير القرآن.

والمراد من التفسير بالرأي في رأي الإمام أن تكون آراء المفسّر معيّنة ومعلومة مسبقاً، والمفسّر يريد تحميلها على القرآن، والحصول على تأييد من القرآن الكريم، ودعم لرأيه.[7]

---

١. الحمد: ٦.
٢. *تفسير سورة الحمد*: ٧٢.
٣. الإسراء: ٤٤.
٤. *تفسير سورة الحمد*: ٣٤.
٥. المصدر: ٩٦.
٦. *صحيفة إمام*: ٤٣٢/١٧.
٧. *تفسير سورة الحمد*: ٩٦.

وكذلك يعتقد الإمام أنّ الدخول في تفسير القرآن دونما مقدّمات علميّة سوف يقحم الإنسان في ورطة التفسير بالرأي لامحالة، أي: على المفسّر قبل البدء بالتفسير أنّ يكون مسلّحاً بالمعلومات والصلاحيات اللّازمة. وكذلك فإنّ الفاقدين لصلاحيّة معرفة الأحكام الإسلاميّة سوف يفسّرون آيات القرآن بأهوائهم ويطبّقونها على القرآن نتيجة تأثّرهم بالمدارس المنحرفة، في حين تبتني مدارك الفقه الإسلامي على أُصول لا يمكن دونها الدخول إلى ساحة هذا المعترك.[1]

وكما ذكرنا لم يكن الإمام الخمينيّ﵀ يفسّر الآيات القرآنيّة بشكل باتّ، وكان يقول:

إنّ من غير المسموح به للإنسان أن يفسِّر القرآن بالشكل الذي يحلو له، ثُمّ ينسب ذلك إلى القرآن، ولو أنّي تكلّمت ببعض الكلمات فيما يرتبط ببعض آيات القرآن الكريم، فإنّي لا أنسب شيئاً للقرآن، ولا أقول إنّ المراد هو ذلك، بل أذكره كاحتمال لا على نحو الجزم...

وأعيد القول ثانية بأنّ هذا التفسير ليس جزميّاً، بحيث ينفي ما سواه، وإنّما أقول ذلك تجنّباً عن التفسير بالرأي، والذي نفهمه من الآيات نذكره على نحو الاحتمال.[2]

والنقطة التي لا بدّ من التنبيه عليها هي أنّ الإمام يرى أنّ التفسير بالرأي يرتبط بآيات الأحكام، وهذا ما يذكره على نحو الاحتمال، وإلى هذا الرأي ذهب الطبري، والشهيد الصدر أيضاً.وفي هذا الصعيد يقول الإمام﵀:

... مضافاً إلى ذلك فإنّ في التفسير بالرأي كلام لعلّه لا يرتبط بآيات المعارف والعلوم العقليّة الموافقة للموازين البرهانيّة، وكذا لا يرتبط بالآيات العقليّة التي للعقل فيها دخل؛ لمطابقة هذه التفاسير مع البرهان العقلي المتين أو الاعتبارات العقليّة الواضحة.

فمن المحتمل، بل المظنون به أن يكون التفسير بالرأي مرتبطاً بآيات الأحكام، بحيث لا تناله الآراء والعقول. وأنّه لا بدّ أن يؤخذ بالتعبّد الصرف والانقياد لخزّان الوحي ومهابط ملائكة الله، كما ورد في أكثر الروايات في هذا الباب في مقابل فقهاء الجمهور الذين أرادوا فهم دين الله بعقولهم وقياساتهم، فما ورد في بعض الروايات الشريفة أنّه: «ليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن»،[3] وكذا الرواية الشريفة الأُخرى التي تقول: «دين الله لا يصاب بالعقول»،[4] يشهد على أنّ المراد من: «دين الله» أحكام الدين التعبّدية، وإلّا فأبحاث إثبات الصانع والتوحيد وإثبات المعاد والنبوّة، بل مطلق

---

١. *صحيفة إمام*: ٣٠٩/٩.

٢. *تفسير سورة الحمد*: ٩٦.

٣. *بحار الأنوار*: ٩٥/٨٩، ح: ٤٨.

٤. المصدر: ٣٠٣/٢، ح:٤١.

المعارف، هي حقّ مطلق للعقول ومن مختصّاته.[١]

وهذا الرأي من الآراء الخاصّة بالسيّد الإمامرحمه الله في موضوع التفسير بالرأي.

السيّد مؤدّب: لدراسة روايات التفسير بالرأي لدى الإمام أهمّية خاصّة، وقد ورد الذم والنهي في رواياتنا عن التفسير بالرأي، أمّا هل هذا النهي مطلق يشمل جميع الآيات ـ آيات الأحكام وغيرها ـ أو أنّه خاصّ ببعض الآيات؟

لقد كان الإمام يؤكّد كثيراً على أنّه لا محلّ للرأي والتعقّل في آيات الأحكام التي هي اُمور تعبّديّة.

والذي يقرّب للنظر أنّ الإمامرحمه الله يرى أنّ معنى الرأي مرادف لمعنى الفكر والتفكّر، ففي المواضع التي يريد الإنسان تحصيل حكم الله في الواجبات والمحرّمات لا مجال للعمل بالاجتهاد، وقد خاطب الإمام الطلّاب بقوله:

إيّاكم ياطلاب الجامعات وعلماء الدين! أن تُحكّموا أذواقكم وآراءكم الشخصيّة في تفسير الآيات الكريمة للقرآن المجيد، وفي تأويل أحكام الإسلام وأدلّته.[٢]

فعندما يصل حكم الله ويوضّح في الآيات والروايات فعلى الإنسان أن يتعبّد به ويقبله، يقول الإمامرحمه الله: «إنّ محل الرأي والفكر هو في غير التعبّديات». ولذا يمهّد الإمام الأرضية للتفسير العرفاني ويقول: «إنّ المجال مفتوح أمام التعقّل في بحث إثبات الصانع،[٣] أي على الإنسان هنا أن يوسّع من اُفقه الذهني».

ولا يخفى أنّ مراد الإمام ليس صحّة كلّ ما حكم به عقلنا بصورة مطلقة في غير التعبّديات، لكن لو كان المفسّر عارفاً وكان متّصفاً بخصائص التفسير فمن الطبيعي أن يكون الجو العام للتفسير عرفاني.

ـ السيّد بويا: نرى من حسن ختام هذا الحوار الإشارة إلى دعوة الإمام الخمينيرحمه الله بعض المسلمين للعودة إلى بحر القرآن والإسلام والاتصال به، لكي ييأس منهم الأعداء ويعيشوا حياة كريمة وقيماً إنسانية سامية.[٤]

---

١. *آداب الصلاة*: ٢٠٠.

٢. *صحيفة إمام*: ٣/٣٢٣.

٣. *تقريرات فلسفه* (إمام خميني): ١/١١٥.

٤. المصدر: ١٦/٥١٦.

تأملات في الفكر القرآني للإمام الخميني رحمه الله

السيّد رضا مؤدَّب

الفصل الأوّل: مكانة القرآن في رؤية الإمام الخميني رحمه الله

الإمام الخميني رحمه الله شخصيّة علميّة كبيرة، ونظرياته العلميّة يمكن إخضاعها للدراسة والبحث، فإنّ له رأياً بين الآراء القرآنيّة، بل في بعض الموارد تفوّق على غيره في هذا المجال، ومن تلك الموارد نظريته في مكانة القرآن، فهو يرى أنّ خصائص للقرآن هي:

١. القرآن أكبر مظاهر الرحمة الإلهية

يعتقد الإمام الخميني رحمه الله أنّ القرآن أكبر مظاهر الرحمة الإلهيّة التي بعثت إلى البشريّة، وإن كان الكثير من الناس محرومين من الاستفادة منها، يقول رحمه الله في هذا الخصوص:

> إنّ هذا الكتاب الإلهي الكبير نزل من عالم الغيب الإلهي والقرب الربوبي لأجل فائدتنا وخلاصنا من سجن الطبيعة والأغلال الملتوية في هوى النفس والآمال صار القرآن بشكل لفظ وكلام، وهو من أكبر مظاهر الرحمة الإلهيّة المطلقة التي لم نستفد منها ولن نستفيد منها لعمى وصم أصابنا.[١]

إنّ الإمام يرى القرآن الكريم من أهمّ وأكبر الرحمات الإلهيّة، والتعبير الذي قلّما يلتفت إليه الآخرون: إنّ القرآن في رأيه إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وآله من أكبر الرحمات الإلهيّة، وأنّه

---

١. آداب الصلاة: ٦٦.

عدل له، ومن الواضح أنّ الرحمات الإلهيّة كثيرة، إلّا أنّ القرآن من أكبر هذه الرحمات،[١] وأنّه الرحمة الإلهيّة المطلقة، وهي رؤية أكّد عليها الإمام كثيراً.

٢. القرآن تجلّى فيه الجمال والجلال

يقول الإمام الخميني في خصوص تجلّي الجمال والجلال الإلهي عبّر القرآن الكريم:

إنّ أهل المعرفة يرون أنّ هذا الكتاب الشريف نزل من الحقّ تعالى، وهو مبدأ جميع الشؤون الذاتيّة والصفاتيّة والفعليّة. وفيه جميع التجلّيات الجماليّة والجلاليّة، ولا تبلغ مرتبته ومنزلته سائر الكتب السماويّة الأُخرى.[٢]

يقول الإمام الخميني في هذه العبارة: «إنّ الله تعالى قد تجلّى في هذا الكتاب، جلالاً وجمالاً».[٣]

ويقول في مقام مقايسة القرآن مع غيره من الكتب السماويّة: «إنّ الكتب السماويّة ـ مثل التوراة والإنجيل ـ لو لم تحرّف لما كانت بهذه الرتبة».

إنّ للكتاب المقدّس عهدين: العهد القديم، والعهد الجديد.

وهما معاً في (٦٧) كتاباً، والعهد القديم على خمسة أسفار من التوراة، وأهمّ فصول العهد الجديد هو: الإنجيل.[٤]

وجميع هذه الكتب والأسفار في رأي أهل الكتاب هي كتب مقدّسة، وما هو موجود اليوم وفي متناول الأيدي مجموع هذه الكتب.

ويعتقد أهل الكتاب إلّا شيء من العهدين كلام الله،[٥] وأنّ غاية ما يمكن القول في شأنهما أنّ التوراة هو كلام نبي الله موسى، وأنّ إنجيل مرقس ويوحنّا، ومتّى، ولوقا هو كلام عيسى. ونعتقد نحن المسلمين أنّ التوراة والإنجيل غير المحرّفين هما كلام الله تعالى، وأنّ لهذه الكتب مكانتها السماويّة والمعنويّة.

وكلام الإمام فيه تعريض إلى التوراة والإنجيل الواقعيين وغير المحرّفين الذين كانا عند النبي والأئمّة المعصومين.

---

١. المصدر: ٣٧.

٢. المصدر:١٨٣.

٣. *صحيفة إمام*: ٤٠٨/٢٠.

٤. *آشنائى با اديان بزرگ*: ١٢٧.

٥. المصدر:١٣٢.

وعلى كلّ حال فإنّ الإمام الخميني رحمه الله يقول:

إنّ التوراة والإنجيل الواقعيين ليسا في رتبة القرآن، وليست لهما جامعيّة وشمولية القرآن، وأنّهما نزلا بما يتناسب مع زمانهما، خلافاً للقرآن الذي هو تجلٍّ كاملٍ للجمال والجلال الإلهي، والذي لايتيسّر إدركه إلّا للخواصّ.

٣. القرآن صورة الاسم الأعظم

يرى السيّد الإمام رحمه الله أنّ القرآن هو صورة الاسم الأعظم، ولـذا فإنّه لا يـرى للنسخ فيه معنى، ويقول في هذا الخصوص:

إنّ هذا الكتاب الشريف هو صورة أحدية جميع الأسماء والصفات، وهـو المعـرّف لمقام قدّس الحقّ بجميع الشؤون والتجلّيات. وبعبارة أُخرى: هذه الصحيفة النورانيّة هي صورة الاسم الأعظم، كما أنّ الإنسان الكامل أيضاً هو صورة الاسم الأعظم، بل حقيقة هذين في ساحة الغيب شيء واحد، وإنّما يختلفان بحسب الصورة.

ولكنّهما بحسب المعنى لا فرق بينهما، وهذا هو أحد معاني: «لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض» كما أنّ الحقّ تعالى عجن طينة آدم أوّلاً بيدي الجمال والجلال، وجعل الإنسان كاملاً بيدي الجمال والجلال، وجعله تنزيلاً للكتاب الكامل والقرآن الجامع. ولعلّه لذلك يقال له: (قرآن)، فإنّ مقام الأحدية مقام جمع الوحدة والكثرة، ولـذلك فإنّ هذا الكتاب لا مجال للنسخ والانقطاع فيه؛ لأنّ الاسم الأعظم ومظاهر هـذا الاسـم أزليّة وأبديّة، وجميع الشرائع تدعو إلى هذه الشريعة والولاية المحمّديّة.[١]

إنّ القرآن في رأي الإمام الخميني رحمه الله:

مظهر الاسم الأعظم، والإنسان الكامل هو مظهر آخر للاسم الأعظم، ولكليهما في محضر الغيب ـ الذي هو أحد مراتب نزول القرآن ـ مرتبة واحـدة، أمّا في هـذا العـالم ـ يعني عالم التفرقة والاختلاف ـ فهما بحسـب الصورة مفترقان، وحيث إنّ القرآن صـورة الاسم الأعظم فلا معنى للنسخ والانقطاع فيه.[٢]

وقد لفت الإمام الخميني رحمه الله بذلك نظر مخاطبيه إلى عدّة أُمور:

أ) إنّه يرى أنّ الإنسان الكامل والقرآن صـورة «للاسم الأعظم»، في حين أنّ العلماء الآخرين قلّما استعملوا مثل هذا الاصطلاح في هذا المجال، قال رحمه الله:

---

١. *آداب الصلاة*: ٣٢١.

٢. المصدر: ٣٢١.

كما أنّ الحقّ تعالى عجن طينة آدم أوّلاً بيدي الجمال والجلال، كذلك جعل الإنسان كاملاً بيدي الجمال والجلال، وجعله تنزيلاً للكتاب الكامل والقرآن الجامع.[١]

ب) بما أنّه يرى أنّ القرآن صورة الاسم الأعظم فهو يرى انتفاء النسخ والانقطاع في حقّه، يقول آية الله الخوئي في *البيان*:

من مجموع الآيات التي أُدّعي النسخ فيها يمكن القول: إنّ النسخ في القرآن غير صحيح، وأنّه ليس هناك آيات منسوخة سوى آية النجوى.[٢]

ويقول الإمام الخميني:

لا معنى للنسخ بعد كون القرآن صورة للاسم الأعظم، ونحن لا نستطيع إدراكه.[٣]

وذلك لأنّنا مقيّدون في هذا العالم ولا نستطيع معرفة ما في ذلك العالم.

ج) يرى الإمام الخميني: إنّ القرآن والإنسان الكامل في عالم الغيب أمراً واحداً، ويرى أنّ التفرقة بينهما تحصل بعد التنزّل من عالم الغيب؛ لأنّه لا معنى للافتراق في عالم الغيب بين الثقل الأصغر والأكبر، وإنّ كنّا نعتبر في عالم التنزّل أنّ القرآن هو الثقل الأكبر والأئمّة هم الثقل الأصغر.

٤. سرّ القرآن وتنزّلاته السبعة

يقول الإمام الخميني في مراتب تنزّل القرآن:

إنّ القرآن سرّ سرّ السرّ، السرّ المسترّ بالسرّ، السرّ المقنّع بالسرّ، ولا بدّ أن يتنزّل حتّى يصل إلى هذه المراتب النازلة، فهو حتّى عندما دخل قلب النبيّ كان تنزّلاً أيضاً، فكان تنزّله بنحوٍ دخل به القلب، ثُمّ بعد ذلك لا بدّ أن ينزل من هناك ليصلَ إلى محلّ يفهمه الآخرون أيضاً.[٤]

فالإمام يعتقد أنّ القرآن تنزّل سبع مرّات، لما ورد في رواية: «إنّ القرآن نزل على سبعة أحرف».[٥]

وهناك آراء مختلفة في هذه الرواية وهي: هل المراد من السبعة فيها عبارة عن بيان الكثرة أو عدد السبعة هو المراد؟ وهل لكلّ مرتبة بطون؟ وما هي هذه البطون؟

---

١. المصدر: ٣٢١.

٢. *البيان في تفسير القرآن*:٢٧٧.

٣. *آداب الصلاة*: ٣٢١.

٤. *تفسير سورة الحمد*: ١٦٥.

٥. *بحار الأنوار*: ٨٣/٨٩ ح:١٣. راجع: *آداب الصلاة*: ٣٢٣.

فهذا ما يتطلّب بحثاً مستقلًا في هذا المجال. وقد حاول المحدّثون والمتكلّمون جاهدين فهم هذا المعنى كثيراً، فكان لهم في هذا المجال أكثر من ثلاثين قولاً، لكنّهم لم يصلوا إلى معنى ذلك بوضوح كما هو مطلوب.[1]

وقد ورد في الكتب الروائية الشيعيّة أنّ للقرآن بطوناً سبعة.[2]

وفهم البعض من عدد السبعة بأنّه إشارة إلى الكثرة، أيّ: أنّ القرآن كتاب له معاني مختلفة، وبإمكان المتعلّم استنباط معانٍ عديدة منه.

والسيّد الإمام؛ نظراً إلى رواية البطون، وكذا ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام من أنّ: «أمرنا سرّ في سرّ، وسرّ مستسرّ، وسرّ لا يفيد إلّا سرّ، وسرّ على سرّ، وسرّ مقنّع بسرّ»،[3] يرى أنّ للقرآن سبع مراتب من النزول. وهذه المراتب في رأيه هي عبارة عن: **الحضرة العلميّة، حضرة الأعيان، حضرة الأقلام، حضرة الألواح، حضرة المثال، الحسّ المشترك، والشهادة المطلقة**،[4] وآخر مرتبة منه هي هذه التي بين أيدينا.

يقول الإمام الخميني؛:

إنّ القرآن نزل سبع مرّات، وأدنى مراتب تنزّله هي المرتبة التي وصل فيها إلينا، أي: النازلة السابعة للقرآن.[5]

ولأجل فهم القرآن لا بدّ من تجاوز الظاهر والنفوذ إلى الباطن، ولا يحصل فهم القرآن إلّا في هذه الصورة.

ويقول أيضاً: إنّ للقرآن مراتب نزوليّة خاصّة. وكذا يقول في هذا الصدد:

للقرآن مراتب، فإنّ له سبعة بطون أو سبعين بطناً، وقد تنزّل من هذه البطون إلى أن وصل إلى حدّ يتكلّم فيه معنا، فإنّ الله يرشد إلى نفسه بالإبل، فيقول: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾،[6] وهذا ـ أي: التعريف بهذه الأمور النازلة كالشمس والسماء والأرض والإنسان من أجل معرفة الله ـ أمر يُؤسف له.[7]

---

١. *نزول قرآن ورؤياى هفت حرف*: ١٧.

٢. *تفسير الصافي*: ٣١/١.

٣. *بصائر الدرجات*: ٤٨/١.

٤. *آداب الصلاة*: ٣٢٣.

٥. *صحيفة إمام*: ٤٣١/١٧.

٦. الغاشية: ١٧.

٧. *تفسير سورة الحمد*: ١٣٦.

٥. القرآن التجلّي التامّ للأسماء والصفات

يرى الإمام الخميني أنّ بين القرآن وبين سائر الكتب السماويّة فرقاً واضحاً، ويعتبر ذلك من كمالات القرآن وتجلّي الأسماء الإلهيّة التامّة، و في هذا المورد يقول:

إنّ رسول الله كان إنساناً كاملاً يقع في رأس هرم هذا العالم، والذّات المقدّسة للحقّ تعالى ـ التي هي غيب وفي الوقت نفسه ظاهرة ـ قد احتوت على الكمال اللامتناهي، وهي متجلّية في الرسول بجميع الأسماء والصفات، ومتجلّية في القرآن بجميع الأسماء والصفات.[1]

وقد ورد في رواية عن الإمام الصادق لوحظ فيها هذا المعنى الذي نحن فيه، والظاهر أنّ الإمام الخميني استفاد منها. وفي هذا قال الإمام الصادق: «لقد تجلّى الله لخلقه في كلامه، ولكنّهم لا يبصرون».[2]

والسبب في أنّنا لا نُدرك هذا التجلّي جيّداً ونمرّ عليه مرور الكرام هو أنّنا لسنا من أهل المعرفة، وكلّ من كان من أهل المعرفة، فإنّه يُدرك تجلّي الله أو يدرك مراتب من ذلك التجلّي.

٦. القرآن له وجود رمزي، ويحتوي سرّ بين الله ورسوله

يرى الإمام الراحل أنّ القرآن أوسع الكتب السماويّة وأكثرها أسراراً للوجود، وأنّ واسطة النزول ـ أي: النبي ـ يُدرك القرآن جيّداً، وفي هذا يقول:

إنّ القرآن ليس في حدّنا، وليس في حدّ البشر، القرآن سرّ بين الحقّ تعالى ووليّه الأعظم الذي هو رسول الله، وقد نزل بتبعه حتّى يصل إلى موضع يكون فيه على هيئة حروف وكتاب.[3]

ويرى الإمام أنّ القرآن كتاب له مضمون عالٍ جداً لا يتيسّر فهمه لكلّ أحد من الناس، وأنّه بحاجة إلى رسول الله؛ لأنّ فهمه الحقيقي والنهائي لا يتيسّر لكلّ أحد، وتوجد في كيفية فهم القرآن عدّة آراء لا بدّ من دراسة كلّ واحد منها لغرض بيان النظريّة، وهذه الآراء كالتالي:

١. طريقة بعض أهل العرفان والشهود

---

١. *صحيفة إمام*: ١٢/١٢١.

٢. المصدر: ١٩/٢٨٥.

٣. المصدر: ١٩/٢٨٥.

يعتقد أصحاب هذه الطريقة أنّ فهم القرآن يختصّ بالمعصومين والعرفاء الحقيقيّين، رغم اعتراف أصحاب هذه النظريّة بحجيّة ظواهر القرآن، ويؤيّد ذلك عدّة روايات وردت في *أصول الكافي* تشير إلى بطون القرآن، كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في الرواية السابقة من: «إنّ للقرآن ظهراً وبطناً، ولبطنه بطن إلى سبعة أبطن».[1] «وما من آية إلّا ولها ظهر وبطن».[2]

۲. طريقة أهل الظاهر: ويرى أصحاب هذه الرؤية عدم حجيّة ظواهر القرآن واختصاص فهمه بالمعصومين عليهم السلام فقط.

۳. طريقة بعض العرفاء والمتكلّمين: يرى هؤلاء أنّ ظاهر القرآن حجّة إلّا أنّ الفهم الحقيقي للقرآن خاصّ بالمعصومين عليهم السلام، وإن كان فهم سائر مراتبه الأُخرى متيسّر للجميع، ويمكنهم فهم سائر مراتبه الأُخرى بمساعدة المعصومين عليهم السلام.

والسؤال هنا هو: هل تفسير القرآن أمر توقيفي؟

يرى أكثر العلماء أنّ الفهم العام للقرآن ليس توقيفيّاً ـ أي: يمكن للآخرين فهمه. ـ والإمام يرى أنّ أهل المعرفة ـ بالرغم من تسليمهم بحجيّة ظواهر القرآن ـ يعتقدون بتوقيفية بعض مراتب فهمه، خلافاً لبعض الأخباريين الذين يرون عدم حجيّة ظاهر القرآن.[3] وللسيّد الخوئي بحث مفصّل حول حجيّة ظاهر القرآن، حيث يرى أنّ فهم القرآن ليس توقيفيّاً، وأنّ ظواهره حجّة.[4]

ولكن هل فهم القرآن أمر توقيفي؟

يستشهد لذلك برواية معروفة جداً تقول: «إنّما يعرف القرآن من خوطب به».[5] ومن ثَمّ يُطرح هذا التساؤل أمامنا: من هو المخاطب بالقرآن، وفي حقّ مَن نزلت آياته؟

وفقاً لنظريّة التوقيفيّة في فهم القرآن سوف يكون المخاطب الوحيد للقرآن هو النبي صلى الله عليه وآله، وأمّا غيره، فلا يستطيع إدراك مفاهيم القرآن والسيّد الإمام على الرغم من تسليمه بحجيّة ظاهر القرآن يرى توقيفية الفهم الحقيقي للقرآن، ويستدلّ لذلك مضافاً إلى

---

۱. *تفسير الصافي*: ۳۱/۱؛ *الكافي*: ۳۷٤/۱.
۲. *بحار الأنوار*: ۹٤/۸۹، ح:٤۷؛ *الكافي*: ۳۷٤/۱.
۳. *روش‌های تفسیری قرآن*: ۱۲۱.
٤. *البيان في تفسير القرآن*: ۲٦۳.
٥. *بحار الأنوار*: ۳٤۹/٤٦، ح:۲.

الرواية السابقة برواية بطن القرآن، ويقول:

إنّ لكتاب التدوين الإلهي على بعض الاعتبارات سبعة بطون، وعلى اعتبارات أُخر سبعين بطناً، لا يعلمها سوى الله والراسخين في العلم.[1]

وقال في موضع آخر:

ونحن نفهم تلك الأُمور القابلة للفهم إلّا أنّه قد لا تحصل الفائدة المطلوبة من ذلك، ولا نستفيد تلك الفائدة التامّة: «إنّما يعرف القرآن من خوطب به»، إلّا رسول الله‌صلى‌الله‌عليه‌وآله. وأمّا غيره، فهو محروم منها إلّا بتعليم منه‌صلى‌الله‌عليه‌وآله.[2]

وقد استشكل البعض على سند الرواية التي تشير إلى حيازة الفهم للقرآن، لكن السيّد الإمام‌رحمه‌الله يرى أنّ هذه الرواية حتّى مع وجود الضعف في سندها هي من حيث المحتوى والمضمون رواية قيّمة، وفيها إشارة إلى نكتة قد أُشير إليها في الروايات الأُخرى أيضاً، وهي أنّ المعرفة العميقة للقرآن لا يمكن الوصول إليها. وهو‌رحمه‌الله يرى أنّ على كلّ مفسّر إلّا يظنّ أنّه قد بلغ القمّة في فهم القرآن، بل كلّ مفسّر يدرك ـ من زاوية رؤيته ـ بعض معارف القرآن، سواء كان تفسيره بالمنهج الروائي أو الكلامي، أو اللغوي أو الفلسفي، أو العرفاني أو... فإنّ لكلّ مفسّر في فهم القرآن منهج وطريقة خاصّة، فيستفيد من القرآن بمقدار سعة رؤيته.[3]

ولذا فإنّ المفسّرين الذين يتمتعون برؤية شاملة وأُفق واسع تجدهم في الوقت الذي يأخذون بظاهر القرآن يغورون في معانيه العميقة والعرفانيّة أيضاً.

القول برمزيّة فهم للقرآن الكريم

إنّ إحدى النقاط التي كان قد أكّد عليها الإمام الخميني‌رحمه‌الله كثيراً في خطابه التفسيري هي أنّ القرآن كتاب اتّسم فهم أُموره بجانب الرمزيّة و هو سرّ لا يفهمه إلّا أهل الرمز والإشارة، وهم ما يطلق عليهم العرفاء الذين أدركوه إدراكاً صحيحاً.

ثُمّ إنّه أكّد بشدّة على الجوانب العرفانيّة للقرآن، وكأنّ ظاهر القرآن لم يكن هو الهدف من النزول.

قال‌رحمه‌الله في هذا المجال:

---

١. شرح *دعاى سحر*: ٩٤. ٩٥.

٢. *تفسير سورة الحمد*: ١٣٨ ـ ١٣٩.

٣. راجع: *تفسير سورة الحمد*: ٩٣ ـ ٩٥.

إنّ الضوابط العلميّة تقتضي أن يكون القرآن ـ وكذا الحديث ـ مبيّناً لعامّة الناس وبشكل يفهمه الناس، لكن علوم القرآن والحديث لا يمكن لكلّ أحد فهمها، كما أنّها لم تأتِ لكلّ أحد، بل بعضها رمز وسرّ بين المتكلّم وجماعة معيّنة ...

وفي القرآن الكثير من هذه الرموز، بل حتّى جبرئيل عليه السلام ـ بحسب الروايات ـ الذي جاء بالقرآن لم يكن يفهم المعنى، بل نبيّ الإسلام وحده وكلّ من تعلّم على يده يعلم هذه الرموز، فإنّها من قبيل الحروف المقطّعة الواردة في أوائل بعض السور.[1]

وعلى الرغم من أنّ الإمام الخميني رحمه الله يرى:

إنّ فهم القرآن ميسّر في مرتبة من مراتبه لجميع الناس، إلّا أنّه يعتقد أنّ بعض الآيات لا يمكن فهمها إلّا للمعصومين عليهم السلام.[2]

كما أنّه رحمه الله يرى:

إنّ الآيات التي تصف الله تعالى، والتي لا ينال فهم معناها الحقيقي عوام الناس، مثل قوله تعالى: ﴿اللّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ﴾،[3] وكذلك الحروف المقطّعة، فإنّه يرى أنّها جميعاً من قبيل الرمز والسرّ بين النبي صلى الله عليه وآله وبين الله تعالى.[4]

القرآن الكريم حقيقة لا يفهمها إلّا الأولياء

يرى السيّد الإمام رحمه الله أنّ حقيقة القرآن ـ بناءً على رمزيّة معارفه ـ لا تتيسّر لكلّ أحد، ولا بدّ من طلب فهمه من الأئمّة عليهم السلام، ويقول رحمه الله في ذلك:

يتوقّف فهم عظمة أيّ أمرٍ على إدراك حقيقته، وحقيقة القرآن الإلهي المجيد قبل تنزّله إلى المنازل الخلْقية وارتدائه أردية الفعليّة من الشؤون الذاتيّة والحقائق العلميّة في (الحضرة الواحديّة)، وتلك حقيقة (الكلام النفسي) المتمثلة في (المقارعة الذاتيّة) في (الحضرات الأسمائيّة)، وهي حقيقة لا يحصل عليها أحدٌ بالعلوم المتعارفة، ولا بالمعارف القلبيّة، ولا بالمكاشفة الغيبيّة، عدا ما حصل بالمكاشفة الإلهيّة التامّة للذات المباركة للنبيّ الخاتم صلى الله عليه وآله في محفل أنس: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾، بل في محلّ خلوة سرّ مقام: ﴿أَوْ أَدْنَى﴾.

وآمال الأسرة الإنسانيّة قاصرة عن بلوغ ذلك باستثناء الخلّص من أولياء الله عليهم السلام

---

١. *كشف الأسرار*: ٣٢٢.

٢. *صحيفة إمام*: ٤٠٣/١٩.

٣. المصدر: ٤٣٢/١٧.

٤. *شرح چهل حديث*: ٣٥١؛ *صحيفة إمام*: ٤٠٣/١٩.

الذين اشتركوا مع روحانيّة ذات النبيّ الخاتم صلى الله عليه وآله المقدّسة بحسب الأنوار المعنويّة والحقائق الإلهيّة، وفنوا في تلك الحضرة بالتبعيّة التامّة.

فهم يتلقّون علوم المكاشفة بالوراثة عنه صلى الله عليه وآله، فانعكست حقيقة القرآن في قلوبهم بنفس تلك النورانيّة والكمال اللذين تجلّت حقيقة القرآن بهما في قلبه المبارك صلى الله عليه وآله دون أن تتنزل بالمنازل أو ترتدي أردية الأطوار.

وهذا هو القرآن الخالص من التحريف والتغير، المأخوذ مباشرة من كتاب الوحي الإلهي.

وإنّ من يستطيع تحمّل هذا القرآن هو وليّ الله المطلق علي بن أبي طالب عليه السلام، والآخرون لا يقوون على ذلك ولا تحصل لهم هذه الحقيقة إلّا بعد تنزّلها من مقام الغيب إلى الشهادة ومرورها عبر الأطوار الملكيّة، ثُمّ أن تكتسي بكسوة الألفاظ والحروف الدنيويّة.[1]

ويرى الإمام رحمه الله أنّ نزول القرآن من بركات بعثة النبيّ صلى الله عليه وآله، وأنّ القرآن الذي هو التنزّل السابع مع التنزّل من المقامات العالية سهل المنال ممتنع الاستيعاب، ولذا يقول رحمه الله في هذا الصدد:

إنّ لسان القرآن الذي هو من أكبر بركات البعثة النبويّة هو لسان سهل ممتنع، فإنّ الكثير قد يتصور أنّه يستطيع فهم القرآن لكونه سهلاً في رأيه، ويظنّ الكثير من أرباب المعرفة والفلسفة أنّهم يستطيعوا فهم القرآن؛ وذلك لانكشاف بُعد منه لهم مع أنّه قد غابت عنهم أبعاد أُخرى لم يتمكنوا من الكشف عنها. فإنّ للقرآن أبعاداً، وقبل بعثة النبيّ صلى الله عليه وآله وتنزّل القرآن من مقام الغيب لم يكن القرآن ظاهراً لأحد من الملك والملكوت، وهو في حالته الفعليّة يمثّل التنزّل السابع من تنزّلاته، وهذا ما حصل من بركة البعثة ويومها، وقد أوجد هذا التنزّل السابع تحوّلاً في العرفان الإسلامي والعالمي بشكلٍ موسّع، رغم أنّ أهل المعرفة لا تلوح لهم منه إلّا لمحة ضعيفة، ولم يعلم الإنسان جميع أبعاده، وليس من المعلوم أنّه يعلم ذلك في المستقبل أيضاً.[2]

ويقول النبيّ صلى الله عليه وآله في خبر ورد عنه في هذا الصدد: **«القرآن ذلول ذو وجوه، فاحملوه على أحسن الوجوه».**[3]

ومعنى أنّ: «القرآن ذلول» ويمكن حمله على وجوه عديدة هو أنّ من يُريد فهم القرآن لو دخل من أيّ باب، فإنّه يفهمه ويُدركه بمقدار مراتب إدراكه وفهمه، ويرى الإمام رحمه الله أنّ «أحسن الوجوه» هو فهم بطن القرآن الذي هو السرّ والرمز المختصّ بالمعصومين عليهم السلام.

---

١. *آداب الصلاة*: ١٨١.

٢. *صحيفة إمام*: ٤٣١/١٧.

٣. *الإتقان*: ٢١١/٤؛ *مجمع البيان*: ٤٠.

٧. القرآن أشرف الكتب المقدّسة وهو الصورة الكتبيّة المدوّنة لساحة الغيب

ينقسم الكتاب المقدّس ـ كما أشرنا سابقاً ـ إلى قسمين: **العهد القديم والعهد الجديد**، وأهمّ فصول العهد القديم هو التوراة، وأهمّ فصول العهد الجديد هو الإنجيل. واصطلاح الكتاب المقدّس يطلق على مجموع العهدين.

ولكن السيّد الإمامرحمه الله عند استعماله لاصطلاح الكتب المقدّسة هو التوراة والإنجيل في الغالب،وهذا ما يبدو من قولهرحمه الله: «**إنّ القرآن أشرف الكتب المقدّسة**»؛[1] لأنّ إحدى أهمّ جوانب أشرفية القرآن برأيه هي بطونه المتعدّدة؛ لأنّ في القرآن من البطون والمعاني ما ليس في التوراة والإنجيل الحقيقيين فضلاً عن المحرّفين منهما.[2]

وهذه في حدّ ذاتها إحدى امتيازات القرآن على سائر الكتب المقدّسة.

والسبب في عدم وجود هذه البطون في الكتب المقدّسة المشار إليها هو اختصاصها بحقبة معيّنة من الزمن، ولم يكن من الضروري أن يكون لها خصائص الكتاب الخالد؛ ولهذا السبب لم تكن معجزة.

كما أنّ أهل الكتاب لا يرون أنّ كتابهم هو كتاب الله النازل منه مباشرة، بل غاية ما يقولونه هو أنّ التوراة كلام موسىعليه السلام، وأنّ الإنجيل هو كلام الحواريّين.[3]

وأمّا السبب فيما قاله الإمام الخمينيرحمه الله من أنّ: «القرآن صورة كتبية لساحة الغيب»،[4] فهو يعني أنّ للقرآن سبع مراتب، أوّلها: مرتبة الغيب، وسابعها: المرتبة النازلة، وهي ما ورد في قالب الحروف والألفاظ.[5]

وقد لا نُدرك المرتبة السابعة منه، ولكن لو تمكّن العارف سَبَر هذه البطون الواحدة بعد الأُخرى، فإنّه سوف يكون قادراً على الوصول إلى ساحة الغيب.

٨ القرآن معرِّف الإنسان الكامل

إنّ المقصود من الإنسان الكامل هو رسول اللهصلى الله عليه وآله، ويرى الإمامرحمه الله أنّ القرآن نفسه

---

١. *صحيفة إمام*: ٣١٢/٢٠.
٢. *آشنائى با أديان بزرگ*: ١٣٦.
٣. المصدر: ١٣٢.
٤. *صحيفة إمام*: ٣١٢/٢٠.
٥. المصدر: ٤٣١/١٧.

يعرِّف رسول الله الذي هو مصداق الإنسان المتكامل. وأنّ القرآن ضمن بيانه لضوابط معيّنة رسم ملامح الإنسان المتكامل، وقد أوضح ذلك الإمام الخميني بقوله:

إنّ المعرِّف لرسول الله هو القرآن الكريم، كما أنّ رسول الله والإمام الصادق وولي الله الأعظم هم المظهر التامّ للحقّ تعالى، كذلك القرآن، فإنّه المظهر التامّ لله تعالى ـ أي: أنّه تجلّى بجميع الأسماء والصفات ـ وبه تحقّق ولي الله الأعظم والرسول الأكرم، بما لهم من إشراقات لا نعلمها وبجميع تلك الأسماء والصفات.

وكذا الأمر بالنسبة للإمام الصادق وسائر الأئمة، لكن المعرِّف لهؤلاء هو الكتاب الإلهي، يعني أنّ كلّ من تأمل في هذا الكتاب المقدّس ووعاه سوف يزداد معرفة بعظمة النبيّ الذي جاء بهذا الكتاب والمقام الذي يتمتّع به.[1]

إنّ الإمام الخميني يرى أنّ العلاقة بين القرآن والنبيّ متقابلة، ويصوّر هذه العلاقة بقوله:

إنّ القرآن هو معرِّف لرسول الله، ورسول الله معرِّف للقرآن، فهو يرى أنّهما ـ أي: القرآن ورسول الله ـ تنزّل غيبي ذو منشأ واحد.[2]

وقد ورد في الروايات أنّنا لو أردنا معرفة الرسول فلا بدّ أوّلاً من النظر إلى القرآن؛ وذلك أنّهما معرفان لبعضهما الآخر.

٩. عظمة القرآن من زوايا متعدّدة

يرى الإمام أنّ القرآن أعظم كتاب إلهي، وأنّ فهم عظمته خارج عن حدود إدراك الإنسان، يقول:

إنّ فهم عظمة القرآن والاحاطة به خارج عن دائرة الإدراك البشري، إلّا أنّ في الإشارة الإجماليّة لعظمة هذا الكتاب المتنزّل ـ والذي هو في متناول جميع الناس ـ فوائد كثيرة.

واعلم أيّها العزيز، أنّ عظمة كلّ كلام وكتاب إمّا بعظمة المتكلّم وكاتبه، أو بعظمة مطالبه ومقاصده، أو بعظمة المرسَل إليه وحامله، أو بعظمة وقت إرساله وكيفيّة ذلك.[3]

ومن هنا يرى الإمام الخميني عظمة القرآن من عدّة زوايا نتناولها فيما يلي على التوالي:

---

١. المصدر: ٢٠/٤٠٨.

٢. *آداب الصلاة*: ٣٢١.

٣. المصدر: ١٨٢.

أ) عظمة المتكلّم (الوحي)

يرى الإمام أنّ أوّل مراحل عظمة القرآن ترتبط بالمتكلّم (الوحي) التي هي مرحلة أعلى من المستوى البشري، وفي هذا المورد يقولرحمه الله:

إنّ عظمة متكلّمه ومنشأه وصاحبه فهو العظيم المطلق الذي فيه جميع أنواع العظمة المتصوّرة والملكوت وجميع القدرات النازلة في الغيب والشهادة رشحة من تجليّات عظمة فعل تلك الذات المقدّسة، ولا يمكن أن يتجلّى الحقّ تعالى بما له من عظمة، وإنّما يتجلّى بها من آلاف الحجب والسرادقات كما ورد في الحديث[1]: «إن لله سبعين ألف حجاب، من نور وظلمة لو كشفت لأحرقت سبحات وجه ما دونه».[2]

ولأجل بيان كلام الإمام نرى من اللّازم ذكر رواية عن النبيّصلى الله عليه وآله في هذا المجال، حيث قال فيهاصلى الله عليه وآله: **«فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه»**.[3]

فكما أنّ خلق الله لايقاس به كذلك كلام الله وفضله لا يُقاس بأيّ كلام آخر؛ لأنّ عظمة القرآن مستمدة من عظمة المتكلّم به، وهو الله، وهذه إشارة لطيفة اهتمّ بها الإمامرحمه الله كثيراً.

ب) عظمة رسول الوحي

يرى الإمام الخمينيرحمه الله بعد ذكر عظمة الله تعالى الذي هو المتكلّم بالوحي أنّ البعد الآخر لعظمة القرآن يظهر عن طريق الوحي، يعني جبرئيل الأمينعليه السلام، حيث قالرحمه الله:

إنّ عظمة الرسول تكمن في الوحي وواسطة الإيصال، وهذا جبرائيل الأمين والروح الأعظم ـ الذي بعد خروج رسول اللهصلى الله عليه وآله من جلباب البشريّة وتوجهه بالقلب نحو ساحة الجبروت ـ كان قد اتّصل بالنبيّصلى الله عليه وآله ، وجبرائيل هو أحد الأركان الأربعة في دار التحقّق،[4] بل من أعظم الأركان وأشرف أنواعها، فإنّ تلك الذات النورانيّة ملك موكّل بالعلم والحكمة، وصاحب الأرزاق المعنويّة، والأطعمة الروحانيّة، ويستفاد من كتاب الله والأحاديث الشريفة تعظيم جبرئيلعليه السلام وتقدّمه على سائر الملائكة.[5]

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ استخدام الإمام الخمينيرحمه الله لعبارة البشريّة في كلامه الآنف

---

١. *بحار الأنوار*: ٤٥/٥٥، ح:١٣.

٢. *آداب الصلاة*: ١٨٢.

٣. *بحار الأنوار*: ١٩/٨٩.

٤. المراد بالأركان الأربعة، الملائكة المقرّبون: جبرائيل وميكائيل، عزرائيل وإسرافيلعليهم السلام.

٥. *آداب الصلاة*: ١٨٣.

الذكر، مأخوذ من الاستعمالات القرآنيّة الواردة في القرآن، فإنّه كلّما أراد الإشارة إلى البُعد الجسدي للإنسان يستعمله على هذا النمط، في قبال استعماله لكلمة إنسان التي كان يستعملها للإشارة إلى البُعد الروحي والمعنوي الخاصّ بالإنسان.

ج) عظمة حامل الرسالة

المراد من حامل الوحي هو النبيّ صلى الله عليه وآله وفي هذا قال الإمام في أنّ الله تعالى أنزل الوحي على قلبه أي: الرسول صلى الله عليه وآله وهيّأه لتحمّل الوحي:

إنّ الله تعالى أنزل الوحي على قلب النبيّ صلى الله عليه وآله وأعطاه القدرة على تحمّله والأخذ به، وعظمة حامل الرسالة تنشأ من حامل هذه الرسالة، وهو القلب التقي النقي الأحمدي الأحدي الجمعي المحمّدي الذي تجلّى له الحقّ تعالى بجميع شؤونه الذاتيّة والصفاتيّة والأسمائيّة والأفعاليّة، الذي له ختم النبوّة والولاية المطلقة، وأكرم البريّة، وأعظم الخليقة.

وهو خلاصة الكون، وجوهرة الوجود، وعصارة دار التحقّق واللّبنة الأخيرة، وصاحب البرزخيّة الكبرى والخلافة العظمى.[1]

واللَبِنَةُ: حجر الأساس الأُولى، واللَبِنَةُ الأخيرة يعني: أساس وبداية الخلقة والوجود.

وأمّا البرزخ في قوله: صاحب البرزخيّة الكبرى، فهو يعني: الحدّ الفاصل بين شيئين. وقد ورد استعماله في القرآن، وعالم البرزخ هو الحدّ بين هذا العالم والقيامة الكبرى، واستعمال الإمام الراحل لهذا التعبير في النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه صلى الله عليه وآله صاحب ذلك العالم الذي يستمرّ إلى يوم القيامة. وقد اعتبر الإمام الخميني رحمه الله النبيّ صلى الله عليه وآله زبدة دار التحقّق الذي نزل القرآن عليه وصار سبباً في عظمة القرآن.

د) عظمة حافظ الوحي

البعد الآخر في عظمة القرآن لدى الإمام رحمه الله سلامة القرآن وصيانته إلى يوم القيامة، حيث تكفّل الله تعالى بحفظه، يقول الإمام في ذلك[2]:

وأمّا حافظه وصائنه، فهو الذات المقدّسة للحقّ جلّ جلاله، كما يقول في الآية المباركة: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.[3]

---

١. المصدر: ١٨٣.

٢. *آداب الصلاة*: ١٨٣ ـ ١٨٤.

٣. الحجر: ٩.

وهذه الآية تعدّ من أفضل الآيات التي استدلّ بها الإمامرحمه الله على صيانة القرآن، فهي ترى أنّ هذه الصيانة خالدة ومستمرّة، وحيث إنّ الحافظ هو الله. فهذا ما يزيد من عظمة القرآن؛ لأنّه تعالى لم يتصدّ لصيانة أيّ كتاب سوى القرآن، خصوصاً وأنّ الوعد الإلهي لا يتخلّف أبداً.

ه) عظمة شارح الوحي

يرى الإمامرحمه الله أنّ من معدّات إضفاء العظمة للقرآن وجود النبيّصلى الله عليه وآله والأئمّة المعصومينعليهم السلام بصفتهم شرّاح القرآن إلى يوم القيامة. وفي هذا يتحدّثرحمه الله قائلاً:

أمّا شارح [القرآن] ومبيّنه فهم الذوات الطاهرة المعصومون، من رسول اللهصلى الله عليه وآله إلى حجّة العصرعليه السلام الذين هم مفاتيح الوجود، ومخازن الكبرياء، ومعادن الحكمة والوحي، وأُصول المعارف والعوارف، وأصحاب مقام الجمع والتفصيل.[1]

وما ذكره الإمامرحمه الله مأخوذ من الروايات الواردة في مدح وبيان فضائل الأئمّةعليهم السلام.

و) عظمته تخصّ فترة نزول الوحي الرباني

من الخصائص الأُخرى التي يرى الإمام الخمينيرحمه الله أنّها سبب في عظمة القرآن هي فترة نزوله ـ أي: ليلة القدر ـ في هذا الشأن قالرحمه الله:

أمّا وقت الوحي، فهو ليلة القدر التي هي أعظم الليالي ـ ﴿خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[2] ـ وأكثرها نورانيّة، والتي هي وقت وصول الولي المطلق والرسول الخاتمصلى الله عليه وآله.[3]

ونحن نعلم أنّ نزول القرآن ـ طبق الأدلّة النقليّة ـ كان في ليلة القدر، أمّا أنّ ابتداء النزول هل كان ليلة القدر، أو جميع النزول حدث في تلك اللّيلة؟

وهل النزول على قلب النبيّصلى الله عليه وآله كان نزولاً للمعاني، أو نزولاً للألفاظ؟

وأنّه هل نزل في ليلة القدر من السماء السابعة أوّلاً، ثمّ نزل على النبيّصلى الله عليه وآله بالتدريج؟

وهل سورة القدر نزلت أولاً؟

وغير ذلك من التساؤلات والأبحاث التي طرحها العلّامة الطباطبائيرحمه الله في تفسير الآية ونزولها.[4]

---

١. المصدر: ١٨٤.

٢. القدر: ٣.

٣. *آداب الصلاة*: ١٨٤.

٤. راجع: *الميزان في تفسير القرآن*: ٢٠/ ٣٣٠.

الفصل الثاني: مقاصد القرآن في رأي الإمام الخمينيرحمه الله

تمتاز معرفة مقاصد القرآن في رأي الإمام الخمينيرحمه الله بأهمّية خاصّة، فإنّ تفسير القرآن ليس إلّا فهم مقاصده، وفي الحقيقة المفسّر الذي يستطيع تفسير القرآن تفسيراً حقيقيّاً هو الذي يبيّن مقاصده.

ويشير الإمام الخمينيرحمه الله إلى نقاط في هذا المجال، فيقول:

في اعتقادي أنّه لم يكتب لحدّ الآن تفسير لكتاب الله، فالمعنى العام للتفسير هو شرح مقاصد ذلك الكتاب وتسليط الضوء الكاشف على المعنى الذي يريده صاحب الكتاب، ولمّا كان هذا الكتاب السماوي الشريف ـ كما يشهد الله تعالى ـ كتاب هداية وتعليم ونبراس طريق السلوك الإنساني، وجب على المفسّر أن يوجّه الآخرين من خلال كلّ قصة من قصصه، بل كلّ آية من آياته نحو الاهتداء إلى عالم الغيب، وإلى حيث تكون العلاقات التي تؤدّي إلى طريق السعادة وسلوك طريق المعرفة الإنسانيّة. والمفسّر إنّما يكون مفسّراً، عندما يوضح لنا الهدف من النزول، وليس مجرّد بيان سبب النزول.[1]

ويستفاد من هذه العبارات أنّ الإمام الخمينيرحمه الله يهتمّ كثيراً بفهم مقاصد القرآن، ويرى أنّ المقصود من القرآن هو تفسيره، وقد بيَّن مقاصد القرآن في مواضع أُخرى من كلامه خلال النقاط التالية:

١. القرآن كتاب هداية للإنسان

يرى الإمام الخمينيرحمه الله أنّ أهمّ مقاصد النزول في نظر القرآن كونه هادياً، ويقول في ذلك:

إنّ علينا ـ مع قطع النظر عن الجهات العقليّة البرهانيّة التي توصّلنا إلى الهدف ـ أن نستلّ هذا الهدف من الكتاب ذاته، ومن الواضح أنّ مصنّف الكتاب أعرف بأهدافه ومقاصده، فلنتأمّل قليلاً الآن فيما أشار إليه تعالى حول ما يرتبط بشؤون القرآن حيث قال: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾،[2] فقد وصفه بأنّه كتاب هداية، ويقول تعالى في سورة أُخرى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾،[3] ويقول: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيكَ الذِّكْرَ

١. *آداب الصلاة*: ١٩٢، ١٩٣.

٢. البقرة: ٢.

٣. القمر: ١٧.

لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾،[١] ويقول: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.[٢] وغيرها من الآيات.[٣]

٢. القرآن يوصل الإنسان إلى مقام القرب الإلهي

يرى الإمام الخمينيؒ في بيان آخر أنّ أحد المقاصد الأُخرى للقرآن وصول الإنسان إلى مقام القرب الإلهي، وقد يسَّر الله تعالى هذا الطريق وصولاً إلى هذا الهدف، يقولؒ في هذا الخصوص:

إنّ الله تبارك وتعالى ـ بناءً على سعة رحمته بعباده ـ قد نزّل هذا الكتاب الشريف من مقام قربه وقدسه ـ بما يناسب العوالم المختلفة ـ حتّى وصل إلى سجن الطبيعة في العالم الظلماني هذا.

وقد اكتسى قوالب الألفاظ وأطّر بالحروف سعياً في تخليص المسجونين في سجن الدنيا المظلم، وتحرير المكبّلين بسلاسل الآمال والأماني من أغلالهم، ورفعهم من «حضيض» النقص والضعف والحيوانيّة إلى ذروة الكمال والقوّة الإنسانيّة، ومن مجاورة الشيطان إلى مرافقة الملكوتيّين، بل للوصول بهم إلى مقام القرب وتحقيق مرتبة (لقاء الله) التي تمثّل أعظم المقاصد والمطالب عند أهل الله.[٤]

وكلمة «الحضيض» التي وردت في هذا الكلام، تعني: أسفل موضع من الجبل في قبال القمّة التي هي أعلى موضع منه.

فلو أنّ الإنسان نظر إلى القرآن بهذه النظرة، فإنّه سوف يرى أنّ القرآن وسيلة للقرب من الله، بل يرى القرآن أعلى المراتب وأوجها وصولاً إلى لقاء الله.

٣. القرآن هو الهادي إلى المقاصد العالية الباطنية والفطريّة

أشار الإمام الخمينيؒ في حضور حشد من أنصاره إلى أنّ القرآن أشار إلى أُمور أودعها الله في الفطرة البشريّة، فقالؒ في هذا المجال:

لا شيء أفضل من القرآن، ولا مدرسة أفضل من مدرسته.

---

١. النحل: ٤٤.

٢. ص: ٢٩.

٣. *آداب الصلاة*: ١٩٣ ـ ١٩٤.

٤. المصدر: ١٨٤. ١٨٥.

إنّ هذا القرآن يهدي إلى المقاصد العالية التي تتوجّه إليه بواطن ذواتنا، ونحن عنها غافلون.[١]

وفي الحقيقة ـ في رأي الإمامرحمه الله ـ أنّ القرآن جاء ليحيي المقاصد العالية المكنونة في وجودنا، ويرشدنا إلى الطريق الصحيح، الذي هو طريق الولاية.

٤. دعوة القرآن إلى معرفة الله والمعارف الإلهيّة

إنّ الإمامرحمه الله يرى أنّ القرآن طرح ضمن مقاصده، قضية الدعوة إلى المعرفة الإلهيّة التي هي منشأ سائر المعارف، قالرحمه الله في هذا المجال:

إنّ أحد الأهداف الرئيسة لهذا الكتاب هو الدعوة إلى معرفة الله وبيان المعارف الإلهيّة من شؤون ذاتيّة وأسمائيّة وصفاتيّة وأفعاليّة، وأهمّ هذه الأهداف الوصول إلى توحيد الذات والأسماء والأفعال، وقد ذكر بعضها صراحة، وبعضها بنحو الإشارة التي تحتاج للتقصّي والتتبع المؤكّد.[٢]

٥. القرآن سبب التغيّر المعنوي والعرفاني

يرى الإمام الخمينيرحمه الله أنّ العمدة في مقاصد القرآن هو ما يوجده من تغيّر وتحوّل معنوي وعرفاني في مخاطبيه ضمن فحواه السامي، الأمر الذي يعجز عنه أيّ كتاب سماوي آخر، ويقولرحمه الله في ذلك مستحدّثاً:

إنّ ما ترك القرآن الكريم من تطوّر في البعد العرفاني والمعنوي هو فوق جميع المسائل، وكلّ واحد من الناس ينظر إلى القرآن من زاوية واحدة، فيرى البعض البُعد الاجتماعي، وآخر البُعد السياسي، والثالث البُعد الفلسفي، والرابع البعد العرفاني، إلّا أنّ البُعد الحقيقي الذي يربط العاشق والمعشوق هو السرّ بين الله ورسوله، وليس ذاك بالأمر الذي يمكنّنا فهمه.

فما روي عن الإمام الباقرعليه السلام أنّ بإمكانه نشر جميع الأحكام والشرائع وبيان جميع الحقائق من كلمة «الصمد» التي في القرآن هو أمر مهمّ، ونحن وإن كان بإمكاننا فهم شيء من أُصول المعارف منها أيضاً، لكنّهعليه السلام أشار إلى أُمور زائدة على فهمنا.[٣]

---

١. *صحيفة إمام*: ٥١١/١٢.

٢. *آداب الصلاة*: ١٨٥.

٣. *صحيفة إمام*: ٢٦٢/١٨، ٢٦٣.

الفصل الثالث: الشموليّة في القرآن لدى الإمام الخميني﵀

شموليّة القرآن من الأبحاث التي حظيت باهتمام الباحثين المعاصرين في الشأن القرآني، وسوف نتعرّض للبحث الشموليّة القرآنية من منظور الإمام الخميني﵀ عبر الفقرات الثمانية الآتية:

١. الشموليّة للقوانين والموضوعات

يعتقد الإمام الخميني﵀، أنّ القرآن كتاب هداية للناس، شامل لجميع القوانين العامّة التي تكون البشرية بحاجة إليها على نحو الضرورة، وفي هذا المورد يقول﵀ متحدثاً:

> لقد وردت جميع القوانين الأساسيّة المتّصفة بالكلّيّة في القرآن وكقانون الضرائب، وقانون القضاء، وقانون النظام، وقانون الزواج والطلاق، وقانون الميراث.
>
> وقانون المعاملات من قبيل: التجارة والإجارة، والصلح والهبة، والمزارعة والشركة، وأمثالها وقانون العقار.
>
> وقانون العقوبات العامّة مثل: الحدود والقصاص.
>
> وقانون الإعلام.
>
> وقانون النهي عن المنكرات، مثل: شرب المسكرات، ولعب والقمار، والغناء، والزنا واللواط، والسرقة والخيانة، والقتل.
>
> وقانون: التطهير والتنظيف.
>
> والقوانين العباديّة مثل: الصلاة والصوم، الحجّ الوضوء والغسل.
>
> فإنّ كلّ ذلك وأمثاله موجود في القرآن.[١]

إنّ عنوان (آيات الأحكام)، يعني: التفاسير التي تعرّضت في الغالب إلى الجانب الفقهي ومسائل القرآن، وهي مشهورة بالتفاسير الفقهيّة، وأمّا وعدد آيات الأحكام ـ على رأي المشهور ـ خمسمئة آية تقريباً من بين (٦٢٣٤) آية قرآنيّة.

ولو أردنا أخذ البحوث الاجتماعيّة في القرآن بنظر الاعتبار لكان عدد آيات الأحكام أكثر من ذلك بكثير.

ومن جملة هذه التفاسير: تفسير آيات الأحكام للعالم الكبير قطب الدين الراوندي صاحب كتاب *أحكام القرآن*.[٢]

---

١. *كشف الأسرار*: ٣١٥.

٢. *روش‌هاى تفسيرى قرآن*: ١٣٦.

وعلى كلّ حال فالإمام الخمينيرحمه الله يرى شموليّة القرآن في جانب القانون، إلّا أنّه لم يتعرّض إلّا للقوانين الضروريّة بشكل كلّي وعامّ، موكلاً بيان جزئيّاتها إلى النبيّصلى الله عليه وآله والأئمّة المعصومينعليهم السلام، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيهِمْ﴾.[1]

وفي الخبر عن الإمام الباقرعليه السلام أنّ «بيانه على النبيّصلى الله عليه وآله ثُمّ علينا، فارجعوا إلينا في تفسيره».[2]

ويرى الإمام الخمينيرحمه الله أنّ لا قانون يتعلّق بمسار هداية الإنسان إلّا وجاء في مضمون القرآن بشكل كلّي، وهذا ما أكّد عليه الإمام الخمينيرحمه الله، وهو أنّ القرآن شامل لجميع الموضوعات التي تعرّضت لهداية البشريّة، وأنّه لا يوجد موضوع مهمّ إلّا وأشار إليه القرآن، قالرحمه الله في ذلك:

إنّ القرآن الكريم والسنّة يشتملان على أوامر وأحكام يحتاج إليها الإنسان في سعادته، وقد عقد في *الكافي* فصلاً تحت عنوان (جميع ما يحتاج إليه الناس موجود في القرآن)، وما ذلك إلّا لأنّه: ﴿تِبْيانًا لِكُلِّ شَيءٍ﴾.[3]

ونرى من اللّازم هنا تبيين أمرين مفيدين في كلام الإمام الخمينيرحمه الله:

الأمر الأوّل:

إنّ الإمام استند إلى كتاب *الكافي*، وذكر أنّ في *الكافي* فصل تحت عنوان: (جميع ما يحتاج إليه الناس إلّا وقد جاء فيه الكتاب والسنّة)،[4] وفي هذا الفصل ذكر عدّة روايات مهمّة أشارت كلّ واحدة منها إلى هذه النقطة. وقد أقسم الإمامعليه السلام بأنّ جميع ما يحتاجه الناس موجود في الكتاب والسنّة، وهذا ممّا لا شكّ فيه، وقد استندعليه السلام في ذلك إلى قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيكَ الْكِتَابَ تِبْيانًا لِكُلِّ شَيءٍ﴾،[5] وغيرها.[6]

الأمر الثاني

هو أنّ هناك تساؤلاً مطروحاً دائماً حول المقصود من كون القرآن تبياناً لكلّ شيء.

---

١. النحل: ٤٤.

٢. *تفسير فرات الكوفي*: ٢٥٨.

٣. *ولاية الفقيه*: ٢٩.

٤. *الكافي*: ٥٩/١.

٥. النحل: ٨٩.

٦. راجع: *ولاية الفقيه*: ٢٩.

ذكر العلّامة الطباطبائي ﵀ في هذا المجال:

إنّ الهدف والمراد من نزول القرآن هو الهداية، وأنّ كون القرآن تبياناً ناظر إلى هدف النزول، إذاً، في القرآن كلّ ما هو لازم في الهداية، فإنّ تحدّث أحياناً عن الفيزياء أو الكيمياء أو التاريخ، أو غيرها من علوم، فلأنّ بيان هذه الأمور يصبّ في اتّجاه هداية الإنسان.

وإذا كانت هناك آيات قد تحدّثت قبل (١٤٠٠) سنة عن حقيقة علميّة لم يكن يعرفها العلماء من قبل، فإنّ الهدف منها لم يكن الاستباق والتفوق عليهم باستكشافها، بل لكون ذكرها مساعد على هداية الإنسان.

وفي قبال هذا الفهم هناك فهم آخر، مفاده أنّ القرآن تبيان لكلّ شيء حتّى ولو لم يكن الهدف منه الهداية، وأنّه ليس من الضروري حصر الهدف من التبيان بالهداية فقط، لكن الظاهر أنّ الفهم الثاني غير صحيح؛ إذ لا يمكن القول بأنّ القرآن كان بصدد بيان جميع الجزئيات، وأنّه بيّن كلّ شيء، بل الله تعالى ذكر أموراً في صراط هداية الناس تثبت شموليّة القرآن للموضوعات.[1]

٢. شموليّة القرآن الآليّة في التعامل مع الأشياء

إنّ اهتمام القرآن بالدنيا اهتمام آلي، فإنّه يتعامل مع الحاجات الدنيويّة بما هي آلة مؤثّرة في هداية الإنسان وبما أنّها آلة في الهداية، والإمام الخمينيّ ﵀ يرى أنّ القرآن يحظى بالجامعيّة والكامليّة، ويقول ﵀ في هذا المورد:

لقد بيّن لنا الأنبياء تلك الأمور المرتبطة بالروح وبالمقامات العقليّة والمرتبطة بمصدر الغيب، والقرآن أيضاً بيّن لنا ذلك، وهذا ما يعلمه أهله، كما أنّ القرآن والسنّة بيّنا لنا الوظائف الفرديّة الدخيلة في رقّي الإنسان وتكامله، وكذا الأمور المرتبطة بالجوانب السياسيّة والاجتماعيّة وتنظيم المجتمع وترتيبه.[2]

٣. الشموليّة لجميع مراحل حركة الإنسان

يرى الإمام الخمينيّ ﵀ أنّ من ضمن الموارد شموليّة القرآن وجود استيعابه لجميع مراحل حركة الإنسان في توجّهه إلى الله تعالى، ويقول ﵀ في ذلك:

إنّ القرآن كتاب يوجب على الإنسان الحركة إلى آخر الدنيا وإلى آخر المراتب،

---

١. راجع: *الميزان في تفسير القرآن*: ٣٢٤/١٢.

٢. *صحيفة إمام*: ٢٣٧/٣.

فإنّ مثل هذا الكتاب من شأنه أن يصلح معنويّات الإنسان ويصلح أمر الحكومة معاً.[1]

إنّ الناس جميعاً يمضون في حركة مستمرّة، وقد ولدنا جميعاً وبدأنا من القوّة المحضة ونسير نحو الفعليّة المحضة. وللقرآن منهجه في معالجة جميع هذه المراحل بدءاً من مرحلة الولادة إلى آخر مراحل الحياة. خلافاً لبعض الأديان التي برنامجها لحياة الإنسان، الخاصّة بهذه الدنيا لا غير، ولا علاقة بما يتعلّق لها بعالم الآخرة.

٤. شمولية القرآن لبُعدي الماديّات والمعنويّات

لقد أعرب الإمام الخمينيرحمه الله ضمن حديث له في حشد من أنصاره، بأنّ شموليّة القرآن لا تختصّ بالبعد المعنوي، بل تعمّ البعد المادي للإنسان أيضاً، وفي هذا قالرحمه الله:

إنّ القرآن ليس كتاب إصلاح الأمور الماديّة، بل هو لكلّ شيء، فهو يربّي الإنسان في جميع الأبعاد، فإنّه لا يرفض الماديّات إذا كانت إلى جانب المعنويّات، ويجعل الماديّات تابعة للمعنويّات.[2]

وللقرآن في رأيهرحمه الله أحكام تشمل جميع الأبعاد الماديّة للإنسان والأبعاد المعنويّة أيضاً بلا فرق، فمثلاً لو أمر بالزواج فإنّه ينظر إلى كلا جهتيه، خلافاً لأكثر القوانين التي تنظر فقط أو كثيراً ما إلى الجوانب الماديّة.

٥. شمولية القرآن الكريم لبُعد الزمان

هناك سؤال يُطرح وهو أليسّ القرآن قد نزل قبل ١٤٠٠ سنة، فكيف يمكن أن يُقال: بأنّه لجميع القرون، وأنّ قوانينه ليست مختصّة بذلك الزمان؟

الجواب: إنّ في القرآن اُمور تأبى أن تقتصر على زمن معيّن، وقد عرّفت القرآن بأنّه غير مختصّ بزمان معيّن. وفي هذا يقول العلّامة الطباطبائيرحمه الله:

إنّ القوانين الواردة في القرآن لهداية البشر، لو أنّها كانت في كتاب آخر لكانت لجميع العصور أيضاً، فالقوانين في القرآن لا تنحصر بزمان ومكان خاصّ، وهي تمتاز بالفاعليّة والحركة في جميع الأوقات.[3]

---

١. المصدر: ٣٤٩.

٢. *صحيفة إمام*: ٥٣٢/٧.

٣. *قرآن در إسلام*: ٢٣.

وقال الإمام الخميني﵀ في هذا الصعيد:

إنّ الذي جاء بقانون الإسلام هو الله، وهو المحيط بجميع العصور، والقرآن كتاب من الله لجميع العصور.[١]

إنّ الله تعالى يحبّ المجتمع السالم المقرون بالعدالة والمساواة والتعليم والتعلّم وغيرها من الفضائل الأخلاقيّة، ولا يرتبط ذلك بزمان ومكان خاصٍّ، وما وضعه خالق الإنسان للإنسان من قوانين في القرآن، إنّما هو بلحاظ احتياجاته الكامنة في ذاته، وهذه الاحتياجات لا تمسّها يد التغيّر والتبدّل، والقرآن يبيّن قوانين الحياة التي ليست مقيّدة بزمان ومكان خاصّ.

٦. شموليّة القرآن الكريم للمصالح البشريّة كافّة

يرى الإمام الخميني﵀ بأنّ القرآن يحظى بالشموليّة و الجامعيّة للمصالح البشرية كافّة، وأنّه لا يفرط في أيّ مصلحة أبداً، وأنّه جاء لكي يراعي المصالح الفرديّة والاجتماعيّة وفي هذا قال﵀ مستحدّثاً:

إنّ لدينا كتاباً يتضمّن المصالح الشخصيّة (الفرديّة)، والمصالح الاجتماعيّة، والمصالح السياسيّة ومسائل البلاد، ولكن بناءً على التفسير الذي فسّره المفسّرون، وإن كنّا نحن لا نستطيع تأويل القرآن وفهمه بآرائنا.[٢]

لقد قسّم الإمام الخميني﵀ المصالح إلى ثلاثة أقسام:

١. شخصيّة (فردية)

٢. اجتماعيّة.

٣. سياسيّة.

والظاهر أنّ القسم الثاني والثالث تعابير مختلفة لمعنى واحد، وذلك أنّهم عادة يقسّمون المصالح إلى فرديّة واجتماعيّة.

ومراد الإمام﵀ من أهل التفسير: هو الأئمّة﵈ ـ أي يمكننا فهم جميع الاحتياجات البشريّة من القرآن بمعونة الأئمّة﵈ ـ ويرى﵀ بأنّه وإن أمكن فهم المطالب البسيطة والسطحيّة بمساعدة ظواهر الآيات وشأن النزول وغيرها من أمور الأخرى، إلّا أنّ المعاني

---

١. *صحيفة إمام*: ١٧١/٨.

٢. المصدر: ٤٢٣/١٨.

الحقيقيّة للقرآن لا يمكن فهمها إلّا من خلال المفسّرين الحقيقيّين، وعليه فإنّه لا يمكن التفكيك والفصل بين القرآن وأهل البيتﷺ كما أشار إلى ذلك حديث الثقلين.

كما يرى لا بدّ في موضوع تفسير الآيات من الاعتماد على الروايات المفسّرة، والاستعانة بها في فهمه.

٧. الشموليّة التي تخصّ الأفراد ودورها الإرشادي الدائم لجميع الأُمم

يرى الإمام الخمينيﷺ أنّ القرآن لم يختصّ بجماعة معيّنة من الناس أو طبقة أو جنس خاصّ منهم، وأنّ بإمكان جميع الأُمم والقوميّات والجماعات، والطبقات الاجتماعيّة الاستفادة منه.

ويقولﷺ في ذلك:

لا بدّ أن نعلم بأنّ الحكمة من كون هذا الكتاب خالداً أبديّاً ـ وأنّه نزل لهداية الناس بكلّ ألوانهم وجنسيّاتهم، وفي أيّ بقعة من بقاع المعمورة إلى قيام الساعة ـ هي إحياؤه للمسائل المهمّة والمصيريّة، سواء في الأُمور المعنويّة أو في النظام الدنيوي، وأنّه يريد إفهام الناس بأنّ مسائل وموضوعات هذا الكتاب ليست خاضعة لعصر معيّن أو مكان معيّن، وأنّ هدف إبراهيم وموسى وعيسى ومحمّدﷺ غير مختصّ بزمان معيّن.[١]

الفصل الرابع: إعجاز القرآن في رأي الإمام الخمينيﷺ

قبل أن نبدأ بدراسة الإعجاز الوارد في القرآن الكريم من منظور الإمام الخمينيﷺ سوف نذكر مقدّمة نتعرّض فيها لتعريف المعجزة، وطرق إثبات النبوّة، والمعجزة الخالدة للنبيّﷺ القرآن المجيد. وفي هذا البحث نتعرّض أيضاً لرأي الإمام الخمينيﷺ في وجوه الإعجاز وتحدّي القرآن الذي هو أبرز وجه في الإعجاز من منظورهﷺ عبر الفقرات الآتية:

المقدّمة

نتطرّق في الوهلة الأُولى إلى تعريف المعجزة من منظور علماء المسلمين، ونستهل ذلك بالخواجة نصير الدين الطوسي، حيث قال في هذا المجال:

المعجزة هي ثبوت ما ليس بمعتاد، أو نفي ما هو بمعتاد مع خرق العادة ومطابقة الدعوى.[٢]

---

١. المصدر: ٢٠/٩٣.

٢. كشف *المراد*: ٣٧٥.

ومعنى عبارة ثبوت ما ليس بمعتاد، إثبات الأمر غير العادي، كأمر النبيّ ﷺ الشجرة بالاقتلاع من الأرض أو أن تنشق نصفين، ثُمّ تعود إلى محلّها.

والمراد من نفي ما هو بمعتاد نفي الأمر العادي، مثل: السكين التي من آثارها القطع، لكنّها تفقد أثرها عندما تكون على رقبة إسماعيل ؑ.

ومعنى: خرق العادة أنّ الإثبات والنفي لا بدّ أن يكونا خارقين للعادة، ويكون الغير عاجزاً عن القيام به، وحينئذٍ فالسحر ليس إعجازاً؛ لتمكّن الغير من القيام به بعد التمرين والممارسة.

ومعنى: مطابقة الدعوى تنفيذ العمل المدّعى ومطابقته لتلك الدعوى، وحينئذٍ فما قام به مسيلمة الكذّاب[1] لإظهار معجزته ليس إعجازاً؛ لأنّه بصق في بئر قد قلّ ماؤه لعلّه يزيد، لكنّه نضب ماؤه وجفّ بمجرّد أن بصق فيه.

ومن هنا فقد عرّف جلال الدين السيوطي المعجزة بقوله:

أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدّي، مصون عن المعارضة.[2]

وعليه فلا بدّ للمعجزة من قيود ثلاثة:

١. أن تكون خارقة للعادة.

٢. أن تكون مقرونة بالتحدّي.

٣. أن تكون مصونة عن المعارضة.

ولذا فإنّ ما قام به النبيّ ﷺ من أعمال عادية لا تعدُّ معجزة؛ لكونها غير خارقة للعادة، وكذا كراماته مثل: شقّ القمر في جبل أبي قبيس، فأنّها لا تعتبر معجزة بالمعنى الاصطلاحي؛ لأنّ ما قام به لم يكن مقروناً بالتحدّي، وقد عدّ العلماء المتأخّرون ـ بما فيهم آية الله الخوئي في *البيان* ـ التحدّي من أركان المعجزة.[3]

وقد عبّر القرآن عن المعجزة بـ«البيّنة» و«الآية»، واعتبر العلماء في أبحاثهم الكلاميّة أنّ المعجزة هي أحد طرق إثبات نبوّة النبيّ ﷺ، وتعرضوا لبحث ذلك.

كما بحث المفسّرون ذلك في مقدّمات التفسير غالباً، وآخر ما ألّف من كتب في هذا المجال: *إعجاز القرآن من منظار أهل بيت العصمة* ؑ، *آراء علماء الإسلام في تأريخ*

---

١. *البيان في تفسير القرآن*: ٣٤.

٢. *الإتقان*: ٣/٤.

٣. *البيان في تفسير القرآن*: ٤٠.

الإعجاز، *وجوه الإعجاز*، وكذا بيّنت كلمات الأئمة عليهم السلام في الإعجاز.

ومن العلماء الذين طرحت أفكارهم في إعجاز القرآن هو الإمام الخميني رحمه الله،[١] وهو ما نحاول بحثه ضمن النقاط التالية:

١. إعجاز القرآن تبيين وجوهه وفق منظور الإمام الخميني رحمه الله

عدّ الإمام الخميني رحمه الله سبعة وجوه لإعجاز القرآن، إلّا أنّ غيره عدّها أكثر من ذلك.

فقد عدّ العلّامة الطباطبائي رحمه الله في *الميزان* عشرة وجوه،[٢] والسيوطي خمساً وثلاثين وجهاً في هذا المجال.[٣] وأمّا ما ذكره الإمام الخميني رحمه الله من وجوه،[٤] فهي كالتالي:

أ) حقائق وأسرار القرآن العرفانيّة

إنّ أهمّ وجه لإعجاز القرآن ـ من منظوره ـ هو حقائقه وأسراره العرفانيّة، وقد تقدّم البحث عنها.

ب) فصاحته وبلاغته

لقد ذهب جماعة في بحث فصاحة القرآن وبلاغته إلى التشكيك في مراتبها، ويرى هؤلاء أنّ بعض الآيات تمتاز بفصاحة أكثر، وأنّ القرآن من حيث الفصاحة ليس متساوياً. وقد ألّف علماء السنّة في فصاحة القرآن وبلاغته كتباً كثيرة، ومن هؤلاء: الخطابي والبلاغي، الجرجاني وغيرهم.

وقد خصّ آية الله معرفة في كتابه القيم *التمهيد* كتاباً مستقلّاً لهذا البحث، عرض فيه آراء ونظريّات متعدّدة تخص الموضوع.

ويرى الإمام الخميني رحمه الله أنّ فصاحة القرآن وبلاغته لها علاقة بوجود العرب الذي عاشوا في بدء ظهور الإسلام،[٥] وأنّ ذلك لا يعدّ معجزة عامّة، ويرى أنّه لا ينبغي عدّ الفصاحة والبلاغة في أهمّ الوجوه للغفلة عن سائر الوجوه الأُخرى.

---

١. *إعجاز قرآن*: ٢٧ ـ ٩٣.

٢. ذيل الآية ٢٣ من سورة البقرة.

٣. *معترك الأقران في إعجاز القرآن*: ١٢/١.

٤. *آداب الصلاة*: ٢٦٤.

٥. المصدر: ٢٦٤.

ج) الإخبار عن الغيب

يرى الإمام الخميني﴿ره﴾ أنّ أحد وجوه الإعجاز هو الإخبار عن الغيب.[1]

د) أُميّة النبيّ﴿ص﴾

الأمّي يعني العالم بلا معلّم، فلو لم يكن النبيّ﴿ص﴾ أُميّاً لم تظهر معجزته القرآن بهذه الدرجة من الظهور، وقد تعرّض الإمام﴿ره﴾ ـ خلافاً لغيره من العلماء ـ لهذا الوجه بشكل مفصّل.

ه) معارفه السامية وإتقان أحكامه

إنّ القرآن مشتمل على جميع المعارف وكلّ ما يحتاجه البشر، وفي هذا يقول الإمام الخميني﴿ره﴾:

> إنّ القرآن الكريم بسبب احتوائه على اللطائف في طور جامع والحقائق والأسرار ودقائق التوحيد إلى ذلك الحدّ الذي يبهر عقول أهل المعرفة، وإنّ هذه المعجزة، الكبيرة، الصحيفة النورانيّة السماويّة، ليست مقتصرة على حسن التركيب ولطف البيان، وغاية الفصاحة والبلاغة، وكيفيّة الدعوة وإخبار عن المغيّبات وإحكام في الأحكام، وإتقان في تنظيم الأُسرة وأمثال ذلك، وإن كان كلّ منها إعجازاً مستقلّا فوق الطاقة وخارقاً للعادة.[2]

٢. نمط التحدّي في القرآن عند الإمام الخميني﴿ره﴾

لقد وردت في القرآن ستّ آيات تقريباً تحدّت بصراحة الإتيان بمثل هذا القرآن.[3] ولمّحت خمس آيات بشكل وآخر إلى التحدّي، وقد ذكر الإمام الخميني﴿ره﴾ آيتين لعلّهما من أهمّ آيات التحدّي:

أمّا الآية الأولى، فقوله تعالى:

﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾.[4]

وإن كان يعتقد البعض أنّ المخاطب في هذه الآية هو الإنسان فقط، وأنّ ذكر الجن مع الإنسان إنّما هو من باب الغلبة والمنعة، إلّا أنّ الظاهر أنّ المخاطب في هذا التحدّي هو أعمّ من الإنس والجن.

---

١. المصدر: ٢٦٤.

٢. *صحيفة إمام*: ٢٠/٢٤٩؛ *آداب الصلاة*: ٢٦٣ ـ ٢٦٤.

٣. *إعجاز قرآن*: ٢٢.

٤. الإسراء: ٨٨.

وأمّا الآية الثانية، فهي قوله تعالى:

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[1]

يقول القرآن في آيات التحدّي المشار إليها: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾، لكن من أيّ جهة مشابهة للقرآن؟

وقد تصوّر البعض أنّ معجزة القرآن تنحصر في الإعجاز البلاغي، ومن هذا المنطلق حاول البعض في منطلق الإسلام الأوّل كسر طوق هذا التحدّي، فركزوا على فصاحة القرآن وبلاغته وأرادوا أن يأتوا بعبارات وسور مشابهة للقرآن، كما حدّثنا التاريخ عن نماذج من ذلك.

إلّا أنّ الواقع هو عدم انحصار إعجاز القرآن بذلك، بل الإعجاز يعمّ المحتوى والمضمون أيضاً، فلو أنّ أحداً جاء بكلام فصيح، لكنّه من حيث المعنى والمضمون يتّسم بالركاكة والهشاشة، فإنّه لا يعد استجابة لهذا التحدي أصلاً؛ ولذا يعتقد الإمامرحمه الله أنّ كلّ واحد من هذه الوجوه مستقلّا يعدّ دليلاً على الإعجاز، ويقول في تحدّي القرآن:

> لقد أعلن القرآن في عدّة مواضع عن إعجازه في جميع العصور لكافة البشريّة، بل أعرب عن عجز جميع الجنّ والإنس وتحدّاهم أن يأتوا بمثله، واليوم تتمسّك الأمّة بهذه الآية الإلهيّة وتعلن للعالم بأسره وبكلّ ثقة أنّ هذه الآية هي آية النبوّة ونور محمّدصلى الله عليه وآله، فكلّ من جاء بمثله في هذا العالم المليء بالعلم والمعرفة فنحن نسلّم له ونتراجع عن أقوالنا.[2]

٣. الجانب العرفاني، أهمّ فقرة في إعجاز القرآن من منظور الإمامرحمه الله

إنّ الإمام الخمينيرحمه الله وإن كان يرى كلّ وجه من وجوه الإعجاز القرآني وجهاً مستقلّا، إلّا أنّه يرى أنّ الوجه العرفاني أقوى الوجوه؛ لاحتوائه على المضمون السامي لمعارف القرآن.

ويقول في هذا الشأن:

> لقد أدرك العرب في بدء الإسلام جانب الفصاحة والبلاغة الواردين في الإعجاز القرآني لا غير، ولم يُدركوا ما هو أهمّ منها، والآن أيضاً لا يُدرك من هو بهذا المستوى من التفكير إلّا التراكيب اللفظيّة والمحاسن البديعيّة والبيانيّة غافلين عن اللطائف العرفانيّة الإلهيّة التي يُدركها العلماء بأسرار ودقائق المعارف، ويعلمون لطائف التوحيد والتجريد.

---

١. يونس: ٣٨.

٢. *كشف الأسرار*: ٤٧.

فإنّ وجهة أنظار هؤلاء وقبلة آمالهم في هذا الوحي السماوي هو هذه المعارف، وليس لهم اهتمام بالجهات الأُخرى، وكلّ من كان معلّقاً آماله على عرفان القرآن وعرفاء الإسلام الذين كسبوا المعارف من القرآن، وأراد قياس هؤلاء إلى سائر علماء الأديان ومعارفهم سوف يعلم ويصدّق بأنّ أساس معارف الإسلام والقرآن ـ الذي هو أساس الدين والتدين والغاية القصوى في بعث الرسل وإنزال الكتب ـ هو الوحي الإلهي، وبأنّ هذه المعارف هي معارف صادرة من الله، وسوف لا يحتاج في تصديقه ذلك إلى أيّ مؤونة أو تكلّف.[1]

لقد أوْلى الإمام الخميني ﵀ أهمّية للجانب العرفاني الواردة في القرآن من قِبله أكثر من غيره من العلماء؛ لاعتقاده بأنّه أكبر وجوه إعجازه وسرّ خلوده. ومن الواضح أنّ حقائق القرآن ومسائله العرفانيّة لا تكون مشهودة وبيّنة إلّا لأهل القرآن، وفي التفاسير الفلسفيّة والعرفانيّة ـ كتفسير ملّا صدرا ـ نجد الإشارة في ذيل بعض الآيات تحت عنوان: (العرش) إلى بعض هذه المعارف العرفانيّة، ولم يتعرّض المفسّرون لها إلّا قليلاً، ولا يفهم هذه المعارف سوى أهل العرفان.

قال الإمام ﵀ في ذلك:

للقرآن مراتب، وله سبعة بطون أو سبعين بطناً، وإنّ القرآن تنزّل من هذه البطون حتّى وصل موضعاً صار يتكلّم فيه معنا.[2]

وقد اعتبر الإمام الخميني ﵀ أنّ هذا الوجه العرفاني للقرآن لا تقاس به سائر وجوه الإعجاز الأُخرى لصغرها بالنسبة إليه، وكأنّ هذا الوجه كافٍ في إثبات الإعجاز، وقد ذكر العلماء بأنّه لا يمكن اختصاص إعجاز القرآن بكلّ واحد من هذه الوجوه، بل إعجاز القرآن في جميع هذه الوجوه. وبهذه النظرة الشموليّة لم يتمكّن أحد من اختراق حصن إعجاز القرآن، إلّا أنّ الإمام الخميني ﵀ أكّد على أنّ هذه الوجوه ـ وإن كانت صحيحة ـ إلّا أنّ حقيقة القرآن من جهة رؤية العارف بالله هي بطن القرآن التي هي تعدّ سر خلوده.

ثُمّ قال ﵀:

إنّ هذا الكتاب العزيز نزل في بيئة وعصر كان من أظلم العصور، وكان يعيش في ذلك الوقت أكثر الناس تخلّفاً، فنزل القرآن على يد شخص ذي قلب إلهي قضى

---

١. راجع: *آداب الصلاة*: ٢٦٤.

٢. *تفسير سوره حمد*: ١٣٦.

حياته في تلك البيئة فنزلت عليه حقائق ومعارف لم تكن آنذاك موجودة، وهذه هي المعجزة الكبرى، تلك المسائل العرفانيّة الكبيرة التي لم يتوصّل إليها فلاسفة اليونان، وعجزت عنها كتب أرسطو وأفلاطون أكبر فلاسفة تلك العصور، بل حتّى فلاسفة الإسلام الذين تربّوا في مهد القرآن الكريم ونهلوا منه علومهم لم يستوعبوا تلك المعارف، فنرأهمّ مثلاً يؤوّلون الآيات المصرِّحة بوجود الحياة لجميع الكائنات إلى معانٍ أُخرى خلاف مقصود القرآن، وعلى أيٍّ، فإنّ مصدر ما أخذه العرفاء وتوصّلوا إليه هو القرآن والإسلام.

وإنّك لا ترى مسائل عرفانيّة في أيّ كتاب آخر بالشكل الذي في القرآن الكريم، وهذه هي معجزة رسول الله صلى الله عليه وآله.[1]

وقال الإمام رحمه الله في موضع آخر سلّط فيه الضوء على أُميّة النبي صلى الله عليه وآله وأهمّيّة معارف القرآن:

إنّنا وكلّ من له اطّلاع إجمالي بالمعارف الإسلاميّة يُدرك بأنّ تلك المعارف التي انتشرت ببركة بعثة رسول الله صلى الله عليه وآله في العالم لهي خارجة عن حدّ إدراك البشريّة، وأنّها إعجاز فوق إدراك البشريّة، وأنّها صدرت من إنسان ولد في الجاهليّة وترعرع في بيئة لم يكن فيها ذكر لهذه الأُمور بتاتاً، ولم تكن تلك البيئة تعرف عن مسائل الدنيا والعرفان، والفلسفة وسائر المسائل الأُخرى شيئاً، وهذا هو إعجاز لأهل النظر وهو دليل على نبوّة النبيّ صلى الله عليه وآله، وإلّا فإنّه لا يستطيع فعل ذلك؛ إذ لم يكن قد درس، بل لم يكن يعرف الكتابة.[2]

الفصل الخامس: دراسة في رؤية الإمام الخميني رحمه الله

صيانة القرآن من التحريف

إنّ من ضمن البحوث التي هي في غاية الأهمّيّة في شأن القرآن ـ خاصّة في القرنين الأخيرين ـ هو بحث احتماليّة التحريف في القرآن. فقد كُتبتْ ـ في هذا المجال ـ كتب كثيرة، وشغلت هذه المسألة أذهان الكثير من العلماء، حتّى أنّ المستشرقين بحثوا هذا الموضوع وأبدوا فيه آراء غير صحيحة.

وحيث إنّ هذا البحث هو أحد مباني التفسير، فلا بدّ من اتّخاذ مبنى واضح وشفاف

١. *صحيفة إمام*: ١٦/٢٠٩، ٢١٠.

٢. المصدر: ٢٠/٢٣٩، ٢٤٠.

اتّجاهها، ثُمّ الإجابة عن الشبهات المطروحة في شأنها. وقد تعرّض جميع المفسّرين وأغلب المتكلّمين لهذا الموضوع وأبدوا فيه آراءهم، واختلفت آراء بعض الشيعة والسنّة فيه، بل تعرّض لهذه المسألة بصورة مباشرة الأئمّة المعصومون عليهم السلام وأبدوا فيه موقفهم، ووردت روايات عنهم في هذا المجال، ممّا يستدعي ذلك المزيد من الجهد والبحث والتدبّر في قراءتها.

ودراسة هذا الموضوع وإن كانت تتطلّب مجالاً أوسع، إلّا إنّنا نكتفي هنا بتسليط الضوء على أصل البحث من منظور الإمام الخميني رحمه الله، وقبل ذلك سوف نبيّن معنى التحريف وموضوعه و أقسامه، حيث طرحت فيه آراء مختلفة، أشار السيّد الخوئي في كتابه القيّم *البيان* إلى ستّة أوجه في هذا المورد، وهو التحريف.[1]

التحريف لغةً

لقد ورد في اللغة أنّ التعريف مأخوذ من (حرف) وهو بمعنى: إبدال شيء بشيء، واستعمال اللفظ في عدّة معاني.

وفي الاصطلاح:

بمعنى التغيير والإبدال وحذف الآيات والسور.

وبشكل عامّ التحريف على قسمين:

١. تحريف لفظي.

٢. تحريف معنوي.

التحريف اللفظي

هو التحريف المشتمل على التغير والإبدال، وحذف ونقصان الكلام وألفاظ القرآن.

التحريف المعنوي

هو تحميل اللفظ مفهوماً ومعنىً على خلاف ما هو موجود.

أمّا بالنسبة للقسم الثاني ـ وهو التحريف المعنوي ـ فإنّه يمكن القول بوقوع مثله في القرآن.

ومن أوضح مصاديقه التفسير بالرأي الذي كان منهج بعض المفسّرين في فهم الآيات.

فإنّ كلّ مفسّر لا يفهم معنى الآية جيّداً أو يتعمّد بيانها بنحو آخر، فإنّه يكون قد أُبتلي بالتحريف المعنوي.

---

١. *البيان في تفسير القرآن*: ١٩٧.

وأحد مصاديق التحريف المعنوي بحث اختلاف القراءات الذي أشار إليه السيّد الخوئيﷺ، وكذلك الإمام الخمينيﷺ في بعض المواضع أيضاً.

قال آية الله معرفة في كتابه *صيانة القرآن عن التحريف* في بداية البحث:

فأمّا في الاصطلاح، فجاء على سبعة وجوه... .[1]

وقد عدّوا التحريف في القراءات أحد هذه الوجوه السبعة، وهو في ذاته بحث مهمّ ومستقل، والاختلاف في القراءات أحد الموضوعات التي ألّف المستشرقون فيها مقالاتٍ وكتباً كثيرةً، وأوردوا على المسلمين بناءً عليها إشكالات وشبهات تعرّض لها صاحب كتاب *نزول القرآن* بحثاً ونقداً.[2]

دراسة لاحتمال تحريف القرآن من منظور الإمام الخمينيﷺ

لقد بيّن الإمام الخمينيﷺ قبل الدخول في صميم التفسير عن رأيه في هذا الموضوع المهمّ كسائر علماء الشيعة، ويمكن دراسة ما أبدا في هذا المجال ضمن ست نقاط:

١. دراسة لقلق النبيّﷺ من إعلان آيات الإمامة.
٢. الإفتراء على الشيعة على أنّهم يعتقدون بتحريف القرآن وحذف آيات الإمامة منه.
٣. نسبة التحريف إلى الأخباريّين ونقده.
٤. نفي حصول أيّ تحريف لفظي في القرآن الكريم.
٥. تطابق مراتب التحريف المعنوي مع مراتب بطون القرآن.
٦. تحريف التوراة والإنجيل.

١. دراسة قلق النبيّﷺ من إعلان آيات الإمامة

بيّن الإمام الخمينيﷺ في بداية البحث عن سلامة القرآن من التحريف والتغيير، ما يتصوّره البعض أنّ النبيّﷺ لم يكن قلقاً من بيان آيات الإمامة فقط، بل كان متوجّعاً من طرح هذا الموضوع، ويعتقد جماعة في قبال هذا بأنّ النبيّﷺ لم يكن قلقاً أبداً لهذا الموضوع، وأنّه كان قد بيّنه كما بيّن سائر الموضوعات. و في هذا الجانب يرى الإمامﷺ أنّ النبيّﷺ كان قلقاً من تبيين الآيات التي تخصّ الإمامة وتنصيب الإمام من بعده، بل حتّى

---

١. *صيانة القرآن عن التحريف*: ١١.
٢. *نزول القرآن ورؤياى هفت حرف*: ١٤٩.

بيان موضوع الإمامة، وأنه كان يخشى اختلاف أُمّته في ذلك، وقد نسب ذلك إلى علماء الشيعة، واستشهد لإثبات ذلك بآيات من القرآن الكريم، حيث قال:

يقولون[1] إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يخشى أن يقول في الإمامة شيئاً، وكان يخشى ألّا يقبل الناس منه ذلك، ولكن كيف يكون ذلك مع أنّ القرآن وتأريخ النبيّ صلى الله عليه وآله شاهد على عدم وجود تحفّظ في هذا المجال؟[2]

ثمّ قال في الإجابة على هذا قائلاً:

لقد أثبتنا في بداية الحديث أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يخشى ذكر الإمام علي عليه السلام ورسمه في القرآن؛ لخوفه من تطرّق التحريف إلى القرآن بعد وفاته، أو أنّه كان يخشى وقوع اختلاف شديد بين المسلمين ينتهي الإسلام بسببه، وهنا نذكر شاهداً من القرآن أنّه صلى الله عليه وآله كان يتحفّظ من المنافقين في إبراز الإمام باسمه ورسمه، قال تعالى: ﴿يا أَيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾،[3] فإنّ هذه الآية نزلت ـ بإقرار أهل السنّة وبالأخبار المعتبرة الواردة عن أبي سعيد، وأبي رافع، وأبي هريرة وباتّفاق الشيعة ـ في إبلاغ إمامة علي بن أبي طالب عليه السلام يوم غدير خمّ.

وسورة المائدة هي آخر سورة نزلت، وهذه الآية والآية الشريفة: ﴿الْيوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[4] نزلت في حجّة الوداع التي هي آخر حجّة لرسول الله صلى الله عليه وآله، وكان بين نزول هذه الآية وبين وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله شهران ويومان لا أكثر، ومن الواضح أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان قد بلّغ إلى ذلك الوقت جميع الأحكام، كما ذكر صلى الله عليه وآله ذلك في خطبة يوم الغدير، فيعلم أنّ التبليغ المذكور في الآية كان راجعاً إلى إبلاغ الإمامة، وما وعد الله به من عصمته دليل على أنّه كان يريد إبلاغ مثل هذا الأمر، وإلّا فمثل هذه الخشية والتحفّظ لا يوجد في إبلاغ سائر الأحكام.

وممّا ذكرنا من القرائن والأخبار الكثيرة يعلم أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يخشى الناس من إبلاغ الإمامة.[5]

وقد يشكل بأنّ خوف النبيّ صلى الله عليه وآله يعدّ نوعاً من الضعف، وهذا يتنافى مع عصمته صلى الله عليه وآله.

---

١. نسب هذا القول إلى حكمي زاده، فقد أشكل في كتابه أسرار هزار ساله على الكثير من مباني الشيعة، وقد ألّف الإمام الخميني رحمه الله كتاباً في الردّ عليه أسماه كشف الأسرار.

٢. *كشف الأسرار*: ١٣٠.

٣. المائدة: ٦٧.

٤. المائدة: ٣.

٥. *كشف الأسرار*: ١٣٠.

وبأنّ السيرة العملية للنبيّ ﷺ تدلّ على أنه كان يبلّغ الأحكام بلا تحفّظ وخوف، فما ذكر يتنافى والسيرة العملية له ﷺ.

لكنّ الإمام ﵀ استشهد في الجواب بآية ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ﴾،[1] ممّا يدلّ على أنّ النبيّ ﷺ كان يخشى بعض الإشكالات والأضرار الاحتماليّة.

٢. الافتراء على الشيعة على أنّهم يعتقدون بتحريف القرآن وحذف آيات الإمامة منه

لقد نسب مخالفو مذهب الشيعي الإمامي أنّ الشيعة يعتقدون بتحريف القرآن، ويرون أنّ الآيات المتعلّقة بإمامة أئمّتهم ﵈ قد حذفت من القرآن... وقد نقل الإمام الخميني ﵀ كلامهم أوّلاً، فقال:

يقولون: إنّ الإمامة قد صرّح بها في القرآن كثيراً، ولكن هؤلاء أسقطوها.[2]

ثُمّ إنّه ﵀ يشرع في جواب نفي هكذا اعتقاد، وأنّه لو أُشير في الروايات إلى حذف أسماء الأئمّة المعصومين ﵈، فهي ناظرة إلى حذف أسمائهم في تفسير وتوضيح الآيات، لا من نصوص الآيات، حيث يقول:

أنتم مع مَن تحدّثتم؟ وممّن سمعتم الجواب المذكور؟

لعلّكم رجعتم في ذلك إلى علمائكم أو إلى بعض الكتب أو بعض الأخبار التي يظهر منها بالنظرة السطحيّة أنّ القرآن قد سقط منه شيء، وهذا هو أحد معايبكم، فإنّكم مع ما لكم من العلم والمعرفة ترجعون إلى الأخبار من دون دراسة مسبقة. أنّ فهم الأخبار وكتب العلماء بحاجة إلى جهود مضنيّة.

فإنّ هذه الكتب ليست كتب قصص وروايات رومانسيّة، بحيث يفهمها الإنسان بنفسه، فإنّ مَثَل رجوعكم إلى الكتب الروائيّة مَثَل رجوع المزارع إلى الفلسفة ذات فحوى راقٍ، وكمطالعة المنشغل في الحمّام للرياضيّات العالية.

إنّ فهم الكتب العلميّة يحتاج إلى تخصّص، وبما أنّكم دخلتم الأخبار والكتب بمطالعة عمياء فإنّ النتيجة سوف تكون أنّكم تنسبون إلى الشيعة أنّ الإمامة كانت في القرآن فأسقطوها، مع أنّ تلك الأخبار التي استندوا إليها ترتبط بالتفسير والتأويل. ونحن إنّما نقول: إنّ [لفظة] أُولي الأمر وأهل الذكر وردت كثيراً في آيات القرآن، وكذا أهل

---

١. المائدة: ٦٧.

٢. *كشف الأسرار*: ١٣١.

البيت في آية التطهير وغيرها مئات الآيات الأُخرى وردت في الإمامة والإمام، لا ندّعي أنّ اسم الإمام [علي‏عليه‌السلام] كان مذكوراً بالخصوص في القرآن فحذف.[١]

٣. نسبة التحريف إلى الأخباريّين ونقد ذلك

يُطلق الأخباري عند الشيعة على المهتمّ بظاهر الأحاديث، ويعرف هؤلاء بين أهل السنّة بالحشويّة وأهل الحديث.[٢]

وقد سلّط الإمام الخميني‏رحمه‌الله كلام الأخباريّين، ثُمّ نقدهم بقوله بمايلي:

نعم، هنا شيء يلزم ذكره، وهو أنّ بعض الأخباريّين والمحدّثين ... ـ ممّن لا أهمّية لكلامه بين العلماء ـ قد اغترّ بظاهر بعض الأخبار وادّعى على أساسها وجود التحريف في القرآن، ولكنّ العلماء ردّوه ورفضوا كلامه.[٣]

وقد جمع العلّامة العسكري أيضاً في كتابه *القرآن الكريم وروايات المدرستين* جميع الروايات الموجودة في مصادر الشيعة والسنّة في مسألة تحريف القرآن، والتي استند إليها الأخباريّون، ثُمّ نقدها وأخضعها للدراسة، وكان جوابه عنها أنّ كثيراً من هذه الروايات ناظرة إلى التحريف المعنوي، ولا علاقة لها بالتحريف اللفظي للقرآن، والروايات ـ نحو ما ورد عن الإمام الباقر‏عليه‌السلام أنّه قال: «وكان نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه وحرّفوا حدوده، فهم يروونه ولا يرعونه»[٤] ـ شاهد على أنّ المراد التحريف المعنوي.

وأمّا الروايات الأُخرى في المقام فهي روايات موضوعة ونادرة.[٥]

ونقد الإمام الخميني‏رحمه‌الله أيضاً في كتابه *أنوار الهداية في التعليق على الكفاية* نظريّة الأخباريّين بشكل كامل وتوجّه هناك بالقول متحدّثاً:

لو كان كما ذكره هذا وأشباهه من كون الكتاب الإلهي مشحوناً بذكر أهل البيت وفضلهم وذكر أمير المؤمنين وإثبات وصايته وإمامته، فلِمَ لم يحتجّ بواحد من تلك الآيات النازلة؟ ... ولِمَ احتاج النبيّ‏صلى‌الله‌عليه‌وآله إلى دواة وقلم عند احتضاره للتصريح باسم علي‏عليه‌السلام؟ وبالجملة ففساد هذا القول الفظيع والرأي الشنيع أوضح من أن يخفى على ذي مسكة.[٦]

---

١. المصدر: ١٣١.
٢. *صيانة القرآن عن التحريف*: ١٩٧.
٣. *كشف الأسرار*: ١٣٢.
٤. *الكافي*: ٦٣١/٢.
٥. *القرآن الكريم وروايات المدرستين*: ١١٣/٣.
٦. *أنوار الهداية*: ٢٤٥/١ ـ ٢٤٧.

٤. عدم وجود أيّ تحريف أوتغيير في القرآن

يعتقد الإمام الخمينيّ ليس هناك أيّ نحوٍ من أنحاء التحريف والاستبدال قد حدث في القرآن الكريم، ويقول في هذا المجال:

إنّ هذا القرآن الكريم الذي بين أيدي المسلمين، والذي لم تزد فيه أو تنقص منه كلمة، أو حرف واحد منذ منطلق الإسلام حتّى الآن ... بقي ـ بحمد الله ـ بين المسلمين ولم يستطع الأعداء تحريفه وأخذه، ولو استطاعوا لفعلوا ذلك.

وعندما أراد أحدهم حذف حرف من القرآن شهر رجل عربي سيفه بوجهه، وقال: إن فعلت ذلك رددنا عليك بأسيافنا. ولم يدع أحداً يتجرأ على تحريفه، فالقرآن كما كان على عهد رسول الله هو اليوم كذلك، وليس شيئاً سواه.[1]

٥. تطابق مراتب التحريف المعنوي مع مراتب بطون القرآن

يعتقد الإمام الخمينيّ في موضوع التحريف المعنوي بنظرية لطيفة قلّما التفت إليها غيره من المفسّرين، وهي أنّه يرى التحريف المعنوي ليس بمعنى التفسير بالرأي، بل بمعنى آخر يمكن أن يكون صحيحاً بالنسبة للقرآن، ثُمّ يشير إلى نقطة طريفة، وهو أنّ التحريف المعنوي وقع عند نزول القرآن وأنّ مراتبه كمراتب بطون القرآن.

وبعبارة اُخرى: كما أنّ القرآن تنزّل بسبع مراتب، فقد تطرّق التحريف المعنوي إليه، ومراحل التنزّل السبعة للقرآن هي: الحضرة العلميّة الماديّة مع قيد المطلق، حضرة الأعيان، حضرة الأقلام، حضرة الألواح، حضرة المثال، الحسّ المشترك، أيّ أنّ النبيّ هو مقام الشهادة المطلقة، يعني: القرآن المكتوب والموجود.[2]

فالإمام الخمينيّ يقول بأنّ للقرآن سبع منازل، وأنّه يكون بنحوٍ بسيط وسهل في كلّ منزلة ومرحلة يتنزل فيها حتّى يصل إلى المرحلة السابعة التي هي الشهادة المطلقة.

وعندما يراجع المفسّر والعارف بالله ببطون القرآن يتخلّص في كلّ مرحلة من قضية التحريف وهكذا يتدّرج حتّى يصل إلى حقيقة القرآن الكريم... وإليك نصّ عبارته في ذلك:

إنّ الذي يمكنه أن يطيق هذا القرآن هو ولي الله المطلق الإمام علي بن أبي طالب، والآخرون لا يقدرون على ذلك إلّا بعد تنزّلها من مقام الغيب إلى الشهادة

---

١. *صحيفة إمام*: ٤٢٢/١٨، ٤٢٣.

٢. راجع: *آداب الصلاة*: ٣٢٣.

عبر الأطوار الملكيّة والاكتساء بكسوة الألفاظ والحروف الدنيويّة.[١]

وعليه فالإمامرحمه الله يعتقد بوجود نوع من ا لتحريف الخاص، وهذا التحريف ـ طبعاً ـ ليس تحريفاً بالمعنى المصطلح. قال في هذا الموردرحمه الله:

ومراتب التحريف تنطبق مع مراتب بطون القرآن الكريم حذو النعل بالنعل مع فارق وهو أنّ التحريف تنزّل من الغيب المطلق إلى الشهادات المطلقة ـ وبحسب مراتب العوالم ـ في حين أنّ الحركة باتّجاه البطون هي رجوع من الشهادات المطلقة إلى الغيب المطلق.[٢]

٦. وقوع التحريف في التوراة والإنجيل

لقد أعرب الإمام الخمينيرحمه الله في حديث لهرحمه الله تمّ نقلها عنه جاء فيه الإيماح بوضوح بتحريف الكتاب المقدّس (الإنجيل والتوراة)، ونلاحظ فيها:

كان سيّدنا موسىعليه السلام من الأنبياء العظام ومن الرسل أولي العزم، وكان كتابه كاملاً وفيه ما يحتاج إليه البشر، لكن هذا الكتاب انقرض ـ وكذا كتاب عيسىعليه السلام ـ وما هو الآن بين أيدي هؤلاء من هذين الكتابين يدل بنصّه ومحتواه على أنّهما ليسا التوراة والإنجيل الأصليّين، لكن كتابنا محفوظ ـ بحمد الله ـ سنة بعد أُخرى ومنذ العصر الأوّل إلى الآن، وكذا القرآن الذي بخطّ أمير المؤمنينعليه السلام.[٣]

---

١. *آداب الصلاة*: ١٨١.

٢. المصدر: ١٨١.

٣. *قرآن باب معرفة الله*: ٣٦.

المصادر

١. *آداب الصلاة*، الإمام الخميني، تنظيم ونشر آثار امام خميني، ١٣٧٢ش.
٢. *آشنايي با اديان بزرگ*، حسين توفيقي، ١٣٨١ش.
٣. *الإتقان في علوم القرآن*، جلال الدين السيوطي، منشورات الشريف الرضي.
٤. *إعجاز قرآن*، السيّد رضا مؤدب، أحسن الحديث، ١٣٧٩ش.
٥. *أنوار الهداية في التعليقة على الكفاية*، الإمام الخميني رحمه الله، مؤسّسة تنظيم ونشر آثار إمام خميني رحمه الله، ١٣٧٢ش.
٦. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار، محمّد باقر المجلسي، مؤسّسة الوفاء، ١٤٠٣هـ.
٧. *بصائر الدرجات*، محمّد بن حسن الصفار، منشورات مكتبة المرعشي، ١٤٠٤هـ.
٨. *البيان في تفسير القرآن*، أبو القاسم الخوئي، أنوار الهدى، ١٤٠١هـ.
٩. *تفسير الصافي*، الملا محسن فيض الكاشاني رحمه الله، المكتبة الإسلاميّة، ١٣٩٣هـ.
١٠. *تفسير سورة حمد*، الإمام الخميني رحمه الله، مؤسّسه تنظيم ونشر آثار إمام خميني رحمه الله، ١٣٧٨ش.
١١. *تفسير فرات الكوفي*، أبو القاسم فرات بن ابراهيم الكوفي، وزارة فرهنگ وارشاد اسلامي، طهران، ١٤١٠هـ.
١٢. *جلوه هاى رحمانى*، الإمام الخميني رحمه الله، معاونت فرهنگى بنياد شهيد، ١٣٧١ش.
١٣. *روش‌هاى تفسيرى قرآن*، السيّد رضا مؤدّب، انتشارات اشراق دانشگاه، ١٣٨٠ش.
١٤. *شرح دعاء السحر*، الامام الخميني رحمه الله، مؤسّسه تنظيم آثار إمام خميني رحمه الله، ١٣٨٣ش.
١٥. *صحيفه امام*، الامام الخميني رحمه الله، مؤسّسه تنظيم ونشر آثار إمام خميني رحمه الله، ١٣٧٨ش.
١٦. *صيانة القرآن عن التحريف*، محمّد هادي معرفة، مؤسّسة النشر الإسلامي، ١٤١٣هـ.
١٧. *قرآن باب معرفة الله (أقوال ومؤلّفات الإمام الخميني رحمه الله في القرآن)*، مجتبى خازني، پيام آزادي ـ طهران، ١٣٧٠ش.
١٨. *قرآن در إسلام*، السيّد محمّد حسين الطباطبائي، دفتر انتشارات اسلامي، ١٣٧٢ش.
١٩. *قرآن كتاب هدايت* (تبيان دفتر سيزدهم)، تحقيق معاونت پژوهش مؤسّسه تنظيم ونشر آثار امام خميني رحمه الله، ١٣٧٧ش.
٢٠. *الكافي*، محمّد بن يعقوب الكليني، دار الكتب الإسلاميّة، ١٣٨٨هـ.
٢١. *كشف الأسرار*، الإمام الخميني رحمه الله، انتشارات مصطفوي.
٢٢. *كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد*، العلّامة الحلّي، مكتبة المصطفوي.
٢٣. *مجمع البيان*، الفضل بن الحسن الطبرسي، دار المعرفة، ١٤٠٨هـ.
٢٤. *معترك الأقران في إعجاز القرآن*، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلميّة، ١٤٠٨هـ.
٢٥. *الميزان في تفسير القرآن*، السيد محمّد حسين الطباطبائي، مؤسّسة الأعلمي، ١٣٩٤هـ
٢٦. *نزول قرآن ورؤياى هفت حرف*، السيد رضا مؤدّب، دفتر تبليغات اسلامي، ١٣٧٨ش.
٢٧. *ولا يت فقيه*، الإمام الخميني، مؤسّسه تنظيم ونشر آثار إمام خميني رحمه الله، ١٣٧٣ش.

فهم القرآن في رأي الإمام الخمينيﷺ

أبوالقاسم مقيمي حاجي

ضوء على أهمّية القرآن الكريم

يعتبر الإمام الخمينيﷺ أحد العرفاء البارزين الواصلين إلى مقامات سامية في ظلّ معارف القرآن والعمل بها، فقد التهب وجوده بجذوة المحبّة الإلهيّة والمعارف القرآنيّة.

يرى أنّ الإمامﷺ القرآن هبوط غيبي ومظهراً للرحمة الإلهيّة الشاملة لجميع الكمالات،[1] وأنّه صورة الاسم الأعظم وغاية الإنسان الكامل.[2]

> أنّه كتاب إلهي ومائدة واسعة ينال منه كلّ إنسان بقدر سعته الوجوديّة، وأسمى أهداف القرآن وهدف الأنبياء العظام هو التوسّع في المعرفة.[3]

وعظمة هذا الكتاب ـ من منظورهﷺ ـ مرتبطة بعظمة مرسل الوحي، وبعظمة واسطة الوحي، وعظمة المرسل إليه الوحي، وعظمة الرسالة، وبالهدف من هذا الكتاب العظيم.

ويقولﷺ في هذا المجال:

> اعلم أيّها العزيز أنّ عظمة أيّ كلام وكتاب تنشأ عن عظمة قائله وكاتبه، أو عن عظمة المرسل إليه وحامله، أو عن عظمة حافظه وحارسه، أو عن عظمة شارحه ومفسّره، أو عظمة الوقت الذي أرسل فيه وكيفيّته.

---

١. *آداب الصلاة*: ٦٦.

٢. المصدر: ٣٢١.

٣. *صحيفة إمام*: ١١٥/١٩.

فبعض هذه الأمور لها انطباع ذاتي وجوهري في تكوين تلك العظمة، وبعضها الآخر عرضي وبالواسطة، وبعضها يلعب دور الكاشف عن تلك العظمة التي هي على أتمّ وجهٍ وأوفاه في القرآن الكريم، بل هي من مختصّاته لا يشاركه فيها كتاب آخر إمّا بشكل مطلق، أو أنّه لا يشاركه فيها بجميع المراتب.[١]

وهناك أبحاث حول خصائص هذا الكتاب المقدّس وفهمه يمكن الإشارة إلى بعضها:

أ) القرآن كتاب الوحي الإلهي وكيفيّة وحقيقة الوحي.

ب) القرآن كتاب المعجزة الإلهيّة، والعرفان أكبر معاجزه كما يصفه الإمام رحمه الله.[٢]

ج) القرآن كتاب إلهي غيرقابل للتحريف، وهذا بحدٍّ ذاته امتياز كبير للقرآن.

د) القرآن كتاب معارف ووسيلة هداية وسداد، وخزينة الأسرار الإلهيّة، وأنّ الفهم الصحيح له هو طريق الذي يؤدّي إلى تلك المعارف.

إنّ لكلّ واحد من هذه الخصائص المذكورة مباحث وسيعة بحاجة إلى مقال مستقلّ، نحاول هنا التعرّض لبحث الخصيصة الرابعة وكيفيّة فهم القرآن، وفيها أبحاث حول القرآن وفهمه، وهي كما يلي:

أ) إمكانية الفهم للقرآن الكريم.

ب) أقسام آيات القرآن وأنواعها (المحكم والمتشابه...)

ج) لغة القرآن (الظاهر والباطن)

د) مراتب فهم القرآن.

هـ) شرائط فهم القرآن.

و) ما يعيق في مسار الفهم للقرآن.

ز) العلماء الذين فهموا القرآن كما تتطلّب الحقيقة.

الفصل الأوّل: إمكانيّة الفهم للقرآن الكريم

يعدّ القرآن الكريم مفتاح الوصول إلى المعرفة الإلهيّة، فهو كسائر كتب الأنبياء الأُخرى نزل لغرض معرفة الإنسان بالله تعالى، ليصل في ظِلّ معرفة الحقّ تعالى إلى

---

١. *آداب الصلاة*: ١٨٢.

٢. *صحيفة إمام*: ٢٠٩/١٦، ٢١٠.

الكمال، وقد أكّد الإمام الخميني رحمه الله على هذه النقطة بقوله:

إنّ بغية الوحي الرئيسة هي تكوين المعرفة للبشر، فإنّ معرفة الحقّ تعالى هي على رأس جميع الأمور.[١]

وقال أيضاً:

إنّ القرآن الكريم والأحاديث الشريفة مليئة بالعلم بالذات والكمالات والأسماء وصفات الذات المقدّسة، وقد عيّر الحقّ تعالى الملحدين بالأسماء.[٢]

إنّ القرآن الكريم برُمّته سرٌّ من الأسرار الإلهيّة، وهذا ما يراه الإمام الخميني رحمه الله في شأن القرآن، وأنّه تنزّل لعدّة مرّات حتّى وصل إلى هذه المرتبة، وأنّ الإنسان لو أراد الوصول إلى حقيقة القرآن فلا بدّ له من الوقوف على أسراره، وقال رحمه الله في هذا الجانب:

ليس القرآن بوسع ما نملكه من الاستيعاب استيعابنا، فهو ليس بمقدار سعة فهم البشر، وهو سرّ بين الحقّ وولي الله الأعظم الذي هو رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد نزل له صلى الله عليه وآله، ثُمّ تنزّل في مراتبه حتّى صار على الهيئة التي هو عليها من الحروف والكتاب.[٣]

ومن هذا المنطلق يعلم أنّ الغاية من الخلقة يساوق الكمال في ظِلّ إدراك الحقائق والمعارف القرآنيّة، ومن جهة أُخرى: القرآن كتاب مليء بالأسرار، فلا بدّ أوّلاً من فهمه، ثمّ إدراك حقيقته ومن ثَمّ العمل به.

وعليه فلا بدّ من فهم مراتبه ومعرفة شرائطه وموانعه، ولا بدّ أن يعلم أنّ فهم القرآن بشكل تامّ وكامل غير ميسّر وإن كنّا بصدد فهمه، لكن بما أنّه نزل من مبدأ الكمال المطلق اللامتناهي ومن الفيض والعلم الإلهي، يكون إدراك باطنه وجميع حقيقته أمراً مستحيلاً كاستحالة إدراك الإنسان للذات الإلهيّة، لذا يقول محيي الدين بن عربي: يحشر القرآن يوم القيامة بِكراً.

نعم، يمكن للإنسان فهم حقائق القرآن بالاستعانة بالمخاطبين بالوحي.

إنّ فهم القرآن بشكل تامّ وإن كان غير ميسّر للإنسان، لكن الله تعالى بحكمته أنزل القرآن بنحوٍ يمكن لكلّ شخص الاستفادة منه بمقدار فهمه وسعته الوجوديّة.

---

١. *صحيفة إمام*: ٢٢٥/١٩.

٢. *شرح چهل حديث*: ١٩٣.

٣. *صحيفة إمام*: ٢٨٥/١٩.

وفي هذا الموارد قال الإمام الخميني﵀ متحدّثاً كالآتي:

رغم ما أسلفنا من القول بأنّ فهم عظمة القرآن ليست في سعة إدراكنا، إلّا أنّ بعض ما نفهمه من رموز عظمة هذا الكتاب المنزل والموجود في متناول الناس جميعاً لا يخلو من فوائد جمّة.[١]

وفي هذا الصدد نفى بعض الأخباريّين إمكانيّة فهم الناس للقرآن وحصر فهمه بأهل البيت﵈، وأنّ من سواهمّ ليس له نصيب من القرآن سوى الأجر على قراءته، ويستند هؤلاء إلى بعض الروايات الواردة عن طريق أهل البيت في تفسير القرآن، كالرواية القائلة: «إنّما يعرف القرآن من خوطب به»،[٢] فهم يستدلّون بهذه الرواية على عدم جواز الرجوع في فهم القرآن لغير من خوطب به.

ويرون أيضاً بأنّ المخاطبين بالقرآن هم النبيّﷺ وأوصياؤه بالحقّ﵈،[٣] متمسّكين بالروايات الناهية عن التفسير بالرأي أو الروايات التي تصف القرآن بأنّه خارج عن منال عقول الناس.[٤]

وقد ناقش العلماء الأُصوليّون من المذهب الشيعي الإمامي هذه النظريّة ونقدوا أدلّتهم كما يشاهد ذلك في كتب أُستاذ الكلّ الوحيد البهبهاني وغيره من العلماء كالشيخ الأنصاري ممّا لا يسع نقله وبيانه هنا، ونكتفي بالإشارة إلى ما أجاب به الإمام الخميني﵀ عن ذلك في كتبه الأُصوليّة، حيث تمسّك الإمام الراحل﵀ لإثبات حجيّة ظواهر القرآن وإمكان فهمه ببناء العقلاء في المحاورات العرفية وطريقة كلامهم، وذكر لذلك عدّة مراحل وهي على النحوالمقبل:

١. إثبات أصل صدور الكلام عن المتكلّم.

٢. إثبات أصل ظهور الكلام بلحاظ التبادر والارتكاز العرفي، وغيرهما من علامات الحقيقة والمجاز، وقول اللغويّين.

٣. إثبات جهة الصدور وكشف المراد الجدّي للمتكلّم، وهل أراد ظواهر الكلام، وألّا يوجد مانع من الأخذ بهذه الظواهر كالتقية؟

---

١. *آداب الصلاة*: ١٨٢.

٢. *وسائل الشيعة*: ١٨٥/٢٧، ح:٢٥.

٣. *الفوائد المدنية*: ٤٧.

٤. *وسائل الشيعة*: ٢/٢٧. ٣.

وبهذه المراحل الثلاث تتحقّق حجيّة الظهور في كلّ كلام، ويكون الكلام قابلاً للوثوق به والفهم، ولا فرق في ذلك بين القرآن وسائر كلام الناس؛ لأنّ الله تعالى اختار في كيفيّة كلامه وانتقال ما يريد إلى الناس طريقة العقلاء.[١]

وفي جوابه رحمه الله عن حديث: «من خوطب به...»، يرى أنّ ذلك إشارة إلى أعلى مراتب الفهم، وهو الفهم الحقيقي وباطن القرآن الذي هو منحصر بالنبيّ صلى الله عليه وآله، حتّى أنّ جبرئيل عليه السلام وغيره لايمكنهم دركه إلّا بواسطة النبيّ صلى الله عليه وآله نفسه.[٢]

ويرى رحمه الله أيضاً أنّ الأحاديث التي تتعلّق بعدم إمكانية إدرك القرآن والدين عبر العقل البشري هي ناظرة إلى الأحكام التعبّدية التي تصدّى فقهاء أهل السنّة لفهمها مباشرة، ومن دون الاستعانة بأهل البيت عليهم السلام.[٣]

وللإمام الخميني رحمه الله في المقام هذا حديث مفصّل ذكره في كتبه الأُصوليّه وغيرها، وأخضعها للبحث والدراسة من قبله، وهناك ذكر أيضاً آراء الأخباريّين وقدّم لها نقداً، ونحن نكتفي هنا بهذا المقدار خشية الإطالة.

الفصل الثاني: أقسام آيات القرآن وفهمها

لقد قسّم الإمام الخميني رحمه الله آيات الكتاب الكريم - تبعاً لنصّ الكتاب العزيز ووفقاً لكثير من العلماء والمفكّرين - إلى مُحكمة ومتشابهة:

وإنّ محكمات الآيات لا تأويل لها ويفهمها الجميع، أمّا المتشابه، فهو من قبيل الرمز الذي لا يعلم تأويله إلّا الله والراسخون في العلم.[٤]

وقد بحث المفسّرون ذلك كثيراً وذكروا - في بيان المراد من المحكم والمتشابه وجواز تأويل القرآن - مطالب مفيدة لا مجال هنا لذكرها.[٥]

ويقول الإمام الخميني رحمه الله في تنوّع آيات القرآن الكريم متحدّثاً:

إنّ بعض الآيات هي لعامة الناس وسائر طبقات المجتمع، وهي الآيات التي فيها جنبة عملية والتي لا بدّ من تنفيذها والعمل بها.

---

١. *أنوار الهداية*: ٢٣٩/١؛ *تنقيح الأصول*: ١٢٤/٣ـ١٣٠.

٢. *تفسير سوره حمد*: ١٣٨، ٢٤١؛ *تنقيح الأصول*: ١٢٤/٣ـ١٣٠.

٣. *آداب الصلاة*: ٢٠٠.

٤. *كشف الأسرار*: ٣٢٢ـ٣٢٣.

٥. راجع: *الميزان في تفسير القرآن*: ٣٢/٣.

وأمّا البعض الآخر من الآيات فهي الآيات العلميّة، ففيها ما هو مختصّ بأرباب الوحيعليهم السلام، وبعضها ما هو للعلماء والطبقات الرفيعة مثل ما يطرح من البراهين لتجرّد الواجب وإحاطته القيوميّة، وهذه الأبحاث تتناسب مع أمثال الملا صدرا والفيض الكاشاني.

وقد أكّدت رواياتنا أيضاً على هذه النقطة، وكلام الإمام الخمينيرحمه الله مقتبس منها، قال الإمام الصادقعليه السلام:

كتاب الله على أربعة أشياء: على العبارة والإشارة، واللطائف والحقائق.

فالعبارة: للعوام.

والإشارة: للخواص.

واللطائف: للأولياء.

والحقائق: للأنبياء.[١]

ويمكن الاستناد إلى هذه الرواية في بحث إثبات إمكانية فهم القرآن وبحث وجود ظاهر وباطن للقرآن، كما سيأتي لاحقاً.

الحروف المقطّعة

ثمّة ثمانية وعشرون سورة من سور القرآن جاءت فيها الحروف المقطّعة وهي: البقرة، وآل عمران، والأعراف ويونس، وهود قاف والقلم وغيرها.

وقد تعرّض الإمام الخمينيرحمه الله في أواخر بحث المحكم والمتشابه إلى بيان حقيقة الحروف المقطّعة الواردة، ويوجد بين علماء البحوث القرآنيّة نظريّتان مهمّتان في هذا المجال:

النظريّة الأولى

إنّ المراد من هذه الحروف أمر معيّن، لكنّهم اختلفوا في المراد منه، حتّى ذكروا في بعض التفاسير أكثر من عشرين معنى لذلك.

النظريّة الثانية

ترى أنّ ذلك من العلم الإلهي المستور أو من قبيل الآيات المتشابهة.[٢]

ونحن نشير فيما يلي إلى بعض الآراء المذكورة في معاني الحروف المقطّعة:

١. إنّ الحروف المقطّعة هي أسماء للسور.

---

١. *بحار الأنوار*: ٢٧٨/٧٥؛ راجع: *أيضاً عوالي اللئالي*: ١٠٥/٤ الحديث ١٥٥.

٢. *مجمع البيان*: ٦٨/١. ٧١؛ *تفسير القرآن الكريم*، السيّد مصطفى الخمينيرحمه الله: ١٥٧/١ ـ ١٦١؛ التسنيم: ٢٦٩ الحديث ١٠٤.

٢. إنّها أسماء للقرآن.

٣. إنّها أسماء الله تبارك وتعالى، وهذه النظريّة تتفرع إلى فروع، منها: إنّ هذه الحروف هي بعض الأسماء الإلهيّة، أو أنّ كلّ واحد منها يدلّ على اسم من الأسماء الإلهيّة، أو صفة من الصفات، أو أنّ بعضها أسماء للذات والبعض الآخر منها أسماء للصفات، أو هي أجزاء للاسم الأعظم، وغير ذلك.

٤. إنّ بعضها أسماء لله تعالى وبعضها أسماء للنبيّ صلى الله عليه وآله وجبرئيل عليه السلام.

٥. إنّ هذه الحروف المقطّعة هي لتحدّي الكفّار، وأنّ القرآن مركّب من جنس هذه الحروف، ومع ذلك هم عاجزون عن الإتيان بمثله.

٦. إنّها خلاصة السور وبياناً إجمالياً لها.

٧. إنّها تشير إلى أنّ أغلب حروف هذه السور هو من هذه الحروف التي جاءت في بداية السور، وأنّها تدلّ بنحوٍ ما على الإعجاز اللفظي والعددي لآيات القرآن.

وإنّ الإمام الخميني رحمه الله كغيره من العلماء[1] الّذين لهم شهرة فائقة يرى أنّها رموز إلهيّة، ويمتنع تفسيرها إلّا لمن وجّه إليه بالخطاب الإلهي، ويرى أنّ جهل الغير بهذا الأمر لا يضرّ أبداً، وفي هذا المورد يقول رحمه الله:

> الحروف المقطّعة هي من قبيل الرمز بين المحب والمحبوب، وليس لأحد علم بها، وما يحدس به بعض المفسّرين هي في الغالب تخمينات وحدس بارد لا مأخذ له، مضافاً إلى أنّه قد أُشير في حديث سفيان الثوري إلى رمزيّتها.[2]
>
> وقد أشار الإمام الصادق عليه السلام ـ في جواب لسؤال سفيان الثوري عن معاني الحروف المقطّعة ـ إلى بعض المعاني والإشارات، وذكر أنّ بعضها الآخر رموز.

وقد أكّد الإمام الخميني رحمه الله في كتاب *كشف الأسرار* على هذا المعنى أيضاً قائلاً:

> لا يستطيع أحدٌ أن يفهم علوم القرآن والحديث، لا يكون ذلك لكلّ أحد، وأنّ ما هو رمز بين المتكلّم وجماعة معيّنة، كما في بعض برقيّات الدولة السريّة التي لا ترى المصلحة في الكشف عنها، بل حتّى البدّالة لا تفهم منها شيئاً.[3]

---

١. *الحكمة المتعالية*: ٤١/٧؛ *روح المعاني*: ١٠/١؛ *الميزان في تفسير القرآن*: ٦/١٨؛ *آلاء الرحمن*: ١٤٣/١.

٢. *شرح جهل حديث*: ٣٥١.

٣. *كشف الأسرار*: ٣٢٢.

وقد ورد التأكيد في كتاب *نامه ره عشق*[١] [*رسالة في طريق العشق*] على الأسرار بين العاشق والمعشوق لهذه الحروف.

هذا وقد احتمل المفسّرون احتمالات أُخرى في ذلك.

الفصل الثالث: لغة القرآن في بُعدي الظاهر والباطن

لقد طرحت حول لغة القرآن عدّة آراء واكتفى البعض فيها بظاهر القرآن فقط في مقابل البعض الآخر الذين أوّلوا الظواهر، وقالوا بالرمزيّة مكتفين بالباطن فقط. وفي إزاء هذين الرأيين أخذ بظاهر القرآن وباطنه معاً، وبذلك تكون النظريّات المطروحة في هذا المجال ثلاثة وهي كالآتي:

١. النظريّة الظاهرية في التفسير

لقد أقرّ البعض بضرورة فهم القرآن، لكن في مستوى الفهم الظاهري له، فجوّزوا فهم القرآن في حدود قراءة وفهم ظواهره والمعاني الظاهريّة لكلماته، وامتنعوا من الغور في المعارف التوحيديّة والآيات التي تتعلّق بالله تعالى والعرش، وسائر الدقائق القرآنيّة التي تظهر آثارها بوضوح في الأبحاث الكلاميّة وفي أُصول الفقه. وقد أشرنا باختصار إليها في بحث إمكان فهم القرآن.

قال العلّامة الطباطبائي في تفسير *الميزان*:

> لا توجد بين الصحابة أبحاث حول هذه الآيات، بل إنّ هؤلاء لم يتجاوزوا حدود الظواهر الدينيّة، حيث اكتفوا بها، ومشى على هذا النهج التابعين من الصحابة وقدماء المفسّرين.[٢]

وأشار الشهيد المطهري بعدما سلّط الضوء على هذه النظريّة قائلاً:

> يرى كبار أهل الحديث أمثال مالك بن أنس وأحمد بن حنبل حرمة السؤال والاستدلال في المسائل الإيمانية (العقائديّة) ويرون ذلك من البدع، واستمرّ الحال على ذلك بعد أبي الحسن الأشعري، وغلب الجمود الفكري على أصحاب الحديث على عالم التسنن واستمرّ ذلك فيما بعد أيضاً.[٣]

---

١. راجع: *نامه ره عشق*: ٢٩.

٢. *الميزان في تفسير القرآن*: ١٦١/٨.

٣. *آشنائى با علوم اسلامي بخش كلام*: ٤٦ ـ ٤٧.

وممّا قال في موضع آخر:

إنّ هؤلاء يدّعون بأنّ القرآن أجلّ شأناً من أن يتمكّن الإنسان من التفكير به والتأمّل في مضامينه، لاختصاص ذلك بالأنبياء والأئمّة الأطهار﵈ فهم الذين يحقّ لهم ذلك، وأمّا غيرهم فلا يحقّ لهم إلّا تلاوته.[١]

ويرى الإمام الخميني﵀ أنّ التمسّك بظاهر القرآن من قبل البعض يعدّ تقصيراً،[٢] ثُمّ يؤكّد بأنّ القرآن مظهر إلهي تامّ قد تجلّى في جميع الأسماء والصفات الإلهيّة، وأنّ الهدف الأساسي من نزوله هو التعريف بالحقّ تعالى. وأنّ عامة الناس قادرون على فهم بعض مراتبه والتنوّر بمعارفه، كما أنّ للخواص مراتب أعلى في فهمه والاستفادة منه.[٣]

كما ويؤكّد﵀ من جانب آخر على ضرورة التفكّر والتدبّر في آيات القرآن خصوصاً في بحث المعارف والعقائد وفي باب إثبات الصانع والتوحيد، وإثبات المعاد وغير ذلك.[٤]

وبهذا البيان يتّضح أنّ مسلك الإمام﵀ وجماعة آخرين من علماء الشيعة ومفسّري القرآن هو إمكان فهم القرآن في رتبة هي أعلى من [مرتبة فهم] الظواهر القرآنيّة، وأنّ بإمكان الإنسان ـ حسب قدرته واستعداده الإدراكي والعرفاني ـ فهم مراتب أعلى وأكثر عمقاً، ومن هنا انفتح باب البحث عن مراتب فهم القرآن، وسوف نتعرّض له في القريب إن شاء الله تعالى.

٢. النظريّة الرمزيّة في التفسير

لقد وجدت إزاء الاتّجاه الأوّل الذي يرى أنّ إمكانية فهم القرآن تقتصر على الظاهر، وأنّ الحصول على الجانب السّر ومايكتنفه في الباطن من أسر لا يمكن أن يفهمه غير الأئمّة المعصومين﵈، ظهر اتجاه آخر يرى إمكانية الحصول على أسرار القرآن المنطوي عليها في باطنه.

وهؤلاء صم ما يعرفون بـ«الباطنيّة والإسماعيليّة والمتصوفّة». لقد أعرب أصحاب هذا الاتجاه

---

١. *آشنائى با قرآن*: ٢٥/١.

٢. *شرح دعاى سحر*: ٩٨.

٣. *صحيفة إمام*: ٤٠٨/٢٠ ـ ٤٠٩.

٤. *آداب الصلاة*: ٢٠٣/٢٠٠ ـ ٢٠٤.

أنّ ظواهر القرآن ليست هي المقصودة في الدرجة الأُولى، وأنّ حقيقة الوحي الرباني هو وراء هذا الألفاظ الذي احتواها القرآن، وكلّ ما في الآخر أنّها رموز تدلّ على هذه الحقائق.

ومن هذا المنطلق تكلّف أصحاب هذا الاتّجاه في تأويل الآيات معتمدين على الذوق دونما قاعدة يعتمد عليها.

وقد أشار الشهيد المطهري إلى هذا المورد وسلّط الضوء ومنها هذه الآية ـ مع العلم أنّها جاءت في قصة إبراهيم ومسألة تضحيّة بابنه إسماعيل ﵇ ـ مع ذلك قال فيها أصحاب هذا الاتجاه ﴿يا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي ...﴾.[١] أنّ القرآن يقصد من «إبراهيم» «العقل» ومن «إسماعيل» «النفس»

وفي عبارة بديلة: إنّ العقل أراد أن ينحر النفس.

وفي هذا السياق لقد وجّه الشهيد المطهري نقداً على هذا الاتجاه جاء فيه:

> واضح أنّ هذا الاستنتاج والتكلّف هو تلاعب بالقرآن الكريم، ويدلّ على وجود فهم مسّمم بالانحراف، وبناء على هذا الانحراف أو الميول الشخصية أو الجماعيّة انطلق الرسول الأكرم قائلاً: «من فسّر القرآن برأيه فليتبوّء مقعده من النار».[٢]

وممّا ذكره الإمام الخمينيّ ﵀ وغيره في باب التفسير بالرأي[٣] ـ مضافاً إلى ما ذكر في الجمع بين الظاهر والباطن وتركيبية لغة القرآن ـ يتّضح جيّداً ردّ هذه النظريّة المذكورة.

٣. الظاهر والباطن (اللّغة التركيبيّة)

يرى كبار العلماء على مرّ تأريخ الإسلام أنّ القرآن ركّب من الظاهر والباطن معاً، وأكّدوا على أهميّة العلاقة بينهما. وقد لوحظ هذا الجانب بوضوح في نتاج الإمام الخمينيّ ﵀ والغزالي، وابن عربي والملّا صدرا.[٤]

وقد أكّدت روايات عديدة على وجود ظاهر وباطن للقرآن الكريم، ومن تلك الروايات ما روي عن النبيّ ﷺ، حيث قال:

> لكلّ آية ظهر وبطن، ولكلّ حرف حدّ، ولكلّ حدّ مطلع.[٥]

---

١. الصافات: ١٠٢.

٢. *آشنايى با قرآن*: ٢٧ـ ٢٨.

٣. *الميزان في تفسير القرآن*: ٧٦/٣ ـ ٧٧؛ *تفسير سوره حمد*: ٩٦.

٤. *إحياء علوم الدين*: ٩٩/١ ـ ١٠٠؛ *الفتوحات المكّيّة*: ١٥١/١؛ ٤١١/٤؛ *تفسير القرآن الكريم* (للملا صدرا): ٢٤٤/٧.

٥. *البرهان في علوم القرآن*: ٣٠/٢؛ *الإتقان في علوم القرآن*: ٢٢٥/٤.

وروي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال:

ما من آية إلّا ولها أربعة معان: ظاهر وباطن وحدّ ومطلع، فالظاهر التلاوة، والباطن الفهم، والحدّ هو أحكام الحلال والحرام، والمطلع هو مراد الله من العبد منها.[١]

وإنّ الإمام الخميني رحمه الله تبعاً للروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام يتّجه إلى الظاهر والباطن وأهميّة علاقة بينهما، وقال في الردّ على الاعتماد بأحد الموردين دون الآخر، مع الإشارة إلى لزوم العلاقة وأهميّتها القائمة بينهما بما يلي:

إنّ العارف الكامل هو الذي يحتفظ بجميع المراتب ويقرأ ظاهر الكتاب وباطنه، ويتدبّر في صورته ومعناه، وتفسيره وتأويله، فإنّ الظاهر بدون الباطن والصورة بلا معنىً، مثل البدن بلا روح، ودنيا بلا آخرة.

كما أنّ الباطن لا يمكن تحصيله إلّا عن طريق الظاهر، فالذي يأخذ بالظاهر فقط ويقف عليه يكون مقصّراً؛ لدلالة الآيات والروايات الكثيرة على مدح التدبّر في آيات الله والتفكّر في الكتب الإلهيّة وكلماتها، وذمّ من أعرض عن التدبر والتفكّر، والمتوقّف على ظاهر الآيات والروايات، والذي يتّخذ طريق الباطن فقط بلا نظر إلى الظاهر سوف يضلّ عن الصراط المستقيم ويُضلّ غيره.

وأمّا الذي يتّخذ الظاهر للوصول إلى الحقائق ويكون نظره إلى المرآة لأجل رؤية جمال المحبوب، فهذا قد سلك الطريق المستقيم، وتلا القرآن كما ينبغي... .[٢]

وقال أيضاً الإمام رحمه الله في كتاب «*شرح دعاء السحر*» في البحث عن المراتب السامية للكمال واستعداد السالك لتعلّم أرواح المعاني والبطون:

... من هذه الشجرة المباركة والمعين القراح التي تتفتّح أبواب التأويل على قلوب السالكين؛ ليدخلوا مدينة العلماء الراسخين الذين قد وضعوا طريق الحس وراء ظهورهم، ليرحلوا إلى منازل الكتاب الإلهي؛ لأنّ في القرآن منازل ومراحل وظواهر وبواطن أدناها تلك المحصورة في قشور الألفاظ، والمدفونة في مقبرة التعيّنات، كما ورد في الحديث: «للقرآن ظاهر وباطن وحدّ ومطلع».[٣]

وصرّح رحمه الله في موضع آخر:

كما أنّ لكتاب التدوين الإلهي ـ باعتبار ما ـ سبعة بطون، وبوجه آخر: سبعين بطناً لا

---

١. *تفسير الصافي*: ٣١/١.

٢. *شرح دعاى سحر*: ٩٨ـ٩٩.

٣. المصدر: ٧٠.

يعلمها إلّا الله والراسخون في العلم، وكذا الكتب التكوينيّة الإلهيّة سواء الكتب الأنفسية أو الكتب الآفاقية.

فأنت أيّها المسكين، اجتهد في طريق ربّك، وطهّر قلبك، واخرج من سلطان الشيطان، واتلُ كتاب ربّك وارتقِ، واقرأه بتفكّر وتأمّل، ولا تقف عند قشوره وظواهره، ولا تظنّ أنّ الكتاب السماوي والقرآن النازل الربّاني ليس سوى هذه القشور [السطحيّة] والصور [الظاهريّة].[1]

المقصود من ظاهر القرآن وباطنه

نظراً إلى ما ذكرنا سابقاً يتّضح أنّ المراد من ظاهر القرآن لا يكون مطلوباً لوحده، بل لا بدّ أن يكون مقروناً بالتعمّق والباطن، ولكن ما المراد من هذا الباطن؟

اتّضح ممّا مرّ سابقاً في ردّ نظريّة الرمزيّة ومسلك الباطنيّة، أنّ الباطن بمعنى الانفصال عن الظاهر والتأويل الذوقي للآيات غير صحيح، وأنّ ذلك ليس مراد علماء القرآن.

وفي هذا الصعيد هناك نظريتان نتطرّق لهما:

الأولى

هل المراد من الباطن ما يكون من سنخ المعاني والمفاهيم الذهنيّة التي يصل إليها الإنسان بواسطة التعقّل والتفكير، والاجتهاد العقلي ودقّة النظر وانشراح الصدر، فيكون التفسير مبيّناً لظاهر الآيات والتأويل مبيّناً لباطنها؟ أو هو ذاك المعنى الذي للآيات المفهوم بالدلالة التضمنيّة أو الدلالة الالتزاميّة للآيات؟ أو هو هذه الإشارات واللطائف والحقائق القرآنيّة المكنونة خلف ستار الألفاظ والتي يحصل عليها الإنسان بالتدبّر والتامّل؟

وجميع هذه الآراء تشترك في أمر واحد، وهو أنّها ترى الباطن من سنخ المعاني والمفاهيم.[2]

الثانية

وهي في مقابل النظريّة الأُولى، وهذه النظريّة اختارها جمع آخر من علماء العلوم القرآنيّة وهي أنّ لباطن القرآن حقيقة وراء اللفظ، وتلك الحقيقة ذات مراتب مخبوءة خلف ستار اللفظ، أمّا الألفاظ وظاهر القرآن، فهي لا تحكي إلّا عن المرتبة الأخيرة وقشورها.

وممّن قال بذلك الغزالي، وابن عربي، والملّا صدرا،[3] والإمام الخمينيّ ﵀، وقد حاول كلّ

---

١. المصدر: ٩٤ـ٩٥.

٢. *فصلنامه بحوث قرآنية*، مقالة (*راز ورمز ژرفاى قرآن*) سيّد موسى الصدر: العدد ٢٠، ٢١ ـ ٢٢.

٣. *إحياء علوم الدين*: ١/٢٨٠. ٢٨٩؛ *الفتوحات المكّية*: ١/١٠٨ ـ ٢٧٩؛ *تفسير القرآن الكريم* (للملا صدرا): ٤/١٦٦؛ *مفاتيح الغيب*: ٨٥ نقلاً عن كتاب *فهم القرآن*: ١/٣٩٠ـ٤١٠.

واحد منهم ـ بناءً على مسلكه العرفاني والأخلاقي أو الفلسفي ـ إثبات ذلك. ومجمل ما قيل فيه هو: إنّ الكلام الإلهي في بادئ الأمر عارٍ عن أي نحوٍ من التعيّنات بلحاظ صدوره من اللامتناهي، ولكن حيث إنّ هذا الكلام هو أرفع من مستوى إدراك جميع الموجودات نزل في عدّة مراحل ومراتب حتّى صار في حجاب الحروف والألفاظ ليكون قابلاً لفهم الإنسان ليشمله الفيض والرحمة الإلهيّة.

فالقرآن هو المرتبة النازلة من الكلام الإلهي، والمراحل الرفيعة فيه مستورة، بحيث كلّ واحدة من مراحله تختلف عن المرحلة التي سبقها.

وقد وافق الإمام الخمينيرحمه الله ـ تبعاً للفلسفة الصدرائية واتّجاهها العرفاني ـ على هذا القول، وأكّد عليه في عبارات مختلفة، فإنّه قال في تفسير سورة الحمد:

إنّ القرآن هو سرّ، وسرّ السرّ أيضاً... فلا بدّ من تنزّله حتّى يصل إلى هذه المراتب النازلة، فهو حتّى في ولوجه إلى قلب رسول اللهصلى الله عليه وآله كان قد تنزّل بعد ذلك أيضاً حتّى وصل إلى موضع يفهمه الآخرون أيضاً، على ذلك الفهم الذي عليه الإنسان، فالإنسان سرّ، وهوسرّ السرّ أيضاً فعندما يقال: (عالم الغيب)، (عالم ملائكة الله)، (عالم العقول) وغيرها من تعابير، فإنّ لها أيضاً سرّ وظاهر، ولها ظهور وبطون؛ لأنّ الباطن ظاهر للبطن التي تأتي بعده، فتكون النتيجة وجود ظهور وبطون متعددة.[1]

ثُمّ إنّ الإمام الخمينيرحمه الله في كتاب *شرح دعاء السحر* ـ بعد بيان الهدف من نزول القرآن وكيفيّة كشف سرّه للسالك ـ نقل عبارة عن ملّا صدرا يقول فيها:

قال صدر حكماء المتألّهين وشيخ العرفاء الكاملين في *الأسفار*:

اعلم أيّها المسكين، بأنّ هذا القرآن نزل من عند الحقّ تعالى إلى الخلق بألف حجاب؛ لأنّ أبصار القلوب ضعيفة، والأبصار عاجزة عن رؤية نوره، ولو أنّ باء باسم الله نزلت ـ فرضاً ـ بما لها من عظمة في اللوح إلى العرش لانهار العرش من عظمتها وفنى.[2]

ثُمّ قال مضيفاً:

إنّي أقول: إنّ كتاب التكوين الإلهي والقرآن الرباني الناطق نزل من عالم الغيب والخزائن الإلهيّة المكنونة بسبعين ألف حجاب لكي يحمل هذا الكتاب التدويني الإلهي ويحرّر النفوس الأسيرة من سجن الطبيعة والطبع وجهنم الطبيعة. فهذا الكتاب

---

١. *تفسير سورة الحمد*: ١٦٥ ـ ١٦٧.

٢. *شرح دعاى سحر*: ٩٣.

التكويني الإلهي وجميع أولياء الله هم كتب سماويّة نازلة من لدن حكيم عليم، وهم حملة القرآن التدويني، ولا طاقة لحمله إلّا هؤلاء الأولياء المرضيين، فقد روي عن الإمام الباقر، أنّه قال: «ما يستطيع أحد أن يدّعي أنّ عنده جميع القرآن، كلّه ظاهره وباطنه غير الأوصياء».[1][2]

النتيجة: يرى الإمام الخمينيّ عدم صحّة الاكتفاء بالظاهر دون الباطن، ويعتقد بالجمع بينهما مؤكّداً على العلاقة والصّلة بين الظاهر والباطن، وعلى أنّ طريق الباطن يمرّ من الظاهر.

الفصل الرابع: مراتب فهم القرآن

نظراً لما تقدّم سابقاً حول موضوع ظاهر القرآن وباطنه، وبيان المراد من الباطن اتّضح جيّداً أنّ باطن القرآن، ومراتب ودرجات كثيرة ومختلفة، وبناءً على كلا النظريّتين في معاني باطن القرآن يكون لمراتب فهم القرآن معنى، سواءً اعتبرنا الباطن من سنخ المفاهيم والمعاني أو من الحقائق التي تنزّل بها القرآن في مراتب. وإن كان بناءً على النظريّة الأخيرة يطرح فهم القرآن بشكل أكثر عمقاً وسعة.

ومراتب الفهم حسب المدلول المطابقي هي ألفاظ الآيات، يقول العلّامة الطباطبائي لتوضيح هذا الجانب:

إن اشتمال الآيات القرآنيّة على معانٍ مترتبة بعضها فوق بعض وبعضها تحت لواء بعض ممّا لاينكره إلّا من حُرم نعمة التدبر، إلّا أنّها جميعاً ـ وخاصّة لو قلنا: إنّها لوازم المعنى ـ مداليل لفظية مختلفة من حيث الانفهام وذكاء السامع المتدبّر وبلادته.[3]

وقال أيضاً في موضع آخر:

إنّ للقرآن مراتب مختلفة من المعنى مترتبة طولاً من غير أن يكون الجميع في عرض واحد، فيلزم استعمال اللفظ في أكثر من معنى واحد، أو مثل عموم المجاز، ولا هي من قبيل اللوازم المتعدّدة لملزوم واحد، بل هي معانٍ مطابقية يدلّ كلّ واحد منها على اللفظ بالمطابقة بحسب مراتب الأفهام.[4]

---

١. المصدر: ٩٣ ـ ٩٤.

٢. *الكافي*: ٢٢٨/١، ح:٢.

٣. *الميزان في تفسير القرآن*: ٤٨/٣.

٤. المصدر: ٦٤.

وقد شاطره في هذا الاتّجاه علماء آخرون كالشيخ جوادي الآملي.[١]

وأشار الإمام الخميني ﷺ أيضاً في عدّة موارد إلى هذا النوع من تعدّد الفهم ومراتبه، حيث يرى أنّ القرآن كتاب يمكن للجميع الانتفاع به، فيأخذ كلّ واحد بقدر فهمه وسعته الوجوديّة، فالعامي والعالم والفيلسوف والعارف والفقيه كلّهم ينهلون من فيضه.[٢]

وإلى جانب مراتبيّة الفهم الحاصل من جهة دلالة الألفاظ أكّد جماعة على مراتب فهم القرآن بحسب مراحل تنزّله والحقائق الموجودة خلال هذه المراحل وقد صرّح الإمام الخميني ﷺ بهذا المعنى، وذهب إلى أنّ للقرآن مراتب فهم أيضاً، قال ﷺ:

> إنّ القرآن تنزّل وجاء به الروح الأمين بيده... وعندما يدخل إلى قلبه لا بدّ أن يتنزّل إلى مراتب [فينتقل] من هذه البطن، إلى تلك البطن ومن ذلك الحدّ إلى الحدّ آخر حتّى أن يصل إلى الصورة والهيئة اللفظية [التي هو عليها الآن].[٣]

وقال ﷺ أيضاً:

> إنّ القرآن نزل وتنزّل فوصل إلى موضع يخاطب هؤلاء الناس في أسرهم وضلالتهم، ولم يسمح للنبيّ ﷺ بإيصال الحقيقة إليهم إلّا أن يتنزّل تنزّلاً.
>
> إنّ للقرآن مراتب، فله سبعة بطون أو سبعين بطناً، فهو تنزّل من هذه البطون حتّى وصل إلى موضع صار يتكلّم فيه معنا.[٤]

وبهذه العبارات يتّضح جيداً أنّ الإمام ﷺ يعتقد أنّ للقرآن وفهمه مراتب وجودية، وأنّ لفهم القرآن ـ بحسب مراتبه الوجوديّة والحقائق الحاصلة له في مراحل التنزّل ـ مراتب مختلفة، لذا فهو ﷺ من أجل الوصول إلى حقيقة القرآن نجده يؤكّد على إدراك مراتب القرآن وإمكانية فهمه بعمق، بمعنى أنّ إدراك هذه المراتب لا يرتبط بالإدراك العقلي والبرهاني، بل القضيّة هي قضيّة مشاهدة غيبيّة، وليست هي مشاهدة بواسطة العين الباصرة والنفس والعقل، والقلب المجرّد، بل مشاهدته بواسطة قلب الماهية هو يكون قلب العالم، وهو قلب النبيّ ﷺ . فكان ينقل ما يدركه ولكن لا كلّ ما يدركه؛ إذ لم يكن نقل كلّ تلك الحقائق أمراً ميسوراً.[٥]

---

١. تسنيم: ١/٤٠.

٢. راجع: *صحيفة إمام*: ١٤/٣٨٧.

٣. *تفسير سوره حمد*: ١٣٨، ١٣٩.

٤. المصدر: ١٣٦.

٥. راجع: المصدر: ١٤١.

إنّ القرآن الكريم ـ بناءً على تعبير الإمام الخميني ـ مائدة كبيرة بإمكان الجميع الاستفادة منها، وكلّ شخص يأخذ منها بقدر طاقته وسعته الوجوديّة، فتختلف بالطبع مقدار هذه الاستفادة، والأشخاص يفهمون من الآيات الإلهيّة مراتب مختلفة.

وقد أكّد أيضاً في كتاب *شرح دعاء السحر* على أنّ القرآن ليس فقط هذه القشور، ولو أنّ شخصاً اكتفى بظاهر القرآن وهيئته ولم يصل إلى مخّ القرآن وباطنه، فسوف يخطئ الطريق ويهلك، وأنّ الاكتفاء بالظاهر هو أساس الجهل كلّه وإنكار النبوّة والولاية.[1]

وكان يرى أنّ أوّل من اكتفى بالظاهر وغضّ الطرف عن الباطن هو الشيطان؛ لأنّه نظر إلى ظاهر آدم فاشتبه عليه حقيقة الأمر، أنّه نظر إلى ظاهر آدم الذي كان من تراب وطين، وغفل عن النظر إلى مقامه النوراني وروحانيّة باطنه.[2]

ويكون من الطبيعي أن يتمكّن الإنسان من فهم جميع مراتب القرآن إذا كان باستطاعته الوقوف على ظاهر وباطن القرآن الكريم، إلّا أنّ استيعاب وفهم الباطن بشكل مستقلّ وكامل لا يتيسّر لكلّ الناس إلّا بتبع الكشف التامّ للحضرة الخاتمة والاتصال بالحقائق والمعارف الواصلة عنه.[3]

إذاً بناءً على مايرى الإمام أنّ للقرآن ظاهر وباطن، وأنّ للباطن مراتب مختلفة، و أنّ فهم المراتب الباطنيّة للقرآن مشروط بالإيمان والتقوى. وسوف يأتي الحديث في ذلك لاحقاً.

الفصل الخامس: شروط فهم القرآن

إنّ الفهم الصحيح والتامّ للآيات الإلهيّة يتطلّب شروطاً وضوابط لا يمكن في إنكارها لفهم حقيقة هذا الكتاب الإلهي العظيم، وسنشير إلى بعض تلك الشروط بناء على ما ورد في كلام الإمام ونتاجه، وهي كالتالي:

١. طهارة الباطن

كما أنّ لمس ظاهر آيات القرآن الكريم لا يجوز بلا طهارة ووضوء، كذلك لا يمكن لمس معارفها وحقائقها والاطّلاع على بواطنها لمن كان قلبه ملوّث بالذنوب والغمرة الدنيويّة

---

١. راجع: *شرح دعاى سحر*: ٩٥.

٢. المصدر: ٩٥.

٣. راجع: *آداب الصلاة*: ١٨١.

المادّية، ولم يكن قد تطهّر بنور الإيمان والعرفان. وفي هذا قال تعالى في سورة الواقعة: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾.[1]

وفي تفسير هذا الآية، قال العلّامة الطباطبائي متحدّثاً:

المعنى: لا يمسّ الكتاب المكنون الذي فيه القرآن إلّا المطّهرون، أو لا يمسّ القرآن الذي في الكتاب إلّا المطهرون... والمطهَّرون ـ اسم مفعول من التطهير ـ وهم الذين طهّر الله تعالى نفوسهم من أرجاس المعاصي وقذارات الذنوب، أو ممّا هو أعظم من ذلك وأدق وهو تطهير قلوبهم من التعلّق بغيره تعالى، وهذا المعنى من التطهير هو المناسب للمس الذي هو العلم دون الطهارة من الخبث أو الحدث، كما هو ظاهر.[2]

ويرى الإمام ﵀ في بيان المراد من الآية المذكورة شمولها لطهارة الظاهر والباطن، ويقول ﵀ في ذلك:

من يريد الاستفادة من معارف القرآن والانتفاع بالمواعظ الإلهيّة عليه أن يطهّر القلب من هذه الأرجاس ويفرّغه من لوث المعاصي القلبيّة المتمثّلة بالاشتغال بغير الحقّ تعالى، فغير المطهَّر من الذنوب لا يؤتمن على الأسرار، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾،[3] فكما أنّ مسّ ظاهر هذا الكتاب أمرٌ محرّم تشريعاً وتكليفاً ـ على غير طاهر الظاهر في عالم الظاهر كذلك معارف القرآن الكريم ومواعظه وباطنه وسرّه محرّمة على من كان قلبه ملوّثاً بأرجاس التعلّقات الدنيويّة...

فغير المؤمن المتّقي ـ بحسب تقوى وإيمان العامّة ـ محروم من الأنوار الصوريّة لمواعظ القرآن وعقائده الحقّة، وغير المتّقي وغير المؤمن بحسب المراتب الأُخرى للتقوى، وهي تقوى الخاصّة، وخاصّة الخاصّة، وأخصّ الخواص، محروم من المراتب الأُخرى لمعارف القرآن ومواعظه.[4]

[وقال في كتاب شرح *دعاء السحر* أيضاً مؤكّداً على هذه النقطة:]

إذا كنت ذا قلب منوَر بالأنوار الإلهيّة، وذا روح مستضيئة بالأشعة الروحانيّة، أو أضاء زيت قلبك، ولو لم تمسسه نار التعاليم الخارجيّة، وكنت مستكفياً بالنور الباطني الذي يسعى بين يديك، لانكشف لك سرّ الكتاب الإلهي بشرط توفّر الطهارة اللّازمة في مسّ حقائق القرآن.[5]

---

١. الواقعة: ٧٧ ـ ٧٩.

٢. *الميزان في تفسير القرآن*: ١٣٧/١٩.

٣. الواقعة: ٧٧ ـ ٧٩.

٤. *آداب الصلاة*: ٢٠٢.

٥. شرح *دعاء السحر*: ٥٦ ـ ٥٧.

٢. انشراح الصدر

ذكر الإمام الخمينيرحمه الله انشراح الصدر بصفته أحد المواهب الإلهيّة بعد حصول المعرفة بالحقّ تعالى التي هي مفتاح فهم القرآن وتأويله للسالك.

وقالرحمه الله في كتاب شرح *دعاء السحر*:

أفضل شيء للسالك دخوله إلى الحقّ بقدم المعرفة من عالم الملكوت، وأكبر شيء على المهاجر من أرض الظالمين ما يفاض عليه من حضرة الجبروت، وأنفس الخِلع بعد خلع اللباس الترابي ما يلبسه من قبل الوادي المقدّس والبقعة المباركة، وأحلى شيء يشربه بعد قلع الشجرة الملعونة لعالم الطبيعة ما يشربه من شجرة الفردوس المباركة في الجنّة انشراح صدره لأرواح المعاني وبطونها وسرّ الحقائق ومكنونها، وانفتاح قلبه لتجريدها عن قشور التعيّنات وبعثها من قبور الهيئات المظلمات ورفضها لغبار عالم الطبيعة وإرجاعها من الدنيا إلى الآخرة.[١]

٣. المذاق العرفاني

لقد أكّد الإمام الخمينيرحمه الله على كينونة المذاق العرفاني بصفته أحد أهمّ شروط فهم القرآن وأشار إلى أنّ فهم القرآن والمعارف الإسلاميّة بحاجة إلى وجود ذوق عرفاني ورياضات كثيرة، ليتمكّن الإنسان من فهم معنى (ناجيتُه)

ومن هذا المنطلق يشيررحمه الله إلى أنّ القرآن ومناجاة الأئمّة الأطهارعليهم السلام مشحونة بالمسائل العرفانيّة، بحيث لو لم ينظر الإنسان إليها من هذه الزاوية سوف لا يُدرك معناها الحقيقي، نعم، قد يفهم الفلاسفة والعرفاء شيئاً منها إلى حدّ ما إلّا أنّه مع فقدان الذوق العرفاني اللّازم لا يمكن لهؤلاء وجدان تلك الحقائق وتحصيلها.[٢]

وفي موضع آخر يرتأيرحمه الله أنّ من لوازم كتابة التفسير الالتفات إلى هذا الجانب وهو أنّ هذا الكتاب هو كتاب معرفة وأخلاق، ودعوة إلى السعادة والكمال، والمفسّر الذي يغفل عن هذه الجهة أو يصرف النظر عنها أو لم يهتمّ بها، فقد غفل عن مقصود القرآن ومراده الأصلي الذي من أجله تمّ إنزال الكتب وإرسال الرسل بصورة عامّة.

---

١. المصدر: ٣٧.

٢. *صحيفة إمام*: ٤٥٧/١٧.

٤. التدبّر والتعمّق

ورد في حديث شريف أنّ بعض الآيات لا يفهمها إلّا المتعمّقون في آخر الزمان، وفي الحديث إشارة إلى أنّ أحد شروط الفهم والوصول إلى حقائق معاني القرآن هو التعمّق والتفكّر في الآيات الشريفة، وهو ممكن في ظلّ المعارف الإلهيّة، وكسب الفضائل، والسير في مدارج العرفان.

وفي هذا الصعيد لقد سئل علي بن الحسين عليه السلام عن التوحيد، فقال: «إنّ الله عزّ وجلّ علم أنّه [يأتي] في آخر الزمان أقوام متعمّقون فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، والآيات من سورة الحديد إلى قوله: ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، فمن رام وراء ذلك، فقد هلك».[1]

وقال الإمام الخميني رحمه الله في شرح هذا الحديث الشريف:

يُعلم من هذه الآيات الشريفة أنّ التوحيد وتنزيه الحقّ تعالى، والبعث ورجعة الموجودات [يوم المعاد] كلّ هذه مما وردت في الآيات، وأنّه [أي: القرآن] نازل لأصحاب التعمّق وذوي الفكر الدقيق.[2]

وقد أمر القرآن الكريم في آيات عدّة[3] الإنسان بالتدبّر في القرآن والآيات الإلهيّة، وورد في حديث شريف أنّ: «آيات القرآن خزائن، فكلّما فتحت خزينة ينبغي لك أن تنظر فيها».[4]

٥. التعرّف على لغة القرآن ووضع الألفاظ لروح المعاني

من الموارد الأُخرى المؤثّرة جداً في فهم القرآن هو التعرّف على لغة القرآن وأُسلوب تكلّم الله تعالى مع الإنسان. وقد تقدّم الحديث عن هذا في الفصول السابقة، والجدير بالذكر هو الوقوف على معرفة وضع الألفاظ لروح المعاني. وقد أكّد العلّامة الطباطبائي رحمه الله في مقدّمة *تفسير الميزان*:

إنّ ذهن الإنسان يتعامل دائماً مع المصاديق الماديّة والملموسة للألفاظ، فاللفظ يحمله على المصداق الموجود، لكن لا بدّ من الالتفات إلى أنّ المعاني والمسمّيات الماديّة للألفاظ هي دائماً في تغيّر وتكامل، وتتبدّل من صورة إلى أُخرى. فقد كان

---

١. *الكافي*: ٩١/١، الحديث:٣.

٢. شرح *چهل حديث*: ١٩٤.

٣. محمد صلى الله عليه وآله: ٢٤؛ ص: ٢٩؛ المؤمنون: ٦٨؛ النساء: ٨٢.

٤. شرح *چهل حديث*: ٤٩٧.

يطلق قديماً لفظ السراج: على وعاء خاصّ فيه زيت وفتيلة معاً، ويطلق اليوم على الأسرجة الكهربائيّة.

وكذا بالنسبة للفظ الميزان أو الأسلحة التي تغيّرت مصاديقها كثيراً، وقد يتغيّر معنى بعض الألفاظ إلى حدّ يفقد فيه اللفظ جميع أجزاء المعنى الأوّل، لكن مع ذلك يكون ذلك الاسم باقياً على حاله؛ لأنّ المراد الأساسي هو النتيجة والفائدة لا الشكل والصورة، فمثلاً كان الغرض من السراج: [هو] الضياء، ومن الميزان: [هو] معرفة الوزن، ومن الأسلحة: [هو] الدفاع ومواجهة العدو، وهذه الفائدة باقية إلى اليوم، فتكون أسماؤها باقية أيضاً.

وهذا الموضوع يسمح للعلماء ألّا يكتفوا بفهم المصاديق العادية وأن يفتحوا باب البحوث العلميّة في فهم معاني الآيات.[1]

وذهب الإمام الخمينيّ أيضاً إلى أنّ للآيات القرآنيّة ومفاهيمها وألفاظها إلى نوع من التوسعة المعنويّة والمفهوميّة، حيث صرّح قائلاً:

إنّ الألفاظ وضعت لأرواح المعاني وحقائقها، وإنّ التدبّر فيها هو مفتاح مفاتيح المعرفة، وأصل أُصول فهم الأسرار القرآنيّة.[2]

٦. شرط القدرة والاستعداد العلمي

صحيح إنّ فهم مراتب القرآن وبعض آياته أمر يمكن أن يتيسّر للجميع، لكن لو أردنا أن نفهم جميع الآيات القرآنيّة فهماً صحيحاً، ونتعرّف على معانيها الحقيقية، ويكون لنا تفسير صحيح عنها، لا بدّ أن يتناسب علمنا مع هذا الكتاب العميق الغور ومع معارفه السامية؛ ومن هذا المنطق فإنّ الاعتماد المعلومات والقدرات العلميّة اللّازمة كانت من اهتمامات الإمام الخمينيّ، وكان يحذّر من دخول من لا معرفة له في التفسير ومن الاستنتاجات الشخصيّة، وفي هذا قال:

يفهم من كلام مؤلّفات والبعض ممّن تأثّر بالمدارس المنحرفة، ولا معرفة له بالأحكام والمعارف الإسلاميّة، أنّه فسّر آيات القرآن الكريم ونصوص الأحاديث برغبته وفقاً مع اتّجاه تلك المدارس، وهولم يعلم بأنّ مدارك الفقه الإسلامي تبتني على أساس تحتاج فيه إلى درس وبحث وتحقيق طويل، وأنّه بهذه الاستدلالات الجالبة للضحك

---

١. *الميزان في تفسير القرآن*: ١/٩ـ١٠.

٢. *مصباح الهداية*: ٣٩.

والسخرية مع وجود سطحيّتها لا يستطيع فهم المعارف السامية والإسلاميّة العميقة، بغضّ النظر عن الأدلّة المعارضة ودراسة جميع الجوانب.[١]

إنّ القدرة العلميّة هي من جملة شروط الفهم الصحيح للقرآن وتفسيره، وقد ذكرت في تصانيف الباحثين في العلوم القرآنيّة علوم مختلفة بعنوان مقدّمات وما يحتاج إليه المفسّر في التفسير.

فقد ذكر السيوطي في كتاب *الإتقان في علوم القرآن* خمسة عشر مورداً من موارد مقدّمات التفسير[٢] ابتداءً بالعلوم الأدبيّة والعربيّة، وانتهاءً بتاريخ الإسلام وأسباب النزول والحديث والفقه، والعقائد والكلام و...،

وأمّا الخامس عشر منها فهو عبارة عن العلوم الموهوبة، وهي ليست من العلوم بالمعنى المصطلح.

وقد نهى الإمام الخميني رحمه الله في موضع آخر من كلامه الشباب عن الدخول قبل كسب هذه المقدّمات، فقال في تفسير سورة الحمد:

أقول: إنّ الذين ليس لديهم مستوى علمي رصين، وكذلك والشباب الذين لا معرفة لهم بهذه الأمور وخاصّة الإسلاميّة، والذين لا علم لهم بمعارف الإسلام، لا ينبغي لهم الدخول في تفسير القرآن.[٣]

وجاء عن الشهيد المطهري في كتابه *آشنائى با قرآن* قوله:

لو أراد أحد الوقوف على آيات القرآن وعلى المقاصد والمداليل، فإنّ ذلك لا يمكن بدون معرفة اللغة العربيّة؛ لكونها آلة ووسيلة.[٤]

الفصل السادس: موانع وحُجب الاستفادة من القرآن الكريم

بديهي أنّ الحصول على فهم حقائق القرآن فهماً صحيحاً ـ مضافاً إلى ما ذكرنا في بحث الظاهر والباطن، ونظراً إلى شروط فهم القرآن ـ ليس إلّا التجرّد عن موانع وحجب فهم القرآن، وقد أشرنا في مباحث العلوم القرآنيّة إلى ما يعيق فهم القرآن، حيث قسّمناها إلى أقسام عديدة، وقد أُكّد في فهم القرآن على رفع هذه الموانع.

---

١. *صحيفة إمام*: ٣٠٩/٩.

٢. *صحيفة إمام*: ٣٠٩/٩.

٣. *تفسير سوره حمد*: ٩٥ ـ ٩٦.

٤. *آشنائى با قرآن*: ١ و٢٠/٢.

وقد أشار الإمام الخمينيﷺ في كتاب *آداب الصلاة،*[١] كما أشار الغزالي، وملّا صدرا وغيرهما[٢] إلى هذا الجانب، فقد أوصى كلّ منهم إلى من يريد الاستفادة من القرآن الالتفات إلى هذه الموانع، ثُمّ وضع آداب وضوابط في هذا الصعيد لكي يفهم القرآن فهماً صحيحاً، وإليك بعض هذه الموانع:

١. حجاب العُجب والغرور

قال الإمام الخمينيﷺ:

أحد الحجب الكبيرة التي تجعل الشخص المتعلّم يرى نفسه مستغنياً لا حاجة له للاستفادة هو حجاب (العجب) الذي يعدّ من مكائد الشيطان الخطيرة، فيجعل أهل التجديد ـ مثلاً ـ قانعين بهذا الفنّ البسيط، ويصوّر لهم أنّ لهذا العلم محاسن كثيرة تفوق ما للعلوم الأُخرى، وأنّهم يمثلون مصداق حملة القرآن فيحرمهم من فهم الكتاب الإلهي النوراني والاستفادة منه. وهكذا أهل العلوم الأدبيّة فيقنعهم الشيطان بهذا الجانب الأجوف، ويصوّر لهم أنّ كلّ الشؤون القرآنيّة تنحصر فيما يمتلكونه لا غير، كما يشغل أهل التفسير ـ بالنحو المشهور ـ بوجوه القراءات، والآراء المختلفة للغوّيين، وأوقات النزول، وشأن النزول، والمكّي والمدني من الآيات، وعدد الآيات والحروف، وأمثال هذه الأمور.[٣]

وقال أيضاً في موضع آخر:

ما دام الإنسان في حجاب نفسه لا يستطيع إدراك هذا القرآن الذي هو نور على حدّ تعبير القرآن نفسه، فالذين هم في حجاب لا يمكن أن يُدركوا هذا النور، وما لم يخرج الإنسان من حجاب نفسه المظلمة، وما دام هو مبتلى بأهوائه النفسانيّة ومبتلى بالعجب وبالأمور التي أوجدها في باطن نفسه، ولم يخرج من ظلمات بعضها فوق بعض، سوف لا يكون مؤهّلاً لانعكاس هذا النور الإلهي في قلبه.[٤]

٢. حجاب الاصطلاحات

ومن الحجب الأُخرى التي تمنع من الفهم الحقيقي للقرآن في رأي الإمامﷺ

---

١. *آداب الصلاة*: ١٩٥.

٢. *إحياء علوم الدين*: ٢٨٠/١؛ *مفاتيح الغيب*: ٥٨؛ *الإتقان في علوم القرآن*: ٢٢٦/٤؛ *فهم القرآن*: ٣١٩/١ـ٣٢٢.

٣. *آداب الصلاة*: ١٩٥.

٤. *صحيفة إمام*: ٣٨٨/١٤ـ٣٨٩.

استعمال الاصطلاحات، ويقول رحمه الله في هذا الجانب متحدّثاً:

بل إنّه [يعني: الشيطان] يحبس حتّى الفلاسفة أو الحكماء أو العارفين ـ بالمعنى المصطلح عليه ـ في محبس الحجب الكثيفة للمصطلحات والألفاظ وأمثالها.[1]

٣. الجمود على أقوال المفسّرين

يرى الإمام رحمه الله أنّ من الحجب الأُخرى الحائلة دون فهم القرآن هو أن يظنّ الشخص بأنّه لايجوز لأحد الاستفادة من القرآن سوى ما كتبه المفسّرون أو فهموه من القرآن الكريم، وفي هذا الاعتقاد خلط بين التفكّر والتدبّر في الآيات الكريمة من جهة، وبين التفسير بالرأي المنهي عنه من جهة أُخرى.

وبهذا الرأي البعيد عن الصواب والعقيدة الخواء يجرّد القرآن الكريم من كافة أنواع الإفادة، ويصبح مهجوراً تماماً، والحال أنّ الاستفادة الأخلاقيّة والإيمانيّة والعرفانيّة لا ترتبط بالتفسير أساساً، فما بالك بارتباطها بالتفسير بالرأي؟[2]

فهو رحمه الله ـ في الوقت الذي يكنّ فيه كامل الاحترام والتقدير لجهود المفسّرين ـ يعترف بأنّ ما كتب في التفسير هو جانب من معارف القرآن، وأنّ في هذه التفاسير نقص كبير، فإنّ أكثر التفاسير نظرت إلى القرآن من بُعد خاصّ، وأنّها كشفت عن ستار واحد وطبقة واحدة، وليس القرآن هو ما كتبه هؤلاء.[3]

٤. الآراء والعقائد الفاسدة

من الحجب الأُخرى المانعة عن فهم القرآن في رأي الإمام رحمه الله الآراء الفاقدة للصّحة والمسالك والمذاهب الخواء، ويقول في بيان منشأ ذلك:

من الحجب الأُخرى حجاب الآراء الفاقدة للصحّة والمسالك والمذاهب الخواء التي نشأت من سوء استعداد الشخص نفسه أحياناً، ومن الاتّباع والتقليد في أغلب الأحيان.

ثمّ يضرب رحمه الله مثالاً لهذا المانع، فيقول:

إذا ترسّخ في قلوبنا اعتقاد فاسد نتيجة التلقّي عن الأب والأُم أو بعض الجهّال من أهل المنبر مثلاً، فإنّ هذا الاعتقاد يصبح حاجباً بيننا وبين الآيات الإلهيّة الشريفة، ولو أنّ

---

١. *آداب الصلاة*: ١٩٥ ـ ١٩٦.

٢. المصدر: ١٩٩.

٣. *تفسير سوره حمد*: ٩٢.

آلاف الآيات والأحاديث الشريفة وردت بما يعارض ذلك الاعتقاد لعمدنا إلى صرفها عن ظاهرها، أو عدم النظر إليها نظرة إدراك.[١]

ويرى أنّ الآراء الشخصيّة الناشئة من الذوق الشخصي والمقاصد والاعتقادات المنحرفة لهؤلاء أمر غير صحيح ويؤدّي إلى التفسير بالرأي، وقال في ذلك متحدّثاً:

ظهر أخيراً جماعة ليسوا من أهل التفسير أصلاً أرادوا أن ينسبوا مقاصدهم إلى القرآن والسنّة، حتّى إنّ جماعة من اليساريّين والشيوعيّين حاولوا التمسّك بالقرآن لدعم مقاصدهم، فليس لهؤلاء بالتفسير ولا حتّى بالقرآن أيّ حاجة، إنّما يريدون إغواء شبابنا بآرائهم باسم الإسلام ...

ومن الأُمور الممنوعة في الإسلام التفسير بالرأي، وهو أن يطبّق كلّ شخص آراءه الشخصيّة على آيات من القرآن، ثمّ يفسّر القرآن ويؤوله برأيه.[٢]

٥. حبّ الدنيا والمعاصي

من الحجب الأُخرى التي يعبّر عنها الإمام بالحجب السميكة الحائلة بين الإنسان والمعرفة القرآنيّة حجاب (حبّ الدنيا) وبواسطة هذا الحجاب يكون الحبّ في القلب كلّه للدنيا، فتكون الوجهة في القلب دنيويّة، فيكون الإنسان غافلاً عن ذكر الله، ومعرضاً عن الذكر والمذكور.

وقد أكّد الإمام على أنّ العلاقة بالدنيا وحبّها كلّما ازدادت، كلّما كان الحجاب أكثر سمكاً، حتّى أنّ هذه العلاقة تغلب أحياناً على القلب، ويتسلّط سلطان حبّ الجاه والشرف على القلب فيطفأ بذلك نور فطرة الله تماماً وتغلق أبواب السعادة بوجه الإنسان.

ولعلّ أقفال القلب الواردة في الآية الشريفة ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾،[٣] هي هذه الأقفال والعلائق الدنيوية.[٤]

إنّ كتاب الهداية هذا هو للمتّقين،[٥] ومن كان قلبه غير طاهر وملوثاً، وغير مطهّر، فإنّه لا يكون محلّاً للأسرار.

---

١. *آداب الصلاة*: ١٩٦ ـ ١٩٧.

٢. *تفسير سوره حمد*: ٩٣؛ *تبيان*، الدفتر الثالث عشر: ١٧١.

٣. محمّد: ٢٤.

٤. *آداب الصلاة*: ٢٠١. ٢٠٢؛ *تبيان*، الدفتر الثالث عشر: ١٣٧.

٥. البقرة: ٢، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾.

الفصل السابع: الفهم الكامل للقرآن من قِبَلِ العلماء الواقعيّين

من البديهي أنّ الفهم التامّ للقرآن لا يمكن إلّا للإنسان الكامل أو الأولياء الإلهيّين، وليس بمقدور لغيرهم على أساس فهم الحقيقة التامّة. فقد ورد في *الكافي* في خبر عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال:

ما يستطيع أحد أن يدّعي أنّ عنده جميع القرآن كلّه، ظاهره وباطنه، غير الأوصياء.[١]

وجاء في هذا الصعيد حديث مبارك آخر منه يقول عليه السلام فيه:

إنّما يعرف القرآن من خُوطب به... .

قال الإمام الخميني رحمه الله في بيان هذه النقطة وكيفيّة إمكان إدراك حقائق القرآن:

إنّ المحدّد لا يمكنه الإحاطة بغير المحدّد، إلّا أن يكون هو الآخر غير محدّد، والإنسان الكامل غير المحدّد هو إنسان اكتمل في جميع الصفات، وهو ظِلّ الذات الإلهيّة المقدّسة، وهذا هو الذي يفهم الإسلام كما هو، ويفهم الإنسان كما هو، والبعثة كما هي، والقرآن كما هو، والعالم كما هو، وللآخرين ـ بحسب مراتب وجودهم وبحسب مراتب كمالهم ـ إدراك وفهم لكنّه محدّد أبداً.[٢]

وقد أشار رحمه الله في سياق هذه الدلالة إلى اتّحاد حقيقة القرآن مع حقيقة النبيّ صلى الله عليه وآله، وتحدّث قائلاً في هذا الصعيد:

إنّ إدراك عظمة أيّ أمر بإدراك حقيقته، وحقيقة القرآن الإلهي المجيد قبل تنزّله إلى المنازل الخلقية وارتدائه أردية الفعليّة من الشؤون الذاتيّة والحقائق العلميّة للحضرة الواحديّة، وهو حقيقة الكلام النفسي المتمثلة في المقارعة الذاتيّة في الحضرات الأسمائيّة، وهي حقيقة لا يحصل عليها أحد لا بالعلوم الرسميّة ولا بالمعارف القلبيّة ولا بالمكاشفة الغيبيّة إلّا بالمكاشفة الإلهيّة التامّة للذات المباركة للنبيّ الخاتم صلى الله عليه وآله في محفل أنس ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾، بل في محفل خلوة سرّ مقام ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾.[٣]

ويرى رحمه الله أنّ كيفيّة فهم أولياء الله للحقيقة القرآنيّة إنّما يتمّ عبر الاشتراك مع تلك الذات [المحمّديّة] المقدّسة، وبسبب التبعيّة التامّة لتلك الحضرة والفناء فيها، ويقول في هذا المجال:

وآمال الأُسرة الإنسانيّة قاصرة عن بلوغ ذلك باستثناء الخلّص من أولياء الله عليهم السلام الذين اشتركوا مع روحانيّة ذات النبيّ الخاتم صلى الله عليه وآله المقدّسة ـ بحسب الأنوار المعنويّة

١. *الكافي*: ١/٢٢٨، ح٢.

٢. *صحيفة إمام*: ١٢/٤٢٠.

٣. *آداب الصلاة*: ١٨١.

والحقائق الإلهيّة ـ وفنوا في تلك الحضرة بالتبعيّة التامّة، فهم يتلقّون علوم المكاشفة بالوراثة عنه صلى الله عليه وآله، فانعكست حقيقة القرآن في قلوبهم...

وإنّ مَن يستطيع تحملَ هذا القرآن هو الوجود الشريف لولي الله المطلق الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام... .[1]

وذكر رحمه الله القرآن في موضع آخر بصفة سماويّة، ألا وهي الغيب الذي هو الصورة العينيّة والكتبيّة لجميع الأسماء والصفات والآيات والبينات التي تقصر أيدي الناس عن نيل مقاماتها الغيبيّة، ولا يعلم أحد أسرارها عدا الوجود المقدّس الجامع لمن خوطب به، وببركة تلك الذات المقدّسة وبتعليمه للخلّص من الأولياء العظام فهموا حقيقة ذلك، وحازوا على شيء منها ببركة المجاهدات والرياضات القلبيّة على قدر استعدادهم ومراتب سيرهم.[2]

---

١. المصدر: ١٨١.

٢. صحيفة *إمام*: ٩٢/٢٠.

المصادر

١. *آداب الصلاة*، الإمام الخميني، مؤسّسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني رحمه الله ـ طهران ١٣٧٨ش.
٢. *آشنائى با علوم إسلامى*، مرتضى المطهري، انتشارات صدرا، قم، ١٣٦٨ش.
٣. *آشنائى با قرآن*، مرتضى المطهري، انتشارات صدرا، قم، ١٣٦٨ش.
٤. *آلاء الرحمن في تفسير القرآن*، الشيخ محمّد جواد البلاغي، مؤسسة البعثة، قم، ١٤٢٠هـ.
٥. *الإتقان في علوم القرآن*، جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت.
٦. *إحياء علوم الدين*، محمّد الغزالي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٣م.
٧. *أنوار الهداية*، الإمام الخميني، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني رحمه الله، طهران، ١٣٧٢ش.
٨ *بحار الأنوار*، محمّد باقر المجلسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٣هـ.
٩. *تبيان*، الدفتر الثالث عشر (قرآن كتاب هدايت)، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني رحمه الله، طهران، ١٣٧٥ش.
١٠. *تسنيم في تفسير القرآن الكريم*، عبد الله جوادي أملي، مؤسّسة الإسراء، قم.
١١. *تفسير القرآن الكريم*، السيد مصطفى الخميني، مؤسّسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني رحمه الله، قم، ١٣٧٦ش.
١٢. *تفسير الصافي*، الملا محسن فيض الكاشاني، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤٠٢هـ.
١٣. *تفسير القرآن الكريم*، صدر المتألهين الشيرازي، انتشارات بيدار، قم، ١٣٦٦ش.
١٤. *تفسير سوره حمد*، الإمام الخميني، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني رحمه الله، طهران، ١٣٨١ش.
١٥. *تنقيح الأصول*، حسين تقوي الاشتهاردي، تقريرات درس الإمام الخميني، مؤسّسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني رحمه الله، طهران، ١٣٧٦ش.
١٦. *الحكمة المتعالية*، صدر المتألهين الشيرازي، مكتبة المصطفوي، قم.
١٧. *روح المعاني*، السيّد محمود الآلوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.
١٨. *ره عشق*، رسالة عرفانيّة للإمام الخميني، مؤسّسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني رحمه الله، طهران، ١٣٧٣ش.
١٩. *شرح چهل حديث*، الإمام الخميني، مؤسّسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني رحمه الله، طهران، ١٣٧٤ش.
٢٠. *شرح دعاى سحر*، الإمام الخميني، مؤسّسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني رحمه الله، طهران، ١٣٨١ش.
٢١. *صحيفه إمام*، الإمام الخميني، مؤسّسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني رحمه الله، طهران، ١٣٧٨ش.
٢٢. *الفتوحات المكّية*، محيي الدين بن عربي، المكتبة العربيّة، القاهرة، ١٩٧٢م.
٢٣. *الفوائد المدنيّة*، محمّد أمين الإسترآبادي، دار النشر لأهل البيت عليهم السلام.
٢٤. *فهم القرآن*، جواد علي الكسّار، مؤسّسة چاپ ونشر عروج، طهران، ١٣٨٢ش.
٢٥. *كشف أسرار*، الإمام الخميني، انتشارات المصطفوي، قم.
٢٦. *مجمع البيان*، الفضل بن الحسن الطبرسي، دار مكتبة الحياة، بيروت.
٢٧. *مصباح الهداية*، الإمام الخميني، تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني رحمه الله، ١٣٧٢ش.
٢٨. *الميزان في تفسير القرآن*، السيد محمّد حسين الطباطبائي، دفتر نشر إسلامي، قم.
٢٩. *وسائل الشيعة*، الشيخ الحرّ العاملي، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام، قم، ١٤٠٩هـ.

دراسة في التفسير العرفاني للقرآن الكريم

محمّد قادري

التفسير: من مادة «فسر» بمعنى: كشف المستور. ويأتي بمعنى: كشف المراد عن اللفظ المشكل.[1]

وبالتفسير العلمي يفهم كتاب الله تعالى وتبيّن به المعاني وتستنبط الأحكام.[2]

وبعبارة أُخرى: يقال لإظهار معاني آيات القرآن وكشف مقاصده ومداليله بأنّه تفسير.[3]

ويرى الإمام الخمينيﷺ أنّ معنى التفسير شرح مقاصد الكتاب الإلهي، ويتوقّعﷺ من المفسّر أن يرشد القارئ في كلّ آية من آيات القرآن إلى علم الغيب، وإلى طرق السعادة وسلوك طريق المعرفة، ويرى أنّ على المفسّر تفهيم الغرض من نزول القرآن، وأنّه لا بدّ أن يكون كتاب التفسير مبيّناً للجوانب العرفانيّة والأخلاقيّة وسائر جهات الدعوة إلى السعادة، فإن غفل المفسّر عن ذلك، فقد غفل عن المراد من القرآن والغرض الأساس من إنزال الكتاب وإرسال الرسل.

قال الإمام الخمينيﷺ:

إنّ صاحب هذا الكتاب ليس هو السكّاكي أو الشيخ؛ ليكون هدفه جوانب البلاغة والفصاحة، ولا هو سيبويه أو الخليل أيضاً؛ ليكون هدفه النحو والصرف، كما أنّه ليس المسعودي وابن خِلّكان؛ ليكون بحثه في تاريخ العالم.

---

١. *لسان العرب*: ٣٦١/٦.

٢. *الإتقان*: ١٧٤/٢.

٣. *الميزان في تفسير القرآن*: ٢/١.

إنّ هذا الكتاب ليس كعصا موسى ويده البيضاء، ولا كأنفاس عيسى الذي كان يحيي الموتى، فهو لم ينزل ليكون معجزة تدلّل على صدق النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله فقط، وإنّما هو كتاب لإحياء القلوب بحياة العلم والمعارف الإلهيّة السرمديّة، أنّه كتاب الله جلّ وعلا الداعي إلى الشؤون الإلهيّة، وعلى المفسّر أن يعلّم الناس الشؤون الإلهيّة، كما أنّ على العباد أن يرجعوا إليه من أجل تعلّم الشؤون الإلهيّة لكي تتحقّق الاستفادة منه.[1]

ويقول في السياق نفسه رحمه الله أيضاً:

إنّ فهم عظمة أيّ أمر يتوقّف على إدراك حقيقته، وحقيقة القرآن الإلهي المجيد قبل تنزّله إلى المنازل الخلقية وارتدائه أردية الفعليّة من الشؤون الذاتيّة والحقائق العلميّة في الحضرة الواحديّة، وتلك حقيقة الكلام النفسي المتمثّلة في المقارعة الذاتيّة في الحضرات الأسمائيّة، وهي حقيقة لا يحصل عليها أحد بالعلوم المتعارفة، ولا بالمعارف القلبيّة، ولا بالمكاشفة الغيبيّة، عدا ما حصل بالمكاشفة الإلهيّة التامّة للذات المباركة للنبيّ الخاتم صلى الله عليه وآله في محفل أنس: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾، بل في محل خلوة سرّ مقام: ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾، وآمال الأُسرة الإنسانيّة قاصرة عن بلوغ ذلك باستثناء الخلّص من أولياء الله عليهم السلام الذين اشتركوا مع روحانيّة ذات النبيّ الخاتم صلى الله عليه وآله المقدّسة ـ بحسب الأنوار المعنويّة والحقائق الإلهيّة ـ وفنوا في تلك الحضرة بالتبعيّة التامّة فهم يتلقّون علوم المكاشفة بالوراثة عنه صلى الله عليه وآله. فانعكست حقيقة القرآن في قلوبهم بنفس تلك النورانيّة والكمال اللذين تجلّت حقيقة القرآن بهما في قلبه المبارك صلى الله عليه وآله... .[2]

التفسير العرفاني

ويُطلق على هذا التفسير أيضاً: التفسير الصوفي، والإشاري، والفيضي، والرمزي.

ولايتكلّم أهل الباطن والمعرفة عادة بلغة عامّة الناس؛ لأنّهم يرون بواطن القرآن، فيستعملون رموزاً للإشارة إليها بألفاظهم؛ ولهذا السبب تعرّضوا أحياناً للطعن وللثناء أحياناً أُخرى.

فالذين لم يفهموا لغتهم ولم يكن لهم ذوق عرفاني خاصّ، كفّروا ولعنوا أصحاب هذا الاتّجاه. ومن جهة أُخرى، لمّا كان العرفان عبارة عن العلم بالحقّ سبحانه، من حيث الأسماء والصفات، ومظاهرها والعلم بأحوال المبدأ والمعاد، وبحقائق العالم وكيفيّة عودة تلك الحقائق إلى الحقيقة الواحديّة التي هي الذات الأحديّة للحقّ تعالى، أومعرفة طريق السلوك

---

١. *آداب الصلاة*: ١٩٤.

٢. المصدر: ١٨١.

والمجاهدة لأجل تحرير النفس من القيود وسلاسل الجزئيّة واتّصالها بمبدئها، واتّصافها بنعمة الإطلاق والكلية،[١] كلّ ذلك جعل العرفاء يرجعون جميع الآيات في تفسيرهم إلى الحقّ تعالى، وتجاوز ظواهر الألفاظ إلى الأصل وباطن كلّ الوجود. وأهمّ وسائلهم في إدراك المعاني الباطنيّة هو هذه الرياضات المختلفة التي يمارسونها. وفي الحقيقة فإنّ جهاد النفس وفكّ النفس من أسر القيود والسلاسل الدنيويّة أهمّ مفتاح لإدراك المعاني الباطنيّة للقرآن.

لقد أخذت في التفسير العرفاني خمس نقاط أساسيّة في نظر الاعتبار، وهي:

١. إنّ التفسير العرفاني، هو تأويل وليس بتفسير.

٢. إنّ التأويل في التفسير الإشاري ينشأ من بواطن الآيات.

٣. إنّ التأويل الظاهري يشير إلى المعنى الباطني بشكل غير صريح وواضح، وحينئذٍ يكون الارتباط بين الظاهر والباطن عن طريق الإشارة والرمز.

٤. إنّ فهم هذا الارتباط الخفي يحتاج إلى ممارسة عرفانيّة في الآيات، وهو ما يحتاج بالطبع إلى سير وسلوك وتحصيل مراتب السلوك العرفاني، ولذا فإنّ هذه الاشارة الخفية هي إشارة واضحة وجلية لأهل السير والسلوك.

٥. إنّ التفسير الباطني لا ينفي التفسير الظاهري، ولذا يمكن أن يكون المراد هو المعنى الظاهري والباطني للآيات في وقت واحد، ومن هنا يختلف التفسير العرفاني عن التفسير الباطني؛ لأنّ أتباع التفسير الباطني يعتقدون أنّ المراد هو المعنى الباطني، وأنّ المعنى الظاهري ـ مع أنّه غير مراد من ألفاظ القرآن ـ ليس له دور سوى كونه طريقاً إلى التفسير الباطني فقط.[٢]

ويعتمد إدراك التفسير العرفاني وقبوله على أساس ذوق وسليقة خاصّة، ولا بدّ من استمرار هذا الذوق لأجل المحافظة على الإدراك العرفاني المقصود هنا؛ لأنّ وسيلة العرفان وآلته هو القلب والإلهام الباطني، ومن هنا فإنّه لا بدّ من التعامل بعقلانية ورغبة مع الآيات الإلهيّة من أجل فهمها، ولابدّ أيضاً من المضي في السلوك العرفاني لينل هذا الفهم، لا مجرّد استعمال العقل المحض.

---

١. *عرفان نظري*: ٢٧.

٢. *مناهل العرفان*: ٨٦/٢.

إنّ للتفسير العرفاني أسساً خاصة به، والتي يمتاز بها عن سائر التفاسير، ومن أهمّ هذه المباني: **معرفة الوجود، والعلم بالمعرفة، ومعرفة لغة العرفان الخاصّ.**

وقد قسّم البعض التفسر العرفاني إلى نمطين: أ) تفسير صوفي إشاري. ب) تفسير صوفي نظري.

وذكروا لهذا التقسيم والتفكيك سببين:

السبب الأوّل

إنّ التفسير الصوفي النظري قائم على أساس مقدّمات علميّة نظريّة، والمفسّر يفسّر القرآن على أساس هذه المقدّمات، أمّا العارف في التفسير الصوفي الإشاري، فهو يعتمد على الرياضات الروحيّة ومحاولة فهم المعاني الباطنيّة عند ممارسة التفسير.

السبب الثاني

إنّ في التفسير الصوفي النظري يدّعى أنّ المعنى الباطني هو المراد الجدّي لله تعالى، وأنّه لا معنى مقصود له تعالى وراء ذلك، ولكن في التفسير الإشاري المدّعى هو إرادة المعنى الباطني إلى جانب المعنى الظاهري أيضاً.[1]

لكنّ الظاهر عدم وجود فرق بين هذين النوعين من التفسير؛ لأنّ التفسير العرفاني والإشاري إلى جانب المباني النظريّة ينشآن من صفاء الباطن نتيجةً للسير والسلوك، فمثلاً اشتمال القرآن على باطن أو بواطن هو من المباني النظريّة لكلا التفسيرين.

ومن جهة أُخرى فإنّ انحصار المرادِ الجدي بالمعنى الباطني من بين المناهج التفسيريّة أمر معروف لدى المسالك الباطنية، وليس كما يدّعي الصوفي أنّ باطن الآيات هو المراد فقط.[2]

رؤية الإمام الخمينيّ في شأن التفسير العرفاني

لا شكّ أنّ الإمام الخمينيّ كان عالماً بالفقه والأُصول، والتفسير والحديث، والعرفان والفلسفة والسياسة، واستطاع أن يوجد بين هذه العلوم ـ من الناحية الفكريّة ـ مصالحة وتواصلاً على الرغم من صعوبة إيجاد لغة مشتركة بين الفقه والعرفان والحديث والفلسفة، و... ، إلخ بل هو عمل غريب وجدير بالثناء والتقدير.

وبالطبع ليس للإمام الخمينيّ تصنيف مستقلّ وشامل في مجال تفسير القرآن سوى

---

١. *التفسير والمفسّرون*: ٣٥٢/٢.

٢. المصدر: ٣٥٢/٢.

تفسير سورة الحمد، ويوجد أحياناً في أثناء خطاباته وكتبه تفسير وتبيين لبعض الآيات القرآنيّة لدى الاستدلّال بها، وبالتأمّل في هذه الكلمات يمكن فهم المنهج النظري للإمام، وأنّه﵀ فسّر القرآن بنظرة عرفانيّة متأثّراً بالذوقيّات الروحانيّة والمعارف العرفانيّة. وقد أكّد﵀ على عدّة نقاط أساسيّة في هذا الجانب، وهي:

١. إنّ تكفير وتفسيق العرفاء أمر قبيح وغير صحيح، كما أنّ وصف الفقهاء من قبل بعض العرفاء بأنّهم ظاهريّون أو قشريّون أمر مذموم. وفي هذا المورد قال الإمام الخميني﵀ بعد أن شرح رواية: «إنّما العلم ثلاثة: آية محكمة، أو فريضة عادلة، أو سنّة قائمة»:

> لو سألنا الله تبارك وتعالى ـ إنّكم مثلاً ـ إذا كنتم لا تعلمون معنى وحدة الوجود على مسلك الحكماء، ولم تأخذوا عن العالم بذلك الفنّ، ولم تتعلّموا ذلك العلم ومقدّماته، فلماذا كفّرتم هؤلاء عن غير علم؟
>
> فما يكون جوابكم في محضر الحقّ تعالى سوى انتكاس الرؤوس خجلاً منه تعالى؟
>
> وكذا لو سئل من حكيم متفلسف أو عارف متكلّف: بأنّك لأيّ سبب ديني نسبت لعالم فقيه القشريّة وقلت بأنّه ظاهري وطعنت فيه وكذّبته؟
>
> وبأيّ دليل شرعي وعقلي تعدّيتَ على عدد من العلماء والفقهاء وجوّزت ذلك؟
>
> فأيّ جواب سوف يكون له في محضر الحقّ تبارك وتعالى سوى تنكيس الرأس خجلاً؟[1]

٢. إنّ للعرفاء لغة واصطلاحات خاصّة في كلامهم، وقد يكون السبب في إنكار كلامهم أحياناً عدم فهم هذه اللّغة، وفي هذا يقول الإمام﵀ متحدّثاً:

> إنّ لبعض أهل العرفان في تعابيرهم ـ رغم اختلافها ـ كلمات مثل الظاهر والمظهر والتجلّي وأمثال ذلك.[2]

وقال أيضاً﵀:

> لا تظنّوا أنّ كلَ من قال شيئاً في العرفان أو تكلّم بكلام عرفاني، فهو كافر.[3]

ويرى العرفاء أنّ المسائل العرفانيّة لا يمكن التصريح بها أو التحدّث عنها إلّا بالرموز، وهناك من يستطيع أن يُدرك ذلك وهم أهل الطريق والسلوك، ولذا فإنّهم قالوا: بأنّ هذه المعاني لا لغة لها للتعبير عنها، وأنّ لغتها هي لغة الرموز.

---

١. شرح *چهل حديث*: ٣٨٩، ٣٩٠.

٢. *تفسير سوره حمد*: ١٧٧.

٣. المصدر: ١٨٦.

٣. يعتقد الإمام الخمينيّ رحمه الله أنّ القرآن والروايات ـ خصوصاً أدعية أهل البيت عليهم السلام ـ مليئة بالعبارات العرفانيّة التي لا تقبل التفسير إلّا على أساس المباني العرفانيّة، ممّا يعني جواز استعمال مثل هذه التعابير.

وقال رحمه الله في شرح وتبيين الآية الشريفة: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[1]:

إنّ العارف بالمعارف الحقّة لأرباب المعرفة واليقين، والسالك طريق أصحاب القلوب والسالكين يعلم أنّ غاية سلوك السالكين ومنتهى آمال العارفين هو فهم آية شريفة واحدة ومحكمة...

فعلى الذين يُشكلون على كلمات العرفاء الشامخين والعلماء بالله وأولياء الرحمان أن يروا جيّداً، أيّ عارف ربّاني أو سالك مجذوب جاء ببيان جديد إلى سوق المعارف أكثر من هذه الآية الشريفة التامّة ورسالة القدس الإلهي؟

إنّ هذه الآية الكريمة وتلك الكتب مشحونة بعرفان العرفاء.[2]

والآن ـ وبعد أخذ هذا البحث بعين الاعتبار، وبعد الإذعان بالصبغة العرفانيّة في تفسير الإمام الخمينيّ رحمه الله ـ نحاول الإجابة عن السؤال التالي:

ما هي المباني التي يعتمدها الإمام في تفسيره العرفاني؟

والمهمّ هنا أوّلاً: إثبات أنّ التفسير العرفاني للإمام يعتمد الأُصول والأُسس المتقنة والمتينة.

ثانياً: إثبات أنّ تفسيره يختلف كثيراً عن تأويل بعض العرفاء غير قائم على ضوابط.

وبعبارة أكثر وضوحاً: إنّ الإمام رحمه الله وإن كان نظريّاً قد دافع عن التفسير العرفاني بالمفهوم المصطلح، لكنّه عمليّاً اتخذ جانب الاحتياط في التفسير والتأويل.

مباني التفسير العرفاني لدى الإمام الخمينيّ رحمه الله

بعد دراسة الآراء التفسيريّة للإمام الخمينيّ رحمه الله نصل إلى هذه النتيجة، وهي أنّ المباني التي نحن بصدد بيانها كانت في تفسيره العرفاني، وهي كالتالي:

أ) مراتب نزول القرآن

يرى الإمام رحمه الله أنّ القرآن الكريم كتاب نازل من الله العزيز الحكيم، وأنّ هذا النزول كان

---

١. الحديد: ٣.

٢. شرح چهل حديث: ٦٥٧.

بشكل مباشر أو بواسطة الوحي على قلب النبيّ ﷺ، والتساؤل هنا: هل القرآن كان قبل نزوله بهذه الألفاظ والمعاني الموجودة الآن بين أيدينا، أو حقيقته في المرحلة الأولى من بدوه كانت بمراتب أكثر من مرحلة الألفاظ والمعاني الفعليّة ـ نظراً إلى محدودية ظرفية المخاطب به وهو الإنسان السجين المكبّل في حصار الطبيعة ـ فهل تنزّل من تلك الحقيقة فصار بهذه الألفاظ والعبارات الفعليّة؟

يعتقد الإمام رحمه الله أنّ القرآن نزل من حقيقته الأولى، وهو يرى أنّ لهذا النزول سبعة مراتب، وعلى هذا الأساس فالقرآن الفعلي هو النازلة السابعة للقرآن، قال رحمه الله:

> كسب [النبيّ ﷺ] القرآن نازلاً ومنزّلاً، وتجلّى في قلبه الشريف، وجرى بنزوله إلى المراتب السبعة على لسانه المبارك، والقرآن الذي بين أيدينا اليوم هو النازلة السابعة للقرآن.[1]

وكان يرى رحمه الله أنّ مراتب النزول السبعة تنطبق على العوالم السبعة التي مرّ من خلالها القرآن، ويقول في هذا الجانب متحدّثاً:

> إنّ الله تبارك وتعالى ـ وبناءً على سعة رحمته بعباده ـ قد نزّل هذا الكتاب الشريف من مقام قربه وقدسه ـ بما يناسب العوالم المختلفة ـ حتّى وصل إلى سجن الطبيعة في العالم المظلم هذا، واكتسى بقوالب الألفاظ والحروف... .[2]
>
> إنّ أوّل مرتبة ـ التي هي حقيقة القرآن ـ الكلام النفسي، وهذا يعني تبلور تلك المعاني السامية في ذات الحقّ.

وقال رحمه الله أيضاً في هذا السياق:

> حقيقة القرآن المجيد قبل تنزّله إلى المنازل الخلقية وارتدائه أردية الفعليّة من الشؤون الذاتيّة والحقائق العلميّة في الحضرة الواحديّة، وتلك حقيقة الكلام النفسي المتمثّلة في المقارعة الذاتيّة في الحضرات الأسمائيّة ... .[3]

إنّ أوّل وآخر مرتبة من مراتب النزول في كلام الإمام الخميني رحمه الله هي أنّ الكلام النفسي أوّل مرتبة، والألفاظ والعبارات هي آخر مرتبة، وقد عُرّفت المرتبة الأولى: بأنّها صفة الذات. وعُرِّفت آخر المراتب: بأنّها صفة الفعل. وإليك نصّ عبارته فيما يلي:

---

١. *صحيفة إمام*: ٤٣١/١٧.

٢. *آداب الصلاة*: ١٨٤.

٣. المصدر: ١٨١.

إنّ هذا الكتاب الظاهر في كسوة العبارات والألفاظ هو في مرتبة الذات على هيئة تجلّيات الذات، وفي مرتبة الفعل عين التجلّي الفعلي، كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «إنّما كلامه فعله».[١]

ب) مراتب القرآن

أهمّ أساس يعتمد عليه العرفاء في التفسير العرفاني هو أنّ القرآن ـ على الرغم من تنزّله من تلك الحقيقة العالية وأسره في هذه الألفاظ ـ لا يمكن أن يحدّ بهذه الألفاظ والعبارات، بل له وراء تلك العبارات مراتب متعدّدة من المعاني، وهو ما عبّر عنه في الحديث المعروف عن رسول الله صلى الله عليه وآله ببطن القرآن، حيث قال صلى الله عليه وآله: «ما من آية في القرآن إلّا ولها ظهر وبطن».[٢]

قيل: إنّ للقرآن من سبعة إلى سبعين بطناً، والعارف في منهجه الفكري وتفسيره يدّعي أنه ـ مضافاً إلى ظواهر الآيات ـ لا بدّ من فهم المعاني الباطنيّة للقرآن، وإذا كان للتفسير العرفاني لون وطعم خاصّ، فهو ممزوج أحياناً بظواهر الآيات، وإن كان العارف يؤيّد المعاني الظاهريّة في مهد الولاية الظاهريّة للآيات.

وجاء عن ابن عربي في مقدّمة التفسير المنسوب إليه:

> تذكرت رواية فأوقعتني في وجد، وهي رواية عن النبيّ الأُمّي الصادق صلى الله عليه وآله أنّه قال: **«ما في القرآن آية إلّا ولها ظهر وبطن، وما فيها حرف إلّا وله حدّ، ولكل حدّ مطلع»** وإنّي أفهم من هذه الرواية أنّ الظاهر هو التفسير والباطن هو التأويل... فرأيت أنّه كلّما أشرقت عليّ حقائق بطون القرآن وأنوار إشراق الكائنات فلا بدّ لي من التفسير ...؛ لأنّ التأويل لا حدّ له ولا نهاية.[٣]

ويرى الإمام رحمه الله أنّ للقرآن مراتب عديدة، ويرى أنّها هي بطون القرآن، وفي هذا السياق يحدّثنا قائلاً رحمه الله:

> للقرآن مراتب، وله سبعة، أو سبعين بطناً.[٤]

وقال رحمه الله أيضاً:

---

١. المصدر: ٣٢٣ ـ ٣٢٤.

٢. *الكافي*: ٣٧٤/١؛ *بحار الأنوار*: ٩٤/٨٩، ح٤٧.

٣. *مناهل العرفان*: ٩٥/٢.

٤. *تفسير سوره حمد*: ١٣٣.

للقرآن منازل ومراحل وظواهر وبواطن، أدناها هي قشر الألفاظ ومقابر التعيّنات، كما ورد في الحديث: «إنّ للقرآن ظهر وبطن، وحدّ ومطلع».[١]

وحيث إنّه‌رحمه‌الله يرى للقرآن هذه المراتب، فهو يرى أنّ التوقّف على ظواهر الآيات موت وجهالة، وفي هذا يقول‌رحمه‌الله:

لا تظن أنّ هذا الكتاب السماوي والقرآن النازل الرباني هو هذه القشور والظاهر، واعلم أنّ الوقوف على هذه الهيئة والبقاء في حدّ عالم الظاهر، وعدم الأخذ باللب والباطن هو الموت والهلاك، وأصل جميع الجهالات وأساس إنكار النبوّات والولايات هو هذه النقطة.[٢]

ج) مراتب فهم القرآن

لو قبلنا أنّ للقرآن مراتب، فلا بدّ لنا من القول باختلاف هذه المراتب، ولعلّه يمكن تشبيه القرآن من هذه الجهة بالمحيط المتلاطم الذي تكمن في كلّ مرتبة منه جواهر ثمينة، بحيث يمكن لكلّ شخص وبحسب قدرته وإمكاناته الغوص والغور في مختلف نواحيه ليستخرج هذه الجواهر ويستفيد منها.

ولو اعتبرنا التفكير البشري حصيلة لما يفهمه الإنسان ويُدركه ويعيه ـ أي مجموع إدراكاته التي يحصل عليها عن طريق الاستدلال والكشف والشهود، فلا بدّ من الإذعان بأنّ للإنسان في كلّ نوع من أنواع الفكر والشهود مراتب متفاوتة ومختلفة.

مضافاً إلى ذلك فإنّ ترويض الاستعداد الفكري وإعداده هو تحت سيطرة الإنسان نفسه واختياره، كما أنّ المفاهيم الشهوديّة لها ارتباط بمقدار صفاء باطن ونزاهة قلب السالك، فكلّما كانت مراتب سير السالك وسلوكه وصفاء قلبه أكثر كان مقدار انعكاس المعارف الإلهيّة فيه أكثر.

إنّ اختلاف مستوى التفسير العرفاني يرجع إلى اختلاف مراتب المفسّرين السلوكيّة، وقد أكّد العرفاء على هذه النقطة وهي أنّ مراتب إدراك الإنسان وفهمه مختلفة، وعليه لا ينبغي اعتبار هذه الأفهام المختلفة بأنّها متناقضة.

قال الإمام الخميني‌رحمه‌الله في بيان مراتب فهم القرآن:

---

١. *شرح دعاء السحر*: ٣٨.

٢. المصدر: ٥٩.

ففي حين يفهم أهل المعرفة من الآية الكريمة: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيهِ اللَّيلُ رَأَى كَوْكَبًا...﴾[١] منهج إبراهيم عليه السلام في السلوك والسير ويتعلّمون منها طريق السلوك إلى الله والسير، إلى حضرته تعالى، ويُدركون حقيقة السير الأنفسي والسلوك المعنوي من منتهى ظلمة الطبيعة المعبّر عنها في مسلكهم بـ ﴿جَنَّ عَلَيهِ اللَّيلُ﴾ إلى إلقاء مطلق الإنيّة والأنانية والتخلّي عن النفس وعن العجب وبلوغ مقام القدس والدخول في محفل الأنس المشار إليه في مسلكهم بـ ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ...﴾[٢] نرى أنّ آخرين يفهمون منها السير الآفاقي وأُسلوب خليل الرحمن عليه السلام في تربية أُمّته وتعليمها.

وعلى هذا المنوال تختلف استفادات أهل المعارف والرياضات والمجاهدات عن استفادات الآخرين عند الاطّلاع على سائر القصص والحكايات، كقصّة آدم، وإبراهيم، وموسى، ويوسف، وعيسى عليهم السلام، أو لقاء موسى بالخضر عليهما السلام.[٣]

د) أهل البيت عليهم السلام هم المخاطبون الحقيقيّون بالقرآن

يظهر من النقاط المذكورة في كلام الإمام في خطاباته وكتاباته أنّها ممّا اختصّ به، فهو يصرّ على أنّ المخاطبين الواقعيّين للقرآن هم أهل البيت عليهم السلام، وذلك أنّ آخر مراتب فِهم وتفسير القرآن تحت إرادتهم واختيارهم، ثُمّ استند إلى هذه الرواية التي جاء فيها: «إنّما يَعرف القرآن من خوطب به».[٤]

يقول الإمامرحمه الله في ذلك:

القرآن الكريم أساس جميع المسائل العرفانيّة، ومبدأ جميع المعارف، لكن فهمه مشكل، وهؤلاء عرفوا أنّهم هم: «من خوطب به».[٥]

وقال في موضع آخر:

إنّ هذا الكتاب السماوي الإلهي هو الصورة العينيّة والكتبيّة لجميع الأسماء والصفات والآيات والبيّنات، وهو من المقامات الغيبيّة القاصرة أيدينا عنها، ولا يعلم أسرارها إلّا الوجود الأقدس الجامع وهو: «مَن خوطب به».[٦]

---

١. الأنعام: ٧٦.

٢. الأنعام: ٧٩.

٣. *آداب الصلاة*: ١٨٨ـ١٨٩.

٤. *الكافي*: ٣١١/٨.

٥. *صحيفة إمام*: ٤٣٨/١٩.

٦. المصدر: ٩٢/٢٠.

وقال ﵀ أيضاً:

إنّ في القرآن كلّ شيء... وفيه ما يهمّ الجميع... لكن لا يستفيد منه كلّ واحد كما ينبغي، وإنّما يستفيد منه رسول الله ﷺ؛ لأنّه: «إنّما يعرف القرآن من خوطب به».[١]

إنّ رؤية الإمام الخميني ﵀ من بين ثلّة من العرفاء الذين تحدّثوا عن مراتب القرآن وتوجّهه في جانب بطون المعاني للآيات، تعطي أنّ العرفان الذي هو محطّ نظره، هو ذلك الذي أخذه العارف من أهل البيت ﵈، فهو يرى أنّه لا شيء من التفاسير المعروفة ـ حتّى التفاسير العرفانيّة ـ تستطيع الوصول إلى حقيقة القرآن، وأصرح عبارة له في هذا المجال قوله:

إنّ تفسير القرآن ليس أمراً يتمكّن منه أمثالنا، وقد كتب فيه علماء الطراز الأوّل على طول تأريخ الإسلام ـ من العامّة والخاصّة ـ كتباً كثيرة، فهم كشفوا الستار عن حجاب من حجب القرآن الكريم في تفسيرهم، وهو غير كامل، وليس من المعلوم أنّه هو التفسير.

فقد جاء العرفاء طيلة هذه القرون وفسّروا القرآن، أمثال محيي الدين في بعض تصانيفه، وعبد الرزّاق الكاشاني في تأويلاته، والملّا سلطان علي في تفسيره، وهؤلاء هم ممّن طريقتهم طريقة المعارف. وقد كتب بعضهم في تخصّصه فأجاد، ولكن ليس القرآن هو ما كتبوه، بل هو بعض أوراق القرآن وحجب من القرآن.[٢]

ورأي الإمام ﵀ ما كان تحت اختيار أهل البيت ﵈، وأنّ على العلماء والباحثين الرجوع في تفسير وفهم ظواهر أو بواطن القرآن إليهم ﵈، لكن لا بدّ أن يعلموا بأنّ ما يأخذوه عنهم ليس هو آخر مرتبة من مراتبه، وأنّ هناك حجباً أسمى وبواطن يمكن تحصيلها، وأنّ أكثر هذه الحجب عمقاً هو من خصائص أهل بيت العصمة ﵈.

هـ) طهارة الباطن شرط فهم القرآن الكريم

لقد صرّح القرآن الكريم بهذه الحقيقة، وذلك في قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾،[٣] أي: أنّ فهم معاني الوحي ومعرفة أسراره لا يمكن لمن في قلبه البدعة والكبر

---

١. تفسير سوره حمد: ١٣٨ـ١٣٩.

٢. المصدر: ٩٣ ـ ٩٤.

٣. الواقعة: ٧٩.

والهوى، أو حبّ الدنيا، أو من كان مصرّاً على المعاصي، أو لم يستقرّ الإيمان في قلبه ويثبت، أو كان إيمانه ضعيفاً...؛ لأنّ كلّ ذلك من حجب الفهم.[١]

إنّ الإمام الخمينيّ بصفته عالماً عارفاً بمعارف وحقائق الآيات الإلهيّة كان يرى لزوم طهارة الباطن في فهم القرآن، وفي هذا الصعيد يقول متحدّثاً:

لعلّ الأقفال على القلب التي تشير إليها الآية الكريمة: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾،[٢] يراد بها: أغلال وقيود التعلّق بالدنيا.

فإنّ من يريد الاستفادة من القرآن والانتفاع من المواعظ الإلهيّة عليه أن يطهّر قلبه من هذه الأرجاس ويفرّغه من لوث المعاصي القلبية المتمثلة بالاشتغال بغير الحقّ، فغير المطهّر من الذنوب لا يؤتمن على الأسرار، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾.[٣]

فكما أنّ مسّ ظاهر هذا الكتاب أمرٌ محرّم ـ تشريعاً وتكليفاً ـ على غير طاهر الظاهر في عالم الظاهر، كذلك معارف القرآن الكريم ومواعظه، وباطنه وسرّه محرّمة على من كان قلبه ملوثاً بأرجاس التعلّقات الدنيويّة، وغير المتّقي وغير المؤمن ـ بحسب المراتب الأخرى للتقوى، وهي تقوى الخاصّة، وخاصّة الخاصّة، وأخصّ الخواص ـ محروم من المراتب الأخرى لمعارف القرآن ومواعظه.[٤]

و) الكتاب والسنّة، هما الملاك في التفسير العرفاني

من أهمّ الإشكالات على التفسير العرفاني كونه فاقداً للضابطة، وهو ماعبّر عنه الشيخ محمد معرفة: بأنّه عبارة عن التأويلات التي ليس فيها حساب ولا كتاب، وقد اعترف ابن عربي في مقدّمة تفسيره بأنّ التفسير هو تبين الوجه الظاهري للقرآن، وهو أمر محدّد، أمّا تأويل القرآن وبيان المعنى الباطن فليس له حدّ. ويرى أنّ المراد من قوله: «من فسّر القرآن برأيه فقد كفر» هو: التفسير لا التأويل.

وقد أكّد الإمام الخمينيّ هنا على نقطتين:

---

١. *الإتقان*: ١٨٨/٤.

٢. محمّد: ٢٤.

٣. الواقعة: ٧٧ ـ ٧٩.

٤. *آداب الصلاة*: ٢٠٢.

١. إنّ الإفراط في تأويل آيات القرآن والاعتقاد بأنّ القرآن بأسره معنوي أمر مخالف للمنطق والدين، وهو مرفوض.

٢. إنّ تأويل الآيات يجب أن يكون على أساس الأُصول والقواعد، لا بشكل يسمح فيه لكلّ أحد تأويل القرآن، بلا قيد، ولا حدّ.

وقد قال في هذا الصعيد رحمه الله:

لقد مضى علينا الكثير من الزمن، ونحن نرى بعض الفلاسفة والعرفاء والصوفيّين والمتكلّمين وأمثالهم يأخذون بالجهات المعنويّة، وعندما جاؤوا إلى تفسير القرآن نجدهم يرجعون أكثر الآيات إلى الجهات العرفانيّة والجهات الفلسفيّة، والجهات المعنويّة، وغفلوا تماماً عن الحياة الدنيويّة وعن الأمور التي يحتاج إليها الإنسان في هذه الدنيا، وغفلوا عن التربيّة التي لا بدّ منها هنا، وقد ذهبوا حسب اختلاف مشاربهم إلى معاني أسمى من إدراك عامّة الناس.[١]

وقال رحمه الله أيضاً:

لقد كنّا في زمن قد ابتلينا فيه بجماعة كانوا عندما يفسّرون القرآن أو يأوّلوه، لم ينظروا إلى البُعد الماديّ فيه، ولا إلى البعد الدنيوي، وكانوا يرجعون معانيه كلّها إلى الأُمور المعنويّة، حتّى أنّهم كانوا يؤوّلون القتال مع المشركين بجهاد النفس، وكانوا يأوّلون القرآن والأحاديث بـ«ما وراء الطبيعة» ولم ينظروا إلى هذه الحياة الدنيا أصلاً، ولا إلى الحكومة الإسلاميّة، ولا إلى الأُمور المرتبطة بهذه الحياة.[٢]

ويمكن استنتاج عدّة نقاط من كلام الإمام:

أوّلاً: إنّ هذه التأويلات ناظرة إلى بُعد واحد، وأنّها خلاف الواقع في التفاسير العرفانيّة.

ثانياً: إنّ النظرة العرفانيّة متأثرة بالمسلك والفكر العرفاني والمعنوي للعرفاء.

ثالثاً: إنّ هذه التأويلات ذات البعد الواحد لا تنسجم مع شموليّة القرآن والإسلام ومنطق الدين الذي اهتمّ بالجانب المعنوي للإنسان، كما اهتمّ بالجانب الدنيوي.

والآن ـ وبعد تخطئة الكثير من تأويلات العرفاء ومخالفتها لشموليّة القرآن وكونها ذات بُعد واحد ـ هل يمكن المساواة بين التفسير العرفاني في رأي الإمام وبين التفاسير العرفانيّة والمشارب العرفانيّة بالمعنى المصطلح؟

---

١. *صحيفة إمام*: ٢٢١/٣.

٢. المصدر: ٢١٦/١١ ـ ٢١٧.

إنّ الإمام الخميني عندما خطّأ الكثير من التأويلات غير الصائبة قاعدة معيّنة، وخطّأ تفاسير العرفاء، كما صرّح بذلك بعيداً عن التعصّب، جاء تفسيره بعيداً عن النقد والإشكال، حيث كان قد فصّل إلى حدٍّ ما بين منهجه في التفسير العرفاني عن سائر التفاسير العرفانيّة والإشاريّة بالمعنى المصطلح والمتعارف.

إنّ كون المخاطب الحقيقي للقرآن ـ الذي ذكرناه في المبنى السابق ـ الذين هم أهل البيت يجعل أُفق فكر الإمام في بيان الضوابط أكثر وضوحاً؛ لأنّ الإمام يرى أنّ الأئمّة المعصومين هم المفسّرون الواقعيّون للقرآن، وإلى جانب ذلك، فهو لا يرى أنّ طريق التأويل والتفسير مسدوداً بوجه العلماء، ويؤكّد بأنّه لا بدّ من أخذ رؤية أهل البيت في التفاسير والتأويلات القرآنيّة بنظر الاعتبار؛ لأنّ الكلام الفصل في القرآن لهم.

وكان يرى أنّ القرآن وأهل البيت هم الملاك في صحّة وسقم مستوى تأويل العرفاء، وهذه خصيصة ممتازة تمتاز بها المباني النظريّة في التفسير العرفاني لدى الإمام عن سائر التفاسير العرفانيّة الأُخرى.

الحداثة لدى الإمام الخميني

[ونلخّص الحداثة لدى الإمام الخميني في الأُمور التالية:]

١. وضع اللفظ لروح المعنى

للإمام الخميني مبنى خاصّاً في بحث الألفاظ وما هو الموضوع له منها، فهو يرى أنّ لاصطلاحات أهل العرفان معنى خاصّاً، وأنّهم ساروا في تفسير الآيات ـ عدا آيات الأحكام ـ على ذلك.

فإنّه يرى أنّ الواضع لدى وضعه للألفاظ كان نظره إلى روح المعنى، وهذا أمر مهمّ للغاية، فهو يرى أنّ العمدة والأصل في فهم أسرار ومفاتيح المعرفة هو أخذ هذا الأمر بنظر الاعتبار.

٢. المعاني والمصاديق الطولية للآيات

التفسير في رأي الإمام الخميني يبدأ من فهم المعنى الظاهري للآية، ثُمّ يتدرّج في ذلك حتّى يصل إلى كشف أعمق المعاني وأكثرها باطناً.

٣. تناسب مراتب معاني المصطلحات مع مراتب الأشخاص

من جملة الحداثة لدى الإمامرحمه الله في التفسير لحاظ مكانة الأشخاص في انتساب فعل أو صفة إليهم.

٤. حياة الموجودات وإدراكها

ومن الأُمور المهمّة في حداثة الإمام الخمينيرحمه الله في تفسير وتأويل القرآن الكريم اتّجاهه الخاصّ والعرفاني فيما يخصّ العالم، فإنّ نظر الإمام إلى العالم الكوني ـ كسائر العرفاء ـ نظرة آيتيّة، فإنّ جميع ظواهر هذا العالم هي انعكاس وتجلّي لأسماء وصفات الباري تعالى، وأنّ العالم مرآة له عزّ وجلّ.

إنّ لجميع الموجودات في هذه النظرة حياة وإدراك، قالرحمه الله:

اعلم أنّ لجميع الموجودات حظّ، بل حظوظ من عالم الغيب الذي هو حياة محضة، وحياة سارية في جميع دار الوجود، وهذا أمر ثابت لدى أرباب الفلسفة العالية بالبرهان، ولدى أصحاب القلوب والمعرفة بالمشاهدة والعيان، والآيات الشريفة الإلهيّة وأخبار أولياء الوحيعليهم السلام لها دلالة تامّة على ذلك.[١]

٥. الفهم التمثيلي والظاهري للآيات

لم يهتمّ الإمام في موارد من تفسير الآيات بالمعنى اللغوي للفظ، وإنّما عرض تأويلات للآية هي بحسب الظاهر لا ربط لها مع ظواهر الآيات، بل لا تنسجم أحياناً مع المعنى الظاهري، وفي مثل هذه الموارد يكون المفسّر قد عبر من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي، وحصل على المعنى العرفاني من خلال المورد الحسي والمادي.

فهورحمه الله في الواقع يرى أنّ الآية بيان ظاهر وتمثيل عن الحقائق الأُخرى، إنّ الأُمور التي يرغبها المفسّرون ومنهجهم [في التفسير] هي التي تتحكم [بالمفسّر] في تفسيره، وهذا المنهج وهذا التحكم متنوع جداً وملفت للنظر.

ويقوم التفسير العرفاني ـ الذي هو نحو من المناهج التفسيريّة ـ على نظرة كونيّة خاصّة يمتاز بها العرفاء، فإنّ هؤلاء ينظرون إلى الكون نظرة واسعة، فهم يبدؤون بالنظرة السطحيّة للظواهر الموجودة حتّى أعماقها، وينظرون اليها جميعاً نظرة مظهريّة، ويبدؤون

---

١. *آداب الصلاة*: ٢٥٥.

من هنا في سيرهم وسلوكهم إلى ما وراء المحسوسات، وبالنتيجة يكون العارف متّصلاً بالكون العظيم.

فالعارف ليس نافياً ومنكراً للمظهر ـ كما يتصوّر البعض ـ، بل هو منكر للأصالة الآنيّة، فهو يرى كلّ شيء ظِلّ للحقّ، لا أنّه لا يرى الظِلّ.

إنّ الإمام الخميني رحمه الله من المنجذبين أو الوالهين، للقرآن المجيد حيث كان معتكفاً سنوات طويلة [لتحصيل] هذه الرشحة الإلهيّة، وبتهذيبه وخروجه من البيت المظلم للنفس استأنس لتلاوة القرآن، واقتطف من ثمراته الوافرة ونهل من عينه الصافية، ولم يبخل بها على الآخرين، وهي للطالبين وعطاشى المعارف الإلهيّة غنيمة غالية، طاب ثراه.

المصادر

١. *آداب الصلاة*، الإمام الخميني، مؤسّسه تنظيم ونشر آثار إمام خميني، طهران، ١٣٨٠ش.
٢. *الإتقان في علوم القرآن*، جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت.
٣. *التفسير والمفسّرون*، محمّد حسين الذهبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٤. *تفسير سوره حمد*، الإمام الخميني، مؤسّسه تنظيم ونشر آثار إمام خميني، طهران، ١٣٨١ش.
٥. شرح *چهل حديث*، الإمام الخميني، مؤسّسه تنظيم ونشر آثار إمام خميني، طهران، ١٣٨٢ش.
٦. شرح *دعاى سحر*، الإمام الخميني، مؤسّسه تنظيم ونشر آثار إمام خميني، طهران، ١٣٨١ش.
٧. *صحيفه امام*، الإمام الخميني، مؤسسة تنظيم ونشر آثار إمام خميني، طهران، ١٣٧٨ش.
٨. *الكافي*، محمّد بن يعقوب الكليني، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، ١٣٦٧ش.
٩. *لسان العرب*، جمال الدين محمّد بن مكرم بن منظور، نشر أدب حوزه، قم، ١٤٠٥هـ.
١٠. *مناهل العرفان في علوم القرآن*، محمّد بن عبدالعظيم الزرقاني، دار إحياء الكتب العربيّة، القاهرة.
١١. *الميزان في تفسير القرآن*، السيد محمّد حسين الطباطبائي، انتشارات إسماعيليان، قم، ١٣٧١ش.

حقيقة ومكوّنات التفسير بالرأي عند الإمام الخمينيﷺ

علي نصيري

المقدّمة

يعتبر التفسير بالرأي أو التحريف المعنوي من جملة المباحث العويصة والمشكلة، وفي الوقت نفسه هو من الأبحاث المؤثّرة جداً في العلوم القرآنيّة.

ولمّا كانت هذه المسألة موضع اهتمام وتحذير الروايات ـ بصورة مكررة ـ منذ العصر الأوّل، فقد اهتمّ بها المفسّرون والباحثون في القرآن، ولذا نجد أنّ العلماء بحثوا عن ذلك في مقدّمة أغلب تفاسير الفريقين. وكذا في كتب العلوم القرآنيّة، لكن في رأينا أنّ هذه الأبحاث لا زالت بحاجة إلى المزيد من الدقّة والكلام؛ وذلك أنّه ـ مضافاً إلى الإبهام في مفهوم التفسير بالرأي ـ لم تتّضح إلى الآن مناطات وملاكات الفرق بين التفسير الصحيح والتفسير بالرأي.

وموضع الشاهد أنّه توجد عادة مناهج تفسيريّة مختلفة يتهمّ بعضها الآخر بالتفسير بالرأي، والتأمّل في كلام أصحاب هذا الفنّ يعطي أنّه لا أحد يشكّ في صدور روايات النهي عن التفسير بالرأي وحرمته، وإنّما قد يتردد في مفهوم التفسير بالرأي، والسبب في عدم التردّد في حرمة التفسير بالرأي وممنوعيّته هو وجود روايات كثيرة ـ في هذا المجال ـ مرويّة عن النبيّﷺ وأهل البيتﷺ، وهي روايات صحّحها الصحابة والتابعون بنحوٍ قيل: إنّ الكثير منهم كان يخشى التفسير بالرأي ويجتنب ذلك في القرآن،[1] حتّى أنّ البعض

---

١. لمزيد من التفصيل راجع: *التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب*: ١/٤٦ ـ ٥١؛ *مقدّمة في أصول التفسير*: ٥٥؛ *علوم القرآن عند المفسّرين*: ٣/٢٣٧ ـ ٢٤٧.

ادّعى التواتر المعنوي للروايات الناهية عن التفسير بالرأي.[١]

وقد ورد في خبر معروف عن النبيّ ﷺ أنّه قال:

من فسّر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار.[٢]

وورد في بعض الروايات أنّ التفسير بالرأي حتّى لو طابق الواقع لـم يـؤجر عليه المفسّر، كما عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

مَن فسّر القرآن برأيه فأصاب لم يؤجر، وإن أخطأ كان إثمه عليه.[٣]

وقد عدّت بعض الأخبار التفسير بالرأي أنّه على حدّ الكفر، كما في قول الإمام الصادق عليه السلام: «... ومن فسّر برأيه آية من كتاب الله فقد كفر».[٤]

وفي بعض الأخبار أنّ أحد مخاوف النبيّ ﷺ على اُمّته التأويل الخاطئ للقرآن، قال ﷺ:

إنّما أتخوف على اُمّتي من بعدي ثلاث خصال: أن يتأوّلوا القرآن على غير تأويله... .[٥]

وفي عدد من الروايات ذمّ لبعض مدّعي التفسير أمثال قتادة؛ وذلك لتفسيرهم القرآن بالرأي.[٦]

ومضافاً إلى الروايات الناهية عن التفسير بالرأي هناك روايات نهت عن إبداء الرأي في القرآن إذا لم يكن مستنداً إلى دليل علمي، ففي بعض الأخبار عن النبيّ ﷺ أنّه قال:

من قال في القرآن بغير علم فليتبوء مقعده من النار.[٧]

ونحن في هذه المقالة سوف نبدأ ـ وباختصار ـ أوّلاً بدراسة مفهوم التفسير بالرأي من منظار العلماء والباحثين الإسلاميّين، ثمّ نتعرّض لدراسة رأي الإمام الخمينيّ الوارد في هذا الصعيد بحسب الآتي:

أ) مفهوم التفسير بالرأي عند العلماء

يرى الشيخ الطوسيّ ـ بعد تعرّضة للروايات الناهية عن التفسير بالرأي ـ أنّ ظاهر هذه

---

١. *وسائل الشيعة*: ١/١٨.

٢. *تفسير الصافي*: ٣٥/١؛ *جامع البيان*: ٥٨/١.

٣. *تفسير العياشي*: ١٧/١؛ *مستدرك الوسائل*: ٣٣٤/١٧، وقد ورد في بعض الروايات بدل «كان إثمه عليه»: «خرّ من السماء»؛ *وسائل الشيعة*: ٢٠٢/٢٧.

٤. *وسائل الشيعة*: ٦٠/٢٧؛ *بحار الأنوار*: ١١١/٨٩.

٥. *الخصال*: ١٦٤؛ *بحار الأنوار*: ٤٢/٢.

٦. راجع: *الكافي*: ٣١١/٨؛ *وسائل الشيعة*: ١٨٥/٢٧.

٧. *التوحيد*: ٩١؛ *وسائل الشيعة*: ١٨٩/٢٧؛ *بحار الأنوار*: ٢٢٣/٣.

الروايات ـ أي: التفسير الاجتهادي للقرآن ـ متروك، ثمّ قسّم معاني القرآن إلى أربعة أقسام.

ويرى أنّ التفسير بالرأي ناظر إلى المجمل، والألفاظ المشتركة.[1]

وعلى هذا الأساس يكون إبداء الرأي القطعي غير مستند إلى الروايات الصحيحة في الموارد المجملة برأي الشيخ الطوسي رحمه الله نحو قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، والمشترك اللفظي مستلزماً للتفسير بالرأي.

ويرى الفيض الكاشاني رحمه الله ـ بعد دراسته للروايات ـ أنّ التفسير بالرأي على معنيين:

١. التفسير طبقاً لهوى النفس؛ لغرض تحميل الرأي الشخصي على القرآن.

٢. التفسير الذي لم تراعَ فيه الأُصول والقواعد.[2]

ونقل العلّامة الطباطبائي رحمه الله في مفهوم التفسير بالرأي عشرة آراء، وهي كالتالي:

الأوّل: المراد به التفسير من غير الحصول على العلوم التي يجوز معها التفسير.

الثاني: تفسير المتشابه من الآيات الذي لا يعلمه إلّا الله.

الثالث: التفسير لغرض تقويّة الرأي الشخصي.

الرابع: التفسير بأنّ مراد الله تعالى كذا على نحو القطع من غير دليل.

الخامس: التفسير بالاستحسان العقلي.

السادس: إبداء الرأي في الأُمور المشكلة في القرآن بما لا يعرف من مذهب الصحابة والتابعين.

السابع: إبداء الرأي في القرآن ممّا يعلم أنّ الحقّ غيره.

الثامن: القول في القرآن بغير علم وتثبّت سواءً علم أنّ الحقّ خلافه أم لا.

التاسع: الأخذ بظاهر القرآن بناءً على أنّه لا ظهور له.

العاشر: الأخذ بظاهر القرآن بناءً على أنّ له ظهوراً إلّا أنّا لا نفهمه.

ويرى العلّامة الطباطبائي رحمه الله أنّ المراد من التفسير بالرأي هو الاستبداد والاستقلال بالرأي في تفسير القرآن، وحينئذٍ، فلأجل الهروب من التفسير بالرأي لا بدّ من الاستعانة بغير القرآن، فهو يعتقد ـ بناءً على نظريّة كون السنّة في طول القرآن ـ أنّ الاستعانة في تفسير القرآن لا بدّ أن تكون بالقرآن فقط.[3]

---

١. *التبيان في تفسير القرآن*: ١/٥ ـ ٦.

٢. *تفسير الصافي*: ١/٣٦ ـ ٣٧.

٣. لمزيد من التفصيل راجع: *الميزان في تفسير القرآن*: ٣/٧٥ ـ ٨٧.

واختار الشيخ معرفة ـ بعد أن ذكر الآراء المختلفة في هذا المجال ـ رأي الفيض الكاشاني، وهو أنّ التفسير بالرأي قد استعمل بأحد معنيين:

أ) تحميل الرأي.

ب) التفسير بدون رعاية القواعد.[1]

وجاء عن البغدادي (من علماء السنّة):

إنّ العلماء يقولون بأنّ إبداء الرأي في القرآن يصدق في حقّ من يريد تفسير القرآن طبق مراده النفسي فيكون متّبعاً لهواه، وقد يكون ذلك عن علم كالباطنية والخوارج الذين فسّروا القرآن لغرض إثبات بدعهم، وقد يكون عن جهل.

أمّا التأويل وهو تفسير الآية على أساس الاستنباط المنسجم مع الآيات السابقة والآيات اللاحقة، والذي لا يخالف الكتاب والسنّة، فهو جائز لدى العلماء.[2]

وقسّم الشاطبي المفسّرين إلى أقسام ثلاثة:

١. علماء الصدر الأوّل، وهم الراسخون في العلم.

٢. الذي يعلم أنّه لم يصل إلى ذلك الحدّ.

٣. الذي يشكّ في وصوله إلى ذلك الحدّ.

والقسم الثاني والثالث من المفسّرين في رأي الشاطبي هم المشمولون للنهي عن تفسير القرآن.[3]

وذكر القرطبي ـ بناءً على نقل بعض العلماء ـ أنّ المراد من التفسير بالرأي هو التفسير عن الهوى ومن غير اتّباع لرجال السلف.[4]

ويرى محمّد حسين الذهبي ـ من المتأخّرين ـ بأنّ الرأي بمعنى الاجتهاد، والاجتهاد قد يكون قائماً على قواعد وأُصول صحيحة أو غير صحيحة، فيكون التفسير بالرأي على قسمين:

أ) قسم ممدوح.

ب) قسم مذموم.[5]

والأمر المهمّ هنا أنّ دراسة تأريخ الفقه والتفسير والكلام وكلّ موضع يكون فيه العقل

---

١. *التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب*: ٦٩/١ ـ ٧٠.

٢. *البحر المحيط*: ١٣٣/١.

٣. *الموافقات*: ٦٧٠ ـ ٦٧١.

٤. *الجامع لأحكام القرآن الكريم*: ٣١/١ ـ ٣٤.

٥. *التفسير والمفسّرون*: ٢٥٥/١ ـ ٢٦٥؛ وللتفصيل راجع: *علوم القرآن عند المفسّرين*: ٢٤٩/١ ـ ٣٠٠.

والنقل متقابلان تعطي أنّ هناك ثلاثة أقسام للتعامل مع النصوص الدينيّة بين المفكّرين الإسلاميّين، سواءأ كان قرآناً أو حديثاً أو غيرهما، وهي:

١. منهج تقديم النقل

يرى أتباع هذا المنهج الفكري أنّه في حالة تعارض العقل مع النقل يكون النقل مقدّماً مطلقاً، وقد خطّأ هؤلاء أيّ نوع من أنواع استخدام العقل في قبال النصوص الدينيّة، وكذا أيّ نحوٍ من تأويل الآيات والروايات. فهم يرون عدم جواز ذلك حتّى في موارد التعارض القطعي مع العقل، وهذا النحو من التفكّر أوجد في الفقه (المدرسة الفقهيّة في المدينة) وفي الحديث والكلام (مدرسة أهل الحديث والظاهريّة،) وكان مالك بن أنس، وأحمد بن حنبل من مؤسّسي هذا النحو من المنهج الفكري.

٢. المنهج الفكري العقلي الإفراطي

يرى مؤسّسو هذا المنهج الفكري تقديم العقل مطلقاً في حالة تعارض العقل مع النقل، ويرى هؤلاء أنّ العقل ـ مضافاً إلى تشخيصه الحسن والقبح، في الأفعال والصفات، وتأويل النصوص الدينيّة ـ قادر على إيجاد الأحكام الشرعيّة في المواطن التي يكون فيها الشرع ساكتاً عن تحديد الوظيفة العمليّة، وبناءً على هذا المنهج الفكري، لا يكون العقل وسيلة لاستنباط الأحكام الشرعيّة من الكتاب والسنّة فحسب، بل يكون قادراً على لعب دور أساس في استنباط الأحكام.

ومن إفرازات هذا المنهج الفكري ظهور العمل بالرأي والقياس في الفقه السنّي وعناوين أُخرى أُضيفت إلى مصادر الاجتهاد، مثل: الاستحسان وسدّ الذرائع، والمصالح المرسلة، وقد بلغت هذه المصادر أوجّها في فقه أبي حنيفة، ومن تلك الإفرازات أيضاً ظهور المعتزلة في تأريخ الكلام لأهل السنّة.

٣. المنهج الفكري المعتدل

ظهر هذا النحو من التفكّر في ظلّ تعاليم أهل البيت عليهم السلام وفي أوساط بعض فرق الشيعة.

وقد حاول الأئمّة عليهم السلام وفي جميع المواقف من الكتاب والسنّة تقبيح وذمّ المنهج النقلي الإفراطي الذي لا يفعّل العقل بل يسقطه كلّياً، كما حاولوا ردّ المنهج العقلي الإفراطي لمدرسة أهل الرأي والقياس، وكانت طريقة أهل البيت عليهم السلام الاهتمام بالعقل والاعتماد عليه في المواطن الضروريّة على أساس الضوابط والقواعد الصحيحة.

ومن النماذج الشائعة في هذا المجال دعوة الإمام الصادق بالرجوع إلى القرآن واستنباط الأحكام من الآية الشريفة: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[1،2] وهو إمضاء للمنهج العقلي في التعامل مع الآيات، وفي قبال ذلك معاتبته لأبان بن تَغلِب لاعتماده القياس العقلي في مسألة الدية.[3]

وعلى هذا الأساس يكون ما ورد في الروايات من ذمّ العمل بالرأي في تفسير القرآن ناظراً إلى المنهج العقلي من النوع الثاني (الإفراطي) الذي يظنّ فيه الشخص تمكّنه من فهم جميع أسرار القرآن ومفاهيمه بغض النظر عن السنّة وإرشاد المعصومين، ورواية «إنّما يعرف القرآن من خوطب به»،[4] ورواية «ليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن»،[5] فهما ناظرتان إلى هذه النقطة، كما أنّ جميع الروايات التي تدعو إلى التفكّر والتدبّر في القرآن وتجوّز تفسيره ناظرة إلى المنهج العقلي من النوع المعتدلّ والمتوسّط، وهي ضمن دعوتها إلى العقل تدعو إلى مراجعة الروايات الصحيحة أيضاً بإصرار.[6]

وحينئذٍ فالتعبير بالنهي عن العمل بالرأي في التفسير يختلف عن المنهج العقلي في التفسير، فإنّ التعبير بالسنّة ناظر إلى المنهج العقلي المفرط، لذا فإنّ التفسير بالرأي يعدّ قبيحاً ومذموماً دائماً، وليس كما ظنّ محمّد حسين الذهبي بأنّه ينقسم إلى مذموم وممدوح.

ب) مفهوم التفسير بالرأي عند الإمام الخمينيّ

يظهر من مجمل حديث الإمام في شأن التفسير بالرأي أنّ التفسير بالرأي في نظره يستعمل في أحد أربعة معانٍ، وهي:

١. تفسير القرآن من بُعد واحد.

٢. تفسير آيات الأحكام بدون الاستعانة بالروايات.

---

١. *الحجّ*: ٧٨.

٢. *الكافي*: ٤/٣؛ *تهذيب الأحكام*: ٣٧/١ ـ ٣٨.

٣. *الكافي*: ٣٠٠/٧؛ *من لا يحضره الفقيه*: ١١٩/٤.

٤. *الكافي*: ٣١٢/٨؛ *بحار الأنوار*: ٢٣٨/٢٤.

٥. *المحاسن*: ٣٠٠/٢؛ *وسائل الشيعة*: ١٩١/٢٧.

٦. يرى الشيخ الأنصاري أنّ الرأي في كلا الروايتين بمعنى اعتبار العقل الظنّي الذي هو الاستحسان. راجع: *فرائد الأصول*: ١٤٣/١ـ١٤٤.

٣. تحميل الرأي الشخصي على القرآن.

٤. تفسير الآيات من غير تحصيل وتخصص في العلوم التي يجوز معها التفسير.

وهذه المعاني الأربعة يمكن أن تكون حقيقة التفسير بالرأي، بمعنى تحقّق مفهوم التفسير بالرأي بحصول واحدة منها أو جميعها، وفيما يلي نسلّط الضوء على هذه المعاني الأربعة باختصار، وهي:

١. تفسير القرآن من بُعد واحد

لا يخفى على كلّ باحث قرآني أنّ بعض المعارف القرآنيّة ناظرة إلى البعد المعنوي وإلى عالم الآخرة، نظير دعوة القرآن إلى التزوّد للآخرة وترغيب المؤمنين بالعبادة والقيام لصلاة الليل وتلاوة القرآن. وبعض المعارف الأُخرى من القرآن ناظرة إلى الأبعاد الماديّة وإلى هذا العالم، نظير دعوته إلى إعمار الدنيا، والجهاد، وقتال الكفّار والمشركين.

إنّ عدم الالتفات إلى هذه النقطة والإصرار على كون جميع الآيات معنويّة وأنّها ناظرة إلى عالم الآخرة، أو كون القرآن مادّياً وأنّه ناظر إلى هذا العالم، كما ادّعى ذلك بعض المفسّرين، كلّ ذلك هو نظر إلى بعد واحد للقرآن في رأي الإمام الخمينيرحمه الله، وأنّه أحد مصاديق التفسير بالرأي، وإليك نصّ عبارته في الصنف الأوّل من المفسّرين الذين ينظرون إلى القرآن من البعد المعنوي:

> لقد كان في الماضي جماعة من الفلاسفة والعرفاء والصوفيّين والمتكلّمين وأمثالهم يتتبعون هذه الجهات المعنويّة، فأخذوا من المعنويّات كلّ بمقدار إدراكه، وخطّؤوا القشريّين من المفسّرين، فلما فسّروا القرآن أرجعوا أكثر الآيات إلى تلك الجهات العرفانيّة والجهات الفلسفيّة والجهات المعنويّة، وغفلوا تماماً عن الحياة الدنيويّة وعن الجوانب التي يحتاجها الإنسان في هذا العالم الكبير.[١]

وقال في موضع آخر منتقداً طريقة تعامل العرفاء مع القرآن ونظرهم إليه من جهة واحدة وبُعد واحد:

> أقرّ العرفاء بالإسلام، لكنّهم قد أرجعوا جميع المسائل إلى المعاني العرفانيّة، ولم يذكروا عن المسائل المعاصرة شيئاً، حتّى أنّه لو جاءت رواية أو آية في الجهاد يقولون بأنّ المراد منها: جهاد النفس.

---

١. *صحيفة إمام*: ٢٢١/٣.

وينظرون إلى الإسلام بصورة أُخرى غير تلك الصورة الواقعيّة الشاملة لجميع الجهات.[١]

وقال﵀ أيضاً:

أوّل جماعة القرآن والأحاديث بـ«ما وراء الطبيعة» ولم يلتفتوا إلى هذه الدنيا أصلاً، ولا إلى الحكومة الإسلاميّة.[٢]

وقال ﵀ حين توجه بالنقد إلى الذين ينظرون إلى الآيات القرآنيّة من بُعد واحد، وهو البعد المادي ويرون، كأنّه نازل لهذا البعد فحسب:

وفي هذا العصر أيضاً هناك جماعة آخرون ممّن اشتغل بالأُمور الفقهيّة والأُمور التعبدية قد خطّؤوا أُولئك... وهؤلاء قد حصروا الإسلام بالأحكام الفرعيّة.[٣]

ويرى الإمام﵀ أنّ حمل ما في القرآن على المسائل والأُمور الماديّة والدنيويّة كان ردّة فعل قبال الجماعة الأُولى، قال﵀ في ذلك:

ثُمّ بعد ذلك ابتلينا بردّة فعل في قبال أُولئك... فهذه الجماعة الثانية قد عكست وجعلت المعنويّات فداءً للماديّات، وأُولئك جعلوا الماديّات، فداءً للمعنويّات وعندما جعل أُولئك المعنويّات فداءً للماديات كانوا يأوّلون كلّ آية بأمر دنيوي، وكأنّه لا شيء ما وراء الدنيا، وأنّه لا شيء وراء هذا العالم، فقد جعلوا جميع المسائل فداءً لهذا العالم.[٤]

١. اتفاق رأي العلّامة الطباطبائي﵀ والإمام الخميني﵀ على نبذ النظرة الآحادية للقرآن

لقد وجّه العلّامة الطباطبائي﵀ نقداً في مقدّمة تفسير *الميزان* المناهج الأُحاديّة التي تنظر إلى القرآن من بُعد واحد في مجال التفسير، حيث إنّه بعد أن عدّ أنواع المناهج أشار إلى منهجين فقط، وهما المنهج العرفاني والمنهج المادي، قال في منهج التفسير العرفاني والصوفي:

وأمّا المتصوّفة، فإنّهم لاشتغالهم بالسير في باطن الخلقة واهتمامهم بشأن الآيات الأنفسيّة وعدم اهتمامهم بعالم الظاهر وآياته الآفاقية اقتصروا في بحثهم التفسيري على التأويل، ورفضوا التنزيل: التفسير اللفظي للآيات.[٥]

وقال﵀ في منهج النظرة الأُحاديّة الماديّة للقرآن الكريم:

---

١. المصدر: ٤٥٩/١٠.

٢. المصدر: ٢١٧/١١.

٣. المصدر: ٢٢١/٣.

٤. المصدر: ٢١٧/١١.

٥. *الميزان في تفسير القرآن*: ٧/١.

وقد نشأ في هذه الأعصار مسلك جديد في التفسير، وذلك أنّ قوماً من متحلي الإسلام أثر توغّلهم في العلوم الطبيعيّة ـ وما شابهها المبتنية على الحسّ والتجربة، و[العلوم] الاجتماعيّة المبتنية على تجربة الإحصاء ـ مالوا إلى مذهب الحسيّين من فلاسفة أُوروبا سابقاً، أو إلى مذهب أصالة العمل، فذكروا أنّ المعارف الدينيّة لا يمكن أن تخالف الطريق الذي تصدّقه العلوم، فما كان الدين يخبر عن وجوده ممّا يكذب العلوم ظاهره، كالعرش، والكرسي، واللوح، والقلم، يجب أن يؤول تأويلاً.[1]

وتختلف رؤية الإمام الخميني عن رؤية العلّامة الطباطبائي في بيان النظرة الأحادية للقرآن، وذلك أنّ مراد الإمام من نظرة الفقهاء الأُحاديّة ليس إنكار الأُمور الميتافيزيقيّة بسبب عدم انسجامها مع العلوم البشريّة، بل مراده عدم اهتمام هؤلاء المفسّرين بالأبعاد المعنويّة والعرفانيّة للقرآن.

٢. تفسير آيات الأحكام بدون الاستعانة بالروايات

لقد تعرّض الإمام الخميني في مقاطع من كلام له في بحوثه القرآنيّة دفاعاً عن بعض تأويلات العرفاء، بأنّ هذه التأويلات لا ينبغي عدّها من التفسير لكيلا يظنّ أنّها من التفسير بالرأي، بل ينبغي عدّها من قبيل استنباط لوازم الكلام الإلهي، حيث قال في هذا المورد:

إنّ الاستفادات الأخلاقيّة والإيمانيّة والعرفانيّة لا ترتبط بالتفسير أساساً، لكي تكون من التفسير بالرأي، فلو أنّ شخصاً قرأ وتأمّل في المحاورة التي جرت بين موسى والخضر وطبيعة التعامل بينهما، وقيام موسى بشدّ رحاله ـ مع سمّو مقام نبوته ـ طلباً للعلم، وكيفيّة عرض حاجته على الخضر بالنحو الوارد في الآية الكريمة: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً﴾،[2] وجواب الخضر واعتذارات موسى المتكرّرة، ثُمّ استفاد من كلّ ذلك عظمة مقام العلم وبعض آداب المتعلّم مع المعلّم التي قد يصل ما ورد فيها في هذه الآيات إلى ما يقرب من العشرين أدباً، فإنّ هذه الفوائد لا علاقة لها بالتفسير، فضلاً عن عدّها من التفسير بالرأي؟

وهكذا الحال في الكثير من الفوائد الناجمة من القرآن الكريم في المعارف، فلو أنّ أحداً استفاد من قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[3] ـ الذي يحصر جميع المحامد ويخصص جميع أشكال الثناء بالحقّ تعالى ـ التوحيد الأفعالي، ثُمّ قال: يستفاد من الآية

---

١. المصدر: ٨

٢. الكهف: ٦٦.

٣. الفاتحة: ٢.

الكريمة أنّ كلّ جمال وعزّة وجلال في العالم ممّا تنسبه العين الحولاء والقلب المحجوب إلى الموجودات، إنّما هو من الحقّ تعالى، وأنّ ليس لأيّ موجود شيء من نفسه، لذا كان الحمد والثناء مختصاً بالحقّ تعالى لا يشاركه فيه أحد. فإنّ هذا النوع من الفوائد لا علاقة له بالتفسير أصلاً، فضلاً عن أن يكون تفسيراً بالرأي، إلى غير ذلك من الأمور المستفادة من معاني الكلام، والتي لا ترتبط بالتفسير بأيّ وجه.[١]

وقد ادّعى ـ الشيخ معرفةﷺ في دراسة التفاسير العرفانيّة ـ إنّ كلام العرفاء وتفسيرهم هو من باب الشاهد وتداعي المعاني، لا استناداً إلى الآيات القرآنيّة، ولذا لاينبغي تسمية ذلك تفسيراً، وهو يشبه كلام الإمام الخمينيﷺ الذي نقلناه سابقاً.[٢]

ثُمّ عرض الإمامﷺ نظريّة جديدة في مفهوم وماهيّة التفسير بالرأي، حيث رجّح أن يكون المراد من التفسير بالرأي إبداء الرأي بلا استعانة بروايات المعصومين في آيات الأحكام، قال الإمامﷺ في ذلك:

قد لا يكون التفسير بالرأي مرتبطاً بآيات المعارف والعلوم العقليّة الموافقة للمعايير البرهانيّة والآيات الأخلاقيّة التي يؤدّي العقل فيها دوراً معيّناً؛ إذ إنّ هذه التفاسير تطابق البرهان العقلي المتين أو الاعتبارات العقليّة الواضحة، بحيث لو خالف ظاهر الآيات البراهين العقليّة لوجب صرفها عن ظواهرها، فمثلاً الآيات الكريمة: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾،[٣] و﴿الرَّحْمَانُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾،[٤] يخالف فهمهما عرفياً المنهج البرهاني، لذا فإن ردّ هذا الظاهر وتفسير الآيات بما يطابق البرهان ليس تفسيراً بالرأي، وبالتالي فهو ليس أمراً منهياً عنه.

ومن هنا فإنّ من المحتمل، بل المظنون به، أنّ التفسير بالرأي يتعلّق بآيات الأحكام التي لا تنالها الآراء والعقول، بل لا بدّ من الانقياد والتعبّد التامّ بها وأخذها من خزّان الوحي ومهابط ملائكة الله، كما هو حال أكثر الروايات الشريفة الواردة في هذا الباب والتي وردت لمواجهة فقهاء العامّة الذين أرادوا أن يفهموا دين الله بعقولهم وبالقياس.

كذلك فإنّ ما ورد في الروايات الشريفة من أنّه: «ليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن»،[٥] و«إنّ دين الله لا يصاب بالعقول»،[٦] شاهد على أنّ المراد من: «دين

---

١. *آداب الصلاة*: ١٩٩ـ٢٠٠.

٢. راجع: *تفسير ومفسّران*: ٢/٣٧٥.

٣. الفجر: ٢٢.

٤. طه: ٥.

٥. *بحار الأنوار*: ٨٩/٩٥؛ *تفسير العيّاشي*: ١/١٢.

٦. *بحار الأنوار*: ٢/٣٠٣.

الله» هو الأحكام التعبديّة للدين، وإلّا فإنّ البحث في إثبات الخالق والتنزيه وإثبات المعاد والنبوّة بل مطلق المعارف هي حقّ مطلق للعقول، ومن مختصّاتها.[١]

وعلى هذا الأساس فقد صنّف الإمام الخمينيرحمه الله مفاهيم القرآن إلى ثلاثة أصناف: المفاهيم العقائديّة أو المعارف، ومفاهيم الأخلاق، والمفاهيم الفقهيّة.

وهذا التقسيم جاء وفقاً لما ينسجم مع رواية النبيّصلى الله عليه وآله المعروفة أنّه قال:

إنّما العلم ثلاثة: آية محكمة، أو سنّة عادلة، أو فريضة قائمة.[٢]

إنّ المراد من التفسير بالرأي في نظر الإمامرحمه الله هو إبداء الرأي في الآيات الفقهيّة بلا استعانة بالمعصومين؛ لأنّ هذه المفاهيم هي أُمور تعبديّة، ولا مجال للفكر والتعقّل في الأُمور التعبديّة، وظاهر هذه الالتفاتة أنّها من مختصّات الإمام الخمينيرحمه الله حيث لم تسمع من أحدٍ غيره من المفكّرين.

٣. تحميل الرأي الشخص على القرآن

أشهر نظريّة معروفة في مفهوم التفسير بالرأي ـ كما تقدّم في مقدّمة هذا البحث ـ هي نظريّة تحميل الرأي على القرآن، بمعنى أنّ المفسّر قبل دخوله في تفسير القرآن يحمل معه تصورات وأفكاراً يعتقد بصحّتها، فيحاول حين رجوعه إلى القرآن تحميله إيّاها، وقد ورد عن أمير المؤمنينعليه السلام أنّه قال:

يعطف الهوى على الهدى إذا عطفوا الهوى على الهدى، ويعطف الرأي على القرآن إذا عطفوا القرآن على الرأي.[٣]

وهذه هي إحدى الآراء والنظريّات الموجودة في كلام الإمام الخمينيرحمه الله في مجال التفسير بالرأي، فقد أجابرحمه الله عن رسالة وجهتها نقابة المنظمات الإسلاميّة لاتحاد الطلّاب في أُوروبا، قائلاً:

يجب عليكم أنتم الطلّاب في الجامعات وسائر الطبقات من علماء الدين، وغيرهم ألّا تدخلوا سلائقكم وآراءكم الشخصيّة في تفسير الآيات الكريمة للقرآن المجيد، وأن تجتنبوا تأويل أحكام الإسلام وأدلّته.[٤]

---

١. *آداب الصلاة*: ٢٠٠.

٢. *الكافي*: ٣٢/١؛ راجع: في شرح هذه الأقسام الثلاثة شرح *أصول الكافي*، صدر المتألهين: ٣٧/٢؛ التعليقة على كتاب *الوافي*: ٦٦ـ٦٧.

٣. *نهج البلاغة*: الخطبة ١٣٨.

٤. *صحيفة إمام*: ٣٢٣/٣.

وقد أعاد هذه الملاحظة في موضع آخر من كلامه، قائلاً:

أرى من اللّازم تذكير الكتّاب والمفكّرين الأعزّاء ألّا يفسّروا القرآن الكريم وأحكام الإسلام ويؤوّلوها بآرائهم.[1]

وحذّر رحمه الله في موضع آخر من حديثه من هذا الخطر، حيث كان المدّ المتصاعد عند التيارات الماديّة كالشيوعيّين ـ الذين لا يعتقدون بشيء من عقائد وتعاليم الدين ـ يحاولون إغراء الشباب البسطاء بكلام وأفكار إلحادية بصياغة دينيّة، فلجؤوا إلى القرآن وحاولوا تحميل مبانيهم وعقائدهم الإلحاديّة على القرآن، قال رحمه الله:

جاء في الفترة الأخيرة عدد من الأشخاص الذين ليسوا من أهل التفسير أصلاً، حاولوا أن ينسبوا مقاصدهم وأفكارهم إلى القرآن والسنّة، حتّى أنّ جماعة من اليساريّين والشيوعيّين تمسّكوا بالقرآن لأجل ما لديهم من أغراض فهم يريدون تلقين شبابنا بأفكارهم.[2]

وقال في مقام آخر:

فسّر جماعة ممّن تأثّر بالمدارس المنحرفة آيات القرآن الكريم ونصوص الأحاديث بأهوائهم، وحاولوا تطبيق القرآن مع تلك المدارس.[3]

٤. تفسير الآيات دونما تكون هناك دعامة علميّة كافية في التفسير

من جملة الآراء المعروفة في التفسير بالرأي ـ كما تقدّم ـ إبداء الرأي في تفسير الآيات بدون التسلّح بالقدرات العلميّة والمعارف اللّازمة في التفسير، وقد أكّد علماء الإسلام كثيراً على أنّ المفسّر للقرآن لا بدّ له ـ مضافاً إلى إحاطته بالعلوم العامّة كالصرف والبلاغة، واللغة والفقه والأصول ـ أن يكون مطّلعاً وجامعاً للعلوم الخاصّة بالتفسير كعلوم القرآن، الرجال، الدراية، تاريخ وثقافة عصر الجاهليّة والإسلام، ومباني وقواعد التفسير و...، وعدم تحقّق أيّ واحد من هذه العلوم يؤدّي إلى خلل في تفسير الآيات.[4]

وممّا يؤسف له أنّ البعض ـ سابقاً وفي الحال الحاضر ـ سمحوا لأنفسهم بالدخول في ميدان علم التفسير بمجرّد كسبهم لمعلومات بسيطة في العلوم الإسلاميّة، واشتغلوا بالتدريس

---

١. المصدر: ٢٠٥.

٢. *تفسير سوره حمد*: ٩٥ ـ ٩٦.

٣. *صحيفة إمام*: ٣٠٩/٩.

٤. لمزيد الاطّلاع راجع: *علوم القرآن عند المفسّرين*: ٣١٩/٣ ـ ٣٥٣؛ *التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب*: ٥٢/١ـ٥٧.

والتأليف في هذا المجال، ويتضاعف خطر هذا الأمر إذا كانت أفكار هؤلاء قبل الدخول إلى تفسير القرآن متأثّرة بالآراء الفكريّة والفلسفيّة والسياسيّة والاجتماعيّة.

إنّ كتاب *تفسير الآيات المشكلة في القرآن*، تأليف: يوسف شعار، هو حصيلة تفسير القرآن من النوع الأوّل ـ التفسير بالرأي ـ وبسبب ضعف المعلومات الدينيّة والقرآنيّة ارتكب ـ دون عمد ـ أخطاءً فاحشة، حتّى أنّ الأُستاذ في الحوزة العلمية الشيخ جعفر السبحاني رأى من اللّازم تأليف كتاب *تفسير صحيح الآيات المشكلة في القرآن* لرفع أخطاء الكتاب المذكور، وقد جاء في مقاطع من مقدّمة الكتاب الإشارة إلى أسباب خطأ المؤلّف المذكور، وهي:

١. عدم الاعتناء بالأخبار الصحيحة.

٢. الجمود على سياق الآيات.

٣. الخلط بين المفهوم والمصداق.

٤. عدم الاطّلاع الكافي على تاريخ العرب في الجاهليّة والعصر الإسلامي.

ومن الواضح أنّ مجموع هذه الأسباب ترجع إلى جهل الكاتب بالعلوم اللّازمة في التفسير.

كما ذكر العلّامة العسكري﴿رحمه الله﴾ أخطاء بعض المدّعين للتفسير ممّن يفقد الصلاحيّة واللياقة العلميّة المطلوبة في التفسير.[١]

وما كتب في التفسير من قبل بعض الأحزاب المنحرفة سياسيّاً وفكريّاً في عقود ما قبل الثورة الإسلاميّة كحزب الفرقان، وحزب مجاهدي خلق، الذين عرفوا فيما بعد بالمنافقين، هؤلاء هم من النوع الثاني، يعني مضافاً إلى كون من جاء بهذه الأحزاب في المراحل الأُولى من الناحية المعرفيّة بالإسلام والقرآن، وذلك لتأثّر هؤلاء بشدّة بالفكر الماركسي والإقبال الواسع من قبل الشباب على هذا الفكر الجديد الذي كان بحسب الظاهر من المدافعين عن المحرومين، والذي كان يصرّ على إلغاء الملكيّة الفرديّة لإلغاء الطبقية الاجتماعيّة. ومن جهة أُخرى كان هؤلاء يؤمنون بضرورة إسقاط النظام البهلوي ولزوم المواجهة المسلّحة والجهاد.

ومن الواضح أنّ الذي يؤمن في الجانب الاقتصادي بالنظام الاشتراكي واقتصاد الدولة، وفي البعد السياسي بضرورة الجهاد المسلّح، إلى جانب فقدانه للعلوم اللّازمة في المعرفة

---

١. *نقش أئمة*﴿عليهم السلام﴾ *در إحياى دين*: ٩٤/٧. ٩٥. وقد فهم المهندس بازركان من رواية «الحكمة ضالة المؤمن» فهماً خاطئاً؛ لظنّه أنّ مراد النبيّ﴿صلى الله عليه وآله﴾ بذلك ضلال المؤمن باتّباع الحكمة، لذا فقد وصف الإسلام بأنّه يعارض الفلسفة، راجع: *كيهان هوائي*، العدد: ١٢٤٦.

الدينيّة، فإنّ أمثال هؤلاء إذا سمحوا لأنفسهم بتفسير القرآن فسوف يبتلون بتحميل الرأي على القرآن. وقد اصطلح الشهيد المطهري على هذه الطريقة من التفكير بالأفكار الالتقاطيّة.[١]

وقال آية الله مكارم الشيرازي في هذا المجال أيضاً:

حاول أخيراً جماعة ممّن قلّت بضاعتهم واستهوتهم بساتين خيال الشيوعيّة، لعدم الوعي والمعرفة الكافيّة لمباني الإسلام من جهة، وعدم اطّلاعهم على المباني الشيوعية من جهة أُخرى، فتأثّروا بعقائد وأفكار اليساريين، أقول حاول هؤلاء تحميل تلك المفاهيم على المفاهيم الإسلاميّة، ولو لم تنسجم وتتناسب معها.[٢]

ثُمّ ذكر نماذجاً من التفسير الالتقاطي لهذه الجماعة لسورة الفلق ما حاصله:

قل أعوذ بمن بيده مصير الناس وهو المثل الأعلى لهم، ومن شرّ نظام ظالم غير مرئي يدبّ في صدور الناس.[٣]

وفسّروا سورة الناس بما حاصله:

قل أعوذ بمن بيده طلوع الفجر، فجر الثورة، فجر مزيل السواد والظلام، مزيل الضلال، ومزيل التزوير والأوهام والظلم، من شرّ كلّ قديم، ومن شرّ سواد النظام الذي ملأ سماء البشريّة و... من شرّ القوى الظالمة السارية في إرادة الشعوب من خلال وسائل الإعلام الجماعي.[٤]

ومن الملفت للنظر أنّ دعاوى هؤلاء المنظّرين لحزب المنافقين في مجال تفسير القرآن، ونشرهم لعدّة كتب في هذا المجال تزامن مع انطلاق الثورة الإسلاميّة بقيادة الإمام الخمينيّ الراحل، خصوصاً عندما كان مبعداً في النجف، وكان المنافقون يُدركون جيداً أنّ أفكارهم ـ التي كانت في الظاهر دينيّة وقرآنيّة ـ وحياتهم السياسيّة والعسكريّة التي كانت نوعاً ما ترتبط بهذه الأفكار إنّما تكون مشروعة فيما إذا أيّدها قائد الثورة الإسلاميّة الذي كان فقيهاً ومرجعاً ومفسّراً معروفاً آنذاك، ولذا قاموا بإرسال مندوبين من أفضل المنظّرين إلى النجف، وهما: (حسين روحاني، وتراب حق شناس)، فعقدوا مع الإمام الخمينيّ اجتماعات متواصلة عرضوا خلالها أفكارهم ونظريّاتهم الدينيّة، وكانت الكتب

---

١. لمزيد الاطّلاع راجع: *ريان‌ها وسازمان‌هاى مذهبي سياسى ايران*: ٤٠٦ ـ ٤٠٧.
٢. *تفسير به رأي*: ٣٠.
٣. المصدر: ٣٠، ٣١.
٤. المصدر: ٣١، ٣٢.

التي اصطحبها حسين روحاني معه تعكس أفكار منظمة مجاهدي خلق، وهي عبارة عن: *راه أنبيا راه بشر* ـ أي: طريق الأنبياء طريق البشر ـ، و*إمام حسين* الذي كان يسمّى آنذاك *سيماي يك مسلمان*ـ أي: ملامح المسلم ـ، ونرى من المناسب هنا استعراض ما جاء في هذا الملف التاريخي نقلاً عن لسان حسين روحاني، والسيّد دعائي من أنصار الإمام وأحد مرافقَيْهِ في النجف الذي كان عنصراً نشطاً في هذه اللقاءات.

يقول حسين روحاني في دراسة أفكار هذه المنظمة حول الإسلام وتناقضها مع الأُسس الفكريّة للإمام﵀:

> كنّا نتّفق مع الإمام الخمينيّ﵀ ظاهراً من الناحية الأيدولوجيّة على الإسلام، فكلانا كان يعتقد بالإسلام، لكن كان لكلّ منّا فهمه الخاصّ لهذا الدين، فما كان يعتقده آية الله الخمينيّ﵀ هو الرؤية والفكر الإسلامي بمفهومه الواقعي بلا زيادة أو نقصان، وما كنّا نفهمه نحن من الإسلام كان في الواقع فكراً التقاطياً له صبغة إسلاميّة وماركسيّة معاً.[1]

وقال في موضع آخر:

> كان المجاهدون يوافقون على الأُصول العقائديّة الخمسة ـ طبعاً بحسب رؤيتهم الخاصّة ـ فكان لهم مثلاً بالنسبة للمعاد نظرة أكثر ماديّة ممّا هو متعارف في الإسلام، ويعتقدون بإمامة الأئمّة﵈ لكن لا بصفتهم معصومين ومنزهين عن الخطأ.[2]

ولأجل وجود مثل هذا الالتقاط الفكري لدى المنافقين ورواج التفسير بالرأي لديهم، قال الإمام﵀ في جواب السيّد دعائي عندما سأله عن نتيجة المحادثات والحوار العلمي بينه وبين المنافقين، وبعد اطّلاعه على كتاب: *راه أنبيا راه بشر*، قال﵀:

> إنّ هؤلاء يريدون أن يقولوا في هذا الكتاب بأنّه لا معاد، وأنّ المعاد هو السير التكاملي لهذا العالم، وهذا شيء يخالف المعتقدات الإسلاميّة.[3]

وقال أيضاً:

> لم يكن تمسّك هؤلاء بالقرآن، و*نهج البلاغة* إيماناً وتعبّداً منهم بهذين الكتابين بقدر ما جعلوهما وسيلة لتمرير أفكارهم وتحسين صورتها أمام الناس.[4]

---

١. *جريان‌ها وسازمان‌هاى مذهبى سياسى إيران*: ٤٠٦.

٢. المصدر: ٤٢٠ ـ ٤٢١.

٣. المصدر: ٣٨٤.

٤. المصدر: ٣٨٤.

وصرّح السيّد دعائي في لقاء معه أنّ [حسين روحاني] كان متفائلاً بعقائد وأفكار منظمة مجاهدي خلق، وكان يتوقّع دعم الإمام الخمينيّ رحمه الله له، [حيث قال:]

علمت في ذلك الوقت كم كنت عجولاً في الحكم [بصحّة عقائد وأفكار هؤلاء]، وكم كنت معجباً بهم، وكم كنت متأخّراً في معرفة هذه الحقيقة، فإنّ الذي قضى عمره في البحث الفلسفي والإسلامي والفقهي والتفسيري بإمكانه أن يفهم ذلك بدقّة، وبإمكانه أن يعرف الموضع الذي ينبغي التوقّف عنده أو يدعمه ويساعد عليه أو يرفضه.

وهذه الحادثة التاريخيّة تثبت جيداً أمرين:

١. إنّ الخطر الانحرافي وتزلزل الأُسس الدينيّة الصحيحة موجود دائماً، خصوصاً بالنسبة للذين يدّعون القدرة على طرح النظام الفكري والعقائدي رغم ضحالة مستواهم العلمي.

٢. إنّ المجتمع الديني ـ ولأجل أن يبقى سالماً ومصوناً من هذه الأخطار لمواجهة هؤلاء ـ بحاجة دائماً إلى علماء يمتازون ببعد النظر ويتأمّلون في عواقب الأُمور.

قال الإمام الخمينيّ رحمه الله في ذلك:

ابتلينا أخيراً بجماعة يقولون نحن مسلمون، لكن لا توحيدهم توحيداً إسلاميّاً، ولا إيمانهم بالبعث والمعاد إسلاميّاً، ولا نبوّتهم نبوّة إسلاميّة، ولا إمامتهم، فكلّ ذلك كان خلاف الإسلام، وليس هذا الأمر بالجديد، بل ظهر منذ عشر سنوات أو خمسة عشر سنة.

وقد جاءني بعض هؤلاء وكان معمّماً، وقال: بأنّنا قد فهمنا بأنّ المعاد هو هذا العالم، وعالم الجزاء هو هذا العالم، وهؤلاء كانوا سابقاً وما زالوا، بل ازداد عددهم، وعندما كنت في النجف جاء شخص من قبل بعض هذه الأحزاب، وبقي هناك أكثر من عشرين يوماً ـ وقال البعض: إنّه بقي أربعاً وعشرين يوماً ـ وكان يأتي كلّ يوم إليّ ساعة أو أكثر يتحدّث، وكان كلّ كلامه عن القرآن و*نهج البلاغة*، ممّا أدى إلى إساءة ظنّي به.[1]

لقد ذكر المرافقون للإمام الخمينيّ رحمه الله بأنّ الإمام على الرغم من الاجتماعات المتكررة له مع المندوب عن منظمة المنافقين والمتحدّث باسمهم، ومع رغبة بعض أتباع الإمام، بل إصرارهم على تأييد الإمام رحمه الله وإمضائه لأفكار المنافقين، ودعمه لهم في مواجهة النظام البهلوي، إلّا أنّه بدرايته وفراسته التي أعجبت حتّى أنصاره كان يسيء الظنّ بهذه الأفكار ويرفض تأييدها، وكانت سوء نيّة المنافقين واضحة من كلام المتحدّث باسم الحركة حسين روحاني. فقد كان الإمام يصرّح بأنّ هؤلاء مسلمون بحسب الظاهر، إلّا أنّ إيمانهم وعقائدهم لا تنسجم أبداً مع التعاليم الدينيّة.

---

١. *صحيفة إمام*: ١٠/٤٥٩ـ٤٦٠.

وصرّح الإمام الخمينيرحمه الله في موضع آخر بأنّ هناك جماعة من الشيوعيّين والملحدين أيضاً ادّعوا قدرتهم على تفسير القرآن، قالرحمه الله:

ظهر في الفترة الأخيرة أشخاص ليسوا من أهل التفسير أصلاً، وكان هؤلاء يريدون نسبة مقاصدهم ومعتقداتهم إلى القرآن والسنّة، حتّى أنّ جماعة من اليساريّين والشيوعيّين تمسّكوا بالقرآن لأجل مقاصدهم تلك... إنّ هؤلاء يريدون تلقين أفكارهم المنحرفة إلى شبابنا باسم الدين والإسلام، ولذا فانّي أقول: بأنّ الذين لايتمتعون بمستوى علمي رفيع، والشباب الذين لا معرفة لهم بهذه المسائل ولااطلاع لديهم عن المسائل الإسلاميّة، والذين لا علم لهم بعلوم الإسلام، على هؤلاء ألّا يمارسوا تفسير القرآن.[1]

وقالرحمه الله في موضع آخر أيضاً:

يفهم من كلام وكتابات بعض الحركات أنّ الذين، لا صلاحيّة لهم في معرفة وتشخيص الأحكام والمعارف الإسلاميّة قد تأثّروا بالمدارس المنحرفة وفسّروا آيات القرآن الكريم ونصوص الأخبار بأهوائهم، وحاولوا تطبيق ذلك على تلك المدارس، ولم يعلموا بأنّ مدارك الفقه الإسلامي تبتني على أُسس تحتاج إلى درس وبحث وتحقيق طويل.[2]

ويستنتج من كلام الإمامرحمه الله في هذا المجال نقاط ثلاث:

١. إنّ عباراته: **قد ابتلينا أخيراً بجماعة... وقد ظهر في الفترة الأخيرة أشخاص...، ويفهم من كلمات وكتابات بعض الحركات...** ناظرة إلى حركات منحرفة فكريّاً وسياسيّاً كالمنافقين، وحركة فرقان، وسائر الحركات السياسيّة المنحرفة التي تزامنت وظهرت مع الحركة العلميّة والسياسيّة للإمام الخمينيرحمه الله ونهضته، وقد سعى هؤلاء ـ إلى على رغم الفقر العلمي ـ تفسير القرآن فارتكبوا أخطاء فاحشة كثيرة.

٢. إنّ [بعض] عباراته مثل: **إنّ هؤلاء أرادوا نسبة أفكارهم إلى القرآن والسنّة، وقد تأثّروا بالمدارس المنحرفة وفسروا آيات القرآن الكريم ونصوص الأخبار بأهوائهم، وحاولوا تطبيق ذلك على تلك المدارس...** هي دليل على ظاهرة تحميل آرائهم وعقائدهم على القرآن عند تفسيرهم القرآن؛ لأنّ في مجال التفسير بالرأي ظاهرتان:

أ) أن يتّخذ الشخص موقفاً ورؤية خاصّة قبل الدخول في تفسير القرآن متأثّراً ببعض الأفكار.

ب) أن يحاول الشخص بعد الرجوع إلى القرآن تحميل أفكاره على القرآن، وهذه الظاهرة

---

١. *تفسير سوره حمد*: ٩٣.

٢. *صحيفة إمام*: ٣٠٩/٩.

تنطبق ـ كما تقدّم في كلام الإمام ـ على طريقة تفسير الجماعات المنحرفة سياسياً.

ج) إنّ عباراته مثل: **الذين ليس لهم مستوى علمي رفيع و الشباب الذين لا معرفة لهم في هذه المسائل ومسائل الإسلام، و الذين لا علم لهم بالإسلام لا بدّ ألّا يتدخلوا في تفسير القرآن، ولم يعلموا بأنّ مدارك الفقه الإسلامي تبتني على أساس هو بحاجة إلى درس وبحث وتحقيق طويل** هذه الجمل تتضمن بيان نقطتين:

الأولى: إنّ إبداء الرأي في العلوم والمعارف الدينيّة بحاجة إلى سنوات من الدرس والبحث والتحقيق، وأنّه لا يسمح لأحد إبداء الرأي في القرآن والأخبار إلّا لمن يتّصف باللياقة العلميّة المطلوبة، وإلّا فسوف يرتكب أخطاءً لا تغتفر؛ ولذلك ورد عن رسول الله قوله:

من أفتى الناس بغير علم كان ما يفسده أكثر ممّا يصلحه.[١]

وقال الإمام الصادق أيضاً:

من فسّر القرآن برأيه إن أصاب لم يؤجر، وإن أخطأ كان إثمه عليه... .[٢]

لأنّه كما في تعبير العلّامة الطباطبائي:

إنّ كان صائباً في النتيجة والوصول إلى المراد، فقد أخطأ الطريق والمنهج.[٣]

وكأنّ الشارع يريد سلوك طريق خاصّ في هذه المسائل الخطيرة مضافاً إلى النتيجة الحاصلة.

وتأكيد علماء الإسلام على كسب العلوم المختلفة في مختلف المجالات كالفقه والتفسير والحديث و... يبيّن أهميّة كسب العلوم اللّازمة من أجل إبداء الرأي في شأن المعارف الدينيّة.

الثانية: إنّ هذا الكلام مؤيّد لدعوى وجود ظاهرة أُخرى في تفسير الأشخاص والحركات ـ مضافاً إلى ظاهرة تحميل الرأي ـ ألا وهي إبداء الرأي في القرآن دونما هناك دعامة علميّة مطلوبة ولازمة.

---

١. *مستدرك الوسائل*: ٢٤٨/١٧؛ *عوالي اللآلي*: ٦٥/٤.

٢. وورد في بعض الروايات: «وإن أخطأ فهو أبعد من السماء» *بحار الأنوار*: ١١٠/٨٩؛ *تفسير العياشي*: ١٧/١.

٣. *الميزان في تفسير القرآن*: ٧٦/٣.

المصادر

١. *آداب الصلاة*، الإمام الخميني، مؤسّسه تنظيم ونشر آثار امام خميني، طهران، ١٣٧٠ش.
٢. *بحار الأنوار*، محمّد باقر المجلسي، مؤسّسة الوفاء، بيروت، ١٤٠٣هـ.
٣. *التبيان في تفسير القرآن*، الشيخ محمّد بن حسين الطوسي، مؤسّسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٣هـ.
٤. *التعليقة على كتاب الكافي*، السيّد محمّد باقر محقّق داماد، مطبعة خيام، قم، ١٤٠٣هـ.
٥. *تفسير البحر المحيط*، أبو حيّان محمّد بن يوسف الأندلسي، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ.
٦. *تفسير الصافي*، الملّا محسن فيض الكاشاني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٢هـ.
٧. *تفسير العيّاشي*، محمّد بن مسعود العيّاشي، المكتبة العلميّة الإسلاميّة، طهران.
٨. *تفسير به رأي*، ناصر مكارم الشيرازي، مدرسة الإمام أمير المؤمنينعليه‌السلام، قم.
٩. *تفسير سوره حمد*، الإمام الخميني، مؤسّسه تنظيم ونشر آثار امام خميني، طهران، ١٣٧٥ش.
١٠. *تفسير صحيح آ يات مشكله قرآن*، جعفر السبحاني، مؤسسة الإمام الصادقعليه‌السلام الطبعة الثالثة، قم، ١٣٧١ش.
١١. *التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب*، محمّد هادي معرفت، دانشگاه علوم إسلامي رضوي، مشهد، ١٤١٨هـ.
١٢. *التفسير والمفسّرون*، محمّد حسين الذهبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٣. *تفسير ومفسّران*، محمّد هادي معرفت، ترجمة علي خيّاط، مؤسّسه فرهنگي التمهيد، قم، ١٣٧٩ش.
١٤. *التوحيد*، الشيخ الصدوق، دار المعرفة، بيروت.
١٥. *تهذيب الأحكام*، أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي، دار الكتب العلميّة، طهران، ١٣٩٠هـ.
١٦. *جامع البيان عن تأويل آيات القرآن*، ابن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.
١٧. *الجامع لأحكام القرآن الكريم*، أبو عبد الله القرطبي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤٣٠هـ.
١٨. *جريان‌ها وسازمان‌هاى مذهبي ـ سياسى ايران*، السنوات ١٣٢٠. ١٣٧٥، رسول جعفريان، مؤسّسه فرهنگي دانش وانديشه معاصر ـ طهران، الطبعة الرابعة، ١٣٨٠ش.
١٩. *الخصال*، الشيخ الصدوق، مؤسّسة النشر ، قم.
٢٠. *شرح أصول الكافي*، محمّد بن إبراهيم صدر المتألهين الشيرازي، مؤسّسه مطالعات وتحقيقات فرهنگى، طهران، ١٣٦٦ش.
٢١. *صحيفه إمام*، الإمام الخميني، مؤسّسه تنظيم ونشر آثار إمام خميني، طهران، ١٣٧٩ش.
٢٢. *علوم القرآن عند المفسّرين*، مركز الثقافة والمعارف القرآنيّة، قم، ١٣٧٤ش.
٢٣. *عوالي اللآلي*، ابن أبي جمهور الأحسائي، سيّد الشهداء، قم، ١٤٠٣هـ.
٢٤. *فرائد الأصول*، الشيخ مرتضى الأنصاري، مؤسّسة النشر الإسلامي، قم.
٢٥. *الكافي*، محمّد بن يعقوب الكليني، ترجمة سيد جواد مصطفوي، انتشارات علميّه إسلامي، طهران.

٢٦. *المحاسن*، أحمد بن محمّد البرقي، دار الكتب الإسلاميّة، طهران.
٢٧. *مستدرك الوسائل*، الميرزا حسين النوري، مؤسّسة آل البيت، قم، ١٤٠٧هـ.
٢٨. *من لا يحضره الفقيه*، الشيخ الصدوق، مؤسّسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٠٤هـ.
٢٩. *الموافقات في أصول الشريعة*، أبو اسحاق الشاطبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٣هـ.
٣٠. *الميزان في تفسير القرآن*، السيد محمّد حسين الطباطبائي، مؤسّسة النشر الإسلامي، قم.
٣١. *نقش أئمّه در إحياى دين*، مرتضى العسكري، مجمع علمى إسلامى، طهران، ١٣٧٠ش.
٣٢. *نهج البلاغة*، السيّد الرضي، تعليق الدكتور صبحي الصالح، مؤسّسة دار الهجرة، قم، ١٤٢٥هـ.
٣٣. *وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة*، محمّد بن حسن الشيخ الحرّ العاملي، كتابفروشى إسلاميه، الطبعة السادسة، طهران، ١٣٦٧ش.

آراء وأفكار الإمام الخمينيﷺ عدم تحريف القرآن

علي رضا أخوان صرّاف

الخلاصة

لا زالت سلامة القرآن من التحريف ـ وعلى طول التاريخ ـ ساحة لعرض الأفكار وآراء العلماء الإسلاميّين وغيرهم، وقد جرّ البحث في ذلك العلماء من جميع الفرق الإسلاميّة لكي يثبتوا سلامة آخر الكتب الإلهيّة من التحريف. وقد بذل الجميع جهودهم في ذلك؛ لأنّ أهمّ وأكبر نقاط القوّة في دين الإسلام هو صيانة مصادره وأصالتها.

ونظراً إلى مكانة الوحي الإلهي وسمّوه سعى البعض لإضعاف مواقف الفِرَق الأُخرى باتهامهم بالتحريف زيادة أو نقصا.

مضافاً إلى ذلك، فإنّه منذ بداية البعثة المباركة إلى اليوم لم تخلُ ساحة الوحي الإلهي من خدشة واتهام المغرضين ومعوجي الفهم، فظنّ كلّ من دخل هذه المعركة أنّه قد حصل على شيء، وهذا المختصر منعقد من أجل بيان بعض آراء الإمام الخمينيﷺ في هذا المجال.

المقدّمة

لا زالت مصونيّة وسلامة القرآن من التحريف معتركاً للأفكار وآراء العلماء الإسلاميّين وغيرهم، وقد سعى كبار العلماء من جميع الفرق الإسلاميّة بما لديهم من حول وقوّة إثبات سلامة آخر الكتب السماوية؛ وذلك لأنّ أكبر وأهمّ نقاط قوّة الإسلام أصالة مصادره الأُولى.

لقد حاول جماعة ـ وعلى مرّ تاريخ الإسلام حتّى في زمان نزول الوحي وفي حضور النبيّ ﷺ ـ تحريف وتغيير معنى ومفهوم الوحي الإلهي لأغراض فرديّة وجماعيّة.

ومن جهة أُخرى فإنّ عدم ذكر فضائل أهل بيت العصمة والطهارة ﵃ بشكل علني في القرآن دعا جماعة للاعتقاد بتحريف القرآن؛ توهّماً منهم بتأثير طول الزمان وتطرّق قلم التحريف إلى القرآن، وينظر هؤلاء اليوم ـ وهم معجبون ـ إلى تبعات هذه النظريّة وانعكاساتها السيئة في داخل البلاد وخارجها.

وهناك جماعة آخرون دخلوا هذه المعركة عن قصد وغرض من أجل الخدشة في أصالة القرآن، حتّى أنّ شخصاً مجهولاً سعى لنشر كتاب كلّه كذب وطبع منه بكمية كبيرة عن طريق مؤسّسة مغرضة، ثُمّ بعد إصدارات لاحقة صدر الكتاب على أنّه من المصادر الأساسيّة لمذهب أهل البيت ﵃ عن طريق نفس هذه المؤسّسة.

وفي موقف آخر اضطرت أسئلة بسيطة ومثيرة للمشاعر مطروحة من بعض المجهولين دعوا فيها أحد الكتاب إلى كتابة كتاب، استلزم ذلك كتابة عشرات الكتب، بل مئات الكتب والمقالات الأُخرى لأجل رفع هذه الشبهة واستقامة فهم من لا يفهم بصورة صحيحة.

وأسوأ من ذلك نشر الأساطير من بطون النصوص التاريخيّة في قالب رواية شاملة، لكي تكون نقطة سوداء في ملف تحريف القرآن الذي يأبى عن التحريف.

إنّ الأساطير التاريخيّة التي استخرجت من النصوص الروائية القديمة قد انتشرت في قالب رواية وقصّة بشكل مكتوب أو غير مكتوب؛ لأنّ الشيء المكتوب اليوم هو على كلّ حال ميراث مكتوب للأجيال التي ستأتي.

إنّ الباحث في مذهب أهل البيت ﵃ لا يمكنه تجاهل هذا البحث المهمّ لكونه بحثاً قديماً، وتركه يؤدّي إلى طعن أقرانه في الدين الذين يأتون بروايات وآراء كثيرة على صدق دعواهم، ومن جهة أُخرى لا بدّ من الإجابة عن الشبهات والحركات المرجفة في تاريخ القرآن، خوفاً من أن تأتي الأجيال اللاحقة أمثالنا فيرثونها، لبساطة وطيبة أفكار المفكّرين السابقين وعدم استقامة مرضى القلوب.

ويحاول هذا المقال أن يعكس آراء مؤسّس الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران في سلامة القرآن وصيانته من التحريف، وبيان الأفكار العلميّة والعرفانيّة لهذا الرجل الكبير.

المنهج المعرفي

يمكن لجميع العلوم والمعارف البشريّة النظر إليها من حيث الرؤية العامّة من خلال منهجين هما: باطني وظاهري:

المنهج الأوّل:

في هذا المنهج يقتصر المفكّر على النصّ بما هو نصّ، مع غضّ النظر عن الجانب التاريخي والظروف السياسيّة والاجتماعيّة، وكذا الوضع التاريخي للمفكّر، وهو المعبَّر عنه بـ «**الاتّجاه النصّي في تحليل النصوص**».

المنهج الثاني

وهو الاقتصار على الجانب التاريخي للنصّ، ويكون تفسيره في بعدي زمانه ومكانه الخاصّ، ممّا يقلّل من اعتباره وأصالته، وهو المعبَّر عنه بـ«**الاتجاه التاريخي في تحليل النصوص**».[١]

ونحن نسعى في هذا البحث أن ننهج منهجاً وسطاً في ظِلّ المكانة السياسيّة للإمام؛ لكيلا ينحاز قلمنا إلى هذا الاتّجاه أو ذاك، مع الإذعان بأنّ بعض الآراء الحكوميّة المبتنية على مصالح خاصّة في زمان معين يمكن حصرها بتاريخ خاصّ بالضرورة.

ويلزم القول إنّ الهدف من هذا المختصر هو تبيين وعرض الأفكار والرؤى، لا نقدها.

معرفة المصادر

نظراً لعدم وجود تأليف ـ عدا *تفسير سورة الحمد* ـ أو خطاب قرآني مستقلّ للإمام الخميني﵀، لكن فيما يرتبط بآرائه القرآنيّة يمكن ذكر المصادر التالية:

- تآليف وتصانيف عديدة ضمن دروس الحوزة العلميّة.
- خطابات وأقوال عامّة في مختلف المناسبات.
- دروس في تفسير سورة الحمد.
- رسائل عائليّة.

وهناك مصادر من الدرجة الثانية كتبت في السنوات الأخيرة، قامت بجمعها مؤسّسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني﵀ وآخرون، سوف تأتي في آخر هذا المقال لاحقاً.

---

١. مقتبس من مقالة: *انديشه سياسي إمام خميني*، أبعاد وزوايا.

والنقطة المهمّة الأُخرى هو أنّ معرفة السير التاريخي لآراء الإمام القرآنيّة وسيرها الباطني ومعرفة الوقت التقريبي لكتابة وتدوين تلك الآثار سوف يمهّد لنا الطريق في حلّ بعض التعارضات الظاهريّة في مثل: *كشف الأسرار* (١٣١٨هق)؛ و*آداب الصلاة* (١٣٢١هق)؛ و*أنوار الهداية* (١٣٢٥ش)

السابقة التاريخيّة

يمكن التعرّف على بحث (صيانة القرآن من التحريف) من خلال محاور بحث عموم التحريف عند الشيعة، وبحث اتّهام غير الشيعة لهم بالتحريف، بالإضافة إلى بحث محاولة الكفّار لتحريفه في مراحل تاريخيّة مختلفة.

أمّا بالنسبة إلى دعوى التحريف في المذهب الشيعي، فإنّ التسليم بها سوف يؤدّي إلى آثار سيئة، كزوال حجيّة ظواهر القرآن وتطرّق الإجمال إليه، ممّا يؤدّي إلى تزلزل أُصول وأُسس الفقه.

وأمّا بالنسبة لاتّهام غيرهم لهم بتحريف القرآن، فإنّ التشيع واجه ولا زال يواجه اتّهامات القول بالتحريف، وقد بحث علماء الشيعة في ذلك، وقلّما نجد عالماً شيعيّاً ليس له رأي في هذا المجال.

وأمّا بالنسبة لتحريف القرآن من قبل الكفّار، فقد كان عن طريق إشاعة الإسرائيليّات والأساطير، كاسطورة الغرانيق، وصولاً إلى النشاطات التبشيريّة والمدمّرة في القرون الأخيرة، كلّ هذه الأُمور استهدفت حصن صيانة القرآن المنيع، الذي لو انهار لانهار الاعتقاد.

وسوف لا يكون تسخير الإسلام بأكمله بجميع أُصوله الكلاميّة الفعليّة أمراً صعباً، ونحن نحاول فيما يلي التعرّض لهذا البحث ضمن المحاور الثلاثة التالية:

١. اتّهام الشيعة بالتحريف

إنّ السابقة التاريخيّة لاتّهام علماء الإماميّة بالاعتقاد بتحريف القرآن تعود إلى القرون الأُولى لتاريخ الإسلام. ولعلّ أوّل موقف شيعي ينفي تهمة التحريف يظهر في كتابات الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، فإنّه يقول:

> اعتقادنا أنّ القرآن الذي أنزله الله على نبيه هو ما بين الدفتين، وهو ما في أيدي الناس، ليس بأكثر من ذلك ... ومن نسب إلينا أنّا نقول إنّه أكثر من ذلك، فهو كاذب.[١]

---

١. *رسالة الاعتقادات*: ٩٣.

كلام الإمام الخميني رحمه الله يوضّح موقف علماء الإماميّة في قوله:

إنّ القرآن بخطّ أمير المؤمنين عليه السلام أو بخط السجاد عليه السلام موجود الآن أيضاً، وإن الذي عندنا هو هذا القرآن لا شيء سواه، وهو لم يتغيّر أصلاً.[1]

٢. دعوى التحريف داخل المذهب الشيعي

لقد نفى الأخباريّون صحّة الأخذ بظواهر الكتاب المجيد، واستدلّوا على ذلك بوجوه: منها: وقوع التحريف في الكتاب حسب أخبار كثيرة، فلا يمكن التمسّك بظواهره؛ لعروض الإجمال عليه بسبب التحريف، مع أنّ هذا الكلام ممنوع صغرى وكبرى.[2]

وقد تعرّض الإمام رحمه الله لذلك في بحث حجيّة الظهور والظواهر ـ ضمن ردّه لدعوى القائلين بعدم حجيّة ظواهر الكتاب (لإجمال ظواهر الكتاب بسبب التحريف) ـ لعدّة أدلّة:

الأوّل: ردّ الإمام رحمه الله صغرى الاستدلّال التي ترى تحريف القرآن بوقوع النقص فيه وحذف بعض الأمور منه نحو فضائل أهل البيت عليهم السلام؛ نظراً إلى سيرة الأئمّة عليهم السلام والعلماء الماضين على عدم التحريف ـ في هذا المورد ـ يقول:

لو كان الأمر كما ذكره هذا، وأشباهه من كون الكتاب الإلهي مشحوناً بذكر أهل البيت وفضلهم، وذكر أمير المؤمنين وإثبات وصايته وإمامته، فلِمَ لم يحتجّ بواحد من تلك الآيات النازلة والبراهين القاطعة من الكتاب الإلهي أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.[3]

وقد جاء هذا البحث مفصّلاً في دروس الأُصول للإمام رحمه الله، حيث قال:

إنّ المتتبع لتاريخ الإسلام يُدرك مدى اهتمام المسلمين على جمع الكتاب وحفظه وضبطه قراءة وكتابة وبالتالي بطلان تلك المزعمة، وأنّه لا ينبغي أن يركن إليه ذو مسكة، وما وردت فيه الأخبار بين ضعيف لا يستدلّ به، إلى مجعول تلوح منه أمارات الجعل، إلى غريب يقضى منه العجب، إلى صحيح يدلّ على أنّ مضمونه تأويل الكتاب وتفسيره إلى غير ذلك من الأقسام.[4]

وردّ الإمام رحمه الله كبرى الاستدلّال على فرض وقوع التحريف في غير آيات الأحكام قائلاً:

---

١. *صحيفة إمام*: ١٩١/٤.

٢. *أنوار الهداية*: ٢٤٣.

٣. المصدر: ٢٤٥.

٤. *تهذيب الأصول*: ١٦٥/٢.

وأمّا الكبرى؛ فلأنّ التحريف ـ على فرض وقوعه ـ إنّما وقع في غير آيات الأحكام ممّا هو مخالف لأغراضهم الفاسدة.[1]

على أنّ ذكر أهل البيت عليهم السلام وفضائلهم في رأي الإمام موجود بشكل غير مباشر في مواضع من القرآن، وفي هذا الصعيد يتحدّث قائلاً:

نحن نقول: إنّ «أولو الأمر» في القرآن، و«أهل الذكر» في آيات كثيرة، و«أهل البيت» في آية التطهير، و«الصادقين» في آية ﴿كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ و«حبل الله» في آية الاعتصام بحبل الله، و«صراط الله» و«الصراط المستقيم»، و«المؤمنون» في آية ﴿إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾ و«الإمامة» في آية ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ ومئات غير هذه الآيات كلّها كانت بصدد بيان الإمامة والإمام، وإن لم يذكر فيها اسم الإمام بالخصوص.[2]

ووافق الإمام في رأيه سائر علماء الإمامية أنّ في القرآن نوعاً من التحريف المعنوي، وقد غلب الطابع العرفاني في كلام الإمام في هذه المسألة، قال:

وهذا هو القرآن الخالص من التحريف والتغيير المأخوذ مباشرة من كتاب الوحي الإلهي، وأنّ من يستطيع تحمل هذا القرآن هو الوجود الشريف لولي الله المطلق علي بن أبي طالب عليه السلام، والآخرون لا يقدرون على الحصول على هذه الحقيقة إلّا بعد تنزّلها من مقام الغيب إلى الشهادة ومرورها عبر الأطوار الملكيّة والاكتساء بكسوة الألفاظ والحروف الدنيويّة، الأمر الذي يمثّل واحداً من معاني التحريف الواقع في جميع الكتب الإلهيّة وفي القرآن الشريف.

فالآيات الكريمة بتمامها وضعت في متناول الإنسان، وهي تنطوي على بعض التحريفات، بل تنطوي على تحريفات كثيرة تتناسب مع المنازل والمراحل التي طوتها في سيرها من حضرة الأسماء حتّى أدنى موضع لها في عوالم الشهادة والملك. ومراتب التحريف تنطبق مع مراتب بطون القرآن الكريم حذو النعل بالنعل... .[3]

كان حكام الجور والعلماء المرتبطون بهم يجوّزون التحريف المعنوي على القرآن.

وقد أوضح الإمام الخمينيّ ذلك بقوله:

لمّا كان علماء الجور يرون أنّ القرآن يخالف سلطانهم، فكانوا كلّما يرون شيئاً من القرآن يتعارض معها ويخالفها لا يقدرون على رفعه من القرآن يستعينون بعلماء الدين ليحرفون معناه ويفسّرونه بما يرغبون فيه.

---

١. *أنوار الهداية*: ٢٤٧.

٢. *كشف أسرار*: ١٣١؛ نقلاً من كتاب *قرآن كتاب هدايت*.

٣. *آداب الصلاة*: ١٨١.

ولكن ـ بحمد الله ـ بقي القرآن بين المسلمين، ولم يتمكّنوا من تحريفه أو إزالته، ولو استطاعوا لفعلوا.[١]

٣. محاولة الكفّار تحريف القرآن

بعث الإمام الخميني رحمه الله رسالة إلى الشعب الإيراني في قضيّة سلمان رشدي [الكاتب المرتد]، وكتب فيها ما هذا نصّه:

باسمه تعالى ﴿إِنَّا لله وَ إِنّا إِلَيْه راجِعُونَ﴾ نُعلم المسلمين الغيارى في أنحاء العالم بأنّ مؤلّف كتاب *الآيات الشيطانيّة* الذي كُتب ضد الإسلام والنبيّ والقرآن، وطبع ونُشر... محكوم بالإعدام ... لكيلا يجرأ أحد بعد ذلك على إهانة مقدّسات المسلمين...

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

روح الله الموسوي الخميني.[٢]

لعلّه يمكن القول: بأنّه قبل إصدار الإمام الخميني رحمه الله الفتوى بقتل سلمان رشدي، قلّما نجد فقيهاً أفتى بارتداده وقتله لنشره كتب الضلال، وحاول النيل من القرآن، فأراد الإمام رحمه الله بذلك مواجهة كلّ نوع من إشاعة ثقافة تحريف القرآن لكيلا يجرأ أحد على إهانة مقدّسات المسلمين بعد ذلك، واسم كتاب *الآيات الشيطانيّة* مقتبس من أُسطورة الغرانيق.

الخاتمة

لم يُذكر في هذا المقال الاختلاف الموجود بين الآراء والأفكار، مع أنّ هذا المؤتمر قد اهتمّ باستعراض الأفكار القرآنيّة للإمام الخميني رحمه الله، في حين أنّ ما يبحث عنه في هذا المقال ـ وأغلب المقالات والكتابات المشابهة ـ هو الآراء لا الأفكار، والمقام لم ينعقد لطرح الأفكار بسبب الارتباط الأصولي والتاريخي، وقد كان من الأنسب تسمية هذا المؤتمر بـ «دراسة الأفكار والآراء القرآنيّة للإمام الخميني رحمه الله».

---

١. *صحيفة إمام*: ٤٢٣/١٨.

٢. المصدر: ٢٦٣/٢١.

المصادر

١. *آداب الصلاة*، الإمام الخميني، مؤسّسه تنظيم ونشر آثار إمام خميني، طهران،١٣٧٣ش.
٢. *أنوار الهداية في التعليقة على الكفاية*، الإمام الخميني، مؤسّسه تنظيم ونشر آثار إمام خميني، طهران،١٣٧٢ش.
٣. *تهذيب الأصول*، (تقريرات درس أُصول الإمام الخميني) جعفر السبحاني، مؤسّسة نشر اسلامي، قم، ١٤٠٥هـ.
٤. *صحيفه امام*، الإمام الخميني، مؤسّسه تنظيم ونشر آثار إمام خميني، طهران، ١٣٧٢ش.
٥. *قرآن كتاب هدايت در ديدگاه امام* خميني، مؤسّسه تنظيم ونشر آثار إمام خميني، طهران، ١٣٨٢ش.
٦. *كشف أسرار*، الإمام الخميني رحمه الله انتشارات مصطفوي.

السنن الاجتماعيّة في القرآن عند الإمام الخمينيّ

حامد شاه بيگي

المقدّمة

تحكم المجتمع وحتى الأحداث التاريخيّة ـ كالهزيمة، والنصر، والخسارة، والربح ـ سلسلة من القوانين والسنن، وليس ذلك من الصدفة. وهذه المسألة هي أساس علم الاجتماع، حيث حاول علماء الاجتماع دراسة الظواهر التاريخيّة والاجتماعيّة وتحليلها لاكتشاف قوانين علم الاجتماع [الجارية في كلّ مجتمع].

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ الدهر يجري بالباقين كجريه في الماضين».[1]

والقرآن الكريم أيضاً جاء بقوانين اجتماعية، وتلك القوانين حاكمة في جميع المجتمعات، ولا مجال للتبديل والتغيير فيها،[2] وهي التي يعبَّر عنها بالسنن الإلهيّة.

ومن أجل التعرّف بصورة أفضل على المجتمع ومدى تأثّره بالعوامل المختلفة لا بدّ من التعرّف على القوانين والسنن الاجتماعيّة الحاكمة على المجتمع.

ومن المهمّ جداً، دراسة السنن الاجتماعيّة التي لها دور مهمّ في حركة الإمام الخمينيّ الذي قاد أكبر ثورة في القرن العشرين ثورة ليس لها مثيل أبداً، وأوجد أهمّ التغيّرات الاجتماعيّة؛ فمن الحري دراسة السنن الاجتماعيّة في القرآن على ضوء فكره.

---

١. *نهج البلاغة*: الخطبة ١٥٢.

٢. قال تعالى: ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ فاطر: ٤٣.

ولمّا كان الإمام رحمه الله سبباً في تحقّق بعض السنن الإلهيّة نظير سنّة انتصار المؤمنين التي عرّفها الله تعالى للإنسان بطريقة وحيّة، لقد حقّق الإمام هذه السنّة ليثبت بطريقة تجريبيّة لجميع العالم ذلك، لذا فإنّ نظرة الإمام إلى مختلف أبعاد سنّة انتصار المؤمنين وشروط تحقّق هذه السنّة الإلهيّة المهمّة أمر مهمّ للغاية.

وفي هذا المقام سوف نبدأ أوّلاً بدراسة لفظ السنّة، ثمّ نطرح بعض السنن الاجتماعيّة التي تعرّض لها الإمام رحمه الله في نتاجه وخطاباته الشفويّة.

دراسة لمصطلح السنّة

إنّ السنّة في اللغة تطلق على: الطريق والمنهج والطريقة.[١]

وجاء هذا المعنى نفسه في كلام المفسّرين أيضاً، منهم العلّامة الطباطبائي رحمه الله، حيث قال:

> السنن: جمع سنّة بمعنى الطريقة الجارية في المجتمع.[٢]

وقال أمين الإسلام الشيخ الطبرسي رحمه الله:

> السنّة هي الطريقة المتبعة، ومنها سنّة النبيّ... والأصل في السنّة أنّها بمعنى الاستمرار في جهة معيّنة.[٣]

وهذا المعنى ينسجم مع الموارد التي وردت فيها هذه اللفظة في القرآن تماماً، فقد جاء في *التفسير الأمثل* مصطلح سُنّة بعد ذكر الآيات الواردة فيها، قال:

> إنّ المستفاد من مجموع هذه الآيات أنّ المراد من السنّة في مثل هذه الموارد عدم تغيّر القوانين الإلهيّة، تكوينيّة كانت أو تشريعيّة.[٤]

ويقول بعض العلماء الإسلاميين في هذا المجال:

> بإمكاننا أن نطلق اصطلاح السنن الإلهيّة على الضوابط الموجودة في الأفعال الإلهيّة أو الطرق التي يدبر الله تعالى أُمور العالم على أساسها.[٥]

فالسنّة الإلهيّة عبارة عن طريقة الله في تدبير أمور العالم.

---

١. *مجمع البحرين*: ٦/٢٦٨.
٢. *الميزان في تفسير القرآن*: ٧/٣٤.
٣. *مجمع البيان*: ٤/٢٦٣.
٤. *تفسير نمونه*: ١٧/٤٣٥.
٥. *جامعة وتاريخ از ديدگاه قرآن*: ٤٢٥.

إنّ للسنن الإلهيّة أنواع مختلفة بعضها يرتبط بأُمور ذلك العالم، ويرتبط بثواب وعقاب الإنسان في الآخرة، وبعضها يرتبط بالأمور الفرديّة، وبعضها يتربط بالأُمور الاجتماعيّة.

والسنن التي هي محلّ بحثنا السنن الاجتماعيّة التي بمعنى القوانين الحاكمة على جميع تغيّر المجتمعات، وفي كلّ مجتمع تتوفر فيه ظروفها يكون القانون حاكماً فيها.

إنّ للسنن الإلهيّة ثلاث خصائص أساسيّة:

الأولى: الشموليّة وعدم التغير والتبديل، وهي خصوصيّة تضفي على السنن جانباً علميّاً منضبطاً.

الثانية: إلهيّة هذه السنن، وقد عبّر عنها القرآن بـ «سنّة الله».

الثالثة: إنّ للإنسان وإرادته دوراً فيها.[1]

وقد كان للإمام الخميني رحمه الله اهتمام بالسنن الإلهيّة بصفتها قوانين اجتماعيّة، فهو يقول في الآية الشريفة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حتّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ﴾[2] إنّ هذه حقيقة... بمعنى أنّ التغيّرات التي تحصل لدى الشعب والأمة تكون منشأً للتغيّرات الكونيّة والتغيرات العالميّة والتغيّرات الموسميّة...

وهذه سنّة إلهيّة، وهي أن تجري الأُمور بأسبابها ومسبّباتها بأمر الله تعالى.[3]

إنّ بعض السنن الاجتماعيّة مطلقة غير مقيّدة بسلوك معيّن من قبل المجتمع، من قبيل: سنن الهداية عن طريق الأنبياء عليهم السلام، وبعضها مشروطة ومقيّدة بسلوك خاصّ من المجتمع.

والسنن المشروطة بعضها عامّ شامل للمؤمنين وأتباع الباطل معاً، مثل: سنّة الإمداد الإلهي، وبعض السنن المشروطة خاصّة بأتباع الحقّ، وبعضها الآخر خاصّ بأتباع الباطل، وسوف نحاول دراسة ذلك ضمن النقاط التالية:

١. سنّة الامتحان الإلهي، وهي من السنن المطلقة.

٢. سنّة ارتباط التغيرات الخارجية مع التغيرات الداخلية للمجتمعات، وهي من السنن المشروطة والعامّة.

٣. سنّة انتصار المؤمنين، وهي سنّة مشروطة وخاصّة بأتباع الحقّ.

٤. سنّة الاستدراج، وهي سنّة مشروطة وخاصّة بأتباع الباطل.

---

١. *سنت‌هاى تاريخ در قرآن*: ١٣٩ـ١٤٧.

٢. الرعد: ١١.

٣. *صحيفة إمام*: ١٠/١٢٨ـ١٣٠.

سنّة الامتحان

لسنّة الامتحان جنبة اجتماعيّة، وهي أيضاً جارية في الأُمور الفرديـة، ولأجـل تحقّق هـذا الامتحان لا بدّ من إعداد أرضيّة ارتكـاب الأفعـال الاختياريّـة ليختـار الإنسان الطريـق الـذي يسلكه بإرادته، ووسائل الامتحان هذه قد تكون اللذائذ والطيبات، وقد تكون بلايـا ومشاكل. فلا بدّ للإنسان أن يصرف النظر عن بعض اللذائذ، وأن يصبر على بعض البلايا ليخرج مرفـوع الرأس من الامتحان والاختبار الذي هو أمامه.

قال الإمام رحمه الله:

إنّ الإنسان معرَّض للامتحان: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَ هُمْ لا يُفْتَنُونَ﴾،[١] أنتم تظنّون، والناس جميعاً يظنون أنّهم إذا قالوا نحن مؤمنين سوف يتركون؟

وأنّهم لايمتحنون؟

وأنّهم بمجرّد أن قالوا: نريد الحرّية سوف يتركون؟

كلا، فسوف يسألون لكي يعلموا أصدقوا أم كانوا كاذبين؟

هل ستترك بمجرّد أن تقول إنّك خادم لهذا الشعب وهذا الوطن؟

سوف تمتحن، أنّ الجميع عرضة للامتحان بدءاً منّي أنا الطالب الصغير إلى جميع أفراد هذه الدولة وجميع البشر وجميع الأنبياء والمرسلين، فلا يُترك أحد بمجرّد الادّعاء والكلام، فإنّه تعالى قال: ﴿وَ لَقَدْ فَتَنَّا الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذينَ صَدَقُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْكاذِبينَ﴾.[٢][٣]

وقال رحمه الله أيضاً:

ليعلمْ جميع الأحزاب وجميع الناس في هذا البلد... ليعلموا جميعاً أنّهم في محضر الله، وفي معرض الامتحان.[٤]

وهنا في كلام الإمام رحمه الله عدّة نقاط نلفت النظر إليها ونشير لها على الآتي:

١. إنّ سنّة الامتحان كما تجري في الشؤون الفرديّة تجري في الشؤون الاجتماعيّة للإنسان، فهو رحمه الله يرى أنّ المخاطبين في الآية هم الجماعات والأفراد على حدّ سواء.

---

١. العنكبوت: ٢.

٢. العنكبوت: ٣.

٣. *صحيفة إمام*: ١٣/٤٦٠.

٤. المصدر: ١٣/٤٦٠.

٢. إنّ سنّة الامتحان قطعيّة، وأنّ المجتمع والأفراد هم دائماً في معرض هذه السنّة الإلهيّة الآن وفي المستقبل.

٣. إنّ سنّة الامتحان إنّما هي لأجل أن يتبيّن الصادق من الكاذب، والمؤمن من المنافق.

سنّة ارتباط التغيّرات الخارجيّة مع التغيّرات الداخليّة للمجتمعات

إنّ هذه السنّة هي سنّة عامّة تنطوي إلى حدّ ما على جميع السنن المشروطة، ومن جملة الآيات الصريحة التي تبيّن هذه السنّة آيتان، والآية الثانية أكثر صراحة من الأولى، قال تعالى: ﴿ذٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَها عَلىٰ قَوْمٍ حتّىٰ يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ﴾.[١]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حتّىٰ يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ﴾.[٢]

والآية الثانية أكثر صراحة من الأولى.

قال العلّامة الطباطبائي رحمه الله:

> قضى الله تعالى أن يكون بين النعم التي يمنّ بها على عباده وبين الحالات النفسانيّة والباطنية للإنسان نوع من التلازم، فلو أنّ قوماً أو شعباً بقوا على فطرتهم وإيمانهم بالله وأعمالهم الصالحة لنزلت عليهم نِعَمُ الدنيا والآخرة، ولا تزال هذه النِعَمُ ما زالوا على حالتهم المعنويّة، فلو تغيّر حالهم ذلك، فإنّ الله تعالى يغيّر حالهم الظاهري أيضاً، وستبدل نعمهم تلك بالنقم والبلايا.[٣]

وفي *التفسير الأمثل* أنّ هذه الحقيقة القرآنيّة هي من الأركان الأساسيّة للنظرة الكونيّة وعلم الاجتماع في الإسلام، يقول في هذا الصعيد:

> إنّ مقدراتكم قبل كلّ شيء وقبل كلّ أحد هي في أيديكم، وأنّ أي تغيير أو تبديل في سعادة الأُمم أو شقاوتها يعود أوّلاً إليهم أنفسهم. وإذا أرادت الأُمّة أن تكون مرفوعة الرأس ومنتصرة ومتحضّرة أو بالعكس بأن تعطيَ بيدها إلى الذلّة والمسكنة والهزيمة، فإنّ لطف الله تعالى أو عقابه لا يصيب أيّ أُمّة بلا مقدّمة وسبب، بل إنّ إرادة الأُمم والتغيّرات الحاصلة في داخلها هي التي تجعلها مستحقّة للطف الإلهي أو العذاب.[٤]

إنّ هذه السنّة هي سنّة اجتماعيّة وليست فرديّة، يقول صاحب *التفسير المنير*:

---

١. الأنفال: ٥٣.

٢. الرعد: ١١.

٣. راجع: *الميزان في تفسير القرآن*: ١١/٣٤٠.

٤. *تفسير نمونه*: ١٠/١٤٧.

إنّ معنى قوله تعالى: ﴿إِنّ اللّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حتّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ﴾.[١] هو أنّ الله تعالى لا ينزع نعمة من الناس، ولا ينقلها عنهم إلّا لأجل ذنوبهم وفسادهم، وهذا المعنى لا يمكن تصوّره إلّا في المجتمع؛ لأنّ الفرد قد يُصيبه البلاء لأجل ذنوب الآخرين، كما في قوله تعالى: ﴿وَاتّقُوا فِتْنَةً لا تُصيبَنّ الّذينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خاصّة﴾.[٢][٣]

ومن الممكن أن يصلح الفرد حالاته المعنويّة، لكن قد لا تكون النِعَمُ الظاهريّة في الدنيا من نصيبه لقصر عمره أو لأمور أُخرى، فهذه السنّة هي سنّة اجتماعيّة، والقادة الناجحون هم الذين يقودون شعوبهم على أساس هذه السنّة الإلهيّة، كما فعل الإمام الخميني رحمه الله، قال رحمه الله في تفسير الآية الحادية عشرة المتقدّمة من سورة الرعد متحدّثاً:

إنّ هذه [السنّة] هي حقيقة وأمر واقعي، فهي حقيقة بمعنى أنّ التغييرات الحاصلة في الأمّة هي منشأ تغييرات تكوينيّة وعالميّة، وأنّ التغييرات التي تقومون بها يتبعها تغييرات تعود عليكم بالنفع أو الضرر، وليس التقدّم الذي حصل عليه الشعب الإيراني إلّا حصيلة ذلك التغيّر والتحوّل الذي حصل في النفوس ... وهذا التحوّل كان تحوّلاً روحياً... قد غيّرتم ما بأنفسكم، برفضكم الظلم فزال عنكم كابوسه، ورحل عنكم الظالم بتأييد الله وتوفيقاته، وذلك انطلاقاً من اعتقادكم بأنّ الشهادة فوز، والذل والتبعية عار، فعليكم بالمحافظة على هذه الحالة، فما دمتم عليها فسوف يكون الله بعونكم، وإلّا فسوف تعودون إلى الحالة التي كنتم عليها. وهذه سنّة إلهية تجري في أسباب ومسببات الله تبارك وتعالى... وقد ثبتت هذه السنّة بالتجربة.[٤]

إنّ الإمام رحمه الله ببيان أنّ التغيرات في الأمّة هي منشأ التغييرات التكوينيّة وأنّها تكون عالميّة يشير إلى الأبعاد المختلفة لهذه السنّة الإلهيّة، فإنّه لو غيّرت أُمّة حالها وصارت من أهل الإيمان والتقوى سوف يتّبع ذلك سلسلة من التغييرات التكوينيّة العالميّة والموسميّة، مثل العمران والبناء: ﴿وَلَوْ أَنّ أَهْلَ الْقُرى آمَنُوا وَ اتّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السّماءِ وَ الْأَرْضِ وَ لكِنْ كَذّبُوا فَأَخَذْناهمَ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾.[٥] أومثل النصر والغلبة على الأعداء: ﴿وَكانَ حَقّاً عَلَيْنا نَصْرُ الْمُؤْمِنينَ﴾.[٦]

---

١. الرعد: ١١.

٢. الأنفال: ٢٥.

٣. المنير: ٧/ ١٣٨.

٤. *صحيفة إمام*: ١٠/١٢٨ـ١٣١.

٥. الأعراف: ٩٦.

٦. الروم: ٤٧.

ولو أصبحت أُمّة ما متمردة وظالمة، فإنّه سوف يحصل فيها تغيرات نظير زوال نور الهداية: ﴿فَلَمّا زاغُوا أَزاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ وَ اللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ﴾[1] أو الهزيمة: ﴿وَ لَوْ قاتَلَكُمُ الَّذينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبارَ ثُمَّ لا يَجِدُونَ وَلِيّاً وَ لا نَصيرًا * سُنَّةَ اللهِ الَّتي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْديلاً﴾.[2]

والنقطة الأخيرة في كلام الإمام رحمه الله والتي من الحريّ الالتفات إليها وهي أنّه قال مخاطباً الشعب الإيراني:

> لقد أثبتم بالتجربة والممارسة أنّ هذه السنّة الإلهيّة سنّة واقعيّة لا محالة.

كما أنّه قال أيضاً: إنّ هذه السنّة يمكن إثباتها في كلّ مجتمع وبطريقة تجريبيّة، كما يمكن إثباتها بمطالعة التاريخ وبهذه الطريقة يمكننا عرض السنن الاجتماعيّة في القرآن كإعجاز علمي في المسائل الاجتماعيّة.

سنن انتصار المؤمنين

هناك آيات عديدة في القرآن الكريم تعرّضت لهذه السنّة الإلهيّة يمكن تصنيفها إلى سبعة أصناف:

١. الآيات الدالّة على انتصار الحقّ على الباطل، مثل: الآية الثامنة من سورة الأنفال، والآية الواحدة والثمانون من بني إسرائيل، والآية الثامنة عشرة من الأنبياء.

٢. الآيات الدالة على نصرة الله تعالى الأنبياء والرسل ومن تبعهم، مثل: الآية السادسة والخمسون من سورة المائدة، والآية مئة وثلاث من سورة يونس، والآية الأربعون من سورة الحجّ.

٣. الآيات التي تبيّن مصاديق ونماذج من نصرة الله تعالى لأنبيائه والمؤمنين، مثل: الآيتان ١٢٨ ، ١٣٧ من سورة الأعراف.

٤. الآيات التي عدت أهل الحقّ بخير الدنيا والآخرة، مثل: الآيتان ٣٠، ٣١ من سورة فصّلت.

٥. الآيات التي وعدت أهل الحقّ بالنصرة في هذه الدنيا، من قبيل: الآية ١٣٩ من سورة آل عمران، والآيتان ٥٥ ـ ٥٦ من سورة النور.

٦. الآيات التي تدلّ على تعلّق الإرادة الإلهيّة بغلبة دين الحقّ ـ أي: الإسلام ـ مثل: الآيتان ٣٢ ـ٣٣ من سورة التوبة.

---

١. الصف: ٥.

٢. الفتح: ٢٢. ٢٣.

٧. الآيات التي ترى أنّ أهل الحقّ هم ورثة الأرض، مثل: الآية ١٢٨ من سورة الأعراف، والآية ١٠٥ من سورة الأنبياء.[١]

وقد ذكر الإمام الخمينيّ بعض هذه الآيات، وصاغ هذه السنّة الإلهيّة في العبارات التالية:

﴿يا أَيّهَا الّذينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللّه يَنْصُرْكُمْ وَ يُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ﴾[٢]: [أيّها الشعب الإيراني] لقد رأيتم بأعينكم أنّكم نصرتم الإسلام ونصرتم النهضة الإسلاميّة والجمهوريّة الإسلاميّة، فنصركم الله.[٣]

﴿وَقُلْ جاءَ الْحَقّ وَ زَهَقَ الْباطِلُ إِنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقًا﴾.[٤]

إنّ علينا أن نسعى لتحقيق مفاد هذه الآية الشريفة، وعلى جميع الأُمم الإسلاميّة أن تسعى للعمل بالحقّ في مجتمعاتها، ليتحقّق مصداق: ﴿جاءَ الْحَقّ﴾.[٥]

﴿وَلا تَهِنُوا وَ لا تَحْزَنُوا وَ أَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنينَ﴾[٦] المهمّ هو الإيمان... فقد تجلّى شيء من الإيمان فيكم.

وقد انكسر بهذا التجلّي اليسير للإيمان سدّ الظلمة العظيم بصورة لا تصدّق، وما زالت قدرة الإيمان موجودة فإنّكم: ﴿أنتمُ الاعْلَوْنَ﴾، وما دمتم محافظين على قدرة الإيمان هذه، فأنتم أعلى الموجودات.[٧]

إنّي لأرجو أن يصل يوم يتحقّق فيه هذا الوعد الإلهي ـ إن شاء الله ـ لكي يملك المستضعفون الأرض، وهذا وعد الله الذي لا يتخلف.[٨]

﴿وَ نُريدُ أَنْ نَمُنّ عَلَى الّذينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثينَ﴾.[٩]

شروط تحقّق سنّة النصر في رأي الإمام

إنّ هذه السنّة هي من السنن المشروطة، وقد طرحت في آيات القرآن شروط لتحقّق النصر، لكن أهمّ تلك الشروط في رأي الإمام هي حسب الفقرات الآتية:

---

١. *جامعة وتاريخ از ديدگاه قرآن*: ٤٢٩ ـ ٤٤٩.

٢. محمّد: ٧.

٣. *صحيفة إمام*: ٢١٦/١٠.

٤. الإسراء: ٨١

٥. *صحيفة إمام*: ١٦٣/١٣.

٦. آل عمران: ١٣٩.

٧. *صحيفة إمام*: ١٦٥/٨ ـ ١٦٦.

٨. المصدر: ٢٤٦/١٩.

٩. القصص: ٥.

١. نصرة الله

الشرط الأكثر عموميّة في تحقّق سنّة النصر هو أنّ المؤمنين يجب عليهم أن ينصروا الله: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾، وقد ذكر المفسّرون أنّ المراد من نصرة الله هو نصرة دين الله ورسوله.[١]

وقد قال الإمام الخمينيّ رحمه الله في هذا الصعيد:

إنّ نصرة الله بنصرة دينه ونصرة عباده ونصرة المظلومين.[٢]

وقال رحمه الله في موضع آخر:

نحن العباد الضعفاء ننصر عباد الله لأجله تعالى، وهو تعالى يعتبر ذلك ـ بعناياته الوافرة ـ نصرة له، مع أنّه غني عن العالم كلّه، لقد عدّ تعالى نصرة الضعفاء والمظلومين نصرة له، نحن لا نشكّ بأنّ الله ـ الغني المطلق ـ قال: انصروني أنصركم، فإن نصرنا الضعفاء فقد نصرناه، وهو يقبل نصرتنا، وهذه مسألة عقليّة.[٣]

والنقطة التي صرّح بها رحمه الله وأكّد عليها هي أنّ نصرة عباد الله والمظلومين من مصاديق نصرة الله تعالى، ولم يصرّح غيره من المفسّرين بذلك، ويحتمل أنّه رحمه الله يرى ذلك من معاني نصرة دين الله، وهذه مسألة كانت في رأي الإمام الخمينيّ رحمه الله وقد أكدّ عليها بكثير.

٢. الإيمان

يرى الإمام رحمه الله ـ كما تقدّم ـ أنّ الإيمان هو سبب انتصار الشعب الايراني، ويؤكّد بأنّ هذه القوّة والقدرة لا زالت موجودة، فإنّ الانتصارات والمفاخر سوف تستمرّ، والإمام يرى في موضع آخر من كلامه أنّ سبب نجاة المؤمنين من الظلمات والظلم هو الإيمان بالله، مستدلّاً بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾.[٤]

وقال قدس سره في هذا المضمون:

إنّ مَن كان مع الله ومتوجّهاً إليه ومؤمناً به يخرجه من جميع الظلمات إلى حقيقة النور، فإنّ الإيمان بالله نور، وهو يؤدّي إلى رفع جميع الظلمات من طريق المؤمنين،

---

١. راجع: *مجمع البيان*: ٩٨/٥؛ *الميزان في تفسير القرآن*: ٢٤٨/١٨؛ *تفسير نمونه*: ٤٢٥/٢١.

٢. *صحيفة إمام*: ٣٨/١٦.

٣. المصدر: ٢٠٧/١٩ ـ ٢٠٨.

٤. البقرة: ٢٥٧.

والإيمان بالله يجعل المؤمنين في غمرات نور الله، وينجيهم من ظلمات الاستبداد، وظلمات الكبت، وظلمات الارتباط بالغير، وظلمات الظلم... ويجعلهم في غمرات النور يسبحون.[1]

٣. الوحدة بين المسلمين

إنّ إحدى الشروط الأساسية في تحقّق سنّة الانتصار هي الوحدة وعدم التفرّق، وقد أكّد القرآن الكريم على ذلك، وأمر في آيات عديدة بالوحدة وعدم التفرق، كما في قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا﴾،[2] وقوله تعالى: ﴿وَلا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾.[3]

وقد أكّد الإمام الخمينيّ@ على هذه المسألة بشعور خاصّ، ودعا المسلمين إلى الوحدة وحذّرهم من استخدام التفرّق والنزاع فيما بينهم، وقد قال عند الإشارة إلى الآية ١٠٣ من سورة آل عمران الآنفة الذكر:

اجعلوا أيديكم في أيدي البعض، واعتصموا بحبل الله، واجتمعوا لله، واحذروا التفرقة فإنّ من الواضح أنّ تطورنا وتقدّمنا رهين وحدة الكلمة، والتفرّق يذهب بوحدة الكلمة هذه، فإن زالت الوحدة زال معها رمز الانتصار ولحقتنا الهزيمة.[4]

وقال@ في موضع آخر بما يلي:

أوصيكم بهاتين الكلمتين: كونوا معاً في وحدة الكلمة تحت راية الإسلام، أنّ هاتين الكلمتين هما رمز انتصاركم، واعملوا بهذه الآية: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا﴾، فإنّ فيها رمز الانتصار، وليكن اجتماعكم وتوجهكم إلى الله ولا تفرقوا في عملكم.[5]

وأشار إلى هذا الأمر المهمّ في موضع آخر عندما أكّد على أنّ الوحدة هي رمز الانتصار، وليكن محور هذه الوحدة وحبل الله، دون أيّ اجتماع، وفي هذا قال@:

إنّ الآية لا تأمر بالاجتماع فحسب، فإنّ جميع ما يأمر به الناس العاديّين والأنظمة غير الإلهية هو أن تكونوا معاً متحدين، فهو أمر بالاجتماع فقط، لكن أمر الله هو أمر بالاعتصام بحبله: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ﴾، وهذا هو المهمّ، لا أن تكونوا جميعاً متحدين

---

١. *صحيفة إمام*: ١٣٥/٧.
٢. آل عمران: ١٠٣.
٣. الأنفال: ٤٦.
٤. *صحيفة إمام*: ٣٤٨/٧.
٥. المصدر: ٥٠٥/٨.

ومجتمعين على أمر واحد وغير متفرقين، بل الأمر هو أمر بالاعتصام بحبل الله...
وأنتم رأيتم في اتّحادكم الأخير أنّ الرمز في انتصاركم هو هذه الجهة الإلهيّة...
فالجميع في اجتماعهم قد اعتصم بالحقّ [تعالى] ... والجميع توجّه نحو الإسلام... وهذا هو سرّ انتصارنا.[١]

وكذلك حذّر الإمام رحمه الله لدى الإشارة إلى الآية ٤٦ من سورة الأنفال من التفرّق والنزاع بين المؤمنين، فقال رحمه الله:

من المسائل السياسيّة المهمّة في القرآن دعوته إلى الوحدة ومنعه من الاختلاف...
وقد ذكر السرّ في ذلك بقوله: ﴿وَلا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾، فنرى ما هو دور هذين الأصلين السياسيين في الإسلام في حياة المسلمين ...
هل عملوا بهما، فإنّهم لو عملوا بهما لزالت جميع مشاكلهم، ولو لم يعملوا بهما فإنّهم سوف يفشلون وتذهب ريحهم.[٢]

وفي موضع آخر قال رحمه الله:

احذروا التفرّق والتنازع ﴿وَلا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾،[٣] إنّ لون وريح الإيمان والإسلام ـ اللذين هما أساس الانتصار والقدرة ـ يزولان بالتنازع واتّباع هوى النفس ومخالفة أوامر الحقّ تعالى، ويكون الانتصار في الاجتماع حول الحقّ وتوحيد الكلمة وكلمة التوحيد ـ التي هي منبع عظمة الأمّة الإسلاميّة ـ.[٤]

إنّ للإمام رحمه الله اهتماماً شديداً بهذه المسألة بحيث يرى أنّ عدم الاهتمام بالوحدة يكون سبباً في مهجورية القرآن، قال رحمه الله:

عندما يقول القرآن: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا﴾. ويقول: ﴿وَلا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾، فإنّ مثل هذه الأحكام الراقية والسياسيّة لو عمل بها المسلمون سوف يكونون أسياد العالم، لكنّنا جميعاً هجرنا القرآن ولم نبالِ بمثل هذه الأمور.[٥]

وعلى كلّ حال يرى الإمام الخميني رحمه الله في مواضع مختلفة وكلمات عديدة أنّ الوحدة والاعتصام بحبل الله سرّ انتصار الشعب الإيراني.[٦]

---

١. المصدر: ١٣١/٩ ـ ١٣٢.
٢. المصدر: ٣٤/١٦.
٣. الأنفال: ٤٦.
٤. *صحيفة إمام*: ٣٣٩/١٠.
٥. المصدر: ٣٩.
٦. راجع المصدر: ٣١٨/٣ ـ ٣١٩ و ١٦٩/٧ ـ ١٧٠ و ٣١٦/٨، ٤٧٧ و ١٨٧/٩ و ١٦٠/١٠ و ٧٦/١٢، ٣٦٣ و ٢٧٥/١٣.

سنّة الاستدراج

إنّ الكفّار وأهل الظلم والفساد وجميع من يقف أمام الحقّ هم في هذه الدنيا في معرض العذاب والعقاب الإلهي ـ أي أنّ الظلم والفساد يؤدّي إلى نزول العذاب ـ وقد ذكر الله تعالى في آيات عديدة بأنّ نتيجة الظلم والفساد هي العذاب، مثل الآيات التي تطلب من الإنسان أن يسير في الأرض ليرى عاقبة العمل الباطل كقوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾.[١]

أو الآيات التي تخبر عن هلاك الأُمم السابقة كقوله تعالى: ﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها وَهِيَ ظالِمَةٌ فَهِيَ خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها وَ بِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَ قَصْرٍ مَشِيدٍ﴾.[٢]

وكذا الآيات التي تقصّ أخبار الأُمم الماضية، وكلّ هذه الآيات تحكي عن سنّة إلهية وهي عقوبة الظالمين في دار الدنيا.

ولكن الله تعالى لا يعاقب المجرمين بمجرّد ارتكابهم للمعاصي، بل قد تظهر أحياناً أسباب العذاب في المجتمع ولكن الله لايعذّبهم، بل يمهلهم ويمنحهم الفرصة عسى أن يتوبوا جميعاً أو بعضهم ويندم ويرجع أو يأتي من يخلفهم ويكون طالباً للحقّ مؤمناً صالحاً.[٣]

وهذه هي سنّة الإمهال، وقد لا يعاقبهم الله أحياناً، بل يمهلهم ليزداد الظالمون إثماً، ويكون عذابهم أشدّ وأعظم وهذه هي سنّة الاستدراج.

ويمكن أن تكون هذه السنّة أحد مصاديق: «زيادة الضلالة»، وأنّ إمهال أهل الباطل يكون في جهة الباطل، بمعنى أنّ الله تعالى يزيد أهل الباطل على نعمهم الماديّة والدنيويّة نعماً أُخرى ليغترّوا بذلك ويثبتوا على طريقتهم، ويزيد الكفّار كفراً وظلماً وعصياناً، ليزداد استحقاقهم للعذاب والعقاب ويكون أكثر وأشدّ قسوة.[٤]

وفي هذا يقول الإمام رحمه الله متحدّثاً:

> إنّ الدنيا مزرعة الآخرة وعالم التكليف والعمل، وأنّ عالم الآخرة هي دار الجزاء والثواب والعقاب.

---

١. آل عمران: ١٣٧.

٢. الحجّ: ٤٥.

٣. راجع: *امعة وتاريخ از ديدگاه قرآن*: ٤٥٠ ـ ٤٥١.

٤. المصدر: ٤٤٩.

إنّ هؤلاء يتوقّعون أنّ الله تعالى يعاقب في هذا العالم مرتكب المعاصي والفحشاء والظلم والعدوان، وأنّه تعالى لا بدّ أن يمنع العصاة فوراً ويقطع أيديهم ويقمعهم، لكن هؤلاء غافلون عن أنّ ذلك خلاف النظم ومخالف لسنّة الله الجارية، فإنّ هذه الدار هي دار امتحان وليميّز الشقي عن السعيد والمطيع عن العاصي، وهو عالم ظهور الأفعال لا دار ظهور نتائج الأعمال والملكات، ولو أنّ الله تعالى ابتلى ظالماً أحياناً، فإنّه يمكن القول بأنّ ذلك من عناياته في حقّ ذلك الظالم، فإنّ أوكل أهل المعاصي والظلم إلى أنفسهم فهذا استدراج، كما قال تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾.[1]

ويقول: ﴿وَ لا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّما نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنْفُسِهِمْ إِنَّما نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدادُوا إِثْماً وَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ﴾.[2][3]

ثُمّ إنّ الإمام رحمه الله وإن كان يقول بأنّ أهل المعاصي إنْ أُوكلوا إلى أنفسهم فهو استدراج لهم، لكنّه بعد أن أوضح ذلك يُعلم بأنّ مراده هو ترك العاصي ليزداد في ارتكاب المعاصي فيزداد إثمه، لذا فإنّه رحمه الله يفرّق بين سنّة الاستدراج وسنّة الإمهال بناءً على مصلحة يراها سبحانه وتعالى.

---

١. القلم: ٤٤ ـ ٤٥.

٢. آل عمران: ١٧٨.

٣. شرح چهل حديث: ٢٤٥ ـ ٢٤٦.

المصادر

١. *تفسير نمونه*، الشيخ ناصر مكار الشيرازي، دار الكتاب الإسلامي، طهران، ١٣٧٤ش.
٢. *جامعه وتاريخ از ديدگاه قرآن*، محمّد تقي مصباح يزدي، مركز چاپ ونشر سازمان تبليغات إسلامى ـ طهران ١٣٧٢ش.
٣. *سنت هاى تاريخ در قرآن*، محمّد باقر الصدر، انتشارات تفاهم، الطبعة الثالثة، طهران، ١٣٨١ش.
٤. *شرح چهل حديث*، الإمام الخميني، مؤسّسه تنظيم ونشر آثار إمام خميني، طهران، ١٣٧٢ش.
٥. *صحيفه امام*، الإمام الخميني، مؤسّسه تنظيم ونشر آثار إمام خميني، طهران، ١٣٧٩ش.
٦. مجمع *البحرين*، فخر الدين الطريحي، انتشارات كتابفروشى مرتضوى، طهران، ١٣٦٥ش.
٧. مجمع *البيان في تفسير القرآن*، الفضل بن الحسن الطبرسي، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤١٥هـ.
٨. *المنير*، وهبة الزحيلي، دار الفكر، بيروت، ١٤١١هـ.
٩. *الميزان في تفسير القرآن*، السيد محمّد حسين الطباطبائي، دفتر انتشارات إسلامى، قم، ١٣٧٩ش.
١٠. *نهج البلاغة*، السيّد الرضي، تعليق الدكتور صبحي الصالح، مؤسّسة دار الهجرة، قم، ١٤٠٧هـ.

رؤى قرآنيّة لدى الإمام الخميني

السيد محمّد رضا علاء الدين

المقدّمة

لقد تفتحت كمائم الأزهار من حدائق سلالة رسول الله الطاهرة، فعطّر وجودها العالم بأسره... . لقد كان الإمام تلميذاً صالحاً في مدرسة القرآن والعترة الطاهرة، فتعلّم الإخلاص والإيمان والحبّ حتّى بلغ ذروته، فكان معلّم الأُمم والغافلين في التاريخ المعاصر.

قضى روح الله لحظات عمره بتلاوة القرآن والتدبّر في آياته، فكان مستأنساً به عاملاً بمضامينه، مفسّراً لكلامه، وقد أعطى القرآن في حياته وفي المجتمع رونقاً وكمالاً، فاتّخذ فكره وذهنه وعمله وأخلاقه وكلّ شيء فيه لوناً وصبغة قرآنيّة.

ونحن في هذا المقال نحاول تدوين الدروس العمليّة من المظاهر القرآنيّة الخاصّة بالإمام الخميني ممّا رأيناه وسمعناه من مظاهر التربيّة القرآنيّة للإمام، لكي نكون قد تعرّضنا من خلال ذلك إلى إثبات بركات الأنس بالقرآن والعمل به، أملاً في إيجاد حركة واعية ـ متواضعة ـ باتّجاه القرآن الكريم.

وقد بدأنا في هذا المقال أوّلاً بذكر الأبعاد التربويّة والتزكويّة في القرآن عند الإمام الخميني، وأهمّية هذه التربيّة في تكامل شخصيّة الإنسان في نظر الإمام، ثُمّ تعرّضنا لسيرة الإمام القرآنيّة في مختلف المظاهر والنماذج.

الإمام الخميني الإنسان المتكامل في مدرسة القرآن العالميّة الشاملة

من أبرز معالم النظام الأخلاقي والتربوي للقرآن الكريم الذي يمتاز به عن سائر النظم الأخلاقيّة والتربوية الأُخرى هو أصل الاعتدال، فقد أكّد القرآن على تربية جميع الأبعاد الوجوديّة في الإنسان وعدم التركيز على جانب وترك الجوانب الأُخرى.

فقد ارتبطت المفاهيم القرآنيّة فيما بينها ارتباطاً وثيقاً كمفهوم الدنيا والآخرة، السياسة والدين، الماديّات والمعنويّات، العلم والجهل، الجسم والروح، ورعاية الاعتدال في مختلف الأبعاد، لايتيسّر إلّا عن طريق تكامل وسعادة الإنسان.

لقد جمع الإمام الخميني كأجداده الأئمّة الطاهرين في شخصيته الصفات المتّضادة بحسب الظاهر، كما جمع بين العلوم المختلفة المتضادة بحسب الظاهر مثل: الفلسفة والكلام والفقه والتفسير وعلم الاجتماع وعلم النفس، والتاريخ والشعر، والأدب والسياسة.

لقد عمل الإمام الخميني بمضامين آيات القرآن الكريم حقيقة، وكان قد اعتكف سنوات عديدة في خدمة القرآن، وقد هذّب نفسه بخروجه من بيت النفس المُظلم، واشتّد أنسه بتلاوة القرآن وتعلّم الكثير منه، وترك آثاراً مدّونة وغير مدّونة ثمينة يمكن للطالبين والراغبين في المعارف اغتنامها.

لقد كان ينبوعاً للأنوار المختلفة والأبعاد المتعدّدة، ومن هذا المنطلق قال في ما يرتبط بالجانب التربوي للقرآن:

القرآن كتاب بناء الإنسان... .[1]

لا بدّ أن تكون التربيّة عندنا تربيّة قرآنيّة... .[2]

إنّ الإسلام جاء لتربيتنا، وما لم نتبّعه ونأخذ به لا يمكن لنا تربية أنفسنا والأخذ بجميع أبعاده.[3]

إنّ المسلم هو الذي يستجيب لكلّ ما جاء به النبي إليه ويعمل به.[4]

وحيث كان الإمام عاملاً بجميع أبعاد القرآن كان شعاع شخصيته واسعاً جداً، وكان

---

١. *صحيفة إمام*: ٤١٥/٧.

٢. المصدر: ٤١٥/١٥.

٣. المصدر: ١٩١/٤.

٤. المصدر: ١٩٢.

بسيرته وعمله يذكّر الناس بسيرة الأئمّة المعصومين عليهم السلام الذين كانوا ينبوع جميع الكمالات والجمال المعنوي، وكان جزءاً كبيراً من السلوك الإيجابي للأُمّة متأثّراً بسلوك الإمام رحمه الله وشخصيّته القرآنيّة، وقد بلغت فضائله وأخلاقه وقِيَمُه القِمّة في العمل.

إنّ على الذين يبحثون عن سرّ نجاح واستقامة الإمام رحمه الله عليهم أن ينظروا إلى نوع تعليمه وتربيته القرآنيّة أيّام طفولته ومرحلة مراهقته وشبابه وتأثيرها على سلوكه، وما جاء من أُمور تبتني على المعارف القرآنيّة السامية في مثل: *شرح الأربعين حديثاً*، و*تفسير سورة الحمد*، وكتبه وخطاباته الأخلاقيّة والعرفانيّة والسياسيّة كلّ ذلك حاكٍ عن أنسه رحمه الله وتحمسّه للقرآن الكريم.

التربيّة والتزكيّة القرآنيّة من منظور الإمام الخمينيّ رحمه الله

إنّ رأي الإمام الخمينيّ رحمه الله الأخلاقي والتربوي يبتني على تلك الأفكار والمفاهيم القرآنيّة التي صرّح بها القرآن الكريم سبع مرّات من القَسَم بظواهر الطبيعة والنفس الإنسانيّة، حيث قال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها * وَ قَدْ خابَ مَنْ دَسّاها﴾.[١]

فإنّ فلاح الإنسان والمجتمعات البشريّة إنّما يمكن عن طريق واحد، وهو التزكيّة وتربيّة النفوس البشريّة، وليس وراء ذلك سوى مستنقع من الحيرة وأزمة المجتمع والخسران الدائم، لا غير.

لقد قال الإمام الخمينيّ رحمه الله مرّات عديدة بأنّ: **العَالَم محضر الله.**[٢]

فإنّ هذا الاعتقاد والرؤية الكونيّة هما الكفيلان بمثل هذه التربيّة للناس، وما لم يحصل مثل هذا الاعتقاد القرآني العامّ والشامل، فإنّ السعادة والاطمئنان الواقعي والحضارة الواقعيّة سوف تبقى بعيدة المنال.

ويقول الإمام رحمه الله فيما يتعلّق بارتباط العلم والتربيّة والتزكيّة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ كُلَّها﴾[٣]:

إنّ العلم على قسمين:

١. علم حصولي: وهو تصوّر وتصديق الأفكار، وهذا تارةً يثمر وأُخرى لا يثمر.

٢. علم شهودي: ويكون مقروناً بالتربيّة والتزكيّة، وهذا العلم يكون مقروناً بالعمل دائماً.

---

١. الشمس: ٩ـ١٠.

٢. *صحيفة إمام*: ٣٨٨/٨.

٣. البقرة: ٣١.

لقد قدّم الإمام الخمينيﷺ تزكية النفس على التعليم، لقوله تعالى: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ﴾.[١] فهو يقول: قدّم الله تعالى التزكيّة في الآية الشريفة على تعليم الكتاب والحكمة، بل إنّ تعليم الكتاب والحكمة مقدّمة للتزكية.[٢]

وقالﷺ:

تربّوا فإنّ المهمّ هو التربيّة، والعلم لوحده لا ينفع، بل قد يكون مضرّاً.[٣]

إنّ هاتين الكلمتين تدلّان على أنّ الإنسان لو انشغل بالمصطلحات العلميّة، فإنّه لن يصلَ إلى مقام تزكيّة النفس وتربيتها أبداً، و عندما لا يصل إلى مقام النزاهة والتزكيّة يرى حينئذٍ كمالاته دائماً بدلاً من ألّا يرى نفسه؛ لأنّ الإنسان يرى نفسه بمرآة المحبّة وصورتها، وحبّ الشيء يعمي ويصم.

فكما أنّ العدو لا يسمح للإنسان أن يرى النقاط الإيجابيّة في الآخرين، كذلك نظرة الحبّ لا تسمح للإنسان أن يرى نقاط الضعف في نفسه، ليكون بصدد إصلاحها وتزكيتّها وتربيتّها تماماً.

النقطة الأُخرى التي يتعرّض لها الإمام الخمينيﷺ حول الجهاد الأكبر وتزكيّة النفس استشهاده بقوله تعالى: ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ﴾،[٤] فإنّ السلاح في هذه الحرب الصغيرة (الجهاد الأصغر) هو السلاح الحديدي، لكنّه في الجهاد الأكبر سلاح الأنين لا سلاح الحديد، بمعنى أنّ الجهاد الأكبر ـ على حدّ تعبير الإمام عليعليه السلام في دعاء كميل يكون بحاجة إلى تضرع واستغاثة، وذكر ودعاء، وطاعة وعبادة، وبكاء مقرون برجاء رحمته تعالى ـ لكي يكون مثمراً، وعندما نطالع سيرة الإمام القرآنيّة نجد أنّ حياته مليئة بالدعاء والذكر، والعبادة والبكاء خصوصاً في صلاة الليل وهذا واضح جدّاً في سيرته.

أهمّية التربيّة القرآنيّة عند الإمام الخمينيﷺ

من المظاهر القرآنيّة للإمام الخمينيﷺ المؤثّرة كثيراً في طريقة حياته ومنهجه هي تربيته

---

١. الجمعة: ٢.

٢. *صحيفة إمام*: ١٣٥/٩.

٣. المصدر: ٤٠/١٤.

٤. النساء: ١٠٢.

في ظِلّ مدرسة القرآن. ومن هنا يأتي دور وأهمّية التربيّة القرآنيّة في بناء شخصيّة الإنسان في رأي الإمام الخمينيرحمه الله.

وتمتاز التربيّة القرآنيّة من منظور الإمامرحمه الله بأهمّية فائقة، ولذا فإنّهرحمه الله كان يشيد بها ويقول:

لقد جاء الأنبياء من قبل الله تعالى لأجل تربية الناس وبناء الإنسان، فإنّ جميع كتب الأنبياء ـ خصوصاً كِتابنا المقدّس القرآن الكريم ـ تهدف إلى تربية الإنسان الذي بتربيته وإصلاحه يصلح العالم، وبفساده يفسد العالَم، ويتضرّر أكثر من أيّ شيطان أو حيوان، أو أيّ موجود آخر.

والإنسان المتربّي يكون مفيداً للمجتمعات، بحيث لا تكون الملائكة، ولا أيّ موجود آخر مفيداً مثله.

إنّ أساس العالم قائم على تربية الإنسان، والإنسان هو عصارة جميع الموجودات والعالم بأسره، وأنّ الأنبياء جاؤوا ليحصلوا على هذه العصارة ويخرجوها من القوة إلى الفعل، وأنّ الإنسان موجود إلهي.[1]

إنّ الإمامرحمه الله يرى أنّ الآيات التي دعت الإنسان إلى العمل الصالح آيات تربوية تنسجم مع النفس والفطرة في الإنسان، ويقول:

إنّ الأعمال الصالحة هي الأعمال التي تتناسب مع نفس الإنسان، فإنّ نفس الإنسان وفطرته خلقت مستعدّة للسعادة، والعمل الصالح هو ما كان منسجماً مع هذه الفطرة.[2]

ويرىرحمه الله أيضاً بأنّ أهمّ أثر للتربيّة القرآنيّة هو تحصيل الكمال الواقعي ويقول:

لا شيء يمكّن الإنسان من السير [إلى الكمال] مثل التربيّة، فإنّه بهذه التربيّة يمكنه السير والوصول إلى الغاية المطلوبة التي يحصل الإنسان فيها على كلّ شيء، وهو الوصول إلى الكمال المطلق، فإن وصل تحصل له هذه الطمأنينة، فإن اطمأنت القلوب وصلت إلى الله تعالى.[3]

إنّ التربيّة القرآنيّة لا تحدّ بحدّ، وهي سوف تستمرّ حتّى يصل الإنسان إلى مقام الخواص، يقول الإمامرحمه الله في ذلك:

إنّ مراتب سير الإنسان من الطبيعة إلى ما فوق الطبيعة حتّى يصل إلى مقام الألوهيّة،

---

١. *صحيفة إمام*: ١٥٣/١٤.

٢. المصدر: ٥٠٠/٧.

٣. المصدر: ٥٠٥/١٢.

فإنّ الإنسان بالتربيّة الصحيحة يوجد في نفسه جميع المعنويّات والمراتب المعنويّة، حتّى يصل إلى ذلك المقام الذي هو فوق مقام ملائكة الله،[۱] ثمّ لا يرى شيئاً غير الله.

۱. الإمام ومظهر المحبّة القرآنيّة

لو أحبّ القائد والمعلّم والإمام شعبه وأدخل السرور على قلوبهم، فإنّهم سوف يحبّونه ويمتثلون أوامره، وسوف يحقّق القائد بهم جميع أهدافه السامية. وقد كان الإمام الخمينيﷺ جذوة من المحبّة والرأفة بالأمة المؤمنة. وشباب الأُمّة الإسلاميّة، ومن نماذج محبّته ما جاء في رسالة ينعى بها الأمّة الإسلاميّة بمناسبة مجزرة السابع عشر من شهر شهريور التي نسب الشهداء فيها إلى نفسه، وذكر بأنّهم أبناؤه، حيث قال:

علم الله بأنّ مصطفى الذي قربت ذكرى استشهاده ليس ولدي الوحيد، بل جميع الذين ترمّلوا بدمائهم في حادثة شوال هم أولادي.[۲]

إنّ المحبّة هي إحدى الطرق والمناهج التربويّة المؤثّرة جداً، وهي دليل على انشراح صدر ذلك الشخص المحبّ ونفسه، وقد جعل الله تعالى سرّ انتصار النبيﷺ هي انشراح صدرهﷺ وحبّه للأمة.

قال تعالى: ﴿فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللّه لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَليظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾.[۳]

ومن المظاهر الأخرى للمحبّة في سلوك الإمامﷺ الفردي والأسري، والسياسي والاجتماعي، هي عفوه ومسامحته ودعاؤه للأشخاص، واحترامهم وتشاوره معهم، حيث يغرقهم بمحبته القرآنيّة التي كان لها بالغ الأثر في تربيّتهم وتغييرهم.

۲. الإمام ومظهر الأمل والبشارة القرآنيّة

أحد الأمور الأساسيّة التي كان يؤكّد عليها الإمامﷺ دائماً هو دور الأمل في التربيّة والتعليم، فإنّ الأمل من أسباب النجاح، واليأس من أسباب الفشل والهزيمة، فلو أنّ الإنسان ابتلي في مختلف أمور حياته (الفرديّة والاجتماعيّة والماديّة والمعنويّة) باليأس، فسوف يسلب

۱. المصدر: ٤١١/٨.
۲. *صحيفة إمام*: ٤٦٢/٣.
۳. آل عمران: ۱٥٩.

منه قدرة الحركة والسعي في مواجهة الموانع، وسوف يصاب بالهزيمة والتراجع.

وكان الإمام الخميني رحمه الله يرى أنّ الأمل من جنود الرحمن، وأنّ اليأس من جنود الشيطان، ويقول متحدّثاً في هذا المجال:

إنّ علينا أن نضع جند أبليس جانباً، ومحيّي الأمل الذي هو من جنود الله في نفوسنا.[١]

وقال رحمه الله لدى التعرّض لقوله تعالى: ﴿لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللّه﴾[٢]:

لا تفكروا بكلمة اليأس أبداً، فإنّها من جنود الشيطان.[٣]

وقال في خطابه للكتّاب والإعلاميّين:

إنّ على كتّابنا والعاملين في وسائل الإعلام أن يبثّوا الأمل في الأُمّة والطمأنينة والاستقلال الروحي، فإن قدّموا هذه الخدمة سوف يكون النصر حليفنا أبداً.[٤]

وقال رحمه الله في مسألة جهاد النفس، والسير والسلوك المعنوي:

وأنت أيضاً لا تيأس، فإنّ اليأس من الأقفال الكبيرة، وعليك أن تبذل الجهد في رفع الحجب وكسر الأقفال، من أجل الوصول إلى الماء الزلال ومعين النور.[٥]

٣. الإمام الخميني رحمه الله ومظاهر الإخلاص القرآني

قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿قُلْ إِنّما أَعِظُكُمْ بِواحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلّه مَثْنى وَ فُرادى﴾.[٦]

يرى القرآن الكريم أنّ محور حركة الأنبياء عليهم السلام، والداعي والباعث لهذه الحركة هو الإخلاص والتوجّه التامّ لهم نحو ربّ العالمين.

وإنّ نيّة الإنسان هي بمثابة المرآة والبعد العملي له، وإنّ الأعمال تتلون بلون خلوص النيّة أو عدم خلوصها.

وقال رحمه الله في جانب الإخلاص وتأثيره:

إنّ الذي في نفسه حبّ الجاه والرئاسة، وأصبح هذا الحبّ ملكة نفسانيّة في نفسه

---

١. *صحيفة إمام*: ٥٣٦/١٣.
٢. الزمر: ٥٣.
٣. *صحيفة إمام*: ١٠٢/١٥.
٤. المصدر: ٥٣٧/١٣.
٥. المصدر: ٤٤٦/١٨.
٦. سبأ: ٤٦.

وروحه، فإنّ غاية آماله سوف يكون الوصول إلى هذه الرئاسة، وتكون الأفعال الصادرة عنه من توابع تلك الغاية.[١]

وكان الإمام رحمه الله يحمل معه في جميع أعماله ونشاطاته جوهرة الإخلاص، فاستهوته قلوب الناس وتوجّهت إليه، واعتبرته أُسوة لهم، فأخذوا بكلامه وعملوا بأوامره، وهو الذي يقول مع كلّ ما قدم من خدمات جليلة لعالم الإسلام والمسلمين:

أنا لست إلّا طالباً صغيراً في الحوزة.[٢]

وقال رحمه الله في كلام آخر له في بيان أهمّية الإخلاص متحدّثاً:

حاولوا الحصول على الإخلاص في نيّاتكم بترويض أنفسكم عليها، فإنّ سرّ النجاة وينبوع نزول الفيوضات الإخلاص في النيّة، والنيّة الخالصة: «مَن أخلص لله أربعين صباحاً جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه».[٣]

ويرى رحمه الله أنّ الإنسان في كسب الإخلاص بحاجة إلى النظر إلى سيرة الأئمّة الأطهار عليهم السلام خصوصاً سيرة أمير المؤمنين عليه السلام، ومن هذا المنطلق قال رحمه الله:

إنّ الله تعالى أنزل عدّة آيات في تصدّق أمير المؤمنين عليه السلام وعائلته بعدة أقراص من الخبز، فإنّ هذه الآيات لم تنزل في هذه الأقراص، بل نزلت في الإخلاص؛ لأنّه كان لله.[٤]

وقال رحمه الله أيضاً:

روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله إنّه قال: «ضربة علي يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين». فإنّ الذي جعل هذه الضربة في مقابل عبادة الثقلين (الجن والإنس) هو الإخلاص.[٥]

وكان الإمام رحمه الله، ومنذ حصوله على مرتبة الاجتهاد إلى حين جلوسه على كرسي الزعامة وقيادة وإمامة الأُمّة، لم يخطُ في سبيل تعريف نفسه وكسب المقام أدنى خطوة، وكان يفرّ من الرئاسة والمرجعيّة ممّا ينمُّ عن مدى إخلاصه وصفاء نيّته. ويمكن أن نشير هنا إلى نموذج من بين مئات الموارد حسب الفقرات:

كان للإمام رحمه الله ـ قبل سنوات من رحيل آية الله العظمى البروجردي رحمه الله ـ حاشية على

---

١. *شرح چهل حديث*: ٣٣٠.

٢. *صحيفة إمام*: ٣٠٠/٥.

٣. المصدر: ٣٩٤.

٤. *صحيفة إمام*: ٣٤١/٧ ـ ٣٤٢.

٥. المصدر: ١٩٧/١٦.

كتابي *الوسيلة والعروة*، وكانت كتابة هذه الحاشية بإمكانها التمهيد لمرجعيّة كلّ فقيه، ولكن لم يكن لأحد علم بهذا الموضوع إلى ما بعد وفاة السيّد البروجردي، فعلم بعض الأشخاص بذلك. وبعد وفاة آية العظمى الحكيم﵀ جاء جماعة من أهل الموصل وكركوك إلى الإمام الخميني﵀ في النجف، وقالوا بأنّهم كانوا يقلّدون السيّد الحكيم فمن يقلّدون الآن؟

كان للإمام آنذاك رسالة عمليّة، وكان بإمكانه أن يعطيها إليهم، ولكنّه لم يفعل ذلك، وقال لهم: أن يبقوا على تقليد السيّد الحكيم، وهذا أمر عظيم جداً بأن يأتي جماعة إلى مرجع، فيقول لهم ذلك.[١]

٤. الإمام الخميني﵀ وظاهرة الأدعية القرآنيّة

دعا القرآن مخاطبيه في آيات عديدة إلى الدعاء وثقافة الدعاء، وإلى آفاق وأعمال، وأحوال وأبعاد الدعاء. ونجد في سيرة الإمام القرآنيّة التأكيد على الدعاء بصفته عنصراً مؤثّراً في التربيّة والتعليم والتهذيب والتزكيّة وسلامة الإنسان والبيئة.

إنّ لمنهج الدعاء في النظام الفكري للإمام﵀ معنى خاصّاً؛ لأنّه يحلّق بالإنسان ليعيش في ظِلِّ الفيوضات والعنايات الإلهيّة حياةً طيبةً في دار الدنيا.

إنّ الدعاء مفتاح أبواب الرحمة والعناية الإلهيّة. وقد سمّى الإمام﵀ الأدعية الواردة عن الأئمّة المعصومين﵈ في كلام له بـ«القرآن الصاعد» وفي هذا المورد قال﵀ محدّثاً:

> نحن نفتخر أنّ لدينا عن الأئمّة المعصومين﵀ ما يسمّى بـ«القرآن الصاعد» كالمناجاة الشعبانيّة للأئمّة﵈، ودعاء عرفات للحسين بن علي﵉، والصحيفة السجاديّة ـ زبور آل محمّد﵌ ـ، وصحيفة فاطمة﵍ ـ الكتاب الملهم من الله تعالى إلى الزهراء﵍ ـ نفتخر أن يكون ذلك لنا.[٢]

وكذلك قال﵀:

> عليك أن تجعل قراءة أدعية المعصومين﵈ وتضرعهم إلى الحقّ تعالى وخوفهم من العذاب على رأس أفكارك وسلوكك.[٣]

وقال في كلام آخر:

---

١. راجع: *لوه‌هاى حسينى در سيماى خمينى*: ٤٠.

٢. *صحيفة إمام*: ٢١/٣٩٦ ـ ٣٩٧.

٣. المصدر: ١٨/٥٢٠.

إنّ إحدى النِعَم الكبرى على العباد، والرحمة الواسعة بين أهل البلدان الدعاء الذي نقل عن كنوز الوحي والشريعة، وحملة العلوم والحكمة؛ لأنّ الدعاء هو الذي يوثّق العلاقة المعنويّة بين الخالق والمخلوق، وهو حبل الوصل بين العاشق والمعشوق، وهو الوسيلة لدخول القلعة الحصينة، والتمسّك بالحبل المتين.[١]

إنّ الدعاء بمثابة البذر في أرض تعرف بأرض المعرفة ثمرتها تهذيب النفس، والدعاء ينبوع ربنا في صحراء الصدور اللاهب. فهو يجري على أرض الإجابة. وهو الذي يربط اللاشيء بكلّ شيء.

وللإمام رحمه الله اهتمام خاصّ بهذا الموضوع، حيث يقول:

إنّ أدعيتهم هذه كانت لغرض تجهيز الناس... فإنّ هؤلاء عندما يقرؤون الدعاء تتقوّى معنوياتهم، وتخف كواهلهم، وتكون الشهادة لهم هيّنة سهلة.[٢]

إنّ هذه الأدعية تخرج الإنسان من الظلمات إلى النور، فمن خرج منها يكون إنساناً لايعمل شيئاً إلّا لله.[٣]

وقال رحمه الله فيما يرتبط بدور الأدعية في مختلف مجالات الحياة الفرديّة والاجتماعيّة للإنسان:

إنّ الأئمّة الطاهرين عليهم السلام تعرضوا للكثير من المسائل بلسان الدعاء، وكان لسان الأدعية يختلف كثيراً عن لسانهم عليهم السلام في بيان الأحكام، فقد ذكروا أكثر المسائل النفسيّة، ومسائل ما وراء الطبيعة، والمسائل الدقيقة الإلهيّة، وكلّ ما يرتبط بمعرفة الله، ذكروا ذلك بلسان الدعاء.[٤]

وأكّد الإمام رحمه الله في سيرته القرآنيّة على التأسّي بسيرة النبي صلى الله عليه وآله والأئمّة الطاهرين عليهم السلام، وقال في هذا المجال:

يجب التشبث بتلك السيرة التي تركها النبي صلى الله عليه وآله وأئمّة الإسلام عليهم السلام بيننا، فقد كانوا يدعون الناس بأدعيتهم.[٥]

ويعدّ أحد أهمّ أسرار نجاح الإمام رحمه الله في سيرته وحركته اهتمامه الخاصّ بالدعاء

---

١. *شرح دعاى سحر*: ٣٢.

٢. *صحيفة إمام*: ١٣/٣٣.

٣. *الكلمات القصار*: ٥٢.

٤. *الجهاد الأكبر*: ٣٧.

٥. *صحيفة إمام*: ١٨/٤٢٤.

والزيارة، والتوسّل بالأئمّة المعصومينﷺ، ونشير هنا إلى نموذجين من هذا المشهد القرآني للإمامﷺ حسب الآتي:

١. إنّه في جميع مدّة إقامته في النجف الأشرف ـ عدا بعض الموارد الاستثنائيّة ـ لم يكن يترك الزيارة والدعاء كلّ ليلة أبداً، وكان في أغلب الأيّام مشغولاً بالزيارة إلى جوار مرقد الإمام الحسينﷺ، في الأيّام العشرة من المحرّم يقرأ زيارة عاشوراء المعروفة، بما فيها من السلام مئة مرّة، واللعن مئة مرّة.

٢. كانﷺ يحافظ على قراءة الزيارة الجامعة الكبيرة خلال إقامته في النجف الأشرف خمسة عشر عاماً بشكل منتظم في جميع الليالي، وكان يدعو في الشتاء والصيف، ولم يترك ذلك أبداً.

٥. الإمام ومشاهد من الصبر والاستقامة القرآنيّة

إنّ أحد الاصطلاحات الأساسيّة في القرآن، وأحد أبرز المظاهر في الأخلاق الحسنة التي ورد الأمر بها في آيات عديدة من القرآن الكريم، والتي أثنى الله تعالى على المتّصفين بها ومدحهم فيها: صفة الصبر والاستقامة. فقد دعانا الله تعالى في الكتاب العزيز إلى التحلّي بالصبر، فقال: ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ﴾،[1] وقال: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.[2] وقد ذكر تعالى عوائد الصبر وبركاته والحلم والمثابرة عليه، وعلى ما كان يتحلّى به الأنبياء والأولياءﷺ من الصبر الجميل مثلاً، لكي يشملنا ما بشّر به الصابرون.

وأساس الصبر في رأي أئمّة الهدىﷺ هو الإيمان واليقين بالله تعالى، فهم يرون أنّ شرط التحمّل هو المقاومة والصبر وزيادة الإيمان واليقين بالله تعالى.

لقد تجلّى هذا الخلق الحسن في كلّ لحظة من لحظات عمر الإمام الشريفﷺ، فسعى بالصبر والثبات، والحلم إلى تحقيق النظام الإسلامي المقدّس وتقويتّه وإيصاله إلى الكمال، وقالﷺ في ذلك:

لا بدّ من الصبر والتواصي به، فإنّه لا بدّ من الصبر لأجل إحقاق الحقّ، فإن كنّا نريد الإسلام ونريد عمل الآخرين بالقرآن الكريم إن شاء الله في هذه البلاد وسائر البلدان

---

١. البقرة: ١٥٣.

٢. العصر: ٤.

الأُخرى. وكنّا نريد حكومة إسلاميّة فلا بدّ من أن يوصي بعضنا الآخر بالحقّ.[١]

وفي كلام آخر له﵀ أشار فيه إلى السيرة القرآنيّة للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب﵇، وسائر أئمّة الهدى﵈، ودور صبرهم وتحملهم في سبيل حفظ الإسلام، ويقول في هذا الصعيد:

عندما وصل أمير المؤمنين﵇ إلى منصب الخلافة ازدادت مشاكله؛ لأنّه كان مسؤولاً في ذلك الوقت عن مسائل كبيرة، وهذا غير ما كان لا بدّ من القيام به من أُمور أقلّ مؤونة من تلك، ولكن مع ذلك صبر ونشر الإسلام ونجح. وأئمّتنا﵈ جميعاً كانوا إمّا في الحبس أو مبعدين أو محاصرين، وكانوا يتحمّلون ذلك بكلّ رحابة صدر لكونه في سبيل الإسلام.[٢]

ونستعرض في هذا المجال نموذجين من السيرة الأخلاقيّة للإمام الخمينيّ﵀:

١. عندما استشهد نجل الإمام السيّد مصطفى﵀ بطريقة غامضة في عهد بلغ ظلم الشاه غايته، نجد الإمام﵀ يقف وقفة شامخة أمام هذا الحدث المؤسف، ويذكر في خطابه التاريخي بهذه المناسبة الأليمة أنّ هذه الحادثة كانت من الألطاف الإلهيّة الخفيّة.

٢. بعد تفجير مقرّ الحزب الجمهوري الإسلامي واستشهاد عدد من أفضل أنصار الإسلام والثورة، واعتداء المنافقين على القوات المؤمنة، ذكر﵀ بعد الثناء على الشهداء بصبر وثبات منقطع النظير:

اقتلونا فإنّ شعبنا سوف يكون أكثر يقظة.[٣]

وقد ترك موقفه هذا ضعفاً وندماً في قلوب الأعداء، وذلك في أصعب الظروف وأحلكها.

إنّ الإمام﵀ يرى أنّ الصبر والثبات من لوازم القيادة، وهذا ما يفهم من كلام الذي ورد فيه:

لقد كان الثبات ـ الذي هو من لوازم زعامة الأنبياء العظام ـ متجلّياً في رسول اللهﷺ تماماً: ﴿وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾،[٤] وكان لهاتين الخصوصيّتين [القيام والثبات] تأثير في تقدّم الأهداف الكبرى لرسول اللهﷺ.[٥]

---

١. *صحيفة إمام*: ٤٦٩/١٣.

٢. المصدر: ٣١٥/١٤.

٣. المصدر: ١٨٣/٧.

٤. الشورى: ١٥.

٥. *صحيفة إمام*: ٢٤٤/٧.

٦. الإمام ومظاهر التواضع القرآني

لقد جاء في القرآن الكريم: ﴿وَاخْفِضْ جَناحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.[١] وإنّ إحدى أهمّ وأفضل الصفات الأخلاقيّة والتربويّة التي أكّد القرآن عليها التواضع، فإنّه السبب في تفضيل الإنسان ورفعته، وأنّ التكبّر موجب للسقوط في حضيض الجهالة والشقاء، والسبب في الابتلاء والمشاكل.

لقد كان الإمامرحمه الله متواضعاً جدّاً بمعنى الكلمة، وكان على الرغم من رتبته العلميّة المرموقة، ومستواه الفقهي والولائي الرفيع الذي حيَّر العالم، لا يرى نفسه إلّا طالباً صغيراً خادماً.

وكان مع كلّ هذه الخدمة للإسلام وإحياء القرآن والعترة لا يرى لنفسه فضلاً، ويخاطب الشباب المقاتلين في ساحات الحرب بكلّ تواضع، بقوله:

إنّي أقبّل من بُعد أياديكم وسواعدكم القوية التي فوقها يد الله، وإنّي لأفتخر بذلك.[٢]

وكتب الإمامرحمه الله رسالة إلى نواب مجلس الشورى جاء فيها:

عليكم جميعاً أن تكونوا بخدمة الأمّة... فإنّ هؤلاء عباد الله، وهم أفضل منّي، ويحتمل أن يكونوا أفضل منكم، فلماذا لا نكون بخدمتهم؟[٣]

إنّ التواضع هو علامة الوصول إلى الكمال؛ وذلك كالراكب إن بلغ الغاية ترجّل.

٧. الإمام ومظاهر التوكّل القرآني

ومن جملة الأمور التي تحدّث عنها القرآن الكريم كثيراً، وأكّد عليها هو جانب التوكّل. فقد ورد التوكّل في بعض الآيات أنّه من أفضل صفات المؤمن، حتّى وصف المتوكّلين في القرآن بأنّهم من أحبّ الخلق إليه تعالى، أنّ التوكّل والوثوق بالله وترك الأمور إلى القادر المتعال من جملة الصفات الحميدة لعباد الله تعالى، فإنّ الذي يمنع من الاضطراب والقلق والترديد بالنسبة للحاضر والمستقبل، ويعطي للإنسان قوّة القلب ويقوي الإرادة ويعطي زخماً في جميع الأفعال هو التوكّل والثقة بالحقّ جلّ وعلا.

وإنّ من أبرز صفات الإمام المعنويّة هو التوكّل والثقة بالله، فإنّ كلّ من أدرك الإمام يعلم

---

١. الشعراء: ٢١٥.

٢. *صحيفة إمام*: ١٤٣/١٦.

٣. المصدر: ٢١٣/١٤ ـ ٢١٤.

أنّه رحمه الله في جميع مصاعب الحياة كان صامداً لم يضطرب أو يتزلزل لحظة، بل كان صموده مبعثاً لاطمئنان نفوس الجميع.

وفي قضيّة حرب العراق على إيران التي حدثت بهمجية ضدّ إيران تعرّض مطار إيران للقصف بالطائرات، وهجمت آلاف الدبابات والناقلات والمدافع الحربيّة، مع تقدّم مئات الألوف من العسكريّين من جميع أنحاء الحدود على إيران، وجرّاء هذا عمّ القلق والاضطراب في كلّ مكان، فكان ردّ فعل الإمام رحمه الله على هذا الهجوم كما يلي:

جاء لصّ فرمى بحجارة وهرب وعاد إلى مكانه[1].

وهكذا طَمْأنَ الجميع وأزال هذا القلق عن النفوس بقوله هذا.

١. المصدر: ٢٢٣/١٣.

المصادر

١. *جلوه‌های حسینی در سیمای خمینی*رحمه الله، السيّد نعمة الله الحسيني، انتشارات، قم، ١٣٧٨ش.
٢. *جهاد اكبر*، الإمام الخميني، مؤسّسه تنظيم ونشر آثار إمام خمينى، طهران، ١٣٧٣ش.
٣. *شرح چهل حديث*، الإمام الخميني، مؤسّسه تنظيم ونشر آثار إمام خمينى، طهران، ١٣٧٢ش.
٤. *صحيفه إمام*، الإمام الخميني، مؤسّسه تنظيم ونشر آثار إمام خمينى، طهران، ١٣٧٩ش.
٥. *كلمات قصار*، الإمام الخميني، مؤسّسه تنظيم ونشر آثار إمام خمينى، طهران، ١٣٧٨ش.
٦. مجموعه *مقالات كنگره بررسى انديشه وآثار تربيتى إمام خمينى*، مؤسّسه تنظيم ونشر آثار إمام خميني، طهران، ١٣٧٤ش.

أفعال وأقوال الإمام الخميني﵀ القرآنيّة

حسن العسكري

المقدّمة

العلماء الربانيّون، هم الأنوار المضيئة في كلّ عصر وزمان في سماء العلم والعمل، فهم يتجلّون لأهل الأرض بنور أخذوه عن شمس كلام الوحي والرسالة والإمامة، ويهدونهم إلى مصادر النور والبركة للوحي، ويعرجون بهم على جناح العرفان المحمّدي الأصيل نحو الملكوت الأعلى، وهؤلاء هم الذين قال الله تعالى في وصفهم: ﴿وَجَعَلْنا بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ الْقُرَى الَّتي بارَكْنا فيها قُرى ظاهِرَةً وَ قَدَّرْنا فيهَا السَّيْرَ سيرُوا فيها لَيالِيَ وَ أَيّامًا آمِنينَ﴾.[1]

فقد روي عن الإمام الباقر﵇ في تفسير هذه الآية الشريفة أنّه قال:

والقرى الظاهرة: الرسل والنقلة عنّا إلى شيعتنا.[2]

وكان﵀ بين علماء الدين المجاهدين للكفر الوجه المحبوب في القرن المعاصر، وأفقه أهل زمانه وأكثرهم سياسة، والعابد والفيلسوف والعارف، والمفسّر والمفكّر، والعالم المتخلّق، والقائد الثاقب النظر، ومؤسّس الجمهوريّة الإسلاميّة الإمام الخميني﵀، الذي كان يتمتّع بمكانة خاصّة، فقد كان سلوكه ـ طيلة حياته ـ سلوكاً نموذجاً للإنسان الكامل، حيث طبّقه ـ قولاً وفعلاً ـ من سلوك ومنهج القرآن؛ وذلك لأنسه بالوحي والآيات الكريمة للقرآن الكريم.

---

١. سبأ: ١٨.

٢. *الوسائل*: ١٥٢/٢٧ باب: ١٠ من أبواب صفات القاضي، ح: ٤٧.

ونحن في هذا المقال نحاول التطرّق إلى نماذج من سلوك الإمام﵀ وأقواله المطابقة مع آيات القرآن الشريفة، لكون رؤيته مقتبسة من الرؤية القرآنيّة، وتأثّر سلوكه بأنسه بالقرآن.

ونحن هنا نذكر عدّة نماذج من سلوك الإمام وأقواله القرآنيّة التي هي دليل على تبلور شخصيته على أساس رسالة القرآن وسيرة الأئمّة المعصومين﵈، الذين هم المفسّرون الواقعيّون للقرآن. وقد قمنا بكتابة هذا المقال في فصلين وهما: سلوك الإمام وأقواله القرآنيّة. ونرجو رضا الله عنّا وأن يجعلنا من أنصاره وأتباعه الصادقين لكي ننطلق في مسار خدمة الإسلام والقرآن والمسلمين.

الفصل الأوّل: السلوك العملي القرآني للإمام الخميني﵀

الإخلاص في العمل والقيام به لله تعالى

أوصى الله تعالى نبيّه الكريمﷺ أن تكون أفعاله وحركاته، وسكناته خالصة لوجهه الكريم، وأن يكون غايته رضا الله فقط، وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيايَ وَ مَماتِي لِلّه رَبّ الْعالَمِينَ﴾.[١]

كانت حياة الإمام﵀ كحياة جدّه رسول اللهﷺ في حركاته وسكناته، وذلك مشهوداً في سلوكه تماماً، وقد قال أحد تلامذة﵀:

كنت مصرّاً على معرفة سرّ نجاح الإمام، فلفت نظري شيء واحد وهو أنّ الهدف الوحيد للإمام الخميني﵀ في جميع أفعاله وأفكاره، وأقواله كان رضا الله.[٢]

وعندما كان يسعى تلامذته ـ لحبّهم الشديد له ـ إلى الترويج لمرجعيّته كان﵀ يقول لهم:

إنّي لا أرضى للذين يحبّونني أن يتجاوز حبّهم قلوبهم و[اوصيهم] ألّايبرزوه، وعلى كلّ من يحبّني أن يحتفظ بذلك في قلبه، وألّايخطو لتحقيق زعامتي شبراً واحداً.[٣]

وقال﵀ في المرجعية:

أقسم ـ بالله ـ إنّي لم أخطُ خطوة واحدة لأجل المرجعيّة والزعامة، ولكنّها لو أقبلت عليّ فإنّي لا أردّها عملاً بالمسؤوليّة.[٤]

---

١. الأنعام: ١٦٢.

٢. *سرگذشت‌های ویژه از زندگی إمام خمینی*﵀: ١٤٤/٦.

٣. المصدر: ١٨/٣.

٤. المصدر: ١٠١/٢.

نعم، لقد كان الإمام الراحل ﵀ منزّهاً من الشوائب غير الإلهيّة من قبيل الرياء والعجب، والكبر وكلّ ما هو مانع عن الوصول إلى الحقيقة، وموجباً لفساد العمل، وكان الإخلاص مزيجاً مع وجوده وفي حياته كلّها، يبدأ أفعاله صغيرها وكبيرها باسم الله تعالى، ولم يكن يفكر إلّا برضا المحبوب.

لقد كان الإمام ﵀ أحد مصاديق الآية الشريفة: ﴿وَجَعَلْنا لَهُمْ لِسانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾؛[1] لأنّ كلامه كان مليئاً بالمعارف والإخلاص للحقّ تعالى، وهذا مؤثّراً جدّاً في نفوس ناشدي الحقيقة.

التوكّل على الله في سلوك الإمام ﵀

التوكّل هو الثقة بالله والثقة بحسن تدبيره وتقديره للأمور، والتوكّل هو أحد الأُمور التي تجلب الاطمئنان للإنسان المؤمن. وإليه أشار القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[2]. ولو توكّل الإنسان على الله حقيقة لوجده معيناً وناصراً له، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾.[3]

لقد كان في سلوك الإمام ﵀ في حياته على أنّه كان متوكّلاً حقيقيّاً على قدرة الله تبارك وتعالى. لقد كان الإمام ﵀ مصداقاً حقيقيّاً لقوله تعالى، عندما يذكر صفات عباده: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.[4] فكان ﵀ في جميع أُمور حياته يحلّ المشاكل الصعبة بالصبر والتوكّل على الله، وفي هذا المورد يقول أحد المقرّبين له في حادثة الخامس عشر من شهر خرداد:

> واجه الإمام ﵀ في تلك الأيّام تهديدات عديدة من قبل النظام الشاهنشاهي، فكان يهدّد أحياناً بإلقاء القبض عليه في هذه الليلة أو يلقى في الحبس، وقد أشار إليه البعض أن يغيّر مكان إقامته، ولكن الإمام كان يرفض ذلك.
>
> وعندما وقعت حادثة مدرسة الفيضيّة كان من المحتمل أن يلقى القبض على الإمام، لكنّه مع ذلك بات تلك الليلة في داره ولم يغيّر مكانه.[5]

لقد كان السبب الرئيس في انتصار الإمام ﵀ هو توكّله على الله، وكأنّه مصداق لمضمون هذه

---

١. مريم: ٥٠.

٢. الرعد: ٢٨.

٣. الطلاق: ٣.

٤. العنكبوت: ٥٩.

٥. *سرگذشت‌های ویژه از زندگی امام خمینی* ﵀: ٢٣/٣.

الآية الشريفة في قوله تعالى: ﴿وَلا تُطِعِ الْكافِرِينَ وَالْمُنافِقِينَ وَدَعْ أَذاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾.[١]

وقد تجلّى هذا الأمر في مراحل حياته.

الزهد بالدنيا في سلوك الإمام رحمه الله

إنّ من أهمّ موانع كمال الإنسان علاقته وحبّه الشديد بالدنيا، فلو سيطرت هذه الحالة على روح الإنسان، فإنّ جميع القيم لديه سوف تفقد أثرها، ولأجل الخلاص من مظاهر الدنيا والمظاهر الماديّة، لا طريق أفضل من الزهد والبساطة في العيش واللامبالاة بالدنيا.

لقد كان رحمه الله من أفضل زهّاد زمانه، فقد جذبته المعنويّات واقترب إلى ملكوت العالم، وعرف حقيقة الدنيا وباطنها، ولم يتلوث ولو مقدار ذرّة بالماديّات؛ لذلك عاش حرّاً من كلّ ألوان التعلّق، مصداقاً لما قال تعالى في كتابه حكاية عن موسى عليه السلام لقومه: ﴿يا قَوْمِ إِنَّما هذِهِ الْحَياةُ الدُّنْيا مَتاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دارُ الْقَرارِ﴾.[٢]

ولأجل ذلك لمّا كان رحمه الله عارفاً بالدنيا وعارفاً بالآخرة، من هذا المنطلق لم يتعلّق قلبه بالدنيا أبداً. وقد قال أحد تلامذة الإمام رحمه الله في هذا المجال:

لقد كان مستوى حياته رحمه الله وطعامه في حدّ حياة طالب عادي مقتصد، بل أدنى من ذلك، فقد أوصى بعض الأطباء المحبّين له أن يعدّ للإمام غذاءً مقويّاً، ولكن الإمام كان يرفض ذلك.[٣]

لقد كان الإمام يلبس لباساً متواضعاً ويأكل طعاماً متواضعاً، وكان يجتنّب الطعام اللذيذ، وكان طعامه المفضل لديه في النجف الخبز والجبن والجوز.[٤]

ولم تكن حياة الإمام بسيطة ومتواضعة، فحسب، بل كان يوصي العلماء ومدراء البلاد بعدم التعلّق بالدنيا... ويقول في هذا:

إنّي أرى أنّ سبب نجاح علماء الدين ونفوذ كلمتهم في المجتمعات يرجع في الغالب إلى زهدهم في الدنيا وعدم اعتنائهم بها، وهي صفة لا ينبغي التغافل عنها خصوصاً بعد انتصار الثورة، ولا شيء أقبح لعلماء الدين من حبّ الدنيا، ولا شيء يشينهم أكثر من حبّها.[٥]

---

١. الأحزاب: ٤٨.

٢. غافر: ٣٩.

٣. *سرگذشت‌های ویژه از زندگی امام خمینی* رحمه الله: ١٤٤/٦.

٤. المصدر: ١٠٥/١.

٥. *صحيفة إمام*: ٩٩/٢١.

الخوف من الله لدى الإمام الخمينيرحمه الله

إنّ الخوف من الله يولّد الإحساس بالمسؤوليّة والالتزام، ويولّد الحركة في الإنسان، وقد مدح القرآن الكريم عباد الله الصالحين بصفتين (الخوف والرجاء)، قائلاً: ﴿يَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذابَهُ﴾.[1]

لقد كانرحمه الله قائد الثورة الإسلاميّة نموذجاً لهذه الآية، وامتلأ قلبه من الخوف والرجاء، ورجاؤه وتوكّله كان مقصوراً على الله تعالى فقط، وملاكه في جميع أفعاله رضا الله تعالى، ويرى أنّ نفسه في محضر الحقّ تعالى؛ ولذلك يشعر بالخوف ويبكي ويرتعش خوفاً من وجود الله تعالى، وقال نجله الكبير السيّد مصطفى الخمينيرحمه الله في هذا الصعيد:

> توسّطت يوماً لأحد الطلّاب فذهبت إلى الإمام، وكنت أُريد أن آخذ منه مبلغاً من المال وأعطيه لهذا الطالب، وبعد عدّة مرّات من مراجعة الإمام، لكنّهرحمه الله لم يرتّب أثراً. وبعد أن رأى الإمام إصراري قال لي: يا مصطفى، في هذا المجّر وهذا الصندوق مال، وهذا مفتاح الصندوق... فخذ منه ما شئت وأعطه لهذا الطالب، ولا مانع من ذلك، لكن بشرط أن تذهب أنت إلى جهنّم وإنّي لست مستعداً لإعطاء هذا الطالب شيئاً من سهم الإمام بلا مبرّر.[2]

لقد كانت حالة التقوى والخوف من الله أمراً ظاهراً ومشهوداً في الإمامرحمه الله، وهذا ما كان يعلمه الجميع، ولذا لم يجرأ أحد في حضور الإمامرحمه الله على المعصية أو حتّى القيام بفعل مكروه؛ لأنّ الإمام كان يعترض عليه. قال أحد تلامذته في ذلك:

> جاء الإمامرحمه الله ذات يوم إلى الدرس وكان متألماً جداً حتّى أنّه كانت تحصى أنفاسه، فتكلّم بدل الدرس ونصحنا نصائح كثيرة، ثُمّ ذهب ولم يأتِ إلى الدرس ثلاثة أيّام؛ وذلك لأنّه كان قد سمع أنّ أحد الطلاب قد استغاب أحد المراجع.[3]

وكان خوف الإمامرحمه الله هذا وتقواه ناشئاً من اعتقاده وتصديقه بآيات العذاب، وما يلاقيه الإنسان العاصي بعد الانتقال من هذه الدنيا، ولذا فإنّه كان دائماً يرى نفسه في محضر الله، وكان يخشى الله من ارتكاب المعصية في محضره تعالى.

---

١. الإسراء: ٥٧.

٢. *سرگذشت‌های ويژه از زندگی امام خمينی*رحمه الله: ١٢٣/٦.

٣. المصدر: ١٦٤/٥.

تشدّد الإمام رحمه الله وحزمه تُجاه الأعداء

إنّ من أهمّ خصائص المؤمنين الحقيقيّين هو عدم خشيتهم في تنفيذ الأوامر الإلهيّة، وحزمهم في التعامل مع أعداء طريق الحقيقة.

وفي هذا قال تعالى في ذكر هذه الصفة: ﴿يُجاهِدُونَ في سَبيلِ اللهِ وَلا يَخافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ...﴾.[1]

ويقول تعالى في موضع آخر: ﴿يا أَيّها الّذينَ آمَنُوا إذا لَقيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثيرًا لَعَلّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.[2]

وكان الإمام رحمه الله من الرجال الأشداء، حيث كان يقف بصلابة دائماً أمام الانحرافات والاعوجاج كالجبل الشامخ، لا يساوم ولا يَحيد عن الطريق المستقيم الذي ألهمه الله تعالى إيّاه أبداً، ولم يتضعضع لخشونة الأعداء وقسوتهم، ولا ليونة الأصدقاء، ولا لخداع المنافق ذي الوجهين، فلم يتمكّن الجميع من صرف قلبه عن التوجّه إلى الله.

وكان الثقل في أكثر أحداث هذه البلاد وحوادث الثورة على عاتق الإمام دائماً، نراه مع ذلك يرشد المسؤولين والأُمّة في الأحداث بجملة واحدة. وينهي المخاوف ويزيل الضعف والتخاذل.

وفي قضية غزو العراق لإيران عندما تعرّضت الحدود الجنوبيّة والغربيّة لهجوم الطائرات الحربيّة العراقيّة، كان حينها جميع المسؤولين والقادة العسكريّين في حالة هلع واضطراب، فلمّا التقوا بالإمام رحمه الله لحظات، وإذا بمعنوياتهم قد زادت، فلمّا خرجوا كان أحدهم يقول:

سوف نسقط الحكم في العراق، والآخر يقول: سوف نزحف نحو بغداد و... .[3]

إنّ هذه المعنويّة للجهاد ومواجهة العدو المجهّز بالسلاح لم تكن بالأمر السهل إلّا بالاستلهام من الآيات القرآنيّة ورسالة الوحي، خصوصاً وأنّ آيات الجهاد لأعداء الدين تعدّ الجهاد من جملة التكاليف الشرعيّة للمؤمنين، وقد عمل الإمام بهذا التكليف الإلهي بأحسن وجه.

رأفة الإمام رحمه الله ورحمته في التعامل مع الآخرين

من أهمّ خصائص القيادة ـ التي عدّها القرآن الكريم من الصفات البارزة لرسول الله صلى الله عليه وآله ـ هي الرأفة والرحمة، والعطف بالأُمّة من قبل القائد، وقد ذكرت هذه الصفات

---

١. المائدة: ٥٤.

٢. الأنفال: ٤٥.

٣. *سرگذشت‌های ویژه از زندگی امام خمینی* رحمه الله: ٥٨/٢، ٥٩.

في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ﴾.[1]

وقال تعالى في موضع آخر: ﴿فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾.[2]

وعندما نلقي نظرة على هاتين الآيتين نقف على ارتباط الإمام‌ﷺ بالأُمّة، أو هيمنة القيادة على القلوب، لقد ورث الإمام‌ﷺ الرأفة والرحمة من جدّه رسول الله‌ﷺ، حيث كانت علاقته بالأُمّة عاطفيّة للغاية. وكان الإمام يحب الأمّة والأُمّة تحبه، ويحبّ أحدهما الآخر من صميم القلب، بل كان أحدهما عاشقاً للآخر.

ويمكن مشاهدة هذه المعاملة الرحيمة للإمام‌ﷺ مع عوائل الشهداء والمجاهدين، وحتّى الطبقات العامّة من أفراد المجتمع، وتحكى في ذلك روايات وقصص كثيرة. وكذا يشاهد ذلك في وصاياه بالمحرومين والمستضعفين الذين كان يعتبرهم أولياء نعمته، وقد وصف أحد أفراد أسرة الإمام‌ﷺ عشق وحبّ الإمام للأُمّة بقوله:

> لم يكن حبّ الإمام‌ﷺ وعلاقته بالأُمّة طبيعية، بل كان عشقاً منه للأُمّة، لقد كان الإمام يتحرّق للأُمّة حقيقة، وكان ـ كالأب الرحيم ـ يتمنّى السعادة دائماً لأبنائه، وعندما كان يشاهد مشاهد من الفقر والحرمان التي يعرضها التلفاز كان الإمام‌ﷺ يبكي، وعندما كان في قم كان يلتقي بالناس ما يزيد على ستّ ساعات يومياً، ولم يتظاهر بالتعب أبداً.
>
> وكان يوصي في لقائه بالمسؤولين أنّ عليكم بخدمة الناس، ويحذّر أفراد مكتبه من سوء المعاملة مع الناس.[3]

نعم، إنّ هذه نماذج من معاملة الإمام‌ﷺ الطيبة والرحيمة التي أخذها عن القرآن ورسالة الوحي الإلهي.

حسن خلق الإمام‌ﷺ في تعامله مع الآخرين

ونجد في سيرة رسول الله‌ﷺ ـ بصفته قائداً للإسلام ـ قد بلغ حدّ الكمال في خلقه الرفيع

---

١. التوبة: ١٢٨.

٢. آل عمران: ١٥٩.

٣. *سرگذشت‌هاى ويژه از زندگى امام خمينى‌ﷺ*: ٧٢/٢ ـ ٧٣.

حتّى منحته السماء وسام: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.[١] وفي فضاء هذه الآية الشريفة، وفي أخلاق النبي صلى الله عليه وآله الحسنة، والأئمّة المعصومين عليهم السلام نعلم جيّداً بأنّ حسن الخلق من ضروريات زعامة المجتمع المسلم، وأنّ كلّ من كان أكثر اتّصافاً بها كان أقرب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لقوله صلى الله عليه وآله: «أشبهكم بي أحسنكم أخلاقاً».[٢]

إنّ القرآن الكريم يرى أنّ طريق اتفاق الأُمّة واجتماعها حول القيادة هو حسن الخلق، وأنّ طريق افتراق الأُمّة عن القيادة هو سوء الخلق؛ وذلك لقوله تعالى في كتابه الكريم: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللّٰهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ...﴾.[٣]

ومن هذا المنطلق كان الإمام رحمه الله ـ كقائد للأُمّة ـ يرى بأنّه مكلّف في الاتصاف بجميع هذه الصفات والكمالات الأخلاقيّة. ومن هنا كانت الألسن تلهج بحسن خلقه، سواء في تعامله مع أفراد أُسرته أو مع أنصاره، بل حتّى مع مخالفيه، وفي هذا الصعيد قال نجل الإمام رحمه الله:

> لم يختلف تصرّف الإمام رحمه الله مع أُسرته بعد الثورة أبداً، بل كان أشدّ رحمة، فكان يلعب في البيت مع الأطفال الصغار و... وكان الإمام صديقنا و... .[٤]

وفيما نقل عن أخلاق الإمام رحمه الله بين أنصاره ومن يحيط به:

> إنّه كان يبادر دائماً بالسلام على الآخرين، وكان يسلّم على الجميع، وكانت هذه الشخصيّة بتلك العظمة ـ التي تخشاه القوى العالميّة عند سماع اسمه ـ على حدّ كبير من الرأفة الشفقة حتّى أنّه كان يسلّم على الصغار.[٥]

تواضع الإمام رحمه الله في تعامله مع الآخرين

إنّ التواضع هو إذلال النفس المانع من أن يرى الإنسان نفسه أفضل من الغير.[٦]

وعدّ القرآن الكريم التواضع من أوصاف قوم أحبّوا الله وأحبّهم الله، كما جاء في سورة

---

١. القلم: ٤.

٢. *بحار الأنوار*: ٣٨٧/٧١.

٣. آل عمران: ١٥٩.

٤. *سرگذشت‌هاى ويژه از زندگى امام خمينى* رحمه الله: ٦/٢ ـ ٩.

٥. المصدر: ٣٠/٣.

٦. راجع: جامع *السعادات*: ٣٩٤/١.

المائدة، تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكافِرينَ﴾.[١]

وقد كان التواضع من أوائل الصفات التي أمر الله تعالى نبيّه‌صلى‌الله‌عليه‌وآله للتحلّي بها، حيث قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشيرَتَكَ الْأَقْرَبينَ * وَاخْفِضْ جَناحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنينَ﴾.[٢]

فإنّه من هاتين الآيتين يمكن اعتبار التواضع من الصفات التي لا بدّ أن يتحلّى بها كلّ شخص مع أحبائه خصوصاً إذا كان الشخص قائداً لشعبه ومجتمعه.

والإمام‌رحمه‌الله كان قد طبّق ذلك على نفسه في قيادة اُمّته حيث كان يلاحظ هذا منه بتمام الوضوح.

لقد كان الإمام‌رحمه‌الله ـ عندما يدخل في مكان ـ يجلس، حيث انتهى به المجلس ـ وغالباً ما يجلس عند الباب وبين طبقات المجتمع المتواضعة.[٣]

والإمام‌رحمه‌الله في الأعم الأغلب في سلوكه هذا تذكير وتوجيه لمسؤولي الدولة بالتزام التواضع بأنحاء مختلفة؛ لقد ذهب أحد مسؤولي الدولة ـ مع والده ـ إلى الإمام‌رحمه‌الله، وعندما رأى الإمام أنّ ذلك الشخص دخل قبل والده تألّم منه، وقال: أليس هذا هو والدك؟ فلماذا تقدّمت عليه، ودخلت قبله؟[٤]

وقال آية الله جوادي آملي:

> كان الإمام‌رحمه‌الله في دروسه ومواعظه في أواخر كلّ درس يتحامل على طريقة البعض في كسب الرزق عن طريق معاشرة الآخرين والانس بهم؛ لأنّه لم يكن يفكر في الاقتراب من الأثرياء، ولم يكن ليقترب منهم لكي يكسب المال عن هذا الطريق.[٥]

وذلك أنّ مجالسة الأثرياء تولّد في نفس الإنسان حالة الكبر، وتجعل الإنسان يشعر بقبح وكراهة مجالسة الفقراء والطبقة الضعيفة في المجتمع.

العدالة في تعامل الإمام‌رحمه‌الله مع الآخرين

تعتبر العدالة أحد الأمور التي يرعاها أهل التقوى، ومن كان الخوف من الله مركوزاً في

---

١. المائدة: ٥٤.

٢. الشعراء: ٢١٤، ٢١٥.

٣. *سرگذشت‌هاى ويژه از زندگى امام خمينى*‌رحمه‌الله: ١٠١/١.

٤. المصدر: ١٥٧/٣.

٥. المصدر: ١٠/٤.

نفوسهم؛ ولذلك جاء في القرآن الكريم: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوى﴾.[١] فإنّ الإنسان العادل يكون أقرب للتقوى والخوف من الله.

وكان أحد صفات الإمام الأخلاقيّة التي أخذها عن القرآن والرسالات الإلهيّة، هي العدالة في التعامل مع الآخرين وكانت تجري من قِبَلِهِ في مسائل الدولة والأمور الاجتماعيّة بين طلّابه، وحتّى في أُسرته أمراً مشهوراً ومعروفاً، فإنّ أفعال الإمام لم تتلوث بالظلم في أيّ زمان، ولأيّ غرض من الأغراض أبداً.

قال آية الله أميني في هذا الصعيد:

لقد كان تعامله مع جميع الطلّاب على حدّ واحد، ولم يكن تعامله يختلف مع بعض من يظهر حبّه، وكانت له سابقة أطول معه عن تعامله مع الآخرين حتّى أنّه لم يكن يرجّح في هذا المجال طلّابه على سائر الطلّاب.[٢]

وعندما أراد البعض شراء بيت للإمام في الكوفة لحرارة الطقس في النجف وجفافه، ردّ عليه متسائلاً:

هل بإمكاني الذهاب إلى الكوفة والكثير من أبناء الشعب الإيراني في غياهب السجون.[٣]

نعم، توجد في القرآن الكريم آيات كثيرة تتحدّث عن العدالة واجتناب الظلم للآخرين، بأمكاننا أن نجد نماذج عملية لهذه الآيات في تجسّد في الإمام الراحل.

الاطمئنان النفسي والثقة بالنفس في تعامل الإمام مع الآخرين

إنّ الثقة بالنفس أو الاستقلال في الشخصيّة حالة نفسانيّة تكون من حظّ (النفس المطمئنة)، والمؤمنون المتّصفون بنفس مطمئنة يطمئنون نفوسهم بذكر الله تعالى، كما ورد في القرآن الكريم: ﴿أَلا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنَّ الْقُلُوبُ﴾.[٤]

وكان الإمام ـ عملاً بوصيّة القرآن ـ دائم الذكر ويأنس بذلك؛ ولذا كان يتمتّع بروح مطمئنة وثقة عالية بالنفس.

يقول آية الله سعيدي عنه في هذا المورد:

---

١. المائدة: ٨.

٢. *سرگذشت‌های ویژه از زندگی امام خمینی*: ١٠٨/٤.

٣. المصدر: ٦١/٤.

٤. الرعد: ٢٨.

قلت للإمام رحمه الله: إنّ هؤلاء يتركونك وحيداً في مواجهة الشاه. فقال: لو كان الجن والإنس في جانب، وكنت في جانب آخر والكلام هو ما أقوله.[١]

وقال آية الله أميني:

لقد بلغ الإمام رحمه الله مرتبة اليقين، وكان يعلم تكليفه جيّداً، وكان جدّياً في تحقيق أهدافه، ولم يكن يخشى أيّ قوّة، وكان مطمئناً بتحقّق الوعد الإلهي.[٢]

الفصل الثاني: الأقوال القرآنيّة للإمام الخميني رحمه الله

إنّ الناس الكمّل وأولياء الله يسعون دائماً لامتثال الأوامر الإلهيّة والعمل بها بكلّ إخلاص دون أيّ اعتراض، ولاتختلف أقوالهم عن أفعالهم، متأثّرين في ذلك بالوحي والرسالة الإلهيّة. والإمام الخميني رحمه الله كان عبداً مخلصاً لله، جنّد كلّ طاقاته في خدمة القرآن، فكان كلّ ما يقوله يفوح منه عطر الوحي، ويتضمّن مفاهيم القرآن لأنسه اللامحدود به.

ونحن نحاول في هذا الفصل طرح كلام هذا الإمام الهمام للتعرّف أكثر على هذه الشخصيّة المتسمة بالمعنويّة والحاوية للمفاهيم الإيمانيّة والقرآنيّة.

١. الدعوة بالقيام إلى الله

يقول الإمام رحمه الله:

قوموا لله جميعاً، وليكن قيامكم لله، قوموا فرادى في قِبال جنود الشيطان الباطنيّة، وقوموا جميعاً في قبال القوى الشيطانية.[٣]

ويقول القرآن الكريم: ﴿قُلْ إِنَّما أَعِظُكُمْ بِواحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّه مَثْنى وَ فُرادى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ما بِصاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلّا نَذيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذابٍ شَديدٍ﴾.[٤]

٢. الذكر

ويقول الإمام رحمه الله:

---

١. *مجله حوزه*: العدد ٨٤/٢

٢. المصدر: العدد ٣٥/٤٩.

٣. *كلمات قصار*: ٨٩

٤. سبأ: ٤٦.

إنّ الذي يخرج الإنسان من عدم الاستقرار والتزلزل إنّما هو ذكر الله تعالى.[١]

ويقول الله تعالى في القرآن: ﴿أَلا بِذِكْرِ اللّه تَطْمَئِنّ الْقُلُوبُ﴾.[٢]

٣. في حضور الحقّ تعالى

يقول الإمامرحمه الله:

اعلموا بأنّ جميع أعمالكم في محضر الله، فالعين التي تطرف، واللسان الذي يلهج، واليد التي تبطش كلّها في محضر الله.[٣]

ويقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ وَاللّه بِما تَعْمَلُونَ بَصيرٌ﴾.[٤]

٤. نصرة الله تعالى

يقول الإمامرحمه الله:

إذا امتنعنا عن نصرة الحقّ، فلا ينبغي لنا أن نتوقّع نصرة الحقّ تعالى لنا.[٥]

وقال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿يا أَيّهَا الّذينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللّه يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبّتْ أَقْدامَكُمْ﴾.[٦]

٥. الصلاة

يقول الإمامرحمه الله:

الصلاة الصحيحة تُبعد الفحشاء والمنكر عن الأمّة بأكملها.[٧]

وقال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿إِنّ الصّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللّه أَكْبَرُ وَاللّه يَعْلَمُ ما تَصْنَعُونَ﴾.[٨]

---

١. *كلمات قصار*: ٢٠.

٢. الرعد: ٢٨.

٣. *كلمات قصار*: ١٩.

٤. الحديد: ٤.

٥. *كلمات قصار*: ١٢٥.

٦. محمدصلى الله عليه وآله: ٧.

٧. *كلمات قصار*: ٥١.

٨. العنكبوت: ٤٥.

٦. مصير الأُمم

يقول الإمام رحمه الله:

إنّ كلَّ أُمّة هي التي تتحكم بمصير نفسها.[١]

وقال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حتّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ﴾.[٢]

٧. العدل

يقول الإمام رحمه الله:

اعدلوا في أفعالكم وفي أقوالكم، وقلّلوا من المظاهر الزائفة، واهتموا بخدمة هذا الشعب.[٣]

ويقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَإِذا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾.[٤]

٨ الصبر

كلام الإمام رحمه الله:

إنّ الصبر يهوّن البلاء على الإنسان ويسهّل المشاكل، ويقوّي العزم والإرادة.[٥]

ويقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا فَإِنَّ ذلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمورِ﴾.[٦]

٩. غاية الأنبياء عليهم السلام من البعث والتبليغ

يقول الإمام رحمه الله:

لقد جاء الأنبياء عليهم السلام ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور.[٧]

يقول الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النّورِ﴾.[٨]

---

١. *كلمات قصار*: ١٢٠.

٢. الرعد: ١١.

٣. *كلمات قصار*: ١٤١.

٤. النساء: ٥٨.

٥. *كلمات قصار*: ٧٤.

٦. آل عمران: ١٨٦.

٧. *كلمات قصار*: ٢٢.

٨ إبراهيم: ٥.

١٠. الوحدة

يقول الإمامرحمه الله:

لقد منّ الله على الجميع، بتوحيد صفوف الشعب والألفة بين طبقاتهم.[١]

يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾.[٢]

١١. التوبة

قال الإمامرحمه الله:

بإمكان الجميع التوبة إلى الله، وباب التوبة مفتوح، ورحمة الله واسعة.[٣]

كلام القرآن الكريم: ﴿يا أَيُّهَا الّذينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللّه تَوْبَةً نَصُوحًا عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ﴾.[٤]

١٢. سيماء أولياء الله

كلام الإمامرحمه الله:

لو رأيت أنّ من مصلحة الإسلام أن أقول شيئاً، فسوف لا أتردّد في ذلك ولن أخشى أحداً إلّا الله، فلم أخش النظام الشاهنشاهي، بل إنّ رجال الأمن كانوا مذعورين خائفين عندما اعتقلوني، فكنت أُهدئهم وأُزيل عنهم خوفهم.[٥]

قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿أَلا إِنّ أَوْلِياءَ اللّه لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.[٦]

١٣. الشهداء

يقول الإمامرحمه الله:

إنّ هؤلاء الذين استشهدوا قد خدموا أنفسهم ونالوا سعادتهم، وحصلوا على أجرهم.[٧]

وقال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَالّذينَ قُتِلُوا في سَبيلِ اللّه فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمالَهُمْ﴾.[٨]

---

١. *كلمات قصار*: ١٠٩.

٢. آل عمران: ١٠٣.

٣. *صحيفة إمام*: ٤٩٣/١٤.

٤. التحريم: ٨.

٥. *كلمات قصار*: ٢٢٩.

٦. يونس: ٦٢.

٧. *كلمات قصار*: ٦١.

٨. محمّد: ٤.

١٤. البراءة من المشركين

يقول الإمام رحمه الله:

إنّ إعلان البراءة من المشركين الذي هو من الأركان التوحيديّة والواجبات السياسيّة للحجّ... يجب أن تقام بكلّ قوة وعظمة.[١]

وقال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَ رَسُولُهُ﴾.[٢]

١٥. البحث عن عيوب الآخرين

يقول الإمام رحمه الله:

من أعظم العيوب ألّا يعرف الإنسان عيب نفسه ويغفل عنه، ويشتغل بعيوب الآخرين، رغم كونه مليء بالعيوب.[٣]

ويقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾.[٤]

١٦. الظلم

قال الإمام رحمه الله:

لا نظلم أحداً، ولا نستسلم للظلم.[٥]

يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿لا تَظْلِمُونَ وَ لا تُظْلَمُونَ﴾.[٦]

١٧. التوكّل

قال الإمام رحمه الله:

الشخص الذي يعتمد على الله فهو منصور ومؤيّد.[٧]

ويقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾.[٨]

---

١. *كلمات قصار*: ٥٥.
٢. التوبة: ٣.
٣. *كلمات قصار*: ٨١
٤. الهمزة: ١.
٥. *كلمات قصار*:٩٣.
٦. البقرة: ٢٧٩.
٧. *كلمات قصار*: ٦٧.
٨. الطلاق: ٣.

١٨. انتصار الحقّ

يقول الإمام الخمينيّ رحمه الله:

أنتم مع الحقّ، وقد واجهتم الباطل، والحقّ هو المنتصر.[١]

ويقول الله تعالى في القرآن: ﴿وَقُلْ جاءَ الْحَقّ وَ زَهَقَ الْباطِلُ إِنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقًا﴾.[٢]

١٩. العودة إلى الله

يقول الإمام رحمه الله:

نحن من الله، وجميع العالم من الله ومظهر من مظاهر عظمته، وسوف يعود العالم بأسره إليه.[٣]

وقال الله تعالى في القرآن: ﴿إِنّا لِلّه وَإِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ﴾.[٤]

٢٠. النفاق

يقول الإمام الخمينيّ رحمه الله:

إنّ المنافقين هم أكثر انحطاطاً من الكفّار[٥]

وقال الله تعالى في القرآن: ﴿إِنَّ الْمُنافِقِينَ فِي الدَرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النّارِ﴾.[٦]

---

١. *كلمات قصار*: ١٠٠.

٢. الإسراء: ٨١

٣. *كلمات قصار*: ١٧.

٤. البقرة: ١٥٦.

٥. *كلمات قصار*: ٨٤

٦. النساء: ١٤٥.

المصادر

١. *بحار الأنوار*، محمّد باقر المجلسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة.

٢. *البرهان في تفسير القرآن*، السيد هاشم الحسيني البحراني، دار الكتب العلميّة.

٣. *جامع السعادات*، النراقي، انتشارات إسماعيليان، الطبعة الثالثة.

٤. *سرگذشت هاى ويژه از زندگى إمام خمينى*، مصطفى وجداني، انتشارات پيام آزادى، ١٣٦٣ش.

٥. *صحيفه إمام*، الإمام الخميني، مؤسّسه تنظيم ونشر آثار إمام خمينى، طهران، ١٣٧٨.

٦. *كلمات قصار*، الإمام الخميني، مؤسّسه تنظيم ونشر آثار إمام خمينى، طهران.

٧. *وسائل الشيعة*، الحرّ العاملي، مؤسّسة آل البيت، قم، ١٤٠٩هـ.

المباني القرآنيّة للثوّرة الإسلاميّة من منظور الإمام الخميني

مصطفى حسن بهشتي

خلاصة البحث

نحاول في هذا المقال تسليط الضوء على المباني القرآنيّة للثوّرة الإسلاميّة، ونعرض في هذا البحث عن أساسين من أُسس الثوّرة وهما:

أ) إنّ مشروعيّته الحكومة من الله، وهي التي يعبَّر عنها بولاية الفقيه.

ب) الرسالة العالميّة للثوّرة الإسلاميّة، وقد ذكرنا بعض معالمها هنا.

المصطلحات الرئيسة

الأُسس والنظريّة، الولاية والفقيه، السياسة والثورة، الإسلام المشروعيّة، الحكومة الحاكميّة، الآية، الرسالة.

المباني القرآنيّة للثوّرة الإسلاميّة

المبنى الأوّل: مشروعيّة الحكومة وحكومة الحاكم حقّ الله تعالى

لدينا هنا ـ في الحقيقة ـ بحثان:

أحدهما: البحث حول الله الخالق والبارئ.

والثاني: عن الله الحاكم المشرِّع.

وبعبارة أُخرى: هناك نظامان لله تعالى، أحدهما تكويني، والآخر تشريعي.

والمبنى القرآني للثوّرة الإسلاميّة يبتني على هذين العنصرين، ويقوم على أساسهما تبعاً لذلك.

لقد سيطر الإنسان على الطبيعة نتيجة الاكتشافات العلميّة والتطوّر التكنولوجي، لكنّه تخلّى في إزاء عن هويّته وتناسى حقيقته، فأنكر خالقية الله وحاكميته على الإنسان بعد أن اغتر بالاكتشافات العلميّة، فلم يرَ ضرورة للاعتقاد بخالقيّة الله وحاكميّته التكوينيّة، وبالتالي لم يرَ من اللّازم الاعتقاد بحاكميّته التشريعيّة.

وعندما يستغني الحاكم عن المشروعيّة الإلهيّة لا يكون له حينئذٍ أيّ شرعيّة أيضاً، ولا تكون طاعته شرعيّة كذلك.

وفي النتيجة، أنّ الحكومة في ضوء النظريّة ليست حقّاً إلهيّاً، ولا تحتاج في مشروعيّتها إلى حكم الله تعالى.

وقد انتشرت هذه النظريّة في الغرب انتشاراً واسعاً وصار لها رواجاً ملحوظاً جدّاً.

وهناك عوامل متعدّدة لعبت دوراً مهمّاً في إقصاء النظريّة الإلهيّة: «حاكمية الحكومة ومشروعيّة الحكومة حقّ إلهي» وإلغاء دورها في المجتمعات الغربيّة، وهذه العوامل هي كما يلي:

العامل الأوّل

إنّ الذي أدّى إلى زوال هذه النظريّة هو الانتقادات الحادّة الموجهة من قِبل علماء الغرب ضدّ المعايير العقلائيّة لهذه النظريّة الإلهيّة، وكانت الكنيسة آنذاك عاجزة عن الجواب والدفاع عن هذه الانتقادات، لذا تزلزلت أركان حاكميّة الكنيسة بظهور آراء جديدة في مجال الفلسفة السياسيّة، ولم يصدر عن المتدينين أيّ دفاع معقول ممّا أدّى ذلك إلى ضعف أُسس هذه النظريّة فواجهت إشكالاً جدّياً.[1]

العامل الثاني

إنّ الذي لعب دوراً مهمّاً في زوال هذه النظريّة هو سلوك زعماء الكنيسة الذين كان الناس يظنون أنّهم زعماء إلهيّون،[2] ونحن نكتفي هنا بالإشارة إلى ذلك ولسنا بصدد تفصيل هذا البحث؛ لأنّ دراسة سلوك زعماء الكنيسة ـ في ذلك الوقت ـ بحاجة إلى بحث مستقلّ،لذا نكتفي بهذا القدر، وهو أنّ سلوك هؤلاء كان قد لعب دوراً مهمّاً في أُفول هذه النظريّة.

---

١. *مجموعة مقالات دومين كنگره إمام خمينى واحياى تفكر دينى*: ٢٨٩/٤.

٢. *علل گرايش به ماديگرى*: ٩٢.

وقال الشهيد المطهري رحمه الله في هذا المجال:

عندما يرتدي أئمّة الناس الدينيّين ـ الذين يرى الناس أنهّم الممثّلون الحقيقيّون للدين ـ جلود الحيوانات الكاسرة ويكشرون عن أنيابهم ويلجؤون إلى التكفير والتفسيق ـ خصوصاً عندما تكون لهم أغراض خاصّة ـ فانّهم سوف يوجهون ضربةً قاصمةً للدين والمذهب، ممّا يعود نفع ذلك الى صالح المادّيين.[١]

ومن هذا فإنّ هذا النوع من الحكومة هو أحد أهمّ أسباب أُفول هذه النظريّة، ولم تتوقّف هذه الأمواج إلى هذا الحدّ، بل تركت أثراً بالغاً على سائر المجتمعات الأُخرى، وأدّت إلى صراع فكري بين المسلمين مهّد إلى إنكار نظريّة الحاكميّة الإلهيّة.

وكان قبل ذلك محاولات من القوى الفاسدة والظالمة ـ استناداً إلى إرادة الله تعالى والجبر ـ من أجل إثبات المشروعيّة لحكوماتهم لكي يستفيدوا من ذلك في مواجهة الغضب الشعبي، وكان عصر حكومة بني أُمية أحد أبرز النماذج لذلك، حيث استخدم البعض بصفته أجيراً في هذا المجال كأبي هريرة وآخرين[٢] غيره، حيث كان يلقون في أوساط المسلمين بأنّ إطاعة أُولي الأمر التي أمر القرآن بها هي إطاعة الحكام.[٣]

ومن جهة أُخرى عندما أُلغي نظام الخلافة العثماني عام ١٩٢٤م بقرار المجلس الوطني التركي زالت النظريّة السياسيّة للإسلام وصارت عرضة للإشكال، ولمّا رأوا النموذج العملي السياسي للإسلام قد انهار، وفُقد الأمل بآخر نظام إسلامي ـ الخلافة العثمانيّة ـ بحسب الظاهر الخالي عن محتوى الإسلام الأصيل والواقعي، وجّهوا له الضربات ووقعت النظريّة السياسيّة للإسلام تحت ضغط الحداثة والعلمانيّة، وبدأ أُفولها وتراجعها نهائيّاً في المجتمعات الإسلاميّة كذلك.

وعلى أيّ حال فقد نجحت محاولات التشويش والتضليل في خلق حالة من التشكيك في جدوى النظام الإسلامي، ممّا دفع البعض إلى البحث عن مخرج من هذه الأزمة أمثال رشيد رضا الذي لم يهتدِ إلى حلّ مناسب، بل سلّم بعضهم بالأخذ بالنظام المادّي بعد عجزه عن إيجاد حلٍّ للمشكلة في هذا المجال، أو كغيره مثل علي عبد الرزاق مؤلّف كتاب *الإسلام وأصول الحكم* الذي قام في النهاية بتوجيه فكرة فصل الدين عن السياسة وتبرير العمل بها.

---

١. المصدر.

٢. *الدر المنثور*: ٣١٥/٢.

٣. المصدر.

وفي هذه الأجواء المشحونة بالشبهات ظهر قائد الثّورة الإسلاميّة الكبير رافعاً راية الإسلام، فطرح النظريّة الإلهيّة من جديد ليطبّقها ويقيم الحكومة الإسلاميّة على أساسها تحت واجهة ولاية الفقيه المبتنية على أساس المفاهيم القرآنيّة. يقول الإمام في هذا المجال:

لقد نصّب الله تعالى نبيه للزعامة والحكومة، وقد حكم النبي الناس بجعل إلهي ومن قبل الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿النّبِيّ أَوْلى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾،[١] وقال تعالى: ﴿يا أَيّهَا الّذينَ آمَنُوا أَطيعُوا اللّهَ وَأَطيعُوا الرّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ في شَيْءٍ فَرُدّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرّسُولِ﴾،[٢] وقال تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتّى يُحَكِّمُوكَ فيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثمّ لا يَجِدُوا في أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْليمًا﴾.[٣]

فقد كان الأئمّة بعد رسول الله واحداً تلو الآخر حكّاماً على الأمّة، وكان حكمهم نافذاً بسبب النصب الإلهي ونصب النبيّ لهم.[٤]

وتظهر عظمة ما قام به الإمام هنا، وهو أنّه طرح نظريّة ولاية الفقيه في وقت لم تهتمّ بها حتّى الحوزات العلميّة الشيعيّة، وكان في مقابل الإمام مثلّث مشؤوم مؤلّف من الاستكبار، والقوى الخارجيّة الكبرى من الدول الفاسدة الحاكمة على البلدان الإسلاميّة، والكتّاب العملاء المرتزقة. فمن جهة كان الاستكبار العالمي ـ خصوصاً بريطانيا والشيطان الأكبر أمريكا ـ يروّج ويطبّل لفصل الدين عن السياسة وأنّ العلمانيّة هي أساس الحداثة والتطوّر، وكانوا يرون أنّ أحد الأركان المهمّة للتجدّد هي العلمانيّة. ويقولون في هذا: عندما أوكل الغربيون ما لقيصر إلى قيصر وما للكنيسة لأرباب الكنائس (القسيسين) حصلوا على تقدّم هائل وكبير، وحينئذٍ، فإنّ شرط التطوّر فصل الدين عن السياسة.

ومن جهة أخرى فإنّ حكّام الدول الإسلاميّة الفاسدين أمثال مصطفى كمال باشا «آتاتورك» ورضا خان كانا قد هدما الدين والتدين بكلّ ما لديهم من قوّة، وصارا بصدد إزالة الدين من الوجود.

فإنّ مصطفى كمال باشا المعروف بـ«آتاتورك» قام في عام ١٩٢٥م بإعلان فصل الدين عن السياسة، وفي عام ١٩٢٨م قام بإلغاء رسمية دين الإسلام ووضع حروف الألفباء اللاتينيّة بدلاً من

---

١. الأحزاب: ٦.

٢. النساء: ٥٩.

٣. النساء: ٦٥.

٤. راجع: *الاجتهاد والتقليد*: ١٩.

حروف الألفباء العربيّة، وجعل ذلك قراراً رسميّاً وواجه الدين الإسلامي بأشدّ ما يمكن.[١]

وتبعة رضا خان على هذه السياسة نفسها ففصل الدين عن السياسة في إيران كذلك.

ومن جهة أُخرى حاول أصحاب الأقلام المأجورة ممّن يطالب بالحداثة ترويج وتوجيه هذه النظريّة، فقام علي عبد الرزاق في عام ١٩٢٥م ببيان وتوجيه نظريّة فصل الدين عن السياسة، وكتب في هذا الصدد كتاب أسماه: *الإسلام وأُصول الحكم*.

وأركان نظريّة عبدالرزاق تقوم على الفقرات التالية:

١. إنّ الدين والسياسة مفصولان ومستقلّان عن بعضهما الآخر.

٢. إنّ نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله بُعث بالرسالة وإبلاغ الوحي والدين فقط، وأنّه غير منصوب لأمر السياسة والحكومة.

٣. إنّه لا شيء من المصادر والمراجع الإسلاميّة ـ سواء كان في ذلك الكتاب والسنّة، بل حتّى الإجماع ـ لا يدلّ دلالة واضحة على أمر الخلافة.

٤. إنّه مع فرض تسليم ما ذكرنا من أُمور، فإنّ فقه الخلافة غير قابل للطرح أو أنّه من قبيل السالبة بانتفاء الموضوع. وبعبارة أُخرى: إنّه وبسبب فصل الدين عن السياسة لا يعقل الجمع بين الفقه والخلافة لكونهما أمرين متضادين، لا يمكن تصوّر التركيب بينهما.

٥. حيث إنّ السياسيّة والحكومة من الشؤون البشريّة، فهما بحاجة إلى العلوم البشريّة.[٢]

وجاء في خاتمة كتاب *الإسلام وأُصول الحكم* لعبد الرزاق الذي هو عبارة عن نتائج هذه النظريّة:

> الحقّ هو أنّ دين الإسلام بريء من جميع نتائج ولوازم الخلافة التي يقول بها المسلمون، وأنّ الخلافة لا علاقة لها بالدين أصلاً، وكذا القضاء وسائر الأُمور التي هي من وظائف الدولة، فإنّ جميع ذلك هي أُمور سياسيّة محضة لا ربط لها بالدين أصلاً، وأنّ الدين في هذه الموارد لايؤيّد ولا يرفض، لا يأمر ولا ينهى، بل أوكل ذلك إلى الإنسان نفسه ليعمل فيها بما يطابق أحكام العقل وتجارب الأُمم وقواعد السياسة.[٣]

كان ذلك نموذجاً عن تلك المرحلة المضطربة والمتأزّمة التي كان يعيشها الإمام الخميني رحمه الله.

---

١. *مجموعه مقالات دومين كنگره امام خمينى رحمه الله واحياى تفكر دينى*: ٣٢٣/٣.

٢. *مجله حكومت اسلامى*: العدد ١٤٦/٢.

٣. *الإسلام وأُصول الحكم*: ١٩٢، نقلاً عن: *مجله حكومت اسلامى*: العدد: ١٤٦/٢.

وقد كان لبعض الشخصيّات العلميّة البارزة في الحوزات العلميّة الشيعيّة بالنسبة لنظريّة الإمام﵀ موقف سلبي، فرأي البعض: إنّ الحكم إذا لم يقترن بالظلم والتعدّي، فهو مشروع، ولا مانع منه.[١]

ومع هذه الأوضاع الملتبسة والغامضة والمبهمة رفع الإمام﵀ لواء الجهاد ومواجهة نظريّة فصل الدين عن السياسة، ودعا الحوزة وعلماء الدين الذين اتّخذوا موقفاً سياسياً سلبياً إلى الجهاد ومواجهة نظريّة فصل الدين عن السياسة، وكسر حصار المثلث المشؤوم المتمثّل بالاستكبار العالمي والحكّام الإسلاميّين الفاسدين، وأرباب القلم البعيدين عن الإسلام والمسلمين، الذين كان منهم طلّاب في الحوزات العلميّة، قال الإمام الخميني﵀ في ذلك:

كان التدخّل في الأمور السياسيّة يعبّر عن حالة شاذّة مخالفة للاعتقاد السائد عند أكثر علماء ا لدين، وما يقرب من غالبية الشعب.[٢]

كان هناك من يعتقد بأنّ كلّ راية جهاد ترفع قبل ظهور إمام العصر﵇ فهي محكومة بالهزيمة والفشل، فهي راية ضلال، يقول الإمام﵀ في ذلك:

لعلّ الكثير يعتقد بأنّه لا ينبغي تشكيل حكومة إسلاميّة، وأنّها من شؤون الإمام﵇، وأنّ كلّ حكومة في غير زمانه﵇، فهي على باطل.[٣]

وأشار أيضاً في موضع آخر إلى مشاكل زمان تأسيس الحكومة الإسلاميّة، فقال:

إنّ إشاعة هذا النوع من التفكير (الشاه ظِلّ الله)، أو لا يمكن مواجهة المدفع والمدرّعة باللحم والجلد، وأنّنا غير مكلّفين بالجهاد والمواجهة، أو من الذي يجيب عن دماء المقتولين، وأكثر من ذلك ما يقال: إنّ الحكومة قبل ظهور إمام الزمان﵇ باطلة، وغير ذلك من إشكالات ومشاكل كبرى، لايمكن مواجهتها وصدّها بالنصيحة والإعلام.[٤]

وعلى الرغم من كلّ ذلك فقد أثبت الإمام﵀ المبنى ا لقرآني للثورة الإسلاميّة ـ أيّ: نظريّة ولاية الفقيه ـ نظرياً وعملياً، فما أدّى إلى سقوط النظريّات السياسيّة العلمانيّة. فإنّه﵀ كان يرى أنّ ولاية الفقيه هي امتداد لحكومة الأنبياء والأئمّة﵈، وكان يجري جميع ما ثبتت به حكومة الأنبياء والأئمّة﵈ في ولاية الفقيه أيضاً باعتبارها الامتداد

---

١. مجموعه *مقالات دومين كنگره امام خمينى﵀ وإحياى تفكر دينى*: ٤/١٧٩ ـ ١٨٢؛ *انديشه سياسى آية الله مطهري﵀*: ١٥٩. ١٦٠.

٢. *صحيفة إمام*: ١٤/١٨٤. ١٨٥.

٣. المصدر: ٢١/١٧.

٤. المصدر: ٢٧٩.

الطبيعي لها، مستدلّاً بنفس الأدلّة العقليّة والنقليّة. وكان رحمه الله يرى أنّ الولي الفقيه منصوب من قبل الإمام المعصوم عليه السلام، والإمام المعصوم منصوب وحاكم على الناس بإذن الله. وقد استند الإمام رحمه الله في ذلك إلى الحديث المعروف عن إمام العصر عجل الله فرجه أنّه قال:

«وأمّا الحوادث الواقعة، فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنّهم حجّتي عليكم، وأنا حجّة الله.»[1]

ثمّ قال:

إنّ فقهاء الإسلام اليوم هم حجّة على الناس، كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله حجّة الله وكانت بيده جميع الأمور...

والفقهاء هم حجّة على الناس من قبل الإمام عليه السلام، وأنّ جميع أُمور المسلمين أوكلت إليهم.[2]

واستشهد رحمه الله كذلك بمقبولة عمر بن حنظلة عن الإمام الصادق عليه السلام، حيث قال عليه السلام: «فإنّي جعلته عليكم حاكماً... .»،[3] قائلاً:

المستفاد من قول الإمام عليه السلام: «فإنّي جعلته عليكم حاكماً» أنّه عليه السلام جعل الفقيه حاكماً في جميع شؤون القضاء، وكذا في جميع ما يرتبط بالولاية والحكومة.[4]

وفي آخر بحث أدلّة ولاية الفقيه يخلص الإمام رحمه الله إلى نتيجة، وهي:

إنّ المتحصّل من كلّ ما تقدّم أنّ للفقهاء جميع ما للأئمة المعصومين عليهم السلام ممّا يرتبط بالمسائل الحكوميّة لهم عليهم السلام.[5]

إذاً فنظرية ولاية الفقيه ـ في رأي الإمام الخميني رحمه الله ـ هي استمرار لحكومة الأنبياء والأئمّة عليهم السلام التي تعرّض لها القرآن الكريم في عدّة مواضع. ونذكر هنا عدّة شواهد قرآنيّة لهذا الموقف الذي يرى الإمام رحمه الله صحّتهُ، فقد جاءت في القرآن الكريم آيات كثيرة تتحدّث عن اختيار الإمام، ولزوم اختيار الأفضل والأتقى، والأعلم والأكثر كفاءة في إدارة المجتمع وتمشية أُموره.

---

١. *كمال الدين*: ٤٨٤/٢؛ *وسائل الشيعة*: ١٤٠/٢٧؛ *بحار الأنوار*: ٩٠/٢؛ *الاحتجاج*: ٤٧٠/٢؛ *أعلام الورى*: ٤٥٢؛ *الخرائج*: ١١١٤/٣؛ *منتخب الأنوار*: ١٢٣؛ *كشف الغمة*: ٥٣١/٢؛ *الغيبة* (الطوسي): ٢٩١.

٢. *ولايت فقيه*: ٨٢

٣. *الكافي*: ٦٧/١؛ *تهذيب الأحكام*: ٢١٨/٦؛ *عوالي اللآلي*: ١٩٢/٣؛ *مستدرك الوسائل*: ٢١١/١٧.

٤. *كتاب البيع*: ٦٤١/٢.

٥. المصدر: ٦٦٤/٢.

الآية الأولى: قوله تعالى:

﴿وَقالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طالُوتَ مَلِكًا قالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمالِ قالَ إِنَّ اللّهَ اصْطَفاهُ عَلَيْكُمْ وَ زادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشاءُ وَاللّهُ واسِعٌ عَليمٌ﴾.[1]

فإنّ المستفاد من الآية عدّة نقاط مهمّة :

الأولى: ﴿إِنَّ اللّهَ قَدْ بَعَثَ﴾، يعني: أنّ حقّ الحاكمية لله تعالى وحده، وأنّ حكومة طالوت كانت بإذن الله، والإمام كان يرى ذلك أيضاً.

الثانية: إنّ هذه الحاكميّة تقوم على أساس التقوى والعلم لا على مجرّد القوة والقدرة والمال الكثير، وبالنتيجة لا بدّ أن يكون الحكم بيد العلماء دون الجهلة الظالمين.

ففي حالة عدم وجود المعصوم، فإنّ قيادة المجتمع تقع على عاتق العلماء الصلحاء الأتقياء، ونظرية ولاية الفقيه تؤكّد على هذه الحقيقة تماماً.

الآية الثانية: قوله تعالى:

﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكائِكُمْ مَنْ يَهْدي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللّهُ يَهْدي للحقّ أَفَمَنْ يَهْدي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدّي إِلّا أَنْ يُهْدى فَما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾.[2]

وفي هذه الآية الشريفة نوع من الدعوة إلى التفكّر والتأمّل ومراجعة وجدان الإنسان نفسه، فإنّ كلّ من راجع وجدانه سوف يجد أيّاً من أفراد المجتمع يستحقّ قيادة المجتمع، فالله تعالى يستنطق وجدان الإنسان عن الأفضل في قيادة المجتمع هل هو من كان عالماً وأسوة للآخرين في طريق الحقّ أم من كان غارقاً في مستنقع الماديّات والجهل والتمرّد على الحقّ؟ ومن ذلك يُعلم بأنّ القرآن يرى أنّ الحاكم على الشعب والمجتمع هم الأشخاص اللّائقون الأتقياء العالمون.

الآية الثالثة: قوله تعالى:

﴿قالَ اجْعَلْني عَلى خَزائِنِ الْأَرْضِ إِنّي حَفيظٌ عَليمٌ * وَكَذلِكَ مَكَّنّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْها حَيْثُ يَشاءُ نُصيبُ بِرَحْمَتِنا مَنْ نَشاءُ وَلا نُضيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنينَ﴾.[3]

كان يوسف أميناً على خزائن مصر، ثمّ صار ملكاً وحاكماً عليها: ﴿وَكَذلِكَ

---

١. البقرة: ٢٤٧.

٢. يونس: ٣٥.

٣. يوسف: ٥٥ ـ ٥٦.

مَكَّنّا﴾، أي: أنّ يوسف عليه السلام تولّى الحكم بإذن الله؛ لأنّه تعالى علم بأنّ يوسف عليه السلام حفيظ على أموال الأمّة من الضياع ولايفسح المجال للباطل للانقضاض على أموال الناس، وأيضاً هو عليم، أي: كان عالماً تماماً بإدارة المجتمع. وكان يدرك احتياجاته جيّداً، فإنّ الله تعالى ولأجل أنّ يوسف عليه السلام عليماً وحفيظاً وتقيّاً جعله حاكماً على الأمة. وهذا ماحدث في الثورة الإسلاميّة؛ لأنّ أساس الثورة هو أساس قرآني، لذا فإنّ الإمام الخميني رحمه الله عندما جاء أنقذ أموال الأمة، أي: بيت المال من أيدي الغاصبين والمعتدين، وقطع الأيدي الخبيثة للاستكبار العالمي عن العبث بأموال الناس، وتولّى هو إدارة المجتمع وأعطى أموال الناس للناس؛ لأنّه رحمه الله كان حفيظاً وعليماً، ولأجل ذلك بلغت الثورة الإسلاميّة المباركة اليوم في مختلف العلوم إلى مكانة لم يحلم بها أحد قبل الثورة، وأنّ هذا الرقي والازدهار إنّما هو نتيجة حاكمية العادل المتّقي والعالم اللّائق بهذا المنصب الذي أخذ أسس ومباني الثورة من القرآن المجيد.

الآية الرابعة: قوله تعالى:

﴿قالَ إِنِّي جاعِلُكَ لِلنّاسِ إِماماً قالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي قالَ لا يَنالُ عَهْدِي الظّالِمِينَ﴾.[1]

يستفاد من هذه الآية أنّ زعامة المجتمع لا تناط بالظالم، وغير المتقي، لذا فإنّ هذه الآية ترفض نظريّة الاستيلاء ومشروعيّة كلّ سلطة ولو كانت بالقوة والظلم، ولا تعتبر كلّ من أمسك بزمام السلطة من أُولي الأمر الذين تجب طاعتهم.[2]

فالآية الشريفة تعتبر حقّ الحاكمية حقّ إلهي، لا يكون إلّا للصالحين والعلماء فقط.

الآية الخامسة:

آيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، التي تشاهد في عدّة مواضع من القرآن الكريم، والتي يستفاد منها جميعاً نظريّة ولاية الفقيه، خصوصاً الآية الشريفة: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.[3]

فإنّ المستفاد من هذه الآية نظريّة ولاية الفقيه؛ لأنّه لا يمكن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من دون حكومة صالحة وعادلة؛ إذ لا يمكن ذلك من الناحية العمليّة بدون قدرة معنوية وتقوى وعدالة، وقدرة سياسيّة وعسكريّة.[4]

---

١. البقرة: ١٢٤.

٢. *نگاهی گذرا به نظریه ولایت فقیه*: ٥٩.

٣. آل عمران: ١٠٤.

٤. *ولايت فقيه از ديدگاه قرآن*: ٧٥.

وحاصل الكلام: إنّ ولاية الفقيه مستفادة من قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾، بتقريب أنّ المجتمع المسلم يجب عليه إقامة النظام الإسلامي، ولا بدّ له من اختيار شخص يتوفّر فيه: العلم، والقدرة، والإدارة، وتصحّ تبعيّته وبيعته.[1]

الآية السادسة: قوله تعالى:

﴿يا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ ما لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِراطًا سَوِيًّا﴾.[2]

ويستفاد من هذه الآية لزوم متابعة الجاهل للعالم؛ لأنّ وجوب المتابعة فيها منوط بكون إبراهيم عليه السلام عالماً وآزر جاهلاً، كما صرّحت بذلك الآية الشريفة، أي: أنّ الآية ليس فيها إشارة إلى علّة الحكم فحسب ـ كما ذكروا في الأبحاث الأُصوليّة: بأنّ تعليق الحكم على الوصف مشعر بالعليّة ـ بل نصّت الآية على علّة ومناط الحكم، فهي من قبيل: «لا تشرب الخمر؛ لأنّه مسكر»، فإنّ إبراهيم عليه السلام قال لآزر: ﴿اتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِراطًا سَوِيًّا﴾، وذلك لأنّي أعلم وأنت لا تعلم، والفاء في: ﴿فَاتَّبِعْنِي﴾، فاء تفريع على حكم سابق، وعلى أمره عليه السلام أباه (عمّه)، وهذا التفريع يفيد العلّية.[3]

ومن ذلك يُعلم أنّ اتّباع الجاهل للعالم، أو لنقل: حكومة العالم على الجاهل تتناسب مع وجدان وفطرة الإنسان من جهة، وعليها سيرة العقلاء من جهة أُخرى، وأمرت بها الشريعة أيضاً كما في قوله تعالى: ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾،[4] ومن هذا المنطلق فإنّه يستفيد من آية: ﴿يا أَبَتِ إِنِّي...﴾، نظريّة ولاية الفقيه جيّداً، التي هي عبارة عن حكومة العلماء والصالحين على المجتمع.

خصائص وسمات نظريّة ولاية الفقيه للإمام الخمينيّ رحمه الله

لنظرية الإمام الخمينيّ رحمه الله خصائص تجعلها تختلف وتمتاز عن سائر النظريّات الأُخرى:

الخصيصة الأُولى: لا بدّ أن يكون للحكومة ـ في رأي الإمام ـ من مشروعيّته إلهيّة، فإنّه رحمه الله يفرّق بين الإرادة التكوينيّة والإرادة التشريعية. وأمّا الإرادة التكوينيّة الإلهيّة، فهي دخيلة في وصول جميع الحكّام إلى السلطة، ولا يمكن أن يصل أحد إلى السلطة بدون

---

١. المصدر: ٧٨.

٢. مريم: ٤٣.

٣. *ولايت فقيه در حكومت اسلام*: ١٥٤/٢.

٤. الأنبياء: ٧؛ النحل: ٤٣.

الإرادة التكوينيّة لله تعالى، ولكنّ الإمام﵀ لا يرى أنّ الإرادة التكوينيّة هي منشأ المشروعيّة في الحكومة، بل يرى إناطة المشروعيّة بالإرادة التشريعيّة لله تعالى، لكن غيره لم يفرّق بين الإرادة التكوينيّة والإرادة التشريعيّة، فتستند الحكومة في رأيهم بالنتيجة إلى الإرادة التكوينيّة لله تعالى، لذا فهم يرون المشروعيّة لكلّ نوع من أنواع الحكم؛ لأنّهم يرون أنّ كلّ حكومة لا تكون قويّة إلّا بارادة من الله، فهم يتصوّرون أنّ هذه الإرادة التكوينيّة لله تعالى هي ملاك مشروعيّته الحكومة، وأنّ جميع الحكومات مشروعة وواجبة الطاعة.

وهنا قد يطرح بحث آخر تحت عنوان: المقبوليّة والمشروعيّة، والعلاقة بين المشروعيّة والمقبوليّة، فلو كان ملاك مشروعيّته حكومة ما هو قبول الأمة لها، فإنّ تلك الحكومة إنّما تكون مشروعة فيما إذا رضخ لها أبناء تلك الأمة ورضوا بها عن رغبة بذلك الحاكم، وفي هذه الحالة تكون المقبوليّة مساوقة للمشروعيّة. وعلى هذا الأساس فإنّ كلّ حكومة مقبولة تكون مشروعة أيضاً.

ولكن لو كان ملاك المشروعيّة شيئاً آخر غير قبول الأمة، فإنّ من الممكن حينئذٍ أن تكون الحكومة مقبولة لكنّها غير مشروعة، وقد أوضح الإمام الخمينيّ﵀ هذه النقطة والفرق المذكور بشكل جيّد.

فقد فرّق الإمام﵀ ـ بناءً على الأدلّة العقليّة والنصوص الشرعيّة ـ بين الإرادة التكوينيّة والإرادة التشريعية، وبين المقبوليّة والمشروعيّة أيضاً، فهو يرى مشروعيّته الحكومات الحاكمة بإرادة تشريعيّة وإذن إلهي، ويرى غاصبيّة الحكومات الفاقدة للإذن الإلهي والإرادة التشريعية الإلهيّة، وأنّها طاغوتيّة وظالمة، ولو كانت مقبولة من قبل الأمة. وهذا الفرق الأساسي الذي أوجد تحوّلاً عظيماً في النظريّة السياسيّة للإسلام قد زعزع أسس وقواعد العلمانيّة وأخذ بأنفاسها؛ ولأجل ذلك خشي الاستكبار العالمي والمعتدون المتمتّعون بإراقة الدماء من النظريّة السياسيّة للإمام الخمينيّ﵀ لاستنادها إلى نفي الشرك والظلم، ومواجهة الظلم وحكّام الجور المفسدين، وإزالة ثقة الأمة بالحكومات الليبراليّة والشيوعيّة وجميع الحكومات غير مشروعة. ولو لم يقبل جميع المسلمين بالنظريّة السياسيّة للإمام﵀، فلا أقلّ من قبول الشيعة ومقلّديه لها.

وقد وجهت هذه النظريّة ضربة قويّة للحكومات غير المشروعة، ولأجل ذلك بدأ الاستكبار العالمي ينطلق للإطاحة بالثورة الإسلاميّة المباركة؛ لأنّهم رأوا عزم الإمام على تطبيق هذه النظريّة السياسيّة للإسلام، قال الإمام الخمينيّ﵀ في هذا المجال:

إنّي عندما جعلته[1] حاكماً لما لديّ من ولاية من قبل الشارع المقدّس، وعلى الجميع إطاعته، فإنّ هذه الحكومة ليست حكومة عاديّة، إنّما هي حكومة شرعيّة.[2]

وقال أيضاً:

لو لم يكن هناك فقيه ... فالحكومة طاغوتيّة، إمّا الله وإمّا الطاغوت... لو لم يكن ذلك بأمر الله، ولم يكن رئيس الجمهوريّة منصوباً من قبل الفقيه، فإنّ تلك الحكومة غير مشروعة، فإن لم تكن مشروعة فهي طاغوتيّة، وتكون إطاعتها إطاعة للطاغوت، والدخول فيها دخول في دولة الطاغوت، وعند زوال الطاغوت لا بدّ من نصب شخص بأمر من الله تبارك وتعالى.[3]

وقد أثبت السيّد الإمام هنا الأصول الثلاثة التي أنكرها العلمانيّون، وهذه الأصول هي:

١. مشروعيّته الحكومة حقّ إلهي.
٢. حاكمية الحكومة حقّ إلهي أيضاً.
٣. إنّ لحاكم هذه الحكومة وجهة شرعيّة؛ لكون حكومته بإذن إلهي.

الخصوصيّة الثانية: تبعيّة الحكومة للشريعة والقانون الإلهي، حتّى أنّ رسول الله أيضاً مكلّف برعاية القانون وتنفيذه وتنفيذ الشريعة الإلهيّة: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ﴾،[4] فإنّ رعاية القانون وتنفيذه لازم وضروري بالنسبة للجميع حاكماً كان أو محكوماً، وقد قال الإمام الخميني في هذا الصعيد:

إنّ حكومة الإسلام هي حكومة القانون، وفي هذا النوع من الحكومة تنحصر الحاكميّة بالله تعالى فقط، والقانون فيها هو أمر الله، والقانون الإسلامي أو الأمر الإلهي جارٍ في حقّ جميع الأفراد، وفي حقّ الحكومة الإسلاميّة، فهو واجب في حقّ الجميع وإلى الأبد، بدءاً من رسول الله إلى الخلفاء وإلى غيرهم...

إنّ معنى الحكومة في الإسلام التبعيّة للقانون، وأنّ الحاكم على المجتمع هو القانون فقط، وما أُعطي رسول الله والولاة من صلاحيّات من قبل الله تعالى، فهي محدودة، ولا دخل لرأي الأشخاص، ولو كان رسول الله في الحكومة والقانون الإلهي، فإنّ الجميع تابع للإرادة الإلهيّة.[5]

---

١. يقصد به: السيد بازرگان.
٢. *صحيفة إمام*: ٥٩/٦.
٣. المصدر: ٢٢١/١٠.
٤. يونس: ١٠٩.
٥. *ولايت فقيه*: ٤٤ ـ ٤٥.

ولأجل ذلك أوجدت النظريّة السياسيّة للإمام رحمه الله موجة من القلق في سائر الحكومات الإسلاميّة؛ لأنّ حكام البلدان الإسلاميّة لم يتّصفوا بصفات الحاكم الإسلامي، لذا شعرت الكثير من الدول الإسلاميّة المجاورة وغيرها بعد انتصار الثورة الإسلاميّة بالقلق نتيجة سراية نفوذ النظريّة السياسيّة للإمام إلى بلدانهم، فتنتفض الشعوب ضدّ الحكّام الفاسدين الفاقدين لخصوصيات الحاكم الإسلامي ويسقطوهم من عرشهم. وكان أحد ردود الفعل السريعة لهؤلاء فرض حرب عشواء على إيران بمساعدة القوى الاستكباريّة؛ لأنّ الاستكبار العالمي رأى بأنّ المسلمين في العالم لو تعرّفوا على نظريّة الإمام السياسيّة الإسلاميّة وحاولوا التأسّي بالثورة الإسلاميّة فإنّهم سوف يزيلون أسيادهم عن الحكم فتتعرض مصالحهم للخطر، لذا بدؤوا حرباً غير متكافئة وشنّوا هجوماً شرساً على الثورة الإسلاميّة لكي يطفئوا هذا النور الإلهي الذي هو مشعل ينير درب طلاب الحقيقة. ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.[1]

لكن الله كان قد وعد بأنّ الأرض يرثها عباده الصالحون: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾.[2]

المبنى الثاني: الرسالة العالميّة للثورة الإسلاميّة

الرسالة العالميّة للثورة الإسلاميّة هي أحد المباني لهذه الثورة؛ لأنّها ثورة إسلاميّة، فلا بدّ أن تكون رسالتها شاملة وعالمية.

إنّ الإمام الخميني رحمه الله ـ واستناداً إلى آيات القرآن ـ لم يحدّد ثورته بأرض أو قومية أو شعب معيّن، بل جعلها ثورة عالمية، قال رحمه الله:

> سوف نصدّر تجاربنا في الجهاد والدفاع مع الظالم إلى جميع العالم ومجاهدي طريق الحقّ، ومن المسلّم أنّ حاصل تصدير هذه التجارب لن يكون سوى ازدهار النصر والاستقلال وتنفيذ أحكام الإسلام للشعوب الأسيرة.
>
> إنّ على المفكّرين الإسلاميين جميعاً أن يسيروا في طريق القضاء على الأنظمة الرأسمالية والشيوعية، ويجب على جميع الأحرار توجيه الضربة للقوى الاستكبارية

---

١. التوبة: ٣٢.

٢. الأنبياء: ١٠٥.

خصوصاً أمريكا التي تلقّت صفعات متوالية من الدول الإسلاميّة المظلومة وشعوب العالم الثالث. إنّي أقول وبكل ثقة: إنّ الإسلام سوف ينال من كبرياء القوى الاستكبارية، كما أنّه سوف يزيل الموانع الموجودة في الداخل والخارج، الواحد تلو الآخر، وسوف يفتح خنادق العالم الرئيسية.[١]

إنّ القوى العالميّة تعلم أنّ هذه الأمواج سوف تعصف في ا لنهاية بالعالم بأسره؛ لأنّ مباني الثورة الإسلاميّة هي مباني قرآنيّة، وشعار لا إله إلّا الله الذي رفعه رسول الله ﷺ في شمم جبل الصفا رفعه مرّة ثانية الإمام الخمينيّ فدوى في أسماع أهل العالم، وأحيا هذا النداء الملكوتي أمل النصر في قلوب المستضعفين والمحرومين في العالم، وارتعد منه مستكبرو العالم المتجاوزون.

قال موشي دايان وزير الخارجية الأسبق للنظام الغاصب للقدس:

إنّ الثورة الإسلاميّة كانت زلزالاً ضرب المنطقة وسوف يسري إلى إسرائيل أيضاً.[٢]

ويفهم من هذا الكلام أنّ أعداء الثورة الإسلاميّة أدركوا ماهية وحقيقة هذه الثورة جيّداً، قال الإمام الخمينيّ:

إنّنا بصدد قلع جميع الجذور الفاسدة للصهيونية والرأسمالية والشيوعية في العالم وقد عزمنا ـ بلطف الله تعالى وعناياته ـ على إسقاط الأنظمة الكبرى القائمة على أساس هذا المثلث المشؤوم.[٣]

وقد بيّن الإمام الخمينيّ الرسالة العالميّة للثورة الإسلاميّة بقوله:

إنّي أعلن لكم بصراحة أنّ الجمهورية الإسلاميّة الإيرانية تعدّ العدّة بكلّ ما لديها من قوة من أجل إحياء الهوية الإسلاميّة للمسلمين في مختلف أرجاء العالم، ولا مبرر لتبعية المسلمين لأصحاب القدرة في العالم وعدم وقوفهم بوجه طلاب القدرة والمال والخديعة، إنّ علينا أن نسعى بكلّ ما أُوتينا من قوة للوقوف إلى جانب شعوب العالم وحلّ مشاكل المسلمين ونصرة المجاهدين والجائعين والمحرومين، ويجب أن يكون ذلك من أُصول سياستنا الخارجية.[٤]

كان الإمام بعيد النظر والتفكير واسع الأُفق، فقد بلغ القمة في التفكير في رسم رسالة عالمية للثورة حتّى أنّه قال:

---

١. *صحيفة إمام*: ٣٢٥/٢٠.

٢. *مجموعة مقالات دومين كنگره امام خمينى واحياى تفكر دينى*: ٣١٧/٣.

٣. *صحيفة إمام*: ٨١/٢١.

٤. المصدر: ٩١.

أرجو من الله تعالى أن يعطينا القدرة على دقّ ناقوس الموت لأمريكا وروسيا، ليست من الكعبة فحسب، بل من كنائس العالم أيضاً.[١]

وفيما يلي نذكر شواهد من القرآن الكريم يظهر منها أنّ مبنى الإمام رحمه الله مبنى قرآني تماماً، كقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾.[٢]

فإنّ هذه الآية تدلّ بوضوح على عالمية دين الإسلام؛ لأنّ الإمام رحمه الله يرى أنّ ثورته ثورة إسلاميّة ورسالته عالمية. إنّ مواجهة فكرة فصل الدين عن السياسة لعبت دوراً في رسم الرسالة العالميّة للثورة الإسلاميّة، ولازم نظريّة فصل الدين عن ا لسياسة نفي الرسالة العالميّة للدين، لذا فإنّ الإمام رحمه الله ـ ولأجل إرساء الرسالة العالميّة للدين ـ واجه هذه الفكرة الاستعماريّة المنحرفة، حيث قال:

فما يقال من أنّ الإسلام غير مؤهل للحكومة مخالف لمعتقداتنا الضرورية.[٣]

ومن هنا نجد تأكيد الإمام رحمه الله في مواضع متعدّدة ـ كما أشرنا إلى ذلك سابقاً ـ على وحدة السياسة والدين، قال الإمام رحمه الله:

إنّ شعار «فصل الدين عن السياسة» هو أحد وسائل الإعلام الاستعماري الذي أراد منع الشعوب الإسلاميّة من التدخل في تعيين مصيرهم، فقد بحث في أحكام الإسلام عن الأمور السياسيّة والاجتماعيّة بما يفوق البحث عن الأمور العبادية. إنّ طريقة ونهج النبيّ صلى الله عليه وآله في التعامل مع الأمور الداخلية للمسلمين والأمور الخارجية لهم يدلّ على أنّ إحدى المسؤوليات الكبرى لرسول الله صلى الله عليه وآله هو جهاده السياسي.[٤]

لقد ضمن الإمام رحمه الله عالمية رسالة الإسلام بإثباته لوجود العلاقة بين الدين والسياسة، فإنّ هذه الرسالة في رأيه ـ مضافاً إلى كونها رسالة بيان ونشر المعارف الإلهيّة ـ هي شاملة لجميع الشؤون الاجتماعيّة، فمثلاً الدفاع عن المستضعفين والمحتاجين في العالم هو أحد أبرز مميزات الرسالة العالميّة للإسلام، قال الإمام الخميني رحمه الله في ذلك:

لقد جاء الإسلام لغرض خدمة هؤلاء المحتاجين في العالم، ومنع الظالمين من تحقيق أهدافهم.[٥]

---

١. المصدر: ٨٢

٢. التوبة: ٣٣؛ الصف: ٩.

٣. راجع: *ولايت فقيه*: ٢٠.

٤. *صحيفة إمام*: ١٨٨/٥.

٥. المصدر: ٤٤٤/١٧.

وقال رحمه الله أيضاً:

سوف ندافع عن الفقراء في المجتمعات البشريّة لإحقاق حقوقهم حتّى آخر قطرة من دمائنا.[1]

ويقول أيضاً:

أشكر الله لما مَنّ به على المستضعفين وطهّر الأرض من رجس المستكبرين، ومكّنَ المستضعفين من الحكم؛ ولأجل هذا الهدف جاءت رسالة الإسلام وتعاليمه.[2]

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾.[3]

إنّ إحدى المميّزات الأساسية للرسالة العالميّة الخاصّة بالإسلام هي مقارعة الظلم، والتحريك ضدّه وإقامة العدل العالمي، قال الله تعالى:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.[4]

وقال الإمام رحمه الله في هذا المجال:

إنّ علينا أن نستعدّ لنقف بوجه قوى الشرق والغرب المتّحدين، ونشكّل قوّة إسلاميّة بشريّة بمواصفات الإسلام وثورتنا، لكي نحتفل بانتصار المحرومين والمستضعفين في العالم.[5]

لم يحدّد الإمام رحمه الله في مواجهته للطغيان دولة معيّنة من دول الجوار في المنطقة، بل وسّع من رقعة هذه الثورة في الشرق والغرب، وصار رحمه الله بصدد الدعوة إلى تشكيل جبهة إسلاميّة وبشريّة مشتركة قادرة في القضاء على الظلم والجور في العالم، وبسط العدل في العالم بأسره.

وحينئذٍ فإنّ مبنى تصدير الثورة أوالرسالة العالميّة هو أحد المباني القرآنيّة الإسلاميّة، قال الإمام رحمه الله في ذلك:

لايختصّ الإسلام بطائفة معيّنة، بل جاء للبشريّة جمعاء، فإنّ الأنبياء لم يبعثوا للمسلمين، ولا إلى إيران، وإنّما بعثوا كما بعث نبيّ الإسلام للناس كافة، ونهضتنا هذه

---

١. المصدر: ٨٧/٢١

٢. المصدر: ١١٧/٧.

٣. النور: ٥٥.

٤. الحديد: ٢٥.

٥. *صحيفة إمام*: ٩١/٢١.

هي نهضة للإسلام، والجمهوريّة هي جمهوريّة إسلاميّة، ولا يمكن حصر النهضة الإسلاميّة ببلد معيّن، بل لا يمكن حصرها بالبلدان الإسلاميّة، إنّ النهضة للإسلام هي استمرار لنهضة الأنبياء، ونهضة الأنبياء لم تكن لمكان واحد، وقد كان النبيّ صلى الله عليه وآله من الجزيرة العربيّة لكن دعوته لم تكن لأهل تلك المنطقة خاصّة، بل كانت للعالم بأسره.[١]

لقد كان الإمامرحمه الله واثقاً بانتشار هذه الثورة واتّساع رقعتها، لذا فإنّه يقول في هذا:

إنّنا باعلان البراءة من المشركين كنّا ولازلنا مصمّمون على إطلاق هذه الطاقات المتراكمة للعالم الإسلامي، وسوف نحقق ذلك في يومٍ ما بعون الله الكبير المتعال، وعلى أيدي أبناء القرآن.[٢]

﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ﴾.[٣]

---

١. المصدر: ١٠/٤٤٦.

٢. المصدر: ٢١/٨٠.

٣. القصص: ٥.

المصادر

١. *الاحتجاج*، أحمد بن علي الطبرسي، نشر مرتضى، مشهد، ١٤٠٣هـ
٢. *أعلام الورى*، الفضل بن حسن الطبرسي، دار الكتب الإسلاميّة، طهران.
٣. *انديشه سياسى آيت الله مطهرى*، نجف لك زايى، بوستان كتاب، قم، ١٣٨١ش.
٤. *بحار الأنوار*، محمّد باقر المجلسي، مؤسّسة الوفاء، بيروت، ١٤٠٤هـ.
٥. *تهذيب الأحكام*، الشيخ الطوسي، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، ١٣٦٥ش.
٦. حديث *پيمانه*، حميد پارسانيا، انتشارات معارف، قم، ١٣٧٩ش.
٧. *الخرائج والجرائح*، قطب الدين الراوندي، مؤسّسة إمام مهدي، قم، ١٤٠٩هـ.
٨. *الدرّ المنثور في تفسير المأثور*، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤٢١هـ.
٩. *الرسائل*، الإمام الخميني رحمه الله، مؤسّسه إسماعيليان، قم، ١٣٨٥هـ.
١٠. صحيفه *إمام*، الإمام الخميني رحمه الله، مؤسّسه تنظيم ونشر آثار إمام خميني رحمه الله، طهران، ١٣٧٩ش.
١١. *علل گرايش به ماديگرى*، شهيد مرتضى مطهري، انتشارات صدرا.
١٢. *الغيبة*، الشيخ الطوسي، مؤسّسه معارف اسلامى، قم، ١٤١١هـ.
١٣. *الكافي*، محمّد بن يعقوب الكليني، دار الكتب العلميّة، طهران ١٣٦٥ش.
١٤. *كتاب البيع*، الإمام الخميني رحمه الله، مؤسّسه تنظيم ونشر آثار امام خميني رحمه الله، طهران، ١٣٧٩ش.
١٥. *كشف الغمّة*، علي بن عيسى الأربلي، مكتبة بني هاشم، تبريز، ١٣٨١هـ.
١٦. *كمال الدين وتمام النعمة*، الشيخ الصدوق، مكتبة الصدوق، طهران، ١٣٩٠هـ.
١٧. مجموعه *مقالات دومين كنگرة امام خميني رحمه الله واحياى تفكر دينى*، مؤسّسه تنظيم ونشر آثار امام خميني رحمه الله، طهران، ١٣٧٧ش.
١٨. *وسائل الشيعة*، محمّد بن الحسن الحرّ العاملي، مؤسّسة آل البيت، قم، ١٤٠٩هـ.
١٩. *ولايت فقيه از ديدگاه قرآن كريم*، أحمد آذري قمّي، دار العلم، قم، ١٣٧١ش.
٢٠. *ولايت فقيه در حكومت اسلام*، سيد محمّد حسين الحسيني الطهراني، انتشارات علامه طباطبائى، مشهد ١٤١٥هـ.
٢١. *ولايت فقيه*، الإمام الخميني رحمه الله، مؤسّسه تنظيم ونشر آثار إمام خمينى رحمه الله، طهران، ١٣٨٥ش.

المباني القرآنيّة للوحدة الإسلاميّة في النهضة الإصلاحيّة للإمام الخمينيرحمه‌الله

أحمد أكبري

المقدّمة

إنّ المسلمين من وجهة نظر الإسلام ـ القرآن والسنّة ـ وإن كانوا من مختلف الألوان والأجناس، إلّا أنّهم أمة واحدة على الأرض ، ودين الإسلام المقدّس لا يختصّ بجماعة معيّنة، بل إنّ دعوة الرسولصلى‌الله‌عليه‌وآله دعوة عالميّة، وأنّ جميع الناس مخاطبون برسالة آخر الأنبياء الإلهيّين، كما أنّ جميع الخطابات القرآنيّة موجّهة لجميع الناس، كما في قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس...﴾.

وجاء في بيان أهداف رسالة النبيّصلى‌الله‌عليه‌وآله في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَما أَرْسَلْناكَ إِلّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ﴾.[1]

وقوله تعالى: ﴿وَما أَرْسَلْناكَ إِلّا كَافَّةً لِلنّاسِ بَشيرًا وَنَذيرًا وَ لكِنَ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾.[2]

وقوله تعالى: ﴿يا أَيّهَا النّبِيّ إِنّا أَرْسَلْناكَ شاهِدًا وَمُبَشّرًا وَنَذيرًا * وَداعِيًا إِلَى اللّه بِإِذْنِهِ وَسِراجًا مُنيرًا * وَبَشّرِ الْمُؤْمِنينَ بِأَنّ لَهُمْ مِنَ اللّه فَضْلاً كَبيرًا﴾.[3]

فقد صرّحت الآيات المذكورة بعالميّة رسالة رسول اللهصلى‌الله‌عليه‌وآله وعدم اختصاصها بقوم

---

١. الأنبياء: ١٠٧.

٢. سبأ: ٢٨.

٣. الأحزاب: ٤٥ ـ ٤٧.

معيّنين، كما أنّ الله العالم الحكيم أعطى الإنسان قدرة معرفة الحقّ من الباطل، والعمل على ضوء الحقّ والحقيقة، لكي يتمكّن باتّباع القوانين الإلهيّة، التكوينيّة والتشريعيّة، من بلوغ الكمال المطلوب في ظلّ الحريّة الموهوبة من قبل الله تعالى.

تعريفات وكلّيات

ما جاء في هذا المقال من تأكيد على المجتمع المسلم وميزاته الخاصّة لا يعني القوميّة والعنصريّة؛ لأنّ دين الإسلام أساساً ليس ديناً طبقيّاً، فقد طرح القرآن: مفهوم الوحدة الإسلاميّة، والوحدة على أساس الإيمان وبمحوريّة التوحيد.

وفي النهضة الإصلاحيّة للإمام الخمينيﷺ المقتبسة من الكتاب والسنّة لا محلّ للمشاعر الوطنيّة أو أيّ نوع من الميول التي لا أصالة لها في القيم الإلهيّة، ولذا فإنّهﷺ صرّح بهدفه من دعوة الأمة الإسلاميّة إلى الوحدة الإسلاميّة بقوله:

> لا نزاع لنا مع أيّ دولة، سواء كانت إسلاميّة أم غير إسلاميّة، ونرغب في الصلح والودّ مع الجميع، وما قمنا به إلى الآن هو دفاع مفترض على كلّ شخص وحقّ إنساني، وليس لدينا نوايا العدوان على البلدان الأخرى، ونريد من البلدان الإسلاميّة باتّحادها أن تقف للدفاع عن حقوق المسلمين والدول الإسلاميّة بوجه المعتدين والمتجاسرين من أمثال إسرائيل المعتدية.[١]

المجتمع الإسلامي ووحدة المسلمين[٢]

من الأُمور المهمّة تكوين النهضة الإصلاحيّة الإسلاميّة؛ من أجل وحدة المسلمين وإزالة الفرقة بينهم. وقد بدأت هذه الحركة الإصلاحيّة في القرنين الأخيرين برعاية النفوذ الفكري للمصلحين والمفكّرين الإسلاميّين من أمثال السيّد جمال الدين الأسد آباديﷺ.

القوميّة والشعوبيّة والاستقلاليّة[٣]

للقوميّة خصائص عدّة وهي:

١. صفة الوطنيّة أو الانجذاب نحوها.

---

١. *صحيفة إمام*: ١٥٨/١٦.

2. Pan-islamism.
3.Nationalism.

٢. العلامات المميّزة لكلّ شعب.

٣. الدفاع عن العلاقات الوطنيّة أو الوحدة والاستقلال.

٤. الحبّ والحميّة للشعب والوطن.[١]

النظرة العالميّة[٢]

ولها الخصائص التاليّة:

١. الانفتاح الفكري المبتني على ضرورة التعاون والتقارب بين شعوب العالم إلى حدّ ينتهي إلى تشكيل الحكومة العالميّة، والاهتمام بالمصالح الوطنيّة، والسياسيّة، والاقتصاديّة والعسكرية لمختلف الشعوب تحت مِظَلّة مصالح المجتمع العالمي.

٢. الائتلاف العالمي واتّحاد القوى الثوريّة العالميّة في مواجهة الإمبرياليّة والرجعيّة بهدف الرقيّ الاجتماعي.[٣]

الثقافة الوطنيّة[٤]

وهي عبارة عن الاشتراك في مجموعة التصوّرات والاعتقادات، والآداب واللغة، والتاريخ والدين، والفنون ومناهج الحياة، وجميع وجوه الشبه المختلفة الموجودة في حياة أيّ اُمّة من الأمم.[٥]

المجتمع المسلم[٦]

هو المجتمع الذي تحكمه قيم وأحكام، وقوانين الإسلام في جميع العلاقات الاجتماعيّة.[٧]

القوميّة في تاريخ الإسلام

عُرّفت القوميّة وقُسّمت في الغرب، وفي العالم الإسلامي بصورة مختلفة سوف يأتي ذكرها،

---

١. فرهنگ *روابط بين الملل*: ٢٠٩ ـ ٢١٠.

2.Anternationalism.

٣. فرهنگ *علوم سياسى*: ٢٨٧.

4. National Cuiture.

٥. فرهنگ *علوم سياسى*: ٣٧٦.

6. Islamic Commuity.

٧. فرهنگ *علوم سياسى*: ٣٠٠.

والقوميّة الاشتراكيّة هي الفكر القائم على أساس عقيدة استبداديّة تأسّست منذ عام ١٩٢٣م في ألمانيا النازيّة على يد هتلر وأنصاره، أو القوميّة في البلاد الإسلاميّة التي ظهرت بأشكال مختلفة مثل الناصريّة القائمة على المبنى الفكري لجمال عبد الناصر عام ١٩١٨ـ١٩٧٠م، والتي أكّد فيها على المنافع الوطنيّة للبلاد العربيّة ووحدة الأمة العربيّة، و(پان إيرانيسم) التي تطلق على القوميّة الإيرانيّة، وكذا (پان تركيسم) التي تطلق على القوميّة الآتاتركيّة.

١. القوميّة في العصر الجاهلي

كانت القبيلة هي محور النشاط السياسي والاجتماعي والبيئوي للشعوب العربيّة قبل الإسلام، وكان المجتمع العربي الجاهلي قائماً على هذا الأساس، بمعنى أنّ الفرد العضو والتابع لإحدى القبائل يتمتّع بحقوق القبيلة ويحظى بالدعم في مواجهة أنواع المخاطر التي يتعرّض لها.

وفي المقابل يرى أفراد القبيلة أيضاً أنّ المدافع والظهير الوحيد لهم هي قبيلتهم التي ينتسبون إليها، ولذا فإنّ المحور الوحيد للدفاع والوفاء في المجتمع القبلي (جزيرة العرب) هو الوفاء القبلي والقومي، وهو الذي يعبّر عنه بالعصبيّة، وفي القرآن الكريم بـ ﴿حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾، وقد ذمّها تعالى في كتابه: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ﴾.[١]

٢. القضاء على القوميّة في عصر الرسالة

لقد حاول الدين الإسلامي تغيير الأسباب المصطنعة للوحدة الوطنيّة (الوفاق الوطني) التي هي من قبيل الانتماء القومي المبتني على الدم والعنصريّة والإقليميّة، وجعل الأصل في ذلك وفاء المؤمنين للدين والقيم الدينيّة، وجعل محور الوفاق الوطني هو الالتزام بالقيم والمبادئ الإلهيّة، وقد أكّد الإسلام على أصل تكافؤ الناس وتساويهم في الخلق وتفاضلهم في ظلّ العمل بالأحكام الإلهيّة وكسب المعايير الإنسانيّة الواقعيّة من قبيل التقوى والجهاد في سبيل الله وإدراك المعارف الإلهيّة.

ولايخفى، أنّ حبّ الوطن وانشداد المؤمنين الروحي للوطن ممّا أكّد عليه في دين الإسلام، وقد ورد في ذلك حديث عن الإمام الصادق عليه السلام يقول فيه:

---

١. الفتح: ٢٦.

المؤمن أخو المؤمن كالجسد الواحد إن اشتكى شيئاً منه وجد ألم ذلك في سائر جسده، وأرواحهما من روح واحدة، وإنّ روح المؤمن لأشدّ اتّصالاً بروح الله من اتّصال شعاع الشمس بها.[١]

وقد التفت الإمام الخمينيّ‌رحمه‌الله إلى الفرق بين المعنى السلبي للوطنيّة والمعنى الصحيح منه الناشئ من الفطرة الإلهيّة والبشريّة، وله جذور في وجود الإنسان، وقال‌رحمه‌الله:

لو أنّ المجلس والدولة والقوّة القضائيّة وسائر المؤسّسات كانت تستمدّ علومها من الجامعات الإسلاميّة والوطنيّة، لما ابتلي شعبنا اليوم بمشاكل مهلكة كالتي يواجهها الآن، ولو كانت لدينا شخصيّات عفيفة لها توجّهات إسلاميّة ووطنيّة بالمعنى الصحيح ـ لا كالتي تقف اليوم في معاداة الإسلام ـ لشقّت طريقها في التطوّر من الجامعات إلى سائر مؤسّسات القوى الثلاثة... ولو كانت الجامعات إسلاميّة ـ إنسانيّة ـ وطنيّة لاستطاعت أن تمدّ المجتمع بمئات وآلاف المدرسين الكفوئين.[٢]

الوحدة الإسلاميّة في الكتاب والسنّة

أ) الوحدة الإسلاميّة في الكتاب

إنّ ظاهرة الوطنيّة والقوميّة المشؤومة كانت على طول التاريخ ـ كوسيلة لإيجاد التفرقة بين الأُمم من قبل القوى الظالمة والاستكباريّة ـ إحدى أهمّ الطرق لاستعباد الأُمم المظلومة والمحرومة في العالم.

ومنذ أن عرفت القوى الاستكباريّة أنّ الوحدة الدينيّة والعقائديّة للشعوب المستعمرة هي أكبر الموانع في طريقها، فعملوا على إيجاد التفرقة بينهم، وجعلوها على رأس أولويّات أعمالهم، ولم تكن هذه بالظاهرة الجديدة، بل كانت منذ كان الإنسان، وما زالت كذلك.

ويمكن القول: بأنّ القرآن الكريم ببيان مصير فرعون والفراعنة بشكل إعجازي قد عرض أقدم وثيقة في هذا المجال بشكل مكتوب للإنسانيّة المرهقة من ظلم وجور آلهة الطغيان والتزوير.

ويرى أرباب العلم والمعرفة في هذا المجال ـ بعد التذكير بالرسائل الإلهيّة المنزلة في

---

١. *الكافي*: ١٣٣/٢.

٢. *صحيفة إمام*: ٤٣٠/٢١.

الآيات النورانيّة وعرض العبر التاريخيّة، وبيان مصير المشركين من بني آدم ـ أنّ طريق الخلاص من مخالب الفراعنة هو سلوك طريق السعادة والهداية البشريّة.

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَها شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْناءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِساءَهُمْ أنّه كانَ مِنَ الْمُفْسِدينَ﴾.[1]

١. المسلمون أمة واحدة

لقد قال تعالى: ﴿إِنّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ أمّة واحِدَةً وَأَنَا رَبّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾.[2]

٢. ذمّ التفرقة بين صفوف المؤمنين

لقد قال تعالى: ﴿إِنّ الّذينَ فَرّقُوا دينَهُمْ وَكانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ في شَيْءٍ إِنّما أَمْرُهُمْ إِلَى اللّه ثمّ يُنَبِّئُهُمْ بِما كانُوا يَفْعَلُونَ﴾.[3]

وقال تعالى: ﴿مِنَ الّذينَ فَرّقُوا دينَهُمْ وَ كانُوا شِيَعًا كلّ حِزْبٍ بِما لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾.[4]

٣. التفرّق والاختلاف في المجتمع غاية القوى الاستكباريّة

قال تعالى: ﴿إِنّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَها شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْناءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِساءَهُمْ أنّه كانَ مِنَ الْمُفْسِدينَ﴾.[5]

يقول العلّامة الطباطبائي في تفسير هذه الآية:

العلوّ في الأرض: كناية عن التجبّر والاستكبار... وكأنّ المراد بجعل أهل الأرض ـ وكأنّهم أهل مصر، واللّام للعهد ـ فِرقاً، إلقاء الاختلاف بينهم، لئلّا تتّفق كلمتهم فيثوروا عليه ويقلبوا عليه الأمور على ما هو دأب الملوك في بسط القدرة وتقويّة السلطة.[6]

---

١. القصص: ٤.

٢. الأنبياء: ٩٢.

٣. الأنعام: ١٥٩.

٤. الروم: ٣٢.

٥. القصص: ٤.

٦. *الميزان في تفسير القرآن*: ٧/١٦.

٤. الملاك القرآني في تقييم الإنسان

لقد قال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا النّاسُ إِنّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثى وَجَعَلْناكُمْ شُعُوبًا وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقاكُمْ إِنَّ اللهَ عَليمٌ خَبيرٌ﴾.[١]

٥. الإيصاء بالوحدة في محور توحيد الكلمة

يقول الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَميعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوانًا وَكُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النّارِ﴾.[٢]

وقال الإمام الخمينيّ رحمه الله في تفسير هذه الآية المباركة:

لم تأمر الآية بالوحدة والاجتماع فحسب ـ فإنّ ذلك أمر يوصي به جميع الناس والأنظمة غير الإلهيّة ـ بل أمرتهم أن يكون اتّحادهم على أساس الاعتصام بحبل الله تعالى، لا أن يكونوا مجتمعين وغير متفرّقين على أمرٍ ما، فيكون الاعتصام بحبل الله هو طريق الحقّ، والتوجّه نحو الحقّ، والاعتصام بطريق الحقّ.[٣]

٦. الوعد الإلهي في الغلبة والنصر النهائي لضعفاء العالم على المستكبرين

يقول الله تعالى: ﴿وَنُريدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الّذينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوارِثينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهامانَ وَجُنُودَهُما مِنْهُمْ ما كانُوا يَحْذَرُونَ﴾.[٤]

وقد استند الإمام الخمينيّ رحمه الله إلى الآية الشريفة، هناك حينما قال:

من اللّازم على جميع المسلمين أن ينتفضوا في جميع أقطار العالم، بل الآية تشمل جميع المستضعفين، فعليهم أن ينتفضوا هم أيضاً، فإنّ الوعد الإلهي قد شمل المستضعفين، وقد قال تعالى: ﴿وَنُريدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الّذينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوارِثينَ﴾، فإنّ الإمامة هي حقّ المستضعفين، يرثونها من المستكبرين، وأنّ المستكبرين هم الغاصبون لحقّهم، ولا بدّ من الإطاحة بهم.[٥]

---

١. الحجرات: ١٣.

٢. آل عمران: ١٠٣.

٣. *صحيفة إمام*: ١٣١/٩.

٤. القصص: ٥ ـ ٦.

٥. *صحيفة إمام*: ٢٩٢/٧.

ب) الوحدة الإسلاميّة في السنّة

لقد بذل رسول الله﴿ص﴾ غاية جهده في إبلاغ الأحكام والقوانين والإلهيّة وتنفيذها في أوساط الأمة والمجتمع الإسلامي الجديد، ويمكن القول: بأنّ أحد أهمّ ما حاول النبيّ﴿ص﴾ تحقيقه حتّى أواخر عمره الشريف هو إزالة الأفكار القوميّة والقبليّة الموروثة عن العهد الجاهلي من المجتمع المسلم، تلك الأفكار التي رسبت في عقول الناس آنذاك إلى حدّ، حيث كانت تفوق سائر القيم والعادات الجاهليّة.

وهذا الأمر لم يتجلّ في كلام النبيّ﴿ص﴾ فحسب، بل ظهر في سيرته العمليّة أيضاً، فقد كان النبيّ﴿ص﴾ مثلاً يقرّب بين مختلف القبائل والأشخاص الذين كانوا يتمتّعون بمكانة اجتماعيّة بعقد الأخوّة، وبشكل عام كانت الدعوة إلى الوحدة في محور توحيد الكلمة، وكلمة التوحيد على رأس قائمة دعوة جميع الأنبياء والأوصياء والأولياء﴿ع﴾.

١. حديث الثقلين الشريف، وهو آخر وصايا النبيّ﴿ص﴾ للأمة الإسلاميّة

قال رسول الله﴿ص﴾:

إنّي تارك فيكم الثقلين، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض.[1]

وقد استند الإمام الخمينيّ﴿ره﴾ في مقدّمة وصيته السياسيّة الإلهيّة إلى حديث الثقلين الشريف، وخاطب الشعب الإيراني والمسلمين والمستضعفين في العالم من الأجيال الحاضرة، والتي سوف تأتي في المستقبل قائلاً:

إنّ حديث الثقلين متواتر بين جميع المسلمين... فلنرَ ماذا جرى على كتاب الله هذه الوديعة الإلهيّة وتركة النبيّ﴿ص﴾ ؟

فقد حدثت أُمور مؤسفة ينبغي البكاء من أجلها دماً، والتي بدأت بعد شهادة الإمام علي﴿ع﴾، حيث جعل الأنانيّون والطواغيت القرآن الكريم وسيلة لدعم الحكومات المعادية للقرآن، وقد عزلوا بذلك ـ وبحجج وذرائع عديدة ومؤامرات معدّة سابقاً ـ المفسّرين الحقيقيّين للقرآن والعارفين بحقائق القرآن التي أخذوها عن النبيّ﴿ص﴾ ، فهم في الحقيقة عزلوا القرآن ـ الذي هو أكبر قانون مادي ومعنوي في حياة البشريّة ـ حتّى يوم الورود على الحوض، وعطّلوا حكومة العدل الإلهي التي هي

---

١. *وسائل الشيعة*: ١٩/١٨.

إحدى المثل والآمال في هذا الكتاب المقدّس رغم أنّ نداء: «إنّي تارك فيكم الثقلين»، كان يلعلع في أسماعهم.[١]

٢. الوحدة الإسلاميّة في خطبة حجّة الوداع لرسول اللهﷺ

قال رسول اللهﷺ:

«أيها الناس ألا إنّ ربّكم واحد، وإنّ أباكم واحد، كلّكم لآدم وآدم من تراب ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾،[٢] وليس لعربيّ على أعجميّ فضل إلّا بالتقوى، ألا هل بلّغت؟ اللّهمّ اشهد». قالوا: نعم. قالﷺ: «فليبلّغ الشاهد الغائب».[٣]

٣. وظيفة المسلمين في رفع مشاكل إخوتهم في الدين في كلام رسول اللهﷺ

قالﷺ:

من أصبح ولم يهتمّ بأُمور المسلمين فليس بمسلم.

وقال الإمام الخمينيﷺ مخاطباً رؤساء البلدان الإسلاميّة، وقد استند إلى الحديث الشريف المذكور:

ألم يقرع أسماعكم الحديث عن رسول اللهﷺ: «من أصبح ولم يهتمّ بأُمور المسلمين فليس بمسلم»؟

فهل اهتمّ هؤلاء بأُمور المسلمين؟

هل قال الرؤساء الذين اجتمعوا في مؤتمر الطائف ـ بلد رسول اللهﷺ ونبيّ الإسلام الذي بلّغ في هذا البلد ـ عن الإسلام شيئاً؟

وما هي اهتماماتكم بالنسبة للمسلمين وأُمورهم؟

هل يمكننا أن نعتبر هؤلاء الحكّام ـ في ضوء الحديث الشريف ـ من المسلمين؟[٤]

وقالﷺ أيضاً:

لو لم يهتمّ المسلم بأُمور المسلمين فليس بمسلم... مهمّا قال: «لا إله إلّا الله»، إنّ الإسلام هو أن ينفع المسلم المسلمين.[٥]

٤. وصية النبيﷺ بنصرة المظلوم المستغيث

---

١. *صحيفة إمام*: ٢١/٣٩٤، ٣٩٥.

٢. الحجرات: ١٣.

٣. *نهج الفصاحة*: ٦٧٥ ـ ٦٧٦.

٤. *صحيفة إمام*: ١٤/١٣٧.

٥. المصدر: ٣/٣٤٠ـ ٣٤١.

قال رسول الله:

من سمع رجلاً ينادي يالَلمسلمين! فلم يجبه، فليس بمسلم.[1]

وجاء في جواب الإمام الخمينيّ لرسائل تهنئة بعض رؤساء البلدان الإسلاميّة بمناسبة حلول عام ١٤٠٢هـ مشيراً إلى المشاكل التي أُبتلي المجتمع المسلم بها، وأوصاهم أن يأخذوا الحديث الشريف المروي عن رسول الله بنظر الاعتبار، قائلاً:

عليكم ألّا تنسوا كلام رسول الله أنّه قال: من سمع رجلاً ينادي ياللمسلمين! فلم يجبه فليس بمسلم.[2]

٥. الوحدة الإسلاميّة في الخطبة الفدكية لفاطمة الزهراء

قالت:

فجعل الله... طاعتنا نظاماً للملّة، وإمامتنا أماناً للفرقة.[3]

٦. حديث الإمام علي في قبح التفرقة

قال:

وإيّاكم والفرقة، فإنّ الشاذّ من الناس للشيطان، كما أنّ الشاذّ من الغنم للذئب، ألا من دعا إلى هذا الشعار فاقتلوه، ولو كان تحت عمامتي هذه... .[4]

٧. الوحدة المعنويّة للمؤمنين في حديث الإمام الصادق

قال:

المؤمن أخو المؤمن كالجسد الواحد إن اشتكى شيئاً منه وجد ألم ذلك في سائر جسده، وأرواحهما من روحٍ واحدةٍ، وأنّ روح المؤمن لأشدّ اتّصالاً بروح الله من اتصال شعاع الشمس بها.[5]

مكانة الوحدة الإسلاميّة في فكر الإمام الخمينيّ

أ) أسباب وجذور الفرقة في المجتمع المسلم

يرى الإمام الخمينيّ أنّ أيّ نوع من أنواع الفرقة بين صفوف المسلمين المرصوصة تحت

---

١. *الكافي*: ١٣١/٢.

٢. *صحيفة إمام*: ٣٤١/١٥، ٣٤٥.

٣. *نهج الحياة*: ١٠٤.

٤. *نهج البلاغة*: ٢٤٠، الخطبة ١٢٧.

٥. *الكافي*: ١٣٣/٢.

أيّ عنوان وفي أيّ ظرف من الظروف مغاير للإسلام والقرآن، وفي هذا المجال قالرحمه الله:

إنّ الاتّجاه القومي أساس بلاء المسلمين.[١]

١. جذور جميع الاختلافات الابتعاد عن تعاليم الأنبياء

لو اجتمع الأنبياء في مكان واحد لم يختلفوا أبداً، لو فرضنا أنّ الأنبياء والأولياء جاؤوا إلى الدنيا لم يكن بينهم اختلاف ونزاع؛ لأنّ سبب النزاع يرجع إلى حبّ الذات...

لو تربّى الناس بتربية الأنبياء ـ التي جاءت جميع الكتب السماويّة لأجلها ـ لزالت جميع هذه الخلافات.[٢]

٢. مخالفة الوطنيّة والقوميّة للإسلام والقرآن

يجب أن تكون الأمة الإسلاميّة ـ تبعاً للإسلام والقرآن الكريم ـ بأجمعها متحدة، وأن يكون أبناؤها إخوة، إنّ المؤمنين في أرجاء العالم هم أُخوة بحكم القرآن، وهم شركاء في الأفراح والأحزان، وهذه الأُخوّة في الإسلام هي أساس جميع الخيرات.

إنّ هؤلاء يريدون أن يأخذوا هذه الأُخوّة منّا، ففي أحداث كردستان وآذربايجان كانوا يهتفون بجمهورية آذربايجان، أي: أنّ الجمهوريّة منفصلة عن الإسلام، لقد عقد الإسلام والقرآن الأُخوّة بيننا: ﴿الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾،[٣] فالمؤمنون هم الجميع، لا الأتراك، ولا الفرس، ولا العرب، ولا العجم.[٤]

٣. مخالفة التمييز العنصري والقوميّة للإسلام والقرآن

القوميّة تخالف الإسلام، فقد جاء الإسلام لينظر إلى جميع المجتمعات على حدّ سواء، هذه هي القوميّة التي في أمريكا بين البيض والسود، وهذا كارتر الذي يدّعي أنّه من أنصار الإنسانيّة يقتل ويؤذي على الهوية، وأنّ بعض هذه الدول العربيّة تقول إنّها عربيّة ولا غير، القوميّة كون الشخص إيرانياً فقط دون ملاحظة لدينه، عربيّاً فقط وهكذا، وهذا خلاف القانون الإلهي.[٥]

---

١. *صحيفة إمام*: ٨٧/١٣.

٢. المصدر: ٣٨١/١١.

٣. الحجرات: ١٠.

٤. *صحيفة إمام*: ٣٦٧/١١.

٥. المصدر: ٣٣٤/١٢.

٤. اختلاف القوميّة والوطنيّة مع حبّ الوطن

من الأمور التي اختلقوها لايجاد الاختلاف بين المسلمين، والتي شمّر عملاء الاستعمار للترويج لها هي القوميّة والوطنيّة... إنّ حبّ الوطن وحبّ أهل الوطن وحفظ حدود البلاد من الأُمور التي لا كلام في مطلوبيتها، إلّا أنّ القوميّة في قبال الشعوب الإسلاميّة الأُخرى هي أمر آخر غير ما في الإسلام والقرآن ما أمر به النبيﷺ، فالقوميّة التي تؤدّي إلى العداء بين المسلمين والشقاق في صفوف المؤمنين هي على خلاف الإسلام ومصلحة المسلمين، وهي من مكائد وحيل الأجانب الذين قد انزعجوا من الإسلام وانتشاره.[1]

٥. الاختلاف بين السنّة والشيعة أخطر من القوميّة

إنّ ما هو أخطر من القوميّة وأكثر أسئ الخلاف بين أهل السنّة والجماعة مع الشيعة، وبثّ الفتنة والعداء بين الأخوة المسلمين والمؤمنين.[2]

٦. إشاعة المستغربين المثقفين للقوميّة

سقط في أحضان الغرب أو الشرق جماعة من المثقفين متأثّرين بأفكارهم فجاؤوا بظاهرة القوميّة، وكان أغلبهم لا يعلم بدلالات ذلك، والبعض منهم يعلم، حيث وضعوا حدوداً للأُمة العربيّة في مقابل الإسلام والأُمة الإسلاميّة، وكذا عيّنوا حدوداً للأُمة العربيّة والأُمة الفارسيّة والأُمة التركيّة، وقالوا بأنّ هذا لونه أبيض، وذاك أسود، وذاك أصفر، وجميع هذه الأُمور المؤدّية إلى التفرّق هي من القوى الكبرى والشياطين الكبار يريدون بها الاختلاف بين الشعوب، بينما نرى الإسلام قد اعتمد على الأُخوة وعبّر عنها بتعابير مختلفة.[3]

ب) الأسباب الماديّة والمعنويّة المؤثّرة في وحدة المسلمين ومستضعفي العالم

١. عدم اهتمام المسلمين بتوحيد الكلمة وكلمة التوحيد

نظراً إلى وجود أعداء الإسلام والمسلمين الذين نهبوا كلّ ثروات المسلمين الماديّة والمعنويّة، يرى الإمام الخمينيﷺ أنّ أحد الأسباب المؤثّرة في تخلّف المسلمين هو عدم

---

١. المصدر: ٢٠٩/١٣.

٢. المصدر.

٣. المصدر: ٤٧١/١٥.

اهتمامهم بأصل: كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة، ويرى أنّ من الضروري تجاوز الخلافات واللّجوء إلى الأُصول المشتركة بين جميع الفرق الإسلاميّة من أجل استرجاع عظمة الإسلام والمسلمين.

ويقول رحمه الله في حديثه عن هذا المورد:

لا بدّ من توحيد الكلمة في المجتمع المسلم الذي هو مشترك بين الجميع، وفي كلمة التوحيد التي هي مشتركة بين الجميع، وفي المصالح الإسلاميّة التي هي مشتركة بين الجميع، فلو اتّحد هؤلاء لم يطمع اليهود في فلسطين، ولا الهنود في كشمير... أنّه ما لم تكن هناك وحدة، وما لم يكن بين رؤساء الدول الإسلاميّة وحدة كلمة، وما لم يفكّروا في مصائب الشعوب الإسلاميّة ومشاكل الإسلام، وفي مشاكل أحكام الإسلام، وفي غربة الإسلام والقرآن الكريم، فإنّهم لن يسودوا العالم.

لا بدّ من التفكير والعمل لسيادة العالم.

لو عرّفتم الإسلام للعالم كما هو، وعملتم بما ينبغي لكانت السيادة لكم والعظمة معكم: ﴿لِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾.[١][٢]

٢. اجتناب الخلافات الدينيّة والقوميّة والعنصريّة

دعا الإمام الخمينيّ رحمه الله المسلمين في جميع مراحل نهضته الإصلاحيّة إلى الوحدة الإسلاميّة واجتناب التفرّق الديني، ودعاهم إلى الوحدة والاتّحاد في الدفاع عن الإسلام والمبادئ القرآنيّة، وهو رحمه الله يرى أنّ الاختلاف بين المسلمين مطلب القوى الاستكباريّة.

وقال الإمام رحمه الله في بيان مهمّ وجّهه إلى شعب كردستان الأبي، حيث قام الحزب الديمقراطي الكردستاني بعد أشهر من انتصار الثورة الإسلاميّة ببث الفرقة بين الشيعة والسنّة، ممّا أدّى إلى قتل الأُخوة في إيران الإسلاميّة في تاريخ ١٣٥٨/٥/٢٩ش:

إنّ الحزب الديموقراطي الكردستاني مرتبط بأمريكا والصهيونيّة ارتباطاً مباشراً... والإسلام هو الملجأ الوحيد لنا جميعاً، والجميع ينالون حقوقهم تحت لوائه الخفّاق. إنّ عملاء الأجانب عندما رأوا منافع أسيادهم معرضة للخطر حاولوا تحريك الأُخوة من أهل السنّة وإيجاد الفتنة بين السنّة والشيعة، وقاموا بهذه الحركة الشيطانيّة لإيجاد الاختلاف والتقاتل بين الأُخوة.

إنّ الشيعة والسنّة في الجمهوريّة الإسلاميّة كلّهم أُخوة يعيشون مع بعضهم الآخر

---

١. المنافقون: ٨.

٢. *صحيفة إمام*: ٣٣/٢، ٣٥.

ولهم حقوق متساويّة، وكلّ من سعى لنشر خلاف ذلك فهو عدوّ للإسلام وإيران...
أرجو من الله تعالى أن يمنّ على المسلمين بوحدة الكلمة والقضاء على المنافقين.[1]

كما أنّه - مضافاً إلى أنّه كان يعرف انحراف وخطورة التحرّكات التي من شأنها التفرقة بين مذاهب المسلمين - أكّد على وحدة كلمة المسلمين على الرغم من اختلاف الفهم للأحكام الفقهيّة للإسلام، قال:

لم يكن من الصحيح طرح ظاهرة تشتت المسلمين وتمزيقهم إلى فرق وجماعات مثل: هذه الجماعة من المسلمين شيعة، وهذه الجماعة من المسلمين سنّة، وهذه الجماعة من الحنفية، وهذه الجماعة من الحنابلة، وهذه الجماعة أخبارية، ففي المجتمع الذي يريد الجميع فيه خدمة الإسلام وأن يكونوا للإسلام لاينبغي طرح هذه الأُمور.

فكلّنا أُخوة متّحدون، غاية الأمر أفتى علماؤكم ببعض الأمور، وأنتم قلّدتم هؤلاء العلماء فصرتم من الأحناف، وعمل البعض بفتوى الشافعي، والبعض الآخر بفتوى الإمام جعفر الصادق فصار هؤلاء شيعة.

فإنّ هذه الأُمور لا تصلح أن تكون سبباً في الاختلاف مع بعضنا البعض أو نكون متضادين، فكلّنا أُخوة، وعلى الأُخوة الشيعة والسنّة الابتعاد عن كلّ اختلاف، إنّ الاختلاف الواقع اليوم بيننا هو لصالح أُولئك الذين لا هم من المذهب الشيعي ولا من المذهب الحنفي ولا من سائر الفرق، إنّهم يرغبون في فناء الجميع.

ويرون أنّ السبيل هو إلقاء الاختلاف بيننا وبينكم، وعلينا جميعاً الالتفات إلى هذا المعنى، وهو أنّنا جميعاً مسلمون وكلّنا من أهل القرآن والتوحيد، وعلينا أن نبذل جهدنا في سبيل القرآن والتوحيد، وخدمة المجتمع.[2]

٣. الاهتمام بالمؤتمر السنوي للحجّ بصفته اجتماعاً سياسيّاً واجتماعيّاً

لقد دعا الإمام الخميني في جميع مراحل نهضته الإصلاحيّة المسلمين إلى التدخّل في مصير المجتمع المسلم والابتعاد عن الطاغوت. فقد دعا في خطاباته المسلمين في العالم في مؤتمر الحجّ العظيم إلى الوحدة والاتّحاد والإيمان وبعدم الفصل بين الأُمور العباديّة كالحجّ وبين الأُمور السياسيّة.

إنّ من جملة الوظائف في هذا الاجتماع العظيم هو دعوة الناس والمجتمعات

---

١. المصدر: ٣١١/٩، ٣١٢.

٢. المصدر: ٥٤/١٣.

المسلمة إلى وحدة الكلمة ورفع الاختلافات بين طبقات المسلمين، وعلى الخطباء والكتّاب المشاركة في هذا الأمر الحيوي، وأن يبذلوا الجهد في إيجاد جبهة للمستضعفين؛ فإنّه سوف يتحرّر المسلمون بهذه الجبهة المتحدة ووحدة الكلمة وشعار: «لا إله إلّا الله» من أسر القوى الشيطانيّة للأجانب والمستعمرين والمستثمرين، وسوف يتغلّبون بالأخوة الإسلاميّة على المشاكل.[1]

٤. الاهتمام بدين التحرير الإسلامي بصفته ديناً عالمياً

لا تختصّ الدعوة إلى دين الإسلام المبين في رأي الإمام الخمينيّ رحمه الله بالمسلمين فقط، بل إنّ الخطاب الإسلامي موجّه إلى جميع الناس من ذوي الفطرة السليمة.

وبالنتيجة فإنّ أرض الإسلام هي عبارة عن قلوب المؤمنين المعتقدين بالأحكام النورانيّة التحرريّة للإسلام، ولا يمكن أن تحدّ بالحدود الجغرافيّة المصطنعة بين أبناء الإسلام.

قال الإمام الخمينيّ رحمه الله:

إنّ نهضة إيران هذه ليست نهضة خاصّة بها؛ لأنّ الإسلام لا يختصّ بطائفة معيّنة، فإنّ الإسلام جاء للبشريّة ولم يأت للمسلمين أو إلى إيران، لقد بعث الأنبياء للناس، وكان نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله مبعوثاً للناس: ﴿يا أَيهَا النَّاسُ﴾.

وعندما نهضنا كانت نهضتنا لأجل الإسلام... والنهضة إذا كانت للإسلام لا يمكن حصرها ببلد، بل لا يمكن حصرها حتّى في البلدان الإسلاميّة؛ لكونها استمراراً لنهضة الأنبياء، ولم تكن نهضة الأنبياء خاصّة بمكان معيّن.

لقد كان النبيّ صلى الله عليه وآله من بلاد الحجاز إلّا أنّ دعوته لم تكن لأهل الحجاز خاصّة، بل كانت لجميع العالم.[2]

٥. الاهتمام بالوعد الإلهي من أجل غلبة المستضعفين على مستكبري العالم

نظراً إلى اعتقاد الإمام الخمينيّ رحمه الله الراسخ بتحقّق وعد الله الحكيم الذي لا يتخلّف وأمله بتحقّق ذلك، دعا مستضعفي العالم إلى وحدة الكلمة في مقابل المستكبرين من أجل استيفاء حقوقهم السليبة، حيث قال:

تعلّقت إرادة الله تعالى بأن يكون خلاص المستضعفين من أسر قيود الحكومة

---

١. المصدر: ١٠/١٥٩.

٢. المصدر: ٤٤٦.

الطاغوتيّة، وتعيين مصيرهم بأنفسهم بالقيادة الحكيمة للأنبياء العظام وورثتهم.[١]

وقال أيضاً﵀:

نحن نأمل أن تتّحد جميع طبقات الشعب المستضعف، ونرجو من الله تبارك وتعالى أن يستيقظ المسلمون في جميع أقطار العالم، وأن يجتنبوا التفرق والاختلاف... يجب انتشار نهضة المستضعفين بوجه المستكبرين في جميع العالم...

لقد شمل الوعد الإلهي المستضعفين: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾.[٢][٣]

٦. الاستفادة من مصادر الطاقة لقوّة العالم الإسلامي

يرى الإمام الخمينيّ﵀ أنّ بإمكان المسلمين ـ بما لديهم من إمكانات ماديّة كثيرة وثقافة إسلاميّة غنيّة ـ الخلاص من كلّ ألوان الارتباط بالقوى المتسلّطة، وفي هذا قال﵀:

من العجيب أن تكون ثروة مهمّة جداً كالنفط بيد الشرق وبيد المسلمين، وتكون هذه المخازن التي تطوّر بها العالم في الدول الإسلاميّة، فإنّ بهذه الثروة تفوّقت بلدان العالم، وبأمواج البترول تطوّرت... وما لم تكن بين رؤساء المسلمين وحدة كلمة، ويجتمعوا على حلّ مشاكل الشعوب المسلمة، ومشاكل الإسلام، وغربة أحكامه، وغربة القرآن الكريم لايمكنهم أن يسودوا ويتغلبوا، وعليهم أن يفكّروا في ذلك ويعملوا كي يتمكّنوا من سيادة العالم.[٤]

٧. وحدة نظر المسلمين في قبال الصهيونية العالميّة

من أهمّ فصول النهضة الإصلاحيّة للإمام الخمينيّ﵀ الدفاع عن المسلمين والمظلومين في العالم، فهو يرى أنّ احتلال أوّل قبلة للمسلمين ـ فلسطين المحتلّة ـ على أيدي الصهاينة الجناة والغاصبين هي من أهمّ الأُمور وأكثرها حزناً، ومن هذا المنطلق وقف﵀ في جميع مراحل جهاده بوجه جرثومة الفساد هذه والغدة السرطانيّة.

وكان يحذّر دائماً من خطر سيطرة الصهاينة على كيان الإسلام، ويطالب بوحدة المسلمين والمستضعفين في العالم في مقابل هذا النظام الفاسد، وقد تمثلت مواقفه في النقاط التالية:

---

١. المصدر: ٤٣٧/٣.

٢. القصص: ٥.

٣. *صحيفة إمام*: ٣٩٢/٧.

٤. المصدر: ٢/٣٤ـ٣٥.

أ) إسرائيل عدوّة الموحّدين والمؤمنين في العصور الماضية والحاليّة والمستقبليّة

قال ﷺ:

إنّ قضية القدس ليست قضيّة شخصيّة وقضيّة خاصّة ببلد أو بالمسلمين في العصر الحاضر، بل هي حادثة تهمّ سائر الموحّدين في العالم والمؤمنين في العصر الماضي والحاضر والمستقبل، وهي جارية منذ يوم سقوط المسجد الأقصى إلى آخر يوم يتحرّك فيه هذا الكوكب في نظام الكون.

وكم هو مؤلم للمسلمين في العصر الحاضر ـ مع كلّ هذه الإمكانات الماديّة والمعنويّة ـ أن تقع أمام مرآهم وأنظارهم وأمام الساحة الربوبيّة ورسله الكرام مثل هذه الجرأة والجسارة على المسلمين والمقدّسات.[١]

ب) قتل الفلسطينيّين العُزّل فاجعة التاريخ الكبرى

قال الإمام ﷺ:

من العار على الدول الإسلاميّة مع ما بأيديها من شريان اقتصاد القوى العالميّة أن تقعد متفرجة لتبادر أمريكا ـ مجرمة التاريخ ـ لتعيين عنصر فاسد لا قيمة له في قبال المسلمين...

وكم من المخجل السكوت على هذه الفاجعة التاريخيّة الكبرى.[٢]

ج) إيجاد إسرائيل يعدّ مؤامرة لاستيلاء الصهيونيّة والسيطرة على العالم الإسلامي

وقال ﷺ:

على رؤساء الدول الإسلاميّة الالتفات إلى أنّ جرثومة الفساد هذه التي زرعوها في قلب الدول الإسلاميّة ليس من أجل الإطاحة بالأمة العربيّة فحسب، بل إنّ خطرها يهدد الشرق الأوسط بأكمله.

إنّ مؤامرة الاستيلاء وسيطرة الصهيونيّة والاستعمار على العالم الإسلامي تتجاوز الأراضي الخصبة وثروة البلدان الإسلاميّة، ولا يمكن الخلاص من شر هذا الكابوس الأسود الاستعماري إلّا بالتضحية والثبات واتّحاد الدول الإسلاميّة.[٣]

---

١. المصدر: ١٩٠/١٦.

٢. المصدر: ١٩٠.

٣. المصدر: ٢/٣.

د) وظيفتنا الشرعيّة نصرة الشعب الفلسطيني الأعزل

قال رحمه الله:

إنّ الأُمة الإسلاميّة ـ وبحكم الوظيفة الإنسانيّة والأُخوّة وطبقاً للموازين العقليّة والإسلاميّة ـ مكلّفة بقلع جذور هذا الوجود الاستعماري، فلا ينبغي لهم التهاون في ذلك، وعليهم نصرة أُخوتهم ـ الذين هم في ساحة القتال ـ ماديّاً ومعنويّاً، وأيضاً إرسال الدم والدواء والسلاح والغذاء.[١]

هـ) الحكم الفقهي للعلاقة بين المسلمين وبين النظام الإسرائيلي الغاصب

قال رحمه الله:

يجب على الدول والشعوب الإسلاميّة قلع وقمع إسرائيل، ويحرم مساعدتها سواء ببيع السلاح أو بيع النفط، فإنّه مخالف للإسلام، وإيجاد أيّ ارتباط مع إسرائيل وعملائها ـ سواء علاقات وروابط تجارية أو سياسيّة ـ حرام ومخالف للإسلام، وعلى المسلمين اجتناب استعمال البضائع الإسرائيلية.[٢]

و) عدم جدوى المفاوضات السياسيّة مع رؤساء النظام الإسرائيلي الغاصب

قال رحمه الله:

ألا يعلم رؤساء القوم، ويرون بأنّ المفاوضات السياسيّة مع السياسيّين الأقوياء وجناة التاريخ لم تحرد القدس وفلسطين ولبنان، وأنّها سوف تزيد كلّ يوم من الجرائم والمظالم؟!

لا بدّ من الاعتماد على الإيمان وقوّة الإسلام، وتجنّب الألاعيب السياسيّة التي يشم منها رائحة المساومة وإرضاء القوى العظمى.[٣]

٨. تأسيس الدولة العالميّة للإسلام (اتّحاد الجماهير المسلمة)

استناداً إلى الكتاب والسنّة وتجلّي حكومة الوحدة الإسلاميّة في السيرة العمليّة للمعصومين عليهم السلام، نادى الإمام الخميني رحمه الله بتشكيل حكومة عالميّة، كما أنّه رحمه الله ـ على الرغم

---

١. المصدر.

٢. المصدر: ١٣٩/٢.

٣. المصدر: ٦٠/١٥.

من التفرّق والتبعثر الجغرافي السياسي للعالم الإسلامي وهيمنة قوانين خاصّة على العلاقات العالميّة ـ عرض سبل عمليّة وأسباب مؤثّرة في كيفيّة تشكيل حكومة الوحِدة الإسلاميّة في العالم المعاصر.

أ) الدولة الإسلاميّة الموحّدة تحت لواء الإسلام أمل المسلمين

قال رحمه الله:

إنّي أرجو أن تستيقظ جميع الشعوب الإسلاميّة التي تمزّقت بسبب الدعايات الأجنبيّة بجعل المسلمين يعادي بعضهم البعض الآخر، وأرجو أن يستيقظ المسلمون وأن يتّحدوا، ويؤسّسوا دولة إسلاميّة كبرى تحت لواء: «لا إله إلّا الله».[١]

ب) منهج تأسيس الدولة الإسلاميّة الواحدة تحت لواء الإسلام

قال رحمه الله:

عدد المسلمين ـ بحمد الله ـ يقارب المليار مسلم، فلماذا يغتصب الصهاينّة القدس منّا على الرغم من هذا العدد الكبير للمسلمين؛ بل يسخّرون بعض الدول والحكومات لتكون إمرتهم؟

في حال أنّ هؤلاء لو اجتمعوا لشكلوا حكومة كبرى، حتّى ولو كان لكلّ واحد منهم في بلاده حكومة، فلا بدّ أن يكون الجميع تحت لواء الإسلام.[٢]

ج) آيد لوجية لتأسيس دولة إسلاميّة واحدة تحت لواء الإسلام

قال رحمه الله:

على الدول الإسلاميّة أن تكون بمثابة دولة واحدة، كالمجتمع الواحد، ولهم لواء واحد وكتاب واحد ونبيّ واحد، وعلى هؤلاء المسلمين أن يكونوا متّحدين دائماً، ولهم علاقات في جميع المجالات، ولو تحقّقت هذه الآمال ـ وهي اتّحاد الدول الإسلاميّة من جميع الجهات ـ فإنّي أرجو أن يتغلّبوا على مشاكلهم ويشكلوا قوة كبرى في مقابل القوى الأخرى.[٣]

---

١. المصدر: ٢٣٤/٦.

٢. المصدر: ١٨٠/١٤ ـ ١٨١.

٣. المصدر: ١٩٩/٧.

٩. ابتعاد رؤساء الدول الإسلاميّة عن الإسلام الواقعي هو السبب في تأخّر المسلمين

ويرى الإمام الخمينيّ أنّ أحد الأسباب المؤثّرة في تأخّر الدول الإسلاميّة هم الحكّام غير اللّائقين، وغير المعتقدين بالإسلام الأصيل، وأنّ على المسلمين في هذا المجال تكليف ـ بشكل فردي وجماعي ـ برفض هؤلاء الحكّام المتحكّمين بمصيرهم، ومن الطبيعي أن تكون مسؤوليّة العلماء والطبقة المثقفة والمتديّنة أكثر من غيرهم في هذا المجال.

إنّ مشكلة المسلمين ليست هي القدس وحدها، فإنّ هذه هي إحدى مشاكل المسلمين، أليست أفغانستان من مشاكل المسلمين؟ أليست الباكستان من مشاكل المسلمين؟ أليست تركيا من مشاكل المسلمين؟ أليست مصر من مشاكل المسلمين؟ أليس العراق من مشاكل المسلمين؟

إنّ مشكلة المسلمين هي حكوماتهم، فإنّ هذه الحكومات هي التي أوصلت المسلمين إلى ما وصلوا إليه اليوم من التأخّر والتناظر، فإنّه لو أُزيلت هذه المشكلة من طريق المسلمين لوصل المسلمون إلى آمالهم، والحلّ بيد الشعوب.[١]

إنّنا نعاني من زعماء المسلمين، ويجب علينا أن نصرخ بوجههم، فإنّهم يدّعون أنّهم أتباع الإسلام، لكنّهم يعملون خلاف القرآن الكريم، وخلاف سنّة رسول الله، وخلاف مصالح البلدان التي هي تحت نفوذهم.

إنّ مشكلة المسلمين هي هذه الحكومات المنحرفة التي تحكمهم.[٢]

إنّ الحكومات الإسلاميّة ـ سواء منهم الملوك، أو رؤساء الجمهوريّات، أو رؤساء الوزراء ـ واقعون تحت تأثير الاستعمار، غافلين عن مقاصد دين الإسلام، ولا يعرفون مسائله، ولا يريدون أن يعرفوا أحكام الإسلام، فهم لا يستطيعون معرفة ذلك ما داموا في هذه الحال.[٣]

إنّهم يستغفلون شبابنا، ويلقنوهم بأنّ كلّ ما لديهم من مشاكل فهي من الإسلام... إنّ طلّابنا الجامعيّين عندما يرون المسلمين هنا جائعين ومساكين وفي أوضاع تعسة، ومساجدهم خربة، ويذهبون إلى أمريكا ويرون الكنائس هناك منظمة ومرتبة وكلّ شيء فيها على ما يرام، يتصوّرون أنّ أحكام الإنجيل والتوراة هي التي أوصلتهم إلى هذا المستوى، وأنّ أحكام الإسلام أوصلتنا إلى هذا الوضع المتدنّي، مع أنّ حكّام الدول

---

١. المصدر: ٨٣/١٣ ـ ٨٤

٢. المصدر: ٤٣٨/١٥.

٣. المصدر: ٣٧٣/١.

الإسلاميّة هم الذين فعلوا بهم ذلك، وأساؤوا لسمعة الإسلام وأظهروه بهذا المظهر المشين، فقد كان النظام الإسلامي في يوم حاكماً على نصف العالم، وكان في حالة تقدّم مستمرّ.[١]

١٠. العودة إلى الإسلام الأصيل

يعتبر الإمام الخمينيرحمه الله في نظرته الإصلاحيّة بأنّ أهمّ أسباب تأخّر المسلمين هو ابتعادهم عن الإسلام الواقعي، وهورحمه الله يرى في هذا المجال أنّ وظيفة المثقّفين وعلماء الإسلام هي التعريف بالإسلام الخالص والحقيقي، ومواجهة الإسلام المحرّف والبعيد عن الكتاب والسنّة.

أ) علاج جميع مشاكل المسلمين في العودة إلى الإسلام الواقعي

إنّ هذه الحكومات الموجودة في بلاد المسلمين، لا صلة لها بالإسلام أصلاً، وإذا نطقوا باسم الإسلام أحياناً، فانّ ذلك لأجل إغرائكم والتظاهر بالإسلام المحرَّف والمستورد من الخارج، ونحن ما لم نرجع إلى الإسلام الأصيل ـ إسلام رسول اللهصلى الله عليه وآله ـ فإنّ مشاكلنا سوف تبقى على ما هي عليه، فلا نستطيع حلّ قضية فلسطين ولا [قضية] أفغانستان ولا قضايا سائر البلدان.

إنّ على الشعوب أن ترجع إلى صدر الإسلام، فإن رجعت الحكومات مع الشعوب فلا مشكلة حينئذٍ، وإلّا فعلى الشعوب سلوك طريق آخر غير طريق الحكومات.[٢]

إنّ مشاكل المسلمين كثيرة، لكن المشكلة الكبرى هي أنّهم وضعوا القرآن الكريم جانباً، وانضووا تحت لواء الآخرين.

يقول القرآن الكريم: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾... فلو عمل المسلمون بهذه الآية فقط لزالت جميع مشاكلهم الاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصادية وكلّ شيء ومن دون الاستعانة بالأجانب.[٣]

ب) وجود النقص والتحريف في الإسلام المتعارف في المجتمعات الإسلاميّة

لأجل معرفة الفرق بين الإسلام وبين ما يطرح باسم الإسلام، وما هي حدود ذلك؟

---

١. المصدر: ٣٨٢.

٢. المصدر: ٨٩/١٣.

٣. المصدر: ٢٧٥.

نلفت أنظاركم إلى الاختلاف بين القرآن وكتب الحديث مع الرسائل العمليّة. فإنّ القرآن وكتب الحديث ـ التي هي مصادر أحكام الإسلام ـ تختلف تماماً عن الرسائل العمليّة التي يكتبها مجتهدو العصر والمراجع، فإنّ نسبة القضايا الاجتماعيّة المطروحة في آيات القرآن بالقياس إلى أكثر القضايا الفقهيّة المطروحة فيها هي أكثر من نسبة الواحد إلى المئة. ومن مجموع الكتب الروائية التي هي في حدود الخمسين كتاباً روائيّاً والتي تشتمل على جميع أحكام الإسلام، ليست إلّا ثلاثة أو أربعة كتب تناولت العبادات ووظائف الإنسان وعلاقته بربّه، ومقدار من الأحكام يرتبط بالأمور الأخلاقيّة، والباقي منها يرتبط بالأمور الاجتماعيّة والاقتصاديّة والحقوق والسياسة وتدبير المجتمع.[1]

ج) اعتماد المجتمعات الإسلاميّة على الغرب والشرق بدلاً من الإسلام

قال الإمام الخمينيّ رحمه الله:

لو أنّ الدول الإسلاميّة والشعوب المسلمة اعتمدت على الإسلام بدلاً من الاعتماد على الشرق والغرب، وجعلوا تعاليم القرآن الكريم النورانيّة والتحرريّة نصب أعينهم وعملوا بها، لم يكونوا اليوم أسرى الاعتداءات الصهيونيّة، والخوف من طائرات الفانتوم الأمريكيّة، وتحت تأثير إرادة التطبيع والحيل الشيطانيّة للاتّحاد السوفياتي.

إنّ ابتعاد الدول الإسلاميّة عن القرآن الكريم جعل الأمة الإسلاميّة بهذا الوضع المأساوي الأليم، وجعل مصير الشعوب المسلمة والبلدان الإسلاميّة رهين سياسة التطبيع الاستعماري اليميني واليساري.[2]

١١. دور الاستعمار في زعزعة القدرة المعنويّة لدين الإسلام

لقد اهتمّ الإمام الخمينيّ رحمه الله ـ فيما يرتبط بيقظة المسلمين ومستضعفي العالم في جميع مراحل نهضته الإصلاحيّة ـ بقضيّة سلطة الأجانب والدول الاستعماريّة، هناك حيث قال رحمه الله:

إنّ الدول المستعمِرة والدول التي تريد نهب ذخائر المسلمين وتحاول بمختلف الوسائل والحيل استغفال الدول الإسلاميّة ورؤسائها، تارة بزرع الاختلاف باسم الشيعة والسنّة، حتّى أنّ الذين هم من غير المسلمين أيضاً قد انطلت عليهم أمثال هذه الحيل، حيث يقال: إنّ في الهند ـ في مثل عيد الأضحى ـ يؤتى بأعداد كثيرة من الأبقار المقدّسة إلى عبّاد الأبقار لكي يبيعوها على المسلمين بأسعار زهيدة، ثُمّ يضطروهم إلى ذبحها

١. *ولايت فقيه*: ١١.

٢. *صحيفة إمام*: ٤٣٨/٢ ـ ٤٣٩.

أمام تلك الطوائف، ومن ثَمّ يقولون لهم: إنّ هؤلاء ذبحوا أبقاركم المقدّسة، فتقع الفتنة بين الطوائف الهنديّة من الهندوس والمسلمين، فيستفيدون من هذه الفتنة، فيكون الشرق لقمة سائغة لهم.[١]

١٢. هُوية إسلاميّة أم فاجعة القرن؟

أحد الأُصول الأساسيّة للنهضة الإصلاحيّة للإمام ﷺ طلبه من المسلمين اجتناب الشعور بالنقص وفقدان الهويّة في مقابل المجتمعات الغربيّة المتحضرة بحسب الظاهر، فهو ﷺ يرى ظهور أزمة هُوية في المجتمعات الإسلاميّة، ويرى أنّها من أهمّ موانع التكامل والتطوّر لهذه المجتمعات سواء في الوقت الحاضر، أو في العصور المنصرمة.

قال ﷺ:

أنتم ترون الظروف التعاسة التي حلّت بنا نتيجة لهذا التفكير المفروض علينا، حيث نجد الناس يعرضون عن السلع الوطنيّة ويرغبون في السلع الأجنبيّة، حتّى ولو كانت السلع الوطنيّة أفضل وأتقن، ومن هنا يضطر المنتجون في الداخل إلى تعريف السلعة بلغات أجنبية، فالقماش الإيراني مثلاً لا بدّ أن تكتب على حاشيته حروفاً أجنبيّة حتّى يكون قابلاً للتصريف، والأمراض التي يمكن معالجتها داخل البلاد بأفضل طريقة نجد المريض يسافر للعلاج إلى الخارج، رغم أنّ العالم الإسلامي مهد العلم والعلماء، وقد أثبت ذلك العلماء والمؤلّفون غير المسلمين بالشواهد والبراهين، وأنّ الحضارة والعلم انتقل من العالم الإسلامي إلى أوروبا، وأنّ المسلمين كانوا متقدّمين في هذه الأُمور.[٢]

وقال ﷺ أيضاً:

لا بدّ من القول بأنّ جامعاتنا كانت تُدار من قبل شرذمة من المغتربين الفاشلين أو العملاء، وأنّ العلماء الملتزمين كانوا قلائل لاحول لهم ولا قوّة، وأنّ أُولئك كانوا يرغّبون شبابنا في الذهاب إلى الغرب، ويبعثون بهم فوجاً بعد آخر إلى خارج البلاد، فكان الاستعمار يرعاهم بالحدّ المطلوب، فيرجعون إلى البلاد بأفكار غربيّة غير إسلاميّة وغير وطنيّة، وهذه فاجعة القرن الأخير للدول الإسلاميّة، وهذا هو خطؤهم، والحديث عن ذلك ذي شجون.[٣]

---

١. المصدر: ٣٧٤/١.

٢. المصدر: ٩٠/١٨.

٣. المصدر.

آخر نداء:

وصيّتي إلى جميع المسلمين والمستضعفين في العالم هي انضواء الجميع تحت لواء الإسلام، ومواجهة أعداءالإسلام والدفاع عن محرومي العالم، وتأسيس دولة إسلاميّة أو جمهوريّات حرّة ومستقلّة، فإنّه بذلك سوف يرتدع المستكبرون في العالم ويلزمون أماكنهم، ويرث جميع المستضعفين الأرض ويكونون أئمّة، على أمل تحقّق ذلك اليوم الذي وعد به الله تعالى عباده.[1]

حصيلة البحث

تعتبر الدعوة إلى الوحدة الإسلاميّة، بل والدعوة إلى وحدة المستضعفين في العالم إحدى الخصائص المهمّة الأُخرى لنهضة الإمام الإصلاحيّة، فإنّ من الفرض الواجب على المسلمين برأيه العودة ثانية إلى الإسلام؛ لاسترجاع عظمتهم وقدراتهم الضائعة، ورفع لواء: «لا إله إلّا الله محمّد رسول الله»، في أرجاء العالم ثانية.

لقد كان الإمام بصدد إحياء الحكومة الإسلاميّة الموّحدة من جديد بطريقة ونهج حكومة نبيّ الإسلام وأمير المؤمنين، وكان يرى أنّ أحد الأسباب المؤثّرة في إحياء المجد والعظمة للعالم الإسلامي، بل وحتّى الشعوب المستضعفة في العالم، هي الوحدة والالتفاف حول محور الأُصول القرآنيّة والإسلاميّة.

وكان يرى أنّ كلّ نوع من أنواع التفرقة الدينيّة، والجغرافيّة، والعنصريّة، القوميّة و... هي السبب في القضاء على المسلمين. وكان دائماً يعطي الأهمّية الخاصّة المشتركة التي تساهم في توحّد المسلمين، ويرى أنّ المسلمين والمستضعفين في العالم مع ما لديهم من أُصول مشتركة بإمكانهم أن يكونوا قطب الرحى الإنساني في قبال الاستكبار العالمي بزعامة أمريكا والصهيونيّة العالميّة، وإيجاد أرضيّة تأسيس الحكومة العالميّة الإسلاميّة بإمامة قائم آل محمّد.

---

١. المصدر: ٢١/٤٤٧ـ٤٤٨.

المصادر

القرآن المجيد، ترجمة: محمّد مهدي فولادوند، دفتر مطالعات تاريخ ومعارف اسلامی، طهران، ١٣٧٩ش.

١. *ترجمة تفسير الميزان*، سيد محمّد باقر الموسوي الهمداني، دفتر نشر اسلامی، قم، ١٣٦٣ش.

٢. *راهنمای انسانيت؛ فهرست موضوعی نهج الفصاحة*، تنظيم مصطفى فريد التنكابني، دفتر نشر فرهنگ اسلامی، طهران، ١٣٧٤ش.

٣. *صحيفه امام*، الإمام الخميني، مؤسّسه تنظيم ونشر آثار إمام خميني، طهران، ١٣٧٨ش.

٤. *فرهنگ روابط بين الملل*، غلام رضا علي بابايي، وزارت اُمور خارجه، طهران، ١٣٧٥ش.

٥. *فرهنگ علوم سياسی*، علي آقابخشي، مينو افشاري راد، نشر چاپار، طهران، ١٣٧٩ش.

٦. *الكافي*، محمّد بن يعقوب الكليني، المكتبة الإسلاميّة، طهران، ١٣٨٨هـ.

٧. *نهج البلاغة*، السيّد الرضي، ترجمة: محمّد دشتي، الطبعة الثالثة،مشرقين، قم، ١٣٧٩.

٨. *نهج الحياة، فرهنگ سخنان حضرت فاطمة*ﷺ، محمّد دشتي، الطبعة الرابعة عشر، مؤسّسه تحقيقاتي أمير المؤمنين ؏، قم، ١٣٧٥ش.

٩. *نهج الفصاحة*، ترجمة: أبو القاسم پاينده، الطبعة الخامسة عشر، سازمان انتشارات جاويدان، طهران، ١٣٦٠ش.

١٠. *وسائل الشيعة*، محمّد بن حسن الحر العاملي، المكتبة الإسلاميّة، طهران، ١٤٠١هـ.

١١. *ولا يت فقيه*، الإمام الخميني، مؤسّسه تنظيم ونشر آثار امام خميني، طهران، ١٣٧٣ش.

تجلّي القرآن في الوصيّة السياسيّة الإلهيّة للإمام الخمينيّ

حسين حسين زاده برسمناني

المقدّمة

الإمام الخمينيّ ذخيرة الشيعة للعالم

لم يتوان الإمام الخمينيّ في الدفاع عن المظلومين، وذلك بحضوره في ساحة المواجهة مع المجتمع الطاغوتي، تبعاً لرسالة أهل البيت العلميّة والعملية، فقد واجه الفقر والعنصرية والإسلام الأمريكي الذي كان النظام البهلوي المشؤوم حاملاً لرايته، لقد واجه ذلك رغم المخاطر الجسيمة، واثقاً بنفسه متوكّلاً على الله غاية التوكّل، وكلّه أمل بالله، عاملاً لكسب رضاه تعالى فقط.

فقد رفع عصا الإيمان، كما فعل موسى في مواجهة الحكّام الفاسدين الجائرين، وقاد سفينة النجاة، كما فعل نوح، وصار سبباً في نجاة الطبقات المحرومة والمستضعفة والمحبّة لأهل البيت، وتولّى إمامة الأمية وهداية الناس، كما فعل إبراهيم، ووصل بالدين الإلهي والقرآن المجيد ومذهب الإمية الاثنى عشرية إلى أعلى المراتب، ورفع من مستوى إيمان الناس وعلاقتهم بخالقهم، وحاول الأخذ بأيدي الجميع إلى بر الأمان وتحقيق الهدف الإلهي والحقيقي.

لقد هتف الإمام بنداء الإسلام المحمّدي الأصيل، وعمل بأوامره جميعاً، ولذا اشتهر بـ «شيخ الطريقة، ومراد العاشقين».

ولقد شاء القدر الإلهي أن يرحل الإمام من بيننا، تاركاً وراءه وصيّته السياسيّة الإلهيّة للناس من أجل بقاء الحكومة الإسلاميّة الإيرانيّة لتّتصل بحكومة الحجّة.

وتبدأ وصيّة المعمار الكبير للثورة الإسلاميّة الإيرانية بمقدّمة تشير إلى معارف الشيعة. ذاكراً فيها نماذج عينيّة وواقعية للإسلام المحمّدي الأصيل، ونماذج أُخرى تكشف عن زيف أدعياء الإسلام الأمريكي وأتباعه المخادعين.

إنّ القرآن الكريم هو الكتاب الشامل لحاجة الناس في جميع الأعصار والأزمان، والمشتمل على جميع العلوم وبرامج الحياة البشريّة، وهو السرّ في نجاح الإنسان وتكامله في الدنيا والخلود الأبدي في الجنّة، وقد تجلّت المظاهر القرآنيّة كراراً في وصيّة الإمام الخميني رحمه الله وكانت مورد اهتمامه وعنايته.

وقد أعددت هذه الوجيزة ـ بحسب الوظيفة ـ عن منجي إيران ومنقذها من أيدي الطاغوت والطاغوتيّين ـ وبمنهجيّة جديدة وقراءة دقيقة لآيات القرآن المجيد، من أجل صيانة المطالب والنقاط القرآنيّة المذكورة في الوصيّة، والمشاركة في المسابقة العامّة لأفكار الإمام الخميني رحمه الله القرآنيّة ـ في ثمانية محاورات، وثمانية عشر موضوعاً مختصراً يرتبط بالمظاهر القرآنيّة.

ونرجو من الله أن يحشر الإمام الخميني رحمه الله مع الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام، وأن يشمل بدعائه قائد الجمهورية الإسلامية الخامنئي ليكون في رعاية الله محفوظاً عزيزاً منتصراً.

قبول القرآن والهدف من نزوله

أ) الهدف من نزول القرآن للعالمين

إنّ القرآن هو كلام الله تعالى الذي لا يمكن للناس فهمه بدون واسطة وقابليّة، بل يفهموه بواسطة تنزّل الكلام الإلهي من المقام الربوبي وتبلوره في الوجود المقدّس لسيّدنا محمّد بن عبدالله صلى الله عليه وآله، وجريان كلماته على لسانه الشريف، وهو ما يعبّر عنه بالكشف التامّ.

إنّ الإمام رحمه الله ـ نظراً إلى تنزّل القرآن من السماء إلى الأرض، واستناداً إلى الآية الكريمة ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾،[1] ونحن جميعاً من أبناء سيّدنا آدم عليه السلام ـ يرى أنّ الهدف من نزول القرآن هو نجاة البشريّة، ويقول في هذا المورد:

وكلّما تقدّم هذا البنيان الأعوج ازداد انحرافاً، وازدادت ضرورة تنزّل القرآن

---

١. البقرة: ٣١.

الكريم لهداية البشريّة وتكاملها، والقرآن هو نقطة التقاء جميع المسلمين، بل الأسرة البشريّة، وقد تنزّل من مقام الأحدية الشامخ بالكشف المحمّدي التامّ لكي يصل بالبشريّة إلى ما ينبغي الوصول إليه، وذلك انطلاقاً من: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ﴾، من أجل خلاص الإنسان من شرّ الشياطين والطواغيت.[١]

ب) قبول دعوة القرآن

إنّ قضيّة إرشاد المجتمع تقع على عاتق المسؤولين عن هذا المجتمع لكي ينتشر الإسلام في العالم، ويظهر الوجه النوراني والحقيقي للإسلام في ظلّ دعوة القرآن الكريم والسنّة وسيرة أهل البيت‌عليهم‌السلام. والعالم إنّما يكون أكثر نورانيّة إذا كانت هذه الدعوة مقرونة بقبوله واستجابته لها.

ويقول الإمام الخمينيّ‌رحمه‌الله بهذا الصدد متحدّثاً:

> ليست قضيّة الإعلام من ظائف وزارة الثقافة فقط، بل هي وظيفة جميع العلماء والخطباء والكتّاب والفنانين، وعلى وزارة الخارجيّة أن تسعى ليكون في سفاراتها صحف إعلاميّة لكي يتبيّن للعالم الوجه النوراني للإسلام، ويتّضح الوجه الحسن له الذي يدعو إلى تطبيقة القرآن والسنّة في جميع أبعاد الحياة، والذي ظلّ محجوباً خلف ستائر المخالفين للإسلام. وكذا أصدقائه الذين لم يفهموه بصورة صحيحة. فلو ظهر الإسلام بما هو عليه من الكمال والجمال لكان قد غزا العالم بأسره، ولخفق لواؤه في كلّ مكان.[٢]

ج) أهل البيت‌عليهم‌السلام هم المفسّرون للقرآن

عبّر الإمام الخمينيّ‌رحمه‌الله في حديث الثقلين المتواتر[٣] عن القرآن الكريم بالثقل الأكبر، وعن أهل البيت‌عليهم‌السلام بالثقل الكبير، ولهذين الثقلين مكانة ومنزلة رفيعة، والأخذ بأحدهما دون الآخر يؤدّي إلى هجرانهما معاً.[٤]

إنّ أهل البيت‌عليهم‌السلام في الحقيقة هم المفسّرون والمبيّنون للقرآن، ولولاهم لم يتّضح المعنى الواقعي للقرآن، ولولا القرآن لم يكن هناك شيء يمكنهم تفسيره به، فالاثنان هما وجهان لحقيقة واحدة.

---

١. *صحيفة إمام*: ٣٩٥/٢١.

٢. المصدر: ٤٢٩/٢١.

٣. قال رسول الله‌صلى‌الله‌عليه‌وآله: «إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فانّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض».

٤. *صحيفة إمام*: ٤٣٩/٢١ ـ ٣٩٤.

وفي هذا يقول الإمام الخمينيّ رحمه الله:

كلّ ما جرى على أحد هذين الثقلين فقد جرى على الآخر مثله، وهجران أحدهما يؤدّي إلى هجران الآخر حتّى يردا عليَّ رسول الله صلى الله عليه وآله الحوض.[1]

المخالفون للقرآن

أ) الأنانيّون والقرآن

يستدلّ بعض الناس بالقرآن الكريم لضرب القرآن وإبعاده عن ساحة المجتمع والحياة البشريّة.

قال الإمام الخمينيّ رحمه الله في ذلك:

إنّ الأنانيّين والطغاة قد جعلوا القرآن الكريم وسيلة بأيدي الحكومات المعادية للقرآن، وقاموا بطرد المفسّرين الحقيقيّين للقرآن والعالمين بالحقائق التي أخذوها عن النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله في القرآن، رغم أنّ نداء: «إنّي تارك فيكم الثقلين»، كان وما زال يدوي في آذانهم، وكان طردهم لهؤلاء بذرائع مختلفة ومؤامرات معدّة مسبقاً، فقاموا بإخراجهم من الساحة مع القرآن الذي هو في الحقيقة القانون المادّي والمعنوي للبشريّة، حتّى ساعة الورود إلى أكبر حوض يوم القيامة.[2]

ب) الحكومات الجائرة والقرآن

وذكر الإمام الخمينيّ رحمه الله في حديثه أنّ المعاندين والمتآمرين قد بلغوا بهذا النفاق والعداء حدّاً يخجل القلم عن كتابته، ويقول:

لقد بلغ الأمر حدّاً اتّخذت فيه الحكومات الجائرة والعلماء الخبثاء ـ الذين هم أسوأ من الطواغيت ـ دور القرآن وسيلة لإقامة الجور والفساد، وتوجيه أفعال الظالمين والمعاندين للحقّ تعالى.[3]

ج) مجالس التأبين والقرآن

ممّا يؤسف له أنّه في ذلك الوقت الذي كان يعيش فيه الإمام رحمه الله، بل وبعد حياته أيضاً إلى يومنا هذا، لم يكن للقرآن ـ هذا الكتاب المهم ـ أيّ دور في حياة الإنسان ووحدة المسلمين،

---

١. *صحيفة إمام*: ٢١/٣٩٤.

٢. المصدر: ٣٩٤، ٣٩٥.

٣. المصدر: ٣٩٥.

بسبب الأعداء المتآمرين والأصدقاء الجاهلين، وبدلاً من أن يكون القرآن سبباً لوحدة المسلمين واجتماعهم صار سبباً لتفرقهم واختلافهم وإقصاء القرآن نفسه عن الحياة الاجتماعيّة.[١]

وقد أشار الإمام الخمينيﷺ إلى هذه النقطة، وهي أنّ القرآن الذي في المقابر لا بدّ أن يتبدّل إلى وصفة دواء لنفوس المسلمين، ويقول في هذا الصعيد:

نحن وشعبنا العزيز الملتزم بالإسلام والقرآن نعتزّ بانتمائنا إلى مذهب يريد إحياء الحقائق القرآنيّة التي تدعو جميعها إلى الوحدة بين المسلمين، بل بين البشريّة جمعاء، وإخراج القرآن من المقابر، وإنقاذه بصفته أكبر وصفة لمعالجة البشريّة وإنقاذها من جميع القيود والأغلال الملتويّة على أقدامها ويديها وقلبها وعقلها، والتي تقودها نحو الفناء والعدم والعبوديّة للطواغيت.[٢]

د) بهلوي وفهد والقرآن

حاولت بعض الدول ـ الإسلاميّة بحسب الظاهر ـ ومن أجل مواجهة الإسلام الأصيل طبع القرآن بكميات كبيرة وجميلة، لكي يقولوا للمجتمعات الإسلاميّة وللعالم بأنّنا موافقون للقرآن، فيتمكّنون بذلك من الوصول إلى أهدافهم القبيحة والمشؤومة. قال الإمام الخمينيﷺ في ذلك:

كلّنا رأينا القرآن الذي طبعه محمّد رضا خان بهلوي، والذي استغفل به جماعة، ومدحه لذلك بعض المعمّمين الجهلاء، ونرى أنّ الملك فهد ينفق كلّ سنة مقداراً كبيراً من الأموال لطبع القرآن الكريم وتوزيعه من مراكز التبليغ للمذهب الوهابي المضادّ للقرآن، فإنّه يروّج لهذا المذهب الخرافي الذي لا أساس له، ويسوق الناس والشعوب الغافلة لتأييد القوى الكبرى، ويستغلّ الإسلام العزيز والقرآن الكريم لهدم الإسلام والقرآن.[٣]

التدين ونكران الدين

أ) السياسة والدين

لقد أعلن الإمام الخمينيﷺ فيما يتعلّق بالقائلين بشعار فصل الدين عن السياسة، أي:

---

١. المصدر: ٣٩٦.

٢. المصدر.

٣. المصدر.

العلمانيّة، الذين أظهروا مؤامراتهم وعداءهم في القرن الأخير خصوصاً في العقود المعاصرة، وخاصّة بعد انتصار الثورة، وقد كان الترويج لهذا الشعار بدرجة من القوّة، بحيث أثّر سلباً على بعض العلماء والمتديّنين الذين لا معرفة لهم بالإسلام، فحسبوا أنّ التدخّل في أمر الحكومة والسياسة ذنب وفسق، ولعلّ البعض يعتقد بذلك الآن أيضاً، وقد أشار الإمام إلى هذه الفاجعة الكبرى التي اُبتلي بها الإسلام، فقال في بيانها:

إنّ هؤلاء على فريقين:

الفريق الأوّل: وهم الذين لا بدّ من القول فيهم بأنّهم، إمّا لا علم لهم بالحكومة والقانون والسياسة، أو أنّهم مغرضون ويتجاهلون ذلك؛ لأنّ إجراء القوانين يكون على أساس القسط والعدل والحدّ من الظلم والحكم الجائر وبسط العدالة الفرديّة والاجتماعيّة ومنع الفساد... ومئات الأمور من هذا القبيل التي لا تكون قديمة ومعرضاً عنها لمجرّد مرور الزمان والتاريخ.[1]

وأضاف قائلاً:

الفريق الثاني: وهم الذين لهم دور مؤذي والذين يفصلون الإسلام عن الحكومة والسياسة، فإنّه لا بدّ من تفهيم هؤلاء الجهلة أنّ القرآن الكريم وسنّة رسول الله فيهما من الأحكام في إدارة الحكومة والسياسة ما ليس في غيرهما من أحكام، بل إنّ الكثير من الأحكام العباديّة للإسلام هي عباديّة سياسيّة، وأنّ الغفلة عن ذلك هي التي سببت كلّ هذه المصائب.[2]

ب) الحداثة والدين

ذكر الإمام فيما يرتبط بكون الإسلام، لا يخالف الحداثة، وأنّه في جميع العصور والأزمان احتفظ بمكانته الحقيقية، فقال:

إنّ دعوى مخالفة الإسلام للحداثة ـ كما كان يدّعي ذلك محمّد رضا بهلوي، حيث كان يقول بأنّ هؤلاء يريدون السفر في هذا العصر المتطوّر على الدواب ـ هي دعوى بلهاء لا أكثر؛ لأنّه إن كان المراد من مظاهر الحضارة والتجدّد هو الاختراعات والابتكارات والصناعة المتطوّرة التي لها دخل في تقدّم وحضارة الإنسان، فإنّ ذلك لن يخالفه الإسلام، ولا أيّ مذهب توحيدي آخر، بل هو ممّا أكّد عليه الإسلام والقرآن المجيد.[3]

---

١. المصدر: ٤٠٥.

٢. المصدر: ٤٠٦.

٣. المصدر: ٤٠٥/٢١.

ج) الحضارة الحقيقية والدين

إنّ التجدّيد والحضارة إنّما يكونا من الثقافة المقبولة إذا كانا موافقان للقرآن وغير مخالفان له، وذلك من أهمّ عناصر التحضّر التي لم تراعَ في العالم المعاصر، لذا فإنّ الإمام الخميني﵀ يقول في هذا الصدد:

لو كان المراد من التجدّد والحضارة بالمعنى الذي يقوله بعض المثقّفين المنحرفين بأنّ الحريّة لا بدّ أن تكون في جميع المنكرات والفحشاء حتّى في المماثلة الجنسيّة فإنّ هذا ممّا تخالفه جميع الأديان السماويّة والعلماء والعقلاء، وإن كان المتأثّرون بالحضارة الغربيّة والشرقيّة يروّجون له على غير هدى.[1]

د) علماء الدين المزيفون والثورة

يلعب علماء الدين في المجتمع دوراً أساسيّاً في توجيه الناس وإرشادهم، إلّا أنّ بعض المحسوبين على الحوزة العلميّة وجّهوا حمم انتقاداتهم إلى الثورة الإسلاميّة الفتية متأثّرين بالشائعات والأخبار المغرضة، فارتكبوا أخطاءً كبيرة في حقّ الجمهوريّة الإسلاميّة، باعثين اليأس في قلوب الناس في المجالس والمحافل عن علم والتفات، حتّى قال بعضهم: إنّ الحكومة الطاغوتية للشاه إن لم تكن أفضل من الجمهوريّة الإسلاميّة فهي ليست بأسوأ منها، ويعتقد هؤلاء أنّ هذه الحكومة الإسلاميّة المبنيّة على محوريّة القرآن والاهتمام بعلماء أهل البيت﵈ لا بدّ أن تكون جميع قوانينها وأحكامها بين عشية وضحاها مطابقة للإسلام، مع أنّ هذا لا يمكن الوصول إليه بهذه السرعة، ومن هنا فقد ردّ الإمام الخميني﵀ بقوله:

لو كنتم تتوقّعون أنّ جميع الأمور تتحوّل وتكون موافقة للإسلام وأحكام الله تعالى في ليلة واحدة فذلك خطأ، ولم تتحقّق هذه المعجزة في طول التاريخ، بل لا يتحقّق ذلك أبداً حتّى في زمان ظهور الحجّة﵌، ومن الخطأ تصوّر حدوث المعجزة وإصلاح العالم في يوم واحد، رغم سقوط عروش الظالمين على يد القائم المنتظر﵌، ولو كان رأيكم مثل رأي بعض العوام المنحرفين وهو أنّه لا بدّ من إشاعة الظلم والكفر في العالم، تمهيداً لظهور الحجّة الذي لا يظهر إلّا بعد امتلاء الأرض ظلماً وجوراً، فسوف تكون هذه هي الطامة الكبرى، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون.[2]

---

١. المصدر: ٤٠٥/٢١.

٢. *صحيفة إمام*: ٤٤٧/٢١.

ومعنى ذلك أنّ الإنسان يواجه الموت، ولا يواجه أمثال هذه الأفكار السخيفة، والويل لمن يفكّر بمثل هذا التفكير، سواء على مستوى الفرد أو الحكومة.

المطالبة بالعدالة والتهرّب من الطاعة

أ) المطالبة بالعدالة

إحدى أجمل الآيات في القرآن الكريم والتي تبعث الأمل في تحقيق العدالة التي لم تتحقّق أحد مصاديقها البارزة والكاملة إلى الآن، والتي توجهت نحوها أنظار المحرومين والمستضعفين وطلّاب العدالة هي قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾.[1]

بإمكان جميع المسلمين والمستضعفين في البلدان الإسلاميّة ـ نظراً إلى الآية الشريفة ـ الانضواء بعزم وثقة راسخة تحت لواء الإسلام ومتابعة القرآن، لمواجهة أعداء الداخل والخارج بثبات، وأن يسيروا بكلّ أمل لتحقيق الوعد الإلهي، يقول الإمام الخمينيّ﵀ في وصيته السياسيّة الإلهيّة:

> وأنتم أيّها المستضعفون في العالم ويا أيتها البلاد الإسلاميّة، ومسلمي العالم، اجتمعوا جميعاً تحت لواء الإسلام، وانهضوا لجهاد أعدائه والدفاع عن المحرومين في العالم، واسعوا لتحقيق دولة إسلاميّة بجمهوريّات حرّة ومستقلة، فإنّه بعد تحقّق ذلك سوف يلزم جميع المستكبرين في العالم أماكنهم، وسوف يرث جميع المستضعفين الأرض ويكونون أئمّة، على أمل اليوم الذي وعده الله تعالى.[2]

ب) الهروب من الطاعة

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ ۞ إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.[3]

قال الإمام الخمينيّ﵀ استناداً إلى الآية المذكورة في توبيخ أهل الحجاز:

---

١. القصص: ٥.

٢. *صحيفة إمام*: ٤٤٨/٢١.

٣. التوبة: ٣٨، ٣٩.

لقد وبّخ الله المسلمين الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وتوعّدهم بالعذاب في سورة التوبة في عدّة آيات، عندما يمتنعون عن الطاعة ولا يذهبون إلى القتال بأعذار واهية.[١]

الوحِدة والأُخوة

أ) الوحدة واجتناب الفُرقة

قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّه جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾.[٢]

أكّد الإمام الخمينيّ رحمه الله في إشارة إلى الآية المذكورة على الوحدة واجتناب التفرقة قائلاً:

إنّي أوصي جميع أبناء الجيل الحاضر والأجيال المقبلة بأنّهم إن أرادوا حكومة الإسلام وحكومة الله، وأرادوا قطع أيدي المستعمرين والمستثمرين في الخارج والداخل عن البلاد، فعليكم ألّا تضيّعوا هذا الهدف الإلهي الذي أوصى الله به في القرآن الكريم ـ وهو الوحدة والاعتصام بحبل الله تعالى ـ الذي هو رمز الانتصار واستمراره، وذلك في قبال نسيان الهدف والتفرق والاختلاف.[٣]

وقال رحمه الله أيضاً:

وصيّتي للمسلمين ـ خصوصاً الإيرانيّين ـ وبالأخصّ في العصر الحاضر مواجهة مؤامرات الأعداء والتركيز على الانسجام والوحِدة جهد الإمكان، حتّى ييأس الكفّار والمنافقون من التدخّل في شؤونهم.[٤]

ب) الأُخوّة

قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾.[٥]

على جميع شعوب الدول الإسلاميّة أن يضعوا أيديهم يداً بيد من أجل إجراء وتنفيذ الأحكام الإسلاميّة، والأوامر الإلهيّة في القرآن، وعليهم أن يتكاتفوا ولايعوّلوا على الأجانب من أجل إحياء هذا الأمر المهمّ والحيوي، ويلزم على العلماء العظام والخطباء الأجلّاء نهي

---

١. *صحيفة إمام*: ٤١٠/٢١.

٢. آل عمران: ١٠٣.

٣. *صحيفة إمام*: ٤٠٤/٢١.

٤. المصدر: ٤٠٤/٢١.

٥. الحجرات: ١٠.

الدول الإسلاميّة من الارتباط بالقوى الكبرى، وأن تقيم بدلاً من ذلك علاقات وديّة مع الشعوب، فإنّ القرآن الكريم سوف يضفي على المجتمع الطابع الإسلامي والوحدة بين المسلمين بدلاً من العنصريّة والتفرقة بينهم، لذا قال الإمام الخمينيّ:

وعليهم أن يمدّوا أيديهم لإخوتهم في الإيمان من أيّ بلاد كانوا ومن أيّ قوم، فإنّ الإسلام العظيم قد اعتبرهم أُخوة، ولو تحقّقت هذه الأخوّة يوماً بهمّة الدول والشعوب وبتأييد من الله تعالى، سوف ترون بأنّ المسلمين يشكّلون أكبر قوّة في العالم، على أمل يوم تتحقّق فيه الأُخوّة والمساواة إن شاء الله.[1]

ج) فطنة الناس وانتباههم

لقد كان في أوائل الثورة الكثير من الأشخاص والأحزاب يعادون القرآن وأهل البيت والشعب والجمهوريّة الإسلاميّة. وكان زعماؤهم في الخارج والداخل يحاولون ضرب الوحدة وتحريك الناس بعضهم على الآخر من خلال الانفجارات وإثارة الشائعات واغتيال الأشخاص والشخصيّات، بل كانوا يحاولون إزالة الإسلام والقرآن ومحوهما، يقول الإمام الخمينيّ في حقّ هؤلاء:

لا يمكن أبداً الإطاحة بأيّ حكومة ودولة بهذه الطرق غير الإنسانيّة وغير المنطقيّة، خصوصاً في حقّ شعب كشعب إيران الذي قد ضحّى صغيرهم وكبيرهم في سبيل الأهداف السامية والجمهوريّة الإسلاميّة، والقرآن، والدين.[2]

النصر الإلهي في التوكّل على الله

لقد أشاد ـ معمار الثورة الكبير ـ الإمام الخمينيّ بجهاد الشعب الإيراني ومواجهته للنظام البهلوي الظالم والمشؤوم ومقاومته للحرب التي فرضها نظام صدام، واستمداد هذا الشعب النصرة من الله تعالى مشيراً إلى الآية المباركة،[3] فقال:

وإنّي أوصي الشعب الإيراني العزيز بأن يعرفوا قدر النعمة التي حصلوا عليها بجهادهم العظيم ودماء شبابهم الشرفاء، كمعرفتهم قدر سائر الأمور العزيزة الأخرى،

---

١. *صحيفة إمام*: ٤٢٨/٢١.

٢. المصدر: ٤٣٦/٢١.

٣. ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾، محمد: ٧.

وأن يحافظوا عليها ويحرسوها، ويجاهدوا في سبيل المحافظة على هذه النعمة الإلهيّة العظيمة التي هي أمانة كبرى ربانيّة، ولا يخافوا من المشاكل التي تصيبكم في هذا الطريق المستقيم: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾.[1]

الاكتفاء الذاتي

قال تعالى في كتابه المجيد: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾.[2]

قال الإمام الخميني رحمه الله للمرة الثانية مستنداً إلى الآية الشريفة:

وصيّتي للجميع أنْ يذكروا الله ويعتمدوا عليه لاستكشاف الكفاءات والوصول إلى الاكتفاء الذاتي والاستقلال بجميع أبعاده، ولا ريب في أنّ الله معكم فيما لو كنتم معه وبخدمة دينه وسعيتم لرقّي وتطوّر البلاد الإسلاميّة بروح التعاون.[3]

الوصيّة باجتناب العذاب الأليم

حذّر الإمام الخميني رحمه الله ـ في موضعين من وصيته ـ الجماعات التي تسعى للحصول على القدرة والتي سقطت في أحضان القوى الكبرى لمحاربة الشعب الإيراني والحكومة الإسلاميّة، حذّر هؤلاء من العذاب الأليم، فأوصاهم أوّلاً بالتوبة واغتنام الرحمة الإلهيّة فقال:

إنّي أوصيكم بالكفّ عن هذه الأعمال غير المجدية وغير العقلائية، وألّا تغتروا بالقوى العظمى، وارجعوا إلى وطنكم وأحضان الإسلام أينما كنتم، وبعد أيّ جريمة اقترفتموها، وتوبوا فإنّ الله أرحم الراحمين.[4]

وأشار الإمام الخميني رحمه الله إلى العذاب الأليم الذي أشير إليه كراراً في القرآن الكريم، ونحن نوصيكم بمراجعة القرآن في هذا المجال، قال رحمه الله:

لو كانت لكم شهامة لرضيتم بالعقاب وأنقذتم أنفسكم من عذاب الله الأليم، وعليكم أينما كنتم ألّا تذهب أعماركم سدىً، وأن تشتغلوا بعمل آخر، فإنّ ذلك من صالحكم.[5]

---

١. *صحيفة إمام*: ٤١٢/٢١.
٢. محمد: ٧.
٣. *صحيفة إمام*: ٤٥٠/٢١.
٤. المصدر: ٤٣٧/٢١.
٥. المصدر.

وأشار في موضع آخر من وصيّته إلى الهداية إلى الصراط المستقيم والنجاة من العذاب الأليم، وقال:

أرجو أن تلتفتوا إلى هذه النصيحة التي سوف تسمعونها بعد موتي، وليس فيها شائبة طلب القدرة، وأن تنقذوا أنفسكم من العذاب الإلهي الأليم، هداكم الله المنّان إلى الصراط المستقيم.[١]

التعريف والثناء على النساء المسلمات

قال الله تعالى في كتابه الكريم:

﴿وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.[٢]

وقال الإمام الخمينيرحمه الله مستنداً إلى جملة جنات النعيم الواردة في الآية المتقدّمة في الثناء على النساء المسلمات:

قد شاهدنا كراراً أنّ النساء الجلّيلات المقتديات بالسيّدة زينبعليها السلام يهتفن، وقد فقدن أبناءهن، وضحّين في سبيل الله تعالى والإسلام العزيز بكلّ شيء وهنّ يفتخرن بذلك، ويعلمن أنّ الذي حصلنّ عليه هو أكثر من جنات النعيم، فكيف بمتاع الدنيا القليل.[٣]

وأخيراً كان الإمام الخمينيرحمه الله يقول في الثناء على النساء اللاتي يجاهدن في سبيل تحقيق هدف القرآن:

نحن نفتخر أنّ السيّدات والنساء العجائز، والشابات والصبايا حاضرات في الميادين الثقافيّة والاقتصاديّة والعسكرية، فهنّ كالرجال أو أفضل منهم نشاطاً وفعالية في سبيل تعالى الإسلام ومقاصد القرآن الكريم.[٤]

وأهمّ المصادر المعتمدة في هذه المقالة، هي:

١. *القرآن المجيد.*

٢. *الوصيّة السياسيّة للإمام الخميني.*

٣. *المعجم المفهرس.*

٤. *قاموس لغات القرآن.*

---

١. المصدر ص٤٣٨.

٢. التوبة: ٧٢.

٣. *صحيفة إمام:* ٣٩٨/٢١.

٤. المصدر: ٣٩٧.

حقيقة تفسير القرآن عند الإمام الخمينيّ

قربان علي هادي

الخلاصة

هذه المقالة هي دراسة لظاهرة تفسير القرآن الكريم عند الإمام الخمينيّ. وقد رتّبت في ثلاثة فصول ونتيجة. وهي كمايلي:

الفصل الأوّل: تعريف التفسير، والتفسير من وجهة نظر الإمام، ثُمّ إلى حقيقة التفسير وهُويّته وأُسسه، ثُمّ هدف التفسير وأنواعه، وأخيراً استعراض التفسير الصحيح عند الإمام الخمينيّ.

الفصل الثاني: فقد تناول النصوص التفسيريّة، وهُويّة القرآن ومحتواه وشموليّته، كما أُشير إلى خلود القرآن وإمكانية فهمه ولغته، ثُمّ تطرّق إلى كيفيّة فهم روايات التفسير في رأي الإمام.

الفصل الثالث: يرتبط بالمفسّر، وبما ينبغي أن يكون عليه من الصفات والخصوصيات والقدرات العلميّة والمعنويّة من وجهة نظر الإمام الخمينيّ، ثُمّ تناول أهداف المفسّر وموانع التفسير الصحيح والواقعي.

وتنتهي المقالة ببيان نتائج المطالب التي تمّ بحثها.

مفتاح المصطلحات: القرآن، التفسير، الإمام الخمينيّ، المفسِّر، الهدف، النصّ، الهرمونطيقيا، إمكان الفهم، الشموليّة.

المقدّمة

يدلّ التاريخ البشري على أنّ الإنسان، على مرّ العصور حاول فهم ما يحيط به من موضوعات والاطّلاع على حقيقتها من خلال اهتمامه بتفسيرها وتحليلها، وإحدى هذه الموضوعات هي النصوص الدينيّة المقدّسة التي حَظيت باحترام واهتمام المتديّنين ومحاولتهم فهمها فهماً صحيحاً. فقد عُدَّ تلاوة الكتاب المقدّس في الغرب من العبادات، وكذا اعتبر الإسلام تلاوة القرآن من أعظم العبادات، خاصّة في شهر رمضان الذي هو شهر نزول القرآن، علماً بأنّ تلاوة القرآن باللغة التي نزل بها تمتاز بنكهة تفتقدها تراجمه.

وقد حثّ القرآن بنفسه على التلاوة والتدبّر، وكانت التلاوة مقرونة بالفهم، وخاصّة في صدر الإسلام، حيث نزل القرآن بلغتهم وفي عصرهم، بالإضافة إلى وجود النبيّ ﷺ بين ظهرانيهم، فكان الناس يفهمون ما يريده القرآن.

وبعد وفاة النبيّ الأكرم ﷺ وانقطاع نزول القرآن اهتمّ بعض المسلمين بتفسيره وتحليله للاستفادة من علومه العميقة، والسعي للحيلولة دون الفهم السيّئ له ودون تحريفه المعنوي، ومن الطبيعي أن يؤثّر الزمان والحالة الفكريّة للأشخاص في فهم القرآن وتفسيره على مرّ الزمان، فمن الضروري أن يكون التفسير مبنيّاً على أساس القواعد والوضوح. وقد جاءت الكثير من الأحاديث لتصحيح الفهم القرآني بالرجوع إلى الراسخين في العلم ـ الذين ورد ذكرهم في القرآن ـ والابتعاد عن التفسير بالرأي.

وقد طرحت مواضيع متعدّدة كالاختلاف بين التأويل والتنزيل ومعيار كلّ واحدٍ منهما، وقواعد الفهم القرآني الصحيح التي ازدهرت في عصر الأئمّة المعصومين عليهم السلام، حيث كان لهم الدور الأساس في تأسيس قواعد التفسير، وتربية ثلّة من الأشخاص لفهم القرآن وتفسيره بشكل صحيح.

ورغم تخوّف البعض من الدخول في تفسير القرآن؛ حذراً من الوقوع في التفسير بالرأي واختلاط كلام الله تعالى مع كلام البشر، وغير ذلك من الأمور فمنعوا من تدوين الحديث والتفسير، وقلّلوا من أهمّية دور الحديث في التفسير الصحيح للقرآن، ولكن هذا لم يؤثّر كثيراً في تطوّر الحركة التفسيريّة للقرآن، وما زال هذا التطوّر مستمرّاً.

وقد عرض الإمام الخمينيّ رحمه الله، وهو من العلماء والفقهاء البارزين في العالم الإسلامي،

ومن محبّي أهل البيت عليهم السلام تفسيراً للقرآن، خاصّة سورة الحمد وسائر سوره وآياته، اعتمد فيه على روايات المعصومين عليهم السلام، وكانت له نظرات وآراء خاصّة في تفسير وفهم القرآن.
وسنتعرض في هذه المقالة إلى آرائه التفسيريّة في ثلاثة فصول، وهي:
أ) حقيقة التفسير.
ب) النصوص التفسيريّة والمفسّر.
ج) نتيجة البحث.

الفصل الأوّل: كيفيّة التفسير وحقيقته

١. حقيقة التفسير

التفسير لغة مأخوذ من: فَسَرَ، أو سَفَرَ مقلوب: فسر.

وعلى الحالتين هو بمعنى: الإبانة والاستبانة، مثل: أسفر الصبح.[١]

والتفسير اصطلاحاً استعمل في معانٍ مختلفة، من جملتها إطلاقه على قسم من أقسام العلوم القرآنيّة الذي يقوم ببيان الآيات القرآنيّة ودلالتها على معانيها في حدود إمكانيّة الإنسان وقدرته، ومقتضى القواعد اللغويّة والصرفيّة والنحويّة والبلاغيّة العربيّة.[٢]

وأمّا خلاصة التعاريف المختلفة للتفسير، فهي كالآتي:

١. التفسير عن أحوال القرآن المجيد، ويُبحث فيه عن: نزوله وأداء ألفاظه.[٣]

٢. التفسير في عرف العلماء هو: الكشف عن معاني القرآن وبيان مراد الله تعالى، أعمّ من أن يكون ذلك موجوداً في قالب اللفظ أو لا.[٤]

٣. التفسير هو: علم يبحث فيه عن معاني ومداليل ألفاظ القرآن.

٤. التفسير في رأي الماتريديّة، هو: القطع بما يُراد من اللفظ والشهادة على أنّ مراد الله تعالى من اللفظ الفلاني هو: كذا.[٥]

---

١. *لسان العرب*: مادة «فسر».
٢. *فرهنگ فارسي*: ١١٣/١.
٣. *المناهل*: ٤/٢.
٤. *تاريخ جمع قرآن*: ٣٠٤.
٥. *شناخت قرآن*: ٢٩.

٥. التفسير في الاصطلاح، هو: العلم الذي يُبحث فيه عن علم نزول الآيات، كشأن نزولها، والحوادث والأسباب المؤثّرة في نزولها، وكونها مكّية أو مدنيّة، ومحكمة أو متشابهة، وناسخة أو منسوخة، وغيرها من بحوث.[١]

وقد استعمل الغرب كلمة الهرمونطيقيا[٢] بدلاً من التفسير، وهي بمعنى علم التفسير والتعابير والقوانين التفسيريّة للكتاب المقدّس.[٣] وهي مشتقّة من الفعل اليوناني: Hermenuin، بمعنى: فسّر، ومعناه الاسمي: Hermeneia ، بمعنى تفسير. وهذا اللفظ له ارتباط واضح بهرمس: «إله إيصال الرسائل عند اليونانيّين». فقد نسب اليونانيّون (كشف اللغة والخطّ) إلى هرمس، ويعتبرونه هو المؤثّر في فهم الأشياء، وعنصر اللّغة له الأثر البالغ في هذا المجال.[٤]

وقد استعملت الهرمونطيقيا في أكثر الحالات بمعنى: أوّل، ومعناه الاسمي: Hermeneia، أي: التأويل.

ويتضمّن لفظ الهرمونطيقيا بأشكاله المختلفة استنباط فهم الأشياء أو الظواهر المبهمة، ويُشاهد لفظ Hermenein وهرمنيا Hermeneia بصور مختلفة في النصوص المتبقية من القديم.

وقد خصّص أرسطو رسالة كبيرة في كتابه *أرغنون*، وأطلق على قسم منها باري ارمنياس،[٥] ومعناه: في باب التفسير. وكتب دان هاور في سنة ١٦٤٥م كتاب *التفسير القدسي* بهذا الاسم.

وتدلّ هذه الكلمة منذ البدء على (علم التفسير والتأويل)، خاصّة في «أُصول تفسير النصّ».

والهرمونطيقيا هو السعي للحصول على الأُصول الأساسية للفهم، وقد بذلت جهود لتوسعة هذه الأُصول، لتشمل كلّ أنواع النصوص الأدبيّة والحقوقيّة والنصوص المقدّسة، حيث تستمرّ الدراسات في المؤسّسات العلميّة في الغرب إلى اليوم في بحث ميول المفسّر المحوري، وفصل النصّ عن أرضيّته، والتفاسير المتعدّدة للنصّ الواحد، وغير ذلك.

وأمّا التفسير في نظر الإمام الخمينيّ، فقد لوحظ فيه كلّاً من النصّ والمفسّر وأدوات الفهم وطريقة إعمالها، وقد عرض الإمام تعريفاً بسيطاً وواضحاً للتفسير، إذ يقول:

---

١. *پژوهش در باره قرآن*: ١٤١.

2 .Hermeneutics.

٣. *فرهنگ فشرده انگليسى به فارسى*.

4. Hermes.

5. Palmer Richard. Hermeneutics. North Western University, 1979, P12 -13, Rutlege Encyclopedia of philosphy Ed by Edward craid volune 4.1998,P3850

وبالجملة فإنّ معنى تفسير أيّ كتاب هو: «بيان مقاصد ذلك الكتاب، والأمر المهمّ فيه هو بيان مقصود صاحب الكتاب».[1]

ويتفاوت هذا الرأي مع الهرمونطيقيا والتفسير الغربي تفاوتاً شاسعاً. فالإمام يعتقد بأنّ المفسِّر ينبغي أن يعرف النصّ، ولغته، وأدوات الفهم، وموانعه، وأن تتوفّر فيه القدرة على التنفيذ الصحيح لعمليات التفسير، وهو نفس التمتّع بالصلاحيّات العلميّة والمعنويّة.

وأطروحة الإمام في الفهم الصحيح والمعرفة الصحيحة للقرآن كانت صرخة للرجوع إلى القرآن والعودة إلى النظرة القرآنيّة لفهم العالم، والرجوع إلى المجتمع القرآني. فهو يريد من المسلمين العودة إلى القرآن الذي هو كتاب الحركة، لكي يتحرّروا من الركود والشلل الذي أصاب المجتمعات الإسلاميّة في ظلّ معطيات المعارف الرفيعة والخلّاقة للإنسان الصالح. وابتعاد المسلمين عن القرآن ـ في رأي الإمام ـ هو العلّة الأساسية في تخلّف المسلمين وسباتهم، وهذا الأمر هو الذي تسعى وراءه القوى الغازيّة للعالم الإسلامي، يقول الإمام الخميني:

هنالك مخططات للتفرقة بينكم وفصلكم عن بعضكم وفصلكم عن القرآن، فالقرآن هو الحصن الذي لو لجأ إليه المسلمون ـ كما لجؤوا من قبل ـ لم يتعرّضوا لمثل هذا البلاء.

لقد تركنا القرآن وراء ظهورنا ولم نتمسّك به، فآل بنا الأمر إلى ما نحن عليه الآن، حيث تتوالى الضربات على رؤوسنا من كلّ جانب.[2]

٢. حقيقة التفسير في رأي الإمام الخميني

يعتقد الإمام بأنّه لم يُكتب إلى الآن تفسير جامع لأهداف القرآن وبرامجه، وفي هذا يقول:

وفي عقيدتي أنّه لم يُكتب إلى الآن تفسير لكتاب الله.[3]

بل حتّى أنّ الأئمّة المعصومين لم تتسنَّ لهم الفرصة لتفسير القرآن، وفي هذا قال:

لم تُتح لهم فرصة لتفسير القرآن، وبيان المعارف الموجودة فيه، وهي من الأمور المؤسفة جدّاً، والتي لو مات الإنسان من أجلها حسرة لما كان ملوماً.[4]

---

١. *آداب الصلاة*: ١٩٢.

٢. *صحيفة إمام*: ٤/ ٢٤٠ـ٢٤١.

٣. *آداب الصلاة*: ١٩٢.

٤. *صحيفة إمام*: ١٩/ ٧.

ثُمّ واصل الإمام كلامه بعد إظهار أسفه قائلاً:

لا بدّ من التأسّف على قصور باعنا في القرآن، فهذه التفاسير التي كتبت للقرآن، ومنذ القرون الأُولى إلى الآن، ليست في الحقيقة تفسيراً للقرآن، بل هي مجرّد ترجمة، وإن احتوى بعضها على رائحة من القرآن، وإلّا فهي ليست بتفسير.[1]

ومنشأ هذه النظرة للتفاسير الموجودة هو تعريفه للتفسير على النحو الآتي:

بيان مقاصد ذلك الكتاب، والأمر المهمّ فيه هو بيان مقصود صاحب هذا الكتاب.[2]

فالمفسِّر الذي لا يراعي هذه الدقّة في تفسيره لا يعتبر مفسّراً؛ لأنّ المفسّر من يُفهمنا المقصود من النزول، لا من اكتفى بذكر سبب النزول.[3]

وهذا التعريف للتفسير يولي اهتماماً أكبر لفهم القرآن كالاهتمام بجمال القرآن وتاريخه وتوضيح ألفاظه. إنّ فهم وكشف مقصود صاحب الكتاب هو الذي ينبغي أن يهتمّ به المفسِّر، وينبغي أن يكون بيان سبب النزول في طريق فهم مقصود الكتاب؛ ويجب ألّا يحدّد عموم القرآن في خصوص موردٍ واحد، كما أنّ طرح البحوث الأدبيّة والبلاغيّة والتاريخيّة وغيرها لايمكن أن تكون بمعنى فهم القرآن أو تفهيمه؛ لأنّها خارج عن مقصود صاحب الكتاب، وفي هذا الصعيد قال:

إنّ صاحب هذا الكتاب ليس هو السكّاكي أو الشيخ حتّى يكون مقصوده هو النكات البلاغيّة والفصاحيّة، وليس هو سيبويه والخليل لكي يكون مقصوده النكات النحويّة والصرفيّة؛ وليس هو المسعودي وابن خِلّكان لكي تكون بحوثه في تاريخ العالم، وليس هو كعصا موسى ويده البيضاء، أو كَنفس عيسى الذي يُحيي الموتى، فهو لم يأتِ للإعجاز فقط ودلالة على صدق النبيّ الأكرم.[4]

إنّ رأي الإمام، هذا يشبه كثيراً الهرمونطيقيا الجديد، وخاصّة نظريّة شلايرماخر[5] وديلتاي[6] وأتباعهما، مثل: هرش وباقي الكلاسيكين الجدد للهرمونطيقيا الذين يعتبرون أنّ قسماً من هدف التفسير والهرمونطيقيا هو الحصول على نيّة المؤلّف، ويسعون وراء طريقة

---

١. *صحيفة إمام*: ٨/١٩

٢. *آداب الصلاة*: ١٩٢.

٣. المصدر: ١٩٣.

٤. *آداب الصلاة*: ١٩٤.

5. Friedrich Ernst Schlicrmacher
6. Wilhelm dilthey

للحصول على الفهم الصحيح للنصوص الدينيّة والكتاب المقدّس، والحصول على قواعد في كسب العلوم الإنسانيّة.[١]

وهذا الأمر هو الذي دفع الإمام إلى نقد طريقة مفسّري القرآن بشدّة، مع أنّه كان يحترمهم كثيراً بسبب جهودهم التي بذلوها؛ لأنّ أكثر ما هو موجود في التفاسير السابقة هو الاعتماد على بُعد واحد من أبعاد القرآن، وكثيراً ما يكون متعلّقاً بالقرآن لا بتفسير القرآن، فمثلاً قد يكون هدف المفسِّر هو إظهار الإعجاز الفني للقرآن فقط وبيان الأبعاد الجماليّة فيه، وهو وإن كان مفيداً ويساعد في معرفة الظاهر الأدبي للقرآن، ولكنّه لا علاقة له بفهم مقصود الكتاب.

وقد سعى الإمام كثيراً في سبيل بيان المعيار الصحيح للتفسير، وفي تشخيص معيار لتقييم التفاسير. ومن وجهة نظره فإنّ الأمر الذي هو معيار للتفسير الصحيح هو بنفسه معيار التقييم الصحيح للتفاسير وصحّة توجهاتها أيضاً. وباعتقاده:

أنّ كتاب الله تعالى هو كتاب معرفة وأخلاق ودعوة إلى السعادة والكمال.[٢]

وكذلك فإنّ معرفة هدف القرآن لا ينبغي النظر إليه من زاوية خارجيّة وفهمه على أساس الفرضيّات السابقة والاعتقادات الفلسفيّة والبرهانيّة، بل يجب النظر إليه من زاوية ما يهدف إليه هذا الكتاب بعنوان ما عرّفه من هدفه وبرنامجه:

يجب علينا أخذ المقصود من تنزيل هذا الكتاب من نفس كتاب الله، بقطع النظر عن الجهات العقليّة والبرهانيّة التي تفهمنا المقصود منه، فإنّ مؤلّف الكتاب يعلم بمقصوده بنحو أفضل.

والآن فلننظر إلى ما يقوله المؤلّف في بيان شؤون القرآن، أنّه يقول: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾،[٣] فهو رحمه الله يعتبر هذا الكتاب كتاب هداية،[٤] ويعتقد أنّ القرآن هو الكتاب الوحيد في السلوك إلى الله، والكتاب الوحيد في تهذيب النفوس والآداب والسنن الإلهيّة، والوسيلة الأكبر في العلاقة بين الخالق والمخلوق، والعروة الوثقى والحبل المتين للتمسّك بعزّ الربوبية.[٥]

ويستدلّ الإمام رحمه الله على مدّعاه بأنّ القرآن كتاب هداية وسلوك وعرفان:

---

١. *علم هرمنوتيك، هرمنوتيك ودرام مدرن*، الفصل الأوّل، هرمنوتيك روشمند.

٢. *آداب الصلاة*: ١٩٣.

٣. البقرة: ٢.

٤. *آداب الصلاة*: ١٩٣.

٥. المصدر: ١٩٤.

يجب أن يكون كتاب التفسير كتاب عرفاني وأخلاقي ومبيّن للجهات العرفانيّة، والأخلاقية والجهات الأُخرى الداعية إلى السعادة.[١]

ويستمرّ في إبداء أسفه قائلاً:

أيّ خسارة أكبر من أن نقرأ القرآن ثلاثين أو أربعين عاماً ونراجع التفاسير، ثُمّ نبقى على جهل بمقاصده.[٢]

إذا أردنا تحرّي آراء الإمام رحمه الله بدقة فإنّنا نستطيع الحصول على رأيه في حقيقة التفسير الواقعي، وأيّ تفسير لم يقع في حريم التفسير الصحيح من خلال انتقاداته لبعض التفاسير. ويمكن تقسيم هذه الانتقادات على النحو التالي:

الأوّل: التفسير إمّا معنوي أو دنيوي

من المصائب التي اُبتلي بها المسلمون هي أنّ بعض المفسّرين وبسبب مايتصوّرون أنّ القرآن محدود أيضاً، وفسّروا القرآن، وكأنّه ليس هنالك شيء آخر في القرآن غير ما يعلمه هؤلاء المفسّرون، وأنّ القرآن مجرّد كتاب عرفاني أو فقهي، أو تأريخي أو نصّ أدبي أو غيره. قال رحمه الله:

إنّ مقصود القرآن والحديث هو تهذيب العقول وتزكية النفوس من أجل الحصول على المقصود الأعلى الذي هو التوحيد، ولكن شرّاح الأحاديث ومفسّري القرآن الكريم لم يجعلوا هذه الحقيقة ـ والتي هي أصل الأُصول ـ نصب أعينهم، وانصبت تحقيقاتهم وتدقيقاتهم وبحوثهم في جهات أُخرى كالجهات الأدبيّة والفلسفيّة والتاريخيّة، وأمثال ذلك التي لم تكن مقصودة من نزول القرآن وصدور الأحاديث بأيّ وجه من الوجوه.[٣]

ومن وجهة نظر الإمام رحمه الله لا إشكال في الاستنباطات العرفانيّة والفلسفيّة والعلميّة والفقهيّة والاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصادية من القرآن، ولكن تحديد القرآن بأحد هذه الجوانب واعتبار الجوانب الأُخرى خاطئة أمر غير صحيح، يقول قدس سره:

لقد مضت علينا أزمنة طويلة كان فيها مجموعات من الفلاسفة والعرفاء

---

١. المصدر: ١٩٣.

٢. المصدر: ١٩٤ ـ ١٩٥.

٣. شرح حديث جنود *العقل والجهل*: ١١.

والصوفيّين والمتكلّمين، وأمثالهم يسعون وراء هذه الجهات المعنويّة، وقد حصل هؤلاء على المعنويّات كلّ بحسب إدراكه، وخطّؤوا السطحيّين، واعتبروا كلّ من عداهم قشريّاً وسطحيّاً وخاطئاً، بل نلاحظ أنّهم عندما تصدّوا لتفسير القرآن أرجعوا جميع الآيات إلى الجهات العرفانيّة والجهات الفلسفيّة والجهات المعنويّة، وغفلوا عن الجوانب الدنيويّة التي يحتاجونها هنا بنحو كامل، وغفلوا عن الأمور التربوية التي يجب أن توجد هنا.

لقد ذهب كلّ فريق بحسب ذوقه الخاصّ وراء هذه المباني التي هي أعلى من إدراك عموم الناس... وفي نفس هذه الفترة كان هنالك مجموعة أُخرى عكفت على الدراسات الفقهيّة والعبادات. وخطؤوا الفلاسفة والعرفاء وغيرهم وحكموا عليهم بالإلحاد أو بالكفر، فهؤلاء قد حصروا الإسلام بالأحكام الفرعيّة، وهؤلاء حصروا الإسلام بالإحكام والأمور المعنويّة الغيبيّة فتخيّلوا أنّ ما فوق الطبيعة هو كلّ شيء، بينما تخيّل أُولئك بأنّ أحكام الطبيعة والفقه الإسلامي كلّ شيء وكلّ ما عداها، لا طائل وراءه.[1]

الثاني: التفاسير الانحرافيّة والالتقاطيّة أو التفاسير الماديّة للقرآن

إنّ الأفكار الالتقاطية هي من أكبر مشكلات التفسير، فالشباب الذين التقطوا شيئاً من الماركسيّة وشيئاً من الإسلام وابتدعوا: الإسلام الثوري بدلاً من: الثورة الإسلاميّة، ظنّوا أنّ المسلمين بحاجة إلى المذاهب الأُخرى كالماركسيّة في طريقة النضال، وبمثل هذه الأفكار دخل بعض منظّريهم إلى ميدان تفسير القرآن ونهج البلاغة.

كما أنّ بعضهم لم يعتقد بالإسلام حتّى بهذا المقدار، وكانوا يسعون في الدعوة إلى الفكر الماركسي بغطاء العقائد الإسلاميّة أو الألفاظ والاصطلاحات الإسلاميّة، وكان هذا من الأخطار الكبيرة جداً في طريق الشباب الباحثين عن الحقّ والطالبين للعدالة. يقول الإمام﴿رحمه الله﴾ بهذا الصدد:

وأخيراً أُبتلينا بمجموعة على عكس أُولئك، فقد أرجعوا جميع الأمور المعنويّة إلى الماديّات ويدّعون بأنّهم مسلمون، ولكن لا توحيدهم توحيد إسلامي، ولا عقيدتهم في البعث والمعاد عقيدة إسلاميّة، ولا عقيدتهم في النبوّة هي عقيدة إسلاميّة، ولا عقيدتهم في الإمامة هي عقيدة إسلاميّة، كلّ شيء عندهم هو خلاف الإسلام.[2]

---

١. *صحيفة إمام*: ٢٢١/٣.

٢. المصدر: ٤٥٩/١ ـ ٤٦٠.

وبنظرة عابرة نستطيع أن نفهم أنّ بعض انتقادات الإمام﴿رحمه الله﴾ هي انتقادات في إعمال الميول، وبعضها في الوسائل، أو الأهداف، وبضعها في الفرضيات المسبقة في تفسير القرآن.

الثالث: الطريقة الصحيحة في التفسير

إنّ تفسير القرآن الكريم من وجهة نظر الإمام﴿رحمه الله﴾ ليس أمراً سهلاً حتّى يمكن أن يتأتّى من كلّ شخص،[1] فهذا الكتاب الإلهي أعظم من أن يستطيع هؤلاء المفسّرون أن يفسّروه، كما ينبغي.[2] فقد كتب المفسّرون من الطراز الأوّل ـ سواء كانوا من الخاصّة أو العامّة، وعلى طول تاريخ الإسلام ـ تفاسير كثيرة، فاقتصروا على ذكر معاني ألفاظ القرآن الكريم. وعرضوا شبحاً لهذا الكتاب السماوي.[3]

فقد قال الإمام﴿رحمه الله﴾ في معرض تقييمه لجهود المفسّرين، ووصف سعيهم في ذلك:

> إنّ هذه التفاسير التي كتبت للقرآن، ومنذ العصر الأوّل إلى الآن كانت مجرّد ترجمة للقرآن، وليست تفسيراً له، وإن احتوى بعضها على رائحة من القرآن.[4]

ونظريّة الإمام﴿رحمه الله﴾ هذه تستند في إحدى جهاتها على عظمة القرآن الذي هو كلام الخالق وبحر عميق وأعلى من أن يدركه فكر بشري،[5] وتستند من جهة أُخرى إلى أنّ المفسّرين بالرغم من الجهود الكبيرة التي بذلوها ـ وسعيهم هذا محلّ تقدير واحترام ـ إلّا أنّ تفسيرهم للقرآن لم يكن كاشفاً عن المقصود الأساسي من النزول.

لقد اهتمّ المفسّرون في تفاسيرهم بالجوانب الأدبيّة أو البلاغيّة أو التاريخيّة أو غيرها، وكأنّ تفاسيرهم كتباً أدبيّة أو بلاغيّة أو تاريخيّة، فبدلاً من أن يتوجّهوا بشكل كامل نحو الهدف الأساسي، توجهوا نحو الأهداف الفرعيّة، في حين نرى أنّ المقصود الأساسي لهذا الكتاب السماوي من وجهة نظر الإمام﴿رحمه الله﴾، ليست هي البلاغة والفصاحة، ولا الصرف والنحو، ولا التاريخ، ولا أمثال ذلك.[6]

---

١. راجع: *تفسير سورة الحمد*: ٩٣.
٢. راجع: *حيفه نور*: ٤٣٢/١٧.
٣. راجع *تفسير سورة الحمد*: ٩٣ ـ ٩٥.
٤. *صحيفة إمام*: ٨/١٩.
٥. *آداب الصلاة*: ١٨٢.
٦. راجع: *آداب الصلاة*: ١٩٤.

والطريقة المطلوبة للتفسير ليست هي طريقة السكاكي والشيخ الطوسي التي تبحث في ثنايا آيات القرآن للكشف عن فصاحتها وبلاغتها ومحسناتها اللفظيّة والمعنويّة، ولا هي طريقة سيبويه والخليل التي تسعى لبيان تصاريف الكلمات وقواعد اللغة، ولا هي طريقة المسعودي وابن خِلّكان التي ترمي إلى بيان جزئيّات الحوادث التاريخيّة.

وقد انتقد الإمام ﵀ بشدّة المفسّرين الذين حصروا الاستفادة من القرآن بضبط وجمع اختلاف القراءات ومعاني الألفاظ وتصاريف الكلمات والمحسّنات اللفظيّة والمعنويّة ووجوه إعجاز القرآن، والمعاني العرفيّة، وغفلوا عن دعوات القرآن وجهاته الروحيّة ومعارفه الإلهيّة،[1] فالإمام كان يشكو من طريقة البعد الواحد في تفسير بعض المتخصّصين للقرآن الكريم، وذلك على أساس ذوقهم الخاصّ مظهرين عيوب الأذواق الأُخرى في التفسير.[2]

وعلى أيّ حال فالمفسّر الواقعي برأي الإمام الخميني ﵀ هو من يبيّن: مقصود النزول، لا سبب النزول.[3]

٣. أُسس التفسير في رأي الإمام

يكون تفسير القرآن الكريم مقبولاً إذا كان وفقاً لمبانٍ وأُصول معيّنة، ونشير هنا إلى أهمّ هذه الأُسس في رأي الإمام الخميني ﵀:

الأساس الأوّل: أن يكون تفسير المعصوم ﵇ هو الأساس لجميع تفاسير القرآن

إنّ العلم بجميع حقائق ومعارف القرآن الكريم في رأي الإمام ﵀ لا يتسنّى إلّا للنبيّ ﷺ ومن بعده لورثة علمه الأئمّة المعصومين ﵈. وهذا الرأي بالإضافة إلى وجود مبانٍ روائيّة له،[4] يمكن تأييده أيضاً بالتأمّلات العقليّة والتجارب العرفانيّة بالتوضيح التالي: وهو أنّ الحقائق والعلوم الخفيّة في الكلام الإلهي غير محدودة، وذلك لما جاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾،[5] ولا يمكن

---

١. راجع: المصدر: ١٧١.

٢. *صحيفة إمام*: ٨/٥٣٠.

٣. راجع: *آداب الصلاة*: ١٩٣.

٤. راجع: *الكافي*: ١/٢٢٨.

٥. الكهف: ١٠٩.

للإنسان المحدود أن يحيط بالله سبحانه غير المحدود، اللّهمّ إلّا أن يخرج عن هذه المحدوديّة ويصير لا محدوداً، كالنبيّ والأئمّة المعصومين عليهم السلام الذين أصبحوا لا محدودين بسبب اتّصالهم بالكمال المطلق وفنائهم في المبدأ اللّامحدود في جميع صفات اللامحدود.

فهم المحيطون بعلوم القرآن وحقائقه بشكل كامل، وأمّا استفادة الآخرين من القرآن، فيبقى محدوداً بحسب مراتب وجودهم وكمالهم المحدود.

يقول الإمام في إحدى بياناته الرائعة:

> لم تحصل هذه الحقيقة لواحد من العلوم الرسميّة، ولا من المعارف القلبيّة، ولا من المكاشفات الغيبيّة، إلّا للذات المباركة النبويّة صلى الله عليه وآله بواسطة المكاشفة التامّة الإلهيّة في محفل أنس: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾، بل في خلوة سرّ مقام: ﴿أَوْ أَدْنَى﴾، حيث قصرت عنه آمال البشر إلّا لخلّص أولياء الله الذين يشتركون بالأنوار المعنويّة والحقائق الإلهيّة، مع روحانيّة تلك الذات المقدّسة، والذين فنوا فيها بسبب تبعيتهم الكاملة لها، فتلقوا منه علوم المكاشفة بالوراثة.[1]

وقال رحمه الله في موضع آخر:

> كلّ شيء في القرآن... ولكن لم يستفد منه كما ينبغي، وهذه الاستفادة إنّما يحظى بها رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لأنّه «إنّما يعرف القرآن من خوطب به».[2]

فإذاً كلّ تفسير يجب أن تكون جذوره ممتدّة في أعماق السيرة التفسيريّة للنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمّة الأطهار عليهم السلام لكي يستطيع أن يوضّح حزمة من الحقائق القرآنيّة.

الأساس الثاني: إمكان الفهم المحدود للجميع

يظهر من الأفكار التفسيريّة للإمام رحمه الله أنّ الاستفادة من القرآن الكريم متيسّرة للجميع بما يتناسب وقابلياتهم، فيمكنهم تفسير القرآن بشكل محدود وواضح استناداً إلى كلمات المعصومين عليهم السلام. فلم يكن الإمام مثل بعض الأخباريين الذين أغلقوا باب فهم القرآن بوجه غير المعصوم عليه السلام، وذهبوا إلى أنّ الفكر والعقل البشري، لا اعتبار له في هذا المضمار.

ويرى الإمام الخمينيّ رحمه الله أنّ هدف نزول هذا الكتاب المقدّس وبعثة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله هو أن يكون هذا الكتاب في متناول الجميع ليستفيدوا منه كلّ بقدر وسعه وقابليته.[3]

---

١. *آداب الصلاة*: ١٨١.

٢. *تفسير سوره حمد*: ١٣٨ ـ ١٣٩.

٣. راجع: *صحيفة إمام*: ٣٨٧/١٤.

ومن الجدير بالذكر أنّ العلماء من الفقهاء والمحدّثين، والفلاسفة والعرفاء استنبطوا أفكاراً مختلفة وحتّى متباينة من آيات القرآن كلّ بحسب مستواه، والإمامﷺ اعتبر كلّ واحدة من هذه الاستنباطات صحيحة ويمكن قبولها في محلّها الخاصّ بها.[1]

وانتقد ما ذهب إليه المفسّرون من تصحيح ما وافق ذوقهم وطريقتهم وتخطئة ما خالفها، ويظهر أنّ السرّ في ذلك هو أنّ لفهم القرآن مراتب طولية، بحيث يمكن أن يحصل كلّ عالم على مرتبة من مراتبه.

الأساس الثالث: قبول ظاهر القرآن وباطنه

من الأُصول الأُخرى للتفسير في رأي الإمامﷺ أنّ لإدراك القرآن الكريم والوقوف على فهمه مراتب ومراحل تبدأ من الظاهر، وتستمرّ إلى آخر مرتبة من مراتب الباطن، وينبغي التوجّه في تفسير القرآن إلى ظاهر القرآن وإعطائه الأهمّية اللّازمة، والتوجّه أيضاً إلى باطنه. وانطلاقاً من أنّ للقرآن ظاهراً وباطناً فإنّ التوجّه والالتفات إلى ظاهره وباطنه، لا يكون ميسّراً إلّا بتفسيره.

وعلى هذا ـ من أجل فهم القرآن ـ يجب أن يكون تفسيره واضحاً، وما قاله الإمامﷺ في بيان آيات القرآن، وما عرضه الباحثون من الحقائق القرآنيّة يختلف اختلافاً أساسياً مع تأويلات واستنباطات المتصوّفة والباطنيّة للآيات القرآنيّة، والتي لا تستند إلى قاعدة. فهؤلاء يغضّون أبصارهم عن ظواهر الآيات ويتركونها جانباً ويعرضون أذواقهم وأفكارهم ونظريّاتهم الخاصّة بهم تحت اسم: العلم بباطن القرآن، وهو ذات الشيء المعروف بالتفسير بالرأي الذي ورد ذمّه والمنع منه بشدّة في روايات الفريقين.[2]

ويرفض الإمامﷺ فهم باطن القرآن مع ترك الظاهر، كما يرفض الظاهر مع ترك الباطن، وقد أعلن ذلك بصراحة في قوله:

> إنّ الظاهر بلا باطن والصورة بلا معنى، كالجسد بلا روح، والدنيا بلا آخرة، كما أنّ الوصول إلى الفهم الباطني للآيات لا يتيسّر إلّا عن طريق الظاهر... وكلّ من لايتوجّه إلى ظاهر الآيات يُغلق أمامه طريق الباطن، فيضل ويضلّ الآخرين.[3]

---

١. راجع: *آداب الصلاة*: ١٨٥.

٢. *الحياة*: ١٣/٢؛ *البرهان في تفسير القرآن*: ١٨/١ ـ ١٩؛ *الجامع لأحكام القرآن*: ٢٧/١.

٣. *شرح دعاء السحر*: ٩٨ ـ ٩٩؛ راجع: *آداب الصلاة*: ٢٩١.

ويرىرحمه الله أنّ التصوّر بأنّ هذا الكتاب السماوي هو هذا القشر والصورة هو ميل إلى الظاهريّة والإبليسيّة، وأنّ البقاء في حدّ الصورة والتوقّف في مرحلة الظاهر وعدم الحركة نحو اللب والباطن هي سبب جميع الجهالات وأساس إنكار النبوّات والولايات.[١]

ومن الجدير بالذكر أنّ إبليس هو أوّل من رأى ظاهر (الطين) وصورته، ولم يرَ وراء ذلك المقام الروحاني والنوراني والخلافة الإلهيّة لآدمعليه السلام؛ ومن هنا انطلق في الاعتراض على الله سبحانه، وقال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾.[٢]

وكذلك فإنّ الناس الذين أنكروا النبوّة ولم يقبلوا أنبياء الله قد نظروا إلى الظاهر، ولم يستطيعوا أو لم يريدوا النظر إلى العمق، ولم يقبلوا العلاقة الباطنيّة والمعنويّة الخاصّة للأنبياء مع مبدأ الوجود، ومن هنا قالوا: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾،[٣] وكذلك خاطبوا الأنبياء قائلين: ﴿مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ﴾.[٤]

وعلى كلّ حال، فقد ظهرت القشريّة والبقاء على الظاهر وعدم النفوذ إلى العمق، والباطن على شكل مذاهب عديدة كالأخباريّة والظاهريّة والأشاعرة والمجسّمة والسلفيّة.

ويمكن القول: إنّ العبور من الظاهر إلى الباطن والمرور من القشر إلى اللب هو علم التأويل بنظر الإمامرحمه الله. والعلم بجميع مراتبه مخصوص بالنبيّ الأكرمصلى الله عليه وآله والأئمّة المعصومينعليهم السلام، ولكن العلم ببعض مراتبه ومراحله أمر ممكن لغير المعصومرحمه الله، إلّا أنّه يتوقّف على المجاهدة العلميّة والتمارين العقليّة مقرونة بالرياضات العمليّة، وتطهير النفس، وتنزيه القلب وتقديس الروح.[٥] وكان يعتقد بأنّ الإنسان كلّما كان يتمتّع بقدر أكبر من الطهارة والتحرّر، فإنّ استفادته من الحقائق القرآنيّة يكون أكبر، ويتجلّى له القرآن أكثر.[٦]

٤. المقاصد التفسيريّة للإمام

تتضّح الآراء والمقاصد التفسيريّة للإمامرحمه الله من خلال نظراته للقرآن المبثوثة في ثنايا

---

١. راجع: شرح *دعاء السحر*: ٥٩ ـ ٦٠.

٢. ص: ٧٦.

٣. الفرقان: ٧.

٤. يس: ١٥.

٥. راجع: شرح حديث جنود *عقل وجهل*: ٦١.

٦. راجع: شرح *دعاء السحر*: ٥٩.

كتاباته، وبالرغم من أنّ الميول التفسيريّة للإمامﷺ كانت عرفانيّة في *آداب الصلاة* و*سرّ الصلاة* وحتّى في *تفسير سورتي الحمد، والعلق*، وكان يعتبر الانقطاع عن هذه الميول فاجعة سببت في حرمان الناس من إدراك الحقائق، ولكن تفسير القرآن بالميول العرفانيّة ليس هو الشيء الوحيد الذي يظهر جميع الحقيقة في نظر الإمامﷺ. فهو بالإضافة إلى تعرّضه لنقد جهلاء الصوفيّة واعتبارهم على خطأ، فقد اعتبر الطريقة التفسيريّة للعرفاء التي ترجع جميع معارف القرآن إلى الأمور المعنويّة ناقصة.

ويظهر الإمامﷺ تارةً كعارف من الوزن الثقيل في مقام التفسير العرفاني للقرآن، وأُخرى كعالم اجتماعي مبيّن لأبعاد القرآن الاجتماعيّة والثوريّة ومقاومة الظلم، وثالثة كفقيه كامل ومرجع ديني بالنظر في آيات الأحكام واستنباط الأحكام الشرعيّة. وهذا هو معنى النظرة الجامعة للقرآن، والميول المتعدّدة الجوانب في تفسير القرآن.

ويتّضح الجانب العرفاني في تفسير الإمام بملاحظة *تفسير سورة الحمد*، و*شرح الأربعين حديثاً*، و*شرح دعاء السحر*، و*آداب الصلاة* و*سرّ الصلاة*، ويتّضح الجانب الاجتماعي في تفسيره بمطالعة كتيّبه الصغير، ولكن المؤثّر *ولاية الفقيه*، و*الحكومة الإسلاميّة*، وملاحظة موسوعة *صحيفة النور* يتبيّن بشكل واضح النظرة المتعدّدة الجوانب للإمامﷺ.

يقول الإمام بخصوص أهمّية التوجّه إلى المنهج العرفاني في تفسير القرآن:

> كتاب الله هو كتاب المعرفة والأخلاق والدعوة إلى السعادة والكمال، فكتاب التفسير أيضاً لا بدّ وأن يكون كتاباً عرفانيّاً وأخلاقياً ومبيّناً للجهات العرفانيّة والأخلاقيّة وسائر جهات الدعوة إلى السعادة.[1]

ويقولﷺ بعد تفسير سورة القدر:

> مع أنّه كان في نيّة الكاتب لهذه الرسالة أن يكفّ عن المطالب العرفانيّة غير مأنوسة النوع، ويكتفي بالآداب القلبيّة للصلاة، إلّا أنّي أرى أنّ القلم قد طغى، وفي خصوص تفسير السورة الشريفة قد تجاوزت عن الموضوع المقرّر عندي.[2]

ثمّ دافع عن ميوله العرفانيّة في التفسير قائلاً:

> إذا رأيتم في هذه الرسالة مطلباً غير مطابق لذوقكم فلا ترموه بالباطل بلا تأمل؛ لأنّ كلّ علم له أهل، ولكلّ طريق سالك: «رحم الله امرأً عرف قدره ولم يتعدّ طوره».

---

١. *آداب الصلاة*: ١٩٣.

٢. المصدر: ٣٤٦.

ويمكن أن يغفل بعض عن حقيقة الحال لعدم اطّلاعهم على المعارف القرآنيّة ودقائق السنن الإلهيّة فيظنّون أنّ بعض مطالب هذه الرسالة تفسير بالرأي، وهذا الظنّ خطأ محض وافتراء فاحش.[1]

ومع ذلك فقد انتقد الإمام رحمه الله الرؤية المحدودة لبعض التفاسير العرفانيّة، وكان يعتقد بأنّ التفسير الكامل للقرآن هو ليس الشيء الذي قاله ابن عربي، أو عبد الرزاق الكاشاني:

أُولئك الذين كانت طريقتهم هي طريقة العرفان، فقد كتب بعضهم بصورة جيّدة في مجال تخصّصه، ولكن ما كتبوه حول القرآن لم يكن تفسيراً، بل كان شيئاً من صفحات القرآن ومرتبة من مراتبه.[2]

وبالرغم من اعتقاد الإمام رحمه الله بالمنهج العرفاني في التفسير، وممارسته له، ولكنّه ـ وكما مرّ ـ كان يعتبره مجرّد مرتبة من مراتب القرآن، وقسم من المعارف القرآنيّة، وكان يخطّئ أُولئك الذين يعتقدون بأنّ جميع القرآن منحصر في الأُمور المعنويّة والعرفانيّة، وأنّه لا علاقة له بالأُمور الاجتماعيّة والسياسيّة، قال رحمه الله:

ونلاحظ أنّهم عندما تصدّوا لتفسير القرآن أرجعوا جميع الآيات أو أكثرها إلى الجهات العرفانيّة والجهات الفلسفيّة والجهات المعنويّة، وغفلوا بنحو كلّي عن الحياة الدنيويّة، وعن الجهات التي نحتاجها هنا. وعن الأُمور التربويّة التي ينبغي أن تكون هنا.[3]

وقال في موضع آخر:

لقد كنّا ولفترة من الزمن مبتلين بشخص أو مجموعة من الناس وبمجموعة من أهل العلم الذين ينظرون إلى الإسلام من زاوية واحدة لا أكثر، وكانوا يلقّبون بعرفاء الإسلام، وكانوا يُرجعون جميع المسائل إلى المعاني العرفانيّة، ولم يولوا اهتماماً بمسائل العصر، فإذا قرؤوا آية أو رواية في الجهاد مثلاً فسّروها بـ«جهاد النفس»، وكانوا ينظرون إلى الإسلام نظرة غير واقعية ولا شموليّة، لقد ابتلينا بهم رغم كونهم أناساً صالحين.[4]

وعندما كان الإمام يتكلّم في تفسيره العرفاني عن الهجرة والجهاد كان يشير إلى المعنى الاجتماعي أيضاً، يقول قدس سره في كتابه *ولاية الفقيه*:

إنّ القرآن الكريم وكتب الحديث، اللذين هما المصدران الأساسيان لأحكام الإسلام

---

١. *آداب الصلاة*: ٣٤٦ ـ ٣٤٧.

٢. *تفسير سوره حمد*: ٩٤.

٣. *صحيفة إمام*: ٢٢١/٣.

٤. المصدر: ٤٥٩/١٠.

وقوانينه، يختلفان اختلافاً كبيراً عن الرسائل العمليّة التي يكتبها المجتهدون ومراجع التقليد، بلحاظ شموليّتهما وأثرهما اللذين يمكن أن يترتّب عليهما في الحياة الاجتماعيّة.

إنّ نسبة ما تحدّث عنه القرآن في الأمور العباديّة بالقياس إلى الأمور الاجتماعيّة لا تتجاوز الواحد في المئة.[1]

فالمنهج التفسيري للإمام رحمه الله لم يكن عرفانيّاً في جميع السور والآيات. فهو عرفاني في المعارف الخاصّة، حيث استغل قدس سره هذا الجانب في تفسير الأسماء والصفات. وأمّا في الآيات الاجتماعيّة وآيات الأحكام والجهاد والأمر بالمعروف، فإنّ المنهج التفسيري للإمام لم يكن عرفانيّاً. وعلى هذا ماذا يمكن أن نسمّي المنهج التفسيري للإمام؟

والجواب هو: إنّه يمكن تسميته بتفسير الهداية والإرشاد؛ لأنّه يرى أنّ الهدف الرئيس للقرآن ـ كما مرّ ذكره مفصّلاً ـ هو هداية الناس وبناء الفرد والمجتمع الإلهي والرباني، وقد مرّ أيضاً أنّ التفسير الصحيح للقرآن عنده هو: *كشف المراد، وبيان مقصد النزول*، لا بيان سبب النزول أو بيان بلاغته وإعجازه، أو غير ذلك.

وعلى هذا يمكن اعتبار اتجاه الإمام رحمه الله في التفسير هو الكشف عن مقاصد القرآن وبيانها، وقد صرّح الإمام أنّ المفسِّر يجب أن يأخذ بنظر الاعتبار الجانب التعليمي للقرآن، حيث قال قدس سره:

إنّ هذا الكتاب الشريف الذي هو بشهادة الله تعالى كتاب الهداية والتعليم ونور طريق سلوك الإنسانيّة، يلزم المفسِّر أن يوضّح ـ في كلّ قصّة من قصصه، بل في كلّ آية من آياته ـ جانب الهداية إلى عالم الغيب، وحيثيّة الهداية إلى طريق السعادة وسلوك طريق المعرفة والإنسانية، فإنّ المفسّر عندما يُفهمنا المقصد من النزول يكون مفسّراً، لا أن يذكر لنا سبب النزول، بالنحو المذكور في كتب التفاسير.[2]

وعلى هذا فإنّ تفسير الإمام هو تفسير الهداية فيكون القرآن بذلك شاملاً للمسائل العباديّة والعرفانيّة والاجتماعيّة والسياسيّة.

٥. اللّامحدوديّة في تفسير القرآن

إنّ من تبعات كتابة التفسير هي أنّ كلّ عالم يكتب ما يفهمه، أو يميل إليه، قال الإمام قدس سره في هذا الصعيد:

---

١. *ولاية الفقيه*: ١١.

٢. *آداب الصلاة*: ١٩٢. ١٩٣.

إنّ كلّ مفسّر يستند في تفسيره إلى تخصّصه فيزيح ستاراً وحجاباً من حجب القرآن الكريم، ولكن ليس من المعلوم أن تكون إزاحته كاملة. فمثلاً المفسّرون العرفاء وخلال القرون الماضية، كمحيي الدين بن عربي في بعض كتبه، وعبد الرزاق الكاشاني في *التأويلات*، وسلطان علي في *تفسيره*، كانت طريقتهم هي طريقة العرفاء. وقد أجاد بعضهم في حدود فنّه وتخصّصه، ولكن القرآن ليس كما كتبوا؛ لأنّهم إنّما أزاحوا بعض صفحات حجبه ، وكذا الحال في مفسّرين آخرين كالطنطاوي وأمثاله، وسيّد قطب وأضرابه، حيث فسّروا القرآن بشكل آخر. وهو أيضاً غير تفسير القرآن بجميع معانيه، فليس القرآن كتاباً يمكن أن نكتب فيه نحن أو الآخرون تفسيراً شاملاً وبالشكل المناسب.[١]

إنّ كلّ عالم من علماء التفسير قد أزال حجاباً من حُجب التفسير، وكان من نتائج هذه النظرة الأُحادية تخطئة كلّ واحد من هؤلاء المتخصّصين للمتخصّصين الآخرين في سائر العلوم. وقد ذكرنا في هذا الصدد في فصل نقد التفاسير نصوصاً قيّمة من نظرات الإمام، لقد كانت هذه المسألة إحدى الفجائع في كتابة التفاسير، فبدلاً من الاستفادة من العلوم المختلفة في فهم الأبعاد الواسعة للقرآن، اعتبر كلّ واحد من المفسّرين أنّ ما جاء به هو الصحيح، وأنّ الآخرين على خطأ.

وعلى أي فإنّ جامعيّة القرآن وشموليّته للعلوم المختلفة يفسح المجال أمام كتابة تفسير يجمع آراء أهل الاختصاص في جميع العلوم، وإن كان ذلك لم يحدث لحد الآن.[٢]

الفصل الثاني: القرآن والنصوص التفسيريّة

نحاول في هذا الفصل إلقاء نظرة سريعة على حقيقة القرآن والتعرّف على أبعاده، كما نتعرّض أيضاً لبعض النصوص التي تضمّنت تفسيراً وتحليلاً للقرآن:

١. حقيقة القرآن وهويته

يختلف القرآن عن سائر الكتب الأُخرى في نقطة مهمّة، وهي كونه وحياً إلهياً، وليس كسائر الكتب البشريّة كالرياضيّات وعلم الاجتماع، وغيرهما التي يمكن استكشافها بالتعرّف على قواعد عامّة وأُخرى خاصّة بذلك العلم، بخلاف:

---

١. *تفسير سوره حمد*: ٩٣ ـ ٩٥.

٢. راجع: *آداب الصلاة*: ١٩٢.

هذا الكتاب الإلهي العظيم النازل من عالم الغيب والقرب الربوبي الذي جاء بصورة ألفاظ وكلام لنستفيد منه نحن المهجورون، ولخلاصنا نحن المسجونون في سجن الطبيعة، والمغلولون بسلاسل هوى النفس والآمال، فهو من أعظم مظاهر الرحمة الإلهيّة المطلقة.[١]

إنّ اختلاف القرآن مع الكتب البشريّة هو في اختلاف حقيقتهما، لكون النتاجات الفكرية للبشر محدودة بحدودٍ وحجب كثيرة، لا تسمح لهم بالتألّق خارج هذه الحدود والحجب، فعلمهم سطحي جداً حول الإنسان والعالم والقوانين الحاكمة على العالم المعبّر عنها بالقوانين العلميّة، وحتّى انفلاق الذرّة والاستفادة الإيجابيّة أو السلبية منها، ومن طاقتها العجيبة سطحيّة جداً.

وأمّا القرآن فقد نزل في مرحلة كان العالم جميعه مظهراً من مظاهر عظمته وقدرته وكماله، فهو كتاب لا يقاس بغيره من الكتب، يقول الإمام قدس سره:

الإنسان غير محدود، ومربيّ الإنسان غير محدود، وصحيفة تربية الإنسان التي هي القرآن غير محدودة، فالقرآن غير محدود بعالم الطبيعة والمادّة، وغير محدود بعالم الغيب، وغير محدود بعالم التجرّد، أنّه غير محدود بأي شيء.[٢]

ويقول قدس سره في تعريف آخر للقرآن:

وأمّا عظمة متكلّمه ومنشئه وصاحبه، فهو العظيم المطلق الذي جميع أنواع العظمة المتصوّرة في الملك، والملكوت وجميع أنواع القدرة النازلة في الغيب والشهادة رشحة من تجليّات عظمة فعل تلك الذات المقدّسة.[٣]

ويقول الإمام قدس سره في خصوص عظمة القرآن اللامتناهية، والتي لا يمكن إدراكها:

نحن عُمي وصم، لم نستفد من القرآن بأيّ شكل، ولا نستفيد.[٤]

لقد كان كلّ نبيّ من الأنبياء مجلىً لاسم من الأسماء الإلهيّة، وكان نبيّنا صلى الله عليه وآله مجلىً لجميع الأسماء الإلهيّة.

فالحقائق التي يحصل عليها أُولئك الأنبياء وتتجلّى على قلوبهم هي بمقدار سعة قدراتهم، وما نزل على قلب النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله لا يمكن أن يتحمّله أيّ نبيّ آخر. والقرآن مطابق أيضاً

---

١. المصدر: ٦٦.

٢. *صحيفة إمام*: ٤٢٢/١٢.

٣. *آداب الصلاة*: ١٨٢.

٤. راجع: المصدر: ٦٦.

للحقّيقة المحمّدية، التي تتمتّع بالكمال المطلق؛ لأنّه عند أهل المعرفة صدر من الحقّ تعالى، ونشأ من جميع الشؤون الذاتيّة والصفاتيّة والفعليّة، وبجميع التجليّات الجماليّة والجلاليّة، وليست لسائر الكتب السماويّة هذه المرتبة والمنزلة.[١]

ويذكر قدس سره هذه العظمة والحقيقة في موضع آخر قائلاً:

قال تعالى ﴿إنّا﴾ بصيغة الجمع و﴿أنزلناه﴾ بصيغة الجمع، والسبب هو تفخيم مقام الحقّ تعالى بمبدأيّته لتنزيل هذا الكتاب الشريف، ولعلّ صيغة الجمع باعتبار الجمعية الأسمائيّة، والإشارة إلى أنّ الحقّ تعالى مبدأ لهذا الكتاب الشريف بجميع الشؤون الأسمائيّة والصفاتيّة، ولهذه الجهة كان هذا الكتاب الشريف صورة أحديّة جمع جميع الأسماء والصفات، ومعرّفاً لمقام الحقّ المقدّس بجميع الشؤون والتجليّات.

وبعبارة أُخرى: هذه الصحيفة النورانيّة هي صورة الاسم الأعظم، كما أنّ الإنسان الكامل أيضاً هو صورة الاسم الأعظم، بل إنّ حقيقة هذين في ساحة الغيب واحدة.[٢]

٢. كمال القرآن وجامعيته

القرآن أكمل الكتب وفيه أشرف الشرائع، وإذا كان هناك اختلاف في الكتب السماويّة فسببه اختلاف تجليّات الله تعالى واختلاف أسمائه التي هي مبدأ هذه التجليّات، كما أنّ اختلاف الأنبياء وشرائعهم سببه اختلاف ممالك الأسماء، فكلّ اسم تكون إحاطته أكبر وجامعيته أشمل يكون القانون التابع له ذا إحاطة أكبر، وديمومته أكثر، ويقول الإمام قدس سره:

حيث إنّ النبوّة الختميّة والقرآن الشريف وشريعة سيّد البشر من مظاهر المقام الجامع الأحدي، وحضرة اسم الله الأعظم ومجلاة من تجليّاته وظهوراته، فلهذا صارت أكثر النبوّات والكتب والشرائع إحاطة وجامعيّة، ولا يتصوّر أكمل وأشرف من نبوّته وكتابه وشريعته، ولا يتنزّل من عالم الغيب على بسيط الطبيعة علم أعلى منه أو شبيه له، بمعنى أنّ هذا هو آخر ظهور للكمال العلمي المربوط بالشرائع، وليس للأعلى منه إمكان النزول إلى عالم الملك.[٣]

ولم نعثر هنا على نظرة واسعة وتطبيقيّة للإمام رحمه الله حول جامعيّة القرآن، بل نريد أن ننظر ـ ومن خلال هذه الزاوية ـ إلى حقيقة القرآن.

---

١. المصدر: ١٨٣.

٢. المصدر: ٣٢٠ ـ ٣٢١.

٣. المصدر: ٣٠٩.

ماذا يعني أن يكون القرآن كتاباً جامعاً؟

إنّ للإمام‌رحمه‌الله كلمات حول جامعيّة القرآن نذكرها فيما يلي:

الأوّل: خلود القرآن

إنّ إحدى أبعاد جامعيّة القرآن هي بقاؤه وخلوده ما دام على وجه الأرض إنسان حيّ، يقول الإمام‌قدس‌سره:

> إنّ الذي سنّ قانون الإسلام هو الله تعالى، والله هو المحيط بجميع العصور، فالقرآن كتاب لجميع العصور، وأحكام رسول الله‌صلى‌الله‌عليه‌وآله هي لجميع العصور.[١]

ويقول الإمام‌رحمه‌الله حول خلود القرآن:

> يجب أن نعرف الحكمة من خلود القرآن وأبديّته، فهذا الكتاب نازل لهداية البشر إلى قيام الساعة، من أيّ لون وعرق كانوا، وفي أيّ قطب وقطر أقاموا. والحكمة هي تفعيل الأُمور الحياتيّة المهمّة، سواء في المعنويّات أم في نظام الملك، فالقرآن جاء ليُفهمنا أنّ مسائله ليست لعصر معيّن أو لمصر معيّن، ولا تتوهّموا أنّ قصد إبراهيم، وموسى، ومحمّد عليهم وعلى آلهم السلام مرتبط بزمان خاصّ.[٢]

وكان الإمام‌رحمه‌الله يعتقد ـ وبملاحظة هذه الجامعيّة في القرآن ـ أنّ الناس في عصر واحد لا يستطيعون إدراك جميع معارف القرآن، وخاصّة أنّ بعض المعارف القرآنيّة على درجة كبيرة من الدقّة لا يستطيع إدراكها إلّا جملة من المتعمقين في آخر الزمان.

لقد كتب الإمام الخميني‌رحمه‌الله في تفسير سورة التوحيد، بعد أن ذكر أنّ الإدراك الكامل يختصّ بالإنسان الكامل، ولا محلّ له في ميزان العقل المجرّد:

> هنا بشارة تقرّ بها عيون أهل آخر الزمان، وتعطي الاطمئنان لقلوب أهل المعرفة، وهي الحديث المروي في *الكافي* الشريف، قال: سُئل علي بن الحسين‌عليه‌السلام عن التوحيد، فقال: «إنّ الله عزّ وجلّ علم أنّه يكون في آخر الزمان أقوام متعمّقون، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾،[٣] والآيات من سورة الحديد إلى قوله: ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾،[٤] فمن رام وراء ذلك هلك.[٥]

---

١. *صحيفة إمام*: ١٧١/٨.

٢. المصدر: ٢٠/٩٣ ـ ٩٤.

٣. الإخلاص: ١.

٤. *الحديد*: ٢ ـ ٦.

٥. *الكافي*: ٩١/١، ح٣.

ويُعلم من هذا الحديث الشريف أنّ فهم هذه الآيات وهذه السورة المباركة هو من حقّ المتعمّقين، ففي هذه الآيات طويت المعرفة وأسرار التوحيد، وأنّ الحقّ تعالى أنزل لطائف العلوم الإلهيّة لأهلها.[١]

ثمّ صرّح رحمه الله قائلاً:

والذين ليس لهم حظ من أسرار التوحيد والمعارف الإلهيّة، فليس لهم حقّ النظر في هذه الآيات، وليس لهم حقّ أن يحملوا، ويفسّروا هذه الآيات على ما يفهمونه من المعاني العاميّة السوقيّة.[٢]

وقد نظر الإمام رحمه الله في آثار الفلاسفة اليونانيّين والإسلاميّين وكذلك آثار العرفاء لإثبات هذه النظريّة والرؤية التطبيقيّة للصحف الإلهيّة. وكان يؤكّد على خلوّها ممّا جاء في سورة الحديد من دقائق الأفكار؛ لأنّ فهم هذه الآيات مختصّة بالمتعمّقين من أهل آخر الزمان.

وبناءً على هذا لو طرحنا السؤال مرّة اُخرى: هل القرآن قابل للفهم؟ فإنّه يمكن ملاحظة جواب الإمام رحمه الله عليه بالنحو التالي: نعم، ولكن بعض معارفه العميقة مختصّة بزمان التطوّر الفكري في آخر الزمان، إذاً فالقرآن ليس قابلاً للفهم من قِبل جميع الناس، وفي أي عصر كان، فهؤلاء غير صالحين لبحث هذه المعارف المعمّقة.

الثاني: القرآن جامع للأسماء والصفات الإلهيّة

نظراً إلى جامعيّة القرآن بمعنى شموله لجميع الأسماء والصفات الإلهيّة، فهل يمكن فهم القرآن؟ وما هو المقدار الذي يمكن أن يفهمه الإنسان من القرآن؟

وهنا يبيّن الإمام أنّ للقرآن حالتين: إحداهما حقيقة القرآن قبل أن يتنزّل إلى المنازل الخلقية والأطوار الفعليّة، والثانية بعد هذه المراحل، إنّ الإمام يعتبر فهم القرآن وإدراكه أمر غير ممكن قبل التطوّر العلمي، ومن غير الإشراف والشهود العرفاني. ويعتقد أنّ مثل هذا الإدراك لا يمكن حصوله إلّا بالمكاشفة التامّة، والتي هي من خصائص النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، وورثته من الأولياء الصالحين قال الإمام قدس سره:

إنّ حقيقة القرآن الشريف قبل تنزّله إلى المنازل الخلقية وتطوّره بالأطوار الفعليّة هي من الشؤون الذاتيّة والحقائق العلميّة للحضرة الواحديّة، وهو حقيقة الكلام النفسي الذي هو مقارعة ذاتيّة في الحضرة الأسمائيّة، وهذه الحقيقة لا تحصل لأحد، لا بالعلوم الرسميّة، ولا

---

١. *آداب الصلاة*: ٣٠٢.

٢. المصدر.

بالمعارف القلبيّة، ولا بالمكاشفة الغيبيّة إلّا بالمكاشفة التامّة الإلهيّة لذات النبيّ الخاتم المباركة صلى الله عليه وآله في محفل أنس ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾، بل في خلوة سرّ مقام: ﴿أَوْ أَدْنَى﴾، وأيدي آمال العائلة البشريّة قاصرة عنها إلّا الخلّص من أولياء الله الذين اشتركوا في روحانيّة تلك الذات المقدّسة بحسب الأنوار المعنويّة والحقائق الإلهيّة، وفنوا بواسطة التبعيّة التامّة فيه، فإنّهم يتلقون علوم المكاشفة بالوراثة منه صلى الله عليه وآله، وتنعكس حقيقة القرآن في قلوبهم بنفس النورانيّة والكمال التي تجلّت لقلبه المبارك من دون التنزّل إلى المنازل والتطوّر بالأطوار.[1]

وبناءً على هذا، فإنّ أحداً لا يستطيع إدراك القرآن إلّا الشخص الحامل للوحي، ومَنْ كان وظيفته تبليغ وتفسير معارفه بين الناس، وكما نلاحظ، فإنّ هذه المرحلة ليست هي فهم عقلي وإدراك مفاهيم فقط، بل هي كشف الحقائق ورؤيتها.

الثالث: القرآن شامل لمعارف الهداية للغيب والشهود والمعنويّات والماديّات

إنّ المقصود من جامعيّة القرآن هوشموله لجميع معارف الهداية لعالم الغيب والشهادة والمعنويّات والماديّات، والدنيا والآخرة، بالنسبة لجميع الناس في شتّى أرجاء العالم، وإلى نهاية الحياة البشريّة. وقد أولى القرآن اهتماماً لجميع شؤون الحياة البشريّة الأُخرويّة والدنيويّة، من الحكومة والسياسة والاقتصاد والديانة والوحدة والعبادة، وغيرها.

قال الإمام قدس سره:

وكما أنّ القرآن كتاب معنوي وعرفاني لا تصل إلى إدراكه أفهامنا وتصوّراتنا، بل وحتّى تصوّر جبرئيل الأمين، فهو أيضاً كتاب تهذيب أخلاق واستدلّال وتشكيل حكومة، ويوصي بالوحدة والقتال، وهذه كلّها من خصوصيّات هذا الكتاب السماوي الذي فتح باب المعرفة بمقدار فهم الإنسان، وفتح أيضاً باب الماديّات، واتصال الماديّات بالمعنويّات، وباب الحكومة، وباب الخلافة، وكلّ شيء.[2]

وقال رحمه الله في موضع آخر:

إنّ المصالح السياسيّة وإدارة الدولة وجميع الأشياء هي في هذا الكتاب.[3]

وقال أيضاً:

يشمل القرآن جميع المعارف وجميع ما يحتاج إليه البشر.[4]

---

١. *آداب الصلاة*: ١٨١.

٢. *صحيفة امام*: ٤٣٤/٧.

٣. المصدر: ٤٢٣/٨.

٤. المصدر: ٢٤٩/٢٠.

إنّ أحد أبعاد جامعيّة القرآن والتي لم تلاحظ في القوانين البشريّة هي اعتماده على جميع الأبعاد الوجوديّة للإنسان، وقدراته وآفاقه العليا للكمال.

قال الإمام رحمه الله:

إنّ ما جاء به البشر قد لوحظ فيه الجانب الضعيف، فمثلاً وضع قوانين لحفظ النظام وعدم الإخلال بالأمن العام، وهذه القوانين هي لتنظيم المعاشرة الدنيويّة وكيفيّة السياسة الدنيويّة، فالقواعد أو القوانين التي وضعها البشر لم تكن موجّهة إلى الإنسان نفسه.[١]

وليس معنى جامعيّة القرآن أنّ جميع جزئيّات المعارف والقوانين والأحكام موجودة فيه، فإنّ أحداً لا يستطيع أن يدّعي مثل ذلك، كما أنّ القرآن لا يهدف إلى ذلك. قال رحمه الله:

لقد ذكر القرآن القوانين الكلّية الرئيسة، كقانون الضرائب وقانون القضاء، وقانون الزواج والطلاق، وقانون الإرث، وقانون المعاملات من قبيل التجارة والإجارة، والصلح والهبة، والمزارعة والشركة، وأمثال ذلك، وقانون التسجيل وقانون الجزاء العامّ كالحدود والقصاص، وقانون الإعلام، وقانون الحدّ من المنكرات، كشرب الخمر ولعب القمار، واستعمال آلات العزف والزنا، واللواط والسرقة، والخيانة والقتل، والغارة وقانون التطهير، والقانون العام للعبادات، كالصوم والحجّ، والوضوء والغسل وغيرها.[٢]

ومن الأبعاد الأُخرى لجامعيّة القرآن هي عالميّة قوانينه التي جاءت لهداية البشر بجميع ألوانه وأعراقه، وفي كلّ قطب ومصر.[٣]

ومن الأبعاد الأُخرى لجامعيّة القرآن أيضاً هي خلود قوانينه، فهي لجميع العصور، وتشمل حاجات الناس للأبد وذلك بدليل:

الذي وضع قانون الإسلام هو الله تعالى المحيط بجميع العصور، فالقرآن كتاب لجميع العصور.[٤]

الرابع: جامعيّة القرآن في المطالب والمفاهيم العرفانيّة

المعنى الآخر لجامعيّة القرآن الكريم هو شموله لمطالب ومفاهيم عرفانيّة، وهذا الموضوع عرفاني تماماً، ولا يمكن إدراكه من غير هذه الزاوية، فكما مرّت الإشارة سابقاً أنّ

---

١. المصدر: ٤١/٦.

٢. *كشف الأسرار*: ٣١٥.

٣. *صحيفة إمام*: ٩٣/٢.

٤. المصدر: ١٧١/٨.

كلّ كتاب سماوي وكلّ نبيّ هو مجلّى لاسم من الأسماء الإلهيّة، عدا القرآن الكريم والنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله فإنّهما مجلّى لجميع أسمائه، قال الإمام قدس سره:

إنّ الذات المقدّسة للحقّ تعالى التي هي غيب وظهور في نفس الوقت، مستجمعة لكلّ أنواع الكمال بشكل غير متناهٍ، فقد تجلّى في الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بجميع أسمائه وصفاته، وتجلّى في القرآن بجميع أسمائه وصفاته أيضاً.[1]

وقال رحمه الله مؤكّداً هذه الحقيقة:

إنّ القرآن الكريم هو أعظم وأشرف الكتب المقدّسة، وهو الصورة الكتبية لحضرة الغيب، مستجمع لجميع الكمالات بصورة الوحدة الجمعيّة.[2]

وقد عُرِّف القرآن في جانبه المعنوي بأنّه رحمة وشفاء لقلوب الناس جميعاً، وقال الإمام رحمه الله في هذا:

المفسّر لا بدّ أن يعلّم الشؤون الإلهيّة ويُرجع الناس إلى تفسير لتعلّم الشؤون الإلهيّة حتّى تتحصّل الاستفادة منه ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾.[3][4]

وبالرغم من أنّ القرآن يختلف عن الكتب التي كتبها الناس بأيديهم، فهو يختلف أيضاً عن الكتب السماويّة السابقة التي أنزلها الباري جلّت عظمته على الأنبياء السابقين.

والسرّ في اختلاف القرآن عن الكتب السماويّة السابقة وأفضليّته عليها واضح لدى المفسّرين والمسلمين. فهذا الكتاب هو آخر الكتب الدراسية في أعلى صفوف المدرسة الإنسانيّة، نزل من الله تعالى لجميع الأعصار والأمصار.[5] فهو من جهة ينبغي أن يكون أكمل من كلّ ما قيل سابقاً، وإلّا فلا سبب لنزوله، وينبغي أيضاً ألّا يبقى شيء منه لم يقال. وهذه الجامعيّة والكمال واضحة جدّاً، ولكن عندما نريد أن نتحدّث في هذا الموضوع من زاوية عرفانيّة فلا بدّ من توضيح هذه الحقيقة بشكل آخر. فمن وجهة نظر أهل الحقّ أنّ عالم الوجود وموجوداته هي تبلور أسماء الله تعالى، العالم والإنسان وكلّ ما هو موجود.[6]

---

١. المصدر: ٤٢١/١٢.

٢. المصدر: ٣١٢/٢٠.

٣. الإسراء: ٨٢.

٤. *آداب الصلاة*: ١٩٤.

٥. راجع: *حيفه إمام*: ١٧١/٨.

٦. راجع: *شرح دعاء السحر*: ١١٠ ـ ١١١.

٣. إمكانيّة فهم القرآن الكريم

انطلاقاً من شموليّة القرآن ينبغي استفادة الناس جميعاً من هذا الكتاب السماوي، ويستنبطون منه منهاج حياتهم، ولكن هل يمكن أن يفهم القرآن جميع الناس؟

لا بدّ للإجابة على هذا السؤال من التذكير بما اعتمده الإمام للوصول إلى الفهم الصحيح للقرآن على عدة مسائل، أهمّها شموليّة القرآن بنوعيها الزماني والمكاني التي تعتبر أهمّ العناصر في نظريّة الإمام. ويقول في تصديقه فكرة شموليّة القرآن:

يستفيد جميع البشر من هذا الكتاب، وهذه المائدة الممتدّة في الشرق والغرب، ومنذ زمان الوحي إلى اليوم، ينتفع منه جميع الناس العامّي منهم والعالم والفيلسوف، والعارف والفقيه، أي: أنّه كتاب نزل من مرحلة الغيب إلى مرحلة الشهادة وامتدّ أمامنا، نحن الذين في عالم الطبيعة، لكي نستفيد منه، فإنّه يتضمّن مواضيع يمكن لجميع الناس الاستفادة منها، ويتضمّن مواضيع يختصّ بها كبار العلماء والفلاسفة، والعرفاء والأنبياء والأولياء. وفيه بعض المسائل التي لا يدركها أحد سوى أولياء الله تبارك وتعالى، إلّا إذا جاء تفسير لها من قبلهم ليستفيد منها غيرهم كلّ بمقدار استعداده وقابليته.

وهذه المائدة مفروشة للجميع، يستفيدون من مسائلها السياسيّة والاجتماعيّة، والثقافية والعسكريّة، فإنّ جميع هذه المواضيع موجودة في هذا الكتاب المقدّس.[١]

وفي هذا الكلام إشارة إلى السعة المكانيّة والزمانيّة لجميع البشر في الشرق والغرب، ويشمل جميع المخاطبين من مختلف الطبقات. وفيه إشارة إلى المواضيع التي تخصّ العلماء والفلاسفة والعرفاء، وأولياء الله والمبدأ الغيبي والظهور الشهودي. وبملاحظة هذا الواقع فإنّ فهم القرآن لكلّ طبقة من الناس هو بمقدار سعة وإدراك وقابلية الفهم الموجود عندهم. فيستفيد عامّة الناس منه، ولكن لا بالمقدار الذي يفهمه العلماء المتبحّرون.

يقول الإمام في هذا الشأن:

لقد جاء القرآن والحديث إلى جميع طبقات الناس، ولكن فيهما علوم لا يفهمها إلّا المختصّون بالوحي، ولا يستفيد منها باقي الناس، وفيهما علوم يختصّ بفهمها كبار العلماء، ولا يستفيد منها الآخرون إطلاقاً، كالبراهين الدالّة على تجرّد الواجب والإحاطة القيّوميّة له سبحانه.

فإنّكم لو فتشتم في جميع القرآن لا تستطيعون العثور على مثل هذه المسائل، ولكن استطاع أهلها استخراجها من القرآن أمثال الفيلسوف الكبير صدر المتألهين وتلميذه الكبير

---

١. *صحيفة إمام*: ٣٨٧/١٤.

الفيض الكاشاني، فقد استطاعا استخراج العلوم العقليّة المعمّقة من هذه الآيات والأخبار.[1]

وهذا البيان واضح جدّاً، ولا غموض فيه. فالقرآن للجميع، وينبغي أن يستفيد منه كلّ شخص بما يوافق ذوقه وإدراكه. ولو كان لا يفهم منه عموم الناس شيئاً، فسوف لا ينجذب إليه أحد منهم، بل لن ينجذب إليه العلماء والعرفاء والفلاسفة وعلماء الاجتماع والسياسيون إذا لم يكن يحتوي على علوم عميقة.

الآيات النظريّة والعمليّة في القرآن

نظراً لما تقدم قسّم الإمام وبوضوح آيات القرآن إلى مجموعتين: علميّة نظريّة وعملية ميدانية قال رحمه الله:

لقد ورد في القرآن أيضاً هذان النوعان من الآيات: آيات عملية ميدانيّة ينبغي للجميع العمل بها، وعلى الدولة تنفيذها، فإنّ القانون الذي يوضع من دون توجيه وتأويل لبلدٍ ما لا ينبغي أن يوضع بنحوٍ لا يفهمه أهل ذلك البلد.

نعم، يمكن أن يكون توضيح القانون وشرحه محتاجاً إلى العلماء، ولكن هذا غير التأويل.

وفي قبال ذلك هناك آيات وأحاديث نظريّة علميّة ليس فيها جانب عملي، لا يجب على المتكلّم أن يتحدّث بها بنحو يفهمه الجميع، بل إنّ مثل هذه الأشياء لا ينبغي أن تطرح ببيان يفهمه جميع الناس.[2]

وقد قسّم الإمام رحمه الله آيات القرآن إلى قسمين لفتح بعض كنوز الحقائق:

أ) الآيات العمليّة الصريحة التي يفهمها الجميع، مثل آيات الأحكام، وهي وإن كانت بحاجة إلى شرح مفسّري القرآن والنبيّ وأهل البيت عليهم السلام، ولكن أُصولها قابلة للفهم من الجميع.

ب) الآيات العلميّة كدلائل تجرّد الباري تعالى، أو تجلّي الأسماء والصفات الإلهيّة في الوجود التي لا يمكن معرفتها إلّا بالفهم العلمي والفلسفي والعرفاني.

ومن الطبيعي ألّا يحدث اختلاف أُصولي في النوع الأوّل ـ أي: الآيات القرآنيّة الصريحة ـ وأمّا في القسم الثاني، فمن الممكن أن يفهم كلّ عالم، بمقدار استعداده ونوع علمه، شيئاً من القرآن لا يفهمه باقي العلماء، فمن الممكن مثلاً أن يفهم أحد علماء الرياضيات أو علماء الاجتماع شيئاً من القرآن لا يفهمه العالم الفلاني في التاريخ أو الأدب، أو أن يحصل أديب على أمر دقيق وظريف في تعريف القرآن يعتبره إعجازاً، بينما لا يحصل عليه غيره، أو يفهم

---

١. *كشف الأسرار*: ٣٢٣.

٢. المصدر: ٣٢١ ـ ٣٢٢.

فيلسوف متعمّق مطلباً لا يستطيع أن يفهمه فيلسوف سطحي.

وعلى هذا يمكن القول: إنّ دائرة الفهم في الآيات الصريحة واضحة ومعيّنة، والتفسير بالرأي في الآيات من القسم الأوّل مذموم وحرام. وأمّا في القسم الثاني، فإنّ التفسير فيه ليس من التفسير بالرأي، بل هو تفسير مختلف ينطلق من فهم مختلف، وسوف لن يكون مشمولاً بالتفسير بالرأي المذموم والحرام.

قال رحمه الله:

من المظنون أنّ التفسير بالرأي راجع إلى آيات الأحكام التي تقصر عنها أيدي الآراء والعقول، ولا بدّ أن تؤخذ بصرف التعبّد والانقياد من خزّان الوحي ومهابط ملائكة الله، كما أنّ أكثر الروايات في هذا الباب وردت في مقابل علماء العامّة الذين كانوا يريدون أن يفهموا دين الله بعقولهم ومقايساتهم.

وما في بعض الروايات الشريفة من أنّه: «ليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن»،[1] وكذلك الرواية الشريفة: «إنّ دين الله لا يُصاب بالعقول»،[2] تشهد بأنّ المقصود من دين الله الأحكام التعبّدية للدين، وإلّا فباب إثبات الصانع والتوحيد والتقديس، وإثبات المعاد والنبوّة، بل مطلق المعارف حقّ مطلق للعقول.[3]

فظاهر آيات الأحكام أنّها قابلة للفهم من الجميع، وإن كانت فلسفة الأحكام وعلّة وجوبها أو حرمتها واضحة جدّاً لدينا، كما أنّ الأحكام التعبّدية لا تجري فيها أُصول كالقياس والاستحسان اللذين هما من التفسير بالرأي.

وخلاصة القول في هذا القسم من الآيات:

إنّ في القرآن كلاماً للجميع ويمكن فهمه للجميع، ولكن فيه أيضاً مفاهيم عميقة لا يمكن أن يفهمها إلّا العلماء والعرفاء، وفي بعض الموارد لا يفهمها إلّا أولياء الله الصالحين. ولا يستطيع غيرهم فهمها بشكل كامل، أي: أنّ من كان جامعاً لجميع العلوم ومستفيداً من الإشراق والشهود العرفاني يستطيع أن يفهم جميع القرآن. ومن الطبيعي ألّا يكون العلماء كذلك، أي أنّهم يفتقدون للجامعيّة العلميّة، فهم متخصصون في فرع من فروع العلم، ولا يدركون إلّا شعاعاً من أشعة العلوم القرآنيّة المرتبطة بعلمهم الذي تخصّصوا فيه.

---

١. *بحار الأنوار*: ٩١/٨٩.

٢. *بحار الأنوار*: ٣٠٣/٢.

٣. *آداب الصلاة*: ٢٠٠.

٤. لغة القرآن وصياغته

لا شكّ أنّ للقرآن لغة خاصّة وصياغته خاصّة، وهذا ما يميّزه عن سائر الكتب السماويّة الأُخرى، فمن خصائصه مثلاً: إنّه سهل ممتنع. ويقول الإمام الخميني رحمه الله حول هذا الموضوع:

إنّ لغة القرآن ـ التي هي من بركات البعثة النبويّة المباركة ـ سهلة ممتنعة، ومن هنا قد يظنّ الكثير أنّ بإمكانه فهم القرآن لسهولته، ويظنّ الكثير من علماء المعرفة وعلماء الفلسفة أنّهم يستطيعون فهم القرآن أيضاً، مع أنّه لم يتجلَّ لهم إلّا بُعد واحد من أبعاده الأُخرى التي هي وراء هذا البُعد.[1]

إنّ إحدى البحوث المطروحة في لغة القرآن هي اللغة المزدوجة، وبالرغم من أنّ المفسّرين القدماء قد التفتوا إلى وجود المحكم والمتشابه في القرآن، ولكنّهم لم يتعرّضوا بصراحة إلى لغته المزدوجة إلّا قليلاً، وخاصّة أُولئك المفسّرين الذين لم ينظروا إلى القرآن من زاوية عرفانيّة؛ ولكن الإمام رحمه الله تعرّض هنا إلى بحث هذه الاثنينيّة في لغة القرآن: اللغة الصريحة واللغة الرمزية. وهذه المسألة في رأي الإمام تتعلّق بنوعين من المعارف، قال رحمه الله:

تنقسم آيات القرآن إلى نوعين:

الأوّل: الآيات المحكمات التي لا تأويل فيها ويفهمها الجميع.

الثاني: الآيات المتشابهات التي لها تأويل، وهي من قبيل: الرمز، ولا يعلم تأويلها إلّا الله والراسخون في العلم.[2]

فهو رحمه الله يرى أنّ رمز هذه الاثنينية في لغة القرآن هو تقسيم المعارف القرآنيّة إلى مجموعتين: عمليّة وعلميّة.

فمجموعة المعارف التي جاءت للعمل وتتضمّن جنبة قانونيّة فإنّها من الطبيعي أن تكون قابلة للفهم من الجميع، كالآيات التي سبقت الإشارة إليها آنفاً، ولا يجوز تفسيرها بالرأي. وأمّا مجموعة المعارف التي تتضمّنت جنبة علميّة ومعرفية، فقد بُيّنت بلغة رمزيّة، ولا يلزم أن يفهمها الجميع؛ لأنّها لم تأت ليفهمها الجميع، قال قدس سره في هذا المجال:

لقد ورد في القرآن هذان النوعان من الآيات أيضاً، أحدها: الآيات العمليّة التي يجب أن يعمل بها الجميع ويجب تطبيقها في البلاد، وثانيهما: الآيات العلميّة التي هي ليست كذلك. فالأحاديث والآيات التي من النوع الأوّل يجب أن تكون بلغة يفهمها

---

١. *صحيفة إمام*: ٤٣١/١٧.

٢. *كشف أسرار*: ٣٢٢.

عموم الناس؛ لأنّها عامّة، وجاءت ليعمل بها الجميع، ولكن الآيات والأحاديث التي تتحدّث في الأمور العلميّة وليست فيها وجهة عمليّة، لا يلزم المتكلّم أن يتحدّث بها بشكل يفهمه الجميع، بل من غير الممكن بيانها بنحو يفهمه عامّة الناس.[1]

ويعتقد الإمام الخمينيّ رحمه الله أنّ فهم القرآن هو من نوع الإدراك بالمشاهدة، ولكن للضرورة بيّن بالألفاظ، قال في هذا رحمه الله:

القضيّة ليست هي قضيّة إدراك عقلي، فهي ليست برهانيّة، بل هي قضية مشاهدة غيبيّة، لا مشاهدة بالعين، ولا مشاهدة بالنفس، ولا مشاهدة بالعقل، ولا بالقلب المجرّد، بل بقلب العالم، وهو قلب النبيّ صلى الله عليه وآله، ولا يستطيع بيان ما أدركه إلّا بواسطة الأمثلة والألفاظ؛ إذ كيف يمكن لك توضيح حقيقة النور لإنسان أعمى؟ بأيّ لغة وأيّ كلام؟

فليس له إلّا أن يقول له أنّ النور شيء مضيء، إلّا أنّ ذلك لا يوضح للأعمى حقيقة النور، وليس ذلك لقصور في الكلام، بل لقصور وعقدة في من سمع الكلام.[2]

وعلى هذا الأساس، فإنّ نتيجة البحث في لغة القرآن هي أنّ في القرآن أحكاماً وقوانين عامّة قد بيّنها بلسان صريح غير قابل للتأويل. وأمّا المعارف العالية والحقائق السامية لعالم المعنى التي ينبغي على الإنسان التعرّف عليها، فقد بيّنها بطريقة يفهمها أهلها فقط، فرموز أوائل السور، والبطون الأُخرى للقرآن قابلة للفهم والمشاهدة، فقط لمَنْ خوطب بالقرآن.[3]

٥. محتوى ورسالة معارف القرآن

بيّن الإمام رحمه الله هدف القرآن عند بيان أقسام المعارف القرآنيّة، قائلاً قدس سره:

اعلم أنّ هذا الكتاب الشريف ـ كما صرّح هو بذلك ـ كتاب هداية، وأنّه هادي سلوك الإنسانيّة ومربّي النفوس، وشافي الأمراض القلبيّة، ومنير طريق السير إلى الله.[4]

ثُمّ قسّم موضوعات القرآن إلى عدّة فصول كلّية، فقال متحدّثاً:

إنّ الدعوة إلى معرفة الله وبيان المعارف الإلهيّة هي من الشؤون الذاتيّة والأسمائيّة، والصفاتيّة والأفعاليّة، وقبل ذلك كلّه توحيد الذات والأسماء والأفعال.

---

١. المصدر: ٣٢١ ـ ٣٢٢.

٢. *تفسير سوره حمد*: ١٤١.

٣. راجع: *شرح چهل حديث*: ٣٥١.

٤. *آداب الصلاة*: ١٨٤.

وفي هذا القسم ظاهر وباطن، وما استفاده علماء الظاهر والباطن منه كلاهما صحيح، وفي محلّه.[١]

والدعوة إلى تهذيب النفوس وتطهير البواطن من أرجاس الطبيعة وتحصيل السعادة، وكيفيّة السير والسلوك إلى الله هما في فرعي التقوى والإيمان.

وهذا القسم هو من المقاصد المهمّة للقرآن، حيث ترجع أكثر مواضيعها إلى هذا المقصد، سواء كان ذلك بالواسطة أم من غير واسطة. ويشمل قصص الأنبياء وكيفيّة تربية الحقّ تعالى لهم، وكيفيّة تربيتهم للناس، وأحوال الكفّار وعاقبة أمرهم وكيفيّة هلاكهم، كقضايا فرعون وقارون، ونمرود وشدّاد، وأصحاب الفيل، وبيان كلّيات ومهمّات قوانين الظاهر والشريعة، والآداب والسنن.[٢]

قال رحمه الله:

وبما أنّ هذا القسم ـ علم ظاهر الشريعة ـ عام المنفعة ومجعول لكلّ الناس، وينبغي أن يستفيد منه جميع طبقاتهم بمقدار قدراتهم وسعتهم؛ ولذلك كانت الدعوة إليها كثيرة في كتاب الله. وقد ذكرت تفاصيلها في الأحاديث بحدّ وافر، كما أنّ تصانيف علماء الشريعة في هذا القسم أكثر وأرقى من سائر الأقسام الأخرى.

ومن المواضيع الأخرى في القرآن الشريف أحوال المعاد وبراهين إثباته، ولكن ما كان أكثر نفعاً لعامّة الناس كان أكثر ذكراً وأشدّ صراحة، وما كان مفيداً لفئة خاصّة من الناس، فقد ذكر بطريق الرمز والإشارة... .

وقد ذكر في هذا القسم ـ أي: قسم تفصيل المعاد والرجوع إلى الله ـ معارف لا تحصى وأسرار صعبة مستصعبة لا يمكن الاطّلاع على كيفيّتها إلّا بالسلوك البرهاني أو النور العرفاني.

ومن المواضيع الأخرى في هذه الصحيفة الإلهيّة: كيفيّة الاحتجاجات والبراهين التي أقامتها الذات المقدّسة للحقّ تعالى لإثبات المطالب الحقّة والمعارف الإلهيّة، كالاحتجاج على إثبات الحقّ والتوحيد والتنزيه والعلم والقدرة وسائر الأوصاف الكمالية، وقد توجد في هذا القسم براهين دقيقة يستفيد أهل المعرفة منها... .

وقد توجد براهين يستفيد الحكماء والعلماء منها على نحو، ويستفيد أهل الظاهر وعامّة الناس منها على نحو آخر.[٣]

---

١. راجع: المصدر: ١٨٥.
٢. راجع: المصدر: ١٨٦ ـ ١٩٠.
٣. المصدر: ١٩٠ ـ ١٩١.

وبهذا تمّ بيان نظريّة الإمام الخميني رحمه الله بنحو مختصر في محتوى القرآن ومعارفه. وعليه فإنّه يمكن الإجابة على كثير من الأسئلة الجديدة حول فهم وتفسير النصّ الذي طرح في الهرمونطيقيا أو الكلام الجديد، وقد بيّن الإمام رحمه الله في تفسيره هدف القرآن ونوع معارفه واللغة الخاصّة لكلّ قسم من أقسامه بنحو نظري، وقد كان الإمام رحمه الله ببيانه هذا وفرزه لهذه المسائل أفضل العلماء العاملين في العالم الإسلامي.

٦. هدف القرآن أو معنى النصّ

إنّ مفهوم ومعنى القرآن وهدف صاحب هذا النصّ العظيم يتلخّص في كلمة واحدة ـ برأي الإمام رحمه الله ـ هي هداية الناس التي تعتبر هي الهدف الأساس في محاولة فهم القرآن وتفسيره، وقد أكّد الإمام رحمه الله وأصرّ على ذلك كثيراً، معتبراً أنه ـ وبدون أخذ هذه الجهة بنظر الاعتبار ـ يكون التفسير محدوداً، ولا اعتبار له، بل قد يتجه باتّجاه خاطئ، ومن هنا كأنّ الإمام رحمه الله قد خطّأ بعض مايتوقعه المفسّرون من نصوص الوحي غير الهداية والإرشاد، قال قدس سره:

> القرآن كتاب بناء الإنسان، لا كتاب في الطب أو الفلسفة، أو الفقه أو غيرها من سائر العلوم.[1]

والقرآن ليس تاريخاً، وإن كان قد ذكر كثيراً من القصص.[2]

والقرآن وإن كان إعجازاً فنيّاً ومعجزة بلاغية، ولكنّه ليس كتاباً في الأدب، يقول الإمام قدس سره:

> إنّ صاحب هذا الكتاب ليس هو السكّاكي أو الشيخ فيكون مقصده البلاغة والفصاحة، وليس هو سيبويهِ أو الخليل فتكون غايته النحو والصرف، وليس هو المسعودي وابن خلّكان ليبحث في تاريخ العالم.
>
> وإنّ هذا الكتاب ليس كعصا موسى عليه السلام ويده البيضاء، وليس كعيسى عليه السلام الذي يُحيي الموتى، فيكون قد جاء للإعجاز وإثبات نبوّة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، بل إنّ هذه الصحيفة الإلهيّة هي كتاب لإحياء القلوب بالحياة الأبديّة للعلم والمعارف الإلهيّة.
>
> هذا الكتاب هو كتاب الله تعالى، ويدعو إلى الشؤون الإلهيّة.[3]

وبملاحظة هذا المطلب يمكن توضيح ما هو المتوقّع من القرآن. فهو رحمه الله يعتقد بأنّ هذا

---

١. *صحيفة إمام*: ٨/٤٣٧ـ٤٣٨.

٢. راجع: المصدر: ١٧/٣٨١.

٣. *آداب الصلاة*: ١٩٤.

الكتاب هو كتاب بيان الشؤون الإلهيّة، وهذا هو أهمّ الأُسس، بل أساس محور معاني القرآن الكريم، وقال ﵀:

إنّ إحدى المقاصد المهمّة للقرآن هي الدعوة إلى معرفة الله تعالى وبيان المعارف الإلهيّة من الشؤون الذاتيّة والأسمائيّة، والصفاتيّة والأفعاليّة، وأكثر المقاصد أهمّية توحيد الذات والأسماء والأفعال التي ذكر بعضها صراحة، وذكر بعضها على نحو الإشارة.[1]

ووفقاً لنظرية الإمام الخميني ﵀ فإنّ القرآن الكريم ببيانه هذه المعارف يريد بناء الإنسان، وهدايته إلى الصراط المستقيم، قال ﵀:

إنّ القرآن الكريم ـ وكما ورد فيه التصريح بذلك ـ هو كتاب الهداية وهادي سلوك الإنسانيّة، ومربّي النفوس وشافي الأمراض القلبية، ومنير طريق السير إلى الله... .

لخلاص المسجونين في سجن الدنيا المظلم، وإطلاق سراح المغلولين بأغلال الآمال والأماني، وإخراجهم من حضيض النقص والضعف والحيوانيّة إلى قمّة الكمال والقوّة والإنسانيّة، والأخذ بيدهم من مجاورة الشيطان إلى مرافقة الملكوتيّين، بل للوصول بهم إلى مقام القرب ودرجة لقاء الله التي أهمّ مقاصد أهل الله ومطالبهم، والقرآن من هذه الجهة هو كتاب الدعوة إلى الحقّ والسعادة.[2]

وبهذه النظرة للمضمون القرآني يتّجه التفسير في الاتّجاه الصحيح، وعلى المفسّر ألّا يتحرّك إلّا في هذا الاتجاه، فلا يصحّ حصر التفسير في الأمور الأدبيّة والبلاغيّة، والصرفيّة والنحوية وطرق القراءة، أو استخراج المواضيع الطبية والفلسفيّة، أو إبراز الجانب الإعجازي للقرآن؛ لعدم كون ذلك تفسيراً حقيقيّاً، وإن كان لايخلو من فوائد. وممّا يؤسف له أنّ أكثر المفسّرين في الماضي والحاضر لم يلتفتوا إلى الأهداف الرئيسة للقرآن. يقول الإمام ﵀:

وبعقيدة الكاتب لم يُكتب إلى الآن تفسير لكتاب الله؛ لأنّ معنى التفسير بنحو كلّي هو أن يكون شارحاً لمقاصد الكتاب المفسَّر، ويكون مهتماً ببيان مقصود صاحب الكتاب. فهذا الكتاب الشريف ـ الذي هو بشهادة الله تعالى ـ كتاب هداية وتعليم ونور لطريق الإنسانيّة ، فعلى المفسِّر أن يُفهم المتعلّم في كلّ قصّة من قصصه، بل في كلّ آية من آياته، جهة الاهتداء إلى عالم الغيب وحيثيّة الهداية إلى طريق السعادة وسلوك طريق المعرفة والإنسانية.

---

١. المصدر: ١٨٥.

٢. المصدر: ١٨٤ ـ ١٨٥.

فالمفسِّر عندما يُفهمنا: المقصد من النزول يكون مفسِّراً، لا سبب النزول بالنحو المذكور في كتب التفاسير.[١]

وبهذه الطريقة يطرح لنا الإمام تعريفاً دقيقاً للتفسير، وهو الكشف عن المقصود والهدف الإلهي في إدراك المعارف الإلهيّة، وبالتالي هداية البشر.

٧. فهم الروايات والأحاديث

ومن النصوص الأُخرى التي وقعت محلّاً للتفسير: الأحاديث والروايات الصادرة عن الإمام المعصوم، وتتبع أهداف القرآن تماماً، حيث ورد كثير منها لتفهيم المعارف الإلهيّة والقرآنيّة ولهداية البشر، ولذلك يحظى التفسير. وفهم الروايات بأهمّية بالغة.

وهنالك مجموعة من النظريّات المسبقة في أُصول الفقه، والتي يمكن على أساسها فهم القرآن والسنّة من أجل استنباط الأحكام الشرعية، ومن أهم هذه القواعد المسبقة وأكثرها قبولاً في فهم لسان الروايات والقرآن من أي كلام آخر: بناء العقلاء والعرف. ومنها: أنّ المخاطب من قِبل القرآن والسنّة في الأحكام والمعارف هم جميع البشر، وليس مجموعة خاصّة منهم،[٢] خلافاً للميرزا القمّي صاحب *قوانين الأصول*، حيث يعتقد أنّ حجيّة الظواهر خاصّة بـ «من خوطب به»، لا عامّة الناس، فلا يعتبر التفسير وفهم الظواهر حجّة على الآخرين أيضاً.

وقد رفض الإمام الخمينيّ هذا الاستدلال صغرىً وكبرىً، أمّا الصغرى، فقد ردّها بقوله:

إنّ صغرى استدلاله ضعيف؛ لأنّ الأخبار الواصلة إلينا من النبيّ والأئمّة المعصومين هي تماماً كسائر الكتب المؤلّفة التي يعتبر المحقّق القمّي ظواهرها حجّة على الجميع، فإنّ الروايات وإن كان المخاطب فيها شخصاً خاصّاً، كزرارة، ومحمّد بن مسلم وأمثالهما، ولكن بما أنّ الأحكام مشتركة، وليس هدف الأئمّة إلّا نشر هذه الأحكام بين الناس، فإذاً لا بدّ أن يكون الخطاب الخاصّ كالخطاب العام يقصد منه نفس معنى الكلام، من غير دخل لتفهيم المتكلّم للمخاطب الخاصّ.[٣]

وأمّا الكبرى، فقد ردّها بقوله:

وكبرى استدلال المحقّق القمّي ضعيفة أيضاً؛ لأنّ بناء العقلاء هو العمل بالظواهر مطلقاً، إلّا مع وجود قرائن لدى المخاطب على رمزيّة الكلام وحذف القرائن الموضحة للمعنى. وإذا

---

١. المصدر: ١٩٢، ١٩٣.

٢. راجع: *تهذيب الأصول*: ٤١٣/٢.

٣. المصدر: ٤١٦.

كان مقصود المحقّق القمّي هو هذا، فما طرحه من تفصيل يكون صحيحاً وفي محلّه، ولكن إذا كان يقصد جميع الروايات وظواهر القرآن، فإنّ كلامه غير صحيح.[١]

وحينئذٍ إذا كانت هنالك شواهد كافية على الفهم الصحيح لمقصود صاحب الكتاب، فإنّ هذا الفهم سيكون معتبراً، وبتعبير علم الأصول سيكون حجّة.[٢]

الفصل الثالث: المفسِّر

نستعرض في هذا الفصل صفات مَن يتصدّى لتفسير القرآن الكريم وروايات المعصومين ﵈:

١. مَن هو المفسِّر؟

يُطلق المفسِّر على الشخص الذي يقوم بتفسير النصوص الدينيّة أو الأُمور الأُخرى، وأوّل شروطه وأهمّها فيما ينبغي أن تتوفر في المفسِّر برأي الإمام الخميني ﵀ هو: أن يكون ملتفتاً إلى مقاصد القرآن وأهدافه، لكي يستطيع أن يعكسها في تفسيره، ولئلّا تحلّ الأدوات التفسيريّة محلّ الأهداف التفسيريّة، ولا يكون المفسّر بعيداً عن أهداف القرآن، أو أن يبتعد عن إدراك أجواء الرسالة القرآنيّة، فلا يتقاعس عن متابعة ذلك ببركة القرآن.

وتنبع ضرورة هذا الشرط من أنّ فصل القرآن عن أجواء حركته وهدفيّته وفناء أهدافه الرئيسة، وحركته الثوريّة وأهمّيته ودوره الخلّاق يؤدّي إلى القضاء على حيويّته، كما يؤدّي إلى الإعراض عن الواقع القرآني والآفاق الحقيقيّة له.

فالمفسّر يكون مفسّراً عندما يُفهمنا المقصود من النزول، لا كما هو حال التفاسير الموجودة.[٣]

إنّ ابتعاد المفسِّر عن أهداف نزول القرآن يسبب الخطأ في كشف معانيه ودلالاته، فيكون مشمولاً لشكوى رسول الله ﷺ عندما قال بحرقة وألم ﴿يا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾،[٤] والمفسّرون وغير المفسّرين والعلماء والجهّال هم في هذا الأمر سواء. يقول الإمام الخميني ﵀ حول هذا الموضوع:

---

١. المصدر.

٢. *إمام خميني ﵀، تفسير وهرمنوتيك، پژوهش هاى قرآنى*: العدد ١٩ـ ٢٠.

٣. *آداب الصلاة*: ١٩٣.

٤. الفرقان: ٣٠.

إنّ لهجرة القرآن مراتب ومنازل لا تحصى، وربّما كنّا متّصفين بأشدّها.[١]

ويقول الإمام الخمينيّ رحمه الله معرباً عن أسفه للوضع المرزي للمسلمين اليوم، وعن المفسّرين وعلاقتهم غير الحميمة مع القرآن متحدّثاً:

أترى أنّنا إذا جلّدنا هذه الصحيفة الإلهيّة جلداً نظيفاً وقيّماً، وقبّلناها ووضعناها على أعيننا عند قراءتها أو عند الاستخارة بها، ما اتّخذناها مهجورةً؟ وإذا صرفنا أعمارنا في تجويدها وتعلّم جوانبها اللغويّة والبيانيّة والبديعيّة نكون قد أخرجنا هذه الصحيفة الشريفة عن المهجوريّة؟

وهل إذا تعلّمنا وجوه إعجاز القرآن وفنون محسّناته قد تخلّصنا عن شكوى رسول الله صلّى الله عليه وآله؟ هيهات، فإنّه ليس شيئاً من هذه الأمور مورداً لنظر القرآن ومنزّلها العظيم الشأن.[٢]

إنّ المشكلة الأساسية في تفسير القرآن وقراءة النصّ عند الإمام الخمينيّ رحمه الله هي عدم ملاحظة الطريقة أو بيان المقصود في التفاسير، مع أنّ الطريقة لوحدها هي التي توصل المفسّر إلى آفاق القرآن ومقاصده الكبرى، قال قدّس سرّه:

فالمفسّر الذي يغفل عن هذه الجهة أو يصرف عنها النظر أو لا يهتمّ بها فقد غفل عن مقصود القرآن الأصلي لإنزال الكتب وإرسال الرسل، وهذا هو أحد الأخطاء الذي حرم الأمة الإسلاميّة منذ قرون الاستفادة من القرآن الشريف، وسدّ طريق الهداية على الناس.[٣]

وعلى أساس هذه النظريّة يعتقد الإمام قدّس سرّه أنّه لم يُكتب إلى الآن تفسير شامل للقرآن، يقول رحمه الله:

وبعقيدة الكاتب، فإنّه لم يكتب إلى الآن تفسير لكتاب الله.[٤]

ويقول أيضاً في تأييد كلامه السابق:

وبالجملة، فإنّ معنى التفسير هو شرح مقاصد ذلك الكتاب، والنظر المهمّ فيه هو بيان مقصود صاحب الكتاب.[٥]

---

١. *آداب الصلاة*: ١٩٨.

٢. *آداب الصلاة*: ١٩٨.

٣. المصدر: ١٩٣.

٤. المصدر: ١٩٢.

٥. المصدر.

وقد أشار الإمام رحمه الله إلى المصاعب التي ذلّلها مفسّرو الشيعة والسنّة على طول التاريخ، وهذه هي طبيعة القرآن؛ البحر الذي لا ينفد ماؤه بكثرة الآخذين منه، والينابيع التي لم تنضب مياهها بزيادة المنتفعين منها، ويقول قدس سره في هذا المجال:

القرآن ليس كتاباً نستطيع نحن أو الآخرون كتابة تفسير جامع ومناسب له. وعلوم القرآن هي علوم أُخرى وراء ما نفهمه، فنحن لا نفهم سوى صورة واحدة، حجاباً واحداً من حجب كتاب الله.[1]

ولكن هذه المسألة لا تبرر غفلة المفسّرين عن مقاصد وأهداف القرآن، أُولئك الذين لاحظوا فقط الأهداف الأدبيّة والبلاغيّة، أو النحويّة والصرفيّة، أو القصص التاريخيّة، قال قدس سره:

إنّ صاحب هذا الكتاب ليس هو السكّاكي والشيخ ليكون مقصوده جوانب البلاغة والفصاحة، وليس هو سيبويهِ والخليل ليكون منظوره جوانب النحو والصرف، وليس هو المسعودي وابن خلّكان ليبحث في تاريخ العالم.[2]

٢. عدم اكتفاء المفسّر بظواهر القرآن

ومن الأضرار الأُخرى للمفسّرين هو جمودهم على ظواهر القرآن، وغفلتهم عن بواطنه، وقد حصل ذلك كلّه في كتاب اتّصف بالأبديّة في سعة معارفه، وحيّرت عمق معارفه العقول. فالقرآن مائدة إلهيّة ينبغي أن يأخذ كلّ منها زاداً لسفره بقدر سعته وقابليته. فربّما فهم أحد من عوامّ الناس من آية من القرآن شيئاً، وفهم منها العارفون بالعلوم والفلسفة شيئاً آخر أعمق، وفهم منها المفكّرون المتعمّقون وروّاد الفلسفة شيئاً آخر أكثر عمقاً، لكنّ إدراك عرفاء المعرفة الإلهيّة أعمق من الجميع.

وقد التفت الإمام الخميني رحمه الله إلى منازل ومراحل القرآن وظواهره وبواطنه، واعتبر عدم ملاحظة هذه الأبعاد مانعاً من الفهم الصحيح والكامل للقرآن، ووصف الجمود على ظواهر القرآن عملاً شيطانيّاً، قال قدس سره:

إنّ أوّل من وقف على الظاهر وعمى قلبه عن حظّ الباطن هو الشيطان اللعين، حيث نظر إلى ظاهر آدم عليه السلام فاشتبه عليه الأمر، وقال: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾، وأنا خير منه؛ لأنّ النار أفضل من الطين.[3]

---

١. *تفسير سوره حمد*: ٩٥.

٢. *آداب الصلاة*: ١٩٤.

٣. *شرح دعاء السحر*: ٩٥.

٣. أوصاف المفسّر في فهم القرآن

لمّا كان فهم القرآن الكريم ممكناً، فما هي الشروط والخصائص التي ينبغي أن تتوفّر في المفسِّر؟ ويمكن تلخيص آراء الإمام في الإجابة عن هذين السؤالين في النقاط التالية:

أ) اللجوء إلى الله تعالى من شرّ الشيطان.

ب) اقتران التقوى وطهارة القلب بالذوق العرفاني.

ج) خلوص النيّة، ولها دور فعّال في التأثير على النفوس، وبدونها لا قيمة لأيّ عمل، بل بدون النيّة الخالصة يضيع العمل ويستتبعه السخط الإلهي.

د) تعلّم اللغة العربيّة وآدابها بحدود فهم المعنى القرآني، ويكفي الفهم المتعارف لإدراك الآيات القرآنيّة المحكمة.

هـ) الاستفادة من العلوم اللّازمة كمقدّمة لفهم المعارف العلميّة والاستدلّالات القرآنيّة القصيرة، ولكن العميقة.

و) التفكّر والتأمّل في معاني الآيات الشريفة، وكيفيّة الخروج من الظلمات إلى النور في ظلّ آيات الله بالاستعانة بكلمات النبيّ وأهل بيته التي هي من الآداب والشروط الأُخرى، بل هي من أعظم الآداب التي حثّت عليها الشريعة المطهّرة.

ز) مشاهدة عالم الشهود، ولها درجات مختلفة، ولا تتيسّر المشاهدة بالتمام إلّا لقلب الإنسان الكامل، وهو خاتم الأنبياء وسيّد الأوصياء علي بن أبي طالب. ـ وطبعاً ـ فإنّ الفهم الكامل لظاهر القرآن وباطنه خاصّ بـ «مَن خوطب به».

٤. المفسّر والغرور العلمي

يعدّ الغرور هو من الموانع والحجب الكبرى في فهم القرآن، وبسببه يرى الإنسان نفسه مستغنياً عن إرشادات القرآن، والإحساس بهذا الاستغناء عن الاستفادة من مائدة النعمة الإلهيّة هذه ـ في رأي الإمام الخمينيّ ـ سببه أنّ الشيطان يوهم الإنسان، بأنّه صاحب كمالات ويجعله راضياً، وقانعاً بما هو عليه ويزيح من أمام ناظريه الكمالات والمقامات الواقعية، فمثلاً يجعل القرّاء المجوّدين مسرورين بعلم التجويد، ويحقّر العلوم الأُخرى في نظرهم.[1]

---

١. راجع: *آداب الصلاة*: ١٩٥.

٥. الذنوب والمعاصي وانحراف المفسّر

ومن الحجب الأُخرى التي تمنع من فهم القرآن الشريف والاستفادة من معارفه ومواعظه عند المفسّر، في رأي الإمام الخمينيرحمه الله هي المعاصي والكدورات والظلمات الحاصلة من طغيان وعصيان العبد لربّ العالمين.[١]

٦. منع الفرضيات المسبقة غير الثابتة للمفسّر في ظاهرة التفسير

ومن الأضرار الجادّة للمفسّرين في شأن التفسير البقاء في حجاب النظريات المسبقة والاعتقادات المترسبة في أذهانهم من السابق، وبدلاً من السعي لفهم القرآن عند التعامل معه ترى البعض يفسّر القرآن بنحو ينسجم مع عقائده التي آمن بها سابقاً، ويتلاءم مع ما توهّمه سالفاً.

وليس هنا الكلام في مطلق النظريّات السابقة أو النظريات المأخوذة من نفس القرآن أو النظريات المسبقة الخارجية، والبحث في صحّتها وعدمه؛ لأنّ كلّ مفسِّر يعتمد في فهم القرآن على سلسلة من المبادئ العقليّة ومجموعة من النظريات المسبقة المستنبطة من نفس القرآن.[٢]

ويعتقد الإمامرحمه الله أنّ من شروط الفهم الصحيح للقرآن هو لزوم كشف المقصود الأساسي لمعارف القرآن بعنوان النظرية المسبقة المستنبطة من القرآن نفسه، كما أنّ الاستفادة من النظريات الهادفة إلى الفهم الصحيح للقرآن تختلف اختلافاً كبيراً عن تحميل القرآن عقائدنا وأفكارنا وتفسيره بها.

قال الإمامرحمه الله في عدّ الحجب المانعة من فهم القرآن:

> ومن الحجب الأُخرى حجاب الآراء الفاسدة والمسالك والمذاهب الباطلة، وقد يكون هذا ناشئاً من سوء استعداد الشخص، والأغلب أنّه يوجد من التبعية والتقليد.
>
> وهذا من الحجب التي حجبتنا بالأخصّ عن معارف القرآن، فإذا وردت آلاف الآيات والروايات التي تخالف تلك العقيدة، فإمّا أن نصرفها عن ظاهرها أو لا ننظر إليها نظرة متفهم.[٣]

وقد ذكر الإمامرحمه الله أمثلة من الاعتقادات المشهورة بين عوامّ الناس التي تسدّ الطريق أمام

---

١. راجع: المصدر: ٢٠١.

٢. راجع: مقالة الفرضيات المسبقة للعلّامة الطباطبائي في الميزان، پژوهشهاى قرآنى: العدد ٩ و١٠.

٣. *آداب الصلاة*: ١٩٦ ـ ١٩٧.

الفهم الصحيح لمعارف القرآن، وكم هو محزن ومؤسف أن يمنع من دخول باب معرفة الله ومشاهدة جماله بذريعة حرمة الولوج في باب التفكّر في ذات الله ومقايسته به.[١]

٧. غاية المفسّر هو مقصود صاحب الكتاب

إنّ عدم الالتفات إلى مقصود صاحب الكتاب هو أخوف وادٍ يمكن أن يهوى فيه المفسّر، يقول الإمامرحمه الله في هذا المورد:

> المفسّر الذي يغفل عن هذه الجهة أو يصرف عنها النظر، أو لا يهتمّ بها، فقد غفل عن مقصود القرآن والمنظور الأصلي لإنزال الكتب وإرسال الرسل. وهذا هو الخطأ الذي حرم الأمة الإسلاميّة منذ قرون من الاستفادة من القرآن الشريف، وسدّ طريق الهداية أمام الناس.[٢]

إنّ التفاسير التي اهتمّت بالأُمور الجانبيّة والجهات الأدبيّة، كالنحو والصرف والبلاغة واللغة، أو التي اهتمت بالأُمور التاريخيّة والقصص القرآنيّة، أو غير ذلك من أُمور، لا يصحّ اعتبارها تفسيراً بالمعنى الواقعي للكلمة.

> أي واحدٍ منها ليس داخلاً في مقاصد القرآن، وبعيدة بمراحل عن المراد الأصلي للكتاب الإلهي.[٣]

إنّ مقصد الكتاب الإلهي هو الهداية، ولكنّ أغلب المفسّرين قد غفلوا عن البُعد الهدايتي للقرآن في تفاسيرهم، ومن هنا عرّف الإمامرحمه الله المفسّر الواقعي بأنّه: من عيّن غاية القرآن وبيّنها.

٨. بناء التقييم على أساس تفسيق وتكفير الآخرين

إنّ أشدّ الفجائع المؤلمة في تاريخ علم التفسير هي أنّ أصحاب كلّ منهج تفسيري يفسّقون ويكفّرون أصحاب المنهج التفسيري الآخر، ويتصورون بأنّ القرآن لا يمكن تفسيره إلّا في حدود البُعد الذي فسّروا به القرآن، وأنّ تفسيره في أيّ بُعد آخر هو كفر وفسوق. وليس هنالك أيّ شكّ في أنّ بعض غير المسلمين أرادوا استغلال القرآن لأغراض سيئة، وهو لايهمنا بقدر ما تهمنا التفاسير التي كتبها مفسّرون يعتقدون بأُصول الإسلام، يقول الإمامقدس سره:

---

١. راجع: *آداب الصلاة*: ١٩٧.

٢. المصدر: ١٩٣.

٣. المصدر: ١٩٢.

فمنهم من يحكم على الآخرين بالإلحاد أو التكفير، ومنهم من يحكم بالانحراف عن الصواب، وكلاهما خلاف الواقع.[١]

إنّ ضيق النظر هذا علامة التحجّر دونما ريب، وقد جلب لنا مصائب كبيرة، ولم يكن الإمام‏رحمه‌الله في مأمن من مثل هذه اللسعات من هؤلاء المتحجرين، فكان بعض هؤلاء لا يشربون الماء من الإناء الذي كان يشرب منه نجل الإمام‏رحمه‌الله السيّد مصطفى حينما كان طفلاً؛ لأنّ والده كان يدرّس الفلسفة.[٢]

٩. التفسير غير المستند إلى العلم

تصدّى بعض السذّج في الماضي أو أصحاب الذهنيّات القديمة إلى تفسير القرآن من غير اطلاع كافٍ على معارف القرآن، ولذا حذّر الإمام‏رحمه‌الله هؤلاء، قائلاً:

لا ينبغي أن يفسّر القرآن أشخاص ليس لديهم مستوى علمي كافٍ، كالشباب الذين لا اطّلاع لديهم في مسائل التفسير والمسائل الإسلاميّة، أو مَن ليس له معرفة بالإسلام، وإذا كان مثل هؤلاء قد فعلوا ذلك لغايات معيّنة، فلا ينبغي لشبابنا الاهتمام بهم والأخذ بتفاسيرهم.[٣]

النتيجة

لقد اتّضح من الآراء التفسيريّة للإمام الخميني‏رحمه‌الله أنّ غاية التفسير هو بيان المراد الإلهي المتمثّل بهداية الناس، لا سبب النزول أو شيئاً آخر، وبالجملة فإنّ معنى:

التفسير هو: شرح مقاصد ذلك الكتاب، والنظر المهمّ فيه هو بيان مقصود صاحب الكتاب.[٤]

والمفسّر الذي لا يراعي في تفسيره ذلك، فلا يعدّ عمله تفسيراً واقعياً؛ لأنّ المفسّر هو من يحاول تفهيمنا المقصود من النزول، لا أن يذكر سبب النزول، كما هو مسطور في كتب التفسير.[٥]

من وجهة نظر الإمام الخميني‏رحمه‌الله ـ مع الالتفات إلى أنّ القرآن كتاب هداية للناس جميعاً

---

١. *صحيفة إمام*: ٢٢١/٣.

٢. *پژوهشهای قرآنی*: العدد ١٩ و٢٠.

٣. *تفسير سوره حمد*: ٩٥ ـ ٩٦.

٤. *آداب الصلاة*: ١٩٢.

٥. المصدر: ١٩٣.

ـ أنّ كلّ شخص يستطيع أن يستفيد من القرآن بقدر وسعه واستعداده، وأنّ الغاية من نزول هذا الكتاب المقدّس وبعثة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله هي أن يكون هذا الكتاب في متناول الجميع ليستفيد منه كلّ بقدر قابليته.[1]

والتفسير الصحيح في رأي الإمام رحمه الله هو ما كان شاملاً لجميع الجوانب، وينظر للمسائل نظرة تحليليّة واقعية. فقد انتقد رحمه الله بشدّة المفسّرين الذين اقتصروا في استفادتهم من القرآن على ضبط القراءات وجمع اختلافاتها ومعاني الألفاظ وتصاريف الكلمات والمحسّنات اللفظيّة والمعنويّة ووجوه إعجاز القرآن والمعاني العرفيّة، وغفلوا عن جوانبه الروحيّة ومعارفه الإلهيّة.[2]

فالمفسّر الواقعي برأيه هو: من يُفهِم مقصد نزول القرآن، لا سبب نزوله.[3]

يرى الإمام أنّ التفسير يشمل: الفلسفة والعرفان، والاجتماع والسياسة، والحكومة والعبادة، والهداية وغيرها. وقد انتقد بشدّة التفسير ذا البُعد الواحد، فهو يعتبر القرآن كتاباً شاملاً وكاملاً وخالداً. ويقول رحمه الله في هذا:

> سوف لا ينزّل من عالم الغيب إلى عالم الطبيعة علماً أعلى من القرآن أو شبيهاً به، أي: أنّ آخر ما وصل إليه الكمال العلمي في الشريعة هو هذا الكتاب، ولا يمكن نزول ما هو أعلى منه في عالم الملك.[4]

وعليه، فالإمام قدس سره كان مخالفاً للتفسير ذي البُعد الواحد، ويعتقد أنّ محتوى القرآن هو الدعوة إلى تزكية النفس، قال رحمه الله:

> يدعو القرآن إلى تهذيب النفوس وتطهير البواطن من أرجاس الطبيعة وتحصيل السعادة، وبالجملة أنّه يدعو إلى كيفيّة السير والسلوك إلى الله.[5]

فهو رحمه الله يعتقد أنّ المفسّر ينبغي أنّ يكون مهذّباً، وأن يكون مطّلعاً على الفنون العلميّة للتفسير، لكي يستطيع أن يكتب تفسيراً مناسباً للقرآن الكريم.

وبذكر هذه النتيجة ننتهي من بحث آراء الإمام الخمينيّ رحمه الله في تفسير القرآن، على أمل انتشار القرآن والإسلام المحمّدي في أرجاء المعمورة.

---

١. راجع: *صحيفة إمام*: ٣٨٧/١٤.

٢. راجع: *آداب الصلاة*: ١٧١؛ ولمزيد الاطّلاع راجع: *شرح حديث جنود عقل وجهل*: ١١.

٣. راجع: *آداب الصلاة*: ١٩٣.

٤. المصدر: ٣٠٩.

٥. المصدر: ١٨٦.

المصادر

القرآن الكريم.

١. *آداب الصلاة*، الإمام الخميني ﵀، مؤسّسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني ﵀، طهران، ١٣٧٨ش.

٢. *بحار الأنوار*، محمّد باقر المجلسي، مؤسّسة الوفاء، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٣. *البرهان في تفسير القرآن*، سيّد هاشم الحسيني البحراني، مؤسّسة البعثة، بيروت، ١٤١٩هـ.

٤. *پژوهش درباره قرآن*، بهاء الدين الخرمشاهي.

٥. *تاريخ جمع القرآن*، الجلالي النائيني.

٦. *تفسير العياشي*، محمّد العياشي، المكتبة العلميّة الإسلاميّة، طهران.

٧. *تفسير سوره حمد*، الإمام الخميني، مؤسسة تنظيم ونشر آثار إمام خميني، طهران، ١٣٨١ش.

٨ *تهذيب الأصول*، جعفر السبحاني، مؤسّسة تنظيم ونشر آثار إمام خميني، طهران، ١٣٦٨ش.

٩. *الجامع لأحكام القرآن*، محمّد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٠٥هـ.

١٠. *الحياة*، محمّد رضا الحكيمي، دفتر نشر فرهنگ اسلامي، ١٣٧٦ش.

١١. *شرح چهل حديث*، الإمام الخميني ﵀، مؤسّسة تنظيم ونشر آثار إمام خميني ﵀، طهران، ١٣٨١ش.

١٢. *شرح حديث جنود عقل وجهل*، الإمام الخميني ﵀، مؤسّسة تنظيم ونشر آثار إمام خميني، طهران، ١٣٨٠ش.

١٣. *شرح دعاء السحر*، الإمام الخميني ﵀، مؤسّسة تنظيم ونشر آثار امام خميني ﵀، طهران، ١٣٨٤ش.

١٤. *شناخت قرآن*، علي الكمالي الدزفولي، انتشارات اسوه، ١٣٧٠ش.

١٥. *صحيفه امام*، الإمام الخميني ﵀، مؤسّسة تنظيم ونشر آثار امام خميني ﵀، طهران، ١٣٧٨ش.

١٦. *علم هرمنوتيك*، محمّدرضا ريخته گران.

١٧. *فرهنگ فارسي*، محمّد معين، سپهر، طهران، ١٣٧١ش.

١٨. *فرهنگ فشرده انگليسي به فارسي*، عباس ومنوچهر آريان پور، أمير كبير، طهران، ١٣٦٣ش.

١٩. *الكافي*، محمّد بن يعقوب الكليني، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، ١٣٨٠ش.

٢٠. *كشف اسرار*، الإمام الخميني ﵀ انتشارات مصطفوي.

٢١. *لسان العرب*، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.

٢٢. *المحجّة البيضاء*، محسن الفيض الكاشاني، انتشارات إسلامي، قم، ١٣٦٨ش.

٢٣. *المناهل*، السيّد محمّد الطباطبائي، مؤسّسة آل البيت، مطبعة نمونه، بدون تاريخ.

٢٤. *هرمنوتيك ودرام مدرن*، محسن معيني، باشگاه انديشه، ١٣٨٣ش.

٢٥. *ولاية فقيه*، الإمام الخميني ﵀، مؤسّسة تنظيم ونشر آثار إمام خميني، ١٣٨١ش.

26. Palmer Richard E, Hermeneutices, North Westerm university, 1969, P12-13.

27. Rutledge Encyclopedia of Philosophy Ed by Edward craib volume 4, 1998, P3850.

مباني فهم القرآن عند الإمام الخميني ﵀

أحمد سعادت

الخلاصة

إنّ القرآن في منظور الإمام الخميني ﵀ هو سرّ ونور وحقيقة وراء هذه الألفاظ، ولكن معرفة هذه الحقيقة السامية ليست ميسّرة لكلّ أحدٍ. وقد تنزّلت بلطف الله تعالى إلى عدّة درجات، فجاءت بقالب الألفاظ. وقد بُيّنت الحقائق والمعارف في هذا القرآن المتنزّل بنحو يفهمه عامّة الناس، ويتأمّل في عمق معانيه العلماء. ولهذا تقسّم معارف القرآن إلى قسمين: علميّة وعمليّة.

وقد بيّنت الآيات المحكمة بألفاظها الصريحة والعرفيّة المعارف العملية، بينما أشارت الآيات المتشابهة بألفاظها الرمزيّة إلى الحقائق العلميّة؛ لأنّه لا ضرورة لعرض المعارف والحقائق العلميّة في مستوى فهم عامّة الناس، بل إنّه أمر غير ممكن. وينبغي الالتفات إلى غاية الوحي والخالق المتعال لفهم حقيقة القرآن ومعاني الكلام الإلهي، فإنّه من غير إدراك المقاصد الإلهيّة من إرسال وإنزال الكتاب سيتعثر حظّنا في معرفته؛ ولكن هل بالإمكان إدراك حقيقة الكتاب الإلهي وفهمه؟

نعم، يمكن الحصول على المعنى النهائي لهذا الكتاب يقيناً، ولكن ذلك مرتبط بالدرجة والمستوى الوجودي والفكري للقارئ، فيراوح بعضهم عند المستوى الظاهري، ويتوقّف آخرون عند معارفه العمليّة، ويخرق بعضهم حجبه ليصل إلى عمق الحقائق العلميّة، وينال

أعلى معانيه وبطونه. وينبغي الالتفات إلى أنّ القرآن نور لا تتجلّى حقائقه إلّا لقلب طاهر وباطن نظيف؛ ولذلك يجب السعي لإزالة الموانع التي تحجب فهم القرآن، ومن هذه الموانع: الذنوب، والغرور، وحجاب الاصطلاحات، وتقليد الآخرين.

مفاتيح الاصطلاحات: الإمام الخمينيرحمه الله، النصّ (القرآن) والفهم، واللغة الدين، ولغة القرآن، والرمزية، والتفات المؤلِّف، والمعنى النهائي للنصّ.

المقدّمة

اتّخذ فهم القرآن وتفهيمه بين النبيّصلى الله عليه وآله ومخاطبيه في عصر الرسول الأكرمصلى الله عليه وآله شكلاً سهلاً، واكتُفي فيه بمجرّد تلاوة آياته من النبيّ وإعادة تلاوتها من مخاطبيه، ولم تبذل جهود أُخرى لتفهيمه، فقد حرّرته من التعقيد وحدة اللغة، والزمان والمكان، والثقافة وغيرها، ولكن ازداد ميزان فهم القرآن تعقيداً والحصول على حقيقة الرسالة الإلهيّة غموضاً كلّما ابتعدنا عن عصر النبوّة، وكلّما اتّسعت الرقعة الجغرافيّة للبلاد الإسلاميّة. وأفضل الشواهد على هذا المدّعى وجود الفرق الفكريّة وتأسيس المدارس والمناهج الكلاميّة والفقهيّة والتفسيريّة وغيرها التي تطوّرت بشكل غير متناسب في تاريخ الإسلام، وحيث استند الجميع في نظريّاتهم إلى القرآن.

وقد دعت هذه الاختلافات الباحثين والمحقّقين في شؤون القرآن والإسلام إلى الالتفات إلى أنّ فهم القرآن بحاجة إلى مبادئ ومباني معيّنة لا يتيسر فهمه من دونها، ولا يمكن إدراك فهم القرآن بالشكل الصحيح والمناسب بمعزل عنها، وقد طرحت هذه المبادئ في السابق بنحوٍ يختلف عمّا هي عليه في الوقت الحاضر. فقد كانت المسائل المطروحة على الباحثين في شؤون القرآن آنذاك هي في معرفة الناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، والعامّ والخاصّ، والمطلق والمقيّد، والتأويل والتفسير، وشأن النزول، وتدوين القرآن، وأنواع القراءات، وترتيب الآيات وغير ذلك من البحوث. وأمّا اليوم، فقد طرحت مسائل جديدة نتيجة الصراع بين والثقافة المعاصرة وفلسفات اللغة والهرمونطيقيا، وظهرت أجوبة جديدة. وقد أخذ الباحثون الإسلاميّون هذه المسائل المعاصرة بجدّية، وفكّروا بأجوبة أسئلة جديدة تختلف عمّا طرح في المراحل التاريخيّة السابقة، لم تطرح سابقاً أصلاً أو لم توجد ـ على الأقلّ ـ بالشكل الذي هي عليه اليوم.

ونشير هنا إلى بعض هذه المواضيع التي أطلق عليها مباني فهم القرآن :

لغة الدين

الخطوة الأولى في بحوث علم لغة النصوص الدينيّة هي عبارة عن حقيقة لغة الدين، هل النصوص الدينيّة هي كالكتاب الفلسفي أو الكتاب الأخلاقي، أو الكتاب العلمي أو غيره؟ وهل يختلف عنها جميعاً؟ هل لغة الدين هي لغة فلسفية أو عرفانيّة أو أخلاقيّة أو فقهيّة أو قصصيّة؟ هل يمكن مطالعة الكتب الدينيّة، وفهمها كما تطالع الكتب العادية على أساس الذهنيّات والملاكات العاديّة؟ وهل يمكن بحث محتواها وموضوعاتها وتشخيص أهدافها ونقدها وفقاً للمعايير الإنسانيّة؟ أو لهذه الكتب لغة خاصّة لا يمكن فهمها على أساس المعايير الإنسانيّة؟

لقد وقع هذا الموضوع في الغرب قبل مئتي سنة فريسة لمعارك الآراء، عرض خلالها العلماء نظريّات متضاربة. وأهمّ نظريّات علماء الغرب في باب الظواهر الميتافيزيقية (ما وراء الطبيعة)، ومنها الظواهر الدينية، هي:

١. النظرية الوضعية التجريبية

إنّ أهمّ أُصول التجريبيّين هو أصل التحقيق التجريبي،[1] فإنّ كلّ ظاهرة غير خاضعة للتجربة لا معنى لها.

ويعتقد هؤلاء أنّ الظواهر الميتافيزيقيّة ومنها الظواهر الدينيّة هي بلا معنى؛ لأنّها لا تخضع للتجربة وهي خارجة عن الحس. وللوضعية أصل في علم المعرفة التجريبي ويعتبرها من الظواهر ذات المعنى؛ لأنّه يمكن إثباتها عن طريق التجربة والحس.

والتجريبيون هم ابتداءً من بيكن ١٥٦١ـ١٦٢٦م ومروراً بـ جان لاك، وباركلي، وهيوم، ثُمّ اتّصلت بأصحاب حلقة فينّا، عن طريق برتراند راسل وويتغنشتاين، حيث أسّس هؤلاء البرجماتية سنة ١٩٠٧م.

ولكن واجهت هذه النظريّة إشكالاً واعتراضاً في أصل قبول التجربة من قبل ويرانع Self Reference، وعلى أساس ملاكات هذه النظريّة فإنّه لا يمكن حتّى للعلم أن يكون ذا معنى؛ لأنّ بعض النظريّات العلميّة، كالنظريّات الموجية، وذرات النور غير خاضعة للتجربة. وقد أسقط هذان الإشكالان والإشكالات الأُخرى هذه النظريّة عن الاعتبار تماماً.[2]

1.The Principal of verfyality.

٢. راجع: *علم ودين*: ٢٧٨ ـ ٢٧٩؛ *زبان دين*: ٨٩ـ٩٠؛ كيهان انديشه: العدد ٩٣/٣٤.

فبدّل فلو Flew أصل قبول التجربة إلى أصل قبول الإبطال. ويرى بازيل ميتشل وجون هيك قبول الظواهر الدينيّة للإثبات أو الإبطال، إمّا مع فرض لزوم قبول التجربة أو قبول الإبطال. وقد اعتبر ميتشل تزلزل إيمان المؤمن في موارد الشكّ نقضاً للظواهر الدينيّة وإبطالاً لها في الواقع، ويرى جون هيك قبول الظواهر الدينيّة للإثبات أو الإبطال وأنّه يكون بعد الموت.

٢. النظرية المثالية للظواهر الدينيّة

لقد طرح هذه النظريّة أوّلاً توما الإكويني في القرون الوسطى، فهو يرى وجود ألفاظ مشتركة بين الخالق والمخلوق، مثل: عادل، خير، وغيرهما، حيث تطلق على الله تعالى وعلى الإنسان. ولكن ليس بمعنى واحد تماماً (المشترك المعنوي)، وليس بمعنى مختلف مئة بالمئة (المشترك اللفظي)، بل تستعمل على نحو المثال ـ أي: أنّ هنالك ارتباط وتشابه بين الأوصاف الإلهيّة والأوصاف البشريّة ـ مع وجود اختلاف بينها أيضاً.[١]

وقد ظهرت هذه النظريّة فراراً من التعطيل والتجسيد، ولكن بشكل مبهم وغير واضح. وقد سعى مفسّرو هذه النظريّة توجيهها بنحو النظام التحليلي، فأضافوا إليها قواعداً، فقسّموها إلى المثال التنازلي والارتقائي أو المثال المبني على النسبة الصحيحة، في محاولة للفرار من الإشكالات وعرض هذه النظريّة بنحو أكثر توجيهاً، والدخول في هذه المباحث يُخرجنا عن أهداف هذا البحث.

٣. النظرية الرمزية للظواهر الدينيّة

لغة الدين طبقاً لهذه النظريّة خالية من المعنى العرفي، وتشير إلى واقعيّات أعلى من الفهم العرفي والعادي.

٤. نظريّة الأسطورة النافعة[٢]

لقد طرحت نظريّات التحليل اللغوي من قِبل الفلاسفة المتأخّرين، الذين حلّلوا اللغة الدينيّة بشكل تطبيقي غالباً، وسعوا إلى الإتيان بفائدة كحدّ أدنى للغة الدين، فذهب بريث ويت[٣] إلى أنّ

---

١. *فلسفة دين*: ١٩٩؛ *عقل واعتقاد ديني*: ٢٥٦.

2 .Usefull methes
3 .R.B.Braith Waite

عمل اللغة الدينيّة يشبه عمل التعاليم الأخلاقيّة، واعتبرها أُسطورة نافعة ترغّب الإنسان بنوعٍ من الحياة الأخلاقيّة، وأنّ الكتب الدينيّة هي ككتب الأساطير والقصص التعليميّة.

٥. نظريّة الكلام الهامشي

اللغة الدينيّة في رأي فون بورن هي ما كانت في هامش الكلام، بخلاف اللغة الدنيويّة والماديّة للحياة، فإنّها لغة صريحة وواضحة، ولا تكون منشأً لسوء التفاهم، بينما اللغة الدينيّة بصدد بيان أُمور غير قابلة للبيان باللغة العرفيّة، فاللغة الدينيّة هي بيان لنحوٍ خاصّ من الحياة الفاضلة.

٦. نظريّة اللعبة اللغويّة

وهي لويتغنشتاين في فلسفته الثانية التي أفاد فيها بأنّ الظواهر الدينيّة هي إحدى اللعب اللغويّة، ولها شباهة مع اللعب اللغوية الأُخرى لكونها من سنخ واحد، وليس لها أيّ خصلة مشتركة أُخرى معها.

وبعد هذا العرض الإجمالي للنظريّات المهمّة في لغة الدين، نصل إلى لغة القرآن، ولكن وقبل استعراض هذه المسألة نرى من الضروري بيان مقدّمة تتعلّق بحقيقة القرآن.

حقيقة القرآن

تبحث النصوص المقدّسة في علم لغة النصوص الدينيّة قبل بحثها في اللغة، ونحن نبيّن حقيقة القرآن في منظور الإمام الخميني عند الإجابة على سؤال: ما هو القرآن؟

إنّ القرآن في كلمات الإمام الخميني من حيث الجانب العرفاني هو من الشؤون الذاتيّة والحقائق العلميّة لساحة الواحديّة، وفي الواقع هو: الكلام النفسي.

ولا يتأتّى فهم هذه الحقيقة بأيّ من طرق المعرفة التجريبيّة والعلميّة، العقلائيّة والقلبيّة، والباطنيّة، إلّا بواسطة المكاشفة التامّة الإلهيّة، وهي لا تحصل إلّا لخاتم الأنبياء في محفل أنس ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾، أو في خلوة سر مقام ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾ والخلّص من أولياء الله الذين اشتركوا في روحانيّة تلك الذات المقدّسة بحسب الأنوار المعنويّة والحقائق الإلهيّة، وفنوا بواسطة تبعيّتهم التامّة فيه، وتنعكس حقيقة القرآن في قلوبهم بنفس النورانيّة والكمال التي تجلّت

لقلبه المبارك من دون التنزّل إلى المنازل، والتطوّر بالأطوار، ولا يمكن لأحد تحمّله إلّا الوجود الشريف للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وولي الله المطلق علي بن أبي طالب عليه السلام.[١]

وعلى فرض إدراك حقيقة القرآن بواسطة النبيّ صلى الله عليه وآله والأولياء الإلهيّين، فإنّه يأتي السؤال يمكن الاستفادة من القرآن؟ ويمكن الإجابة على ذلك بأنّ فهم حقيقة القرآن خارجة عن حدود الإدراك والفهم البشري العادي؛[٢] وذلك لأنّه:

سرّ، وسرّ السرّ، والسرّ المستسر بالسرّ، وسرّ مقنّع بالسرّ، ويجب أن يتنزّل، يأتي إلى الأسفل حتّى يصل إلى مراتب نازلة.[٣]

ويؤكّد الإمام الخمينيّ أنّ حقيقة القرآن هي:

القرآن ـ الذي هو ليس من مقولة السمع والبصر، وليس من مقولة الألفاظ، وليس من مقولة الأعراض ـ قد تنزّل.[٤]

ولكن هذه المسألة ليست بمعنى أنّنا لا نستطيع الاستفادة مطلقاً من القرآن الموجود والمكتوب، وأنّنا لا نستطيع إدراك هذا القرآن الملفوظ، لقد تنزلت حقيقة القرآن من منزل إلى منزل إلى أن وصل إلى قلب الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، ثُمّ جُعل لنا بصورة الألفاظ، ومن هذا الكتاب المقدّس المتنزل يستفيد الجميع كلّ بقدر سعته الوجوديّة والفكرية.[٥]

إنّ الغاية من نزول القرآن هو أن يكون هذا الكتاب الإلهي متداولاً بين الناس، والمغزى من تداوله هو استفادة الناس منه استفادة معنويّة، وفي الواقع فإنّ القرآن هو كتاب القانون الإلهي وهادي البشر في حركتهم في السير من الله وإلى الله، وهو الهادي الذي يأخذ بيد الإنسان ويرفعه من حضيض النقص والضعف والحيوانيّة إلى قمّة الكمال والإنسانيّة والمعنويّة.[٦]

وتحقّق جميع هذه الموارد يتأتى في ظلّ افتراض إدراكنا وفهمنا لمحتوى هذا الكتاب، وبعد معرفته الكاملة علينا أن نلتزم بالعمل بتعاليمه.

ولاتتحقّق هذه الغاية إلّا إذا نظرنا إلى القرآن باعتباره كتاباً معرفيّاً في حدود الفهم البشري وإدراكه، والتأمّل والتفكير بمحتوياته ومضامينه، وعلى حدّ تعبير الإمام:

---

١. راجع: *آداب الصلاة*: ١٨١.

٢. راجع: *صحيفة إمام*: ٢٨٥/١٩؛ *آداب الصلاة*: ١٨٢ـ١٨٤.

٣. *تفسير سوره حمد*: ١٦٥.

٤. المصدر: ١٣٩. ١٤٠.

٥. راجع: *صحيفة إمام*: ٣٨٧/١٤.

٦. راجع: *آداب الصلاة*: ١٨٤.

إنّ سبل السلامة وطريق الهداية موجودة في هذا الكتاب، ويجب استخراجها منه بالتفكير.[١]

وقد انتقد الإمام بشدّة أُولئك القائلين بإبعاد هذا الكتاب عن متناول عامّة الناس، وعدم إمكان التأمّل والتفكير فيه وخروجه عن طاقة البشر، وقال بوقوع الخلط بين النظريّات الداعية إلى التأمّل والتفكير والتدبّر في القرآن وبين التفسير بالرأي، واعتبر هذه الآراء باطلة وعقائد فاسدة أدّت إلى نتائج مؤلمة وسخيفة في المجتمع الإسلامي والإنساني، وسببت في أن يكون القرآن مهجوراً.[٢]

ولهذا السبب أزاح الإمام﵀ بجرأة لا تصدّق وشهامة ممجّدة حجب القدسية عن علماء التفسير قائلاً بأنّه:

لم يُكتب إلى الآن تفسير لكتاب الله.[٣]

فهو يعتقد باهتمام البعض بضبط وجمع اختلاف القراءات، ومعاني اللغات، وتصاريف الكلمات، والمحسّنات اللفظية والمعنويّة، ووجوه الإعجاز وغيرها، مع غفلتهم عن حقيقة القرآن، وهدفه، ومعارفه الإلهيّة والمعنويّة،[٤] بينما اهتمّ آخرون ببُعد واحد من أبعاد القرآن فقط، كالبُعد العرفاني،[٥] أو العلمي، أو الطبيعي والاجتماعي،[٦] أو الفلسفي والكلامي. وهؤلاء بذلوا جهداً كبيراً في ذلك: ولكن لا يُعدّ ما كتبوه تفسيراً.

ولم تكن ـ في الواقع ـ إلّا ترجمات للقرآن، وأحسن ما يقال فيها: إنّ في بعضها رائحة القرآن.[٧]

والقرآن ـ في الواقع ـ ليس كتاباً أدبيّاً ونحويّاً، وليس عرفانيّاً أو علمياً أو فلسفياً أو كلامياً، بل هو كتاب إلهي وفي متناول الجميع وفي حدود فهمهم وإدراكهم، كلّ بقدر سعته الوجوديّة والفكريّة، وكلّ شخص له حقّ أن يتدبّر فيه ويُمعن النظر، وينبغي له ذلك،

---

١. راجع: المصدر: ٢٠٣.

٢. راجع: المصدر: ١٩٩.

٣. المصدر: ١٩٢.

٤. راجع: المصدر: ١٧١.

٥. فسّر محيي الدين بن عربي في *الفتوحات المكية* آيات القرآن بذوق عرفاني.

٦. ترك السيّد قطب آثاراً متعددة، مثل: التصوير الفني في القرآن وغيرها، طرح في أكثرها بحوثاً اجتماعية. واهتمّ الطنطاوي في تفسيره الجواهر في تفسير القرآن الكريم بالبحوث العلميّة، وطبّق الآيات مع النظريّات العلميّة الجديدة.

٧. *صحيفة إمام*: ٨/١٩.

وبواسطة هذا الكتاب تميّز طريق الهدى عن طريق الضلال. وقد نزل القرآن ليستفيد منه الجميع، لا طبقة خاصّة أو صنف خاصّ، فهو المائدة المفروشة بين الشرق والغرب ومنذ عصر الوحي إلى يوم القيامة للعامي والعالم، والفيلسوف والعارف، والفقيه والمحدّث، وغيره، ولذا كانت مواضيع القرآن متنوعة ومختلفة، وفي مستويات متفاوتة، وفيه مطالب للعلماء والفلاسفة، والعرفاء الكبار خاصّة، ومطالب لعامّة الناس وفي مستوى فهمهم، ويقول الإمام في هذا المجال:

للقرآن درجات، فله سبعة بطون أو سبعين بطناً، وقد تنزّلت هذه البطون إلى أن وصلت إلى الموضع الذي نريد التحدّث فيه، لقد عرّف الله سبحانه نفسه بواسطة الإبل، فقال: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾.[١]

وممّا يؤسف له معرفة الله سبحانه بواسطة هذه الموجودات السفليّة من الإبل والشمس والسماء والأرض والإنسان.[٢]

ويرى الإمام أنّ للقرآن مراتب طولية ومراتب عرضية أيضاً، فهو من حيث المحتوى والمطالب تبيان لكلّ شيء؛ إذ توجد فيه مواضيع سياسيّة واجتماعيّة، وثقافيّة ورياضيّة، وغيرها.[٣]

والخلاصة: إنّ حقيقة القرآن متعالية وخارجة عن حدود تفكيرنا، ولا يستطيع الحصول عليها إلّا أولياء الله الكُمَّل وبالمكاشفة التامّة، ولكي تكون هذه الحقيقة المتعالية في متناول الجميع تنزّلت مراحل عديدة حتّى وصلت إلى مقام الألفاظ والكتابة لتكون قابلة لاستفادة وإدراك جميع الناس، وينتفع منها كلّ شخص بمقدار سعته الوجوديّة والفكريّة، فالفيلسوف الإلهي يفهم غير ما يفهمه العامّي الأمّي.

والآن وبعد أن تعرّفنا على حقيقة القرآن تيسّر لنا البحث في لغة القرآن بشكل منطقي حسب الآتي:

لغة القرآن

هناك تساؤلات متعدّدة حول لغة القرآن منها: هل لغة القرآن هي عقلائية وعرفيّة أو

---

١. الغاشية: ١٧.

٢. *تفسير سوره حمد*: ١٣٦.

٣. راجع: *صحيفة إمام*: ١٧٨/٩.

رمزية وإشارية؟ هل هي قابلة للفهم من قِبل عامّة الناس فهماً عرفياً أو لغة غير قابلة للفهم من جميع الناس، وأنّ إنزال مطالبه السامية إلى مستوى المطالب العادية أمر غير ممكن؟

إنّ الإجابة على هذه الأسئلة في ضوء علم لغة النصوص الدينيّة جليّة وواضحة، وقد طرحت نظريّات عديدة للإجابة على هذه الأسئلة. وأهمّ هذه النظريّات ثلاث، وهي:

١. نظريّة اللغة العرفيّة

يعتقد البعض أنّ لغة القرآن هي لغة العرف والعقلاء، قال في *تفسير البيان*:

> إنّ لغة القرآن لغة تفاهم وتخاطب العرف والعقلاء، ولم يختر الله تعالى طريقة، ولغة أُخرى لإيصال رسالته إلى الناس.[1]

وأورد على هذه النظريّة بأنّه لا يمكن تبيان جميع آيات القرآن على أساس هذه اللغة.

إلّا أنّ الذي ينبغي الالتفات إليه هو أنّ الاستفادة من اللغة العرفيّة يتمّ بطريقين:

أحدهما: طريق المفهوم العامّ الشامل للغة الاستعارة والرمز والكناية والتمثيل والمجاز والتشبيه.

والآخر: طريق اللغة العرفيّة باستعمال اللفظ بشكل مباشر وصريح في معناه الحقيقي من غير كناية ورمز واستعارة وتمثيل، فيكون بهذا المعنى اصطلاحاً خاصّاً.

ولغة القرآن لا يمكن أن تكون عرفيّة بهذا المعنى الخاصّ.[2]

٢. نظريّة لغة الإشارة

ويعتقد أصحاب هذه النظريّة بعدم إمكان الكلام الحقيقي، وغير الرمزي مع الله سبحانه. وهذه النظريّة هي انعكاس لبعض ا لأفكار الشائعة في الغرب، فقد نفى تيليس إمكان التكلّم إلّا بصورة رمزيّة، وأنّه لا يمكن إثبات أيّ وصف لله تعالى، فالإشارة هي الطريق الوحيد للمكاشفة والفرصة الفريدة التي تهيّئ أرضيّة اللقاء مع الله تعالى. وقد وجدت هذه النظريّة أنصاراً لها في العالم الإسلامي، ويعتقد هؤلاء أنّ المعارف الإلهيّة العالية لا يمكن أن تتنزّل إلى مستوى فهم العامّة، ولذلك فهي تبيّن بالرمز والإشارة.

إنّ سعي الغرب لإيجاد لغة خاصّة للدين ناشئ من حالة خاصّة عاشها نتيجة الصراع بين

---

١. *البيان في تفسير القرآن*: ٢٨١.

٢. راجع: *المائدة المستديرة*، مجله معرفت: العدد ١٦/١٩ ـ ١٧.

العلم والدين، ولذلك فهم يسعون جاهدين لإيجاد نوع من الانسجام بين مضامين الكتاب المقدّس والقوانين التي توصل إليها العلم الحديث.

ولحسن الحظّ فإنّ هذه المشكلة غير موجودة عندنا، فالقرآن لا يتعارض مع العقل ولا مع العلم، ولغة القرآن هي لغة القوم الذين نزل بين ظهرانيهم، وهي لغة العقلاء، وتشمل: الكناية والاستعارة والرمز والتمثيل وغيرها، وهي أيضاً لغة صريحة وواضحة.

٣. النظريّة التركيبيّة

وقد ادّعى فريق ثالث بأنّ كلتا النظريتيّن السابقتين غير تامتيّن، فلغة القرآن ليست لغة العرف تماماً، ولا هي لغة الإشارة تماماً، بل هي مزيج منهما.

ويعتقد الأُستاذ مصباح أنّ أيّاً من نظريّات لغة الدين ليست كاملة ومدروسة بخلاف النظريّة القائلة، بأنّ لغة الدين لغة مركّبة، فإنّها نظريّة قويّة ومتقنة، فلا صحّة لاعتبار لغة الدين لغة عرفيّة مطلقاً، وليس فيها أيّ جانب رمزي، ولا صحّة لاعتبار جميع المفاهيم الدينيّة رمزيّة، ليس فيها أيّ مفهوم حقيقي أو عرفي، فإنّ كليهما غير صحيح، بل يجب علينا القول بنوع من التفصيل بينهما.[١]

ويقول البروفسور فلهاوزن أيضاً في معرض نقده لأتباع ويتغنشتاين القائلين: بأنّ لغة الدين، هي اللغة الخاصّة بالدين، وعليه إذا كانت لغة الدين خاصّة فكيف يتسنّى فهمها؟ إنّ العرف هو الذي يجعل الناس يفهمون لغة الدين.

ثُمّ يجيب عن أسئلة البعض قائلاً:

> لا يمكن لنا أن نصدر قانوناً كلّياً فيما يرتبط بلغة الدين ونقول: إنّ جميع قضايا الدين خاصّة أو عرفية، بل هي خليط من جميع هذه، وقد استفاد الدين من اللغات المتنوعة.[٢]

وقد سعى محمّد جواد عنايتي، في مقال له تحت عنوان: *علم لغة الدين في تفسير الميزان* إلى إثبات هذه النظريّة في *تفسير الميزان*، وكلمات العلّامة الطباطبائي، حيث كان يعتقد بأنّ لغة القرآن لغة تركيبية، يقول:

---

١. المصدر: ١٦.

٢. المصدر: ١٥.

لقد كان العلّامة من مؤيّدي هذه النظريّة في لغة القرآن، ويعتبر قضاياها مركّبة من: الإنشاء والإخبار، والرمز والتمثيل، والكناية والاستعارة، والحقيقة والمجاز.[١]

ومن حسن الحظ أنّنا نستطيع العثور على جواب واضح وكامل عن هذه النظريّات في كلام الإمام الخميني(ره).

ويتّضح رأي الإمام(ره) حول موضوع: لغة القرآن من البحوث السابقة في حقيقة القرآن. فقد توصلنا هناك إلى أنّ القرآن حقيقة ذات مراتب وبطون، وليس لأحد طريقاً إلى أصل حقيقته إلّا الخواصّ والكُمّل من الأولياء، ولكنّها جعلت في المرتبة النازلة بصورة الألفاظ لتكون في متناول أيدينا، فالجميع يستطيعون الاستفادة من القرآن بالتفكّر والتدبّر كلّا بمقدار فهمه وإدراكه. ويمكن الاستنتاج من هذه البحوث ـ كما استنتج ذلك الإمام الراحل(ره) ـ أنّ لغة القرآن ليست هي اللغة العرفيّة، وليست هي لغة خاصّة، ولا لغة فلسفيّة، ولا عرفانيّة، وهي في الوقت نفسه لغة عرفيّة وفلسفيّة، وعرفانيّة، أي: أنّها لغة ذات خصائص خاصّة بها.

فالقرآن كتاب يفهمه الإنسان العاميّ إذا قرأه، وإذا نظر فيه فيلسوف متبحّر، فإنّه يستطيع أن يستنبط منه اُموراً فلسفيّة وعلميّة عميقة، وعلى هذا فإنّ إحدى خصائص لغة القرآن هي عموميته.

يقول الإمام(قده):

للقرآن لغة هي لغة: عامّة الناس، وفي نفس الوقت هي لغة: الفلاسفة، والعرفاء، وأهل المعرفة.[٢]

ومن الخصائص الأُخرى للغة القرآن أنها سهلة ممتنعة؛ لأنّها لغة ذات بطون متعدّدة ـ أي: أنّ لها طريقة خاصّة ـ تبدو من جهة سهلة وقابلة للفهم من الجميع، ومن جهة أُخرى ممتنعة وغير قابلة للإدراك على البعض. قال(قده):

لغة القرآن هي من بركات البعثة، ومن البركات الكبرى لبعثة الرسول، فإنّ لغتها من باب السهل الممتنع.

فقد يظنّ الكثيرون بأنّهم قادرون على فهم القرآن؛ لأنّه في رأيهم سهل، وكثير من جهابذة المعرفة وعظماء الفلاسفة يظنّون أنّهم يستطيعون فهم القرآن أيضاً؛ لأنّه قد تجلّى لهم بُعد واحد من أبعاده، وأمّا الأبعاد الأُخرى بعد هذا البعد، فقد خفيت عليهم.[٣]

١. المصدر: العدد ٩ـ٤٠/١٠.

٢. *صحيفة إمام*: ٢٠/٤٠٨ـ٤٠٩.

٣. المصدر: ٤٣١/١٧.

والخصيصة الثالثة للغة القرآن أنّه ذو مراتب وبطون. فالحقائق العقليّة الإلهيّة عميقة ومتعالية، ولكنّ الله المتعال برحمته ورأفته على البشر قد ألبس هذه الحقائق الغيبيّة والعقليّة لباس المحسوسات والمأنوسات ليتسنَ للبشر فهمها وإدراكها، وتحدّث بها في مقام بيانها باللغة العرفيّة لعامّة الناس، بحيث إنّ كلّ إنسان يستطيع الانتفاع منها بمقدار سعة وجوده وتفكيره؛ ولأنّ القرآن حقيقة ذات مراتب وبطون متعدّدة، فإنّ إدراكه وفهمه ذو درجات مختلفة ومتنوعة أيضاً.

وللتعمّق في فهم القرآن ينبغي أن نقود فهمنا وإدراكنا من الظاهر إلى الباطن. ومن الواضح في سلسلة مراتب المعرفة هذه أن يكون الإنسان الكامل في أعلى الهرم، وهو في أدنى درجة من درجات معرفة القرآن باللحاظ الروحي والقلبي في المراتب النازلة.[1]

ومن الخصائص الأُخرى: الازدواجية، في لغة القرآن وانقسام آياته إلى محكم ومتشابه، وقد كان ذلك محلّاً للبحث منذ القدم من قِبل الباحثين والعلماء في العلوم القرآنيّة، ولكن يستنتج من اثنينية الآيات واثنينية لغة القرآن أنّ القليل فقط لهم مثل هذه الطريقة. وقد بحث الإمامرحمه الله هذا المطلب بشكل واضح، فأخذ هذين اللسانين: لسان صريح وعرفي وقابل للفهم من قِبل الجميع، والآخر لسان الرمز والإشارة، وهو لا يمكن إدراكه وفهمه إلّا الله والراسخون في العلم. والعبارة التالية للإمامرحمه الله ناظرة إلى هذا المطلب:

الآيات على قسمين: آيات محكمات لا تأويل لها، ويفهمها الجميع، وآيات متشابهات لها تأويل، وهي من قَبيل الرمز، ولا يعلم تأويلها إلّا الله والراسخون في العلم.[2]

وينبغي ملاحظة أنّ لغة الرمز والتعاليم التي تكفّلت هذه اللغة ببيانها لها مراتب. فالمطلب الذي يبيّن بلغة الرمز إذا كان على مستوىً عالٍ وسرّي، فإنّ الله تعالى والراسخين في العلم يستطيعون فهمه فقط، ولكن من الممكن أنّ يبيّن مطلب بالرمز ولا يكون بالمستوى السابق، ولكنّه من المتشابهات أيضاً وقابلاً للفهم من بعض الخواص والعلماء، وغير قابل للفهم من قِبل الجميع.

والملاحظة الأُخرى هي عدم وجود خط افتراق وتمايز معيّن بين الاثنين، فمن الممكن تصوّر أنّ مطلباً محكماً لشخص ومتشابه لشخص آخر، كما يمكن أن يكون مطلباً علمياً غير

---

١. *شرح حديث جنود عقل وجهل*: ٦٠ ـ ٦١؛ *صحيفة إمام*: ١٣/٤٢٠ ـ ٤٢١.

٢. *كشف الأسرار*: ٣٢٢ ـ ٣٢٣.

قابل للفهم لشخص عامي، بينما يكون فهمه سهلاً جداً لشخص عالم. وفي القرآن علوم هي من المتشابه بالنسبة لطبقة معيّنة، ولكنّها تكون واضحة جداً لطبقة أُخرى من أهل الاختصاص، كبراهين إثبات واجب الوجود أو التجرّد الواجب والإحاطة القيومية، يقول الإمام﵀ في هذا المجال:

وأنتم إذا بحثتم في جميع القرآن فلا تستطيعون استنباط مثل هذه المطالب، ولكن أهلها ـ كالفيلسوف الكبير صدر المتألهين وتلميذه الجليل القدر الفيض الكاشاني ـ يستطيعون استنباط هذه العلوم العقليّة العالية من نفس هذه الآيات ومن الأخبار التي لا تستطيعون فهمها.[1]

وطبقاً لحديث *الكافي*، فإنّ فهم المعارف التوحيدية في الآيات الأُولى من سورة الحديد، وسورة التوحيد المباركة متيّسر للمتعمّقين من أهل آخر الزمان.[2]

ويُرجع الإمام﵀ هذه الاثنينية في لغة القرآن الكريم إلى وجود نوعين من المعارف في القرآن الكريم:

أحدهما: المعارف العمليّة التي تتضمّن جنبة قانونية، وينبغي أن تكون قابلة للفهم من الجميع لما فيها من إرشاد للناس ليستطيعوا على أساسها إدارة شؤون حياتهم.

ثانيهما: يتضمّن جنبة علميّة ومعرفية، ولا ينبغي أن تكون المعارف العلميّة عامة للجميع وقابلة للفهم منهم، بل لا يمكن أن يتناسب مستوى المطالب العلميّة العالية مع فهم عموم الناس.

وقد بيّن القرآن معارفه العمليّة باللغة العقلائيّة، والعرفيّة ومطابقاً لفهم العرف والعامّة، بينما بيّن المعارف ذات طابع علمي بلغة الرمز والإشارة، ولم يرَ من اللّازم أن يعرضها بنحو تكون قابلة لفهم الجميع، بل من غير الممكن أن يعرض المعارف العلميّة والعقليّة العميقة بلغة عرفية.[3]

ومن جملة هذه الرموز والإشارات الحروف المقطّعة في القرآن التي لايعلمها إلّا الله تعالى والراسخون في العلم. وهذه الحروف ـ في الواقع ـ هي رمز بين العاشق والمعشوق أو سرّ بين المحبّ والمحبوب، بل قيل: إنّ حامل الرسالة جبرئيل﵇ غير مطّلع على معانيها. وإذا ادّعى شخص أنّه يفهمها فمن الممكن أنّه قد استفاد منها شيئاً قليلاً أو أنّه قد تخيّل ذلك.[4]

---

١. المصدر: ٣٢٣.

٢. شرح *چهل حديث*: ١٩٤ـ ١٩٥؛ *صحيفة إمام*: ٢٦١/١٨.

٣. راجع: *كشف الأسرار*: ٣٢١ ـ ٣٢٢.

٤. رأي الإمام﵀ في خصوص الحروف المقطّعة راجع: *شرح چهل حديث*: ٣٥١؛ *كشف الأسرار*: ٣٢٢؛ *صحيفة إمام*: ٤٤٧/١٨.

التفات المؤلّف في فهم القرآن

وقبل الدخول في عرض رأي الإمام في هذا المجال نرى من الضروري التنبيه على الملاحظة التالية:

توجد نظريّتان رئيستان في البحوث الحديثة للهرمونطيقيا:

إحداهما:

نظريّة شلايرماخر، ودلتاي اللذان يريان أنّ علم الهرمونطيقيا، النظام العام للقانون المعرفي الخفي الذي يفترضونه بعد التأويل.

والأُخرى: نظريّة هايدجر وأتباعه مثل جادامر الذي عرّف علم الهرمونطيقيا بأنّها البحث الفلسفي في خصوص خصلة الشروط اللّازمة لأي نوع من الفهم.

وتختلف هاتان النظريّتان عن بعضهما اختلافاً كبيراً، فإنّ إحداهما تهتمّ بـ «غاية المؤلّف»، في عمليات فهم النصّ.

والسؤال الأساسي هو: هل يمكن فهم النصّ اعتماداً على غاية المؤلّف؟ أو نيّة المؤلّف تضلّل عن فهم النصّ، والنصّ أو الأثر الموجود مستقل؟ تؤكّد النظريّة الأولى ـ أي: نظريّة شلايرماخر ـ على ارتباط فهم اللفظ بمعرفة غاية المؤلّف، بينما تؤكّد النظريّة الثانية ـ أي: نظريّة هايدجر وجادامر ـ في النقطة المقابلة للنظرية الأولى، حيث اعتبرت الاهتمام بغاية المؤلّف والوصول إلى ما في ذهنه هو في الواقع: مغالطة قصديّة، بل إنّ شهادة المؤلّف على سلامة نواياه ومقاصده تعدّ من الشواهد غير المقبولة.

إنّ الالتفات إلى قصد المؤلّف في رأي جادامر، هو في الحقيقة سقوط في وادي: **علم النفس الرومانسي الأصيل**؛ لأنّ معنى النصّ على رأي جادامر ليس من عمليات الذهن الخفيّة، بل في الموضوع أو النصّ الخفي.

إنّ معنى النصّ في هذه النظريّة يكون دائماً أعلى من المعنى الذي يقصده المؤلّف، كما أنّ عملية الفهم هي عمليّة انتاجيّة، لا إعادة انتاج. وأمّا في نظريّة شلاير ماخر، فإنّها تؤكّد على ضرورة وجود معيار في فهم النصّ ليقاس على أساسه صحّة المعنى وسقمه. والتعرّف على غاية المؤلّف هو المعيار الذي على أساسه يقاس صحّة كلّ تأويل وتفسير ويكتسب اعتباره منه.

وقد انتقد مؤيّدو هذه النظريّة أتباع هايدجر بأنّ نتيجة عدم التفات المؤلّف، بنحو دائمي

وصريح، يجعل معنى النصّ غير معيّن والتفسير عبثيّاً؛ لأنّه (عندما يكون التفسير موجّهاً حينئذٍ فقط يكون للنصّ معنى وليس أيّ معنى) والاستدلّال بأنّ تصوّر لغة ذات معنى مستقلّ عن الإدراك البشري غير معقول؛ لأنّ اللغة لا يكون لها معنى إلّا عندما يكون لها أداء قولي speechact يؤدّيه الإنسان، فإنّ الصوت الصادر صدفة أو الناتج من تصادم الأشياء، أو الأداء الصوتي الصادر من حيوان لا يعتبر لغة أصلاً.

ومن هذه النقطة المهمّة والحياتية تنطلق جميع الجهود التي بذلتها نظريّة شلايرماخر والانتقادات التي وجهتها للنظريّات الأُخرى وأتباعها، حيث وصلت نظريّاتهم إلى نتيجة مذهلة وغطست في مستنقع لا معيار له ووقعت في مهاوي النسبيّة، وصار من الممكن لكلّ شخص أن ينتج كلّ مبنى يريده من النصّ.[1]

والآن وبعد التذكير على هذه الملاحظات الخاصّة بالمقدّمات نتناول آراء الإمام الخمينيرحمه الله في هذا الموضوع، والتي يمكن الحصول عليها بشكل واضح وصريح، فهو يعتبر التفسير إدراك مقاصد ونوايا الوحي وتعريفها للآخرين، وهذا هو الشيء نفسه الذي ذكره شلايرماخر بعنوان: التفات المؤلّف. فقد اعتبر الإمام الخمينيرحمه الله الهدف الأصلي للتفسير هو التّعرف على قصد الوحي والله تعالى هو ـ المؤلّف ـ ووصف بكلّ جرأة التفاسير التي لم تهتمّ بهذه الحيثية بأنّها ليست تفاسير. قالرحمه الله في هذا:

> وباعتقادي أنّه لم يُكتب إلى الآن تفسير لكتاب الله؛ لأنّ معنى التفسير بصورة عامّة هو أن يكون شارحاً لمقاصد الكتاب المفسَّر، ويكون مهتمّاً بإبراز مقصود صاحب الكتاب... والمفسّر لا يكون مفسّراً إلّا عندما يُفهمنا: المراد من النزول، لا سبب النزول، كما هو مسطور في كتب التفاسير.[2]

فهو يرى وجوب الالتفات إلى مقاصد المؤلّف، والسعي ـ وبقطع النظر عن الجوانب العقليّة والبرهانيّة ـ إلى فهم قصده؛ لأنّ مصنّف الكتاب يعلم قصده أفضل من غيره.[3]

وتشبه نظريّة الإمامرحمه الله هذه نظريّة دلتاي كثيراً، وهو الذي ركّز على نيّة المؤلّف، وخلافاً لنظرية ريتشارد بالمر المؤيّد لطريقة شلايرماخر الذي عدّ شواهد المؤلّف على نواياه ومقاصده

---

١. راجع: مقالة: امام خميني، *تفسير وهرمنوتيك*، مجله پژوهش هاى قرآني: العدد ١٩ ـ ٢٠.

٢. *آداب الصلاة*: ١٩٢ ـ ١٩٣.

٣. راجع: المصدر: ١٩٣.

شواهد غير مقبولة، بينما اعتبر الإمام شواهد المؤلّف على مقاصده هي الشواهد الوحيدة المقبولة، وهي الطريقة الصحيحة الوحيدة في التفسير، ومن الخطأ الفادح الغفلة عن هذه الحقيقة التي أدّى عدم الالتفات لها إلى جرّ المصائب والويلات على هذه الأمة، قال:

فالمفسّر الذي يغفل عن هذه الجهة أو يصرف عنها النظر أو، لا يهتمّ بها، فقد غفل عن مقصود القرآن والمراد الأصلي لإنزال الكتب وإرسال الرسل. وهذا هو الخطأ الذي حرم الأمة الإسلاميّة منذ قرون من الاستفادة من القرآن الشريف وسدّ طريق الهداية على الناس.[١]

ولا بدّ من التنبّه إلى أنّ الالتفات إلى هدف المؤلّف ومقصوده أمر صعب، وخاصّة إذا كان المؤلّف هو الله سبحانه؛ ولهذا فإنّ المفسّرين ـ برأي الإمام ـ لم يقصّروا في أداء مهمّتهم، حيث تحمّلوا مشاقاً جسيمة، ولكن فهمهم لعظمة هذا الكتاب كانت ضئيلة.[٢] ولا يعرف المقاصد الأصيلة للوحي إلّا حملة القرآن ومَن نزل عليه القرآن، أو كان وارثاً لعلمه فورث حقائق معارف الكتاب الإلهي،[٣] وهؤلاء هم: «مَن خوطب به»،[٤] وهم الأئمّة الأطهار[٥] وأولياء الله.[٦]

إدراك المعنى النهائي للنصّ

طبقاً لنظريّة شلايرماخر ودلتاي والكلاسيكيّين الجدد، مثل: هرش ويول، فإنّه يمكن فهم المعنى النهائي للنصّ؛ بينما لايرى ذلك أتباع الهرمونطيقيا الحديث، مثل: هايدجر، وجادامر الذين غطسوا في مستنقع النسبيّة.

ويمكن فهم رأي الإمام الخمينيّ بوضوح من خلال التمعّن في البحوث السابقة. فإذا سلّمنا بهذا الفرض وهو تمكّن الجميع من فهم القرآن وإدراكه، فإنّ لغة القرآن قابلة للفهم والإدراك من الجميع، ويمكن فهم صحّة تفسير القرآن عبر الكشف عن قصد المؤلّف.

---

١. المصدر.

٢. راجع: *صحيفة إمام*: ٤٣٢/١٧.

٣. راجع: *آداب الصلاة*: ١٨١.

٤. راجع: *تفسير سوره حمد*: ١٣٨ ـ ١٣٩.

٥. راجع: *شرح دعاء السحر*: ٥٨.

٦. راجع: *آداب الصلاة*: ١٨١.

وعلى أيّ حال، فالذي نقوله هنا هو إمكان فهم المعنى النهائي للنصّ، فانّ للقرآن ظاهراً، وحدّاً أدنى من الباطن، ونحن مكلّفون بالعمل بأحكام القرآن كما نفهمها ونُدركها. ومن الواضح أنّ من اللّازم التأمّل والتدبّر لكي يمكن تجاوز الظاهر إلى الباطن لفهم المعارف العميقة للقرآن، ولكن لاينبغي أن تكون صعوبة العمل وصعوبة فهم باطن القرآن داعية إلى هجره وتركه والاعتقاد بعدم إمكان إدراكه، كما قال الإمام رحمه الله إنّ البعض اعتبر كلّ نوع من التفكير تفسيراً بالرأي، فكان سبباً لتأسيس معتقدات فاسدة وباطلة.[1]

إنّ لغة القرآن هي لغة عامّة الناس، وهي لغة الخواصّ والعلماء أيضاً، وهي كذلك رمز ورموز بين الخالق والمخلوق وبين الله والنبي صلى الله عليه وآله. وأنّ كلّ شخص يستطيع أن يستفيد من القرآن بقدر إدراكه ومعرفته.[2] فالعامّي يستفيد من المعارف العاميّة، والعالم من المعارف العلميّة، والنبيّ صلى الله عليه وآله وأولياء الله من المعارف الرمزيّة.

ومن المناسب هنا أن نفكّك بين نوعي المعارف الإلهيّة التي بُيّنت في الآيات القرآنيّة:

النوع الأوّل: المعارف العمليّة التي لها وجهة قانونيّة، وبما أنّ القانون هو المرشد لعمل الناس بشكل عامّ، لذا كان ينبغي أن تبلّغ هذه المعارف بآياتٍ واضحة وبيّنة، وهذه هي الآيات المحكمات.

النوع الثاني: المعارف العلميّة التي تمتاز بوجهة علميّة ومعرفيّة، وقد بُيِّن هذا النوع من الحقائق بآيات متشابهات، وغالباً ما بُيّنت بصورة الرمز والإشارة ، وهي ليست قابلة للفهم من قبل جميع الناس، ولا يلزم ذلك أيضاً.[3]

وفي رأي الإمام الخميني رحمه الله أنّ فهم المعنى النهائي للنصّ مفتوح أمامنا في كلّ من نوعي المعارف، سواء كان ذات وجهة علميّة أم عمليّة، وسواء كان في قالب الآيات المحكمات أم في قالب الآيات المتشابهات، ولكن بفارق أنّ المعارف العلميّة التي تجلّت في مستوى الآيات المحكمات ميسّرة لفهم الجميع ويستطيعون كشف معانيها بشكل متساوٍ؛ لأنّها قانون ومرشد لحياة البشر، وينبغي أن يكون القانون واضحاً وشفافاً، ولذلك كان الإمام رحمه الله يوصي بقراءة القرآن وأخذ التكاليف منه دائماً، قال قدس سره:

---

١. راجع: المصدر: ١٩٩.

٢. راجع: *صحيفة إمام*: ٢٠/٤٠٨ـ٤٠٩.

٣. راجع: *كشف الأسرار*: ٣٢١ـ٣٢٢.

يجب علينا قراءة القرآن، وقبل كلّ شيء ننظر ماذا يريد القرآن أن يقول. فتكليفنا ووظيفتنا يعيّنها القرآن.[١]

وعلى أساس هذا المبنى يعتبر الإمام أحكام القرآن وقوانينه قطعيّة.[٢] واعتبر العمل بأحكامه وتعاليمه موجباً لعظمة المسلمين وسيادتهم،[٣] كما أنّ عدم العمل بها والغفلة عن القرآن يورثنا الذل والهوان ويجعلنا طعمة للمستعمرين.[٤] وهو يصرخ بأسف:

تعالوا وانظروا ماذا يقول القرآن، وأنتم ماذا تفعلون.[٥]

وهذه هي الوجهة الصريحة والواضحة والقابلة للفهم في القرآن من الجميع، والحصول على معناها النهائي لعامّة الناس سهل ويسير ظاهراً.

وللقرآن وجهة أُخرى أيضاً، وهي الوجهة العلميّة، وقد بيّن هذا القسم من المعارف في قالب الآيات المتشابهات، وقد استعمل فيه كثيراً الرمز والإشارة، والكناية والاستعارة. وفي بيان هذا النوع من التعاليم ليست هناك ضرورة أن يفهمها الجميع، وعلى حدّ تعبير الإمام:

بل من غير الممكن أن تُبيَّن هذه الأمور بنحو يفهمه جميع الناس.[٦]

إذاً هل معرفة، وفهم هذا النوع من الآيات غير ممكن؟ وهل طريق فهم المعنى النهائي لهذه الآيات مسدود؟ إنّ الإمام يرى إمكان فهم المعنى النهائي لمثل هذه النصوص. ولكن بشكل حصري ومحدّد في بعض الناس. و إذا كانت هذه المعرفة غير متيسّرة للجميع، فلِمَن تكون متيسّرة؟ ويمكن الاستفادة من كلمات الإمام أنّ العلماء الحقيقيّين بهذا النوع من المعارف هم: «مَن خوطب به» أوّلاً، وهو الرسول الأكرم المخاطب المباشر بالرسالة الإلهيّة،[٧] ثمّ يليه الأئمّة المعصومون وأولياء الله، الذين هم الوارثون لعلم النبيّ وعلى رأسهم وليّ الله المطلق أمير المؤمنين الذي تجلّت لقلبه المبارك، فورث نفس الحقيقة التي تجلّت لقلب الرسول الأكرم، وكسب علوم المكاشفة منه.[٨]

---

١. *صحيفة إمام*: ٣٤٨/٣.

٢. راجع: *كشف الأسرار*: ٣٢٦.

٣. راجع: *صحيفة إمام*: ٣٩/١٦.

٤. راجع: *كشف الأسرار*: ٣٣٤.

٥. *صحيفة إمام*: ٢٦٦/١٨.

٦. *كشف الأسرار*: ٣٢٢.

٧. راجع: *تفسير سوره حمد*: ١٣٩.

٨. راجع: *آداب الصلاة*: ١٨١.

وبعد وضوح هذه المطالب، فإنّ السؤال الأخير الذي يطرح نفسه هو: هل معرفة هذه العلوم ـ وفي الواقع فهم المعنى النهائي لهذا النوع من المعارف ـ قد جعل في متناول المعصومينعليهم السلام فقط، ولم يتمكّن غيرهم من فهم هذا النوع من الآيات والنصوص؟

لقد رفض الإمام الخمينيرحمه الله أن يكون ذلك خاصّاً بالمعصومين، حيث قال:

> إنّ هذه الحقيقة واللطيفة الإلهيّة التي هي العلم بالتأويل يمكن الحصول عليها بالمجاهدات العلميّة والرياضات العقليّة، مشفوعة بالرياضات العمليّة وتطهير النفوس وتنزيه القلوب وتقديس الأرواح، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾،[١] وكما قال أيضاً: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾.[٢] وإن كان الراسخون في العلم والمطهّرون هم الأنبياء والأولياء المعصومينعليهم السلام بقول مطلق، ولذا فإنّ علم التأويل بجميع مراتبه مختصّ بهم، ولكن لعلماء الأمة أيضاً حظّ وافر منه بقدر درجاتهم في العلم والطهارة، ولذا نُقل عن ابن عبّاسرحمه الله قوله: أنا من الراسخين في العلم.[٣]

وحينئذٍ فإنّ طريق فهم المعنى النهائي في نصوص المتشابهات والمعارف العلميّة غير مسدود أمامنا أيضاً، حيث يمكن لكلّ شخص وبحسب علمه وطهارة باطنه إدراك وفهم الآيات، وفهم معنى وحقيقة القرآن. وبعبارة أُخرى: إنّ فهم المعنى النهائي للنصوص المقدّسة برأي الإمام الخمينيرحمه الله أمر ممكن ذاتاً للجميع، وقد يكون مسدوداً أمام أكثر الناس بسبب سلسلة من الموانع والعقبات، فما هذه الموانع التي تحول دون فهم المعنى النهائي للنصّ الديني برأي الإمام الخمينيرحمه الله؟ يمكن التعرّف على هذه الموانع من خطابات ومؤلّفات الإمامرحمه الله.

موانع فهم القرآن

القرآن ليس كتاباً عاديّاً وماديّاً لكي يمكن الحصول على أسراره ورموزه في المدرسة بالتعليم والتعلّم، والقيل والقال، وإنّما هو كتاب إلهي ومعنوي، ولهذا فإنّ إدراكه وفهمه لا يتيسّر إلّا في ظِلّ توفّر بعض الشروط وزوال بعض الموانع والعقبات، وفيما يلي نذكر بعض هذه الموانع والعقبات والتي في إزالتها دور مهمّ في فهم القرآن:

---

١. آل عمران: ٧.

٢. الواقعة: ٧٩.

٣. شرح حديث جنود *عقل وجهل*: ٦١.

١. عدم طهارة الروح، فإنّ حقيقة القرآن ـ باستثناء بعض الآيات والمعارف العمليّة التي بيّنت على مستوى فهم العامّة ـ لا يمكن الحصول عليها إلّا بشرط طهارة الروح في مسّ الحقائق القرآنيّة. فالقرآن نور بنفسه، ولهذا يُعرف الكلام الإلهي، وتنكشف أسرار الحقائق الإلهيّة بواسطة نور الباطن، ولذا يجب الابتعاد عن أدناس وأدران عالم الطبيعة بالوضوء بماء الحياة الزلال من الينبوع الصافي، وبالتمسّك بأهل بيت العصمة والطهارة﵈، فهم الحبل المتين الذي لا ينقطع أبداً حتّى يتمّ إدراك الحقائق القرآنيّة.[1]

وكلّما كانت طهارة الإنسان الباطنيّة أكبر كلّما كان تجلّي القرآن على قلبه أفضل، وبمقدار ما عليه الإنسان من انشراح الصدر تنفتح أمامه أبواب إدراك الحقيقة؛ وعلى هذا يجب السعي لتطهير القلب وتحرير النفس من سيطرة الشيطان، وبواسطة تلاوة كتاب الله والتأمّل فيه سينفتح أمامه طريق إدراك سرّ الحقائق الخفيّة.[2]

٢. الغرور، وهو مانع آخر من موانع وحجب فهم القرآن الكريم، حيث يرى طالب العلوم القرآنيّة نفسه مستغنياً وراضياً بما عنده من كمالات موهومة. فمِن جبائل الشيطان المهمّة هي أن يجعل ما عند الإنسان من إيجابيّات أمام ناظريه دائماً ويجعله راضياً وقانعاً بما عنده، فيحول بينه وبين الحصول على الكمالات الأُخرى، ويمنعه من التعمّق في القرآن والاستفادة من المعارف السامية لهذا الكتاب الإلهي. فالغرور حجاب والقرآن نور، والحجاب يمنع من وصول النور، ومن أجل الاستفادة المناسبة من نور القرآن يجب إزالة حجب الغرور ليستطيع الإنسان من إدراكه بالنحو الذي هو عليه.[3]

٣. حجاب الاصطلاحات، المانع الآخر من موانع الوصول إلى عمق المعارف القرآنيّة هو الاشتغال والاهتمام بالاصطلاحات والمفاهيم أكثر من المقدار المتعارف، فيهتمّ الأُدباء وأصحاب اللغة بالظاهر واللغة، فترة النزول، وشأن النزول، وأنواع القراءات والأُمور القشرية الأُخرى، ويغفلون عن لبّ القرآن، وكذلك الفيلسوف والعارف الاصطلاحي إذا اهتمّوا باصطلاحاتهم ومفاهيمهم الخاصّة، فإنّها ستقعد بهم عن الوصول إلى لبّ المعارف القرآنيّة.

---

١. راجع: *شرح دعاء السحر*: ٣٨، و٥٦ ـ ٥٧.

٢. *شرح دعاء السحر*: ٩٥.

٣. راجع: *صحيفه إمام*: ٣٨٩/١٤؛ *آداب الصلاة*: ١٩٥.

وعليه لا ينبغي الاكتفاء المصطلحات والظواهر، وينبغي النفوذ إلى لبّ هذه المعارف.[١]

٤. الآراء الفاسدة والجمود على أقوال المفسّرين، وهو المانع الرابع من موانع الإدراك الصحيح للقرآن وفهمه، وربّما كان اتّباع الآراء الفاسدة ناشئاً من سوء استعداد الشخص نفسه ومن تبعيته وتقليده للآخرين، ومن أجل فهم القرآن يجب التحرّر من تقليد واتّباع الآراء الفاسدة وتجنّب أقوال المفسّرين، وأن يتنوّر بالمعاني والمعارف النورانيّة عن طريق التدبّر والتفكير في الآيات الشريفة.[٢]

٥. الذنوب، وتعدّ من عقبات إدراك المعارف النورانيّة الإلهيّة، فالمعاصي والطغيان والتمرد على الربّ المتعال تُلقي على القلب كدورة وحجاباً تمنع الإنسان من إدراك الحقائق السامية. وصورة القلب المحجوب بالذنوب كالمرآة الصدئة والقذرة التي لا تعكس النور، فكذلك القلب المحجوب بالذنوب لا تنعكس فيه أنوار الحقائق. فينبغي صقل مرآة القلب لتجلى فيها المعارف الإلهيّة، وعندما يكون القلب سليماً وصافياً يكون لائقاً للتجليّات الغيبية وظهور الحقائق الملكوتيّة، وطبقاً لتصريح الآية الشريفة، فإنّ للمذنبين قلوباً لا يفقهون بها، وعيوناً لا يبصرون بها، وآذاناً لا يسمعون بها.[٣،٤]

٦. آخر الموانع التي نذكرها هنا هو حجاب الدنيا، فالملك والملكوت غير منسجمان تماماً مع بعضهما، فالقلب الذي أكبر همّه الدنيا التي انقطع إليها وإلى شؤونها، فسيوضع بين هذا القلب وبين الله تعالى والمعارف الإلهيّة المتعالية حجاباً سميكاً، وكلّما ازدادت الغفلة عن الله تعالى كلّما ازدادت العلاقة بالدنيا، وسيزداد سمك هذا الحجاب إلى أن ينطفئ نور الفطرة تماماً، وتغلق أمام الإنسان طرق السعادة والكمال وإدراك الحقائق، وتلقى على القلب الأقفال: ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾،[٥] وهي أقفال وأغلال حبّ الدنيا، فمن أراد الحقائق يجب عليه تطهير قلبه من أدران الدنيا وعدم الاشتغال والاهتمام بالأمور الدنيوية.[٦]

---

١. راجع: *آداب الصلاة*: ١٩٦.

٢. راجع: المصدر: ١٩٦ و١٩٩.

٣. الأعراف: ١٧٩.

٤. راجع: *آداب الصلاة*: ٢٠٢.

٥. محمد صلى الله عليه وآله: ٢٤.

٦. راجع: *آداب الصلاة*: ٢٠٢.

المصادر

القرآن الكريم.

١. *آداب الصلاة*، الإمام الخميني ﵀، مؤسّسة تنظيم ونشر آثار إمام خميني ﵀، طهران، ١٣٧٢ش.

٢. *البيان في تفسير القرآن*، أبو القاسم الخوئي ﵀، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٣٩٥هـ.

٣. *تفسير سوره حمد*، الإمام الخميني ﵀، مؤسّسة تنظيم ونشر آثار امام خميني ﵀، طهران ١٣٧٥ش.

٤. *زبان دين*، أمير عباس عليزماني، دفتر تبليغات اسلامي، قم، ١٣٧٥ش.

٥. *شرح چهل حديث*، الإمام الخميني ﵀، مؤسّسة تنظيم ونشر آثار إمام خميني ﵀، طهران ١٣٧٨ش.

٦. *شرح حديث جنود عقل وجهل*، الإمام الخميني ﵀، مؤسّسة تنظيم ونشر آثار إمام خميني ﵀، طهران، ١٣٨٠ش.

٧. *شرح دعاى سحر*، الإمام الخميني ﵀، ترجمه سيد أحمد فهري، فيض كاشاني، طهران، ١٣٨٠ش.

٨. *شرح دعاء السحر*، الإمام الخميني ﵀، مؤسّسة تنظيم ونشر آثار إمام خميني، طهران، ١٣٨١ش.

٩. *صحيفه امام*، الإمام الخميني ﵀، مؤسّسة تنظيم ونشر آثار إمام خميني ﵀، طهران ١٣٧٨ش.

١٠. *عقل واعتقاد ديني*، مايكل پترسون وآخرون، ترجمة أحمد نراقي وإبراهيم سلطاني، طرح نو، طهران، ١٣٧٤ش.

١١. *علم ودين*، ايان باربور، ترجمة خرمشاهي، نشر دانشگاهي، طهران، ١٣٧٤ش.

١٢. *فلسفه دين*، جان هيك، ترجمة بهزاد سالكي، انتشارات بين المللي هدى، طهران، ١٣٧٦ش.

١٣. *كشف أسرار*، الإمام الخميني ﵀، انتشارات مصطفوي.

أخطاء المستشرقين حول القرآن برأي الإمام الخمينيﷺ

غلام حسين ناطقي

المقدّمة

لقد تعرّض القرآن ومنذ بدء نزول الوحي إلى سيل من التهم والافتراءات من قبل المستكبرين والمستعمرين باعتباره السند الأهمّ لأحقيّة الدين الإسلامي، وقد حمل مشركو قريش في عصر الرسالة هذه الراية، ثُمّ تلاهم في العصر الحديث جماعة تُعرف بالمستشرقين.[1] وكان هدفهم إبعاد المسلمين عن القرآن لتحقيق أهدافهم اللامشروعة والاستعماريّة عبر بثّ الشبهات والإشكالات حول القرآن: ﴿يرِيدُونَ لِيطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.[2]

يقول «هارتموت بابزين»[3] حول اهتمام الغرب والمسيحيين بالقرآن:

> إنّ تعامل هؤلاء مع القرآن بمثابة ردّة فعل لرفض المسلمين لمشروعيّة وصحّة الإنجيل الذي ادّعوا تحريفه، وأنّ القرآن هو الوحي المنزل من الله تعالى على رسوله محمّدﷺ قد حلّ بدل الإنجيل، وفي قبال ذلك حاول المسيحيون الطعن في القرآن والادّعاء بأنّه منتخب مختصر من الإنجيل، وأنّ محمّداًﷺ ادّعى النبوّة كذباً، ولهذا فقد حظي إبطال القرآن باعتباره الأصل الرئيس في التبليغ الديني باهتمام المسيحيّين الغربيّين، فسعوا إلى ترجمته.[4]

---

١. قالوا في تعريف المستشرق: هو الباحث من بلاد الغرب في تراث الشرق، وكلّ ما له علاقة بالتاريخ واللغة، والأدب والفن والعلوم، والعادات والسنن.

٢. الصف: ٨

3. Hartmut Bubzin.

٤. نظرى اجمالي بر ترجمه هاي لاتينى قرآن ترجمان وحى: ٣٥/٧ و٣٦.

وعندما نشر المستشرق الألماني هنكلمان أوّل ترجمة للقرآن باللغة الألمانيّة في سنة ١٩٦٤م، بيّن هدفه من هذه الترجمة قائلاً:

يجب على كلّ مسيحي التعرّف على القرآن لمواجهة الإسلام ونشر المسيحيّة.[١]

وطبعاً هذا الكلام لا ينفي وجود بحوث علميّة موضوعيّة ومنصفة قام بها بعض المستشرقين، لكنّها قليلة جداً قياساً إلى المؤلّفات المغرضة التي فيها نقاط مبهمة كثيرة جداً، ولذا ينبغي توقّي الحذر منها.

وسعينا في هذه المقالة إلى بحث نظريّة المستشرقين حول مآخذ القرآن. ويبدأ هذا البحث بتعريف الاستشراق، ثُمّ الإشارة المختصرة لتاريخ المستشرقين وأهدافهم، وبعد ذلك سوف نتطرّق إلى أصل البحث.

تعريف الاستشراق

لقد عُرضت تعاريف مختلفة للاستشراق orientalism من قِبل المستشرقين ونقّاد الاستشراق،[٢] ونشير هنا إلى إحدى هذه التعاريف الشاملة مراعاة للاختصار:

الاستشراق هو قيام الباحثين الغربيّين بدراسة تراث الشرق وخاصّة المسائل المتعلّقة بالتاريخ، واللغة والأدب، والفنّ والعلوم والعادات والسنن.[٣]

التاريخ القديم للاستشراق

إنّ المصادر التاريخيّة المتبقيّة لنا من القرون السالفة تتيح لنا القول: بأنّ منطق دراسات الغربيّين حول الشرق كان في أواخر القرن السادس قبل الميلاد، وذلك عندما قرّر داريوش ٥٢٢ ـ ٤٨٦ق.م أحد ملوك الهخامنشيين ـ أعظم إمبراطور في إيران القديمة ـ توسعة نطاق دولته نحو الغرب، فتحرّك بجيوشه نحو اليونان:

ووصل إلى نهر الدانوب،[٤] ومال اليونانيّون بعد هذا العصر، باعتبارهم جزءاً من الغرب[٥] إلى التعرّف على الشرق فانكبوا على المطالعة للتعرّف على أهداف

---

١. *أهداف مطالعات اسلامي*، نقلاً من جريدة كار وكارگر، بتأريخ ١٣٧٧/١٠/٣٠.

٢. راجع: *نقد آثار خاور شناسان*: ٧؛ *شرق شناسي*: ٣٥٦؛ نمايه، فصلنامه كتاب هاى اسلامي: العدد ٣٥/٦.

٣. *المستشرقون والدراسات القرآنية*: ١١.

٤. *تمدن ايراني*: ٣٩ـ ٤٠.

٥. ذهب بعض، ومنهم أرسطو، إلى أنّ اليونان هي الحدّ الفاصل بين الشرق والغرب، وقالوا: بأنّ اليونان تحتوي على جميع جوانب الشرق والغرب. راجع: خاورشناسي در روسيه وأوروبا: ٤٩.

عدوّهم.[١] واستمرّوا على ذلك، واتّسع كثيراً في عصر حكومة أردشير الأوّل ٤٤٢ ـ ٤٦٥ق.م. وفي هذه المرحلة التاريخيّة سافر المؤرّخون والعلماء اليونانيون إلى مصر وبابل، وإيران وأحاطوا بتاريخ المذاهب الشرقيّة وعلومها.[٢]

وأوّل غربي ذكر اسمه في المصادر التاريخيّة،[٣] وله بحسب الظاهر كتاب حول داريوش الأوّل هو «هكاتـه»[٤] ٥٦٦ ق.م،[٥] وقد وصلتنا بعض تقاريره حول الشرق عبر ما تركه لنا المؤلّفون من بعده من آثار.

وهنالك شخص آخر تحدّث حول الشرق ذكر اسمه في المصادر التاريخيّة اليونانيّة وهو «اشيلوس»[٦] ٤٢٥ ـ ٤٥٦ق.م الذي كتب كتاباً بعنوان پارسيان، حول الهجوم العسكري الذي شنّه خشايار شاه الملك الهخامنشي ٤٦٥ ـ ٤٨٦ق.م، وهو يوناني، وقد ذكر العرب في كتابه.[٧]

والشخص الثالث يوناني[٨] تحدّث حول الشرق بالتفصيل[٩] واسمه «هرودوت»[١٠] أو «هرودوتس». وقد عاش في الفترة بين ٤٢٥ ـ ٤٨٤ ق.م بالتقريب[١١]. وشغف كثير من اليونانيين في ذلك الوقت بثروة الشرق ورونقه، واختاروا السكنى في آسيا الصغرى.

ولد هرودوت في هالكارناس[١٢] ـ مستعمرة يونانية في آسيا الوسطى ـ وكان على عكس

---

١. *نقد الخطاب الاستشراقي الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية*: ١: ٢٨.

٢. *ايران از آغاز تا اسلام*: ٢٢٠.

٣. وردت مطالب حول الشرق وخاصّة إيران في السفرنامه المنسوبة إلى فيثاغورث (Phythagore) في القرن السادس قبل الميلاد، ولكن ولوجود ترجيح في نسبة هذه السفرنامه إلى فيثاغورث أعرضنا عن ذكرها. ولمزيد الاطلاع راجع: تاريخ جهان باستان يونان: ٢٢٢.

4. hecatee.

٥. *شناسايى منابع ومآخذ تاريخ ايران از آغاز تا سلسله صفويه*: ٢٤. ٢٥؛ بتفاوت يسير.

٦. Aeshylus وورد اسمه في المصادر أيضاً: (اشيل، آيسخولوس واخيلوس)، راجع: *المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام*: ٢١/١.

٧. المصدر: ٥٨.

٨. ذهب بعض إلى أنّ هرودوت آسيوي ومن التبعية الإيرانيّة؛ راجع: شناسايى منابع ومآخذ ايران: ٢٥؛ *خاور شناسى در روسيه*: ٨.

٩. راجع: *المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام*: ٥٨/١؛ *تاريخ إيران از آغاز تا انقراض ساسانيان از صدر إسلام تا انقراض قاجاريه*: ٤٩.

10. Herdot.

١١. ذهب بعض إلى أنّ سنوات حياته كانت بين ٤٢٠ ـ ٤٨٩ ق.م، راجع: *مطالعات اسلامى در غرب*: ٢٩.

12 .Halicarnasse.

كثير من اليونانيّين القاطنين في آسيا الصغرى اللاهثين وراء السلطة والثروة، فكان يسعى للتعرّف على ما يحيط به وتعريف الآخرين بذلك.

فترك مسقط رأسه في فترة شبابه قاصداً جزيرة ساموس،[١] ثُمّ أثينا، وتعرّف فيها على بركليس،[٢] رئيس جمهوريّة المدينة، وسوفكلس[٣] الشاعر اليوناني الكبير، ثُمّ سافر إلى مصر وسورية، وكلچند والمقدونيّة، وتركيا وبابل، وذهب من هناك برفقة مجموعة من المهاجرين اليونانيّين إلى روما.[٤]

وكتب في روما ما شاهده وسمعه في رحلته هذه في كتاب بعنوان *تاريخ العالم* في تسعة أجزاء. وكان كتابه تاريخاً مختصراً للعالم، وهو في الحقيقة:

تأريخ الصراع بين إيران واليونان، وإن شئت قلت: تأريخ الصراع بين آسيا وأُوروبا.[٥]

فقد كانت إيران أكبر قوّة في الشرق، وكانت اليونان أقوى دولة في الغرب.

وقد اهتمّ هرودوت في تاريخه بالإضافة إلى توثيق الوقائع التاريخيّة والأحوال الجغرافية لذلك العصر بعادات وتقاليد الأمم أيضاً، وبحثها بشكل مفصّل، وإن اعتبرها كثير من المحقّقين في التاريخ بأنّها مملوءة بالأساطير والحكايات التي لا تنسجم مع العقل،[٦] ولكن ينبغي الاعتراف أنّه بالرغم من وجود الأساطير والغلو والنظرة التمحيّزة في هذا الكتاب،[٧] فإنّ فيه بحوث قيّمة حول الشرق، وغالباً ما كانت منسجمة مع الآثار التاريخيّة والكتابات الحجريّة في ذلك العصر، وذات علاقة معها.

وهنالك يونانيّون آخرون اهتموّا بالمطالعة والكتابة حول الشرق والشرقين مثل: كتزياس[٨] القرن الخامس الميلادي،[٩] وغزنفون[١٠] ٣٣٥ ـ ٥٤٤ ق.م.[١١]

---

1 .Samos.

٢. Pericles، ولمزيد الاطّلاع راجع: *تاريخ تمدن*: ١/٥.

3 .Sophxles.

٤. *شناسائى منابع ومآخذ تاريخ ايران*: ٢٤ ـ ٢٥، بتفاوت يسير.

٥. *المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام*: ٥٧/١.

٦. راجع: *نقد الخطاب الاستشراقي*: ٢٨/١؛ *المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام*: ٥٧/١؛ *تاريخ تمدن*: ٢٩٠/٥.

٧. لمزيد الاطّلاع راجع: *تاريخ تمدن*: ٢٩٠/٥؛ *يونانيان وپارسيان*: ٥٣.

8 .Ctesias.

٩. راجع: *شناسايى منابع ومآخذ تاريخ ايران*: ٣١.

10.Xenophon

١١. راجع: *شناسايى منابع ومآخذ تاريخ إيران*: ٣٠؛ *تاريخ اسلام از آغاز تا انقراض ساسانيان از صدر اسلام تا انقراض قاجاريه*: ٤٩؛ *تاريخ إيران (باستان)*؛ *تاريخ تمدن*: ٤٣/٦ ـ ٤٧.

الدور التحريفي للمستشرقين

أ) تعرّف المستشرقين على الإسلام

التعرّف على الإسلام أو الاستشراق الخاصّ عبارة عن دراسة وبحث غير المسلمين حول الإسلام والمسلمين من أجل التعرّف على الأجواء الثقافيّة والحضاريّة في العالم الإسلامي، وبناءً عليه، فإنّ تعريف الاستشراق غير مقيّد بنشاطات الغربيين، بل هو شامل لكلّ باحث ودارس غير مسلم حول الإسلام وأتباعه، وإن كان الباحث والدارس شرقيّاً، كالمستشرقين الروس والصينيّين واليابانيّين.

ب) السابقة التاريخيّة للتعرّف على الإسلام

عرض المفكّرون والكتّاب والمطّلعون على الاستشراق نظريّات وآراء مختلفة حول البداية التي شرع فيها المستشرقون بدراسة الإسلام. فذهب البعض إلى أنّها بدأت بحروب مؤتة، وتبوك في عصر الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وذهب آخرون إلى أنّها بدأت في القرن الثامن الميلادي، وهنالك آراء أُخرى تذهب إلى أنّ بدايتها في القرن التاسع، أو العاشر، أو الحادي عشر، أو الثاني عشر، أو الثالث ـ عشر، أي: بعد هزيمة المسيحيّين في الحروب الصليبيّة ١٢٥٠م،[1] ولكن في ضوء التعريف المذكور حول التعرّف على الإسلام لدي الغربيّين، يمكن القول: بأنّ الاستشراق بدأ من عصر النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، فمثلاً في السنة السادسة للهجرة عندما بدأ صلى الله عليه وآله دعوته العالميّة حينما أرسل مبعوثيه إلى قادة العالم آنذاك يدعوهم إلى دين التوحيد، ومنها رسالته صلى الله عليه وآله إلى قيصر الروم هِرَقل بيد دحية الكلبي، فسلّمها إليه في مدينة حمص. وبعد اطّلاعه عليها قرّر من ذلك الحين التعرّف على خصوصيات حياة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله والدين الإسلامي. وقد أخذ دحية أبا سفيان معه إلى هرقل، فسأله أسئلة عن النبيّ صلى الله عليه وآله الجديد ودينه فأجابه أبو سفيان عنها، ولكن القيصر لم يكتف بذلك فأرسل رسالة إلى أحد علماء الروم عن هذا الدين الجديد، فأجابه العالم: إنّ هذا هو النبيّ صلى الله عليه وآله الذي ينتظره العالم. فنوى قيصر اعتناق الإسلام، ولكنّه خاف ثورة الروم عليه.[2]

وهذه الحركة من قيصر وسعيه لمعرفة حياة رسول الله صلى الله عليه وآله ودينه الجديد، وكذلك

---

١. *مطالعات اسلامي در غرب*: ٢٧.

٢. راجع: *تاريخ اليعقوبي*: ٤٤٣/٢١ ـ ٤٤٤؛ *تاريخ الطبري*: ١٢٨/٢ ـ ١٣١؛ *فروغ ابديت*: ٢١٢/٢ ـ ٢١٧.

الجهود الأُخرى التي بُذلت في عصر النبيّ للتعرّف على الإسلام ونبيّه الكريم، ومنها الحوارات التي أجراها مجموعة من علماء نصارى نجران مع رسول الله وقصّة المباهلة التي أدّت إلى إسلام أحد هؤلاء العلماء واسمه أيهم،[١] هو نوع من التعرّف على الإسلام.

وكان هذا النوع من الدراسات قليل إلى زمان الحكومة الأمويّة، حيث ظهر بشكل واضح، ولكن بقالب النزاع والعداوة مع الإسلام. وقد حاول عدد كبير من المسيحيّين الذين نفذوا إلى أجهزة الدولة الأمويّة توجيه ضربة للإسلام وتخريبه من الداخل، فبذلوا كلّ ما استطاعوا من جهد في سبيل هذا الهدف. ونشير هنا إلى شخصين منهم كنموذج:

الأوّل: أبو مالك غياث بن الصلت الملقّب بالأخطل ٢٠ ـ ٩٢ق/ ٦٤٠ ـ ٧١٠م، الذي صار الشاعر الرسمي للخليفة عبد الملك بعد إنشاده قصيدة يمدحه فيها، وكان في ظِلّ حماية الخليفة الأموي ينتقد ويستهزئ بالإسلام والمسلمين صراحة، ويلوم بشدّة كلّ من يغيّر دينه إلى الإسلام تقرّباً للسلطة.[٢]

الثاني: جون الدمشقي[٣] المعروف بـ«يوحنّا» (٦٥٠ ـ ٧٥٠م، الذي كتب كتاباً تحت عنوان: *الفرق*[٤] دوّن فيه المناظرات مع المسلمين وطرق الحوار والجدل معهم، وبسبب كتابه هذا دوّن اسمه في التاريخ بصفته المؤسّس للتهم والافتراءات على الإسلام ورسوله الكريم.[٥]

> فقد ذكر في كتابه أكاذيباً وموضوعات صارت بعد ذلك أساساً للفكر الاستشراقي، فهو الذي زعم أنّ رسول الإسلام قد أخذ دينه من راهب مسيحي ومن التوراة والإنجيل، وأنّ الوحي ونزول آيات القرآن كان يتزامن مع الحاجات الجنسيّة للنبيّ.
>
> وقد تمسّك المسيحيّون في الأندلس بهذه الآراء الفاسدة وأضافوا عليها، وقد نشرت الكنيسة أيضاً هذه التهم والمزاعم الباطلة، وترجمتها إلى اللغة اللاتينيّة.[٦]

وعلى هذا الأساس يمكن القول: بأنّ بداية التعرّف على الإسلام كان في عصر الحضور، ومنذ ذلك الحين انطلقت نشاطات التعرّف على الإسلام. وقد حصلت هذه النشاطات بأيدي

---

١. راجع: *تاريخ اليعقوبي*: ١/٢٤٩ ـ ٢٥٢.

٢. راجع: *انتقال علوم يونانى به عالم اسلامى*: ٢١٥ ـ ٢١٦.

3. John Damas Cus.

4. de haeresibus.

٥. *محمد در اوروپا*: ١٨٢.

٦. *سير تاريخى وارزيابى انديشه شرق شناسى*: ٨٤ ـ ٨٥؛ راجع: *محمد در اوروپا*: ١٨٢؛ *تطوّر الاستشراق في دراسة التراث العربي*: ٢٥.

المسلمين إلى فتح الأندلس بشكل مبعثر وغير منتظم. وبعد هذا العصر اتّخذت هذه النشاطات شكلاً أكثر جدّية، وازدادت كثيراً في عصر الحروب الصليبيّة، وخاصّة بعد هزيمة المسيحيّة في هذه المعارك، وتقدّم الإسلام نحو أُوروبا، وقد سعت الكنيسة بشدّة يوماً بعد يوم إلى عرض صورة غير واقعيّة ومحرّفة عن الإسلام.

ج) رأي الإمام الخميني‏ رحمه الله

أشار الإمام الخميني‏ رحمه الله في موارد عديدة إلى هذا الجانب، ففي كتابه *ولاية الفقيه*، قال متحدّثاً:

أحسّ الغربيّون في أثناء الحروب الصليبيّة أنّ الإسلام وأحكامه وإيمان الناس به يقف سدّاً منيعاً أمام مصالحهم الماديّة وسلطتهم السياسيّة، ويشكل خطراً بالغاً ضدّهم؛ ولذلك سعوا وبوسائل مختلفة للتبليغ ضد الإسلام والتآمر عليه.

لقد تكاتف لتحريف حقائق الإسلام المبلّغون في المدارس الدينيّة والموظفون في الجامعات والمؤسّسات التبليغيّة الحكوميّة، وما يملكونه من دور النشر والمستشرقون الذين يعملون لخدمة الدول الاستعماريّة، فأدّى ذلك إلى تضليل كثير من المتعلّمين.[1]

وكتب في موضع آخر من هذا الكتاب نفسه، قال‏ رحمه الله:

ومن ناحية أُخرى فقد نشط المستشرقون الذين هم عملاء للمؤسّسات الاستعماريّة لتحريف وتزوير حقائق الإسلام.[2]

وقال‏ رحمه الله أيضاً:

لقد قرؤوا نصوص القرآن، وقرؤوا الإسلام أيضاً، وفهموا أنّ القرآن كتاب إذا أخذ به المسلمون، فإنّهم سيضربون على أفواه تلك الأُمم التي تريد السيطرة عليهم، فالقرآن يقول إنّ الله تعالى لم يجعل سلطة لغير المسلم أبداً... .

لقد قرؤوا فعرفوا ما هو القرآن والإسلام ونصوص الإسلام، وأنّ المسلمين إذا ما اطّلعوا على هذه النصوص وتمسّكوا بالقرآن والإسلام، فسينتهي أمر الغزاة والمتسلطين؛ ولذلك فكّروا في طريقة لبقاء هؤلاء الغزاة والمتسلّطين ووجدوا أنّ السبيل هو في الفصل بين الأُمّة والإسلام.[3]

وعلى هذا، ففي رأي الإمام الخميني‏ رحمه الله أنّ أهمّ أهداف المستشرقين ودراسات الغرب

---

١. *ولايت فقيه*: ١٠.

٢. المصدر: ١٢٨؛ *صحيفه إمام*: ١٥٨/٦؛ و٤٥٠/٨.

٣. *صحيفه إمام*: ٣١٧/٤.

الإسلاميّة والقرآنيّة هو تحريف وقلب المعارف القرآنيّة. وسنوضح مقولة الإمام﵀ هذه فيما يلي تحت عنوان: **مراحل الدراسات الإسلاميّة في الغرب.**

مراحل دراسة الإسلام

تصدّى المستشرقون لبيان المراحل المختلفة التي مرّ بها التعرّف على الإسلام، وقد قسّمها كلٌ واحد منهم على طريقته وذوقه الشخصي، فقسّمها بعض إلى ثلاث مراحل، وبعض إلى أربع مراحل، وبعض إلى سبع مراحل.[١] ونحن نقسّمها إلى مرحلتين باعتبار خصائصها المتميّزة، وسنعرض عن ذكر الجزئيّات بسبب طول البحث.

أ) منذ ظهور الإسلام إلى القرن السادس عشر الميلادي

وتشمل هذه المرحلة منذ عصر الحضور إلى أوائل القرن السادس عشر الميلادي، وكانت تتميز بالتغيّر الدائم والتوسّع المستمر، فقد كانت ضعيفة في البدء وفي عصر النبي الأكرمﷺ، ثُمّ تطوّرت في عصر الحكومة الأمويّة بواسطة رجال الدين المسيحيّين، وخاصّة يوحنّا الدمشقي، وازدادت تطوّراً بعد هزيمة المسيحيّة في الحرب الصليبيّة واتّساع نفوذ الدين الإسلامي في الأراضي المسيحيّة.

وكان أهمّ وأبرز خصائص هذه المرحلة هي تحكّم الكنيسة المطلق وتوجيهها لدراسة الإسلام والتعرّف عليه، فكانت لهذه الدراسة طابعاً دينيّاً ـ أي: أنّ هذه النشاطات كانت بهدف إيجاد سدّ دفاعي أمام تقدّم الإسلام، والدفاع عن كيان المسيحيّة، وإيجاد الشبهات في أذهان المسلمين بقيادة الكنيسة والقساوسة المتعصبيّن في ظِلّ دعم الملوك المسيحيّين.

وكانت ذات دواع دينيّة وتبشيريّة محضة، وخاصّة بعد الهزيمة العسكريّة للمسيحيّة مع الإسلام، حيث أُلقي أُسلوب المواجهة الثقافيّة والإعلاميّة مع الإسلام، وصارت غايتهم

> تخريب الإسلام والمسلمين بواسطة الوعظ والتبليغ والنفوذ التدريجي، بصفته أفضل طريق لمواجهة الإسلام ونشر المسيحيّة، فجاءت القراءات العربيّة الإسلاميّة لسدّ الاحتياجات التبشيرية.[٢]

---

١. راجع: *مطالعات اسلامي در غرب*: ٤٠ ـ ٤١؛ *سير تاريخي وارزيابى انديشه شرق شناسي*: ٦١؛ *نقد الخطاب الاستشراقي*: ٣٧٠/١.

٢. *تراث الإسلام*: ٥٩/١؛ ولمزيد الاطّلاع راجع: *نقد الخطاب الاستشراقي*؛ *تاريخ حركة الاستشراق*: ١٢؛ *أضواء على الاستشراق والمستشرقين*: ١١.

وازداد اهتمام الكنيسة بالإعلام يوماً بعد يوم، وقد بذلوا غاية جهدهم في عرض صورة غير واقعية ومشوّهة للإسلام، ولم يدّخروا وسعاً في تحريف الإسلام وتشويه صورته وتسفيه قيمه، ونسبوا كثيراً من الأساطير والخرافات إلى الإسلام والنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله.

يقول المستشرق الهولندي دريان رلاند «ريلند»[1] في هذا الشأن:

إذا كان هنالك دين في الكرة الأرضيّة وصفه أعداؤه بأقبح الأوصاف، ونفّروا الآخرين منه بنحو لو أراد عاقل أن يردّ تلك الأساطير لوصم بالعار، فذلك الدين هو دين الإسلام.[2]

واعترف المستشرق الإنجليزي سردينسن راس[3]:

إنّ أكثر المعلومات التي يمتلكها الأوروبيون حول الإسلام وخلال القرون الماضية مبنيّة على أخبار وتقارير محرّفة روّج لها المسيحيّون المتعصّبون، فأدّى ذلك إلى انتشار مجموعة من التهم الباطلة والبعيدة عن الانصاف، وبالغوا بنعت الإسلام بكلّ قبيح وتعبير غير لائق عند الأوروبين.[4]

ويقول كاراده فو في كيفيّة تعريف رسول الله صلى الله عليه وآله في الغرب:

لقد وُصف محمّد صلى الله عليه وآله في الغرب ولفترة طويلة بأقبح الصفات احيث لم يجدوا نعتاً قبيح إلّا وصفوه به.[5]

فوصفوه ـ ونعوذ بالله ـ بأنّه مرائي وشهواني، وطالب جاه ومصروع، وشيطان ومخادع! ولذا فقد أثّرت هذه الافتراءات والأباطيل في أُوروبا أثناء فترة القرون الوسطى في الاعتقاد بأنّ محمّداً صلى الله عليه وآله نبيّ كاذب، وكان يتظاهر بأنّ الوحي يتنزّل عليه من الله تعالى.[6]

وكانوا يتوهمون بأنّ المسلمين أُناس وثنيوّن يعبدون الأقانيم الثلاثة: محمّد صلى الله عليه وآله، وترواجان، وأبو للو.[7] وعرّفوا القرآن بأنّه: مجموعة من الترشحات الذهنيّة لرسول الله صلى الله عليه وآله ومقتبس من كتب الماضين. ووصفوا الدين الإسلامي بأنّه دين الخداع والسيف والشهوة

---

1. Adrian reland.

٢. *نگرش تاريخى بر رويا رويى غرب با اسلام*، نقلاً عن
Deln Reliqionce Mohammedica Utrech. P.123

3. Sir Denson Ross.

٤. *محمد صلى الله عليه وآله خاتم پيامبران*: ٢٨١/٢.

٥. *من الشرق والغرب نظرات استشراقية في الإسلام*: ٨، نقلاً من المحمدية: ٢٠.

٦. *درآمدى بر تاريخ قرآن*: ٤٥.

٧. *حياة محمّد*: ١٤١.

وشوّهوا سمعته بصور كاريكاتيريّة مضحكة.[١،٢]

وقد مرّت الإشارة أنّ مؤسّس هذه الشائعات والأباطيل هو جون الدمشقي يوحنّا في القرن الثامن الميلادي، ويليه شخص باسم نيكيناس بزانس في النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي. وكان من أكثر المتطرّفين خشونة على الإسلام، وقد كتب كتاباً في الردّ على القرآن والإسلام[٣] تحت عنوان: *نقض الأكاذيب في كتاب المسلمين*.[٤]

وظهرت في القرن الثاني عشر الميلادي مجموعة بزعامة بيتر محترم[٥] ١٠٩٢ ـ ١١٥٦م، الراهب المعروف في دير كلوني،[٦] عرضت هذه المجموعة صورة سيئة عن الإسلام بهدف تشويه صورة السلم والسلام عند الإسلام والمسلمين ، والأهمّ من ذلك كلّه ترجموا من العربيّة إلى اللاتينيّة كتاب تروج إلى صحة إيمان المسيحيّين.[٧] وهذه المجموعة التي عُرفت بعد ذلك بمجموعة طليطلة أو تولدو، تحتوي على مجموعة ناقصة من القرآن الكريم باللغة اللاتينيّة، وأساطير الساراسنيين،[٨] وكتاب نَسَب رسول الله صلى الله عليه وآله، ومسائل عبد الله بن سلام، ورسالة الهاشمي إلى الكندي، ورسالة الكندي إلى الهاشمي، وملحق من تأليف بيتر في الردّ على عقائد المسلمين. وقد بقيَت هذه المجموعة مخطوطة لمدّة أربعة قرون، وكانت في متناول أيدي رجال الدين والمبشرين المسيحيّين، وطبعت في سنة ١٥٣٤م، باهتمام تئودور بيبياندر[٩] ١٥٠٤ ـ ١٥٦٤م، عالم الإلهيّات السويدي في السويد في مدينة بازل.[١٠]

وهذه المجموعة المملوءة بالخرافات والإسرائيليّات والسموم والكنايات، كانت سارية المفعول لمدّة ستّة قرون، وكانت مصدراً مهمّاً لأيّ نوع من المعلومات عن القرآن

---

١. *نگرش تاريخى بر رويا رويى غرب با اسلام*: ٧٩.

٢. لمزيد الاطّلاع راجع: *برخورد آراي مسلمانان ومسيحيان*، (تفاهمات وسوء تفاهمات): ١٣٩؛ *محمد در اوروپا*: ١٦٦؛ *تراث الإسلام*: ٣٧/١؛ *رؤية إسلامية للاستشراق*: ٢٨؛ *نقش كليسا در ممالك إسلامي*: ٣٤.

3 .Confutatio Falsi Libris Quem Mhamdes arabs.

٤. راجع: *دفاع از قرآن در برابر آراى خاور شناسان*: ١١.

5. Peter the venerabic.

6. Cluny.

٧. *نظر اجمالى بر ترجمه هاى لاتينى قرآن مجيد*: العدد ٢٦/٧.

٨. *تراث الإسلام*: ٤١/١.

9. Fabuae Saraceorum.

10. Theodor Bibiander.

والإسلام[١]. وقد استفاد منها المؤلّفون والنقّاد الأوروبيون والمسيحيّون لإبطال الإسلام، ويمكن الإشارة إلى بعضهم كنيكولاس كوزاي ١٤٠١ ـ ١٤٤٦م، ودينيوسيوس كارثينوس ١٤٠٢/٣ ـ ١٤٧١م، ومارتين لوثر ١٤٨٣ ـ ١٥٤٦م، وهرگوگروتيوس ١٥٨٣ ـ ١٦٤٥م، وخوان لويس ويوز ١٤٩٢ ـ ١٥٤٠م.[٢]

وفي القرن الثالث عشر الميلادي كتب ريموندو مارتيني[٣] ١٢٣٠ ـ ١٢٨٤م، كتاباً باسم: *ضجر الإسلام* باللغة العربيّة في الردّ على المسلمين واليهود على أساس استدلالات الغزالي ضدّ المشّائين، وقد انتشر الكتاب بلغته العربيّة وترجمته اللاتينيّة، ومنذ أوائل القرن السابع عشر اعتبر من نماذج المجادلات الدينيّة بين الإسلام والمسيحيّة واليهوديّة.[٤]

وظهر مسيحي آخر في هذا القرن أيضاً باسم توما الأيني ١٢٢٦ ـ ١٢٧٤م،[٥] وصف فيه الإسلام بدين الشهوات، ووصف المسلمين بالمتوحشّين الصحراويّين.

وكانت أكبر الهجمات حجماً على القرآن والإسلام في القرن الرابع عشر الميلادي بواسطة جان كنتا كوزين[٦] ١٢٩٢ ـ ١٣٨٠م، إمبراطور بيزانس في كتابين؛ الأوّل تحت عنوان: *ضدّ تكريم المسلمين*، والآخر تحت عنوان: *ضدّ صلوات وتلاوة المسلمين*.

وظهرت في القرن الخامس عشر مجموعة من المستشرقين: أمثال: نيكولاس كوزاي[٧] ١٤٠١ ـ ١٤٦٤م، آلفونس سينا[٨] م١٤٩١م، وجان دي توركرماتا[٩] م ١٤٦٨م، كتبوا بالترتيب كتباً: *غربان القرآن*،[١٠] *ثبوت الإيمان*،[١١] *بحث في ردّ الأراجيف لطرح ما وصفوه بانحرافات*

---

١. لمزيد الاطّلاع عن هذه المجموعة ومصيرها راجع: *نقد الخطاب الاستشراقي*: ١/٤٣؛ *القرآن الكريم وروايات المدرستين*: ٢/٧٠٧؛ *نظر إجمالي بر ترجمه هاى لاتينى قرآن مجيد*: ٣٦؛ *كتاب ماه* (دين)، *مقالة قرآن در عصر اصلاحات رنسانس*، محمّد كاظم رحمتي: ٦٣، ٦٤، دي وبهمن ١٣٨١ش.

٢. كتاب ماه (دين)، مقالة: *قرآن در عصر اصلاحات رنسانس*، محمّد كاظم رحمتي: ٦٣ و٦٤، دي و بهمن ١٣٨١.

3. RiomondoMartini.

٤. *مطالعات اسلامى در غرب*: ٥٢.

٥. *رؤية إسلامية للاستشراق*: ص٣٠؛ نقلاً من:

The influence of Islam on Medieral Earope.P.74

6. Jeanne Kantakouzen

7. Nicholas Cusa (cusanus)

8. Alphone spina

9. Jean turrecremata.

10. Cribiatio Al chorani Oeuvres.

11. Fortalitium Fidei.

وخداعات محمد. [١و٢] وما ذكرناه من الغربيّن والمستشرقين قليل جداً ممّن ظهر في القرون الوسطى بقصد تنفير الأوربين من الإسلام عن طريق تحريف هذا الدين وإلصاق الأكاذيب والأساطير به. وهذه الكتابات وسائر ما كُتب في القرون الوسطى عن الإسلام والمسلمين كانت سخيفة إلى درجة أنّ المستشرقين الذين جاؤوا بعد ذلك كانوا مضطرين إلى وصف هذه الكتب بأنّها قصص أطفال، ووصفوا أصحابها بالكذّابين [٣]. وبحثوا ونقدوا أقوالهم ومؤلّفاتهم وكتبوا ردوداً عليها، ممّا سبب لبعضهم المضايقات والأذى الكثير في هذا السبيل، كما حدث ذلك لويليام ويستون [٤] الذي طرد من جامعة كمبريج في سنة ١٧٠٩م بسبب إظهار إعجابه بالإسلام، [٥] أو مثل ريتشارد سيمون [٦] وجاكوب رايسكه [٧] ١٧١٦ـ ١٧٧٤م، الذين تعرّضا لاتّهامات مختلفة بسبب تفكيرهما الحرّ ونظرتهما الواقعيّة للإسلام، وضايقتهما الكنيسة بشدّة. [٨]

وطبعاً، لم تتوقّف الأساطير والافتراءات عند هذا الحدّ، بل استمرّت في القرون اللاحقة، فورث عدد كبير من المستشرقين تراث الماضين وتابعوا السير على خطاهم حذو النعل بالنعل. فمثلاً ـ وفي حدود سنة ١٨٨٧م ـ نشرت المنظمة الدينيّة لمدينة لندن كراساً بعنوان *ظهور الإسلام وسقوطه* (الإسلام وليس الدين المحمّدي) بقلم ويليام موير، [٩] وكان من حماة العلماء ومن المتلهفين لتأييد المبلّغين. وقد كرّر في هذا الكراس جميع التهم السابقة المنسوبة للإسلام في القرون الوسطى، [١٠] ولكن مع فارق مهمّ وهو ان الدافع للقراءات الإسلاميّة كان دافعاً دينياً وعقائدياً محضاً، بينما صار بعد ذلك دافعاً سياسياً واستعمارياً، [١١] وسنتحدّث عن ذلك في الفصل الآتي.

---

1. Tractatus Contra Principales Errores Perfidi Mahometis.

٢. راجع: *دفاع از قرآن*: ١٢ ـ ١٣.

٣. *نگرش تاريخى بر رويا رويى غرب با اسلام*: ٣٤٣، نقلاً من: Dictionnare Hisrique Et critique vol2 p.102.

4. William whiston.

٥. راجع: *شرق شناسى*: ١٤١ ـ ١٤٢.

6. Richard simon.

٧. Jakob Reiske، ولمزيد الاطّلاع راجع: *فرهنگ كامل خاورشناسان*: ١٥٩.

٨. *تراث الإسلام*: ٦٣/١؛ *رؤية اسلامية للاستشراق*: ٢٦ ـ ٢٧؛ *الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم*: ٢٥.

9. William Muir.

١٠. *برخورد آراى مسلمانان ومسيحيان*: ١٧٦.

١١. *تراث الإسلام*: ٥٩/١.

ب) من القرن السادس عشر إلى اليوم

تمتاز هذه المرحلة من التعرّف على الإسلام بخصائص ومميزات، أهمّها ظهور التعرّف على الإسلام والاستشراق السياسي الاستعماري، أي: أنّ دافع المطالعات الإسلاميّة لم يكن دافعاً محضاً، بل اختلطت معه الدوافع السياسيّة والاستعماريّة التي حلّت بمرور الزمان محلّ الدوافع الدينيّة من دون إقصاء الدوافع الدينيّة نهائياً عن ذلك، فأصبحت أغلب دراساتهم في الغرب بدوافع استعماريّة.

وبالرغم من ظهور الدراسات العلميّة الكثيرة المقرونة بإساءة الفهم للتعرّف على الإسلام في هذه المرحلة، وخاصّة في القرنين التاسع عشر والعشرين، إلّا أنّها قليلة جداً بالقياس لأعداد المؤلّفات التي صدرت لأهداف استعماريّة. ولهذا يمكن القول: إنّ أبرز خصوصيّات هذه المرحلة من الاستشراق في الغرب هي كونها سياسيّة استعماريّة. وقد سعى المستشرقون إلى تعبيد الطريق أمام النفوذ الاستعماري عن طريق الثقافة التي طرحوها، لتنفيذ السياسة الاستعماريّة وهيّؤوا الأرضيّة المناسبة لحضورهم في البلاد الإسلاميّة؛ لأنّ احتلالها سيمكّنهم من السيطرة على أسواقها وتثبيت قواعدهم الاستعماريّة، بالإضافة إلى التعرّف على جغرافيا الأراضي الإسلاميّة، كما كانوا بحاجة أيضاً إلى التعرّف على الحضارة والثقافة الإسلاميّة التي أوكلوا دراستها إلى المستشرقين، فأجادوا في تحمّل هذه المسؤولية، وهيّؤوا الأرضيّة الملائمة للمستعمرين للسيطرة على الشرق الإسلامي والحصول على ثرواته عن طريق القراءة الدقيقة للمجتمعات الإسلاميّة.

يقول الإمام الخميني رحمه الله في هذا المضمار:

> منذ أراد الغربيّون البحث عن الطريق إلى الشرق أرسلوا خبراءهم وتعرّفوا على الشرق بأجمعه. وكانت إحدى الدراسات حول هذه الأراضي... الثروات الباطنيّة للدول الشرقيّة، وهنالك دراسات أُخرى حول عقائد هؤلاء الناس، وإلى أيّ مدى يمكن أن تكون فعّالة لمواجهة الغزاة.[١]

لقد كانوا على علم أنّ الشرق لقمة دسمة، وفيه ثروات ومعادن، وأنّه يجب الحصول عليها.[٢]

وأوضح شاهد لهذه الخدمات التي قدّمها المستشرقون كان في هجوم نابليون بونابرت[٣] على

---

١. *صحيفه إمام*: ٤٤٩/٨ـ ٤٥٠.

٢. المصدر: ٩٧/٤.

3. Napoleon Benaparte.

مصر في سنة ١٧٩٨م، ففي هذه الحملة العسكريّة التي استفاد الاستعمار مباشرة من البحوث الخاصّة بالمستشرقين.[١] فبالإضافة إلى قراءة نابليون لما كتبه المستشرقون أمثال دوولنه[٢] قبل الحرب، فقد اصطحب معه أيضاً المئات من المستشرقين، وعلماء الغرب في حملته العسكرية هذا؛ لأنّه كان يعتقد بضرورة اصطحاب أرشيف حيّ مع هذا الجيش الجرار؛[٣] لكي يستطيع القضاء على كلّ مقاومة شعبية بمشورة وإرشاد هؤلاء المستشرقين. والأهمّ من ذلك هو خلق مبررات لحضوره غير المشروع في الشرق الإسلامي وخاصّة في مصر[٤]. وعندما غادر نابليون مصر أمر نائبه كلير[٥] بإدارة مصر وفقاً لمعلومات المستشرقين،[٦] ممّا يكشف عن أهمّية دور المستشرقين في استعمار البلاد الإسلاميّة.

ونشير هنا لإثبات ذلك إلى بعض المستشرقين الذين خدموا الاستعمار بشكل رسمي:

١. المستشرق الهولندي أسنوك هارجرونج[٧] الذي نُقل من قسم دراسات التعرّف على الإسلام وعُيِّن مشاوراً للحكومة الهولنديّة لإدارة البلد المسلم أندونيسيا.[٨]

٢. المستشرق الإنجليزي مك دونالد،[٩] عُيِّن مستشاراً للحكومة البريطانيّة في شبه القارة الهنديّة.

٣. المستشرق الإنجليزي جب،[١٠] كان مستشاراً للحكومة الأمريكيّة في تنفيذ المشاريع السياسيّة والاستعماريّة،[١١] بالإضافة إلى تعاونه مع الحكومة الاستعماريّة البريطانيّة.

٤. الخبير الفرنسي في شؤون الشرق ماسينون،[١٢] كان مستشاراً للحكومة الفرنسيّة في مشاريعها الاستعماريّة، واشترك أيضاً في الحروب العالميّة.[١٣]

---

١. *شرق شناسى*: ١٤٩.

2. C. F. de volney.

٣. *شرق شناسى*: ١٥٠.

٤. لمزيد الاطّلاع راجع: *سير تاريخى وارزيابى انديشه شرق شناسى*: ٩٠ ـ ٩٢؛ *نقد الخطاب الاستشراقي*: ٨٧/٢١؛ *شرق شناسى*: ١٤٢.

5.Kleber.

٦. *شرق شناسى*: ١٥٣.

7. C. Snouck Hurqronje.

٨. *شرق شناسى*: ٣٧٦.

9. Mac Donald.

10. H. A R. Gibb.

١١. راجع: *رؤية اسلامية للاستشراق*: ١٠.

12. L ouis Massiqnon.

١٣. لمزيد الاطّلاع راجع: *نقد الخطاب*: ٢٠٥/١ ـ ٢٢٤؛ *فرهنگ كامل خاورشناسان*: ٣٧٨ ـ ٣٨٦.

٥. ويليام موير[١] ١٨١٩ ـ ١٩٠٥م، أحد رجال الدولة الاستعمارية الكبار في الهند، وكان مؤمناً بالكنيسة ومن حماة مبلّغيها الدينيّين،[٢] وقد قضى أكثر عمره في المناصب الإداريّة والاستعماريّة في الهند. وهو الذي كتب في سنة ١٨٨٧م كراساً جمع فيه التهم الباطلة ضدّ الإسلام وعاود عرض الصورة المشوّهة عن هذا الدين في القرون الوسطى، وتحدّث فيه أيضاً عن عدم صحّة كثير من التعاليم الإسلاميّة.[٣]

٦. ومن المستشرقين الآخرين بيكر[٤] الألماني ١٨٧٦ ـ ١٩٣٣م، الذي أسّس بالتعاون مع جماعة مركز الدراسات الإسلاميّة في هامبورك لتربيّة مجموعة قادرة على إدارة شؤون المستعمرات. وفي أواخر سنة ١٩١٦م عُيِّن مستشاراً في وزارة الثقافة، ثُمّ تنقّل في الإدارات والمناصب السياسيّة حتّى ارتقى إلى منصب وزير.[٥]

ومع توسّع الاستعمار واستيلاء الغرب على العالم الإسلامي، وخاصّة في القرنين التاسع عشر والعشرين، حيث اتّسعت نشاطات دائرة الاستشراق من خلال تأسيس أقسام تعليميّة وتخصّصية للاستشراق في الجامعات، ومراكز الأبحاث، والجمعيات التبليغيّة والتبشريّة، وإرسال مجموعات إلى الشرق، وفتح مدارس في البلاد الإسلاميّة، وإقامة مؤتمرات الاستشراق، وغير ذلك.[٦] وقد اهتمّت جميع الدول الأوروبية بالأبحاث المتعلّقة بالشرق لنيل أهدافها الاستعماريّة، وأسس في بعض الجامعات أقساماً اختصاصيّة لهذه البحوث.[٧]

فقد أسّس فرانسواي الأوّل، ملك فرنسا في سنة ١٩١٥م في ريمس كرسيّاً للغة العربيّة واللغة العبريّة، وعهد مسؤولية ذلك إلى غويستينيايي.[٨،٩]

وفي كالج دو فرانس، أسّس كرسي للغة العربيّة في سنة ١٥٣٩م، وشَغله غليوم پوستل،

1. William Muir.

٢. برخورد آراى مسلمانان ومسيحيان: ١٨٨.

٣. المصدر: ١٧٦.

4. Karl Heinrich Beker.

٥. لمزيد الأطّلاع راجع: *نقد الخطاب الاستشراقي*: ١/١٨٧ ـ ١٩٧؛ *فرهنگ كامل خاورشناسان*: ٥٨. ٦٣.

٦. راجع: *شرق شناسي*: ٧٩.

٧. *سير تاريخي وارزيابي انديشه شرق شناسي*: ٨٢

8. Guistiniani Aua.

٩. راجع: *المستشرقون*: ١/١٥٢.

ونقل تلاميذاً مثل جون سكاليجر إلى جامعة الاستشراق.[١]

وفي جامعة جريجوريانا[٢] في إيطاليا أسّس قسم للدراسات الإسلاميّة في سنة ١٥٥٣م إلى جانب أقسام اللاّهوت والحقوق الشرقيّة، وأسّس البابا جريجوريوس الثالث عشر المدرسة المارونيّة في روما سنة ١٥٨٤م،[٣] وبدأ تدريس اللغة العربيّة في هولندا في جامعة ليدن ـ لايندن[٤] ـ عبر رولنجن.[٥،٦] وفي سنة ١٦١٣ م خصّص كرسي لتدريس اللغة العربيّة، وكان توماس أربانيوس أوّل أُستاذ فيه، واتّسع هذا الاختصاص في القرون اللاحقة، فقد خصّصت مقاعد لسائر اللغات الشرقيّة، إضافة إلى اللغة العربيّة والدراسات الإسلاميّة.[٧]

ولم تكتفِ الدول الغربيّة بتخصيص كرسي واحد أو عدّة كراسي للدراسات الإسلاميّة في جامعاتها، بل بادرت إلى تأسيس مؤسّسات ومدارس خاصّة للدراسات الشرقيّة والإسلاميّة. وكان أوّل من فتح هذا الباب هو كلبر[٨] وزيرلوي الرابع عشر ١٦١٧ ـ ١٦٨٣م، وكان أوّل من افتتح مدرسة في باريس، المدرسة المعروفة بمدرسة الشباب لتطوير الهدف السياسي. وكان مقصوده تعليم اللغات الشرقيّة لإعداد مترجمين ودعاة سياسيّين ونشر الدعاية الفرنسيّة في المستعمرات والمدارس الشرقيّة.[٩]

ومع حضور الإمبرياليّة الأمريكيّة في الساحة العالميّة والتحاقها برهط الدول الاستعماريّة، ازداد الاهتمام الخاصّ بالدراسات الإسلاميّة في هذه الدولة، بحيث خصّصت في سنة ١٩٥٦م، ست عشرة جامعة أو معهداً باللغة العربيّة، وخمس جامعات أو معاهد باللغة الفارسيّة، وخمس جامعات أو معاهد للغة التركيّة، وأربع جامعات أو معهد للغة الأندونوسيّة، ومعهداً واحداً للغة الأردو.[١٠]

---

١. راجع: *تراث الإسلام*: ١/٦٠.

2. Gregoriana.

٣. *المستشرقون*: ١/٣٤٧.

4. Leiden.

5. F. Van. Raveligen.

٦. راجع: *تراث الإسلام*: ١/٦١.

٧. *المستشرقون*: ٢/٦٤٥.

8. Colbert.

٩. *فرهنگ خاورشناسان*: ١٣.

١٠. راجع: *المستشرقون*: ٣/٩٨١.

وقد استمرّ هذا العمل في جميع الدول الغربيّة، بحيث لم تكد تخلو عاصمة أوروبية أو أمريكيّة، أو روسيّة من مثل هذه المراكز.[1]

وقد بلغ الأمر أكثر من ذلك، فقد أسّست بعض الدول الاستعماريّة مؤسّسات للدراسات الإسلاميّة في الدول الإسلاميّة، على أمل الحصول على مطامعهم السياسيّة بأسرع وقت، وتثبيت سلطتهم الاستعماريّة على المسلمين.

فمثلاً أسّس الهولنديّون في سنة ١٧٨٠م منظمة باتاوا، وأسّسوا في سنة ١٧٨٤م المنظمة الملكيّة الآسيويّة البنجاليّة في كلكته، وأسّس الإنجليز مؤسّسات لهم في الهند وأنقره، وعمان وبغداد وطهران. ومن الأمثلة الأخرى تأسيس أمريكا الجامعة الأمريكيّة في بيروت والجامعة الأمريكيّة في القاهرة.[2]

ولم يكتفِ المستشرقون ـ وبحماية الدول الاستعماريّة ـ بإنشاء مراكز الدراسات، بل أقدموا على ممارسة نشاطات أُخرى، منها:

أ) إرسال المستشرقين إلى الدول الإسلاميّة من أجل الحصول على الأهداف التالية:

١. الدعوة إلى المسيحيّة.

٢. التجسس لصالح الدول الاستعماريّة.

٣. نقل التراث الإسلامي إلى الدول الغربيّة.

٤. إيجاد الشبهات في أذهان المسلمين، وخاصّة الشباب.

٥. تأسيس مدارس في البلاد الإسلاميّة لتربية أولاد المسلمين بنحو لايخالفون التوسّع الاستعماري.

ب) إقامة مؤتمرات الاستشراق بهدف إيجاد التنسيق بين نشاطات المستشرقين، وقد عقد أوّل مؤتمر لهم في باريس عام ١٧٨٣م.

ج) نشر صحف ومجلات حول الاستشراق والتعرّف على الإسلام، وأهمّها مجلّة العالم الإسلامي التي يشرف عليها المستشرقون الأمريكيّون بهدف نشر المسيحيّة.

---

١. لمزيد الاطّلاع راجع: *سير تاريخي وارزيابى انديشه شرق شناسى*: ٦٧؛ مجلة فرهنگ وپژوهش، مقالة: مراكز پژوهشى ايرانشناسى وشرق‌شناسى، كاظم رهبر، ١٠٠/١٠٧ـ١٠٩.

٢. لمزيد الاطّلاع راجع: *نقش كليسا در ممالك اسلامى*: ١٠٧ ـ ١٣٧؛ مجله گزارش، مقاله: *كاركرد استعمارى شرق‌شناسى وايران‌شناسى*، أصغر مصطفوى: ٤٦/١١٢.

د) إرسال منظمات الآثار إلى الشرق، وأهمّها شامبوليون، حيث استقرّ في مصر للبحث عن الآثار فيها.

هـ) وهو الأخطر من جميع الأهداف وهو، تربيّة وتعليم الطلّاب الجامعيّين المسلمين الديانة والثقافة المسيحيّة. يقول لويس ماسينيون مخاطباً أقرانه:

يجب أن يصطبغ الجامعيّون الشرقيّون (المسلمون) الذين يأتون إلى فرنسا بصبغة التمدّن المسيحي، ثُمّ يرجعوا إلى بلدانهم.[١]

وبملاحظة ما تقدّم يمكن أن نقول: بالرغم من أنّ الدراسات الإسلاميّة في الغرب ـ وعلى مرّ العصور والفترات المختلفة ـ كان لها دوافع وأهداف متنوعة، سياسيّة كانت أو اقتصاديّة، أو دينيّة أو غيرها، إلّا أنّ جميعها متّفقة على مسألة واحدة، وهي الوقوف بوجه الإسلام والقرآن وتحريف المعارف الدينية. وسنذكر فيما يلي إحدى جهود المستشرقين في إسقاط القرآن من الاعتبار، ثُمّ نتعرّض له بالبحث والنقد.

المستشرقون ومصدر القصص القرآني

إنّ إحدى المحاولات التي بذلها المستشرقون لاتّهام القرآن بالتحريف هو التشكيك في مصدر القصص القرآنية وإرجاعها إلى مصادر حصل عليها النبي ﷺ من هنا وهناك، ليجمع بها كتاباً سمّاه القرآن. وممّا لا خلاف فيه ـ على الأقلّ ـ أنّ المستشرقين الذين بحثوا في هذا الموضوع كانوا بصدد العثور على مصادر لا ارتباط لها بالوحي، وقد بذلوا كلّ ما بوسعهم في سبيل هذا الهدف، واستعانوا بكلّ ما يستطيعون الاستعانة به، فذكر كلّ واحد منهم مصدراً للقرآن لكي يشككوا في ارتباطه بالغيب ويسفهوا اعتقاد المسلمين به. وسنبحث في هذا الفصل نظريّات المستشرقين في هذا الموضوع. ويمكن طرح نظريّاتهم في هذا المجال ضمن المحاور التالية:

أ) المصادر اليهوديّة والمسيحيّة.

ب) المصادر المكتوبة.

إنّ من أوهام المستشرقين حول الإخبار التاريخيّة للقرآن، أنّهم قالوا: لقد اقتبس محمّد ﷺ القصص والإخبار التاريخيّة الموجودة في القرآن من الكتاب المقدّس وشبهه، وحتّى من الأساطير اليهوديّة والمسيحيّة.

---

١. *نقش كليسا در ممالك اسلامى*: ١٠٦.

وأوّل من كتب بحثاً مفصّلاً في كتاب مستقل تحت عنوان: محمّد صلى الله عليه وآله[١] وذكر فيه النصوص اليهوديّة المزعومة التي تأثّر بها القرآن، هو آبراهام جيجر،[٢] ونشره في بون سنة ١٨٣٣م. وقد اعترف مَن جاء بعده من المستشرقين بكثرة أخطاء هذا الكتاب، وطرحه لنظريّات ضعيفة لا دليل عليها.[٣] وكان هذا الكتاب مصدراً رئيساً لجميع الدراسات التي كتبت بعده.[٤]

وادّعى جيجر في كتابه هذا أنّ القصص القرآنيّة مستمدّة من كتب الربّانيّين،[٥] وادّعى أيضاً أنّ قصص العهد القديم قد شغلت قسماً كبيراً من القرآن الكريم.[٦]

وقد تحدّث الكثير من المستشرقين بعد جيجر في هذا الموضوع، وكتبوا فيه بشكل مستقلّ أو غير مستقلّ، وسنذكر أوّلاً نظريّات بعض المستشرقين حول الموضوع، ثُمّ نتناولها بالنقد والدراسة:

١. هوروروتز: كتب المستشرق الألماني جوزيف هوروروتز[٧] في *دائرة المعارف الإسلاميّة*، في مقالة التوراة، بعد أن ذكر بعض أرقام الآيات التي تحدّثت عن التوراة:

> بالإضافة إلى الإشارات الواضحة للتوراة في القرآن، فهنالك أحكام وقصص أخذت من التوراة، وفي كثير من الأحيان يحكي القرآن هذه القصص والأحكام من غير إشارة إلى مصدرها الأصلي (التوراة)
>
> وربّما تعرّضت هذه القصص إلى نوع من التغيير لكي تتلاءم مع أهداف محمّد صلى الله عليه وآله.[٨]

وقد اعتبر في مقالة «الزبور» أنّ الآية: ١٠٥ من سورة الأنبياء[٩] منقولة من المزمار: ٣٧، الفقرة: ٢٩. وادّعى وجود آيات أُخرى أيضاً في القرآن لها شبه كبير بفقرات المزامير، وخاصّة المزمار: ١٠٤.

---

1. Was her mohamad aus dem. Junden thumeau fgenommen
2. Abaham Giger.

٣. *موسوعة المستشرقين*: ٢٢٢، ٢٢٣.

٤. *انديشه صادق*: العدد ١٥/٢٨.

٥. *واژهاى دخيل در قرآن مجيد*: ٣٣٧.

٦. *المستشرقون والقرآن*: ٨٥؛ وراجع أيضاً: *تاريخ حركة الاستشراق*: ١٨١.

7. Joseph Horoviz.

٨. *دائرة المعارف الإسلامية*: ١/٦، ٢.

٩. ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾.

وادّعى هورووتز أكبر من ذلك عندما كتب:

وبالإضافة إلى هذا الكلام، فإنّه أكثر الآيات القرآنيّة التي ورد في أثنائها الحديث عن التوراة مأخوذة من التوراة.[١]

٢. بروكلمان: كتب المستشرق الألماني بروكلمان[٢] حول النبيّ الأكرمﷺ:

كانت معلوماته عن التوراة والإنجيل خاصّة ومختلفة، وقد اقتبس كثيراً من الأمثلة والحكايات من التوراة، وكانت لديه معلومات ونظريّات عن الدين المسيحي عرف بواسطتها عيسى وقصّة أصحاب الكهف وذا القرنين ومطالب أُخرى كانت من جملة مصادر الأدب في القرون الوسطى، وأضاف إليها أساطير عربيّة للرقي بأهدافه وتأييداً لآرائه مثل: هلاك قوم ثمود وقصة صالح.[٣]

وقال بروكلمان في موضع آخر من كتابه:

لقد كان عالمه الروحي [أي: النبي محمّدﷺ] مرتبطاً بنحو عميق بالتعاليم التي كانت سائدة قبله، سواء كانت من التعاليم المسيحيّة أم اليهوديّة، وقد دخلت في تعليمه بشكل خاصّ، ثُمّ مزجها بمهارة بحاجات عصره الجديدة، وبهذا ترقّى بأحاسيس قومه المعنويّة إلى درجات عالية من المفاهيم الدينيّة وأحاسيسهم الأخلاقيّة.[٤]

وذهب في كتابه *تاريخ الأدب العربي*[٥] إلى أنّ تحذيرات وتعليمات النبيّ الأكرمﷺ مملوءة بقصص وحكايات العهد القديم.

٣. كاراده فو،[٦] كتب قائلاً:

كان المسلمون يعرفون أهمّ ما في كتب العهد الجديد بواسطة تراجمها العربيّة. ويوجد في اللغة العربيّة ـ بالإضافة إلى الأناجيل الصحيحة ـ كتب ومكتوبات مزوّرة مثل إنجيل الطفولة (المسيح)، إنجيل قديس، يعقوب وغيرها.

وكانت معرفة محمّدﷺ بالأناجيل المزوّرة أكثر من معرفته بالأناجيل الصحيحة. وقد انتقلت هذه المعلومات إليه عن طريق اليهود الذين دخلوا إلى المسيحيّة، ولم يأخذها من المصادر المسيحيّة الخالصة.[٧]

---

١. *دائرة المعارف الإسلامية*: ٣٣٥/١٠.

٢. لمزيد الاطّلاع على حياته وآثاره راجع: *موسوعة المستشرقين*: ٩٨؛ *آراء المستشرقين حول القرآن الكريم*: ١٩٧/١.

٣. *تاريخ ملل ودول اسلامي*: ٢٦.

٤. المصدر: ٥٣.

٥. راجع: *تاريخ الأدب العربي*: ١٩٤/١.

6. B. Carra De Vauxc.

٧. *دائرة المعارف الإسلامية*: ١١/٣.

وكتب كاراده فو في مقالته: *الإنجيل*، المطبوعة في دائرة المعارف الإسلاميّة، بعد الإشارة إلى بعض الآيات القرآنيّة المرتبطة بقصّة عيسى عليه السلام وإرجاع القارئ إلى بعض عبارات الإنجيل:

كما ذكر القرآن كيف يخلق عيسى عليه السلام من الطين كهيئة الطير ـ سورة آل عمران، الآية ٤٩؛ وسورة المائدة، الآية ١١٠ ـ، وقد اقتبسها من إنجيل طفولة المسيح.[١]

٤. كتب فيليب خوري حتّى،[٢] في كتاب *تاريخ العرب*:

جميع القصص التاريخيّة في القرآن تقريباً لها نظير في التوراة، عدا بعض القصص العربيّة الخالصة كقصّة عاد وثمود ولقمان وأصحاب الفيل، وقصّتين مرتبطتين بالإسكندر الكبير (ذي القرنين)، وقصّة النيام السبعة (أصحاب الكهف) الذين تحدّث عنهم بشكل مختصر ... .

وكان ما يطرحه القرآن منسجماً مع الأسفار الخمسة الأولى للتوراة أكثر من انسجامه مع غيرها.[٣]

وقال بعدما عقد مقارنة بين قصص القرآن والتوراة متحدّثاً:

إنّ المقارنة بين قصص القرآن والتوراة التي ذكرناها آنفاً، وكذلك المقارنة بين الأقسام التي سنأتي على ذكرها، لا تدلّ مطلقاً على وجود علاقة ظاهريّة ولفظيّة بينها، إلّا في قسم يمكن أن يكون مقتبساً أو منقولاً بشكل مباشر بسبب وجود التشابه الكامل، وهو ما جاء في سورة[٤]: ٢١ / ١٠٥، مع ما جاء في المزامير: (٣٧) الفقرة (٩)

والانسجام بين إنجيل متّى والسور المكية هو أكبر نسبياً، والمعجزات التي نسبت للمسيح في طفولته، كتكلّمه في المهد السورة[٥]: ٣ /٤٣، وخلقه لطير من الطين، السورة[٦]: ٣ / ٤٣، مذكورة في بعض الأناجيل التي يشكّ المسيحيون في صحّتها، والتي منها إنجيل الطفولة.[٧]

٥. يوسف درّه حدّاد، ومن المسيحيّين الذين تحدّثوا وكتبوا عن الإسلام لسنوات طويلة هو يوسف درّه حدّاد. وقد قسّم، في كتابه *دروس قرآنيّة*، عصر رسالة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله إلى

---

١. المصدر: ١٢.

2. Philp Khuri Hitti.

٣. *تاريخ العرب*: ١٥٨ ـ ١٦١ ملخصاً.

٤. الأنبياء.

٥. آل عمران.

٦. آل عمران.

٧. المصدر.

خمس مراحل، واعتبر القرآن في مرحلته الأُولى المكّية متأثّراً بالمسيحيّة، وفي مرحلته الثانية متأثّراً باليهوديّة. وقد ادّعى بأنّ نفوذ المسيحيّة في المرحلة الأُولى المكّية ونفوذ الإسرائيليّات في المرحلة الثانية المكّية، كانت صريحة وواضحة جدّاً في القرآن. واعتبر من خصائص المرحلة الثانية للآيات المكّية الدخول المفصّل للقصص التوراتيّة، فكتب:

دخلت القصص التوراتيّة بشكل مفصّل في القرآن في المرحلة الثانية المكّية، بخلاف المرحلة الأُولى المكّية التي اكتفت بالإشارة إلى القصص التوراتيّة.[1]

وكتب أيضاً:

وردت في القرآن ـ سواء الآيات المكّية والمدنيّة ـ إشارات ودلائل وتصريحات على ترجمة عربيّة للكتاب المقدّس في عصر النبي صلى الله عليه وآله كان يتلوها العرب المسيحيّون واليهود. وكذلك توجد دلائل على حصول شخص محمّد صلى الله عليه وآله على الكتاب المقدّس وعلاقته مع أهل الكتاب، وقد أعلن القرآن بصراحة بأنّ محمّداً صلى الله عليه وآله قد حصل على الكتاب المقدّس.

ثُمّ ذكر حدّاد الآية: ٢٣ من سورة السجدة:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، كدليل على ما ادّعاه.

ثُمّ كتب:

فإذاً الكتاب المقدّس باللغة العربيّة كان موجوداً، وكان في متناول محمّد صلى الله عليه وآله، وكانت له علاقة بأهل الكتاب.[2]

٦. **أميل درمنغهايم:** قال متحدّثاً في كتابه *حياة محمّد* بعد حكايته هجرة المسلمين من مكّة إلى الحبشة والحوار الذي دار بين مشركي قريش وملك الحبشة حول استرداد المسلمين وإرجاعهم إلى مكّة:

سأل النجاشي المسلمين عن عقيدتهم، فقرأ له جعفر بن أبي طالب عليه السلام سورة مريم التي تتضمّن حكاية ولادة يحيى (يوحنّا المعمداني) بعد أن بلغ والده من العمر عتياً، وسكوت زكريا ثلاثة أيّام، وحمل مريم وولادة عيسى عليه السلام. فبهت الأساقفة عند سماعهم هذه القصّة المقتبسة من الإنجيل.[3]

---

١. راجع: *دروس قرآنية*: ٤٣٥/٢ ـ ٤٤٤ و٥٧١؛ وراجع أيضاً: ١٩٥/١.

٢. *دروس قرآنية*: ١٠٥٨/٢ ـ ١٠٦٠.

٣. *حياة محمّد* صلى الله عليه وآله: ١٢٢ ـ ١٢٣.

وزعم في موضع آخر من كتابه:

من السهولة للباحث أن يجد جميع الأُصول المسيحيّة في القرآن، وبالإضافة إلى ذلك فإنّه يظهر من بعض الظواهر التاريخيّة في القرآن مثل: المعصية الأُولى، وإخراج آدم من جنّة عدن، وطرد إبليس من الجنّة وغيرها، قرب الإسلام من المسيحيّة.[١]

٧. تشارد، كتب في مقدّمة القرآن:

لقد اقتبس النبي صلى الله عليه وآله كثيراً ممّا جاء في القرآن وخاصّة القصص من الكتاب المقدّس، كما أخذت الكثير من المطالب التي أُستفيد منها في التفسير من المصادر اليهوديّة والمسيحيّة، إن كان هنالك بعض قصص العقاب، مثل: قصّة عاد وثمود، قد أخذت من المصادر العربيّة.

وقد حصل على أفضل فرصة عند هجرته إلى المدينة، حيث استغلّها للاقتباس من الكتاب المقدّس؛ لأنّه كان ـ بلا شكّ ـ على علاقة بمن يحيط به من اليهود الذين كان منهم العلماء، وهناك أدلّة على استفادته من هذه الفرصة.

وعلى هذا فإنّ كثيراً من المعارف الموجودة في كتب موسى كانت في متناول النبي.[٢]

٨. جلدزيهر،[٣] وهو مستشرق مَجَري الجنسية، قال في كتابه *العقيدة والشريعة حول الإسلام متحدّثاً*:

لم تكن دعوة النبيّ العربي إلّا خليطاً من المعارف والآراء الدينيّة المختارة التي تعلّمها من خلال علاقته مع اليهوديّة والنصرانيّة وأمثالهما، ووقع تحت تأثيرها بشكل عميق، ووجدها مناسبة لإيقاظ العاطفة الدينيّة الحقيقيّة في وجود أبناء وطنه.[٤]

لقد استفاد محمّد من تاريخ العهد القديم التوراة، وأكثر ذلك كان في قصص الأنبياء.[٥]

وما جاء عن المستشرقين والغربيين حول هذا البحث، وإن كان في تعبيراته مختلفاً ومتنوعاً، ولكنّه واحد في المضمون والمحتوى، ويلتقي في مسألة واحدة، وهي أنّ محمّداً صلى الله عليه وآله قد اقتبس حكاياته التاريخيّة في القرآن من آثار أهل الكتاب، وخاصّة الكتاب المقدّس. والدليل على ذلك التشابه الموجود بين الإخبارات التاريخيّة للقرآن مع ما جاء في الكتب اليهوديّة والمسيحيّة.

---

١. المصدر: ١٣٠ ـ ١٣١.

٢. *التبشير والاستشراق*: ٥٤، وسنرى في البحوث القادمة أنّ ريتشارد، بل قد أعاد هذه المزاعم.

3 .Iqnaz Goldzier.

٤. *العقيدة والشريعة في الإسلام*: ١٢.

٥. المصدر: ١٥.

وسنتطرق فيما يلي إلى ردّ مباني فرضيات هذه النظريّة، ثُمّ نتناول بحث الأدلّة والشواهد على ذلك.

فرضيّات نظريّة التشابه

أ) النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله والقراءة والكتابة

إنّ إحدى المباني التي تستند لها هذه النظريّة هي أنّ النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله كان يقرأ ويكتب، في حين أنّ الدراسات والبحوث العلميّة والموضوعيّة تقول: إنّه كان رجلاً أُمّياً لايعرف القراءة والكتابة.

فهنالك الكثير من الشواهد القرآنيّة والتاريخيّة الدالّة[1] على أنّ النبي صلى الله عليه وآله كان أُمّياً، وأنّ الأُمّة التي كان يعيش بين ظهرانيها وتربّى فيها لم تكن تعرف القراءة والكتابة، فقد كانت أُمّة تعبد الأوثان وتجهل عقائد الأمم الأُخرى وتواريخها ولا تعلم من المباني القانونية والفلسفيّة شيئاً، بل إنّ مكّة التي كانت عاصمة الجزيرة العربيّة، ومركز ديانتها ومحلّ اجتماع زعمائها وتجمّع طوائفها وقبائلها لأداء مناسك الحجّ والتجارة، لم يكن فيها مدرسة وكتاباً للتعلّم.[2]

وقد تربّى النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله بين هؤلاء كأيّ شخص عادي، ولم يَرَه أحد أنّه كان يتعلّم القراءة أو أنّه كتب شيئاً أو نطق بشيء من العلم أو أنّه قال بيتاً من الشعر.[3] ولقد كانت هذه الدلائل والشواهد من الوضوح والصراحة، بحيث اعترف بها كثير من المستشرقين، ومنهم كاسترو مؤلّف كتاب *الإسلام* الذي، قال:

> لم يكن محمّد يستطيع القراءة والكتابة؛ وقد وصف نفسه مراراً بأنّه رجل أُمّي، ولم يعترض أحد من معاصريه على هذا الوصف. وممّا لاشك فيه أنّه من المستحيل أن يحصل إنسان في الشرق على علم، ولا يعرف الناس ذلك؛ لأنّ حياة الشرقيّين واضحة تماماً وتحت الأنظار، مضافاً إلى أنّ القراءة والكتابة في ذلك العصر [أي: في فترة حياة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله] كانت معدومة في جزيرة العرب.[4]

---

١. راجع: *مجموعة آثار مرتضى مطهري* رحمه الله: ٣/ ٢٠٥.

٢. *الوحي المحمّدي*: ٣١؛ *القرآن والمستشرقون*: ٥٢؛ *الظاهرة القرآنية*: ٢٥٧.

٣. *تفسير الميزان*: ١/ ٦٣؛ *روح الدين الإسلامي*: ٤٣٥؛ *الظاهرة القرآنية*: ٢٥٥؛ *إظهار الحقّ*: ٢/ ٥٧؛ *پژوهش هاى درباره قرآن روحي*: ١/ ٥٦.

٤. *قالوا في الإسلام*: ٥٧.

وعلى هذا، فليس من الممكن أن يقوم مثل هذا الشخص الأُمّي، وغير العارف بالعلوم[١] باقتباس كلّ هذه المطالب التاريخيّة من الكتب اليهوديّة والمسيحيّة.

ومع إبطال هذه الفرضيّة تبطل أصل النظريّة أيضاً؛ لأنّ الاقتباس من الكتب اليهوديّة والمسيحيّة ممكن ومعقول إذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله قادراً على الكتابة والقراءة، وإلّا فإنّ الاقتباس من كتبهم لا معنى له.

ب) وجود التراجم العربيّة للكتب اليهوديّة والمسيحيّة

والفرضية الأُخرى التي بُنيت عليها هذه النظريّة، وصرّح بها بعض المستشرقين، مثل: كاراده فو ويوسف حدّاد، وهي:

وجود تراجم عربيّة للكتب الدينيّة لأهل الكتاب في شبه الجزيرة العربيّة.

وهذه الفرضيّة لا يوجد عليها أيّ دليل وشاهد؛ لأنّ أقدم ترجمة عربيّة للإنجيل - وباعتراف كاراده فو[٢] - كانت في القرن الثامن الميلادي، في حين أنّ الإخبارات التاريخيّة التي بيّنها النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله كانت في القرن السابع الميلادي. وإذا سلّمنا جدلاً صحّة ما أورده كاراده فو في مقالته[٣] عن ابن عبري في أنّ القائد العربي عمر بن سعد قد أمر بترجمة الإنجيل إلى اللغة العربيّة بين ٦٣١. ٦٤٠م، فإنّ هذه الترجمة لا يمكن أن تكون مصدراً للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في إخباراته التاريخيّة في القرآن؛ لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد توفّي في سنة ٦٣٢م، في حين أنّ هذه الترجمة انتهت سنة ٦٤٠هـ، هذا أوّلاً، وثانياً: فإنّه من المتّفق عليه - بالتقريب - أنّ أكثر الإخبارات التاريخيّة للقرآن كانت في السور المكّية[٤] التي نزلت قبل الهجرة - أي: قبل سنة ٦٢٢م - وثالثاً: لا وجود لقائد عربي اسمه عمر بن سعد، ولا يكفي ما ذكره ابن عبري لإثبات هذا المطلب ما لم يأتِ بدليل موثّق من المصادر الأُخرى يؤيّد ذلك؛[٥] لأنّ بين السنوات التي عاشها ابن عبري، وبين ما أخبر به فترة زمنيّة طويلة تستغرق ستمئة عام.[٦]

---

١. راجع: *الإبطال*: ٦٧؛ *حياة محمد* صلى الله عليه وآله: ٤٩.

٢. *دائرة المعارف الإسلاميّة*: ١٠/٣، مقالة: الإنجيل.

٣. المصدر.

٤. *نقد الخطاب*: ٣٤٩/١.

٥. *دائرة المعارف الإسلامية*: ١٨/٣.

٦. عاش ابن عبري بين ٦٢٣ ـ ٦٨٥ هجري.

فلا يمكن أن يكون كلامه حجّة. والأهمّ من ذلك أنّ ابن عبري كان متعصباً ضدّ الإسلام والمسلمين،[١] ومن الممكن أن يدفعه الحقد على التفوه بهذا الكلام.

وكتب ويلهلم رودلف في الفصل الثاني من كتابه *صلة القرآن باليهوديّة* بعد بحث مسألة أُميّة الرسول الأكرم:

وحتّى إذا كان محمّد يعرف القراءة والكتابة، فإنّه لا يستطيع الاستفادة من المصادر اليهوديّة والمسيحيّة؛ لأنّها لم تكن مترجمة إلى اللغة العربيّة.[٢]

وعلى هذا، فإنّه ليس فقط لا يوجد دليل وشاهد على وجود ترجمة عربيّة للكتاب المقدّس أو سائر الكتب اليهوديّة والمسيحيّة في عصر الرسالة، بل اعترف المستشرقون أنفسهم بعدم وجود ترجمة عربيّة للكتاب المقدّس أو العهد الجديد في ذلك العصر.[٣]

وطبعاً، فإنّ ما قيل حول الترجمة العربيّة للأناجيل والتوراة كان من باب التسامح، وإلّا فإنّ الواقع أنّ الترجمة العربيّة للكتاب المقدّس كان بعد عدّة قرون من وفاة النبيّ الأكرم.[٤]

سبب التشابه: إنّ التشابه الذي اعتبره المستشرقون دليلاً على إثبات ادّعائهم لا دلالة له على ذلك؛ لأنّ السبب في تشابه قصص الكتاب المقدّس والإخبارات التاريخيّة للقرآن هو اتّحاد المصدر والمرجع، لا اقتباس القرآن من الكتب اليهوديّة والمسيحيّة.

وتوضيح ذلك: إنّ سبب تشابه الإخبارات التاريخيّة للقرآن مع الكتاب المقدّس يمكن أن يكون أحد الوجوه التالية:

١. وحدة المنشأ، في أنّ كلاهما من أصل واحد، وحينئذٍ سيكون وقوع التشابه في الجزئيّات أمراً طبيعيّاً.

٢. اقتباس أحدهما من الآخر.

٣. إنّ التماثل والتشابه كان من باب الصدفة.

وهذا الاحتمال مردود، ولا يمكن قبوله بلا شكّ؛ لأنّه لا يتلاءم مع العقل والحكمة.[٥]

---

١. *دائرة المعارف الإسلامية*: ٢٦/٣.

٢. *آراء المستشرقين حول القرآن الكريم*: ١٣٨/١ ـ ١٣٩.

٣. لمزيد الاطّلاع راجع: *روح الدين الإسلامي*: ٤٣١؛ *الظاهرة القرآنية*: ٢٥١ ـ ٢٥٥.

٤. برخورد *آراى مسلمانان ومسيحيان*: ١٦؛ راجع: *حياة محمد*: ١٦٣؛ *مدخل إلى القرآن الكريم*: ١٤١.

٥. *شبهات وردود*: ١٣، بتفاوت يسير.

ويبقى الاحتمالان الآخران اللذان يتعيّن الأخذ بالأقرب منهما إلى الواقع من خلال القرائن والشواهد الدالة عليه.

دلائل وشواهد الاحتمال الأوّل

من السهل العثور على شواهد، وقرائن كثيرة على صحّة الاحتمال الأوّل القائل أنّ سبب التشابه هو وحدة المنشأ، لا الاقتباس.

ويمكن تقسيم هذه الشواهد، والدلائل إلى قسمين:

شواهد داخليّة مستفادة من المقارنة بين الإخبارات التاريخيّة للقرآن مع الكتاب المقدّس، وشواهد خارجيّة مستفادة من خارج القصص والإخبارات التاريخيّة للقرآن والكتاب المقدّس

أ) الشواهد الداخلية للنصّ: هناك دلائل وشواهد داخليّة متعدّدة على عدم اقتباس الإخبارات التاريخيّة للقرآن من الكتاب المقدّس، وتتمثل هذه الشواهد بالاختلاف الموجود بين القصص القرآنيّة والكتاب المقدّس، وهي كما يلي:

١. تكريم الأنبياء في القرآن خلافاً للتوراة والإنجيل، فقد وصف القرآن جميع الأنبياء بالطهارة والصدّيقية وأنّهم كانوا أُسوة عصورهم، في حين أنّ الكتاب المقدّس تحدّث عنهم كمذنبين وعصاة، فمثلاً وصف نوح عليه السلام بشرب الخمر،[١] ووصف إبراهيم عليه السلام بأنّه إنسان لا يهتمّ بزوجته،[٢] ولوط عليه السلام بأنّه ارتكب الفاحشة مع ابنته،[٣] ويعقوب عليه السلام بأنّه ذو مكر وكذّاب،[٤] وداوود عليه السلام بأنّه سفّاك وزنّاء، وقد قُتل بسبب زناه بزوجة شخص آخر،[٥] وسليمان عليه السلام بأنّه من عبّاد الأوثان،[٦] وعيسى عليه السلام بصنع الخمر.[٧و٨]

---

١. *كتاب المقدّس*، التكوين: ١٢/٩.

٢. المصدر: ١٠/١٢ ـ ١٢.

٣. المصدر: ٣٠/١٩ ـ ٣٨.

٤. المصدر: ١/٢٧ ـ ٤٠.

٥. المصدر، موئيل الثاني: ١/١٢ ـ ١٢.

٦. المصدر، الملوك الأوّل: ٣/١١ ـ ٨.

٧. المصدر، يوحنا: ١١/٢.

٨ لمزيد الاطّلاع راجع: *راز بزرگ رسالت*: ٢١٧؛ *شبهات وردود*: ٢٥؛ *مقارنة الأديان*: ٢٧٧؛ *التفسير الموضوعي للقرآن*: ٣٢١/٣؛ *اليهود في القرآن*: ٣٦٢؛ *آراء المستشرقين حول القرآن الكريم*: ٣٤٢/١؛ *إظهار الحقّ*: ٢٥٤/٢؛ *الهدى إلى دين المصطفى*: ٩٢/١.

قال العلّامة الطباطبائي حول هذا الموضوع:

إنّ مَن قرأ العهدين وتأمل فيهما، ثُمّ رجع إلى ما قصّه القرآن من تواريخ الأنبياء السالفين وأُممهم رأى أنّ التاريخ غير التاريخ والقصة غير القصة، ففيهما عثرات وخطايا لأنبياء الله الصالحين تأبى الفطرة وتتنفر من أن تنسبها إلى المتعارف من صلحاء الناس وعقلائهم، والقرآن يبرئهم منها.[١]

وعلى هذا فليس من المعقول القول بأن الإخبارات التاريخيّة للقرآن مقتبسة من العهدين.

٢. إنّ إخبارات القرآن عن الوقائع التاريخيّة غير الموجودة في العهدين هي إحدى الشواهد على عدم اقتباس القرآن الكريم. ومن تلك الإخبارات نذر امرأة عمران ما في بطنها إذا كان ذكراً،[٢] وكفالة زكريا عليه السلام لمريم عليها السلام،[٣] وتكلّم عيسى عليه السلام في المهد،[٤] وخلقه عليه السلام من الطين كهيئة الطير فيكون طيراً بإذن الله،[٥] وغير ذلك ممّا جاء في القرآن ولم يكن موجوداً في التوراة والإنجيل. وإذا كان مصدر الإخبارات التاريخيّة في القرآن من الكتاب المقدّس، فلماذا لم تكن هذه القصص موجودة فيه، وفاقد الشيء لا يعطيه؟

٣. اختلاف القرآن والكتاب المقدّس في الإخبار عن الوقائع التاريخيّة، فهناك الكثير من الاختلاف بين إخبارات القرآن وبين التوراة والإنجيل، وأنّ القرآن يتميز عنهما بشكل كامل، كقصّة العجل من ذهب الذي صنعه السامري في القرآن،[٦] بينما في التوراة صنعه هارون؛[٧] وكذلك قصّة صلب عيسى عليه السلام في الكتاب المقدّس التي كذّبها القرآن بشدّة،[٨] مضافاً إلى أنّ الوقائع التاريخيّة التي تحدّث عنها القرآن الكريم والكتاب المقدّس كانت مختلفة.

فقد كتب موريس بكاي عن قصّة بدء الخلق في القرآن والعهدين:

يعتقد كثير من المصنّفين الأُوروبين أنّ قصّة الخلق في القرآن قريبة جداً لما هي عليه في العهدين، وكانوا فرحين بهذه المساواة في النقل. وأنا اعتقد أنّ هذا أمر خاطئ؛

---

١. *الميزان في تفسير القرآن*: ٦٢/١.
٢. آل عمران: ٣٥.
٣. آل عمران: ٣٧.
٤. آل عمران: ٤٦.
٥. آل عمران: ٣٧.
٦. طه: ٨٣ ـ ٩٧.
٧. التوراة، *سفر الخروج*: ٢/٣٢. ٥.
٨ النساء: ١٥٧ ـ ١٥٨.

لوجود تباين صريح بينهما، فهناك مسائل أساسيّة ومهمّة يقرّ بها القرآن، ولا نجد لها أثراً في العهدين.[١]

وهناك كتّاب آخرون قارنوا بين القرآن والكتاب المقدّس لاكتشاف الفروق بينهما، ولابأس لأجل التوسع في ذلك من مراجعة كتبهم[٢] في هذا المجال.

ب) الشواهد الخارجيّة للنصّ: المجموعة الثانية من الشواهد والدلائل الدالّة على صحّة الاحتمال الأوّل، هي الشواهد والقرائن الخارجة عن دائرة الإخبارات التاريخيّة للقرآن والعهدين، ونشير فيما يلي إلى اثنين منها مراعاة للاختصار:

١. عدم ادّعاء الاقتباس من قبل اليهود والنصارى في عصر الرسالة، فإذا كان القرآن قد أخذ إخباراته التاريخيّة عن الكتاب المقدّس لاطّلع على ذلك اليهود والنصارى في عصر صدر الإسلام ولاعترضوا عليه قبل اعتراض المستشرقين، خاصّةً مع عدم تنزههم عن إيكال التهم والتشكيك بجميع أنبياء الله تعالى، وكانوا على توافق مع المشركين في إنكار نزول القرآن. ومن المسلَّم أنّه إذا كان هنالك نوع من التماثل والتشابه بين مواضيع القرآن والكتاب المقدّس لأشاروا إليه ولتعالت صحياتهم في هذا المجال ويتجلّى عدم الاقتباس أكثر في الآيات القرآنيّة التي صرّحت بأنّ إخباراتها التاريخيّة أخبار غيبيّة وتحدّثهم في ذلك.

٢. تناقض كلام المستشرقين، فقد ذهب بعض المستشرقين إلى إطلاق لفظ الأُمي على غير المطّلع على الكتاب المقدّس، والكتب المقدّسة،[٣] فمثلاً توصّل نلدكه في كتابه *تاريخ القرآن* ـ بعد البحث في كلمة الأمّي وأُمّية رسول الله صلى الله عليه وآله ـ إلى هذه النتيجة:

إنّ كلمة أُمّي لا تدلّ على الجهل بالقراءة والكتابة، بل تدلّ على أنّ النبيّ لم يكن مطّلعاً على كتب العهد العتيق.[٤]

وتفسير المستشرقين هذا للفظ: أُمّي، لا يتلاءم مع دعواهمّ اقتباس القرآن لإخباراته التاريخيّة من التوراة والإنجيل، ويتناقض معها بشكل صارخ؛ لأنّهم يدّعون من جهة أنّ معنى

---

١. *مقايسه‌اى ميان تورات، انجيل، قرآن وعلم*: ١٨٣.

٢. راجع مثلاً: *راز بزرگ رسالت*: ٢١٧؛ *الظاهرة القرآنية*: ٢٩٠؛ *مقارنة الأديان*: ٢٧٥؛ *قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية*: ٦٦؛ *تفسير نمونة*: ٢٢/١٥.

٣. من الجدير بالذكر أنّ هذا الكلام غير صحيح، وقد أجاب عنه علماء الإسلام، راجع: مجموعة آثار، المطهري رحمه الله: پيامبر أُمّي صلى الله عليه وآله وقد ذكرناه من باب المماشاة.

٤. *تاريخ قرآن*: ٥٠٧؛ راجع: *دفاع از قرآن*: ٢٦.

النبي الأُمي هو غير العارف بالكتاب المقدّس، ويدّعون من جهة أُخرى أنّ محمّداً قد أخذ إخباراته التاريخيّة من الكتاب المقدّس. وعلى أساس هذه النقطة كتب ريتشارد بل في كتابه *در آمدى بر تاريخ قرآن*:

> يظهر من الملاحظة العامّة لقصص الكتاب المقدّس، والتي ذُكرت في القرآن الكريم، ومن معنى الأُمّي، وهو: الشخص الذي لم يطّلع على ما جاء في الكتب السماويّة السابقة، أنّ محمّداً لم يكن أبداً قد قرأ الكتاب المقدّس، بل لم يقرأه له شخص آخر.[1]

ويظهر ممّا تقدّم أنّ نظريّة اقتباس القرآن للإخبارات التاريخيّة من الكتاب المقدّس غير صحيحة مطلقاً؛ لوجود الإشكال في مبنى النظريّة، لعدم اعتبار المباني التي استندت إليها النظريّة، هذا أوّلاً، وثانياً: إنّ علّة التشابه هي وحدة المنشأ لا الاقتباس.

المصادر الشفهيّة

بعد أن توصل المستشرقون إلى أنّ النبيّ الأكرم لا يستطيع الاستفادة من الكتاب المقدّس وسائر الكتب اليهوديّة والمسيحيّة، سعوا إلى إلصاق تهمة اقتباس الإخبارات التاريخيّة للقرآن من المصادر الشفهية اليهوديّة والمسيحيّة، فمثلاً بحث رودلف في الفصل الثاني من كتابه *صلة القرآن باليهوديّة والمسيحيّة* ـ بعد افتراضه اقتباس النبيّ الأكرم من اليهوديّة والمسيحيّة ـ هل كان ذلك عن طريق قراءة كتبهم، أو عن طريق السماع؟ وبعد أن ردّ اقتباس معارف القرآن من كتب اليهوديّة والمسيحيّة، سعى لإثبات هذا الاقتباس عن طريق السماع.[2]

وكتب مونتغمري واط حول هذا الموضوع:

> لقد كان النبيّ أُميّاً، ولم يتلقَ تعليماً رسمياً لكتب اليهوديّة والمسيحيّة، ولكن ليس من المستبعد وصول معارف هذه الكتب إليه شفاهة؛ لأنّه كان على علاقة مع بعض اليهود والنصارى، ووقع بينهم الجدال والنقاش.[3]

وخصّص ريتشارد بل الفصل التاسع من كتابه *مقدّمة القرآن*[4] للقصص القرآنيّة، وتحدّث

---

١. *درآمدى بر تاريخ قرآن*: ٦٥.

٢. راجع: *آراء المستشرقين حول القرآن الكريم*: ١/١٣٨ـ ١٣٩.

٣. *نقد الاستشراق*: ١/٢٦٩؛ بتوسيط: Mahomet/٣٧.

٤. هذه المقدّمة أُلّفت من قِبل مونتغمري واط التلميذ البارز لـ «بل»، وترجمها إلى الفارسية بهاء الدين خرمشاهي تحت عنوان: *درآمدى بر قرآن*، بعد حذف بعض المطالب الوهميّة، وغير الواقعيّة.

فيه عن تأثرها باليهوديّة والمسيحيّة، وادّعى بأنّ اتّكاء القرآن على المصادر المسيحيّة كان أكثر من اعتماده على المصادر المدوّنة.[1]

ويقول جفري حول قصّة قارون:

من المتيقن به تقريباً اطّلاع محمّد[صلى الله عليه وآله] على قصّة قارون من المصادر الشفهية، ولكن من الصعب التصديق بوجود شخص آنذاك كان على اطّلاع كافٍ باللغة العبريّة أو الروميّة ويستطيع قراءة قصّة قارون وترجمتها لمحمّد صلى الله عليه وآله.[2]

ونستطيع تقسيم اليهود والنصارى الذين اعتبرهم المستشرقون معلّمي رسول الله صلى الله عليه وآله كما يلي:

أ) العلماء الذين التقوا بالنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، في أسفاره التجارية

اعتبر المستشرقون أنّ أوّل مجموعة ـ من الناحية الزمنية ـ علّمت النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله هم الأحبار والرهبان الذين التقى بهم في أسفاره التجاريّة، وادّعى المستشرقون أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قد أخذ معارفه القرآنيّة عن هؤلاء وخاصّة مصير الأمم السالفة وأنبياء الله. وقد أكّد المستشرقون على اثنين من هؤلاء، وهما: بحيرا الراهب، والكاردينال النسطوري.[3]

فقد كتب ويل دورانت في كتابه *تاريخ التمدّن* حول هذا الموضوع:

لقد كان محمّد [صلى الله عليه وآله] ذا اطلاع قليل في شبابه، ولكن القصص التي رويت حوله تصل إلى عشرة آلاف مجلّد، وبناءً على نقل بعضها أنّ عمّه أبا طالب قد اصطحبه معه إلى مدينة بصرى في الشام في إحدى أسفاره عندما كان عمره اثني عشر عاماً، وليس من المستبعد أنّه قد سمع بعض القصص اليهوديّة والنصرانيّة في سفره هذا. وفي رواية أُخرى أنّه وبعد عدّة سنوات سافر إلى مدينة بَصْرى ثانية في تجارة لخديجة إحدى أثرياء مكّة.[4]

وكتب تشارلزجي. آدامز في مقالة تحت عنوان: الإسلام، المطبوعة في دائرة المعارف الأمريكيّة، بعد الإشارة إلى الأسفار التجاريّة لقوافل قريش وأهل مكّة:

من الممكن أن نعتبر هذه الأسفار التجاريّة والعلاقة مع العالم الخارجي سبباً لتعرّف محمّد صلى الله عليه وآله على الكتب المقدّسة اليهوديّة والمسيحيّة.[5]

---

١. *آراء المستشرقين حول القرآن الكريم*: ١٠٥/١.

٢. *واژه‌هاى دخيل در قرآن مجيد*: ٣٣٧.

٣. *الإسلام*: ٤١.

٤. *تاريخ تمدن*: ١٤/١١.

٥. *تصوير شيعه در دايره المعارف أمريكا*: ٢٧.

وكتب المستشرق المجري غلدزيهر:

لقد أخذ محمّد تعاليم الإسلام من الديانات الشائعة في عصره ـ أي: اليهوديّة والمسيحيّة والمجوسية والوثنية ـ بعد تهذيبها وصقلها... . وكان هذا بسبب أنّ محمّداً كان يأخذ دائماً كلّ ما يحصل عليه في تعامله السطحي في أسفاره التجاريّة من غير التفات إلى طبيعتها، واستفادتها منها بدون أيّ تنظيم وترتيب.[1]

وقد حاول أميل درمنغهام بمهارة إثبات تأثّر النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله ببحيرا الراهب ضمن وصفه لقوافل قريش التجارية. فكتب بعد الإشارة إلى مرحلة طفولته صلى الله عليه وآله تحت كفالة عمّه أبي طالب:

لم يكن أبو طالب ثرياً، ولهذا لم يتيسّر له أن يعلّم هذا الطفل الذي قضى جميع عمره أُميّاً شيئاً مّا. ونقل أنّ أبا طالب قد اصطحب النبي معه في إحدى أسفاره التجاريّة، ووصلت القافلة إلى مدينة بَصْرى بعد عبورها الصحاري الخضراء وأراضي ثمود، وتوقفت قرب إحدى الصوامع، حيث التقى هناك بحيرا الراهب. ونقل في كتب السيرة أنّ بحيرا قد وجد في محمّد علامات النبوّة المذكورة في كتبهم، واستنتج أنّه هو النبي الموعود.

ثُمّ كتب درمنغهام بعد ذكر هذه الحادثة:

مهما كانت واقعيّة هذه الحادثة، فإنّه من المسلّم أنّ للشام تأثيراً كبيراً في [أفكار وآراء] محمّد.[2]

وكتب المستشرق الفرنسي غوستاو لوبون:

نُقل أنّ أبا طالب قد اصطحب معه محمّداً إلى الشام مرّة واحدة، والتقى في بَصْرى مع أحد الرهبان في ديره وأخذ منه التوراة.[3]

وقال فيليب حتّى، بعد الإشارة إلى سفرة النبي صلى الله عليه وآله مع عمّه أبي طالب إلى الشام، ولقائه مع بحيرا الراهب ورؤيته لخاتم النبوّة بين كتفيه:

إنّ هذا النوع من الأساطير الإسلاميّة والمسيحيّة تبيّن قدَم العلاقة بين هذين الدينين وتأثير المسيحيّة على الإسلام.[4]

---

١. *العقيدة والشريعة*: ١٤. ١٥.

٢. *حياة محمّد* صلى الله عليه وآله: ٤٩ ـ ٥٣.

٣. *تاريخ تمدن اسلام وعرب*: ١٠٧.

٤. *صانعو التاريخ العربي*: ١٠٦؛ راجع: *دائرة المعارف الإسلاميّة*: ٣٨٩/٣؛ *دفاع عن محمّد*: ٦.

بحث ونقد هذه النظريّة

ينبغي أن نقول، بعد البحث في كلمات المستشرقين: إنّ هذه النظريّة مجرّد ظنّ، لا أكثر؛ لأنّ التاريخ لم ينقل لنا أنّ التجار العرب في أسفارهم هذه كانت لهم علاقة وتردّد على علماء المسيحيّة وكتبها، ولم يصرفوا وقتهم في الحصول على أخبار وتاريخ الأُمم السابقة،[١] كما أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله لم يسافر إلى الشام إلّا مرّتين.[٢] كان سفره الأوّل في طفولته مع عمّه أبي طالب، وسفره الثاني في شبابه في تجارة لخديجة، ورافقه في هذا السفر ميسرة غلام خديجة عليها السلام. وقد ذكر التاريخ كلا هذين السفرين، ولم يذكر شيئاً يدلّ عن أخذ محمّد صلى الله عليه وآله عن الأحبار والرهبان.[٣] والأمر الوحيد الذي ذكره بعض المؤرخين أنّه صلى الله عليه وآله ومَن كان معه في القافلة قد التقى في سفره الأوّل في مدينة بصرى راهباً يُدعى: بحيرا، وهو الذي بشّر أبا طالب بنبوّة محمّد صلى الله عليه وآله، وطلب منه المحافظة عليه من اليهود.[٤] وفي سفره الثاني تعرَّف قسيس يُدعى: نسطورى أو نسطور على علامات فيه صلى الله عليه وآله بأنّه النبي الموعود.[٥]

وهاتان الروايتان لا تدلّان فقط على أخذ النبيّ صلى الله عليه وآله شيئاً من هذين العالمين المسيحيّين، بل فيهما من الشواهد والدلائل ما يدلّان على عدم أخذ النبي صلى الله عليه وآله شيئاً منهما، ومن هذه الشواهد:

١. إن أصل قصّة لقاء النبيّ صلى الله عليه وآله مع بحيرا الراهب والكاردينال النسطوري مشكوك فيها ومحلّ اختلاف.

فقد ذهب الكثير إلى عدم صحّة سند هذا اللقاء، فاعتبرها ابن كثير من الأحاديث المنكرة وشكّك في صحّتها وبيّن بعض الأدلّة في ردّها.[٦] وشكّك في صحّتها أيضاً الدمياطي والمغلطاي، وحكم الترمذي بغرابتها.[٧]

---

١. راجع: *الوحي المحمّدي*: ٧٠.

٢. راجع: *الميزان في تفسير القرآن*: ٦٣/١.

٣. راجع: *المدخل لدراسة القرآن الكريم*: ٨٧.

٤. راجع: *دائرة المعارف الإسلامية*: ٣٩٦/٣؛ *حياة محمّد* صلى الله عليه وآله: ١٣١؛ *السيرة النبوية* صلى الله عليه وآله: ١، ١٥٩؛ *الطبقات الكبرى*: ٨٠/١.

٥. راجع: *السيرة النبوية* صلى الله عليه وآله: ١٨٨؛ *دائرة المعارف الإسلامية*: ٣٩٧/٣؛ *الطبقات الكبرى*: ٨٧/١؛ *بحار الأنوار*: ٤٩/١٦.

٦. *سيرة أعلام النبلاء*: ٥٧/١.

٧. *الصحيح من سيرة النبيّ الأعظم* صلى الله عليه وآله: ٩٣/١؛ راجع: *إسلام در زندان اتهام*: ٥٠؛ *حاضر العالم الإسلامي*: ٤١/١.

٢. وعلى فرض صحّة وقوع هذا اللقاء، فإنّ مدّة السفر كانت قصيرة، بحيث لا يتسنّى خلالها للنبيّ تعلّم التوراة والإنجيل. فقد كان هذا السفر سفراً تجاريّاً لم يستغرق سوى أربعة أشهر ذهاباً وإيّاباً وإقامة، وأنّ قريشاً كانت تسافر في السنة مرّتين، فيذهبون في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام. وعلى هذا فالسفرة الواحدة لا تستغرق أكثر من أربعة أشهر، ولا يمكن لأكبر العلماء أن يتعلّم خلال هذه المدّة القصيرة هذين الكتابين (التوراة والإنجيل)، فكيف الحال بطفل لم يدخل المدرسة، ولا يعرف القراءة والكتابة؟ مضافاً إلى ذلك أنّه لم يكن بصحبة بحيرا الراهب خلال الأشهر الأربعة هذه، بل إنّ هذا اللقاء وقع صدفة في إحدى المحطات في الطريق، ولم تتجاوز مدّة اللقاء عدّة ساعات؛ لأنّ أبا طالب ـ وبشهادة التاريخ ـ كان قد قصد اصطحاب النبيّ إلى الشام، ولم تكن مدينة بَصْرى مقصدهم الأصلي؛ لكونها مدينة في الطريق المؤدّي إلى الشام، تتوقّف فيها القوافل التجاريّة أحياناً للاستراحة. فكيف يمكن لرسول الله أن يلقي برحله هنا ويتفرّغ لتعلّم معارف التوراة والإنجيل؟ وربّما نقول: إنّ أبا طالب كان قد اصطحبه معه إلى الشام، أو أنّه رجع به إلى مكّة من ذلك المكان،[١] أو أنّه أرسل ابن أخيه مع شخص آخر إلى مكّة. وعلى أيّ حال لم يكن مراد أبي طالب وقافلته مدينة بصرى ليستغل النبيّ اشتغالهم بالتجارة فيها ويتفرّغ هو للتعلّم فيها.

٣. إذا كان النبيّ الأكرم قد حصل على معارف من الراهب فممّا لا شكّ فيه أنّ ذلك سيكون معروفاً بين قريش، وإذا كان الأمر كذلك لنقلوا حكايته عند رجوعهم إلى مكّة، مضافاً إلى ذلك فإنّ النبيّ لا يستطيع حينئذٍ أن يدّعي أمام قومه بأنّه أُمّي لا يقرأ ولا يكتب، في حين أنّه بدأ رسالته بهذا العنوان، ولم يعترض عليه أحد بأنّك قد درست في بصرى عند الراهب حين كان عمرك اثني عشر عاماً وقد أخذت هذه الحقائق الساطعة. لقد اتّهم مشركو قريش النبيّ بمختلف أنواع التهم، ولكنّهم لم يتعرّضوا إلى هذه التّهمة، ولم تتّخذها قريش ذريعة للتهريج عليه. وهو شاهد قوي على ردّ ما زعمه المستشرقون.

٤. إنّ قصص الأنبياء التي تناولها القرآن الكريم بشكل واسع ـ كما مرّ في غضون البحث آنفاً ـ تتنافى تماماً مع ما ورد في التوراة والإنجيل، فقد حكى هذان الكتابان أُموراً قبيحة عن

---

١. *السيرة النبوية* : ١/١٨٣.

الأنبياء لا تليق بشأنهم أبداً، ولا تتّفق مع الموازين العلميّة والعقليّة بتاتاً.[١]

٥. إذا كان رهبان بصرى لهم مثل هذه المعلومات العلميّة والدينيّة، بحيث استطاعوا أن يصنعوا نبيّاً مثل رسول الله صلى الله عليه وآله ويحوّلوه إلى المجتمع، فلماذا لم يحصلوا على أيّ شهرة في ذلك؟ ولماذا لم يربّوا أشخاصاً آخرين غير محمّد صلى الله عليه وآله؟

٦. لم يلتقِ النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله بشكل سرّي مع الراهب، وكان ذلك بحضور جماعة ممّن كانوا معه في القافلة.[٢]

وبملاحظة النِقاط السابقة يتّضح أنّ جهود المستشرقين لإثبات أنّ الرهبان المسيحيين كانوا يعلِّمون النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله قد باءت بالفشل الذريع، وليس هذا بسبب عدم استنادهم إلى سند ودليل فقط، بل لوجود شواهد كثيرة على خلاف ذلك.

يقول فولتر في الردّ على هؤلاء المستشرقين:

إنّ القول بأنّ الكاردينال النسطوري هو الذي علّم محمّداً [صلى الله عليه وآله] القرآن، لا طائل وراءه ولا فائدة فيه. فهل كان محمّد صلى الله عليه وآله يستطيع اصطحاب هذا الراهب المسيحي معه في كلّ حروبه، وجميع ما مرّ من حوادث خلال ٢٣ عاماً ليستشيره في ذلك؟

إنّ هذه الادّعاءات دليل على ضعف مدّعيها.

وكذلك الحال بالنسبة للقصص الأُخرى التي تتحدّث عن توحّش المسلمين.[٣]

ب) يهود ونصارى مكّة

زعم المستشرقون أنّ يهود ونصارى مكّة هم المجموعة الثانية من معلّمي محمّد صلى الله عليه وآله، حيث اعتقدوا أنّه قد اقتبس القرآن الكريم، وخاصّة إخباراته التاريخيّة من اليهود والنصارى من سكنة مكّة، حيث كان على علاقة متواصلة معهم. ويمكن أن نقسّم هذا الادّعاء إلى قسمين، ونبحث في كلّ واحد بشكل مستقلّ عن الآخر حسب الآتي:

---

١. راجع: *فروغ ابديت*: ١/١٧٤-١٧٦؛ ولمزيد الاطّلاع راجع: *الوحي المحمّدي*: ٦٦؛ *الصحيح من سيرة النبيّ الأعظم* صلى الله عليه وآله: ١/٩١؛ *تاريخ قرآن*: ١٢٣؛ *تفسير نمونه*: ٧/١٦.

٢. راجع: *الميزان في تفسير القرآن*: ٢١/٦٣.

٣. *نگرش تاريخى بر رويارويى غرب با اسلام*: ٣٤٩ نقلاً عن:
Viltuir oeuvres completesvd. 11.p21.and216.

١. النصارى

ورقة بن نوفل: وهو من النصارى المقيمين في مكّة، وقد جهد المستشرقون على إظهاره بأنّه معلّم النبيّ ﷺ. كتب يوسف حدّاد حول هذا الموضوع:

لم يكن دور ورقة بن نوفل ابن عم خديجة [ﷺ] قليلاً في هداية النبي واختياره. فقد نقل البخاري في صحيحه عن عائشة أنّها قالت: إنّ ورقة كان نصرانياً، وقد قرأ كتب التوراة والإنجيل وترجم قسماً منها إلى اللغة العربيّة.[١] ومَن يترجم كتبه الدينيّة إلى لغة قومه فإنّ هدفه هو التبليغ إلى دينه، ويكون مسلكه هو دعوة قومه إلى هذا الدين.

وقد تربّى محمّد على الثقافة النصرانيّة في ظِلّ ورقة بن نوفل. ومن غير الطبيعي وغير المعقول أن يدعو ورقة صهر عمّه إلى دين آخر غير دين النصرانيّة. وقد تعلّم محمّد من ورقة أنّ عيسى رسول الله، الرسول الذي لم يكن كبقيّة الرسل، بل كان كلمة الله وروحه.[٢]

ويقول القسيس حدّاد في موضع آخر من كتابه ضمن إعادة كلامه السابق:

لقد عاش محمّد قبل البعثة خمسة عشر عاماً مع ورقة بن نوفل، فهل هذه المدّة غير كافية لنابغة العرب محمّد بن عبد الله ليتلقّى معارف التوراة والإنجيل؟[٣]

ويقول ويل دورانت :

لقد كان عدد كبير من النصارى يقطنون في بلاد العرب، وكان قسم منهم يقيم في مكّة. وكانت لمحمّد ﷺ علاقات مع هؤلاء، وعلى الأقلّ مع واحد منهم يُدعى ورقة بن نوفل ابن عمّ خديجة، والذي كان مطّلعاً على الكتب اليهوديّة والمسيحيّة، وكان يُسافر أيضاً إلى يثرب ـ حيث توفّي والده فيها ـ ويقيم فيها طويلاً،[٤] ولعلّه كان يلتقي فيها مع بعض اليهود الذين كانوا يتواجدون فيها بأعداد غفيرة.[٥]

دراسة وتحقيق

يمكننا القول بأنّ دعوى اقتباس الإخبارات التاريخيّة في القرآن من ورقة بن نوفل لا تتطابق مع الواقع مطلقاً، وهو يتعارض مع المنقولات التاريخيّة المسلّمة والقطعيّة؛ لأنّ

---

١. لقد مرَّ في البحوث السابقة أنّ الكتاب المقدّس لم يكن مترجماً إلى العربية في عصر الرسالة.

٢. *دروس قرآنية*: ٤١٢/٢.

٣. المصدر: ٤١٢/٢.

٤. *تاريخ تمدن*: ١٦/١١؛ وراجع أيضاً: *حياة محمّد* ﷺ: ١٣٧.

٥. *الاستشراق والاتجاهات الفكرية*: ١٣٢.

النبيّ ـ وبشهادة التاريخ والوثائق الصحيحة ـ لم يلتقِ بورقة بن نوفل سوى مرّتين فقط، ولم ينقل فيها حصول النبيّ على معلومات منه. كان اللقاء الأوّل عندما أخبر النبيّ زوجته خديجة بخبر نزول الوحي عليه في غار حراء، فأخذته إلى ورقة، وقالت له: يا بن عمّ، اسمع ما يقوله ابن أخيك. فسأل ورقة رسول الله: ماذا سمعت يا ولدي؟ فقصّ له النبيّ ما رآه، فلمّا سمع ورقة ذلك قال للنبيّ: هذا هو الوحي الإلهي الذي نزل على موسى. وتوفّي ورقة بعد هذا اللقاء بفترة قصيرة.[1]

واللقاء الثاني للنبيّ مع ورقة كان إلى جوار الكعبة، فسأل ورقة النبيّ الأكرم عن الحوادث التي حدثت له، فأعاد عليه النبيّ ما رآه وسمعه، فقال ورقة: أقسم بالذي نفسي بيده إنّك نبيّ هذه الأمّة، وأنّ الناموس الأكبر الذي كان ينزل على موسى هو الذي ينزل عليك الآن، وسيكذّبونك ويؤذونك، ويخرجونك من مكّة ويقاتلونك، وسأنصرك إذا بقيت حيّاً.[2]

وليس في هذه النصوص ما يشير إلى استفادة النبيّ من ورقة، مضافاً إلى أنّ هذين اللقاءين كانا بحضور الآخرين؛ لأنّ اللقاء الأوّل كان بحضور خديجة، واللقاء الثاني كان بحضور مجموعة من العرب أثناء الطواف.

وبالإضافة إلى ما تقدّم فهنالك شواهد ودلائل أُخرى أيضاً على عدم وجود علاقة بين النبيّ وورقة بن نوفل، منها:

١. ورد في النصّ الأوّل بشكل صريح أنّ خديجة هي التي اصطحبت النبيّ معها إلى ورقة، في حين أنّ النبيّ إذا كانت له علاقة سابقة مع ورقة قبل البعثة لخطر في ذهنه الذهاب إليه وسؤاله بنفسه من دون أن تنبهه خديجة على ذلك.

٢. شهد التاريخ بأنّ قريشاً لم تتوان لحظة في عداوتها للنبيّ، وقد اتهموه بشتّى التهم، ولكنّهم لم يقولوا مطلقاً أنّ محمّداً قد أخذ معارف القرآن وإخباراته التاريخيّة من ورقة بن نوفل، فلو كان بينهما أدنى علاقة لتحدّث به المشركون.[3]

٣. ليس هنالك أيّ انسجام بين توالي الحوادث الواردة في القرآن وتسلسلها الزماني

---

١. راجع: *صحيح البخاري: كتاب بدء الوحي*، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله، الحديث٣.

٢. *السيرة النبوية*: ٢٣٨/١.

٣. للمزيد من الاطّلاع راجع: *وحي الله*: ١٤١؛ *الوحي المحمّدي*: ٦٧؛ *الصحيح من سيرة النبيّ الأعظم*: ٢١٦/١؛ *فروغ ابديت*: ٢٢٧/١؛ *الميزان في تفسير القرآن*: ٣٢٧/٢٠؛ *التمهيد*: ٧٨/١.

ومراحلها المختلفة مع حياة ورقة بن نوفل؛ لأنّها ترتبط بأحداث لم يكن ورقة موجوداً فيها. ونتساءل أين كان ورقة بن نوفل عندما كان النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله يطرح سؤالاً ويجيب عنه الوحي؟ فإنّ هذا دليل قاطع على ردّ التهمة القائلة بأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قد أخذ القرآن عن ورقة، ولكن لو زعم شخص بأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قد أخذ قسماً من القرآن عن ورقة، فإنّ هذا الزعم غير صحيح أيضاً؛ لأنّ الأمر لو كان كذلك لاختلفت صياغة القرآن في بيان الحوادث المأخوذة من ورقة عن صياغة الحوادث الأُخرى التي لم يأخذها منه،[1] كما نلاحظ هذا الاختلاف بين القرآن والأحاديث حيث يختلف أُسلوب أحدهما عن الآخر اختلافاً تامّاً.

ويتّضح ممّا سبق عدم وجود أيّ دليل ومؤيّد على العلاقة بين النبيّ صلى الله عليه وآله وورقة بن نوفل، وأنّه لم يدعوه إلى المسيحيّة، وأنّ ما زعمه القسيس حدّاد، وباقي المستشرقين ليست إلّا أوهاماً.

٢. العبيد والخدم

ادّعى المستشرقون بأنّ المجموعة الثانية من معلّمي النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله هم العبيد والخدم المسيحيون الموجودون في مكّة، حيث ادّعوا أنّ هؤلاء المسيحيّين الذين كانوا يسكنون أطراف مكّة كانوا يجلسون ويتحدّثون بالقصص الموجودة في كتبهم الدينيّة، وقد سمع النبي الأكرم صلى الله عليه وآله هذه القصص، فكان يستفيد منها أثناء الحاجة. وقد حصل على كثير من الإخبارات التاريخيّة في القرآن عن هذا الطريق.[2]

وسنتناول هذا الموضوع بالبحث بعد الانتهاء من نقد أقوال المستشرقين حول هذا الموضوع.

ذكر إدوارد مونتيه في مقدّمته لترجمة القرآن ـ حيث ترجمها إلى العربيّة إبراهيم عوض ـ ثلاثة مصادر للمعارف القرآنيّة:

١. المصادر اليهوديّة. المسيحيّة. ٢. المصادر الجاهليّة.[3] ٣. الإسلام.

ثُمّ كتب:

> إنّ المصدر الأصلي للعقيدة القرآنيّة هو الدين اليهودي. وتظهر صحّة هذا الكلام بأدنى نظر إلى العناصر المشتركة بين القرآن واليهوديّة والمسيحيّة، وأنّ تأثر القرآن

---

١. *اسلام در زندان اتّهام*: ٥٣ بتفاوت يسير.

٢. راجع: *المدخل لدراسة القرآن الكريم*: ٨٦؛ *الفكر الإسلامي*: ١٣١.

٣. سنتحدث عن هذا المصدر المتخيل للإسلام فيما يأتي من البحث.

بالعناصر اليهوديّة أكثر من تأثّره بالعناصر المسيحيّة. وطبعاً لا بدّ أن يكون الأمر كذلك؛ لأنّ العرب واليهود من أصل واحد، وهو العرق السامي. وما اقتبسه محمّدﷺ من اليهود كان عن طريق المرويّات الشفهيّة والروايات التي لها جذر تلمودي، ومثل هذه الاقتباسات كثيرة جدّاً. وكان اطّلاع محمّدﷺ على العهد الجديد عن طريق الروايات الشفهية أيضاً. وأنّ كثيراً من النصوص القرآنيّة التي تعرّضت للقصص الإنجيليّة مأخوذة من الأناجيل المعتمدة، كما أنّ كثيراً منها أيضاً مأخوذ من الأناجيل غير المعتمدة.[1]

ويقول مونتغمري واط في بشارة مريمعليها السلام بمولد عيسىعليه السلام التي وردت في سورة مريم:

بالرغم من أنّ هذه البشارة تشبه ما حكاه إنجيل لوقا في الباب الأوّل، الآية: ٢٦ ـ ٣٨، إلّا أنّ قصّة ولادة عيسى وردت بنحو آخر تماماً في القرآن، ولهذا فهي في نظر المسيحيّين حادثة مختلفة، وهي لا تتناسب مع ما جاء في كتبهم من لقاء مريم مع يوسف في معلف الدواب، وكذلك سفر المجوس إلى بيت لحم.

وليس هنالك مصدر صريح لبيان هذه الولادة، ولكن من الممكن أن يكون المسيحيون المقيمون في الجزيرة العربيّة على مثل هذه العقيدة.[2]

ويقول لويس:

تشير رواية النبي من قصص الكتاب المقدّس أنّه قد حصل على هذه المعلومات بطريق غير مباشر من التجار والسيّاح اليهود والنصارى الذين كانت معلوماتهم وعلومهم واقعة تحت تأثير المدارس اليهوديّة.[3]

وادّعى بلاشر أنّ التشابه الموجود بين قصص القرآن والقصص اليهوديّة والمسيحيّة دليل على أنّ القرآن من صنع البشر ومتأثّر بالعوامل الخارجيّة، وخاصّة في السور المكّية التي يظهر فيها هذا التأثّر واضحاً وصريحاً، وهذا يوصلنا إلى استنتاج وجود علاقة بين مؤسّس الإسلام [أي: النبيﷺ] والفقراء المسيحيّين في مكّة.[4]

وكتب بروكلمان في كتابه *تاريخ الشعوب والدول الإسلاميّة*:

كان لمحمّدﷺ ومنذ أيّام شبابه ميل ورغبة في المسائل الدينيّة، وتوجد هذه الحالة في الأشخاص ذوي الذكاء والفطنة الكارهين للجهل وعبادة الأصنام. وقيل: إنّه

---

١. *المستشرقون والقرآن*: ١٢١. ١٢٢.

٢. *برخورد آراى مسلمانان ومسيحيان*: ٣٣.

٣. *الاستشراق والاتّجاهات الفكريّة*: ١٣٢، نقلاً من: Lewis the Arabs.o.p.cit, p.390

٤. *نقد الخطاب*: ٢٦٩/١، نقلاً من: Leprobleme do Mahome p.u.f.p60

تعلّمها من اليهود والنصارى أثناء أسفاره، وربّما كانت له علاقة مع المسيحيّين في مكّة الذين كانوا لا يعرفون الكثير عن التوراة والإنجيل.[1]

ويقول في موضع آخر:

لا شكّ أنّ معرفة محمّد بالكتاب المقدّس (التوراة والإنجيل) كانت سطحيّة وتحتوي على أخطاء عديدة، وهو مدين بقسم منها إلى الأساطير اليهوديّة التي وردت في قصص التلمود، ولكن في ذمّته دَين أعظم لمعلّميه المسيحيّين الذين علّموه إنجيل المسيح الطفل، وقصّة أصحاب الكهف وحديث إسكندر (ذو القرنين).[2]

واعتبر آرتور جفري في كتابه (*واژه هاى دخيل در قرآن مجيد*) أنّ قصّة جالوت في القرآن أكثر عجباً ممّا ورد في العهد العتيق،[3] وقال في ذيل لفظ (داوود):

لقد ذكر القرآن داوود بصفته ملك بني إسرائيل، وبصفة كونه نبيّاً نزل عليه كتاب سماوي اسمه الزبور.

وورد في آيتين من القرآن سورة: ٢١ ـ ٨٠ وسورة: ٣٤ ـ ١٠، أنّ داوود كان يصنع الدروع. وقد تسرب هذا الاسم إلى العرب من إحدى المجتمعات التي تنتشر فيها أمثال هذه الأساطير، وربّما كان هذا المجتمع مجتمعاً يهوديّاً أو مسيحيّاً.[4]

وقال في موضع آخر:

وبعد قمع أصحاب الفيل، فإنّ الظاهر أيضاً أنّ الطيور الحبشيّة لم تكن قليلة في مكّة، ومن هنا لم تكن هنالك مشكلة لمحمّد أنّ يتعلّم في طفولته الكثير من الألفاظ ذات الأهمّيّة الدينيّة من هذه المصادر.[5]

بحث النظريّة

ليس هنالك من جديد في نظريّة اقتباس الإخبارات التاريخيّة في القرآن من مسيحي مكّة، فقد ردّد أعداء الإسلام مثل هذه الأقاويل منذ حياة النبيّ الأكرم. فكان مشركو قريش يزعمون أنّ معارف القرآن وإخباراته التاريخيّة لم تنزل من الله تعالى، بل حكاها له النصارى أو نصارى مكّة.

---

١. *تاريخ ملل ودول اسلامي*: ٢٢؛ راجع: *تاريخ الأدب العربي*: ١/١٩٤ ـ ١٩٥.

٢. *تاريخ الشعوب الإسلامية*: ٣٩.

٣. *واژه‌هاى دخيل در قرآن مجيد*: ١٦٤.

٤. المصدر: ٢٠٢؛ راجع: *حياة محمد*: ١٢٤ ـ ١٢٦؛ *دروس قرآنية*: ١/٢٧٦؛ *المستشرقون والقرآن*: ١٠٧؛ *واژه‌هاى دخيل در قرآن مجيد*: ٨١

٥. المصدر: ٦٩.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه التّهمة وأجاب عنها في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسانُ الَّذي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهذا لِسانٌ عَرَبِيٌّ مُبينٌ﴾.[١]

وحينئذٍ، كيف يمكن تصوّر شخص لا يجيد العربيّة الفصحى يتحدّث بمثل هذه الدّقة والفصاحة؟[٢]

وقد اختلف المشركون في اسم الشخص الذي كان يعلّم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بزعمهم. فنقل عن ابن عبّاس أنّه من أهل مكّة واسمه بلعام، وكان يصنع السيوف، وهو نصراني من أهل الروم. وزعم آخرون أنّ معلّمه صلى الله عليه وآله غلام رومي لبني حضرم، واسمه يعيش[٣] أو عايش، أسلم بعد ذلك، وكان من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله . وزعم بعض آخر أنّهما غلامان نصرانيان اسم أحدهما يسار والآخر جبر، وكان لهما كتاب بلغتهما يقرآنه بصوت مرتفع بين الحين والآخر.[٤]

وعلى كلّ حال، فإنّ تعيين أيّ واحد من هؤلاء كان معلّماً للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله لا أهمّية له، والمهمّ هو البحث في أصل النظريّة التي طرحها المشركون، وهي أنّ معارف القرآن وخاصّة إخباراته التاريخيّة، قد أخذها من البشر ونسبها إلى الله سبحانه كذباً وبهتاناً. وعلى هذا، فكلام المستشرقين في هذا الخصوص لم يكن جديداً، بل هو مجرّد إعادة لما زعمه المشركون في العصر الجاهلي، ولكن بترتيب جديد ولون وظاهر جذّاب.

وما ينبغي ذكره في نقد هذه النظريّة هو أنّ المسيحيّين الذين يسكنون مكّة كانوا بأجمعهم عبيداً وخدّاماً،[٥] وليس لهم أيّ علم بمعارفهم الدينيّة ولم يكونوا من أهل الفكر والتفكير، وليست لهم القدرة على أن يكونوا منشأً لهذه المعارف القرآنيّة الرفيعة. وقد كتب جان ديون بورت حول المسيحيّة والمسيحيّين في ذلك العصر:

---

١. النحل: ١٠٣.

٢. من الممكن أن يقال: إنّ هذا الشخص كان يعلّم النبيّ صلى الله عليه وآله المعنى المضمون، والألفاظ والصياغة من النبيّ صلى الله عليه وآله. وقد أجابت الآيات التي بعد الآية المذكورة عن هذه الشبهة أيضاً. راجع: *الميزان في تفسير القرآن* ج ٣٤٨/١٢.

٣. ذهب الفخر الرازي إلى أنّه كان غلاماً لبني عامر بن لؤي. راجع: *التفسير الكبير*: ١١٧/٢٠.

٤. *تفسير نمونه*: ٤٠٨/١١؛ راجع: *التفسير الكبير*: ١١٧/٧؛ *تفسير مجمع البيان*: ٤٩/٦.

٥. راجع: *ماسية الإسلام*: ٣٨.

كانت المسيحيّة في ذلك الوقت في وضع مؤسف جدّاً؛ لأنّه مضافاً لظهور الاختلافات الشديدة والنزاعات بين الفرق الكنائسيّة المسيحيّة في آسيا وأفريقيا، فقد وجدت أقبح السخافات الفكريّة والخرافات طريقها بين المسيحيّين، فقد امتلأت صحارى الجزيرة العربيّة بصوامع الرهبان والزهّاد الذين لايتمتعون بأدنى فكر وعقل، فقد كانوا يقضون أوقاتهم بالبطالة ويضيعون أعمارهم بالخيالات الحمقاء، وقد احتلت أشدّ أشكال عبادة الأصنام محلّ آداب وتقاليد الدين المسيحي، حيث وصل الحال في الآداب والتقاليد الرائجة في تلك المرحلة إلى عدم وجود أي شبه مع التعاليم المسيحيّة، وابتعدوا عمّا أمر به الله العالم والقادر والرحيم.[1]

ويقول المستشرق الفرنسي جول لابوم[2]:

لقد أدرك المسيحيّون ما تتمتع به الجزيرة العربيّة من الحريّة، فهاجروا إليها شيئاً فشيئاً بسبب ضغط الرومان والقتل والنهب الذي يشنّه الأسطوريّون الذين كانوا يؤيّدون الكنيسة اليونانيّة، ولم يكن هؤلاء المسيحيون يتمتعون بمعنويّة ودرجة من الوعي الكافية، ونرى نماذجاً من هؤلاء في مسيحيي الحبشة اليوم. وعلى هذا الأساس من الضحالة الفكريّة لا يستطيع الإنسان أن يجمع بين المدركات العقائديّة الراقية والمفاهيم الايدلوجيّة القيّمة، بل هو غارق في بحر متلاطم من الخرافات والأساطير الوهميّة والرموز المعقدة.[3]

فهل يستطيع مثل هذا الشخص أن يكون منشأً لمعارف القرآن الراقية وما جاء فيه من مطالب تاريخيّة دقيقة؟ كلاّ يقيناً!

ج) اليهوديّة واليهود

ومن المجموعات الأُخرى التي زعم المستشرقون أنّها كانت تعلّم النبي الأكرم في مكّة هم اليهود المقيمون فيها، الذين أشار إليهم ـ كما مرّ في البحوث السابقة ـ مونتيه، ولويس وآرتور جفري. ويقول كارده فو في *دائرة المعارف الإسلاميّة* بعد الإشارة إلى مصير ملكة سبأ في القرآن الكريم:

يتّضح جلياً ممّا مضى أنّ هذه القصّة قد وصلت إلى محمّد من المصادر اليهوديّة التي كانت واقعة تحت تأثير المصادر الإيرانيّة.[4]

---

١. *عذر تقصير به پيشگاه محمّد وقرآن*: ٥ ـ ٦؛ راجع: *المدخل لدراسة القرآن*: ٩٠.

2. Jules Labume.

٣. *اسلام از ديدگاه جول لابوم*: ٢١.

٤. *دائرة المعارف الإسلامية*: ٤/ ١١٠.

وكتب ماسيه:

إنّ من الأمور التي لا يتطرّق إليها الشكّ هي أنّ تأثير اليهوديّة على القرآن أعظم من تأثير المسيحيّة.[١]

ويستنتج من العبارات السابقة للمستشرقين ـ كما يظهر من القرائن ـ أنّ المقصود من المصادر في النصّ المتقدّم المصادر اليهوديّة في مكّة، ولكن إذا كان مقصودهم المصادر المكتوبة، فقد بسطنا البحث في أوائل هذا الفصل بأنّ مصادر أهل الكتاب لا يمكن أن تكون منشأً للقرآن، وخاصّة لإخباراته التاريخيّة، وإذا كان مقصودهم المصادر اليهوديّة الشفهيّة، فهو أيضاً إدّعاء بلا دليل، ولا أساس له:

لأنّ المؤرخيّن لم يذكروا وجود أيّ قبيلة يهوديّة في مكّة حين ظهور الإسلام.[٢]

والتوهّم الأكبر من هذا هو زعمهم بأنّ أحبار المدينة كانوا هم معلّمي النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله؛[٣] لأنّه ـ وكما مرّ بيانه في البحوث السابقة ـ من المتفّق عليه إلى حدّ ما أنّ الإخبارات التاريخيّة للقرآن والجزء الأعظم من سائر معارفه هي مكّية، أي أنّها نزلت في مكّة.

مناشئ القصص القرآنية عند المستشرقين

١. استلّت من عرب الجاهليّة

ومن المصادر الأخرى التي توهمها المستشرقون للقرآن وإخباراته التاريخيّة هي البيئة التي عاش فيها النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، فهم يعتقدون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد تأثّر بالبيئة التي عاش فيها، وقد اقتبس الكثير من معارفه القرآنيّة وخاصّة القصص القرآني من أساطير عرب الجاهليّة.

يقول بلاشر:

يتحدّثون غالباً في أوروبا، وأحياناً بحقد كبير عن رجال الدين بأنّهم يكرّرون ـ وبشكل مستمرّ وبدون تغيير ـ أساطير الأنبياء [أي: هود ونوح وموسى وإبراهيم في هذا الصعيد]. وسبب هذا الأمر أنّهم لم يسعوا أن يضعوا أنفسهم في محيط مكّة في عصر محمّد [صلى الله عليه وآله]. فقد كانت جميع هذه القصص معروفة في ذلك الزمن، وكان مخالفو النبي يستطيعون وبسهولة السخريّة به عند سماعهم إيّاها، ويقولون: إنّ هذا إلّا أساطير الّا وّلين.

---

١. *الإسلام*: ٤٢.

٢. *قبسات*، مقاله: «تأملي در ايرادهاى مستشرقان بر وحيانى بودن قرآن»: العدد ١٩٨/٢٩.

٣. *العقيدة والشريعة في الإسلام*: ٢٠؛ راجع: *آراء المستشرقين حول القرآن*: ١٠١/١ ـ ١٠٦.

ولكن يظهر أهميّة المطلب من خلال استعمالها بنحو جديد في القرآن، ففي هذا الكتاب بُدّلت كلّ واحدة من هذه القصص إلى استدلّال في كلّ مورد من مواردها.[1]

وكتب براو[2] في *دائرة المعارف الإسلاميّة* في ذيل لفظ «ثمود»:

وكما بحث القرآن عن أخبار العهدين والوقائع التاريخيّة لغير العرب، فقد أخبر أيضاً عن أخبار عادٍ وثمود.[3]

وكتب يوسف حدّاد بعد بحث مفصّل حول قصص القرآن تحت عنوان نتيجة البحث:

يتضح ممّا سبق أنّ مصادر القصص والإخبارات التاريخيّة للقرآن كان هو المحيط العربي، ومحيط أهل الكتاب أيضاً.[4]

ويقول المستشرق البريطاني كيب:

كان محمّد كأيّ شخصيّة مبتكرة أُخرى متأثّراً من جهة بالظروف الداخليّة، ومتأثّراً من جهة أُخرى بالعقائد والأفكار والآراء الحاكمة في زمانه ومحيطه الذي عاش فيه. وكان لمكّة دور كبير في هذا التأثير، ويمكن القول: إنّ تأثير المرحلة المكّية على حياة محمّد ظاهرة وواضحة، ويمكن القول بتعبير إنساني أنّ محمّداً قد انتصر؛ لأنّه كان أحد أبناء مكّة.[5]

البحث والتحقيق

إنّ نظريّة المستشرقين هذه هي كسائر آرائهم ونظرياتهم ناشئة من الجهل والتعصب، ولا يوجد أيّ مستند تاريخي يمكن أن يثبتها؛ لأنّ كلّ إنسان منصف يراجع القرآن الكريم وتاريخ العرب قبل الإسلام يستنتج أنّ المجتمع العربي الجاهلي لا يمكن أن يكون منشأً لمعارف القرآن وإخباراته التاريخيّة؛ لوجود الاختلافات الكبيرة بين الاعتقادات في ذلك العصر، وبين المعارف القرآنيّة، بل يمكن القول: بأنّها كانت متناقضة. مضافاً إلى أنّ القرآن الكريم، وفي كثير من آياته كان يعتبر إخباراته التاريخيّة من الأُمور الغيبيّة ، ويصرّح بأنّ النبي صلى الله عليه وآله وقومه لم يكونوا على علمٍ بها. يقول الله تعالى في سورة هود بعد الإخبار عن مصير

---

١. *در آستانه قرآن*: ٢٠٣.

2.H.H.Brau.

٣. *دائرة المعارف الإسلامية*: ٢١٠/٦.

٤. *دروس قرآنية*: ٥٧٢/٢.

٥. *سير تاريخى وارزيابى انديشه شرق شناسى*: ١٣٦؛ راجع: *المستشرقون والقرآن*: ١٢٣؛ *الإسلام والعرب*: ٣٨؛ *تاريخ الشعوب الإسلامية*: ٣٩.

قوم نوح: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحيها إِلَيْكَ ما كُنْتَ تَعْلَمُها أَنْتَ وَلا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هذا﴾.[١]

ويقول تعالى في سورة يوسف بعد نقل قصّة يوسف: ﴿ذلِكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحيهِ إِلَيْكَ وَما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾.[٢]

ويقول تعالى في سورة القصص: ﴿وَما كُنْتَ بِجانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنا إِلى مُوسَى الْأَمْرَ وَما كُنْتَ مِنَ الشّاهِدينَ﴾.[٣]

وهنالك آيات كثيرة أُخرى صرّحت بعدم اطّلاع النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وقومه على هذه الأخبار. ومن الواضح جداً أنّ العرب إذا كانوا على علم بهذه الأخبار والحوادث التاريخيّة فإنّ القرآن الكريم لا يستطيع أبداً أن يُلقي مثل هذا الادّعاء بينهم؛ لأنّ القرآن الكريم قد تحدّى العرب وسائر البشر لمرّات عديدة.[٤] وأعلن أنّه إذا كان هنالك شكّ في سماويّة هذا الكتاب فأتوا بمثله كتاباً يحتوي على أخبار غيبيّة. ومن الواضح أنّ هذه الأخبار لو كانت معروفة بين العرب لاستجابوا لهذا التحدّي.

يقول المستشرق البريطاني هاميلتون كيب[٥] حول هذا الموضوع:

إنّ ظهور الإسلام من محيط جاهلي عربي يؤمن بالسحر محلّ لكثير من التأمّل خلال التاريخ. نعم، فإنّ الإسلام لم يأتِ فقط من مثل هذا المجتمع وبنى أساسه من غير مساعدة منه، بل كان على نقيض منه تماماً وانقلاب على مبانيه العربيّة واستطاع القضاء على جميع تلك التقاليد[٦]

٢. استلّت من شعر أُميّة

والمصدر الآخر الذي توهّمه المستشرقون أنّه منشأ لقصص القرآن وإخباراته التاريخيّة هو أشعار أُميّة بن أبي الصلت الثقفي. فقد اعتبر المستشرق الفرنسي كلمان هوار[٧] شعر أُميّة بن

---

١. هود: ٤٩.

٢. يوسف: ١٠٢.

٣. القصص: ٤٤.

٤. فمثلاً راجع: البقرة: ٢٤؛ الإسراء: ٨٨؛ الطور: ٣٣ ـ ٣٤.

٥. Hamilton Gibb (Guib) ولمزيد الاطّلاع على حياته راجع: *موسوعة المستشرقين*: ١٧٤.

٦. *اسلام از ديدگاه دانشمندان جهان*: ٥١٧ ـ ٥١٨. نقلاً عن *دراسات في الحضارة الإسلامية*: ٢٣٨.

7. K.Huoar

أبي الصلت هي المصدر الأصلي للقرآن الكريم، واستدلّ على ذلك بالتشابه الكبير بين الاثنين في الدعوة إلى التوحيد ووصف الآخرة، ونقل قصص أنبياء العرب السابقين، بالرغم أنّ المسلمين قد قضوا على شعر أُميّة وحرّموا قراءته لتكون الأفضليّة للقرآن.[١]

وقال پور[٢] مكرراً ما قاله هوار:

إنّ التماثل الموجود بين أشعار أُميّة والقرآن يرشدنا إلى أنّ رسول الله كان قد أخذ القرآن عن أُميّة؛ لأنّه كان متقدّماً عليه.[٣]

البحث والتحقيق

إنّ ما توهّمه المستشرقون هنا هو في الحقيقة مجرّد وهم وخيال وعارٍ عن الحقيقة والواقعية؛ لأنّ التشابه الموجود بين شعر أُميّة بن أبي الصلت والإخبارات التاريخيّة للقرآن لا يدلّ بأيّ وجه من الوجوه على اقتباس النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله من شِعر أُميّة؛ لما يلي:

أوّلاً: تشكيك المستشرقين أنفسهم في صحّة انتساب كثير من شعر أميّة إليه، وكانت محلّ شكّ وتردّد؛[٤] إذ من المحتمل أنّها أُلّفت من بعض الشعراء في زمن الحجّاج بن يوسف الثقفي تزلّفاً إليه، كما أنّ كثيراً من القصص التي وردت في فضله ووصفه كانت مجعولة أيضاً.[٥]

ثانياً: على فرض صحّة انتساب هذه الشعر إلى أُميّة، فإنّ التماثل الموجود بينها وبين القرآن لا يدلّ على اقتباس النبي الأكرم صلى الله عليه وآله من أُميّة بن أبي الصلت؛ لأنّ هذا الاقتباس هو مجرد احتمال من بين ثلاث احتمالات أُخرى، هي:

الأوّل: إنّ الاثنين قد اقتبسا من مصدر ثالث.

الثاني: إنّ أُميّة كان قد أخذ من النبيّ صلى الله عليه وآله .

الثالث: إنّ هذه الأشعار قد أُلّفت في العصور اللاحقة، ومن ثَمّ نسبت إلى أُميّة.

وعلى هذا، فهنا أربعة احتمالات، وترجيح أحدها على الأخرى يحتاج إلى أدلّة وأسناد. وفيما يلي نتناول التحقيق في الاحتمالات أعلاه :

---

١. *نقد الخطاب*: ٢٦٩/١؛ نقلاً عن .Journal Asiatique.vol.Iv. p.125

2. Pueer.

٣. نقلاً عن ديوان أُميّة، مقدّمة مزدرش شولتيس؛ وراجع أيضاً: *حياة محمد* صلى الله عليه وآله: ٢٢٤.

٤. *دائرة المعارف الإسلامية*: ٦٦١/٢.

٥. راجع: تعليق محمّد عرفة على مقالة أُميّة بن أبي الصلت.

أمّا الاحتمال الأوّل، وهو اقتباس النبي صلى الله عليه وآله من أُميّة. فهو توهّم بعيد،[١] لا لعدم وجود دليل عليه فقط،[٢] بل لوجود شواهد وقرائن كثيرة على ردّه وعدم قبوله، منها أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله لو كان قد أخذ عن أُميّة لعلم بذلك مشركو قريش قبل المستشرقين ولأذاعوه، وقالوا: إنّ القرآن قد أخذ من شعر أُميّة بن أبي الصلت، ولنقل ذلك الرواة؛ لأنّ المشركين كانوا أحرص من المستشرقين في الحصول على دليل ـ وإن كان باطلاً ـ لنفي نبوّة محمّد صلى الله عليه وآله.[٣] ولقد اختلقوا ذرائع مختلفة لاتهام النبي صلى الله عليه وآله، ولكن لم يسجل لنا التاريخ اتهاماً من المشركين في هذا المورد. وما ادّعوه من تقدّم زماني لأُميّة غير ثابت؛ فإنّ النبي صلى الله عليه وآله توفّي في السنة الحادية عشر للهجرة، بينما توفّي أُميّة في السنة التاسعة منها.

وأمّا الاحتمال الثاني الذي تمسّك به كثير من المستشرقين، منهم براو[٤] في مقالته أُميّة بن أبي الصلت المنشورة في *دائرة المعارف الإسلاميّة*،[٥] فهو أنّ كلّاً من القرآن وشعر أُميّة مقتبسان من مصدر ثالث: الكتاب المقدّس وسائر كتب ومرويات اليهود والنصارى.

وهذا الاحتمال غير صحيح أيضاً ولا واقع له؛ لأنّه قد اتّضح في البحوث السابقة أنّ كتب اليهود والنصارى لا يمكن أن تكون منشأً للقرآن وإخباراته التاريخيّة.

وعلى هذا، يبقى احتمالان فقط، ويظهر لنا أنّ الاحتمال الأخير ـ أي: أنّ هذه نماذج الشعرية مجعولة من قِبل آخرين ـ هو الأقرب للصحّة، وقد أثبت ذلك أيضاً بعض المحقّقين؛[٦] لأنّه بالرغم من وجود بعض الشواهد على اقتباس أُميّة من النبي صلى الله عليه وآله، ولكن الدلائل أوضح وأصرح على أنّ هذه الأشعار قد جُعلت في عصر بني أُميّة، وخاصّة في عصر أمارة الحجاج بن يوسف الثقفي.[٧]

---

١. *دائرة المعارف الإسلاميّة*: ٦٦١/٢.

٢. *مجله قبسات*، مقاله: تأملي در ايرادهاى مستشرقان بر وحيانى بودن قرآن، العدد ١٩٥/٣٠.

٣. راجع: *سير تاريخى وارزيابى انديشه شرق شناسى*: ١٣٨.

4. H.H.Brau.

٥. *دائرة المعارف الإسلامية*: ٦٦٢/٢.

٦. *المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام*: ٤٩٥/٦.

٧. لمزيد الاطّلاع راجع: *بيان الأديان*: ٢٧؛ *الميزان في تفسير القرآن*: ٣٣٨/٨؛ *المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام*: ٤٧٨؛ *نقد الخطاب*: ٢٦٩/١؛ *سيكولوجية القصّة في القرآن*: ٧٤.

٣. استلّت من الزرادشت والفُرس

وادّعى بعض المستشرقين أنّ محمّداً قد اقتبس بعض العقائد من الدين الزرادشتي والفُرس؛ لوجود تشابه بين بعض الإخبارات التاريخيّة في القرآن وبين المعارف الزرادستية، مثل قصّة المعراج، وقصّة خروج الشيطان من الجنّة، وفكرة حور العين، وعزرائيل، والصراط وغيرها.[١]

قال ولتر:

> ورد في القرآن أنّ ملكاً سيضع الرجال والنساء في ميزان كبير يوم القيامة ويزنهم، وهذه العقيدة مأخوذة من العقيدة الزرادستية. وقد أخذ المسلمون أيضاً عقيدة الصراط المضطرب من الفرس.[٢]

وكتب ونسنك في *دائرة المعارف الإسلاميّة*:

> ذهب سيل[٣] بدان سو إلى أنّ محمّداً قد أخذ فكرة حور الجنّة من المجوس،[٤] ولكن دوزي[٥] رفض هذا الكلام، وقال: إنّ الأصل الپارسي الذي رجع سيل إليه متأخّر جداً عن القرآن. وعليه فإنّ الحقيقة على عكس ذلك.[٦]

ومعنى كلام دوزي أنّ القرآن قد اقتبس من المصدر المجوسي.

وهذا الكلام كان يعتقده آرتور جفري، حين كتب:

> لقد اتّحدت كلمة العلماء الغربيّين على أنّ مفهوم حور الجنّة قد أخذ من مصدر خارجي، وعقيدتهم السائدة أنّه أخذ من مصدر إيراني.
>
> وكان سيل في رسالته *القول المقدّماتي* على هذا الوهم والظنّ، ولكن إرجاعه ـ وكما أشار دوزي إلى ذلك ـ لم يحلّ المشكلة مع الأسف؛ لأنّ المصدر الذي رجع إليه متأخّر جداً.
>
> وقد كتب برتلس في مقالته حور *الجنّة في الإسلام*[٧] في مجلة *إسلاميكا*، الجزء: ٢٦٣/٤ فما بعد، بحثاً مقنعاً حول الموضوع، قائلاً:

---

١. راجع: *آراء المستشرقين حول القرآن*: ١٣٧/١.

٢. *اسلام از نظر ولتر*: ١٢١؛ نقلاً من: *كليات ولتر*: ١٠٤/١٧.

3. Sale.

4. Parsis.

5. Dozy.

٦. *دائرة المعارف الإسلامية*: ١٤٠/٨.

7. Dic Paradiesischew Junq Frauenim Islam.

أنّه بالرغم من أنّ سيل لم يستطع أن يأتي بشاهد ودليل على أخذ هذا المفهوم من مصدر إيراني، ولكن خصائص حور الجنّة في القرآن ينطبق تماماً على ما ورد في التعاليم الزرادشتية في باب دئنا.[1]

وعلى كلّ حا ل، فالسؤال الأساسي هو: هل أنّ لفظة حور ذات أصل إيراني أم لا؟ يعتقد برتلس أنّ لا أصل إيراني لها.[2]

ويقول غوستاولوبون:

إنّ البعض يعتقد أنّ الآريّين في إيران والهند كان لهم تأثير على الدين النصراني والإسلام، ولكن نفوذهم في الإسلام كان ضعيفاً جدّاً، بحيث لم تستطع عقائدهم النفوذ في الإسلام.[3]

وذهب البعض إلى أنّ سلمان الفارسي كان مصدر، ومنشأ القرآن ويقولون في هذا المورد:

إنّ محمّداً صلى الله عليه وآله قد أخذ معلوماته من سلمان الفارسي الذي كان من علماء الفرس وعالماً في المذاهب والأديان، وعندما أسلم سلمان الفارسي في المدينة وحظي بزيارة محمّد صلى الله عليه وآله نزل أكثر القرآن.[4]

ويردّ هذا الكلام أنّ أكثر الإخبارات التاريخيّة للقرآن قد نزلت في مكّة، وهذا أمر مجمع عليه إلى حدّ ما، فإذاً أيّ شيء علّمه سلمان للنبيّ صلى الله عليه وآله؟

البحث والتحقيق

لا نرى هنا ضرورة في ردّ هذه المطالب المزعومة؛ لأنّه ـ وكما لاحظتم ـ أنّ هذه النظريّة لم يقبلها المستشرقون أنفسهم ورفضوها؛ لعدم وجود دليل على لقاء النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله مع علماء الفرس، وعلى هذا فالبحث في مثل هذا المورد بعيد عن العقل والمنطق، ويكفي في ردّ هذه الأوهام عدم وجود آية في القرآن الكريم على وزن النساء والرجال في يوم القيامة، وما جاء في القرآن يخالف هذه الادّعاءات، حيث يقول: إنّ نصب الميزان في يوم القيامة هو لوزن الأعمال وتقييمها.

وليس مقصود القرآن من الميزان، هو: هذا الميزان أو القبّان المتعارف، بل هو قياس الأعمال وتقييمها معنوياً وحسابها في يوم القيامة.

---

1. Dacna.

٢. *واژه‌هاى دخيل در قرآن*: ١٩٠.

٣. *تمدن اسلام وغرب*: ١٣٢.

٤. *الميزان في تفسير القرآن*: ٦٤/١؛ راجع: *الوحي المحمدي*: ٦٩.

فقد وردت أحاديث كثيرة من طرق الشيعة والسنّة أنّ: «عليّ ميزان الأعمال».

والمراد من الميزان هو معناه اللغوي، أي: المعيار والمقياس.

وعلى هذا فإنّ الله تعالى قد اتّخذ علياًعليه السلام في يوم القيامة ميزاناً للإنسان الصالح، فتقاس أعمالنا وسلوكنا طبقاً لأعمال عليعليه السلام وسلوكه، فإذا تطابقت الأعمال دخل الجنّة، وإن خالفتها دخل النار، ولعلّه لهذا كان عليعليه السلام قسيم الجنّة والنار.[1]

النتيجة

اتّضح من مجموع البحوث التي تناولتها هذه المقالة أنّ أهمّ أهداف القراءات الإسلاميّة في الغرب هو تحريف الإسلام والمعارف القرآنيّة بقصد إبعاد المسلمين عن دينهم من خلال المستشرقين. وقد أكّد الإمامرحمه الله على هذا الأمر مرّات عديدة.

إنّ إحدى الأعمال السيئة التي سعى إليها المستشرقون هي محاولاتهم الحصول على مصادر بشريّة للقرآن الكريم، وخاصّة ما ورد فيه من القصص. وقد خابت آمالهم وتلاشت أحلامهم ولم يحصلوا على أيّ نتيجة سوى الفشل والخسران.

---

١. *اسلام از ديدگاه دانشمندان جهان*: ١٩٥.

المصادر

القرآن الكريم

١. *آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره*، رضوان، عمر بن إبراهيم، الرياض، دار الطيبه، الطبعة الأُولى، ١٤١٣هـ.

٢. *أزمة الاستشراق الحديث المعاصر*، حسن، محمّد خليفة، الرياض جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة، ١٤٢١هـ.

٣. *الاستشراق والاتّجاهات الفكريّة في التاريخ الإسلامي*، دراسة تطبيقية على كتابات برنارد لويس، المطبقاني، مازن بن صلاح، الرياض مكتبة الملك فهد الوطنيّة، ١٤١٦هـ.

٤. *الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم*، السباعي، مصطفى، بيروت، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ.

٥. *الإسلام*، ماسيه، هنرى، تعريب: بهيج شعبان، تعليق: مصطفى الرافعي ومحمّد جواد مغنية، بيروت، منشورات عويدات، الطبعة الثانية، ١٩٧٧م.

٦. *الإسلام والعرب*، روم لاندو، تعريب: منير البعلبكي، بيروت، دار العلم، ١٩٦٢م.

٧. *الإسلام وشبهات المستشرقين*، المقدادي، فؤاد كاظم، قم، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، الطبعة الأُولى، ١٤١٦هـ.

٨. *أضواء على الاستشراق والمستشرقين*، ديان، محمّد أحمد، القاهرة، دار المنار، الطبعة الأُولى، ١٤١٠هـ.

٩. *إظهار الحقّ*، الهندي، رحمة الله بن خليل الرحمان، بيروت، دار الجيل.

١٠. *الأبطال*، كارليل، توماس، تعريب: محمّد السباعي، القاهرة، المطبعة المصرية بالأزهر، الطبعة الثالثة، ١٣٤٩هـ.

١١. *بحار الأنوار*، المجلسي، محمّد باقر، هران، دار الكتب الإسلاميّة.

١٢. *تاريخ الأدب العربي*، بروكلمان، كارل، تعريب: عبد الحليم النجّار، مصر، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ١٩٩٣م.

١٣. *تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري)*، الطبري، أبو جعفر محمّد بن جرير، بيروت، دار الكتب العلميّة، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.

١٤. *تاريخ الشعوب الإسلاميّة*، بروكلمان، كارل، تعريب: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٣م.

١٥. *تاريخ حركة الاستشراق (الدراسات العربيّة والإسلاميّة في أُوروبا حتّى بداية القرن العشرين)*، فوك، يوهان، تعريب: عمر لطفي العالم، دمشق، دار قتيبة، الطبعة الأُولى، ١٤١٧هـ.

١٦. *التبشير والاستشراق أحقاد وحملات على النبيّ محمّد وبلاد الإسلام*، محمّد عزّت إسماعيل الطهطاوي، القاهرة، ١٤١١هـ.

١٧. *تراث الإسلام*، شناخت، جوزيف، تعريب: محمّد زهير السموري، الكويت، دار المعرفة، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ.
١٨. *تطوّر الاستشراق في دراسة التراث العربي*، الناجي، بغداد، منشورات دار الجاحظ للنشر، الطبعة الأولى، ١٩٨١م.
١٩. *التفسير السمرقندي المسمّى ببحر العلوم*، بيروت، العروي السمرقندي، أبو سعيد عمر بن عزامة، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
٢٠. *حاضر العالم الإسلامي*، سودار، لوتروپ، تحقيق: نويهض، تعليق: أمير أرسلان، بيروت، دار الفكر.
٢١. *حياة محمّد*، درمنغاهايم، أميل، تعريب: عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربيّة، المطبعة الثانية، ١٤١٧هـ.
٢٢. *دائرة المعارف الإسلاميّة*، ونسينگ والآخرون، تعريب: إبراهيم زكي خورشيد والآخرون، بيروت، دار المعرفة.
٢٣. *دراسات قرآنيّة (المستشرقون والدراسات القرآنيّة)*، علي الصغير، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤١٣هـ.
٢٤. *دروس قرآنيّة*، حدّاد، يوسف درّة، بيروت، منشورات المكتبة البولسية، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م.
٢٥. *الدفاع عن المسيحيّة في الإنجيل بحسب متّى*، حداد، يوسف درّة، بيروت، منشورات المكتبة البولسيّة، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م.
٢٦. *دفاع عن محمّد ضد المنتقصين من قدره*، *بدوي*، عبد الرحمن، تعريب: كمال جاد الله، الدار العالميّة للكتب والنشر.
٢٧. *رؤية إسلاميّة للاستشراق*، غراب، أحمد، الإسلامي، الطبعة الثانية.
٢٨. *روح الدين الاسلامي*، طبّارة، عفيف عبدالفتاح، الطبعة الرابعة، ١٣٨٠هـ.
٢٩. *سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلاميّة*، الجندي، أنور، بيروت، دار الجيل، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.
٣٠. *سير أعلام النبلاء: السيرة النبوية*، الذهبي، شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان، بيروت، مؤسّسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
٣١. *السيرة النبوية*، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ شلبي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٥م.
٣٢. *السيرة النبوية*، مغنية، الشيخ أحمد وصالح التاروني، بيروت، دار الصفوة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
٣٣. *سيكولوجيّة القصة في القرآن*، النقرة، التهامي، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧١م.
٣٤. *شبهات وردود*، معرفة، محمّد هادي، قم، مؤسّسة التمهيد، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
٣٥. *صحيح البخاري*، البخاري، محمّد بن اسماعيل، تحقيق: محمود محمّد محمود حسن نصار، بيروت، دار الكتب العلميّة، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ.
٣٦. *الطبقات الكبرى*، ابن سعد، محمّد، تحقيق: كيالي، بيروت، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

٣٧. *الظاهرة القرآنية (نظريّة جديدة في دراسات القرآن)*، ابن نبي، مالك، تعريب: عبد الصبور شاهين، القاهرة، دار العروبة، الطبعة الأولى، ١٩٥٨م.
٣٨. *قالوا في الإسلام*، الظالمي، حسين الشيخ خضر، النجف، مطبعة الآداب، ١٣٨٤ هـ، ١٩٦٥م.
٣٩. *القرآن الكريم وروايات المدرستين*، العسكري، السيّد مرتضى، بيروت، شركة التوحيد للنشر، ١٤١٧هـ.
٤٠. *القرآن والمستشرقون*، اللطفي جمعه، رابح، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة، ١٣٩٤هـ.
٤١. *مجمع البيان*، الطبرسي، تحقيق: سيد هاشم رسولي محلاتي، بيروت، دار إحياء التراث العربي ١٤١٢هـ.
٤٢. *المدخل إلى القرآن الكريم*، عرض تاريخي وتحليل مقارن، دراز، محمّد عبدالله، الكويت، دار القرآن ودار القلم، الطبعة الأولى، ١٣٩١هـ.
٤٣. *المدخل لدراسة القرآن الكريم*، أبو شبيه، الدكتور الشيخ محمّد بن محمّد، بيروت دار الجيل، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ.
٤٤. *المستشرقون والقرآن*، دراسة لترجمات نفر من المستشرقين الفرنسيين للقرآن وآرائهم، عوض، ابراهيم، القاهرة، دار القاهرة، ١٤٢٣هـ.
٤٥. *المستشرقون وترجمة القرآن*، البنداق، محمّد صالح، بيروت، منشورات دار الآفاق الجديدة، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
٤٦. *المستشرقون*، العقيقي، النجيب، دار المعارف مصر، الطبعة الثالثة، ١٩٦٤م.
٤٧. *مصدر القرآن دراسة لشبهات المستشرقين والمبشرين حول الوحي المحمّدي*، عوض، ابراهيم، القاهرة، دار القاهرة، ١٤١٧هـ.
٤٨. *المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام*، علي جواد، قم، منشورات الشريف الرضي، الطبعة الأولى، ١٣٨٠ هـ.
٤٩. *من الشرق والغرب نظرات استشراقية في الإسلام*، الغلاب، الدكتور محمّد، القاهرة، دار الكتاب العربي.
٥٠. *الميزان في تفسير القرآن*، الطباطبائي، العلّامة محمّد حسين، قم، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلميّة، الطبعة السادسة، ١٤٢١هـ.
٥١. *نقد الخطاب الاستشراقي الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلاميّة*، سالم الحاج، بيروت، دار المدار الاسلامي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.
٥٢. *الهدى الى دين المصطفى*، البلاغي، محمّد جواد، بيروت، مؤسّسة الأعلمي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ.
٥٣. وحي *الله حقائقه وخصائصه في الكتاب والسّنة نقض مزاعم المستشرقين*، ضياء الدين عتر، سوريا، دار المكتبي، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
٥٤. *الوحي المحمّدي*، رشيد رضا، السيّد محمّد، مصر، مطبعة المنار، الطبعة الثالثة، ١٣٥٢هـ.
٥٥. *اليهود في القرآن*، طبّارة، عفيف عبدالفتاح، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة، ١٩٧٤م.

المصادر الفارسية

٥٦. *اسلام از دیدگاه ژول لابوم*، ترجمة واقتباس: محمّد رسول دريايي، طهران، انتشارات ميثم، ١٣٦١ش.

٥٧. *اسلام از نظر ولتر*، جديدي، جواد، طهران، مركز نشر دانشگاهی، چاپ پنجم، ١٣٧٤ش.
٥٨. *اسلام در زندان اتهام*، شوقي، ابو خليل، طهران، انتشارات بعثت.
٥٩. *اسلام، بررسی تاریخی*، گیب، همیلتون، ترجمه: منوچهر أميري، طهران، انتشارات علمی وفرهنگی، چاپ اول، ١٣٦٧ش.
٦٠. *انتقال علم یونانی به عالم اسلامی*، اولیری، دلیس، ترجمه: أحمد آرام، طهران، مركز نشر دانشگاهی، چاپ دوم، ١٣٧٤ش.
٦١. *اهداف مطالعات اسلامی*، فرنال، ترجمة، حسين نجاتي، (كار وكارگر ١٣٧٧/١٠/٣٠)
٦٢. *ایران از آغاز تا اسلام*، گیرشمن، ترجمه: محمّد معين، طهران، بنگاه ترجمه ونشر كتاب، چاپ سوم، ١٣٤٩ش.
٦٣. *پاسخ نقضی به سلمان رشدی یا اسلام از دیدگاه دانشمندان جهان*، آل اسحاق خوئيني، علي، قم، دفتر تبليغات اسلامی، ١٣٧٠ش.
٦٤. برخورد *آرای مسلمانان ومسیحیان، (تفاهمات وسوء تفاهمات)*، واط، مونتمگری، ترجمه: محمّد حسين آريا، طهران، نشر فرهنگ اسلامی، چاپ اول، ١٣٧٣ش.
٦٥. *بيان الأديان در شرح أديان ومذاهب جاهلی واسلامی*، أبو المعاني العلوي، محمّد حسين، تصحيح: عباس اقبال آشتياني ومحمّد تقي دانش پژوه، باهتمام محمّد دبير سياقي، طهران، روزنه، ١٣٧٦ش.
٦٦. پژوهش *هایی درباره قرآن ووحی*، صبحی صالح، ترجمه: محمّد مجتهد شبستري، طهران، نشر فرهنگ اسلامی، چاپ پنجم، ١٣٧٥ش.
٦٧. *تاریخ ایران از آغاز تا انقراض ساسانیان واز صدر اسلام تا انقراض قاجاریه*، پيرنا، حسن وعباس اقبال آشتياني، طهران، انتشارات بهزاد، چاپ دوم، ١٣٨٢ش.
٦٨. *تاريخ ايران باستان* (٢)، بياني، شيرين، طهران، سازمان مطالعه وتدوين كتب علوم انسانی دانشگاه ها، چاپ اول، ١٣٨١ش.
٦٩. *تاريخ تمدن اسلام وعرب*، لوبون، گوستاو، ترجمه: سيد هاشم حسيني، كتاب فروشی اسلاميه.
٧٠. *تاريخ تمدن*، دورانت، ويل، (ترجمه فارسی)، طهران، اقبال، ١٣٣٩ش.
٧١. *تاريخ جهان باستان (یونان)*، برگر وديگران، ترجمه: صادق انصاري وديگران، الصياغة الثانية، طهران، نشر انديشه، چاپ اول، ١٣٧٩ش.
٧٢. *تاريخ عرب*، حتّی، فليپ، ترجمه: ابو القاسم باينده، طهران، علمی فرهنگی، الطبعة الثالثة، ١٣٨٠ش.
٧٣. *تاريخ قرآن*، راميار، محمود، طهران، انتشارات امير كبير، چاپ پنجم، ١٣٨٠ش.
٧٤. *تاريخ ملل ودول اسلامی*، بروكلمان، كارل، ترجمه: هادي جزائري، طهران، بنگاه ترجمه ونشر كتاب، ١٣٤٦ش.
٧٥. *تاريخ يعقوبی*، يعقوبی، أحمد بن أبي يعقوب، ترجمه: محمّد ابراهيم آيتي، طهران، علمی فرهنگی، چاپ هشتم، ١٣٧٨ش.

٧٦. *تأملي در ايرادهاى مستشرقان، بر وحيانى بودن قرآن*، راشدي نيا، اكبر، *قبسات*، شماره: ۲۹، پاييز ۱۳۸۲ش.
٧٧. *ترجمه تفسيرى كتاب مقدّس.*
٧٨. *تصوير شيعه در دائرة المعارف امريكانا* (ترجمه ونقد مقالات دائرة المعارف امريكانا حول الشيعة)، اشراف: محمود تقي زاده داوري، طهران، شركت چاپ ونشر بين الملل، ۱۳۸۲ش.
٧٩. *تفسير موضوعى قرآن*، جوادي آملي، قم، مركز نشر اسراء، ۱۳۷۸.
٨٠. *تفسير نمونه*، مكارم شيرازى، طهران: دار الكتب الإسلاميّه، الطبعة الثلاثون، ۱۳۷۲ش.
٨١. *تمدن ايرانى*، مجموعة من المستشرقين الفرنسيين، ترجمه: عيسى بهنام، طهران، علمى فرهنگى، چاپ سوم، ۱۳۸۱ش.
٨٢. *چهره يهود در قرآن*، طبّاره، عفيف عبدالفتاح، ترجمه: سيد مهدى آية الله، انتشارات جهان آرا.
٨٣. *خاورشناسى در روسيه واروپا*، بارتولد، دلايمر، ترجمه: حمزه سردادور، طهران، انتشارات ابن سينا، چاپ اول، ۱۳٥۱ش.
٨٤. *در آستانه قرآن*، رژه بلاشر، ترجمة، محمود راميار، طهران، نشر فرهنگ اسلامى، ۱۳۷۸ش.
٨٥. *درآمدى بر تاريخ قرآن*، بازنگرى وبازنگارى مونتمگرى، واط، بل، ريچارد، ترجمة: بهاء الدين خرمشاهي، قم، مركز ترجمه قرآن مجيد به زبانهاى خارجى، چاپ اول، ۱۳۸۲ش.
٨٦. *دفاع از قرآن در برابر آراى خاورشناسان*، بدوى، عبد الرحمن، ترجمة: سيد حسين سيّدي، مشهد، آستان قدس رضوي، چاپ اول، ۱۳۸۳ش.
٨٧. *راز بزرگ رسالت*، سبحاني، جعفر، طهران، كتابخانه مسجد جامع طهران، ۱۳٥۸ش.
٨٨. *سير تاريخى وارزيابى انديشه شرق شناسى*، دسوقي، محمّد، ترجمة: محمود رضا افتخار زاده، طهران، نشر هزاران، چاپ اول، ۱۳۷٦ش.
٨٩. *شرق شناسى*، سعيد، ادوارد، ترجمه: عبد الرحيم گواهي، طهران، دفتر نشر فرهنگ اسلامى، چاپ سوم، ۱۳۸۲ش.
٩٠. *شناسايى منابع ومآخذ تاريخ ايران از آغاز تا سلسله صفويه*، بيات، عزيز الله، طهران، امير كبير، چاپ اول، ۱۳۷۷ش.
٩١. *صحيفه امام*، الإمام الخميني، مؤسّسه تنظيم ونشر آثار امام خميني، طهران، ۱۳۷۸ش.
٩٢. *عذر تقصير به پيشگاه محمّد وقرآن*، ديون پورت، جان، ترجمة: غلام رضا سعيدي، شركت انتشار، چاپ سوم، ۱۳٤٤ش.
٩٣. *فرهنگ كامل خاورشناسان*، عبدالرحمن بدوي، ترجمة: شكر الله خاكرند، قم، دفتر تبليغات اسلامى.
٩٤. *قرآن در عصر اصلاحات (رنسانس)*، رحمتي، محمّد كاظم، كتاب ماه (دين)، شماره: ٦٣ و٦٤، دى وبهمن ۱۳۸۱ش.
٩٥. *كار كرد استعمارى شرق شناسى وايران شناسى*، مصطفوي، علي أصغر، گزارش، شماره: ۱۱۲، خرداد ۱۳۷۹ش.

٩٦. *مجموعه آثار شهيد مطهري*، مطهري، مرتضى، طهران، انتشارات صدرا، چاپ سوم، ١٣٧٢ش.
٩٧. *محمّد در اروپا* (قصّة ألف عام من الأساطير والأكاذيب في الغرب)، صميمي، مينو، ترجمه: مهر عباس پويا، طهران، مؤسّسه اطلاعات، چاپ اول، ١٣٨٢ش.
٩٨. *مراكز پژوهشي ايران شناسي وشرق شناسي*، رهبر، كاظم، فرهنگ، وپژوهش، شماره: ١٠٠ آذار ١٣٨١ش.
٩٩. *مستشرقين واسلام در: محمّد خاتم پيامبران*، سعيدي، سيد غلام رضا، طهران، انتشارات حسينيه ارشاد، چاپ اول، ١٣٤٨ش.
١٠٠. *مطالعات اسلامي در غرب*، محسن الويري، طهران، سمت، ١٣٨١ش.
١٠١. *مقايسه اي ميان: تورات، انجيل، قرآن وعلم*، بو كاي، موريس، ترجمة: ذبيح الله دبير، طهران، دفتر فرهنگ اسلامي، ١٣٨٠ش.
١٠٢. *نتايج توجه واهتمام خاور شناسان آلماني به قرآن*، هديدي، ترجمة، سيد مرتضى حسيني، انديشه صادق، شماره: ١٥، تابستان ١٣٨٣ش.
١٠٣. *نخستين ترجمه قرآن به زبان فرانسه*، حديدي، جواد، ترجمان وحي، شماره: ١.
١٠٤. *نظر اجمالي بر ترجمه هاي لاتيني قرآن مجيد*، بابزن، هارتموت، ترجمة: علي رضا انوشيرواني، ترجمان وحي، شماره: ٧، شهريور ١٣٧٩ش.
١٠٥. *نقش شرق شناسان در خدمت به نشر ميراث اسلامي ـ عربي*، نمله، علي ابراهيم، ترجمة: علي.
النشريات
١٠٦. *نقش كليسا در ممالك اسلامي*، خالدي، مصطفى وعمر فروخ، ترجمه: مصطفى زماني، مع تجديد نظر واصلاحات، قم، انتشارات پيام اسلام، چاپ دوم.
١٠٧. *نگرش تاريخي بر رويارويي غرب با اسلام*، ثواقب، جهانبخش، قم، انتشارات دفتر تبليغات اسلامي، چاپ اول، ١٣٧٩ش.
١٠٨. *واژه هاي دخيل در قرآن مجيد*، جفري، آرتور، ترجمة: فريدون بدره اى، طهران، انتشارات توس، چاپ اول، ١٣٧٢ش.
١٠٩. *ولايت فقيه*، الإمام الخميني رحمه الله، روح الله، طهران، مؤسّسه تنظيم ونشر آثار إمام خميني رحمه الله، ١٣٨١ش.
١١٠. *يونانيان وپارسيان*، بنگسون، هرمان، ترجمة: تيمور قادري، طهران، فكر روز، چاپ اول، ١٣٧٦ش.

التفسير الروائي عند الإمام الخمينيؒ

سيّد أسد رضا النقوي

المقدّمة

يهدف القرآن الكريم إلى بناء الإنسان بمضامينه العالية، ويريد أن ينتشله وبلطف الله تعالى من المرتبة الدنيا إلى المرتبة العليا التي تليق به، لقد جاء القرآن لتحقيق هذا الهدف، وجاء جميع الأنبياء من أجل هذا الهدف، وهو لهداية الإنسان وإخراجه من البئر العميقة الذي وقع فيه، البئر التي هي هو أعمق من كلّ بئر، هي بئر نفس الإنسان؛ ليريه نور الحقيقة، وينسى كلّ شيء، فنسأل من الباري تعالى أن يكون الله نصيبنا جميعاً إن شاء الله تعالى.[1]

لقد جاء القرآن الكريم الذي هو في قمّة وجميع الكتب لبناء الإنسان، وليخرجه من الإنسان بالقوة إلى الإنسان بالفعل وإلى موجود بالفعل... القرآن كتاب بناء الإنسان، الكتاب الذي به ـ إذا توجّه إليه و عمل به الإنسان ـ تتحقّق جميع مراتب الكمال الإنساني.[2]

هذه كلمات الخميني الكبيرؒ التي يعتبر فيها القرآن المجيد كتاب بناء الإنسان وهدايته، وهو التعبير الذي أطلقه القرآن المجيد على نفسه ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾، ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾.

يعتقد الإمام الخمينيؒ أنّه لم يكتب إلى الآن تفسير جامع يتناسب مع أهداف القرآن وتعاليمه، وباعتقاد الإمامؒ أنّه لم يكتب إلى الآن تفسير لكتاب الله،[3] وحتّى الأئمة

---

١. *تفسير سوره حمد*: ١١٢ ـ ١١٣.

٢. *صحيفه إمام*: ٢١٨/٣ ـ ٢١٩.

٣. راجع: *آداب الصلاة*: ١٩٢.

المعصومين لم يُمنحوا الفرصة لتفسير القرآن. يقول:

لم يدعوهم أن يفسّروا القرآن لنا ببيان معارفه، وهذه من الأمور التي ينبغي أن يموت عليها الإنسان أسفاً.[١]

وواصل حديثه قائلاً بعد الاسترجاع:

يجب علينا أن نأسف على هذه الأمور التي جعلتنا قاصرين عن فهم القرآن، وهذه التفاسير التي كُتبت للقرآن من الأوّل إلى الآن، هي ليست تفسيراً للقرآن، بل هي مجرّد تراجم له، وإن كان في بعضها شيء من عطر القرآن، ولكنّها ليست تفسيراً له. وعلى كلّ حال: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيهِ رَاجِعُونَ﴾ على ما فاتنا من علومهم في هذا المجال.[٢]

التفسير في رأي الإمام الخمينيّ

يمكن التعرّف على رأي الإمام الخمينيّ حول التفاسير من تعريفه لعلم التفسير. فقد عرض الإمام تعريفاً بسيطاً جدّاً للتفسير، ولكنّه واضح، فقال:

إنّ معنى التفسير هو: شرح مقاصد الكتاب، وبيان مقصود صاحب الكتاب.[٣]

وأضاف قائلاً:

عندما يُفهمنا المفسّر مقصود النزول فهو مفسِّر حقّاً، لا أن يذكر سبب النزول بالنحو الذي ورد في التفاسير.[٤]

وقد اهتمّ هذا التعريف بفهم القرآن أكثر من اهتمامه بجمال التعبير والتاريخ وشرح الألفاظ، أنّ فهم وكشف مراد صاحب الكتاب هو ما ينبغي أن يهتمّ به المفسّر. ويجب أن يكون سبب النزول سبيلاً إلى فهم مقصود صاحب الكتاب، لا تحجيم معناه وحصره بموارد خاصّة تفقده شموليته وعمومه.

إنّ الاهتمام بالأبحاث الأدبيّة، البلاغية، التاريخيّة ... لا يمكن أن تكون بمعنى فهم القرآن أو تفهيمه؛ لأنّها ليست مقصود صاحب هذا الكتاب العظيم. يقول الإمام في هذا الصعيد:

إنّ صاحب هذا الكتاب ليس هو السكّاكي، والشيخ فيكون مقصوده جهات البلاغة

---

١. *صحيفه إمام*: ٧/١٩.

٢. المصدر: ٨.

٣. *آداب الصلاة*: ١٩٢.

٤. المصدر: ١٩٣.

والفصاحة، وليس هو سيبويه والخليل حتّى يكون منظوره جهات النحو والصرف،
وليس المسعودي وابن خلّكان حتّى يبحث حول تاريخ العالم.
هذا الكتاب ليس كعصا موسى ويده البيضاء، أو نفس عيسى الذي يحيي الموتى،
فيكون للإعجاز فقط.[1]

وبنظرة شاملة يمكننا التعرّف على المنهج التفسيري للإمام الخمينيﷺ ونطلق عليه اسم: «تفسير الهداية»؛ لأنّه يعتبر أنّ المقصد الأساسي للقرآن هو هداية الناس وبناء الإنسان والمجتمع الإلهي، ومن جهة أُخرى، فإنّ رأيه في التفسير الصحيح هو ما كان كاشفاً لمراد علّة نزول القرآن وبيانها، لا بيان سبب نزوله. إذاً يمكن أن نقول: إنّ مراد القرآن في رأيه هو بناء الإنسان، وهو ما سمّيناه بـ: «الهداية»

وعلى هذا فالتفسير في رأي الإمامﷺ هو تفسير الهداية، وهذا البيان شامل للمسائل العباديّة والعرفانيّة في القرآن وشامل للمسائل الاجتماعيّة والسياسيّة فيه أيضاً.

ولهذا السبب كان يعتقدﷺ أنّ المفسّر الذي لا يملك منهجاً صحيحاً للتفسير، ولم يكن محيطاً بأُصول التفسير وقواعده، لاينبغي له الدخول في هذا المجال؛ لأنّه من الممكن أن يكون مصداقاً للحديث الشريف: «مَن فسَّر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار».[2]

ومثل هذا الشخص لا يثاب على عمله وإن كان يعتقد صوابه، فكلّ مَن فسّر القرآن برأيه لا يُوجر وإن كان ما قاله صحيحاً، وإن كان خطأً فهو أبعد من رحمة الله ممّا بين السماء والأرض.

وفي مقابل ذلك، فإنّ المفسّر إذا اختار منهجاً صحيحاً فهو معذور وإن كان مخطئاً في تشخيص معنى الآية، بل يؤجر على ذلك فهو: «إن أخطأ فله أجر، وإن أصاب فله أجران».

إذاً التفسير في رأي الإمام الخمينيﷺ يشمل مجموع: النصّ والمفسِّر، أدوات الفهم و طريقة إعمالها. ولا بدّ أن يعرف المفسِّر حقيقة النصّ، وأدوات الفهم وموانعه، وأن يكون قادراً على التطبيق الصحيح لبرنامج العمليات هذا.

المنهج التفسيري للإمام الخمينيﷺ

بالرغم من أنّ الإمام الخمينيﷺ قد اتّخذ منهجاً خاصّاً وواضحاً في تفسير القرآن ـ حيث

---

١. المصدر: ١٩٤.

٢. *الميزان في تفسير القرآن*: ٧٥/٣.

وفّر هذا المنهج وبحدود القدرة البشريّة جميع أدوات ووسائل وأُصول فهم معاني وأسرار القرآن ـ ولكنّه كان محتاطاً فيما دوّنه من تفسير وفيما تحدّث به.

وبالجملة يمكن تلخيص العناصر الأصليّة للمنهج التفسيري عند الإمام في ثلاثة عناصر:

١. عنصر التدبّر العقلي.

٢. العنصر الشهودي والعرفاني.

٣. العنصر النقلي الروائي.

وسنتناول بالبحث هنا العنصر النقلي الروائي فقط، أيّ المنهج الروائي في تفسير القرآن عند الإمام الخميني رحمه الله. وقبل الدخول في نطاق البحث سنشير أوّلاً إلى أهميّة السنن في رأي الإمام الخميني رحمه الله.

أهمّية السنن في رأي الإمام الخميني رحمه الله

يحتوي القرآن المجيد والسنّة على جميع القوانين والأحكام التي يحتاجها الإنسان لسعادته وكماله، وقد ورد في الكافي فصل تحت عنوان (إنّ جميع ما يحتاجه الناس في القرآن والسنّة) فإنّ القرآن: ﴿تِبْيانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ موضّح لجميع الأشياء وجميع الأمور.

ويُقسم الإمام رحمه الله ـ طبقاً للروايات ـ بأنّ جميع ما تحتاجه الأمّة موجود في الكتاب والسنّة، وهذا ممّا لا يتطرّق إليه الشكّ.[1]

ويقول رحمه الله أيضاً:

فهذا الكتاب التكويني الإلهي وأولياؤه الذين كلّهم كتب سماوية نزلت من لدن حكيم عليم حاملون للقرآن المدوّن، وليس لأحد القدرة على حمله بظاهره وباطنه إلّا هؤلاء الأولياء المرضيين، كما ورد ذلك عن طريقهم عليهم السلام.

ففي *الكافي* عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال:

«لايستطيع أحد أن يدّعي أنّ عنده جميع القرآن ظاهره وباطنه غير الأوصياء».

ومن طريق *الكافي* أيضاً عن جابر قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام، يقول:

«ما ادّعى أحد من الناس أنّه جمع القرآن كلّه كما أنزل إلّا كذّاب، وما جمعه وحفظه، كما أنزله الله تعالى إلّا علي بن أبي طالب والأئمّة من بعده عليهم السلام».

ومنه أيضاً عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال:

---

١. *ولايت فقيه*: ٢٩.

«وعندنا والله علم الكتاب كلّه».[١]

إنّ في القرآن كلّ شيء، فيه الأحكام الشرعيّة الظاهريّة؛ وفيه قصص لا نستطيع أن نفهم مغزاها، بل نفهم ظواهرها فقط، وهنالك شيء للجميع يمكن أن يستفيدوا منه، ولو إجمالاً؛ لأنّ الاستفادة الكاملة خاصّة برسول الله صلى الله عليه وآله، كما دلّ على ذلك الحديث الشريف: «إنّما يعرف القرآن من خوطب به».[٢]

القرآن نعمة يستفيد منها الجميع، ولكنّ استفادة النبيّ الأكرم غير استفادة الآخرين:

«إنّما يعرف القرآن من خوطب به».

وما عندنا من معلومات ليست إلّا تصورّات بسيطة لا تصل إلى مرتبة معرفة النبي صلى الله عليه وآله الذي نزل عليه القرآن، كما لم نطّلع على كيفية نزوله ولا المقصود في هذا النزول، ولا محتواه، ولا الغاية من هذا العمل، بينما يعلم ذلك النبي صلى الله عليه وآله.

وأُولئك الذين تربّوا بتعاليمه وهدايته. إنّ ميزة الأنبياء هي أنّهم بيّنوا المسائل العرفانيّة الدقيقة بلفظ واحد، بحيث يفهمها كلّ شخص بالنحو الخاصّ به، ولكن الحقيقة الكاملة تبقى خاصّة بمن لهم آفاق أوسع من غيرهم. وهذه الميزة في القرآن أعلى من كلّ ميزة.[٣]

مكانة السنّة في تفسير القرآن في رأي الإمام الخميني رحمه الله

اعتمد الإمام الخميني رحمه الله على الروايات التفسيريّة الواصلة من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيت العصمة عليهم السلام، باعتبار أنّها مصداق: «الثقل الكبير» في مقابل: «الثقل الأكبر» فقد بدأ الإمام الخميني رحمه الله وصيته العباديّة والسياسيّة بحديث الثقلين الشريف: «إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض»،[٤] الذي يحتوي على رسائل وأبعاد كثيرة.

يعتقد الإمام رحمه الله أنّ جملة: «لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض» تشير إلى أمرين أساسيين:

الأوّل: إنّ كلّ من ترك أحدهما، بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد ترك الآخر، وكلّ من هجر أحدهما فقد هجر الآخر، إلى أن يلتقي هذان المهجوران عند رسول الله صلى الله عليه وآله عند الحوض.[٥]

---

١. *شرح دعاء السحر*: ٥٨، ٥٩.

٢. *تفسير سوره حمد*: ١٣٨ـ ١٣٩.

٣. المصدر: ١٣٨ـ ١٣٩.

٤. المصدر: ٣٩٣/٢١.

٥. راجع: المصدر: ٣٩٤.

إنّ إخراج المفسّرين الحقيقيين للقرآن والعلماء بحقائقه والمحيطين بجميع ما فيه عن طريق النبيّ ﷺ ؛ قد خلّف نتائجاً وظواهر مؤسفة وأحدث أضراراً بالغة منها :

١. عزل القرآن عن الحياة الاجتماعيّة وإبعاده عن دوره القيادي.

٢. المنع من إقامة حكومة العدل الإلهي التي هي إحدى الأهداف القرآنيّة.

٣. بدء الانحراف عن دين الله والكتاب والسنّة الإلهيّة.

٤. اتّخاذ القرآن وسيلة لإقامة الجور والفساد وتبرير الظلم بدلاً من أن يكون طريقاً ووسيلة إلهية لنشر القسط والعدل في العالم، والنضال ضدّ الطواغيت والمستكبرين.

٥. هكذا تخلّف القرآن عن أداء دوره وفُرِّغ محتواه بسبب الأعداء المتآمرين والأصدقاء الجاهلين. فقد حُرِّف الكلم عن مواضعه، ولم يعد لهذا الكتاب أيّ دور إلّا في المقابر ومجالس عزاء الأموات، ولقد تحمّل أئمة أهل البيت﵈ السجن والنفي لإرجاع القرآن إلى ممارسة دوره في الحياة وتأسيس حكومة العدل الإلهي، وختموا حياتهم﵈ بالشهادة على أيدي الحكومات الجائرة والطواغيت.[1]

ويؤكّد الإمام على أنّ أهل البيت﵈ هم المفسّرون الحقيقيّون للقرآن والعلماء بأسراره، وظواهر الآيات وباطنها. وهنالك آيات تصرّح بأنّ أحداً لا يستطيع إدراك القرآن عدا رسول الله ﷺ ومَن أخذ علومه عنه، ونحن بدورنا لا نستطيع إدراك آيات القرآن إلّا عن طريقهم.

إذاً هنالك طريقان للاستفادة من القرآن الكريم:

الأوّل: الطريق المباشر من خلال التفكّر والتدبّر، واستعمال العقل ومجاهدة النفس، وإزالة الحجب المانعة عن إدراك القرآن. وهذا على فرض أنّ القرآن نازل لجميع الطبقات، وكلّ شخص يستطيع الاستفادة منه قدر استطاعته واستعداده.

والثاني: الطريق غير المباشر وبالواسطة عن طريق النبيّ الأكرم ﷺ وأهل البيت﵈؛ لأنّ هنالك آيات لا نستطيع إدراكها من دون الاستعانة بهم.

ومن هنا فقد اعتمد الإمام﵀ في تفسير القرآن على المنهج العقلي البرهاني والشهودي العرفاني، وعلى الروايات الصحيحة الواردة عن أهل البيت﵈ في تفسير القرآن.

وقد استفاد في منهج التفسير الروائي من مجموعتين: روايات الأحكام، وروايات المعارف الإلهيّة والاعتقاديّة.

---

١. راجع: المصدر: ٣٩٤ ـ ٣٩٥.

١. روايات الأحكام

وهذه المجموعة من الروايات تفسّر آيات الأحكام وتبيّن مجملاتها؛ لأنّ من وظيفة النبي والأئمّة المعصومين عليهم السلام تبيان وإيضاح الأحكام والتشريعات التي أجمل القرآن المجيد بيانها.

وقد اعتبر الإمام الخميني رحمه الله معنى: «دين الله»، الوارد في قوله عليه السلام: «إنّ دين الله لا يصاب بالعقول»، هي الأحكام التعبّديّة للدين، ومن الممكن أن يكون حديث: «مَن فسّر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»، ناظر إلى الأحكام والتشريعات، لا إلى غيرها.

وقد اعتبر الإمام رحمه الله خبر الثقة حجّة في روايات الأحكام؛ وأمّا في الأصول الاعتقاديّة فلا يمكن الاستناد إلى خبر الثقة،[1] كما سيأتي ذلك في المجموعة الثانية.

ويعتقد الإمام الخميني رحمه الله أنّ دليل حجّية خبر الثقة هو السيرة العقلائيّة؛ لا شيء آخر؛ لأنّ كلّ من نظر إلى المجتمع البشري منذ ظهوره إلى حين وصوله إلى الحياة المدنية وحصوله على طابعه الاجتماعي، يستنتج أنّ مثل هذه السيرة كانت موجودة، وأنّ الآيات المانعة عن العمل بغير علم أو المانعة عن العمل بالظنّ لا تمنع من هذه السيرة؛ لأنّها لو كانت مانعة عن مطلق العمل بالظنّ أو العمل بغير علم، فإنّها ستكون شاملة لنفس الآيات.[2]

وكذلك يرى الإمام رحمه الله أنّ دور خبر الثقة لاينحصر في تبيين الأحكام المجملة في القرآن، بل يلعب دور المخصّص والمقيّد لعمومات وإطلاقات القرآن أيضاً، وإن كان الخبر ظنّي السند والكتاب قطعي السند، فمن غير الممكن أن تكون روايات مثل: «ما خالف كتاب الله فهو زخرف»، أو «ما خالف كتاب الله فاضربوا به عرض الحائط»، أو «لم نقله»، وأمثال هذه التعبيرات أن تكون مانعة من تخصيص أو تقييد الكتاب بخبر الثقة؛ لأنّ تعارض مثل هذا العموم والخصوص، وإن كان من نوع التعارض الحقيقي؛ لأنّ الموجبة الكلية نقيض السالبة الجزئيّة، ولكن مثل هذا التعارض لا يُعدّ اختلافاً وتناقضاً في مجال التشريع وسنّ القوانين.

مضافاً إلى ذلك نرى في القرآن عامّاً وخاصّاً، ومطلقاً ومقيّداً، ولم يقل أحد أنّ مثل هذه الأمور من مصاديق الاختلاف المذكورة في آية: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾؛[3] إذ لا يُعد التقييد والتخصيص من الاختلاف والتناقض في مجال التشريع، وسنّ القوانين.

---

١. راجع: *تهذيب الأصول*: ٤٦٨/٢.

٢. المصدر: ٤٧٢.

٣. النساء: ٨٢.

ومن هنا كان الإمام يعتقد:

إنّ مثل هذه الروايات يجب حملها على المخالفات الكلية، المخالفات التي تتباين وتتعارض مع القرآن؛ لأنّ باب الافتراء والاتّهام كان مفتوحاً على الأئمّة من قِبل أعدائهم، الذين لم يدّخروا وسعاً في دسٍّ روايات مختلفة في كتب أصحاب الإمام الباقر، ومن هذا الطريق أنزلوا الأئمّة عن مقامهم بأكاذيبهم ومنعوا الناس عن الوصول إلى بيوتهم.[١]

٢. روايات المعارف الإلهيّة والاعتقاديّة

لا يكون خبر الثقة في المعارف والاعتقادات الإلهيّة حجّة في رأي الإمام الخمينيّ، حيث يقول:

«من المعلوم عدم جواز الاعتماد على خبر الثقة في الأُصول الاعتقاديّة.[٢]

ويعتقد الإمام الخمينيّ أنّ روايات المعارف الإلهيّة ـ كالآيات ـ يمكن تقسيمها إلى قسمين: محكم ومتشابه، وأنّه يجب الحذر والانتباه في الروايات المتشابهة.

وفي نفس الوقت، فإنّ الإمام يرفض التعامل العقلي مع الروايات الفقهيّة المروية عن أهل البيت؛ لأنّه يبعدها عن معانيها العرقيّة المرتكزة، لكنّه حذّر من النظرة العرقيّة والسطحيّة إلى الروايات الواردة في باب العقائد والمعارف الإلهيّة؛ لأنّ هذه المجموعة من الروايات الواردة في باب العقائد ومعارف أهل البيت. وعلى هذا، فإنّ تفسير مثل هذه الروايات على أساس الفهم العرفي الشائع سوف لا يكون تفسيراً متقناً وصحيحاً.[٣]

يقول الإمام:

من غرائب الأُمور أنّ البعض يقول في مقام الطعن والإشكال: إنّ أوامر أئمّة الهدى لإرشاد الناس يجب أن تتطابق مع الفهم العرفي، ولا ينبغي أن تصدر عنهم المعاني الدقيقة الفلسفيّة أو العرفانيّة ... .

والأعجب أنّ بعض هؤلاء يدخلون في مناقشات عقليّة دقيقة تعجز بعض العقول عن دركها فضلاً عن العرف في موارد فقهيّة موكول فهمها إلى العرف.[٤]

---

١. *تهذيب الأصول*: ٢٤٨/٢.

٢. المصدر: ٤٦٨.

٣. راجع: *شرح چهل حديث*: ٦٢٧.

٤. المصدر: ٦٢٧.

رأي الإمام الخميني ﵀ في الأخباريّين

بالرغم من اعتماد الإمام ﵀ على الروايات التفسيريّة، ولكنّه رفض بشدة القول بأنّ ظواهر القرآن ليست حجّة. وقد أجاب عن جميع الأدلّة التي جاؤوا بها لإثبات ادّعائهم، وأهمّ هذه الأدلّة ثلاثة:

١. ادّعاء تحريف القرآن بسبب الأخبار الكثيرة الواردة في هذا المضمار، وهو موجب لإجمال الآيات، ومانع من التمسّك بها.

٢. العلم الإجمالي بوقوع التخصيص والتقييد في العمومات والمطلقات المانع من الاستدلّال بالظهور.

٣. الأخبار الناهية عن العمل بالكتاب.

وأجاب الإمام ﵀ عن الدليل الأوّل قائلاً:

> إنّ صغرى وكبرى هذا الدليل مردودة؛ أمّا الصغرى؛ فلأنّه أوّلاً: إنّ كلّ مَن له معرفة باهتمام المسلمين وحرصهم على جمع القرآن وحفظه وضبطه قراءة وكتابة، يعلم أنّ هذا التوهم باطل ولا يليق بالإنسان العاقل الاستناد إليه.
>
> والروايات الواردة في التحريف على طوائف عدّة: بعضها ضعيف ولا يمكن الاستدلّال به، وبعضها مجعول وغريب بنحو يثير العجب، وبعضها الآخر صحيح دالّ على تحريف تفسير القرآن وتأويله إلى غير معناه الحقيقي.
>
> وهنالك أقسام أُخرى يحتاج بيانها إلى تأليف كتاب كبير، ولولا خوفنا من الخروج عن دائرة البحث لتعرضنا لتاريخ القرآن والظروف التي مرّ بها خلال القرون الماضية، ولأثبتنا أنّ القرآن هو نفس ما هو موجود بين الدفتين، وأنّ الاختلاف الناشئ من قراءة القرّاء هو أمر جديد لا علاقة له بما نزل به الروح الأمين على قلب سيّد المرسلين ﷺ.[1]

التفسير بالمصداق

يعتقد الإمام الخميني ﵀ أنّ أكثر الروايات التفسيريّة الواردة عن أهل البيت ﵈ هي لبيان المصداق، وإن كان هذا المصداق مختلفاً من حيث الظهور والخفاء أو الأشرفية والأفضلية، ولهذا السبب ربّما وردت روايات متنوعة ومختلفة حول آية واحدة، بنحو يظنّ من لا معرفة له أنّها متناقضة ومتعارضة.

---

١. *تهذيب الأصول*: ٤١٧/٢.

والحقيقة أنّ الآية الكريمة تفسّر في كلّ مرّة بمصداق جديد حسب ما تقتضيه المناسبة، فمثلاً وردت روايات عديدة في تفسير: ﴿الفطرة﴾ في الآية الشريفة: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[1]:

الرواية الأولى: عن زرارة قال: سألت الإمام الصادق عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ﴾. فقال عليه السلام:

إنّ الله تعالى خلق جميع الناس على فطرة التوحيد.

الرواية الثانية: صحيحة عبد الله بن سنان التي فسّرت: ﴿الفطرة﴾ بالإسلام.

الرواية الثالثة: حسنة زرارة التي فسّرت: ﴿الفطرة﴾ بالمعرفة.

ويقول الإمام الخميني رحمه الله:

ينبغي أن يعلم أنّه بالرغم من تفسير: ﴿الفطرة﴾ في هذا الحديث الشريف، وفي أحاديث أُخرى بـ«التوحيد»، ولكنّ هذا من قبيل بيان المصداق، أو التفسير بأشرف المصاديق، ومن هذا القبيل التفاسير الواردة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام في موارد أُخرى غير الفطرة.[2]

والالتفات إلى هذه المسألة أمر مهمّ جدّاً في فهم الروايات الكثيرة الواردة في تفسير الآيات الكريمة.

الخلاصة والنتيجة

اعتمد الإمام الخميني رحمه الله في تفسير القرآن كثيراً على العنصر الشهودي والعرفاني، فهو يرى أنّ لهذا العنصر أكبر دخل في بيان المقصد من الكتاب الإلهي وهدفه؛ لأنّ الإمام رحمه الله لا يعتبر التفسير تفسيراً إذا لم يبيّن مقصد القرآن المجيد وهدفه، ولم يكن هادياً للناس إلى الصراط المستقيم، فإنّ التفسير الذي لايكون سبباً في هداية الناس لا ينسجم مع هدف القرآن الذي هو هداية الناس. ويعطي الإمام رحمه الله أهمّية خاصّة لسنّة النبي صلى الله عليه وآله والأئمّة المعصومين عليهم السلام ورواياتهم. ويقول في هذا المضمار:

ليس هناك من أحد غير أولياء الله لديه القدرة على حمل ظاهر القرآن وباطنه، ولا

---

١. الروم: ٣٠.

٢. *شرح چهل حديث*: ١٨٠.

يستطيع أحد غير الخلفاء الواقعيين لرسول الله صلى الله عليه وآله ادّعاء جمعه بين ظاهر القرآن وباطنه.[١]

وقد اعتمد الإمام رحمه الله على الروايات التفسيريّة المروية عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام باعتبار أنّها «الثقل الكبير» في مقابل: «الثقل الأكبر»

ويعتقد الإمام رحمه الله أنّ أهل البيت هم المفسّرون الحقيقيّون للقرآن العالمون بأسراره وظواهر الآيات وبواطنها، فبعض الآيات لا يدركها أحد سوى رسول الله صلى الله عليه وآله ومَن أخذ علومه منه.

وذكر الإمام رحمه الله طريقين للاستفادة من القرآن:

الأوّل: الطريق المباشر بواسطة التدبّر والتفكّر الذي يحصل من إعمال العقل ومجاهدة النفس وإزالة الحجب المانعة، باعتبار أنّ القرآن نازل لتستفيد منه جميع الطبقات، كلّ بمقدار قدرته واستعداده.

الثاني: الطريق غير المباشر وبالواسطة، عن طريق النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام؛ لأنّ هنالك آيات لا يمكن إدراكها بدون التمسّك بالأئمّة عليهم السلام. وبالرغم من أنّ الإمام رحمه الله قد اعتمد على المنهج العقلي البرهاني والشهودي، لكنّه سعى أيضاً أن يكون ذلك في ظِلّ الروايات الصحيحة الواردة عن أهل البيت عليهم السلام.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

---

١. راجع: *شرح دعاى سحر*: ٩٤.

المصادر

١. *آداب الصلاة*، الإمام الخميني رحمه الله، مؤسّسه تنظيم ونشر آثار إمام خميني رحمه الله، طهران، الطبعة الثانية عشر، ١٣٨٤ش.

٢. *تفسير سوره حمد*، الإمام الخميني رحمه الله، مؤسّسه تنظيم ونشر آثار إمام خميني رحمه الله، طهران، الطبعة السابعة، ١٣٨١ش.

٣. *تهذيب الأصول*، جعفر السبحاني، مؤسّسه تنظيم ونشر آثار إمام خميني رحمه الله، طهران، چاپ أول، ١٣٨١ش.

٤. شرح *چهل حديث*، الإمام الخميني رحمه الله، مؤسّسه تنظيم ونشر آثار إمام خميني رحمه الله، طهران، چاپ سوم، ١٣٧٢.

٥. شرح *دعاء السحر*، الإمام الخميني رحمه الله، مؤسّسه تنظيم ونشر آثار إمام خميني رحمه الله، طهران، ١٣٨١ش.

٦. شرح *دعاى سحر*، الإمام الخميني رحمه الله، ترجمة سيد أحمد فهري، انتشارات الفيض الكاشاني، طهران، چاپ دوم، ١٣٨٠ش.

٧. *صحيفه امام*، الإمام الخميني رحمه الله، مؤسّسه تنظيم ونشر آثار إمام خميني رحمه الله، طهران، چاپ سوم، ١٣٧٩ش.

٨. *الميزان في تفسير القرآن*، السيد محمّد حسين الطباطبائي، مؤسّسه اسماعيليان، قم، ١٣٧١ش.

٩. *ولايت فقيه*، الإمام الخميني رحمه الله، مؤسّسه تنظيم ونشر آثار امام خميني رحمه الله، طهران، ١٣٨٥ش.

تأويل القرآن في رأي الإمام الخمينيﷺ

السيّد عبد الله الحسيني

الخلاصة

ذهب اللغويّون والمفسّرون إلى أنّ التأويل نوع خاصّ من التفسير، فهو كالتفسير له معنى المصدر أو اسم المصدر. وذهب بعض المفسّرين إلى أنّ للتأويل معنىً خاصّاً وراء المعنى الظاهري للقرآن. وهنالك نظريّة أُخرى تقول: إنّ التأويل من سنخ الحقائق، لا من سنخ المعاني.

ووافق الإمام الخمينيﷺ النظريّة الأُولى، حيث فسَّر التأويل بالتفسير.

وتتفاوت حقيقة التفسير والتأويل من وجهة نظرهﷺ عن المعنى المعروف عند المفسّرين؛ إذ التأويل والتفسير في رأيه، يعني: تبيين مقصود آيات القرآن، لا توضيح معاني ألفاظه، ولذا فإنّ تفسير وتأويل بعض آيات القرآن لايعلمها: «إلّا مَن خوطب به».

مفتاح المصطلحات: التأويل، القرآن الكريم، الإمام الخمينيﷺ.

أصل التأويل

إن لفظ «التأويل» من الألفاظ القرآنيّة التي وقعت مثاراً للبحث، ولها في عرف العرب معنى سيّال أيضاً ناشئ من كون التأويل مفهوماً ذهنيّاً انتزاعيّاً يجعل من الصعوبة تعيينه ورسم حدوده بصورة دقيقة، لاختلافه باختلاف التصوّرات الذهنية لكلّ شخص.

ومن خلال تتبعنا لكتب اللغة، والأدب العربي، والعلوم القرآنيّة وجدنا أنّ للتأويل عشرة معانٍ. ويمكن القول: بأنّه رغم إمكان الحصول على وجه مشترك بين هذه المعاني العشرة، إلّا

أنّ هنالك فوارق في تعيين الحدود الدقيقة لمعنى التأويل والألفاظ التي يمكن التعبير بها عنه.

ويعتقد أكثر اللغويّين والمفسّرين أنّ التأويل مأخوذ من: «أوّل»، بمعنى: الرجوع.

لكن هناك من يرى بأنّ التأويل من جذر: «أئل» بمعنى: التدبير، أي: سياسة وإدارة شيء معيّن.

وهناك قول ثالث غير معروف أكثر من سابقه وهو أنّ التأويل مأخوذ من: «الأوّل» في قبال: الثاني

ومن خلال البحث في معاني التأويل يتّضح جيّداً الجذر الحقيقي للتأويل.

فقد رجّح الراغب الإصفهاني الخيار الأوّل؛ بسبب ندرة أن يكون الحرفان الأوّليان الأصليّان من الكلمة من جنس واحد.[1] ويؤيّد ذلك ما في كتاب *لسان العرب*، كثير من الكتب اللغوية الأُخرى أيضاً.[2]

ومن وجهة النظر التفسيريّة فإنّ بحث تأويل القرآن وحقيقة تأويله نشأ مباشرة من الاختلاف في المقصود من «التأويل» في الآية الكريمة: ﴿وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾.[3]

حقيقة التأويل

اعتبر اللغويّون والمفسّرون التأويل أخصّ من التفسير، وقد ألقيت كلمات مختلفة لتبيين المعنى الدقيق للتأويل، فرغم أنّ أكثر المفسّرين عرّفوا التأويل بالتفسير، إلّا أنّهم ذكروا بعض الفروق التي يمكن اعتبارها تعريفاً اصطلاحيّاً للتأويل.

ولم يتحدّث أحد في العصر الحاضر حول التأويل غير العلّامة الطباطبائي فقد سعى إلى بيان جميع معانيها ونقدها، ثُمّ بيّن لها معنىً جديداً. فما قدّمه العلّامة الطباطبائي حول معاني التأويل ـ في اصطلاح المفسّرين ـ يمكن اعتبارها استعراضاً لآرائهم في معنى التأويل. يقول العلّامة الطباطبائي في تحقيق معنى التأويل:

---

١. أوّل: التأويل من الأوّل أي: الرجوع إلى الأصل، ومنه الموئل للموضع الذي يرجع إليه، وذلك هو ردّ الشيء إلى الغاية المرادة منه علماً كان أو فعلاً.... والأوّل: السياسة التي تراعى مآلها، يقال: أوّل لنا وأيل علينا. وأوّل، قال الخليل: تأسيسه من همزة، وواو، ولام فيكون فعل. وقد قيل: من واوين ولام فيكون أفعل. والأوّل أفصح لقلّة وجود ما فاؤه وعينه حرف واحد كددن. المفردات في *غريب القرآن*: ٣١.

٢. *لسان العرب*: ٣٣/١١.

٣. آل عمران: ٧.

هناك عدّة معانٍ للتأويل، هي:

١. التأول بمعنى: التفسير.

٢. التأويل بمعنى: حمل اللفظ على خلاف الظاهر.

٣. إنّ التأويل معنى: من معاني الآيات لا يخالف ظاهر اللفظ، ولا يعلمه إلّا الله، أو لا يعلمه إلّا الله والراسخون في العلم.

٤. إنّ التأويل ليس من سنخ معنى اللفظ، بل هو حقيقة ثابتة يستند إليها الكلام، سواء كان هذا الكلام خبريّاً أم إنشائياً، كالمصلحة التي هي منشأ للأمر وكالواقعة التي حدثت في الماضي أو تحدّث في المستقبل، فيخبر عنها في الكلام.[1]

ونقل العلّامة سبعة أقوال أُخرى يرى أنّها فروعاً للقول الأوّل، وهي:

أ) إنّ التفسير أعمّ من التأويل، وغالباً ما يستعمل التفسير في الألفاظ والمفردات، والتأويل في المعاني والجملات، ويكثر استعمال التأويل في الكتب الإلهيّة، والتفسير في جميع الكتب.

ب) التفسير هو: بيان معنى اللفظ، وهو ليس إلّا احتمالاً واحداً، بينما التأويل تعيين إحدى الاحتمالات بواسطة الاستنباط من الدليل.

ج) التفسير هو: بيان المعنى القطعي من اللفظ، والتأويل هو: ترجيح إحدى الاحتمالات غير القطعية.

د) التفسير هو: بيان دليل المراد، والتأويل: بيان حقيقة المراد.

ه) التفسير: بيان المعنى الظاهري للفظ، والتأويل: بيان المعنى المشكل منه.

و) التفسير يتعلّق بالرواية، والتأويل متعلّق بالدراية والفهم.

ز) التفسير: سماع وقبول، والتأويل: استنباط وتفكّر.

وقد رفض العلّامة الطباطبائي الأقوال الأربعة المتقدّمة، كما رفض الفروع المتشعبة عن القول الأوّل، حيث قال في هذا المجال:

فهذه سبعة أقوال هي في الحقيقة من شعب القول الأوّل الذي نقلناه، يردّ عليها ما يردّ عليه. وكيف كان، فلا يصحّ الركون إلى شيء من هذه الأقوال الأربعة، وما ينشعب منها.[2]

---

١. راجع: *الميزان في تفسير القرآن*: ٤٤/٣.

٢. المصدر: ٤٦.

٥. ما ذهب إليه العلّامة بأنّ التأويل ليس من سنخ المعنى والمفهوم، بل هو من الأُمور الحقيقيّة والواقعيّة التي هي مستند البيانات القرآنيّة:

إنّ الحقّ في تفسير التأويل أنّه الحقيقة الواقعية التي تستند إليها البيانات القرآنيّة من حكم أو موعظة أو حكمة، وأنّه موجود لجميع الآيات القرآنيّة محكمها ومتشابهها، وأنّه ليس من قبيل المفاهيم المدلول عليها بالألفاظ، بل هو من الأُمور العينيّة المتعالية من أن يحيط بها شبكات الألفاظ.[1]

٦. إنّ التأويل من سنخ المعاني والمفاهيم ـ أي: ممّا يرجع إليه الكلام وليس من الأُمور الواقعيّة ـ كما يظهر ذلك من كلام السيّد الخوئيرحمه الله، حيث قال:

فالمراد بتأويل القرآن ما يرجع إليه الكلام، وما هو عاقبته، سواء أكان ذلك ظاهراً يفهمه العارف باللغة العربيّة أم كان خفيّاً لايعرفه إلّا الراسخون في العلم.[2]

٧. معنيان آخران أوردهما آية الله معرفةرحمه الله:

الأوّل: التأويل بمعنى: توجيه المتشابه.

الآخر: المعنى الثانوي للكلام.

ويطلق عليه أيضاً مصطلح: (بطن)، قال:

---

١. المصدر: ٤٩.

٢. أكّد سماحته ـ في بحثه عن حقيقة القرآن ومصحف عليعليه السلام ـ على أنّ الإضافات الموجودة في قرآن عليعليه السلام كانت إمّا تنزيلاً غير وحياني، أو تفسيراً بعنوان التأويل، قالرحمه الله:

«بل الصحيح أنّ تلك الزيادات كانت تفسيراً بعنوان التأويل ومايؤول إليه الكلام، أو بعنوان التنزيل من الله شرحاً للمراد، وأنّ هذه الشبهة مبنية على أن يراد من لفظي التأويل والتنزيل ما اصطلح عليه المتأخّرون من إطلاق لفظ التنزيل على ما نزل قرآناً، وإطلاق لفظ التأويل على بيان المراد من اللفظ، حملاً له على خلاف ظاهره، إلّا أنّ هذين الإطلاقين من الاصطلاحات المحدثة، وليس لهما في اللغة عين، ولا أثر ليحمل عليهما هذان اللفظان ـ التنزيل والتأويل ـ متى وردا في الروايات المأثورة عن أهل البيتعليهم السلام.

وإنّما التأويل في اللغة: مصدر مزيد فيه، وأصله: (الأوّل بمعنى الرجوع)، ومنه قولهم (أوّل الحكم إلى أهله، أي ردّه إليهم)

وقد يستعمل التأويل، ويراد منه: العاقبة، وما يؤول إليه الأمر، وعلى ذلك جرت الآيات الكريمة: ﴿وَيعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾، ٦: ١٣؛ ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ﴾: ٣٦؛ ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ﴾: ١٠٠؛ ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ الكهف: ٨٢... وغير ذلك من موارد استعمال هذا اللفظ في القرآن الكريم.

وعلى ذلك، فالمراد بتأويل القرآن ما يرجع إليه الكلام، وما هو عاقبته، سواء أكان ذلك ظاهراً يفهمه العارف باللغة العربيّة أم كان خفيّاً لايعرفه إلّا الراسخون في العلم. *البيان في تفسير القرآن*: ٢٢٣.

ويتلخّص الكلام في حقيقة التأويل أنّه يستعمل في موردين:

الأوّل: في توجيه المتشابه، سواء كان كلاماً متشابهاً، أم عملاً مثيراً للريب. والتأويل بهذا المعنى خاصّ بالآي المتشابهة فحسب.

الثاني: في المعنى الثانوي للكلام، المعبّر عنه بالبطن، تُجاه المعنى الأوّلي المعبّر عنه بالظهر.

والتأويل بهذا المعنى عامّ لجميع آي القرآن فإنّ للقرآن ظهراً وبطناً، وربّما لآي سبعة بطون.[1]

ثُمّ تطرّق إلى ردّ رأي ابن تيميّة ـ نظراً لما قال بأنّ معنى التأويل هو الوجود العيني للكلام ـ واعتبر أنّ نظريّة العلّامة توجيه لطيف لكلام ابن تيميّة.

وقد قسّم العلّامة الطباطبائي ﵀ أقوال المفسّرين إلى أربعة أقوال، ويحتوي القول الأوّل على سبعة فروع. يستند القول الأوّل والثاني حول حقيقة التأويل على أنّ التأويل، هل هو مصدر أو اسم مصدر؟ فإنّ التأويل يطلق، إمّا على فعل الإنسان أو على حاصل فعل الإنسان.

وليس للتأويل على القولين الثالث أو الرابع معنى المصدر أو اسم المصدر. وليس حاكياً عن عمل الإنسان أيضاً، بل التأويل أمر في نفس القرآن. وعلى أساس القول الثالث، فإنّ للتأويل معنى وراء المعنى الظاهري.

ونظريّتا آية الله الخوئي ﵀ وآية الله معرفة ﵀ قائمتان على هذا الأساس.

وأمّا النظريّة الرابعة ـ نظريّة ابن تيميّة ونظرية العلّامة ﵀ ـ القائلة بأنّ التأويل ليس من جنس المعاني، بل من جنس الحقائق العينية، ولكن هنالك فارقاً واضحاً في توضيح هذه الحقيقة بين ابن تيميّة والعلّامة الطباطبائي ﵀.

وعلى هذا، فهنالك ثلاث نظريّات حول حقيقة التأويل في القرآن الكريم، ولكلّ واحدة منها بيان يختلف عن الأُخرى:

أ) النظريّة العمليّة: وهي نظريّة أكثر المفسّرين واللغويّين القائمة على أساس عمليّة التفسير أو عمليّة حمل اللفظ على خلاف ظاهره.

ب) النظريّة المفهوميّة: وهي نظريّة آية الله الخوئي ﵀ وآية الله معرفة ﵀ تعتمد على وجود معنى للآية، سواء أدركنا هذا المفهوم وفسّرناها به أم لا.

---

١. *التمهيد في علوم القرآن*: ٣/ ٣٠.

ج) نظريّة الحقيقة والواقع، وهي نظريّة ابن تيميّة والعلّامة الطباطبائي، وترتكز على أساس أنّ للآية وجود واقعي غير وجودها اللفظي.

ويظهر من عبر استعمال لفظ: «تأويل»، في القرآن والروايات وكتب أهل اللغة والتفاسير، أنّ أكثر المفسّرين، وأهل اللغة استعملوا التأويل بالمعنى: المصدري، والاسم المصدري، أي: مثل لفظ «التفسير» الذي له معنى مصدري، واسم مصدري.

فالتفسير والتأويل بالمعنى المصدري يطلقان على عمليّة التفسير والتأويل نفسه، وأمّا بمعناهما الاسم المصدري، فيطلقان على النتيجة الحاصلة من عمليّة التفسير.

ويبدو أنّ النظريّة المفهوميّة والواقعيّة، إنّما جاءتا لتبرّرا جهل الناس بمعنى القرآن، خاصة وأنّ علمه مختصّ بالله تعالى والراسخين في العلم، ولكن الاستعمال العربي والقرآني مخالف لهاتين النظريّتين، فقد جاء التأويل في الروايات بمعنى: التفسير.

وقد ذهب أكثر اللغويّين والمفسّرين إلى أنّ التأويل يرادف معنى: التفسير، مع فارق وهو أنّ التأويل يستعمل غالباً في المعاني، لا الألفاظ. فقد ذكر في *لسان العرب*[1] إنّ بعض المفسّرين يرى بأنّ معنى التأويل هو: تفسير الكلام الذي له معانٍ مختلفة، أو تفسير الكلام المتشابه.[2]

وذهب آخرون في كتب أُخرى لغوية إلى أنّ معنى التأويل هو: التفسير المرجع، وما يؤول إليه الشيء:

التأويل تفسير ما يؤول إليه الشيء، وقد أوّلته تأويلاً وتأوّلته بمعنى.[3]

وذهب بعض إلى أنّ التأويل هو إرجاع الشيء إلى الهدف المقصود منه.[4]

وقال آخرون: إنّه بمعنى توجيه الكلام، وحمله على خلاف معناه الظاهر أو حمل اللفظ على المعنى المحتمل المرجوح لهذا المعنى في الكلام.[5]

---

١. *لسان العرب*: ٣٣/١١؛ *تاج العروس*: ٢١٥/٧.

٢. *لسان العرب*: ٣٣/١١.

٣. *مختار الصحاح*: ٢٥؛ *تاج العروس*: ٢١٥/٧؛ *صحاح اللغة*: ١٦٢٧/٤.

٤. *المفردات في غريب القرآن*: ٣١.

٥. ويستعمل كثيراً في علم الكلام والنحو والعرفان والفلسفة. ويمكن القول: إنّ التأويل يستعمل بهذا المعنى في هذه العلوم الأربعة.

ويعتقد العلّامة الطباطبائي أنّ التأويل بمعنى الحمل على خلاف الظاهر معنى جديد لم يكن موجوداً في صدر الإسلام. (*الميزان في تفسير القرآن*: ٧/١) ويعتقد آية الله الخوئي أنّ هذا المعنى قد وجد في الأزمنة اللاحقة. (*البيان في تفسير القرآن*: ٢٢٣)

وهذه ناظرة غالباً إلى تعريف تأويل القرآن. وكذلك أُعيد استعمال التأويل في كتب اللغة بمعنى: الاجتهاد في صدر الإسلام، وفي عصر الصحابة، وورد في كلام الفقهاء أيضاً.[١]

وجاء التأويل بمعنى: التدبير والاصلاح أيضاً. وفي *لسان العرب* أنّ مادة: «أل» أخذت من أيالة، بمعنى: إصلاح.

ثمّ نقل عن أبي منصور أنّ التأويل بمعنى: التدبير واصلاح المعنى.[٢] وجاء التأويل في بعض كتب اللغة ـ وفي رأي بعض المفسّرين ـ بمعنى: المرجع المعنى الوصفي.

وفي بعض كتب اللغة أنّ إحدى معاني واستعمال التأويل هو: المرجع، أي: الهدف الأصلي من الكلام.[٣]

وورد هذا المعنى في مورد تأويل القرآن فقط. واختلاف هذا المعنى عن المعنى الثالث هو أنّ التأويل في المعنى الثالث هو: تفسير للمرجع. وفي هذا المعنى التأويل هو نفس المرجع للقرآن، لا أنّ التفسير هو غاية ومرجع آيات القرآن.

وقد أخذ العلّامة الطباطبائي رحمه الله وآية الله الخوئي رحمه الله التأويل، بمعنى: المرجع.

ولكنّ ابن الأثير قال في *غريب الحديث*: قيل: إنّ هذا المعنى استعمل في زمن عائشة، وحتّى في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله، وأطلق على إتمام عثمان الصلاة بمكّة تأويلاً. «وهو من آل الشيء يؤول إلى كذا، أي: رجع وصار إليه. والمراد بالتأويل: نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ.

ومنه حديث عائشة: كان النبي صلى الله عليه وآله يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللّهمّ، وبحمدك»، يتأوّل القرآن. نعني: إنّه مأخوذ من قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾.

وفي حديث الزهري قال: قلت لعروة: ما بال عائشة تتمّ في السفر يعني الصلاة؟ قال: تأوّلت كما تأوّل عثمان. أراد بتأويل عثمان ما روي عنه أنّه أتمّ الصلاة بمكة في الحجّ، وذلك أنّه نوى الإقامة بها. (*النهاية في غريب الحديث*: ٨١/١)

١. *وسائل الشيعة*: ٣٦/١.

٢. قال أبو منصور: يقال: ألت الشيء أؤوّله إذا جمعته وأصلحته، فكان التأويل جمع معاني ألفاظ أشكلت بلفظ واضح لا إشكال فيه.

وقال بعض العرب: أوّل الله عليك أمرك، أيّ: جمعه. وإذا دعوا عليه، قالوا: لا أوّل الله عليك شملك.

ويقال في الدعاء للمفضل: أوّل الله عليك، أي: ردّ عليك ضالتك وجمعها لك.

ويقال: تأوّلت في فلان الأجر، إذا تحريته وطلبته. (*لسان العرب*: ٣٣/١)

٣. وقال أبو عبيد في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ قال: التأويل: المرجع والمصير، مأخوذ من آل يؤول إلى كذا، أي صار إليه. وأوّلته: حيَّرتهُ إليه. (المصدر)

التأويل في القرآن

ورد لفظ «التأويل» في القرآن ستّ عشرة مرّة، سبع مرّات في سورة يوسف، وجميعها بمعنى: تفسير الأحلام.[1] وإذا لم تكن جميع هذه الموارد متّصلة بتفسير الأحلام، فهي لا علاقة لها أيضاً بتأويل القرآن. وورد مرّتان أيضاً في سورة الكهف في قصّة سفر موسى والخضر عليهما السلام عندما قتل الخضر عليه السلام الطفل وخرق السفينة وأقام الجدار. وكان موسى عليه السلام يعترض في كلّ مرّة، وأخيراً بيّن الخضر عليه السلام هدفه من هذه الأعمال، وقال: ﴿هذا فِراقُ بَيْنِي وَ بَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْويلِ ما لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً﴾.[2]

وهذان الموردان لا علاقة لهما بتأويل القرآن طبعاً.

وورد مرّتان في سورتي النساء والإسراء بصورة ﴿تأويلاً﴾، حيث وقعت تمييزاً للجملة التي قبلهما: ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا أَطيعُوا اللهَ وَأَطيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ في شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْويلاً﴾.[3] فوقعت: ﴿تأويلاً﴾ هنا تمييزاً لـ﴿أحسن﴾، ومعنى الجملة: هذا العمل أفضل وأجمل من حيث التأويل.

وبملاحظة أنّ النزاع واقع في تفسير شيء أمكن القول بأنّ التأويل في هذه الآية بمعنى التفسير، أي: أنّنا إذا اختلفنا في أمرٍ ما، فمن الأفضل الرجوع إلى الله ورسوله.

وهذه الآية تتّحد في المعنى مع الآية ٨٣ من سورة النساء: ﴿وَإِذا جاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَ إِلى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطانَ إِلَّا قَليلاً﴾.[4]

ولكن في سورة الإسراء وقع التأويل تمييزاً بعد عدّة جمل في سياق واحد ومعطوفة على بعضها: ﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنى أَنّه كانَ فاحِشَةً وَساءَ سَبيلاً * وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ

---

١. ﴿وَكَذلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾، (يوسف: ٦)؛ ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾، (يوسف: ٢١)؛ ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾، (يوسف: ٣٦)؛ ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾، (يوسف: ٣٧)؛ ﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾، (يوسف: ٤٤)؛ ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ...﴾، (يوسف: ١٠٠)؛ ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾، (يوسف: ١٠١)

٢. الكهف: ٧٨.

٣. النساء: ٥٩.

٤. النساء: ٨٣

قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطانًا فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ أنّه كانَ مَنْصُوراً * وَلا تَقْرَبُوا مالَ الْيَتِيمِ إلّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حتى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنّ الْعَهْدَ كانَ مَسْؤولاً * وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إذا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾،[1] فهل ﴿تأويلاً﴾ هنا وقعت تمييزاً لـ﴿قسطاس﴾ أو لمجموع المطالب المذكورة في عدّة آيات قبلها؟

يبدو بملاحظة ارتباط المطالب ببعضها أنّها وقعت تمييزاً لجميعها.

ومعنى التأويل في هذه الصورة هو أنّ مجموع هذه المطالب أفضل وأجمل تفسيراً. وعلى كلّ حال، فإنّ «التأويل» في هذين الموردين لا علاقة له بالقرآن، ولم يرد منهما القرآن.

وفي الموارد الخمسة الأخرى التي وردت في ثلاث آيات يحتمل أن يكون المقصود من التأويل: تأويل القرآن، موردان منها: ﴿هُوَ الّذي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأَمّا الّذينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلّا اللهُ وَالرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا وَما يَذَّكَّرُ إلّا أُولُوا الْأَلْبابِ﴾.[2] وموردان آخران في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْناهُمْ بِكِتابٍ فَصَّلْناهُ عَلى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾؛[3] ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إلّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الّذينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنا مِنْ شُفَعاءَ فَيَشْفَعُوا لَنا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الّذي كُنّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ﴾.[4]

ومورد في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ * بَلْ كَذَّبُوا بِما لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذلِكَ كَذَّبَ الّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الظّالِمِينَ﴾.[5]

وفي هذه الآيات توبيخ على طلب التأويل وانتظار التأويل، فهو وصف لأهل الزيغ الوارد إلى جانب ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾. ونحن إذا فسّرنا التأويل بـ: «ما يرجع إليه الكلام» ـ سواء كان (ما يرجع إليه)، هو المعاني كما هو رأي آية الله الخوئي‌ؒ، أم حقائق القرآن كما هو نظريّة العلّامة الطباطبائي‌ؒ أم باطن القرآن، كما هو نظريّة آية الله معرفة‌ؒ أم

١. الإسراء: ٣٢ ـ ٣٥.

٢. آل عمران: ٧.

٣. الأعراف: ٥٢.

٤. الأعراف: ٥٣.

٥. يونس: ٣٨ ـ ٣٩.

الوجود العيني للمطالب القرآنيّة كما هو رأي ابن تيمية.

فسوف لا يكون التأويل أو انتظار تأويل القرآن ممّا يستوجب التوبيخ عليه، بل ممّا يحسن أن يطالب القرآن بالتفكّر فيه والتأمّل في مضامينه ويتدبروا آياته ويتعقلوه ليتذكّروا. ومن جهة أُخرى وبّخ على طلب المعنى أو الحقائق أو بطن القرآن، فلا بدّ أن يكون التوبيخ على التأويل متوجّه إلى أهل الزيغ والكفّار الذين يؤوّلون أو يحاولون التأويل، ولا يطلبون المعاني والحقائق وباطن القرآن، بل هم ليسوا بصدد طلب فهم القرآن.

وعلى كلّ حال، فالتأويل في اللغة العربيّة: مصدر، ولم يستعمل في معنى البطن أو الحقائق أو المعاني، إذاً فالتأويل في الروايات أيضاً، ليس بمعنى الحقائق أو المعاني يقيناً.

وقد صرّح العلّامة‌رحمه الله أيضاً بأنّ التأويل لم يأتِ في الروايات بمعنى: مدّ النظر.

ومن هذه الجهة فهو يعتبر أن جميع الروايات الواردة حول التأويل هي خلاف ظاهر القرآن، قال‌قدس سره:

أمّا الروايات، فهي مخالفة لظاهر الكتاب، فإنّ الروايات المثبتة - أعني الدالّة على أنّ الراسخين في العلم يعلمون التأويل - أخذت التأويل مرادفاً للمعنى المراد من لفظ المتشابه، ولا تأويل في القرآن بهذا المعنى، كما روي من طرق أهل السنّة: إنّ النبيّ‌صلى الله عليه وآله دعا لابن عبّاس فقال: «اللّهمّ فقّهه في الدين وعلّمه التأويل». وما روي من قول ابن عبّاس: «أنا من الراسخين في العلم وأنا أعلم تأويله ...» . فإنّ لازم هذه الروايات - على ما فهموه - أن يكون معنى الآية المحكمة تأويلاً للآية المتشابهة. وهو الذي أشرنا إليه أنّ التأويل بهذا المعنى ليس مورداً لنظر الآية.

وأمّا الروايات النافية - أعني الدالّة على أنّ غيره لا يعلم تأويل المتشابهات مثل ما روي: إنّ ابن عبّاس كان يقرأ: «وما يعلم تأويله إلّا الله، ويقول الراسخون في العلم آمنا به» وكذلك كان يقرأ أبي بن كعب، وما روي: إنّ ابن مسعود كان يقرأ: «وإنّ تأويله إلّا عند الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به» - فهذه لا تصلح لإثبات شيء، إمّا أوّلاً: فلأنّ هذه القراءات لا حجّية فيها.

وإمّا ثانياً: فلأن غاية دلالتها أنّ الآية لا تدلّ على علم الراسخين في العلم بالتأويل وعدم دلالة الآية عليه غير دلالتها على عدمه كما هو المدّعى، فمن الممكن أن يدلّ عليه دليل آخر.[1]

---

١. *الميزان في تفسير القرآن*: ٣/٥٠.

تأويل القرآن في رأي الإمام الخميني رحمه الله

لم يتحدّث الإمام الخميني رحمه الله بصورة خاصّة حول حقيقة تأويل القرآن، ولم يتعرّض لتعريفه، ولكن يمكن التعرّف على رأيه فيه من خلال تتبع موارد استعماله، فقد اعتبر التفسير ذا معنى أعمّ.

وبعبارة أُخرى: إنّ التأويل هو توضيح مراد الله تعالى.

ومن هذه الجهة استعمل تفسير القرآن وتأويله تارة بمعنى: حسن، وهو تفسير حقيقة القرآن وأُخرى بمعنى: مذموم، أي: توجيه آيات القرآن وحملها على المعنى الذي يهواه الشخص ويفسره برأيه.

فقد استعمل الإمام الخميني رحمه الله التأويل في الموارد التالية بمعناه المذموم، حيث قال:

وأخيراً من اللّازم تذكير الكتّاب والمفكّرين المحترمين أن يبتعدوا جدّاً عن تفسير القرآن الكريم وأحكام الإسلام بآرائهم.[1]

ولايمكننا ـ قطعاً ـ تأويل القرآن بتلك التفاسير الواردة عن أهل التفسير، ولايمكننا أيضاً تأويله بآرائنا.

ويجب علينا أخذ تأويله عن طريق الوحي، وعن فريق المرتبطين بوحي القرآن «إنّما يعرف القرآن مَن خوطب به».

ويكفينا التمسّك بهذا الطريق عن غيره من الطرق بحمد الله.[2]

وفي هذا الكلام جاء التأويل بمعنى التفسير، ونفى تأويل القرآن من غير استناد إلى معارف أهل البيت عليهم السلام. وفي النصّ الأوّل منع من تفسير القرآن وتأويله بالإرادة الشخصيّة، والمقصود منه التفسير بالرأي.

وعلى هذا فمن وجهة نظر الإمام الخميني رحمه الله يكون التفسير بالرأي تأويل مذموم. وقد صرّح رحمه الله في كلام آخر له بذلك، أي: أنّ التفسير بالرأي هو نفس التأويل المذموم:

إنّ للقرآن منازل ومراحل وظواهر وبواطن، أدناها ما يكون في قشور الألفاظ وقبور التعيّنات، كما ورد أنّ للقرآن ظهراً وبطناً وحدّاً ومطلعاً. وهذا المنزل الأدنى رزق الله به المسجونين في ظلمات عالم الطبيعة، ولا يمس سائر مراتبه إلّا المطهّرون عن أرجاس عالم الطبيعة وحدثه، والمتوضؤون بماءالحياة من العيون الصافية، والمتوسلون بأذيال

---

١. *صحيفه إمام*: ٢٠٥/٣.

٢. المصدر: ٤٢٣/١٨.

أهل بيت العصمة والطهارة، والمتّصلون بالشجرة المباركة الميمونة، والمتمسّكون بالعروة الوثقى لا انفصام لها، والحبل المتين الذي لانقض له حتّى لا يكون تأويلهم أو تفسيرهم بالرأي، ومن قبل أنفسهم، فإنّه لا يعلم تأويله إلّا الله والراسخون في العلم.[1]

وعلى كلّ حال، فإنّ الإمام الخمينيّ لم يستعمل التأويل بما هو كاشف عن الحقائق أو المفاهيم في أيّ من كلامه أو كتاباته، ولكنّه ذكر التفسير مقارناً للتأويل، كما استعمل التأويل في مورد التفسير، ممّا يشير إلى أنّ التأويل في رأيه يعني: التفسير، كما ذهب إلى ذلك أكثر المفسّرين واللغويّين، مع فارق واحد عند أغلب المفسّرين واللغويّين، وهو أنّ التأويل عندهم أخصّ من التفسير إلى حدّ ما، وأنّ التأويل نوع من التفسير ، بخلاف الإمام الخمينيّ الذي يبدو من فحوى كلماته:

أوّلاً: إنّ معنى التأويل عنده مرادف للتفسير، كما يمكن معرفة ذلك من النصّين المتقدّمين عند قوله:

أوصي الكتّاب والمفكّرين المحترمين الابتعاد جدّاً عن تأويل وتفسير القرآن، والأحكام الإسلاميّة بإرادتهم الشخصيّة حتّى لا يكون تأويلهم وتفسيرهم قائماً على الرأي من عند أنفسهم.

ثانياً: يعتبر الإمام الخمينيّ التأويل الشخصي تفسيراً بالرأي. ففي النصّين السابقين، وفي كلا الموردين اعتبر التأويل الشخصي تفسيراً.

ثالثاً: ورد في ذيل كلامه المتقدم أنّ تأويل القرآن خاصّ بالله تعالى والراسخين في العلم، وورد في كلام آخر له أنّ تفسير حقيقة القرآن خاصّ بالله والراسخين في العلم، يقول:

إنّ تفسير القرآن ليس مسألة يمكن أن يتصدّى لها أمثالنا، بل وكذا العلماء من الطراز الأوّل وعلى طول تأريخ الإسلام ـ سواء من العامّة أم الخاصّة ـ فإنّهم وإنّ ألّفوا كتباً كثيرة في هذا الباب ـ وطبعاً فإنّ مساعيهم مشكورة ـ ولكن كلّ واحد منهم وانطلاقاً من تخصّصه قد فسّر حجاباً من حجب القرآن، وليس من المعلوم أن يكون هذا التفسير كاملاً في بابه أيضاً، فمثلاً تفسير العرفاء الذين ظهروا خلال عدّة قرون وفسّروا القرآن ـ كمحيي الدين بن عربي في بعض كتبه، وعبد الرزاق الكاشاني في تأويلاته، والملاّ سلطان علي في تفسيره ـ كانت طريقتهم طريقة عرفانيّة، فبعضهم قد كتب بشكل جيّد في مجال تخصّصه، ولكن القرآن ليس هو ما كتبوه، بل هو بعض من صفحات القرآن وحجبه.[2]

---

١. شرح *دعاء السحر*: ٣٨.

٢. *تفسير سوره حمد*: ٩٣ ـ ٩٤.

وقد عرّف اللغويّون والمفسّرون التفسير بأنّه معنى اللفظ، أو المعنى الظاهري من اللفظ، أو المعنى القطعي منه. وهي الأقوال السبعة المذكورة نفسها لبيان الفرق بين التأويل والتفسير.

وبالجملة: فإنّ أكثر المفسّرين واللغويّين اعتبروا التفسير تبيين لمعنى اللفظ، ولكن الإمام الخميني ﵀ عرض تعريفاً للتفسير على أساس معايير معرفته القرآنيّة الخاصّة التي تستند على المباني العرفانيّة العميقة، يوافق ما ورد في القرآن والروايات حول تفسير القرآن، ويختلف عمّا عرضه الآخرون من اللغويّين والمفسّرين في تعريف التفسير.

وبملاحظة هذا الذي ذكرناه عن الإمام الخميني ﵀، فيكون قد استعمل التأويل مرادفاً للتفسير، وأنّ معنى التفسير عنده يختلف عمّا عرضه الآخرون، ولذا فإنّ إدراك حقيقة التأويل من وجهة نظره تعتمد على وجوب معرفة حقيقة القرآن وحقيقة تفسيره عند الإمام الخميني ﵀

حقيقة القرآن عند الإمام الخميني ﵀

إنّ حقيقة القرآن عند الإمام الخميني ﵀ ليست هي هذه الألفاظ، ولا معاني هذه الألفاظ، وإنّما هي الحقائق التي تحكيها هذه الألفاظ والمعاني والمفاهيم، الحقائق التي أرادها الله تعالى واطّلع عليها النبي ﷺ، ثُمّ اطّلع عليها البشر بواسطة النبي ﷺ. وعلى هذا، فإنّ الألفاظ والمعاني، والمفاهيم ورسالة النبي ﷺ هي وسائل للوصول إلى هذا الهدف، وهو حقيقة القرآن.

وكما أنّ اللفظ لا قيمة له بنفسه، وهو مجرّد وسيلة للوصول إلى المعاني والمفاهيم التي هي وراء هذه الألفاظ، فإنّ المعاني والمفاهيم، والقصص والاستدلالات والأحكام الموجودة في القرآن هي جميعاً أدوات للإنسان لكي يصل إلى الغاية الذي أنزل من أجله القرآن. فالقرآن الحقيقي هو الحقائق التي تحكيها معانيه.

وقد صرّح الإمام الخميني ﵀ بهذا المورد في عبارات عديدة، منها:

ليس القرآن من مقولة السمع والبصر، وليس هو من مقولة الألفاظ، وليس من مقولة الأعراض، ومع ذلك فقد تنزّل.[1]

إنّ هدف البعثة النبويّة هو هذا الكتاب العظيم وتلاوته، وهو الآية الإلهيّة العظمى. وبالرغم من أنّ العالم بأجمعه هو آيات للحقّ تعالى، ولكنّ القرآن الكريم في الحقيقة

---

١. المصدر: ١٣٦؛ *القرآن كتاب هدايت* ٩٧.

خلاصة جميع الخلقة وجميع الأشياء التي ينبغي أن يؤتى بها في البعثة.[١]

وأشار السيّد مصطفى الخميني﵀ حول تفسير القرآن من وجهة نظر الإمام الخميني﵀ قائلاً:

يقول والدي المحقّق والعارف برموز القرآن وبعض أسراره:

إنّ تفسير القرآن غير متيسّر لكل أحد غير الله تعالى؛ لأنّ القرآن علم الحقّ نزل إلى الأسفل، ولا يمكن أن يحيط به كلّ شخص.[٢]

ومن وجهة نظر الإمام الخميني﵀ أنّ هذا الكتاب الملفوظ هو وجه القرآن، وحقيقة القرآن بعيدة عن متناول الأشخاص العاديين، و﴿الْمُطَهَّرُونَ﴾ وحدهم هم الذين يستطيعون الوصول إلى حقيقة القرآن. وكتب﵀ في هذا المجال:

إنّ حقيقة القرآن الشريف قبل تنزّله إلى المنازل الخلقية وتطوّره بالأطوار الفعليّة من الشؤون الذاتيّة والحقائق العلميّة للحضرة الواحديّة، وهو حقيقة الكلام النفسي الذي هو مقارعة ذاتيّة في الحضرة الأسمائيّة،

وهذه الحقيقة لا تحصل لأحد، لا بالعلوم الرسميّة، ولا بالمعارف القلبيّة، ولا بالمكاشفة الغيبية، إلّا بالمكاشفة العامّة الإلهيّة لذات النبيّ الخاتمﷺ في محفل أنس: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ بل في خلوة سرّ مقام ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾، وأيدي آمال العائلة البشريّة قاصرة عنها إلّا الخلّص من أولياء الله الذين اشتركوا في روحانيّة تلك الذات المقدّسة، بحسب الأنوار المعنويّة والحقائق الإلهيّة وفنوا بواسطة التبعيّة التامّة فيه.[٣]

حقيقة التفسير عند الإمام الخميني﵀

التفسير من وجهة نظر الإمام الخميني﵀ هو شرح مقاصد الكتاب، لا شرح معاني ألفاظ وآراء المفسّرين حول معاني اللفظ. وعلى هذا، فإنّ توضيح اللفظ وأسباب النزول، وتوضيح القصّة والبحوث اللغويّة والأدبيّة والتاريخيّة، واختلاف القراءات، وطرح الآراء الأُخرى ليس تفسيراً. ومن الممكن أن تكون مقدّمة للتفسير أو دليلاً على تفسير ما، ولكن نفس هذه الأمور ليست تفسيراً.

والتفسير هو: توضيح وبيان الهدف المختفي وراء النصّ.

ويعتقد الإمام الخميني﵀ أن تعليم وتعلّم القرآن من جوانبه الأدبيّة، البلاغيّة والتاريخيّة،

---

١. *صحيفه إمام*: ١٤/٣٨٦ ـ ٣٨٧.
٢. *قرآن از ديدگاه امام خميني ﵀*: ١٠.
٣. *آداب الصلاة*: ١٨١.

وسبب النزول واختلاف القراءات وبيان اختلاف آراء المفسّرين، ليست فقط بعيدة عن تفسير القرآن، بل هي حجب تمنع من فهم القرآن وغفلة عن ذكر الله.

وعلى هذا الأساس يعتقد ﵀ أنّ ما هو موجود إلى الآن بعنوان التفسير ليس تفسيراً كاملاً، ويقول ﵀ في هذا المورد:

إنّ مفسرينا العظام أيضاً صرفوا عمدة همّهم في إحدى هذه الجهات أو أكثر ولم يفتحوا باب التعليمات على الناس. وبعقيدة الكاتب لم يكتب إلى الآن تفسير لكتاب الله؛ لأنّ معنى التفسير على نحو كلّي هو أن يكون شارحاً لمقاصد الكتاب المفسّر ويكون اهتمامه ببيان منظور صاحب الكتاب. فهذا الكتاب الشريف الذي هو بشهادة من الله تعالى كتاب الهداية والتعليم ونور طريق سلوك الإنسانيّة، يلزم للمفسّر أن يبيّن للمتعلّم في كلّ قصّة من قصصه، بل في كلّ آية من آياته جهة الاهتداء إلى عالم الغيب وحيثية الهداية إلى طريق السعادة وسلوك طريق المعرفة والإنسانيّة. فالمفسّر إذا فهم المقصد من النزول، فهو مفسّر سبب النزول كما هو في التفاسير، ففي قصّة آدم وحواء أو ما جرى لهما مع إبليس من ابتداء خلقهما إلى ورودهما في الأرض، وقد ذكرها الحقّ تعالى مكررة في كتابه.

فكم من المعارف والمواعظ مذكورة فيها ومرموز إليها؟ وكم قد ذُكر فيها من معايب النفس وكمالاتها ومعارفها وأخلاق إبليس لنتعرف عليها ونحن عنها غافلون؟[1]

ويقول ﵀ في موضع آخر: إنّ لغة القرآن لغة رمزيّة، وكثير منها لايمكننا فهمها:

للقرآن لغته الخاصّة به، فهو يتكلّم بنحو يتضمّن جميع المطالب، ولكن أكثرها مجرّد رموز لا نقدر على فهمها.[2]

وكلام الإمام هذا هو تفسير وشرح لمراد ومقاصد المتكلّم؛ لا شرح معاني الألفاظ وأسباب النزول، وهي ملاحظة دقيقة خفيت على كثير من المفسّرين، بينما ترى كتب التفسير مليئة بالبحوث الأدبيّة والعقليّة والفلسفيّة والتاريخيّة وكثير من العلوم الأُخرى.

وفي الحقيقة، فإنّ كتب التفاسير كشكول يحتوي على جميع المطالب، والإمام في تعريفه هذا يشير إلى نكتة في غاية الدّقة، والروايات التفسيريّة المرويّة عن الأئمّة المعصومين ﵈ هي على هذا الأساس أيضاً، فقد شرحت مقاصد ومراد الله تبارك وتعالى من الآيات؛ من غير أن تتعرّض للبحوث الأُخرى.

---

١. المصدر: ١٩٢ ـ ١٩٣.

٢. *صحيفه إمام*: ٤٠٩/٢٠ ـ ٤١٠.

ويمكن القول: إنّ تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالروايات، والتفسير العقلي والعرفاني، والإشاري والرمزي، والتفسير الباطني هي من أقسام شرح المراد.

وكان توجّه الإمامرحمه الله أكثر إلى هذه التفاسير، والتفسير بهذا المعنى يعني: شرح المقصود والهدف من شيء ما في الكلام، وفي الفعل أيضاً. فرؤيا يوسفعليه السلام كانت تتضمّن لفظاً ومعنىً ومقصوداً. وكان عمل مَن صحبه موسىعليه السلام في سفره يتضمّن عملاً له معنىً ـ حرمة الفعل وقبحه ـ وفي نفس الوقت كان له هدف برّر ذلك العمل.

وقد ورد في القرآن والروايات التفسير بمعنى المستوى الثالث، أي: إظهار المقصود الوارد.

وقد ورد لفظ التفسير ومادة: «فسر» مرّة واحدة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾،[1] وربّما أُطلقت كلمة التفسير في الروايات لأوّل مرّة على التفسير بالرأي الذي نهت عنه بشدّة.

ويمكن الحصول على موردين أساسيتين في استعمال لفظ: «تفسير» في هذه الآية:

الأولى: إنّ للتفسير مراتب، فعندما يكون لدينا تفسير أحسن، فمعنى ذلك وجود تفسير حسن، وغير حسن.

الثانية: هي أنّ التفسير لمّا ورد هنا وصفاً لـ ﴿مَثَل﴾، فهو يشير إلى أنّ التفسير بيان للهدف والمراد من طرح شيء ما، لا بيان مدلوله ومعناه؛ لأنّ تفسير المثل هو توضيح الهدف، والمراد من إيراد من ذلك المثل في مورد ما، لا توضيح مدلول ألفاظ المثل، وكذلك فإنّ استعمال كلمة التفسير في الروايات، حيث وردت في النهي عن التفسير بالرأي، ممّا تشير إلى أنّ التفسير في الحقيقة ـ كما أوضحه الإمام الخمينيرحمه الله ـ هو لبيان الهدف والمراد من شيء ما، وليس معناه شرح المعاني أو الأدوات المستعملة في شيء ما.

النتيجة

استعمل الإمام الخمينيرحمه الله في كلامه وكتاباته التأويل بمعنى التفسير، ويستنبط من مجموع كلماته أنّ الإمام الخمينيرحمه الله يعتبر التفسير والتأويل مترادفين، ولكن حقيقة تفسير القرآن عند الإمام الخمينيرحمه الله تختلف عن حقيقة التفسير عند الآخرين، فهي عند الآخرين، تعني: شرح معاني ألفاظ القرآن، وعند الإمامرحمه الله: شرح مقصود آيات القرآن، وشرح مقصود الآيات بنحو كامل خارج عن استطاعة أيّ شخص عدا: «مَن خوطب به» وهو الرسول الأكرمصلى الله عليه وآله وأهل بيته الأطهارعليهم السلام.

---

١. الفرقان: ٣٣.

المصادر

القرآن الكريم

١. *آداب الصلاة*، الإمام الخميني رحمه الله، مؤسّسة تنظيم ونشر آثار إمام خميني رحمه الله، طهران، الطبعة الثانية عشر، ١٣٨٤ش.

٢. *البيان في تفسير القرآن*، أبو القاسم الخوئي، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٣٩٥هـ.

٣. *تاج العروس*، السيد محمّد مرتضى الزبيدي، مكتبة الحياة، بيروت.

٤. *تفسير سوره الحمد*، الإمام الخميني رحمه الله، مؤسّسة تنظيم ونشر آثار إمام خميني رحمه الله، طهران، الطبعة السابعة، ١٣٨١ش.

٥. *التمهيد في علوم القرآن*، محمّد هادي معرفة، مؤسّسة النشر الإسلامي، قم، الطبعة الثانية،١٤١٦هـ.

٦. شرح *دعاء السحر*، الإمام الخميني رحمه الله، مؤسّسة تنظيم ونشر آثار امام خميني رحمه الله، طهران، ١٢٨٣ش.

٧. *الصحاح*، اسماعيل بن حمّاد الجوهري، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٩٩هـ.

٨ *صحيفه امام*، الإمام الخميني رحمه الله، مؤسّسة تنظيم ونشر آثار امام خميني رحمه الله، طهران، چاپ سوم، ١٣٧٩ش.

٩. *القاموس*، محمّد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧هـ.

١٠. *قرآن كتاب هدايت* (تبيان الدفتر الثالث عشر) الإمام الخميني رحمه الله، مؤسّسة تنظيم ونشر آثار إمام خميني رحمه الله، ١٣٧٥ش.

١١. *لسان العرب*، ابن منظور، نشر أدب الحوزة، ١٤٠٥هـ.

١٢. مجمع *البحرين*، فخر الدين طريحي، انتشارات كتاب فروشى مرتضوى، طهران، ط٢، ١٣٦٥ش.

١٣. *مختار الصحاح*، محمّد بن عبدالقادر، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

١٤. *مفردات ألفاظ القرآن*، حسين بن محمّد الراغب الإصفهاني، انتشارات ذوي القربى، قم، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ.

١٥. *الميزان في تفسير القرآن*، سيد محمّد حسين الطباطبائي، مؤسّسة إسماعيليان، قم، الطبعة الرابعة، ١٣٧١ش.

١٦. *النهاية في غريب الحديث والأثر*، مجد الدين المبارك بن محمّد، ابن الاثير، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤١٨ش.

١٧. *وسائل الشيعة*، محمّد بن الحسن المعروف بـ(الحرّ عاملي)، مؤسّسة آل البيت لإحياء التراث، ١٤٠٩هـ.

بطن القرآن عند الإمام الخمينيﷺ

السيّد عبد الله الحسيني

الخلاصة

البطن لغةً: الشيء المغطّى والبعيد عن الرؤية الظاهريّة.

والمقصود من بطن القرآن: ما يقابل المعنى الظاهري له.

وحقيقة القرآن عند الإمام الخمينيﷺ هي: تجلّي ذات الحقّ بصفاته الجماليّة والجلاليّة.

وقد تنزّلت حقيقة القرآن إلى مراتب حتّى انتهت إلى الصورة التي عليها القرآن الكريم الآن حيث صار قابلاً للفهم من البشر. ومراتب التنزّلات هذه هي نفس باطن القرآن، وهي: سبعة بطون، وفي وجه: سبعون بطناً.

ومن وجهة نظر الإمام الخمينيﷺ، فإنّ باطن القرآن ليس من سنخ المعاني، بل هو من سنخ الحقائق ومن مراتب تنزّلات القرآن، وإدراكها متيسّر فقط للنبيﷺ الأكرم والمطهّرين من لوث الطبيعة والمتمسكين بالعين الزلال الذين هم أهل البيتﷺ.

مفتاح الاصطلاحات: القرآن والباطن.

البطن، لغة

البطن لغة، بمعنى: الجانب الداخلي، أو القسم المغطّى والمخفي لشيءما. وذهب الخليل بن أحمد في كتابه *العين* أنّ معنى البطن: ما كان خلاف الظاهر، أي: الداخلي، في قبال الخارجي.

قال:

البطن في كلّ شيء خلاف الظهر، كبطن الأرض وظهرها، وكالباطن والظاهر.[١]

وذهب الراغب في *المفردات* إلى أنّ أصل معنى البطن هو: اسم القسم الداخلي للإنسان، أي: البطن.

ولكنّ الخليل بن أحمد اعتبر معنى البطن في جميع الأشياء هو الداخلي في مقابل الخارجي أو ما كان خلاف الظاهر، قال:

أصل البطن الجارحة، وجمعه بطون. قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾.[٢] وقد بطنته: أصبت بطنه. والبطن خلاف الظهر في كلّ شيء.

ويقال للجهة السفلى: بطن، وللجهة العليا: ظهر، وبه شبّه بطن الأمر وبطن البوادي... .[٣]

وقال الطبرسي: إنّ البطن في مقابل الظهر، قال: البطن خلاف الظهر، والبطن: الغامض من الأرض.[٤]

البطن في القرآن

وقد ورد لفظ: «بطن» ستّ مرات في القرآن: ﴿أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾،[٥] ﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾،[٦] ﴿فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾،[٧] ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾،[٨] ﴿كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾.[٩]

وورد ثلاث مرّات بمعنى: رحم: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا﴾،[١٠] ﴿وَاللَّهُ

---

١. العين: ٧/٤٤٠.

٢. النجم: ٣٢.

٣. *المفردات في غريب القرآن*: ٥١.

٤. مجمع *البيان*: ١/٤٧٧.

٥. البقرة: ١٧٤.

٦. الحج: ٢٠.

٧. الصافات: ٦٦؛ الواقعة: ٥٣.

٨. النساء: ١٠.

٩. الدخان: ٤٥.

١٠. الأنعام: ١٣٩.

أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَهاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾،[١] ﴿وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَهاتِكُمْ﴾.[٢]

واستعمل ثلاث مرّات في معنى: مطلق بطن الموجودات: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعامِ لَعِبْرَةً نُسْقيكُمْ مِمّا في بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَ دَمٍ لَبَنًا﴾،[٣] ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعامِ لَعِبْرَةً نُسْقيكُمْ مِمّا في بُطُونِها﴾،[٤] ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِها شَرابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ فيهِ شِفاءٌ لِلنّاسِ﴾.[٥]

واستعمل مرّة واحدة بصيغة بطائن بمعنى ما جعل في داخلها، أي: المحتويات: ﴿بَطائِنُها مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دانٍ﴾.[٦]

واستعمل بصيغة الباطن مرّتان، الأوّل في اسم من أسماء الله تعالى بمعنى: الخفي، والآخر بمعنى: الداخل وطرفه الآخر حجاب بين أهل الجنّة وأهل النار: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظّاهِرُ وَالْباطِنُ﴾،[٧] ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بابٌ باطِنُهُ فيهِ الرَّحْمَةُ وَظاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذابُ﴾.[٨]

وبملاحظة استعمالات القرآن الكريم يمكن القول: إنّ معنى البطن: مطلق الداخل، وكلّ ما هو مغطى بغلاف المعدة والرحم، في قبال ما هو ظاهر. وعلى هذا فإنّ بطن القرآن ستكون الحالة الداخليّة والمغلّفة في مقابل ظاهره.

هل للقرآن باطن؟

ممّا لا ريب فيه أنّه ليس المراد من ظاهر القرآن هو نصّ القرآن ولفظه؛ لأنّه إذا كان المراد هو هذا النصّ واللفظ، فسيكون باطن القرآن هو المعنى الذي يحكيه هذا اللفظ، مع أنّه لا شكّ ولا اختلاف ولا إبهام في أنّه ليس المراد من ظاهر القرآن الظاهر الحسّي الذي يدرك بالحواس، بل المقصود منه المعنى أو المقاصد الظاهرة من اللفظ. والمقصود من باطن القرآن: الأهداف والحقائق، أو المعاني غير المفهومة من اللفظ. وأمّا المعاني التي تُفهم من اللفظ فهي ظاهر وليست باطناً.

---

١. النحل: ٧٨.

٢. النجم: ٣٢.

٣. النحل: ٦٦.

٤. المؤمنون: ٢١.

٥. النحل: ٦٩.

٦. الرحمن: ٥٤.

٧. الحديد: ٣.

٨. الحديد: ١٣.

وعلى هذا، فإنّ باطن القرآن ينبغي أن يكون شيئاً وراء المعنى الظاهر المفهوم من اللفظ. ويمكن من الناحية اللغويّة إطلاق الباطن على المعنى في مقابل اللفظ، باعتبار أنّ اللفظ يمكن إدراكه بالحواس. والمعاني لايمكن إدراكها بالحواس، ولكن هذا غير مراد من الباطن، وكلّ من تحدّث عن باطن القرآن لم يرد هذا المعنى، فإنّ باطن القرآن هو المعنى والحقيقة وراء المعنى الظاهري المفترض.

وعليه يطرح السؤال التالي: هل للقرآن باطن وراء المعنى الذي يحكيه اللفظ؟

لا توجد في القرآن آيات تدلّ على وجود باطن للقرآن، بل لا توجد آية تدلّ على ذلك، بل لا توجد كلمة تدلّ على ذلك. وبعبارة أُخرى: إنّ وجود معنى باطني للقرآن أو بعض آياته غير معناه الظاهري لم يستفد من نفس القرآن بشكل واضح وصريح. وقد اعترف المحقّقون بذلك أيضاً، وأهمّ دليل على وجود باطن، ومعنى باطني للقرآن هي الروايات الموجودة في الجوامع الحديثيّة الشيعيّة والسنّية، وإنْ استدلّ ببعض آيات من القرآن على وجود باطن له، ولكن لا ظهور فيها، ولا تصريح على وجود باطن للقرآن.[1]

فقد صرّحت أحاديث عديدة على وجود بطن للقرآن، وقد جمع فضيلة الشيخ علي أكبر بابائي الروايات الدالّة على وجود بطن للقرآن في بحث تحت عنوان: باطن القرآن الكريم، ويعتقد بوجود ستّ مجموعات من الروايات الدالّة على وجود باطن للقرآن.

المجموعة الأُولى: الروايات المصرّحة بوجود باطن له.

المجموعة الثانية: الروايات التي ذكرت علامات لباطن القرآن مضافاً إلى تصريحها بوجود باطن له.

المجموعة الثالثة: الروايات التي تذكر المعنى الباطني لإحدى الآيات بالإضافة إلى تصريحها بوجود باطن للقرآن.

المجموعة الرابعة: الروايات التي ذكرت معانٍ ومصاديق لبعض آيات وكلمات وحروف القرآن ليست هي معنى ظاهرياً لها.

---

١. راجع: باطن وتأويل در قرآن: ٣ ـ ٦. وقد استدلّ السيّد الطباطبائي بآية: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ (النحل: ٨٩) هكذا: بما أنّنا لمّا لم نفهم كلّ شيء من ظاهر القرآن، فلا بدّ من وجود باطن للقرآن يمكننا من خلاله فهم كلّ شيء. واستدلّ أيضاً بالآيات الآمرة بالتدبّر في القرآن على أنّ للقرآن باطناً؛ لأنّ التدبّر يكون له معنى عندما لا يكون هنالك معنى ظاهر.

المجموعة الخامسة: الروايات التي تُخبر بوجود مطالب في القرآن لا يعلمها إلّا الله والملائكة والراسخون في العلم.

المجموعة السادسة: الروايات التي تذكر بأنّ ثلث القرآن أو ربعه نزل في أهل البيت، وبنفس هذا المقدار نزل في أعدائهم.

وبما أنّ هذا المعنى لا يمكننا الحصول عليه من ظاهر القرآن، فلا بدّ من وجود باطن للقرآن يمكن الحصول عليه من خلال هذا الظاهر.[1]

والظاهر عدم وجود منكر لوجود باطن للقرآن، فكثير من المفسّرين والعلماء صرّحوا وأكّدوا على وجود باطن للقرآن، قال الغزالي:

> كلّ من أنكر باطن القرآن، فقد أخبر بحدّ فهمه.[2]

وقال الآلوسي في *روح البيان*: ليس من المناسب إنكار وجود معنى باطني للقرآن لمن كان صاحب عقل وإيمان.

وقد صرّح صاحب *التفسير والمفسّرون*، والتفتازاني في شرح *عقائد النسفية*، والزركشي في *علوم القرآن* بوجود معنىً باطني للقرآن.

وقَبِل ابن تيميّة بوجود معنى باطني للقرآن بشرط أن يكون حقّاً، وألّا يخالف المعنى الظاهري. وذهب بعض المفسّرين بعيداً في ذلك، حيث نقل الزركشي عن أحد المفسّرين من أهل السنّة أنّ لكلّ آية ستّين ألف فهم، وما استعصى عن الفهم أكثر من ذلك! وقال بعض علماء الشيعة ما يشبه ذلك. فقالوا: إنّ للقرآن سبعة بطون استناداً إلى رواية وردت في المقدّمة الثامنة في *تفسير الصافي*.

ولكن لا توجد في كتب الشيعة رواية تقول: إنّ للقرآن سبعة بطون أو سبعين بطناً، وورد هذا الحديث في المقدّمة الثامنة في تفسير الصافي هكذا: (وفي رواية أُخرى) من غير أن يذكر مصدرها وقائلها هل هو النبي ﴿صلى الله عليه وآله﴾ أو الإمام أو أحد الصحابة.[3]

وعلى كلّ حال، لا يوجد أحد معروف من علماء الشيعة أو السنّة ينكر وجود معنى باطني للقرآن، وانّما الاختلاف في المقصود من بطن القرآن معناه الباطني. وفي الواقع فإنّ الإبهام في معنى بطن القرآن وسنخ هذه المعاني البطنيّة.

---

١. مجلة معرفت: العدد ١٠/٢٦.

٢. *إحياء علوم الدين*: ٢٨٩/١، نقلاً عن: مجلة معرفت، باطن قرآن كريم، علي أكبر بابائي.

٣. راجع: *باطن وتأويل در قرآن*: ٧٣.

والمهمّ هو تشخيص المقصود من بطن القرآن وسنخ المعنى الباطني للآيات، وإقامة الدليل على وجود أو قبول مثل هذا المعنى للقرآن.

حقيقة بطن القرآن

بملاحظة ما تقدّم من معنى البطن، ينبغي أن يكون باطن القرآن شيئاً مغطّى عن الفهم العادي، على أنّ المستفاد من جعل باطن القرآن في قبال ظاهره هو أنّ الأصالة لباطن القرآن بالرغم من عدم استفادة هذا المعنى من نفس معنى الباطن، ولكن مقارنة باطن القرآن مع ظاهره والروايات الواردة حول باطن القرآن، وكذلك التصوّر السائد عند المفسّرين يؤكّد هذا المعنى. وعلى هذا يمكن القول: بأنّ باطن القرآن له خصيصتان: الانغلاق عن الفهم العادي والنظر الظاهري، والأصالة عند المقارنة بظاهر القرآن.

وهنالك اختلاف بين المفسّرين في أنّ هذا المعنى الباطني المغلّف من أيّ سنخ هو؟ ويتصوّر أكثر المفسّرين أنّ باطن القرآن من سنخ المعاني في مقابل معانيه الظاهريّة، وهو موافق للتصوّر العام لهذه اللفظة. وذهب البعض إلى أنّ المعنى الباطني مأخوذ من المعاني البلاغيّة. وذهب آخرون إلى أنّه المعاني الكلّية المستفادة من الآية. وذهب البعض إلى أنّه عبارة عن المعنى المخالف لظاهر الآية.[1]

أمّا الإمام الخمينيّ فله نظريّة خاصّة حول باطن القرآن، وهي أنّ للقرآن بطوناً متعدّدة وليس بطناً واحداً، وهذه البطون ليست في عرض واحد، بل هي في طول بعضها وتكوّن مراتب حقيقة القرآن. ونظريّة الإمام حول بطن القرآن نظريّة إبداعيّة وجديدة لها جذر في أفكاره العرفانيّة ومبيّنة لحقيقة القرآن في رأيه. وعلى أساس نظريّة الإمام الخمينيّ ينبغي التحدّث عن بطون القرآن لا عن بطن القرآن.

وبطون القرآن هذه هي في الواقع حقائق مغطّاة ومخفيّة عن نظر الناس العاديّين، وفي قبال هذه البطون هنالك ظاهر للقرآن، هو نفس الشيء الذي يفهمه الناس العاديّين. وظاهر القرآن يمكن للجميع تناوله والوصول إليه، ولكن هنالك بعض مسائل ظاهر القرآن يتعذّر فهمها إلّا لأولياء الله أو بواسطة التفسير الواصل عن طريقهم. يقول الإمام حول ظاهر القرآن:

---

١. راجع: المصدر.

القرآن الكريم مائدة بسطها الله تبارك وتعالى بين البشر بواسطة النبيّ الأكرم ليستفيدوا منها كلّاً بمقدار استعداده.

وهذا الكتاب وهذه المائدة المبسوطة بين الشرق والغرب ومنذ عصر الوحي إلى يوم القيامة كتاب يستفيد منه جميع البشر، العامي والعالم والفيلسوف، والعارف والفقيه، أي: في نفس الوقت الذي نزل فيه هذا الكتاب من مرحلة الغيب إلى مرحلة الشهود وبُسط أمام البشر في عالم الطبيعة، وتنزّل من ذلك المقام ووصل إلى المحلّ الذي نستطيع الاستفادة منه.

فإنّ فيه مسائل يستطيع جميع الناس، العامي والعارف والعالم وغير العالم الاستفادة منها، وفيه مسائل يختصّ بها العلماء والفلاسفة والعرفاء الكبار والأنبياء والأولياء. وفيه بعض المسائل لا يدركها إلّا أولياء الله تبارك وتعالى، أو من تعلّم منهم.[1]

إنّ ظاهر القرآن جاء لعموم الناس، لكن بطونه بعيدة عن متناول الناس العاديّين، وباطن القرآن في رأي الإمام الخميني ليس من سنخ المعاني لكي يمكن للناس إدراكه بواسطة العلوم الرسميّة، بل إنّ باطن القرآن من سنخ الحقائق، ومن أجل إدراك هذه الحقائق لا بدّ من المكاشفة التامّة الإلهيّة أو التمسّك بأهل البيت الذين هم محلّ نزول الوحي الإلهي.

ويمكن لغير أهل البيت إدراك ظاهر القرآن فقط، وهذا الظاهر هو وجه من وجوه القرآن. وفي رأي الإمام الخميني لا يمكن مطلقاً إدراك بواطن القرآن بالعلوم الرائجة، ومن أجل إدراكها لا بدّ من التمسّك بأهل البيت الذين هم العين الزلال، وإدراك أهل البيت لبواطن القرآن تمّ بالتعلّم ممّن خوطب بالقرآن وهو النبي الأكرم، الذي حصل عليها بالمكاشفة التامّة الإلهيّة:

إنّ للقرآن منازل ومراحل وظواهر وبواطن أدناها ما يكون في قشور الألفاظ وقبور التعيّنات، كما ورد أنّ للقرآن ظهراً وبطناً وحدّاً ومطلعاً. وهذا المنزل الأدنى رزق المسجونيّن في ظلمات عالم الطبيعة، ولا يمسّ سائر مراتبه إلّا المطهّرون عن أرجاس عالم الطبيعة، والمتوضؤون بماء الحياة من العيون الصافية، والمتوسّلون بأذيال أهل بيت العصمة والطهارة، والمتّصلون بالشجرة المباركة الميمونة، والمتمسكون بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، والحبل المتين الذي لا نقض له حتّى لا يكون تأويله أو تفسيره بالرأي ومن قبل نفسه، فإنّه لا يعلم تأويله إلّا الله والراسخون في العلم.[2]

---

١. *صحيفه إمام*: ٣٨٧/١٤.

٢. *شرح دعاء السحر*: ٣٨.

ومن أجل إدراك نظريّة الإمام الخمينيّ حول باطن القرآن ينبغي أن نتعرّف أوّلاً على نظريّته في حقيقة القرآن. وفي رأي الإمام الخمينيّ فإنّ حقيقة القرآن هي من الشؤون الذاتيّة والحقائق العلميّة لساحة الأحديّة، بمعنى أنّ القرآن هو علم الباري تعالى، وهو ليس في مستوى البشر، ولا يمكن الحصول على حقيقته بالعلوم السائدة والعقل البشري.

وفي رأي الإمام الخمينيّ أنّ حقيقة القرآن ميسّرة للذات المباركة للنبيّ الأكرم بالمكاشفة التامّة الإلهيّة، ولم يتيسّر للآخرين، إلّا الخلّص من أولياء الله الذين يشتركون مع خاتم الأنبياء في النور الإلهي والفانين في رسول الله بسبب تبعيتهم الكاملة له.

يقول الإمام الخمينيّ في كتابه *آداب الصلاة* حول حقيقة القرآن:

وحقيقة القرآن الشريف قبل تنزّله إلى المنازل الخلقية وتطوّره بالأطوار الفعليّة من الشؤون الذاتيّة والحقائق العلميّة للساحة الواحديّة، وهو حقيقة الكلام النفسي الذي هو مقارعة ذاتيّة في الحضرة الأسمائيّة، وهذه الحقيقةِ لاتحصل لأحد، لا بالعلوم الرسمية ولا بالمعارف القلبية ولا بالمكاشفة الغيبية إلّا بالمكاشفة التامّة الإلهيّة لذات النبي الخاتم المباركة في محفل أنس: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾، بل في خلوة سرّ مقام: ﴿أَوْ أَدْنَى﴾، وأيدي آمال العائلة البشريّة قاصرة عنها، إلّا الخلّص من أولياء الله الذين اشتركوا في روحانيّة تلك الذات المقدّسة بحسب الأنوار المعنويّة والحقائق الإلهيّة، وفنوا بواسطة التبعيّة التامّة فيه، فإنّهم يتلقون علوم المكاشفة بالوراثة منه، وتنعكس حقيقة القرآن في قلوبهم بنفس النورانيّة والكمال التي تجلّت لقلبه المبارك من دون التنزّل إلى المنازل والتطوّر بالأطوار، وهو القرآن من دون تحريف وتغيير، ومن كتّاب الوحي الإلهي من يقدر على تحمّل هذا القرآن هو النفس الشريفة لولي الله المطلق علي بن أبي طالب. وأمّا سائر الخلق، فلا يقدرون أخذ هذه الحقيقة إلّا مع التنزّل عن مقام الغيب إلى موطن الشهادة والتطوّر بالأطوار الملكيّة والتكسّي بكسوة الألفاظ والحروف الدنيوية.

وهذا أحد معاني التحريف الذي وقع في جميع الكتاب الإلهي، والقرآن الشريف وجميع الآيات الشريفة قد جُعلت في تناول يد البشريّة بالتحريف، بل بالتحريفات الكثيرة على حسب المنازل والمراحل التي طواها من ساحة الأسماء إلى آخر عوالم الشهادة، وعدد مراتب التحريف مطابق لعدد مراتب بطون القرآن طبق النعل بالنعل، إلّا أنّ التحريف عبارة عن التنزّل عن الغيب المطلق إلى الشهادة المطلقة على حسب مراتب العوالم، والبطون عبارة عن الرجوع من الشهادة المطلقة إلى الغيب المطلق... والسالك إلى الله إذا وصل إلى أي مرتبة من مراتب البطون قد تخلّص من مرتبة من مراتب التحريف إلى أن

يصل إلى البطون المطلقة، وهي البطن السابع على حسب المراتب الكلّية، فيتخلّص من التحريف المطلق. فعلى هذا يمكن أن يكون القرآن الشريف محرّفاً لشخص بجميع أنواع التحريف، ولشخص آخر ببعض مراتبه، ولا يكون لشخص محرّفاً أصلاً ... . وهكذا.

ففهم عظمة القرآن خارج عن طرق الإدراك كما علمت، ولكنّ الإشارة الإجمالية إلى عظمة هذا الكتاب المتنزل والمتناول لجميع البشر موجبة لفوائد كثيرة.[1]

وتبتني نظريّة الإمام الخميني رحمه الله حول بطون القرآن على مبنيين: روائي وعرفاني.

الأوّل: إنّ للقرآن سبعة بطون أو سبعين بطناً، وأساس هذا المطلب رواية وردت في *تفسير الصافي*:

واعلم، أنّه كما أنّ للكتاب التدويني الإلهي بطوناً سبعة باعتبار وسبعين بطناً باعتبار آخر، لا يعلمها إلّا الله والراسخون في العلم، ولا يمسّها إلّا المطهّرون من الأحداث المعنويّة والأخلاق الرذيلة.[2]

للقرآن مراتب، فله سبعة بطون أو سبعون بطناً، وقد تنزّل من هذه البطون إلى المحلّ الذي يريد أن يتحدّث به إلينا.[3]

والمبنى الآخر للإمام رحمه الله هو المبنى العرفاني، وهو أنّ حقيقة القرآن هي تجلّي الله بصفاته الجلاليّة والجماليّة على قلب النبي صلى الله عليه وآله.

يقول الإمام الخميني رحمه الله حول هذا الموضوع:

وعند أهل المعرفة قد صدر هذا الكتاب الشريف من الحقّ تعالى بمبدئيّة جميع الشؤون الذاتيّة والصفاتيّة والفعليّة، وبجميع التجليّات الجماليّة والجلاليّة، وليست لسائر الكتب السماويّة هذه المرتبة والمنزلة ... .

وأمّا عظمة المرسل إليه ومتحمّله، فهو القلب التقي النقي الأحمدي الأحدي الجمعي المحمّدي الذي تجلّى له الحقّ تعالى بجميع الشؤون الذاتيّة والصفاتيّة والأسمائيّة والأفعاليّة، وهو صاحب النبوّة الختميّة والولاية المطلقة، وهو أكرم البريّة وأعظم الخليقة، وخلاصة الكون وجوهرة الوجود وعصارة دار التحقّق واللبنة الأخيرة وصاحب البرزخيّة الكبرى والخلافة العظمى.[4]

---

١. *آداب الصلاة*: ١٨١. ١٨٢.

٢. *شرح دعاء السحر*: ٥٩.

٣. *تفسير سوره حمد*: ١٣٦.

٤. *آداب الصلاة*: ١٨٣.

وقد عرّف الآخرون باطن القرآن بأنّه في عرض القرآن، وأنّ ظاهر القرآن وباطنه هما وجهان لعملة واحدة، ولكن الإمام رحمه الله يبيّن بصراحة أنّ ظاهر القرآن في طول باطنه، وعلى هذا الأساس قال رحمه الله بوجود سبعة بطون للقرآن لا بطن واحد، وسبعين بطناً باعتبار آخر، وكلّ واحد من هذه البطون هي مراتب حقيقة القرآن وتنزّلاته.

خصائص نظريّة الإمام رحمه الله حول بطن القرآن

لنظريّة الإمام الخميني رحمه الله حول بطن القرآن أربع خصائص:

الخصيصة الأُولى: وهي أنّه اعتبر بطون القرآن من سنخ الحقائق. وممّا يجدر الإشارة إليه أنّ هناك نظريتين حول بطن القرآن: نظريّة المعاني ونظرية الوجود.

وعلى أساس نظريّة المعاني فإنّ بطن القرآن من سنخ المعاني والمفاهيم. وممّن أيّد هذه النظريّة العلّامة الطباطبائي رحمه الله وآية الله الخوئي رحمه الله وآية الله معرفة رحمه الله ـ وإلى حدّ ما كلّ مَن أبدى رأيه حول بطن القرآن ـ وإن اختلفوا في توضيحها، ولكن الإمام الخميني رحمه الله أيّد نظريّة الوجود، وقال: إن بطن القرآن من سنخ الحقائق، لا من سنخ المعاني.

والنقطة التي يجب التدقيق فيها هي أنّ العلّامة الطباطبائي رحمه الله اعتبر تأويل القرآن من سنخ الحقائق، فلا ينبغي التوهم أنّ رأي العلّامة الطباطبائي رحمه الله هو نفس رأي الإمام الخميني رحمه الله في بطون القرآن وحقيقته؛ لأنّ الباطن في رأي الإمام الخميني رحمه الله الذي هو من سنخ الحقائق مع التأويل في رأي العلّامة الطباطبائي رحمه الله الذي هو سنخ الحقائق، هو مجرّد تشابه اسمي، وليس هنالك اشتراك آخر بينهما؛ لأنّ العلّامة الطباطبائي رحمه الله عرّف تأويل القرآن باعتباره مستنداً إلى البيانات القرآنيّة، قال قدس سره:

> إنّ الحقّ في تفسير التأويل أنّه الحقيقة الواقعيّة التي تستند إليها البيانات القرآنيّة من حكم أو موعظة أو حكمة، وأنّه موجود لجميع الآيات القرآنيّة محكمها ومتشابهها، وأنّه ليس من قبيل المفاهيم المدلول عليها بالألفاظ، بل هي من الأُمور العينيّة المتعالية من أن يحيط بها شبكات الألفاظ.[1]

واعتبر الإمام الخميني رحمه الله حقيقة القرآن مظهراً للتجلّي العلمي لله تبارك وتعالى، وقد تنزّل هذا العلم إلى مراتب حتّى وصل إلى محلّ يستطيع أن يدركه البشر. يقول الإمام الخميني رحمه الله حول هذا الموضوع:

---

١. *الميزان في تفسير القرآن*: ٤٩/٣.

وعند أهل المعرفة قد صدر هذا الكتاب الشريف من الحقّ تعالى بمبدئيّة جميع الشؤون الذاتيّة والصفاتيّة والفعليّة وبجميع التجليّات الجماليّة والجلاليّة، وليست لسائر الكتب هذه المرتبة والمنزلة.[1]

الخصيصة الثانية: وهي أنّ باطن القرآن ليس من سنخ المعاني، فحقيقة القرآن لا يمكن تناولها بالعلوم والمعارف والحواس والتفكير البشري، ولا يستطيع أحد كشف وإدراك باطن القرآن بالعلوم والمعلومات البشريّة.

والخصيصة الثالثة: نظرية الإمام هي أنّ للقرآن سبع بطون أوسبعين بطناً، وليس بطناً واحداً ـ وعدد السبعة أو السبعين من المحتمل وروده في رواية في *تفسير الصافي* ـ وهذه النظريّة ناشئة من نظريّة الإمام حول حقيقة القرآن وتبتني على أساس مبانيه العرفانيّة، في أنّ حقيقة القرآن ليس هو هذا النصّ الموجود، بل هو تجلٍّ للذات الأحديّة بصفاتها الجلاليّة والجماليّة.

الخصيصة الرابعة: وهي أنّ ظاهر القرآن ليس في مقابل بطون القرآن، بل هو امتداد لها. فإنّ جميع من أبدى رأيه حول بطن القرآن جعله في عرض الظاهر، ولكن على أساس نظريّة الإمام الخميني فإنّ ظاهر القرآن هو النصّ الموجود نفسه في طول البطن، وهذا الظاهر هو الصورة المتنزلة لبطن القرآن وحقيقته. وعلى هذا فباطن القرآن وظاهره مثل الوجهين لعملة واحدة، فإنّ كلّ واحد منهما يختلف عن الآخر، وله نوع من الارتباط معه.

والعلاقة في رأي الإمام الخميني بين الظاهر والباطن هي مثل العلاقة بين منبع النور والشعاع الصادر منه، فالنور الساطع من منبع النور نور، ولكنّه ليس حقيقة النور، بل هو مجرّد وجه وظاهر وعرض من النور الأصلي ومن منبع النور أو المركز الأصلي للنور. والقرآن أيضاً هو حقيقة نشأ من علم الله، وما في أيدينا ـ لفظ ومحتوى القرآن الذي يفهم من اللفظ ـ هو كالشعاع الساطع من منبع نوري، ومثل الشعاع النوري الساطع من منبع الشمس النوري ويهب الحياة للمنظومة الشمسية، وخاصّة الأرض. فهذه الأشعة نور، ولكن الشمس هي حقيقة النور، وهذا الشعاع وجه نوري، وكما أنّ شعاع نور الشمس يطوي مراتب ومنازل إلى أن يصل إلينا ويتعرّض للتنزّلات والتحريفات إلى أن يصل إلى محلّ يمكننا الاستفادة منه، فكذلك حقيقة القرآن التي هي علم إلهي تتعرّض لتنزّلات وتظهر بقالب المفاهيم والمعاني، ثُمّ تلبس رداءها العربي ليتيسر فهمها وتظهر بصورة القرآن الذي بين أيدينا، إلّا أنّه ليس باطن القرآن وحقيقته.

---

١. *آداب الصلاة*: ١٨٣.

فحقيقة القرآن في رأي الإمام الخميني رحمه الله هي شيء بعيد عن متناول البشر العاديين، ولا يستطيع أحد غير رسول الله تناول هذه الحقيقة: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾.

وعلى هذا لا يمكن الحصول على بطون القرآن وحقيقته بالعقل والعلم أبداً، بل إنّ باطن القرآن من سنخ الوجود، والقرآن في الحقيقة هو تجلٍّ للذات الإلهيّة، ولا يمكن لأحد تناول باطنه إلّا المطهّرون، وكما أنّ شعاع نور الشمس نافع لنا، ويمكن الاستفادة منه، وفي الوقت نفسه هو ليس عين الشمس، فكذلك هذا القرآن المكتوب أرسل إلينا لنستفيد منه، ولكنّه في الوقت نفسه ليس عين حقيقة القرآن.

المصادر

القرآن الكريم

١. *آداب الصلاة*، الإمام الخميني﵀، مؤسّسه تنظيم ونشر آثار إمام خميني، طهران، ١٣٨٤ش.

٢. *إحياءعلوم الدين*، محمّد الغزالي، دار المعرفة، بيروت.

٣. *باطن وتأويل در قرآن*، على أكبر بابايي؛ محمّد كاظم شاكرى، مركز مطالعات وپژوهش هاى فرهنگى حوزه علميه قم، ١٣٨١ش.

٤. *تفسير سوره حمد*، الإمام الخميني، مؤسّسه تنظيم ونشر آثار إمام خميني﵀، طهران، ١٣٨١ش.

٥. *شرح دعاء السحر*، الإمام الخميني﵀، مؤسّسه تنظيم ونشر آثار إمام خميني، طهران، ١٣٨٣ش.

٦. *صحيفه امام*، الإمام الخميني﵀، مؤسّسه تنظيم ونشر آثار إمام خميني، طهران، ١٣٧٩ش.

٧. *كتاب العين*، الخليل بن أحمد الفراهيدي، مؤسّسه دار الهجرة، قم، ١٤٠٩هـ.

٨. *مجمع البيان في تفسير القرآن*، أمين الإسلام الفضل بن الحسن الطبرسي، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٩. *المفردات في غريب القرآن*، حسين بن محمّد الراغب الإصفهاني، دفتر نشر الكتاب، طهران، ١٤٠٤هـ.

العرفان في الفكر التفسيري للإمام الخميني﴿رحمه الله﴾

عبد الحميد محمّدي

المقدّمة

تستند الاتّجاهات التفسيريّة على المبنى المعرفي الذي يتمتّع به المفسِّر، وقد سعى كلّ مفسّر إلى عرض رسالة الكلام الإلهي بالأسلوب البشري. واختار جماعة التوجّه العرفاني لتحقيق هذا الهدف، وعرضوا نظريّاتهم وفقاً لمبانيهم الخاصّة، هذا مع أنّ كلّاً من المفسِّر والمفسَّر يتمتّع بمراتب ودرجات ولا يستطيع الاكتفاء بالألفاظ فقط والتوقّف عندها، بل يجب عليه تصيّد المعاني بالألفاظ، وأن يطوي العوالم الأُخرى الواحد تلو الآخر عن طريق عالم الألفاظ، بهدف الوصول الى تلك الحقيقة النهائيّة.

وقد ترك العرفاء آثاراً قيّمة في هذا المجال، ومن جملتهم الإمام الخميني﴿رحمه الله﴾ الذي تصدّى لتفسير آيات القرآن بذوق عرفاني، وطرح تفسيراً عرفانيّاً للقرآن؛ لاعتقاده بأنّ العرفان هو معجزة القرآن الكبرى، والكتاب الوحيد الذي استطاع بيان المسائل العرفانيّة بأفضل شكل هو القرآن الكريم، هذه المسائل العرفانيّة الكبرى التي عجز عن الوصول إليها، والتعرّف عليها أرسطو وأفلاطون أعظم فلاسفة اليونان في عصرهم.[1]

ولمّا كان منشأ العرفان عند الإمام الخميني﴿رحمه الله﴾ منشأً قرآنيّاً، فهو يحظى بأهمّية فائقة، فإنّ من أكثر الطرق اطمئناناً للوصول إلى خضايا القرآن وزواياه هو التوجّه العرفاني. وسيتّضح من

---

١. راجع: *صحيفه إمام*: ٢١٠/١٦.

خلال تبيين مبانيه في هذا الخصوص إلى أي حدّ ألقى العرفان بظلاله على التفكير التفسيري عند الإمام الخمينيﷺ، وإلى أيّ مدى تأثّر فكره التفسيري بالعرفان.

وقبل البحث في ميزان هذا التأثّر ينبغي التذكير بالنقطة التالية، وهي أنّه يوجد في بيانات، وكتابات الإمام الخمينيﷺ مطالب تحتوي على جانبين ولحاظين، وربّما كانت الغفلة عنهما سبباً لتصوّر خاطئ عن وجود تناقض في كلماته، حيث نجده يؤكّد في بعض أقواله وكتاباته على فشل المفسّرين في عرض تفسير للقرآن الكريم، فيقول:

في اعتقادي لم يكتب لحد الآن تفسير لكتاب الله؛ لأنّ معنى التفسير بصورة عامّة هو أن يكون شارحاً لمقاصد الكتاب المفسّر، يكون مهتماً ببيان مقصود صاحب الكتاب.

فهذا الكتاب الشريف الذي هو وبشهادة الله تعالى كتاب الهداية والتعليم ونور طريق سلوك الإنسانيّة، يلزم المفسّر أن يعلّم في كلّ قصّة من قصصه، بل في كلّ آية من آياته، جهة الاهتداء إلى عالم الغيب وحيثيّة الهداية إلى طريق السعادة وسلوك طريق المعرفة والإنسانيّة.

فالمفسّر إذا فهّمنا المقصد من النزول، فهو مفسّر لا أن يذكر سبب النزول بالنحو المذكور في التفاسير.[1]

لقد نفى الإمام الخمينيﷺ وجود تفسير واقعي للقرآن انطلاقاً ممّا افترضه مسبقاً من كون:

القرآن سرّ، سرّ السرّ، السرّ المستتر بالسرّ.[2]

ولا تحصل هذه الحقيقة لأحد، لا بالعلوم المتعارفة، ولا بالمعارف القلبية، ولا بالمكاشفة الغيبية، بل تحصل بالمكاشفة التامّة الإلهيّة للذات المباركة لخاتم الأنبياءﷺ في محفل أنس: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾، بل في خلوة سرّ مقام: ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾، وأيدي آمال العائلة البشريّة قاصرة عنها إلّا للخلّص من أولياء الله الذين اشتركوا في روحانيّة تلك الذات المقدّسة بحسب الأنوار المعنويّة والحقائق الإلهيّة، وفنوا بواسطة التبعيّة التامّة فيه، فإنّهم يتلقّون علوم المكاشفة بالوراثة منهﷺ.[3]

وعلى هذا، فلا يتخيّل أحد أنّه وصل أوج معارف القرآن الكريم بتبيين بُعد واحد من أبعاده، بل هو وعلى حدّ تعبير أمير المؤمنينﷺ: القرآن بحر لا تدرك سواحله.[4]

---

١. *آداب الصلاة*: ١٩٢، ١٩٣.

٢. *تفسير سوره حمد*: ١٦٥.

٣. *آداب الصلاة*: ١٨١.

٤. *نهج البلاغة*: الخطبة ١٩٩.

ورمز خلود القرآن يكمن في هذا الأمر، ففي كلّ عصر وزمان يعرض الباحثون والمحقّقون مطالب جديدة للبشرية من خلال البحث والتحقيق، ومع ذلك يبقى مجال البحث والتحقيق مفتوحاً بشكل أكبر.

بينما أكّد الإمام الخميني في بعض كلماته على الجانب الإيجابي للتفاسير، بمعنى: أنه يقدّر الجهود التي بذلها المفسّرون في التفسير، وأنّها تستحقّ الشكر والثناء، حيث قال:

ليس مقصودنا من هذا البيان انتقاد التفاسير، فإنّ كلّ واحد من المفسّرين تحمّل المشاق الكثيرة والأتعاب المضنية في سبيل تأليف كتاب شريف، فللّه درّهم وعلى الله أجرهم، بل مقصودنا هو أنّه لا بدّ وأن يفتح للناس طريق الاستفادة من هذا الكتاب الشريف الذي هو الكتاب الوحيد في السلوك إلى الله، والكتاب الأحدي في تهذيب النفوس والآداب والسنن الإلهيّة، وأعظم وسيلة للربط بين الخالق والمخلوق والعروة الوثقى والحبل المتين للتمسّك بعزّ الربوبية.

فعلى العلماء والمفسّرين أن يكتبوا التفاسير فارسيّة وعربيّة، وليكن مقصودهم بيان التعاليم والمقررات العرفانيّة والأخلاقية، وبيان كيفيّة ربط المخلوق بالخالق، وبيان الهجرة من دار الغرور إلى دار السرور، والخلود على نحو ما أودعت في هذا الكتاب الشريف.[1]

وقد اتّضح من مجموع كلمات الإمام والمقارنة بينها أنّه موافق تماماً لما يبذله الكتّاب والباحثون من جهود، ويشجّعهم للتعمّق أكثر في القرآن، وقد انطلق بنفسه من هذا الأساس للتعريف بالمعارف الإلهيّة من خلال شرح وتفسير بعض الآيات:

لكنّه شبّه هذه المحاولة بمحاولة الحرباء لتوصيف الشمس أو المصاب في عينه لرؤيتها.[2]

وقد ردّ كلام بعض من منع الدخول في تفسير القرآن بحجّة الخوف من الوقوع في التفسير بالرأي، ويعتقد بأنّه لا ينبغي غلق باب التفسير بذريعة النهي الوارد عن التفسير بالرأي.[3]

التوجّه العرفاني للإمام الخميني في التفسير

هنالك علاقة قويّة بين القرآن والعرفان ـ برأي الإمام الخميني ـ في موضوعات مختلفة، فإنّ إحدى الإنجازات القرآنيّة هي أنّ القرآن بدّل الفلسفة اليونانية إلى عرفان

---

١. *آداب الصلاة*: ١٩٤.

٢. *شرح دعاى سحر*: ٣٣.

٣. راجع: *آداب الصلاة*: ١٩٩.

شهودي وأوجد تحوّلاً في المجالات المختلفة،[1] ووجّه العرفان إلى مساره الأصلي ليحتلّ مكانته الصحيحة. ومن جهة أُخرى، فإنّ الإدراك الصحيح للقرآن والاستنباط العميق منه، إنّما يمكن من طريق العرفان. ومن أجل إيضاح هذه العلاقة، ومقدار تأثيرها في الفكر التفسيري للإمام الخميني﴿ره﴾ القائم على أساسها، سنتناول بالبحث المباني التفسيريّة له﴿ره﴾، ليتّضح من خلال معرفة هذه المباني مكانة العرفان ومقدار تأثيره على فكره التفسيري.

١. العلاقة بين الكتاب التدويني والتكويني

إنّ إحدى الموضوعات ذات المنزلة الرفيعة وذات النتيجة المعرفيّة القيّمة هي العلاقة بين القرآن ـ الكتاب التدويني ـ وعالم الوجود، وخاصّة الإنسان باعتباره كتاب التكوين. وقد انعكست هذه العلاقة بشكل جيّد في الآيات القرآنيّة التي نشير إلى نماذج منها:

أ) إنّ الكتابين قد خُلقا على أحسن صورة. قال الله تبارك وتعالى حول كتاب التدوين: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيث كتابًا مُتَشابِهًا﴾،[2] أي: أنّ الله تعالى أنزل أحسن الكلام، كتاب تتشابه آياته بعضها مع البعض الآخر.

ويقول عزّ من قائل حول كتاب التكوين: ﴿الَّذي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾،[3] أي: أنّ كلّ ما خلقه الله جميل.

ب) إنّ الله تعالى قد أمر بالتفكير فيهما معاً. قال عزّ وجلّ حول كتاب التدوين: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾.[4]

وقال عزّ من قائل حول كتاب التكوين: ﴿أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا في أَنْفُسهِمْ﴾.[5]

ج) نفي وجود الاختلاف بينهما، فقال تعالى عن كتاب التدوين: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كانَ مِنْ عنْد غَيْر اللهِ لَوَجَدُوا فيه اخْتلافًا كَثيرًا﴾.[6]

---

١. راجع: *صحيفه إمام*: ٤٣٣/١٧.

٢. الزمر: ٢٣.

٣. السجدة: ٧.

٤. النساء: ٨٢.

٥. الروم: ٨.

٦. النساء: ٨٣.

وقال سبحانه فيما يتعلّق بكتاب التكوين: ﴿ما تَرى في خَلْقِ الرَّحْمنِ منْ تَفاوُت﴾،[١] أي: لا ترى في خلق الله تعالى أي عيب وتضادّ.

وهذه العلاقة التي ينادي بها القرآن لها تأثير عميق في نظرة الإمام رحمه الله إلى التفسير، حيث انطلق منها إلى تفسير آيات القرآن، وقد انعكست هذه العلاقة في كلمات الإمام الخميني رحمه الله بأُسلوب منطقي خاصّ:

الأوّل: إنّه رحمه الله قائل بوحدة هذين الكتابين في علم الغيب، فهو يعتبر هذه الصحيفة النورانيّة (القرآن) صورة الاسم الأعظم، ويعتبر الإنسان الكامل ـ بصفته المصداق البارز لكتاب التكوين ـ صورة الاسم الأعظم أيضاً، فهما متّحدان من حيث المعنى ومتفرقان من حيث الصورة.[٢]

الثاني: إنّ كلاهما نازل من عالم الغيب، فالكتاب التكويني الإلهي نازل أيضاً من عالم الغيب والخزينة الإلهيّة المكنونة.[٣]

الثالث: اعتبر أنّ النتيجة المنطقيّة المستحصلة من الأُسلوب المنطقي هي أنّ الكتاب، التكويني فقط حامل للكتاب التدويني:

> هذا الكتاب التكويني الإلهي وجميع أولياء الله... هم حملة القرآن التدويني.[٤]

٢. وضع اللفظ لروح المعنى

> بحث (وضع اللفظ) من المباحث المطروحة في علم الأُصول، ولأعلام هذا العلم آراء مختلفة فيه باختلاف مبانيهم. وإحدى هذه النظريّات هي أنّ اللفظ موضوع لروح المعنى، وليس لخصوصيّات المعنى دخل في الموضوع له، فمثلاً لفظ لقاء موضوع لروح الملاقاة التي تتجلّى تارةً بملاقاة جسم مع جسم آخر، وأُخرى بملاقاة روح مع روح أُخرى، وثالثة بملاقاة ممكن الوجود مع واجب الوجود، الذي بُيّن في الأحاديث والأدعيّة بعنوان الوصول والزيارة و... . أو النظر إلى وجه الله، حيث نقرأ في الدعاء: «ولا تحرمني النظر إلى وجهك»، أو ما جاء حول رؤية الله في كلمات أمير المؤمنين عليه السلام: «ولكن تراه القلوب بحقائق الإيمان»،

---

١. الملك: ٣.

٢. راجع: *آداب الصلاة*: ٣٢١.

٣. راجع: *شرح دعاى سحر*: ٩٣.

٤. المصدر: ٩٤.

أي: أنّ العيون الظاهرية لا ترى الله، ولكن تراه القلوب بواسطة الإيمان الحقيقي.[1]

وكذلك وردت ألفاظ أُخرى في القرآن لايمكن حملها على المفاهيم العرفيّة والاصطلاحيّة.

ويعتقد الإمام الخمينيّ وفقاً لمبناه الخاصّ أنّ للاصطلاحات العرفانيّة معانٍ خاصّة، يقول في هذا المجال:

هل بلغك من تضاعيف إشارات الأولياء وكلمات العرفاء (رضي الله عنهم) أنّ الألفاظ وضعت لأرواح المعاني وحقائقها؟

وهل تدبّرت في ذلك؟ ولعمري، إنّ التدبّر فيه من مصاديق قوله: «تفكّر ساعة خير من عبادة ستّين سنة»، فإنّه مفتاح مفاتيح المعرفة وأصل أُصول فهم الأسرار القرآنيّة.

ومن ثمرات ذلك التدبّر كشف حقيقة الإنباء والتعليم في النشآت والعوالم، فإنّ التعاليم والإنباءات في عالم العقول وعالم الأسماء والصفات غير ما هو مشاهد عندنا في الدنيا.[2]

وعلى هذا لا يمكن الوصول إلى روح المعنى بإعطاء المعنى الاصطلاحي والعرفي، بل يتطلّب ذوق عرفاني ومعرفة شهوديّة لكي يمكن اصطياد المعاني.

وعلى هذا الأساس، يعتقد الإمام الخمينيّ أنّ الألفاظ مثل: الرحمن والرحيم، الرؤوف... . موضوعة للجهة الكماليّة التي هي أصل تلك الحقيقة. وتعتبر الجهة الانفعاليّة خارجة عن الموضوع له. وهذا البيان يعتبر باعتقاد الإمام متّفقاً مع ذوق أهل المعرفة واستنتاج أهل الظاهر.[3]

٣. مراتب نزول القرآن الكريم

لفتت مسألة نزول القرآن الكريم انتباه المفكّرين، وكانت حلبة لمعترك آرائهم فيها. والمسألة هي هل للقرآن نزول آخر غير النزول التدريجي أو لا؟ وقد بيّن المفسّرون آراءهم حول هذا الموضوع كلّ بحسب استطاعته ومعرفته، وذكروا أدلّتهم على صحّة آرائهم. وأكثر هؤلاء يرون صحّة النزول الدفعي للقرآن بالإضافة إلى النزول التدريجي:

---

١. راجع: *رسالة لقاء الله*: ١٧ ـ ١٨.

٢. *مصباح الهداية*: ٣٩.

٣. راجع: *آداب الصلاة*: ٢٥١.

أ) النظريّة القائلة أنّ القرآن نزل أوّلاً في اللوح المحفوظ، ثُمّ نـزل دفعـة واحـدة فـي ليلـة القدر إلى السماء الدنيا، ثُمّ نزل على القلب الطاهر للرسول الأكرمﷺ خـلال ٢٣ عامـاً أو ٢٠ عاماً، أو ٢٥ عاماً. ومن مؤيّدي هذه النظريّة جلال الدين السيوطي.[١]

ب) النظريّة القائلة بأنّ للقرآن نزولاً آخر قبل نزوله بقالب الألفـاظ علـى قلـب النبـيﷺ الذي استمرّ ٢٣ عاماً، وهذا النزول الأوّل هو نزول حقيقة القرآن، وما أنزل في ليلة القـدر هـي حقيقة القرآن التي نزلت بشكل دفعي. ومن مؤيّدي هذه النظريّة العلّامـة الطباطبـائي، فهـو يعتقد بأنّ القـرآن مـضافاً إلـى مجيئـه بكـسوة الألفـاظ، فـإنّ لـه حقيقـة أُخـرى نزلـت بـصورة الألفاظ، وفي قالب الألفاظ، وتعتبر الألفاظ بمثابة البيان لتلك الحقيقة، معلّلاً ذلـك بـأنّ إدراك تلك الحقيقة غير مقدور لعموم الناس، فتنزّلت إلى مستوى فهمهم.[٢]

ج) النظريّة الثالثة: إنّ للقرآن مراتب نزول. وفـي هـذه النظريّـة مـضافاً إلـى قبولهـا نـزول حقيقة القرآن في كسوة الألفاظ، توجّهت إلى مسألة أهمّ وهي أنّ للقـرآن أكثـر مـن نـزولين. ومن مؤيّدي هذه النظريّة الإمام الخميني، ومن أجل التوجّه إلى خصائص نظريّة الإمام في هذا الخصوص ينبغي الالتفات إلى المطالب التالية:

أ) يعتبر الإمام الخميني أنّ عدد هذه المراتـب هـي سـبع مراتـب، وأنّ القـرآن النـازل يمثّل المرتبة السابعة، وبنزول هذه المراتب على قلب النبي الأكـرمﷺ جـرى القـرآن علـى لسانه المبارك.[٣]

ب) بيّن الإمام الخميني هذه المراتب السبع استناداً إلى الروايات وإلى ذوقـه العرفـاني الخاصّ. ومن هذه الروايات: «إنّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف».[٤] ويعتقد بـأنّ الأحـرف السبعة الواردة في هذه الرواية هي إشارة إلى المراتب السبع.[٥]

ج) يعتقد الإمام الخميني أنّ إدراك المراتب السبع للقـرآن خـارج عـن فهـم الجميـع، وسبب ذلك أنّ نزول القرآن هو من المعارف الإلهيّة وأسرار الحقائق الدينيّة التـي لا يـدركها

١. *الإتقان في علوم القرآن*: ١٣٥/١.

٢. *الميزان في علوم القرآن*: ٦١/٣.

٣. راجع: *صحيفه إمام*: ٤٣١/١٧.

٤. *بحار الأنوار*: ٢٠٨/٣١.

٥. راجع: *آداب الصلاة*: ٣٢٣.

إلّا الكمّل من الأولياء، وعلى رأسهم الوجود المقدّس لخاتم الأنبياء والأئمّة [١]:

وقعت في شهر رمضان المبارك قضية بقيت أبعادها وماهيتها لأمثالنا في عالم الإبهام إلى الأبد، وهي قضية نزول القرآن... وينبغي أن نقول: إنّ هذه القضية لا يدركها غير الرسول الأكرم وأولئك الذين تربّوا في حجره وكانوا تحت رعاية الله تبارك وتعالى، وبقيت بالنسبة للآخرين في حجاب الإبهام المطلق.[٢]

د) إنّه يعتقد بانطباق المراتب السبع للنزول مع العوالم السبع، ويقول:

إنّ الله تبارك وتعالى ولسعة رحمته إلى عباده أنزل هذا الكتاب الشريف من مقام قربه وقدسه وتنزّل به على حسب تناسب العوالم حتّى وصل إلى هذا العالم الظلماني وسجن الطبيعة وصار بكسوة الألفاظ وصورة الحروف.[٣]

ولبيان كيفيّة انطباق المراحل السبع لنزول القرآن مع العوالم السبع نذكرها باختصار؛ ليتّضح شيء منها:

١. الحضرة العلميّة: وهي مرتبة غيب الغيوب والأُلوهيّة، والتي عُبِّر عن بعضها بـ ﴿أُمِّ الْكِتَابِ﴾.[٤] وأشارت إليها الآية الشريفة: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾.[٥]

٢. حضرة الأعيان: وهي حقائق الممكنات في علم الحق تعالى، ويُطلق عليها (الأعيان الثابتة) أيضاً، وهي نفس العين الثابتة للإنسان الكامل.[٦]

٣. حضرة الأقلام: ونزول القرآن في هذه المرتبة، من مرتبة العلم التفصيلي، ويُطلق «القلم» على العقول باعتبارها واسطة فيض الصور العلميّة على النفوس الكليّة وموجبة لوجودها.[٧]

٤. حضرة الألواح: وهي على ثلاثة أقسام: لوح العقل، واللوح المحفوظ، ولوح العقول.[٨]

٥. حضرة المثال: وهي الحدّ الفاصل بين المجرّدات والماديّات.[٩]

---

١. راجع: المصدر: ٣٢١ ـ ٣٢٢.

٢. *صحيفه إمام*: ٤٨٩/١٧.

٣. *آداب الصلاة*: ١٤٨.

٤. شرح *فصوص الحكم للخوارزمي*: ١٠٤/١.

٥. الزخرف: ٤.

٦. *فرهنگ علوم عقلى*: ٧٩.

٧. *الحكمة المتعالية*: ٢٩٣/٦.

٨. *فرهنگ علوم عقلى*: ٥٠٦.

٩. المصدر: ٥٢٥.

٦. الحس المشترك: وهو لوح النفس حيث تجتمع جميع الحواس في هذا الحسّ.[١]
٧. الشهادة المطلقة: عالم الأجسام والمادّة.[٢]

٤. مراتب فهم القرآن

من المراتب التفسيريّة للإمام الخميني﷫ هي مراتب الفهم، ويستند هذا المبنى على نظريات مبنى آخر أُشير إليه في النقطة الثالثة. وبقبول مراتب النزول يجب قبول أنّ لفهمها مراتب أيضاً، وبقبول هذه الحقيقة التي عبّر عنها أمير المؤمنين﵇ بقوله: «القرآن بحر لا تدرك سواحله»، فإنّ كلّ شخص يستطيع أن يستفيد من القرآن بقدر معرفته وإدراكه. وعلى هذا الأساس، فقد قدّر الإمام الخميني﷫ سعي المفسّرين وجهودهم في استكشاف مفاهيم القرآن بقدر سعتهم، حيث أوضح كلّ واحد منهم بُعداً من أبعاده.

القرآن كتاب له مراتب، ويمكن الوصول إلى معناه ومقصوده من خلال التفسير؛ إذ رغم أنّ فهم حقيقة القرآن الكاملة عند عترة النبيﷺ إلّا أنّ طريق الاستفادةمن هذه المائدة السماويّة مفتوح. فالقرآن مائدة واسعة يستفيد منها الجميع، ومن جملتهم الفلاسفة والعرفاء، والمتكلّمين والمفسّرين، الذين يمكنهم الكشف عن جوانب منه، كلّ بما يوافق ذوقه وفنّه.[٣]

يقول الإمام الخميني﷫ في الآية الشريفة: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا﴾[٤]:

يدرك أهل المعرفة من الآية الشريفة: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا﴾ الطريقة التي سلك بها إبراهيم﵇ سيره المعنوي، ويتعلّمون طريق السلوك إلى الله والسير إلى جنابه وحقيقة سير الأنفس والسلوك المعنوي في منتهى ظلمة الطبيعة التي عبّر عنها في ذلك المسلك: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾ إلى إلقاء مطلق الإنيّة والأنانية وترك النفسانية وعبادة النفس والوصول إلى مقام القدس والدخول في محفل الأنس، و﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ...﴾،[٥] إشارة إلى ذلك في هذا المسلك، والسائرون يدركون منها السير الآفاقي وكيفيّة تربية خليل الرحمن أُمّته وتعليمه إيّاهم.

وعلى هذا المنوال سائر القصص والحكايات، مثل: قصّة آدم وإبراهيم وموسى

---

١. *اصطلاحات الفنون والعلوم*: ٦٦٤/١.
٢. *فرهنگ علوم عقلى*: ٣٤٧.
٣. راجع: *آداب الصلاة*: ٣١٠ ـ ٣١١.
٤. الأنعام: ٧٦.
٥. الأنعام: ٧٩.

ويوسف وعيسى ولقاء موسى مع الخضر، حيث تتفاوت استفادات أهل المعارف والرياضات والمجاهدات مع غيرهم.[١]

وفي رأي الإمام الخمينيّ أنّ السبب في أنّ الله تبارك وتعالى والأنبياء والأئمّة المعصومين في أحاديثهم ورواياتهم، قد بيّنوا الحقائق العقليّة بلسان العرف وعموم الناس، هو الاختلاف في مراتب فهمهم الذي هو نوع من الشفقة والرحمة على بني آدم ليكون لكلّ شخص نصيب في فهم الحقائق الغيبية بمقدار سعته.[٢]

ما به قدر قوّت و إمكان خود ره مى رويم وان همايون منزلت بالاى إمكان مى رود[٣]

٥. علاقة الظاهر بالباطن

إنّ احتواء القرآن على ظاهر وباطن قد لفت انتباه أصحاب الاختصاص كلّ بحسب قدرته، وبيّنوا آراءهم في هذا الموضوع، وقد أكّد الذين يتمتّعون بذوق عرفاني على أهمّية الحصول على الباطن مع اعتقادهم بلزوم حفظ الظاهر.

ونشير هنا باختصار إلى نظريّات المؤيّدين والمعارضين لكي يتّضح أصل الموضوع وجوانبه، ويتبين رشد ونضوج رأي أهل الذوق، وخاصّة الإمام الخمينيّ، حيث إنّ هذه المسألة هي إحدى مبانيه في التفسير العرفاني للآيات، وفيما يلي نشير إلى هذه النظريات:

أ) توجّه بعض إلى الظاهريّة والقشريّة، وتدّعي هذه المجموعة أنّه ليس وراء المعنى الظاهري شيء بعنوان المعنى الباطني. وأطلق الإمام الغزالي على هؤلاء تعبير: الحشويّة.[٤]

ب) وفي قبال هؤلاء هنالك مجموعة توجّهت إلى الباطن المحض، وقالوا: إنّ المراد الأصلي من الآيات هو نفس الباطن، وهم يعتقدون أنّ النصوص لايمكن حملها على الظاهر، بل إنّ لها معانٍ باطنية لا يعلمها إلّا المعلّم الأوّل.

ويقصد هؤلاء من هذا الكلام نفي الشريعة.[٥] ومؤسّسو هذه النظريّة هم الإسماعيليّة.[٦]

---

١. *آداب الصلاة*: ١٨٨ ـ ١٨٩.

٢. راجع: *شرح حديث جنود وعقل وجهل*: ٦٠ ـ ٦١.

٣. ترجمة البيت: نحن نسلك الطريق على قدر قدرتنا وإمكاناتنا، لكن ذلك الشخص المبارك المنزلة يسلك ما وراء الإمكان.

٤. *مكتب تفسير اشارى*: ١٣.

٥. *تفسير القرآن الكريم*، ابن عربي: ١/١٧.

الإسماعيليّة.[١]

ج) وهناك يقبلون الظاهر والباطن معاً، ولكنّهم يعتبرون المعنى الباطني مستقلّ عن المعنى الظاهري، ويعتقدون بعدم وجود أي علاقة بينهما.

د) الاعتقاد بظاهر القرآن وباطنه، وهذا هو العرفان المحض، وهو الصواب، يقول مؤيّدو هذه النظريّة:

> تحمل النصوص على ظواهرها، ومع كلّ هذا فإنّ في هذه النصوص إشارات خفيّة على أُمور دقيقة مكشوفة لأرباب السلوك وتقبل التطبيق على الظواهر.

ويقول الشاعر الشهير مولانا:

حرف قرآن را مدان كه ظاهريست زير ظاهر باطنی بی قاهريست

زير آن باطن يكی بطن سوم كه در او گردد خردها جمله گم[٢]

وأيّد هؤلاء رأيهم بالروايات التي صرّحت بوجود باطن للقرآن كما له ظاهر، ومن جملتها هذه الرواية الشريفة: «ما من القرآن آية إلّا ولها ظهر وبطن».[٣] وربّما أشار الحديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله إلى هذا المعنى: «القرآن ذو وجوه فاحملوه على أحسن وجوهه».[٤]

دريای محيط ژرف وبی پايان است هر چند كزو آب خوری كم نشود[٥]

والمسألة القابلة للاهتمام هي عدد بطون القرآن، فقد أشارت بعض الروايات إلى وجود ظاهر وباطن للقرآن، وورد في بعضها الآخر أنّ لباطن القرآن باطناً آخر، واستنتج أصحاب النظر من هذه الروايات ـ كلّ بحسب استنتاجه ـ أنّ للقرآن سبعة بطون إلى سبعين بطناً، بل إلى سبعين ألف بطن.[٦]

ظهر وبطن است جمله قرآن را از پی يكديگر بخوان آن را

---

١. *دانشنامه قرآن*: ٣٤٩/١.

٢. *مثنوی معنوی*: ٤٢٤٤ ـ ٤٢٤٦ ومعنى البيتين: لا تحسب أنّ كلام القرآن ظاهري، بل تحت ظاهره باطن بلا قاهر (غير ممكن الكشف) وتحت ذاك البطن بطن ثالث، تحيّرت فيه كلّ العقول.

٣. *بحار الأنوار*: ٩٧/٨٩، الحديث ٦٤.

٤. *جواهر التفسير*: ٣٧٦.

٥. البحر المحيط عميق لا حدود له، أُمهما شربت منه لا ينقص ماؤه.

٦. *جامع الأسرار ومنبع الأنوار*: ١٥٤ و٥١٠ و٦١٠.

ظهر وبطن است وبطن بطن يقين — همچنين تا به سبع يا سبعين
لفظ را چون كنى به ظهر قياس — قشر ومغزند نزد خرده شناس
ظهر را هم به بطن چون نگرى — همچنين مغز وقشرشان شمرى[1]

وقد اعتبر الإمام الخميني كلمات العرفاء شرحاً لبيانات القرآن والحديث، وقال استناداً إلى حديث: «إنّما العلم ثلاثة: آية محكمة، أو فريضة عادلة، أو سنّة قائمة»:

إذا سألنا الله تبارك وتعالى إذا كنت لا تعرف معنى: (وحدة الوجود) وفقاً لمسلك الحكماء، ولم تأخذ عن عالِم ذلك العلم وصاحب ذلك الفنّ، ولم تتعلّم ذلك العلم ومقدّماته، فلماذا تكفّرهم وتسيئ إلى سمعتهم بلا دليل.

وماذا لدينا من جواب ونحن في الساحة المقدّسة للحقّ غير أن نطرق برؤوسنا إلى الأرض... وكذلك لو سُئل حكيم متفلسف أو عارف متكلّف عن سبب اتهامك العالم الفقيه بالقشري والظاهري، وعن سبب إساءتك لسمعته وتكذيبه وتحقيره، وعن الدليل الشرعي والعقلي الذي أجاز لك ذلك، فماذا سوف يكون جوابك في محضر الحقّ تبارك وتعالى؟ غير أن تطرق برأسك خجلاً![2]

وبما أنّ الإمام كان جامعاً بين الفقاهة والمعرفة، فقد سلك طريق الاعتدال، وحفظ نفسه من الوقوع في مفسدة الإفراط والتفريط، فهو يعتقد أنّ التفسير العرفاني واقع في طول التفسير الظاهري ومكمّل له.

ويرى أنّ الباطن غير مستقلّ عن الظاهر، بل يعتقد أنّ الظاهر هو مسند الباطن، والباطن مَظهر للظاهر، وكان يقول بوجود نسبة طولية بينهما. ومن جانب آخر يعتبر الباطن بمنزلة الروح والظاهر بمنزلة البدن، وتوجد في كلمات الإمام الخميني في هذا الخصوص ملاحظات قيّمة ملفتة للانتباه، والغفلة عنها يسبب للإنسان إرباك في فهم هذه المعاني:

١. إنّه يعتقد أنّ الاهتداء بنور القرآن للتوفيق في الجمع بين الظاهر والباطن أمر لازم، ويقول في هذا المجال:

---

١. للقرآن بجملته ظهر وبطن، فاقرأهما معاً حينما تقرأ القرآن ظهر وبطن وبطن هذا البطن اليقين، وهكذا إلى سبع أو إلى سبعين اللفظ بالقياس للظاهر كالقشر، واللب عند أهل المعارف الدقيقة وهكذا الظاهر بالقياس إلى الباطن، اعتبرهما كاللب والقشر.

٢. شرح *چهل حديث*: ٣٨٩ ـ ٣٩٠.

إنّ إحدى مراتب السير والسلوك هي الاهتداء بنور القرآن المؤدّي إلى الجمع بين الظاهر والباطن.[١]

٢. يرى الإمام: أنّ العارف الكامل من حفظ المراتب وأعطى كلّ ذي حقّ حقّه، ويكون ذا عينين ومقامين ونشأتين، ويقرأ ظاهر الكتاب وباطنه، ويتدبّر في صورته ومعناه وتفسيره وتأويله، فإنّ الظاهر بلا باطن والصورة بلا معنى، كالجسد بلا روح والدنيا بلا آخرة.[٢]

٣. ذمّ كلّ من اعتبر تعلّم العلوم الظاهريّة خروجاً عن الحقّ، فقد ذمّ الإمام الخميني‏رحمه الله مَن اعتبر تعلّم العلوم الظاهريّة، وظاهر الكتب السماويّة غير ضروري وخروج عن الحقّ، واعتبر علم ظواهر الكتاب والسنّة من العلوم الجليلة القدر والرفيعة المستوى جدّاً، وعدّها أساساً للأعمال الظاهريّة والتكاليف الإلهيّة والقوانين الشرعيّة والشرائع الإلهيّة.[٣]

وكان يرى‏رحمه الله من اللاّزم على المتعلّمين والمستفيدين من مضامين القرآن الشريف وأحاديث أهل العصمة عليهم السلام أن يقوموا بمثل ذلك لشكر هذه النعمة وجزاء هذه العطيّة، فيرجعوا الصورة إلى الباطن والدنيا إلى الآخرة.[٤]

لقد اعتبر الزرقاني المنهج التفسيري للقرآن المجرّد عن ملاحظة الظاهر والنصّ محفوفاً بالمخاطر، ويقول: من أين يُعلم أنّ هذه المعاني الإشاريّة الظاهريّة غير مرادة لله سبحانه في هداية عباده؟ وهو يعتبر هذا النوع من التفاسير مجرّد شطحات تُخرج الإنسان عن التقيّد بالتكاليف الشرعيّة. وهي مصيبة كبيرة تورط بها الباطنيّة.[٥]

٤. ذمّ كلّ مَن توقّف عند الظاهر، فكما أنّ الإمام‏رحمه الله رفض طريقة الباطنية، فكذلك رفض التمسّك بظاهر القرآن فقط بالتأكيد:

لا تتوهمّ أنّ الكتاب السماوي والقرآن النازل الربّاني لا يكون إلّا هذا القشر والصورة، فإنّ الوقوف على الصورة والعكوف على عالم الظاهر وعدم التجاوز إلى اللبّ

---

١. راجع: *آداب الصلاة*: ٢٩٠ ـ ٢٩١.

٢. *شرح دعاى سحر*: ٩٨.

٣. راجع: المصدر: ٩٧ ـ ٩٨.

٤. راجع: *شرح حديث جنود عقل وجهل*: ٦١.

٥. *مناهل العرفان*: ٣٩٤.

اخترام وهلاك وأصل أُصول الجهالات وأُسّ أساس إنكار النبوّات والولايات.[١]

ويقول مولوي في شعره العرفاني حول هذا الموضوع:

گفت پيغمبر ز سرماى بهار تن ميوشانيد ياران زينهار

راويان اين را به ظاهر برده اند هم به آن صورت قناعت كرده اند

بى خبر بودند از جان آن گروه كوه را ديده، نديده كان به كوه[٢]

وقد شبّه مولانا في موضع آخر من يدرك ظاهر القرآن فقط دون باطنه بالأعمى الذي لا يدرك من الشمس ذات الأنوار الساطعة سوى حرارتها.

كه ز قرآن گر نبينند غير قال اين عجب نبود ز اصحاب ضلال

كز شعاع آفتاب پرنور غير گرمى مى نيابد چشم كور[٣]

ويرى الإمام الخمينيّ:

كما أنّ الباطن لا يمكن تحصيله إلّا عن طريق الظاهر، فإنّ الدنيا مزرعة الآخرة، فمن تمسّك بالظاهر ووقف على بابه قصّر وعطّل... . ومَن سلك طريق الباطن بلا نظر إلى الظاهر ضلّ وأضلّ عن الطريق المستقيم.

ومن أخذ الظاهر وتمسّك به للوصول إلى الحقائق ونظر إلى المرآة لرؤية جمال المحبوب فقد هُدي إلى الصراط المستقيم، وتلا الكتاب حقّ تلاوته، وليس ممّن أعرض عن ذكر ربّه.[٤]

٦. وحدة الشريعة والطريقة والحقيقة

إنّ من مباني التفسير العرفاني عند الإمام الخمينيّ وحدة الشريعة، والطريقة، والحقيقة. فللدين ظاهر ووجه خَلْقية وهي الشريعة، ووجه باطنية ربانيّة التي إحدى مراحلها

---

١. *شرح دعاى سحر*: ٩٥.

٢. *مثنوى معنوى*، دفتر اوّل: ٩٤. قال النبي: «اغتنموا برد الربيع، فإنّه يعمل بأبدانكم كما يعمل بأشجاركم»، *بحار الأنوار*: ٥٩: ٢٧١. حملوا الرواة هذا الكلام على ظاهره، واقتنعوا بتلك الصورة مع كونهم غافلين عن النفس الذي أُريد منه، رأوا الجبل، ولكن لم ينظروا إلى معدنه.

٣. *دانشنامه قرآن*: ١٩٦٤/٢.

ليس عجباً من أهل الضلال ألّا يفهموا إلّا قوله الظاهري، كالأعمى الذي لا يُدرك من الشمس غير حرارتها.

٤. *شرح دعاى سحر*: ٩٨ ـ ٩٩.

الطريقة ومرحلتها الأُخرى الوصول إلى الحقيقة. وبعبارة أُخرى: الدين مجموعة تبدأ من الشريعة وتنتهي إلى الحقيقة، وجميعها من الدين.

فالشريعة هي: الوظيفة الدينيّة للجميع. والطريقة هي: نطاق عمل السالكين، والحقيقة هي: ما كانت من نصيب الواصلين في الأسفار الأربعة المطروحة في العرفان. فالشريعة هي هذا الظاهر الذي هو السير من الخلق إلى الحقّ المقيّد، والطريقة هي الباطن الذي هو السير من الخلق إلى الحقّ المطلق. وأمّا الحقيقة، فهي الباطن والسير من الحقّ إلى الحقّ. ومن أجل الوصول إلى الحقيقة فإنّ الطريقة مكمّلة للشريعة. وليست الشريعة، ولا الطريقة بغاية، بل الشريعة شمعة في يد سالك الطريقة ليصل إلى غايته التي هي الحقيقة.

إنّ المضي في مسير الطريقة مليء بالخوف والخطر والآفات العظيمة، وممّا يقلل هذا الخطر ويزيل الآفات من الطريق هو نور الشريعة. ومَن أراد الوصول إلى لؤلؤة الحقيقة يجب عليه العبور من بحر الطريقة، وسفينة النجاة في هذا البحر هي الشريعة. وعلى هذا فإنّ للشريعة صلاة، وللطريقة صلاة أُخرى، صلاة الشريعة هي هذه الأذكار، وصلاة الطريقة هي التحرّر من الأكوان. وللشريعة صيام، وللطريقة صيام آخر. وصوم الشريعة إمساك عن الشراب والطعام، وصوم الطريقة إمساك عن الأوهام. والشريعة توصل مثل هذا الإنسان إلى درجة يجعل الحقّ سيرته. والطريقة بخصوصيّتها هذه تجعل الحقّ حاضراً عند الإنسان أبداً. وعلى هذا فهذه الحقائق الثلاث هي واحدة بالوحدة التشكيكيّة، بمعنى: أنّ عالم التكاليف دهليز للدخول إلى الحقيقة.

وإذا ما حُملت الحقيقة على الطريقة، فلأنّ نفس الطريقة هي باطن أيضاً، فيكون حمل للحقّيقة على الحقيقة. وأمّا إذا عمل بالشريعة ـ وهي ظاهر الدين ـ فيكون حمل للحقّيقة على الدقيقة.

وممّا تقدّم يتّضح أنّ من واصل طريقه في السير والسلوك من غير العبور من طريق الشريعة، فإنّه سيبتلي بالشطحات وبالتلفظ بعبارات من قبيل:

ما أعظم شأني، ما في جبتي غير الله!.

وقد رفض الإمام الخميني﵀ طريقة بعض العرفاء المبتنية على أساس الشطحات، واعتبر ذلك نقصاً في سير وسلوك هؤلاء، حيث قال:

وما وقع من الشطحات من بعض أصحاب المكاشفة والسلوك وأرباب الرياضة، فهو لنقصان سلوكهم، وبقاء الأنانيّة في سرّهم أو سرّ سرّهم، فتجلّى عليهم أنفسهم بالفرعونيّة.

وأمّا السالكون على طريق الشريعة، مع رفض الأنانيّة بجملتها وترك العبوديّة لأنفسهم برمّتها، مع طهارتها... فهم في أعلى مرتبة التوحيد والتقديس.[1]

وباعتقاد الإمام الخمينيّ لا يمكن للسالك أن يطوي أيّ طريق في المعارف الإلهيّة إلّا إذا بدأ من ظاهر الشريعة؛ لأنّ الإنسان ما لم يتأدّب بآداب الشريعة الحقّة، لا يمكن أن توجد فيه حقيقة الأخلاق الحسنة.[2]

ويعتبر الإمام الطريقة في التزام الإنسان في حياته بقوانين الشريعة وأوامرها في حركته نحو الله تعالى، يقول:

بر در ميكده از روى نياز آمده ام پيش اصحاب طريقت به نماز آمده ام
از نهان خانه اسرار ندارم خبرى به در پير مُغان صاحب راز آمده ام[3]

ويعتبر الإمام الطريقة هي هذا الدين، ولكن في محلّ أعلى، بمعنى: أنّ الدين شريعة في ظرف معيّن، وطريقة في ظرف آخر.

والحقيقة في رأي الإمام الخمينيّ هي آخر المنازل. وفي هذه المرحلة لا يطرح المتقي، بل تُطرح نفس التقوى والمشاهدة. وليس فيها كلام عن المتخلّف، بل صيرورة الإنسان خُلقاً هو المهم؛ لأنّه بالوصال مع الحقيقة، فلا وجود للاعتبار مرّة أُخرى؛ لأنّ الاعتبار من العبور.

وعندما يصل الإنسان إلى وصال الحقّ، فإنّه يكون قد عبر جميع المراحل. وبرأي الإمام أنّ مَن يدّعي الوصول إلى الحقيقة، ولم تحصل عنده هذه الخصائص، فليعلم أنّه لم يطو الشريعة والطريقة بشكل صحيح.

نقشى بر آب مى زنيم از گريه حاليا تا كى شود قرين حقيقت مجاز من
فردا كه پيشگاه حقيقت شود پديد شرمنده رهروى كه عمل برمجاز كرد
حافظا محض حقيقت گوى يعنى سرعشق غير ازاين ديگر خيالاتى به‌تخمين بسته است[1]

---

١. *مصباح الهداية*: ٥٣.
٢. راجع: *شرح چهل حديث*: ٨.
٣. *ديوان إمام*: ١٣٨.
ترجمة الشعر:
وقفت على باب الحانة محتاجاً، وجئت إلى أصحاب الطريقة لأجل الصلاة.
لا خبر عندي من مخزن الأسرار (القلب)، فجئت إلى شيخ الطريقة صاحب الأسرار.

اســـــــــــــــــــــــــــــت[1]

٧. طهارة الباطن

ومن المباني الأُخرى للإمام في توجّهه للتفسير العرفاني هي طهارة الباطن. فمن يريد أن يوصل الظاهر بالباطن من خلال العمل بالشريعة ويصل بواسطة الطريقة إلى الحقيقة، يجب أن يتحلّى بطهارة الباطن؛ لأنّ هذا العلم هو من جملة العلوم التي تتطلّب المجاهدات العلميّة والرياضات العقليّة؛ فإنّ الإنسان ما لم يطهّر نفسه وينزّه قلبه، لا يستطيع أن ينتفع بهذا العلم.

وقد اعتبر بدر الدين الزركشي فهم معاني الوحي والحصول على أسراره أمراً محالاً لمن تعشعش في قلبه البدعة والكبر، واتّباع الهوى وحبّ الدنيا أو لم يكن الإيمان مستقرّاً في قلبه أو كان ضعيفاً؛ لأنّ جميع هذه الموارد حجب تمنع من الوصول إلى الفهم.[2]

والسبب في ذلك أنّ الباطن إذا لم يكن ظاهراً، فإنّ الطريق لا يوصل الإنسان إلى مقام ما، ولهذا لَعِبت رياضات السالكين لهذا الطريق وكسب الطهارة دور البرهان في العلوم الأُخرى، وكما ينبغي في العلوم الأُخرى أن يتسلّح الإنسان بقراءة المنطق ويتعلّم القواعد والمعادلات، فكذلك في هذا العلم يجب بعد كسب الطهارة الحصول على العين الباطنيّة التي يمكن من خلالها الوصول إلى باطن القرآن. واعتبر الإمام الخميني رحمه الله حصول طهارة الباطن شرطاً أساسيّاً لكسر أقفال القلب، ويقول في هذا الصعيد:

> ولعلّ المراد من أقفال القلوب المذكورة في الآية الشريفة: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾،[3] هي: أقفال وأغلال العلائق الدنيويّة، ومن أراد أن يستفيد من القرآن ويحظى بنصيبه من المواعظ الإلهيّة لا بدّ وأن يطهّر القلب من هذه الأرجاس، ويزيل

---

١. *ديوان حافظ*: ٢٠٩.

ترجمة الشعر:

نرسم على الماء ـ أي: نقوم بعمل غير مجدٍ ـ من البكاء؛ لأنّه رياء الآن، فمتى يصير هذا المجاز قرينة للحقيقة: أي البكاء من غير رياء.

وغداً إذا ما لاحت ساحة الحقيقة، يكون السالك المرائي خجلاً.

ياحافظ، قُلْ محض الحقيقة ـ أي: سرّ الغرام ـ فليس هذه سوى، الخيالات الناشئة من الحدس.

٢. *الإتقان في علوم القرآن*: ١٨٨/٤.

٣. محمّد: ٢٤.

لوث المعاصي القلبية ـ وهي الاشتغال بالغير ـ عن القلب؛ لأنّ غير المُطهَّر ليس محرّماً لهذه الأسرار.[١]

ويرى الإمامرحمه الله أنّ الاستفادة من ظاهر القرآن هي استفادة مَن كان محبوساً في ظلمة الطبيعة، وأن شرط الحصول على مراحل وبطون القرآن هو الطهارة من أرجاس عالم الطبيعة، وطريق ذلك هو التمسّك بأهل البيتعليهم السلام والتوضؤ من النبع الزلال لماء الحياة.[٢]

وإذا استطاع الإنسان تحصيل الطهارة وإزالة الموانع والحجب، فإنّ النتيجة هي:

به هر چه منگرم صورتِ تومی بینم وزین میان همه در خاطرم تو می آیی[٣]

ولكن إذا لم يحصل التوفيق بكسر قفل النفس فيجب الإقرار بصدق وعجز بما قاله فريد الدين العطّار:

هفت شهر عشق را عطار گشت ما هنوز اندر خم يك كوچه ايم[٤]

٨. الفهم الحقيقي للقرآن

ومن المباني العرفانيّة الأُخرى للإمام الخمينيرحمه الله، والتي تحظى بأهمّية فائقة، وهي ـ في الواقع ـ فصل الختام للمباني الأُخرى، هي أنّ فهم القرآن الصامت من بركات القرآن الناطق، الفاتح لآخر طياته. وبرأي الإمام الخمينيرحمه الله فإنّ هنالك علاقة حميمة بين الفهم الكامل للقرآن، والإنسان الكامل؛ وذلك بالبيان التالي: إنّ القرآن لا حدود له، والمحدود لا يستطيع الإحاطة باللامحدود، إلّا إذا كان لا محدود أيضاً، وهذا اللامحدود هو الإنسان الكامل، والإنسان الكامل هو ظلّ الذات الإلهيّة المقدّسة. فالإنسان الكامل يستطيع الاستنباط من الإسلام واقعه كما هو، ومن الإنسان كما هو، ومن البعثة كما هي، ومن القرآن كما هو، ومن العالم كما هو، والآخرون لهم استنتاجاتهم بحسب مراتب وجودهم وبحسب كمالاتهم، ولكنّها محدودة، يجب عليهم السير والمضي في مراتب الكمال الواحدة تلو الأُخرى.[٥]

---

١. *آداب الصلاة*: ٢٠٢.

٢. راجع: *شرح دعاء سحر*: ٧٠.

٣. أرى صورتك في كلّ شيء أفكر فيه، ومن بين الجميع تأتي أنت إلى خاطري.

٤. ساح العطار في مدن العشق السبعة، ولكنّا ما زلنا نراوح في منعطف أحد الأزقة.

٥. راجع: *صحيفه إمام*: ٤٢٠/١٢.

قال المرحوم الجنابادي[١] في بيان لطيف:

إنّ بطون القرآن وحقائقه كثيرة، وأعلى بطونه وحقائقه هي محمّدية محمّد وعلويّة علي﵇؛ وذلك المقام هو مقام المشيئة الذي هو فوق الإمكان، وليس هناك نبي أو وصي نبي يستطيع الوصول إلى مقام أعلى من المقام الإمكاني، إلّا محمّد ووصيّه، ومَنْ لا يستطيع العثور على الطريق إلى مقام المشيئة، لايستطيع إدراك ما هو موجود في ذلك المقام، ولا يستطيع بيان شيء من ذلك المقام.

ولهذا السبب لا يستطيع المفسِّر في تفسيره أن يرتقي بنفسه إلى أعلى من حدّ النفس، ومهما كان مقامه العلمي عالياً، وكان قد كتب تفسيراً للقرآن أيضاً، فإنّ علمه وتفسيره بالنسبة إلى علم القرآن كالقطرة بالنسبة للبحر اللا محدود. وعلى هذا فحقيقة القرآن هي حقيقة محمّدﷺ وعلي﵇. وهذا هو نفس المقام الأخلاقي الذي لا نهاية له. وبما أنّ مقام محمّدﷺ وعلي﵇ وأولاده المعصومين﵈ هو مقام المشيئة، فإنّ علم القرآن عندهم.[٢]

وعلى هذا، فجميع علم القرآن منحصر بالنبيﷺ وأوصيائه الاثني عشر المعصومين﵈، وأمّا الآخرون، فإنّهم يستفيدون منه كلٌ بمقدار مقامه.

ويرى الإمام الخميني﵀ ـ واستناداً إلى الحديث الشريف: «إنّما يعرف القرآن من خوطب به»[٣] ـ أنّ الفهم الكامل للقرآن أمر مُحال لكلّ شخص إلّا للمخاطب الواقعي بالقرآن:

القرآن الكريم مركز جميع العرفان؛ مبدأ جميع المعارف، ولكن فهمه أمر مشكل، ومَن يفهمه هو: «مَن خوطب به».[٤]

والسبب في أنّ الإمام الخميني﵀ جعل الفهم الكامل للقرآن منحصراً بـ«مَن خوطب به»، إنّ الكتاب الإلهي هو الصورة العينيّة والكتبيّة لجميع الأسماء والصفات والآيات البيّنات، وله مقامات غيبية تقصر عن نيله أيادينا، عدا الوجود الأقدس الجامع وهو: «مَن خوطب به»، الذي لم يطلع على أسرار القرآن أحد سواه.[٥]

---

١. وهو أُستاذ الإمام الخميني الراحل﵀.

٢. *بيان السعادة*: ١٦/١ ـ ١٧.

٣. *الكافي*: ٣١١/٨ ـ ٣١٢، الحديث ٤٨٥.

٤. *صحيفه إمام*: ٤٣٨/١٩.

٥. راجع: المصدر: ٩٢/٢٠.

النتيجة

نستنتج ممّا جاء في هذه المقالة أنّ منحى الإمام الخمينيّ رحمه الله في تفسير القرآن هو منحى عرفاني كامل؛ والسبب في ذلك هو أنّه يعتقد أنّ القرآن منشأ العرفان، ومن هنا فهو يرى أنّ أكثر الطرق اطمئناناً للوصول إلى مطاوي القرآن هو المنحى العرفاني.

ويمكن التعرّف على مقدار تأثّر العرفان بالقرآن من مبانيه أيضاً، فقد توصّل وبذوقه العرفاني إلى العلاقة بين كتاب التدوين والتكوين من محضر القرآن، وأنّ كتاب التكوين وحده يستطيع أن يحمل كتاب التدوين، وهو يعتقد أنّ الألفاظ وضعت لروح المعاني، ويعتبر التدبّر والتفكّر في هذا المجال مصداقاً لأقوال المعصومين عليهم السلام، والتي هي أفضل من عبادة ستّين سنة.

ويعتقد الإمام رحمه الله بالمراتب السبع لنزول القرآن، ونزول القرآن بسبعة أحرف فيه إشارة إلى ذلك. وعلى هذا الأساس، فهو يشير إلى وجود مراتب لفهم القرآن، ويرى أنّ أعلى مرتبة لفهمه هو فهم المعصومين عليهم السلام.

ويرى أنّ بين ظاهر القرآن وباطنه علاقة لا انفصام لها. وعلى هذا الأساس اعتبر التفسير العرفاني في طول التفسير المألوف ومكمّلاً له. فالظاهر مسند للباطن، والباطن تجلٍ للظاهر، ويعتقد أن للدين وجهين: الوجهة الخلقية والوجهة الربوبية، حيث تكون الشريعة هي الأوّل، والطريقة والحقيقة هي الثاني. ويعتبر الشريعة شمعة بيد السالك يتحرّك بها نحو الحقيقة. ويرى أنّ شرط فهم جميع هذه الأُمور هو كسر الأقفال التي يليها طهارة الباطن.

وأخيراً، وضمن تقدير كلّ سعي وجهد في سبيل فهم القرآن، فإنّ وسام الفهم الحقيقي للقرآن يُمنح لـ«مَن خوطب به» وهم المعصومون عليهم السلام.

المصادر

القرآن الكريم

نهج البلاغة

١. *آداب الصلاة*، الإمام الخميني رحمه الله، مؤسّسه تنظيم ونشر آثار إمام خميني رحمه الله، طهران، الطبعة الثانية عشر، ١٣٨٤ش.

٢. *الإتقان في علوم القرآن*، جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت.

٣. *بحار الأنوار*، محمّد باقر المجلسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٤. *تفسير القرآن الكريم*، محيي الدين بن عربي، انتشارات ناصر خسرو، طهران، ١٣٦٨ش.

٥. *جامع الأسرار ومنبع الأنوار*، حيدر بن علي الآملي، جواد هاشمي عليا، انتشارات قادر، طهران، ١٣٧٧ش.

٦. *جواهر التفسير*، حسين بن علي الكاشفي، جواد عباسي، مركز نشر ميراث مكتوب، طهران، ١٣٧٩ش.

٧. *الحكمة المتعالية*، صدر المتألهين الشيرازي، انتشارات مصطفوي، قم، ١٣٧٩ش.

٨. *دانشنامه قرآن*، بهاء الدين الخرمشاهي، نشر دوستان، ناهيد، چاپ اول، ١٣٧٧ش.

٩. *ديوان امام*، الإمام الخميني رحمه الله، مؤسّسه تنظيم ونشر آثار إمام خميني رحمه الله، طهران، چاپ بيست و سوم، ١٣٧٨ش.

١٠. *ديوان حافظ*، خواجه حافظ الشيرازي، انتشارات جاويدان، طهران، ١٣٧٢ش.

١١. *رساله لقاء الله*، ميرزا جواد الملكي التبريزي، انتشارات فيض كاشاني، طهران، ١٣٧٥ش.

١٢. *شرح چهل حديث*، الإمام الخميني رحمه الله، مؤسّسه تنظيم ونشر آثار إمام خميني رحمه الله، طهران، چاپ سوم، ١٣٧٢ش.

١٣. *شرح حديث جنود عقل وجهل*، الإمام الخميني، مؤسّسه تنظيم ونشر آثار امام خميني، طهران، چاپ اول، ١٣٧٧ش.

١٤. *شرح دعای سحر*، الإمام الخميني رحمه الله، ترجمه سيد أحمد الفهري، انتشارات فيض كاشاني، طهران، چاپ دوم، ١٣٨٠ش.

١٥. *شرح فصوص الحكم* (الخوارزمي)، تاج الدين، حسين بن حسن الخوارزمي، انتشارات مولى، طهران، ١٣٦٤ش.

١٦. *صحيفه إمام*، الإمام الخميني رحمه الله، مؤسّسه تنظيم ونشر آثار خميني رحمه الله، طهران، چاپ سوم، ١٣٧٩ش.

١٧. *فرهنگ علوم عقلى*، سيد جعفر سجادى، طهران.

١٨. *الكافي*، محمّد بن يعقوب الكليني، دار الكتب الإسلاميّة، الطبعة الثالثة، ١٣٦٧هـ.

١٩. *مثنوى معنوى*، جلال الدين محمّد البلخي (مولوى)، انتشارات سوره مهر، طهران، ١٣٨٠ش.

٢٠. *مصباح الهداية*، الإمام الخميني رحمه الله، مؤسّسه تنظيم ونشر آثار امام خميني رحمه الله، طهران، ١٣٧٢ش.

٢١. مكتب *تفسير اشارى*، سليمان آتش، توفيق هاشم پورسبحاني، مركز نشر دانشگاهى، طهران، ١٣٨١ش.

٢٢. *مناهل العرفان في علوم القرآن*، محمّد عبدالعظيم الزرقاني، دار إحياء الكتب العربيّة، القاهرة.

٢٣. *الميزان في تفسير القرآن*، العلاّمة السيّد محمّد حسين الطباطبائي، مؤسّسه إسماعيليان، قم، ١٣٧١ش.

الفكر الأخلاقي للإمام الخميني﵀ في ظِلِّ القرآن

بشير أحمد بت

المقدّمة

لقد ذهب جميع علماء الأخلاق، وأكثر الفلاسفة والعلماء من القدماء والمتأخّرين أنّ هدف الأخلاق هو: الوصول إلى سعادة الإنسان وكماله الواقعي، ورصيد التعالي والتكامل المادي والمعنوي للبشر.

ويعتقدون أنّ الصفات الحميدة والخلق الحسن هي عامل مهم في معرفة الوظيفة وميزان الحياة الإنسانيّة الفاضلة. وتستطيع المجتمعات البشريّة في ظِلِّ الأخلاق الحسنة أن توجد علاقات متينة بينها فتدعو إلى فضائل الأخلاق واجتناب من رذائلها. وتسعى لبناء نفسها وتتخلّق بالأخلاق الحميدة؛ لكي تستطيع العمل بالأخلاق الفرديّة والاجتماعيّة وأن تتّصف بحسّ العلاقات الاجتماعيّة، والعيش برفاه وهدوء.

إذاً لم يكن الإنسان مستغنياً عن الأخلاق في أيّ فترة زمنية، ولن يستغني عنها.

وقد بحث علماء الأخلاق الصفات الأخلاقيّة بقسميها الفضائل الأخلاقيّة والرذائل الأخلاقيّة، وكما يتّضح من عنوان المقالة، فإنّي بصدد بحث الأخلاق في ظلّ التعاليم القرآنيّة ومن منظور الإمام الخميني﵀. فقد حظيت الأخلاق بمنزلة رفيعة في مدرسة الإمام الخميني﵀، فهو لم يكن بصدد بيان الأخلاق على المستوى النظري فحسب، بل كان مجسّداً للأخلاق العمليّة أيضاً، فقد كان متكاملاً في جميع مجالات وأبعاد الحياة، وترك إرثاً كبيراً من الوصايا الأخلاقيّة في جميع مجالات الحياة.

ولهذا، فالبحث في هذه المقالة يتضمن بعدين أساسيين، أحدهما: الكتاب الذي لاريب فيه، وهو أغلى الجواهر الإنسانيّة والأخلاقيّة للنوع البشري، والآخر الإمام الخميني الذي جسّد الأخلاق بجميع أبعادها. وينبغي الإقرار هنا، أنّي لم استطع حتّى فهرسة أهمّ الأخلاقيات في هذين البحرين الأخلاقيين اللذين لا حدود لهما، فكيف يتسنى لي الإحاطة بهما؟

وقد سعيت في بحث أهمّ الأمور الأخلاقيّة، الواردة في فكر الإمام الخميني التي يحتاجها المجتمع البشري اليوم، ثُمّ مقارنتها بآيات القرآن الكريم.

وقبل البدء ينبغي التذكير بأنّ هذه المقالة، وبسبب صغر حجمها اقتصرت فيها على ذكر كلمة واحدة فقط للإمام الخميني في كلّ فضيلة أو رذيلة أخلاقية، ثُمّ ذكرت بعض آيات القرآن الكريم حول تلك الفضيلة أو الرذيلة، وإلّا فإنّ تقديم جميع ما قاله الإمام الخميني في بحث الأخلاق، ثُمّ تطبيقها مع جميع ما جاء في القرآن الكريم يحتاج إلى تأليف كتاب في عدّة مجلّدات. وسنبحث أوّلاً الفضائل الأخلاقيّة، ثُمّ نعرّج على ذكر الرذائل الأخلاقيّة ثانياً.

الفضائل الأخلاقية

التقوى

من أهمّ الصفات الأخلاقيّة للإنسان التقوى، والتقوى تعني: إتقاء الله وصيانه النفس من عصيانه، وذلك باطاعته وإتيان ما يأمر به، واجتناب ما حرّم.

والتقوى هي معيار الإنسان في الدين الإسلامي، وعلى أساسها تبتني قيمة الإنسان، وقد أكّد الإمام الخميني كثيراً على هذه الصفة الرحمانيّة، قائلاً:

> إذا كانت هناك التقوى، وكنّا مع الله، فسوف لا يكون هنالك خوف من إعراض الناس عنّا، ولو أعرض العالم بأسره، فلا ينبغي لنا أن نخاف؛ لأنّ الله معنا، وإذا ما رفع الله عنايته عنّا ـ والعياذ بالله ـ فسوف لاينفعنا إقبال العالم كلّه إلينا ووقوفه إلى جانبنا.[1]

> عندما يتصّف الإنسان بالتقوى والإيمان، فلا يؤثّر فيه التطميع ليخون ويأخذ شيئاً ما، ولا يؤثّر فيه التهديد؛ لأنّه يرى أنّ التهديدات تساوي مخالفة الشرع، وهو يمنع نفسه من

---

١. *صحيفه إمام*: ٣١٤/٦، ٣١٥.

ذلك. ونحن إذا اتّحدنا ووضعنا أيدينا بأيدي البعض، وأتينا بشباب مؤمن ومتّقي وبار، فإنّ دولتنا ستكون مزدهرة إلى النهاية.[١]

ونفهم من كلمات الإمام ﵀ هذه أنّ التقوى هي السبب في حياة المجتمع، والواقع كما أنّ القرآن مبيّن للتقوى وآثارها ومنشئها، فكذلك كلمات الإمام ﵀ ليست إلّا شعاع من آيات القرآن الكريم. والاستفادة من جميع آيات القرآن وكلمات الإمام ﵀ حول التقوى خارجة عن حجم هذه المقالة وقدرة الكاتب، كما مرَّ التنويه إليه سابقاً. ولهذا نكتفي بذكر بعض الآيات المبيّنة للمطلب على النحو الإيجاد:

﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾.[٢]

﴿وَاتَّقُواْ اللّه لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.[٣]

﴿فَاتَّقُواْ اللّه لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.[٤]

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾.[٥]

﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.[٦]

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾.[٧]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.[٨]

﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوا بِمَفَازَتِهِمْ لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.[٩]

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾.[١٠]

---

١. المصدر: ٤٧٢/٧.

٢. آل عمران: ١٣٨.

٣. آل عمران: ٢٠٠.

٤. آل عمران: ١٢٣.

٥. الأعراف: ٢٠١.

٦. القصص: ٨٣

٧. الأحزاب: ١.

٨. الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١.

٩. الزمر: ٦١.

١٠. الحجرات: ١٣.

﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾.[١]

ويمكن الاستنتاج من الآيات، وكلمات الإمام بما يلي:

أ) التقوى: تمنح الإنسان حالة الاستقامة.

ب) التقوى: تهب الإنسان قوّة القلب والشجاعة.

ج) التقوى: تعطي الإنسان العزّة والشموخ، وتحرّره من العجز والضعف.

د) التقوى: تقوّي الإحساس بالاستغناء عن الناس وعدم الحاجة.

ه) التقوى: تُبعد الرذائل الأخلاقيّة عن نفس الإنسان.

وهنالك نتائج أُخرى كثيرة نرجؤها الى وقت آخر. ونحن الآن نشاهد النتيجة العمليّة للتقوى في قالب الثورة الإسلاميّة الإيرانية المباركة وحزب الله لبنان، اللذين كان بناؤهما على أساس التقوى الإلهيّة، بينما نشاهد النتيجة العمليّة لعدم التقوى في قالب الدول الإسلاميّة الأُخرى التي ليس فيها حالة الاستقلال والاستقامة، ولم تستطع أن تنجّيَ نفسها من العجز والعبوديّة المبتلاة بها.

الصبر

الإنسان الذي يتّصف بالصبر والحلم سوف يكون موفّقاً في حياته أكثر ممّن ليس له هذه الصفات، فكلّما واجه المشكلات والابتلاءات والقبائح يقوى قلبه ليصل إلى قمّة السعادة.

الصبر هو: ثبات استقامة البواعث الدينيّة في مقابل البواعث النفسانيّة.[٢]

ولا يستغني الإنسان في جميع أبعاد حياته عن الصبر. وقد أوصى الإمام الخمينيّ كثيراً بالصبر، وقال في هذا المورد:

﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ...﴾، إنّ ميزان الإنسانيّة بحسب هذه الآية التي قرأتموها، وميزان السعادة هي أن يكون الإنسان مؤمناً وصابراً ويوصي الآخرين بالصبر وأن يقول الحقّ ويوصي الآخرين بقول الحقّ، وعندما تكونون مؤمنين وصابرين وتوصون الآخرين بالصبر والحقّ، فأنتم حينئذٍ سعداء.[٣]

---

١. الجاثية: ١٩.

٢. *بنيادهاى اخلاق اسلامى*: ٥٠٥.

٣. *صحيفه إمام*: ٣٠١/٧.

فإذاً إحدى الصفات الإلهيّة التي يمكن أن تكون دخيلة في سعادة الإنسان هي: الصبر وتوصية الآخرين به.

وهنالك آيات كثيرة حول هذا الموضوع، نذكر منها ما يلي حسب الآتي:

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.[1]

﴿وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.[2]

﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.[3]

وكما يظهر من هذه الآيات وكلمات الإمام﴿ره﴾ المستندة على هذه الآيات النورانيّة أنّ الصابرين هم الفائزون في كلّ ميدان، بل أكثر من ذلك فقد وعد الله تعالى أن يكون مع الصابرين. فإذاً كلّ مَن كان الله معه، فقد وصل إلى كماله؛ لأنّ حركة جميع موجودات العالم نحو الكمال المطلوب هو نفس وصال خالق الوجود.

الأمانة

وهي من الصفات التي لم يؤخذ فيها دين الإنسان بنظر الاعتبار، وكلّ مَن تحلّى بهذه الصفة فهو يتمتّع بموقع اجتماعي رفيع، ويكون محموداً ومعتمداً بين الناس. ويستطيع الشخص الأمين أن يكون صاحب تأثير كبير في المجال الاجتماعي والسياسي، وأن يتصدّى لإدارة شؤون الدولة، وقد أكّد الإمام الخميني﴿ره﴾ كثيراً على هذه الصفة الإلهيّة وكان يبحث عن الأشخاص الأمناء من أجل تحقيق سعادة المجتمع، يقول﴿ره﴾ في هذا:

> أنتم ذخيرة هذه الدولة، أنتم الجامعيون ذخيرة هذه الدولة. كونوا بنحو تنتفع منكم دولتكم، وأصلحوا أنفسكم حتّى تكونوا إن شاء الله تعالى أفراداً صالحين وملتزمين وأمناء لكي تستطيعوا إدارة دولتكم بأنفسكم، فالإنسان الأمين لا يستطيع أيّ أحد أن يجرفه. والمنحرفون أناس غير أمناء، لا صلاحيّة لهم.[4]

يجب علينا الحفاظ على هذه الأمانة التي استودعنا الله تبارك وتعالى إيّاها، وتلك

---

١. الزمر: ١٠.

٢. الأنفال: ٤٦.

٣. العصر: ١. ٣.

٤. *صحيفه إمام*: ٥/٩.

هي أمانة الروح، أمانة الحياة، أمانة الإسلام، أمانة القرآن.[١]

وكلّ هذا التأكيد من الإمام رحمه الله على التحلي بالأمانة يمكن الحصول عليه من القرآن تأكيداً لهذا الأمر الرحماني. وإليك بعض هذه الآيات الكريمة:

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مِكِينٌ أَمِينٌ﴾.[٢]

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾.[٣]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.[٤]

﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾.[٥]

إذاً يستطيع الإنسان الحصول على السعادة، وبإمكانه السير بالمجتمع نحو السعادة، وأن يخطوَ خطوات موفقة إذا كان فيه أشخاص أمناء. والمجتمعات البشريّة الفاقدة لهذه الصفة الإنسانيّة وقعت فريسة للبؤس والشقاء، وسلب الثقة وشيوع الخيانة.

التزكيّة

إن مفهومي التزكيّة والتطهير من صفتي الإنسانيّة، وكلّ إنسان يريد تزكيّة نفسه على أساس المثل العليا التي يعتقد بها. وتظهر أهمّية التزكيّة من أنّ مالك كلّ الوجود جعل التزكيّة هي الهدف من بعثة الأنبياء. ويقول الإمام الخميني رحمه الله عن هذا الموضوع متحدّثاً:

> إنّ منشأ جميع الاختلافات الموجودة بين البشر هي بسبب عدم التزكيّة، فهدف البعثة هي تزكيّة الناس لكي يستطيعوا بواسطتها تعلّم الحكمة، وتعلّم القرآن والكتاب، وإذا ما تزكّى البشر، فلا مجال للطغيان بعدها.[٦]

ويمكن لنا أن نفهم أهمّية هذا الموضوع من خلال الآيات القرآنيّة. فقد ذكّر الله تعالى في هذا المجال عدّة آيات منها:

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾.[٧]

---

١. المصدر: ٣١٢/١٢.

٢. يوسف: ٥٤.

٣. المؤمنون: ٨، المعارج: ٣٢.

٤. الأنفال: ٢٧.

٥. النساء: ٥٨.

٦. *صحيفه إمام*: ٣٩٠/١٤ ـ ٣٩١.

٧. الجمعة: ٢.

﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾.[١]

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾.[٢]

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾.[٣]

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾.[٤]

فإذاً يريد الله تبارك وتعالى من الإنسان أن يتحلّى بهذه الصفة دائماً، ولهذا لم يترك عبده وحيداً في أيّ وقت من الأوقات، بل أرسل له معلِّم أخلاق ليزكّيه، ولكنّ هذا العبد العاصي لا يريد العمل بتعليمات هذا المعلِّم؛ ولذلك نشاهد الانحراف نتيجة إعراضه عن تزكية نفسه، وبذلك تشيع الفحشاء وينتشر الفساد في هذا العالم.

حُبّ البشر

تعتبر محبّة الآخرين والتعامل معهم على الحبّ من الصفات الحسنة المحمودة، ولا يريد الإسلام مثل هذا السلوك من الإنسان مع إخوانه من المسلمين فقط، بل مع الآخرين أيضاً، أي عموم بني البشر فإنّ الإسلام يؤكّد على المحبّة والأُخوّة والصداقة. يقول الإمام الخميني رحمه الله الذي كان بنفسه مجسّداً للمحبّة:

> صاحب الناس بقلب ملؤه المحبّة، وأدعو لهم بالخير من صميم قلبك، وإذا وجدتَ قلبك رحمانياً أو رحيمياً فقم بالأمر والنهي والإرشاد لكي تُليّن القلوب القاسية برقّ عاطفة قلبك، وتليّن حديدية القلوب بالموعظة الممزوجة بنار المحبّة.[٥]
>
> لماذا لا توجد في قلوبنا ذرّة ممّا في قلوب الأنبياء: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ﴾. فلعلّك تريد هلاك نفسك! تتألم من أجل هؤلاء الناس... . لماذا قلوبنا خالية من ذرّة واحدة ممّا تحلّه هذه النفوس المطمئنة الشريفة لكي نعمل من أجل هذه الأمّة، لا أن نعمل لأنفسنا.[٦]

ويمكن أن نلاحظ الآيات التالية في هذا الباب كالآتي:

---

١. آل عمران: ١٦٤.

٢. البقرة: ١٥١.

٣. البقرة: ١٢٩.

٤. الشمس: ٩.

٥. *آداب الصلاة*: ٢٣٩.

٦. *صحيفه إمام*: ٢١٤/١٤.

﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ أنه طَغَى * فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾.[1]
﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾.[2]
﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾.[3]
﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.[4]

ويتّضح من هذه الآيات والكلمات أنّ الأنبياء كانوا مستعدّين للتضحية بأنفسهم لتغلغل المحبّة، في نفوسهم وهكذا كان دائماً دعاة الرسالة الإسلاميّة، والمثال العملي والمصداق الأمثل في عصرنا الحاضر لها هو شخصيّة الإمام الخميني وعلى أساس هذا المحور من الأنس والمحبّة أرسل رسالته إلى رئيس جمهوريّة الاتّحاد السوفيتي آنذاك وهي من الدول العظمى؛ حبّاً للإنسانية جمعاء.

إذاً فالإسلام يريد الصلح والصفاء والإخلاص والمحبّة، لا الحرب والاغتيالات والعداوة التي يمارسها أعداء الإسلام بلباس الإسلام وباسمه؛ لكي يصلوا إلى أهدافهم المشؤومة. وهؤلاء يعلمون أنّ صفات محبّة البشر لا توجب فقط سعادة شخص واحد، بل تقود سائر المجتمع إلى السعادة، وبالنتيجة فهم لا يستطيعون الوصول إلى ميولهم وأهوائهم النفسيّة، ولذلك يسعون بما أوتوا من قوّة للقضاء على هذه الصفة الأخلاقيّة. ويمكن أن يكون المجتمع الغربي اليوم مصداقاً بارزاً لبغض البشرية وكرهها.

التواضع

التواضع من الصفات والأخلاقيّة التي يخرج بها الإنسان عن التكبّر بأقواله وأفعاله، ويداري الناس بلطف، والإنسان المتواضع يجد لنفسه موضعاً في قلوب الناس، ويكون حاكماً على قلوبهم. وقد أوصى الإمام الخميني ـ الذي كان مثالاً لهذه الصفة الرحمانيّة ـ جميع الناس بالتواضع، فهو يقول في هذا :

---

١. طه: ٤٣ ـ ٤٤.
٢. الكهف: ٦.
٣. الشعراء: ٣.
٤. التوبة: ١٢٨.

أنت بتواضعك تفتح قلوب الناس، فعندما يتوجّه إليك قلب إنسان يظهر آثاره، ولكن عندما تنفر عنك القلوب، فستكون آثارها على عكس المطلوب. وأنت إذا أردت أن تكون محترماً وكبيراً ـ على سبيل الفرض ـ فيجب عليك سلوك هذا الطريق، وهو مماشاة الناس والتواضع لهم.[1]

أيّها الزوّار المحترمون، لا ينبغي أن يكون إحساسكم بعظمة ثورتكم وأهميتها أن تصابوا بالعُجب والغرور في مقابل المسلمين وباقي الدول، وأن تنظروا ـ لا سامح الله ـ إلى أعمال وسلوك المسلمين بالإهانة والاحتقار فتحرموا من الأنس مع أحباء الله في مكّة المكرّمة، وتغفلوا عن شكر هذه النعم الإلهيّة الكبرى، وهي التواضع للمسلمين والمستضعفين وإخوانكم في الدين.

أحكموا وعلاقات الصداقة والارتباط مع المسلمين عند بيت الله الحرام ومرقد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وكرّروا الحديث معهم حول هذه الثورة الإسلامية ولطف الله بكم.[2]

وهذه الكلمات للإمام رحمه الله مستمدة من كلام الله تبارك وتعالى، ومتأثّرة من قوله تعالى:

﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ...﴾.[3]

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً﴾.[4]

فإذاً التواضع ضامن لسعادة حياة الفرد والمجتمع، والأشخاص الذين يعيشون حياة التواضع مع بعضهم يبنون المجتمع بعيداً عن الفساد والفحشاء، والحرب وسفك الدماء.

العفّة

إنّ النجابة والعفّة صفتان مهمّتان من أهمّ الصفات الأخلاقيّة الحميدة، والمجتمع الذي يُقيم بُنيانه على أساس العفّة والنجابة يكون مجتمعاً شامخاً وسعيداً. وقد أكّد الإمام الخميني رحمه الله ـ الذي كان في عفّته كالماء الزلال ـ على وجوب أن يتحلّى المجتمع البشري بالعفّة؛ لكي يستطيع أن يكون مجتمعاً سالماً. انظروا إلى ما يقوله في مختلف المناسبات:

... العفّة: عبارة عن تعديل وتهذيب القوّة الشهويّة.[5]

---

١. شرح *چهل* حديث: ٨٦

٢. *صحيفه إمام*: ٣٤٥/٢٠.

٣. لقمان: ١٩.

٤. الفرقان: ٦٣.

٥. شرح حديث جنود *عقل وجهل*: ١٥١.

... ليس هنالك إنسان حرّ يعمل خلاف ما تقتضيه العفّة.[١]

إنّ الإسلام يعارض كلّ ما يخالف العفّة، ونحن ندعو إلى الالتزام بالحجاب الإسلامي.[٢]

ينبغي أن يُعلم أنّ علماء الأخلاق أدخلوا فضائل النفس تحت أربعة أنواع، هي: الحكمة، والعفّة، والشجاعة، والعدالة. واعتبروا الحكمة فضيلة النفس الناطقة المميّزة، والشجاعة من فضائل النفس الغضبية، والعفّة من فضائل النفس الشهوية، والعدالة تعديلاً للفضائل الثلاث.[٣]

أنتم أيّها الرجال والنساء الذين تربّون أولاداً شجعاناً في إيران، إنّ حجوركم هي حجور العصمة والعفّة والعظمة، عليكم أن تربّوا أولادكم تربية جيّدة.[٤]

ويؤكّد الإمام في كلامه هذا على عفّة الإنسان، سواء أكان رجلاً أم امرأة، فهو يعتبر الإنسان العفيف إنساناً حرّاً، وينعت بالفجور مَن تلوّثت عفّته. وهذه الكلمات منه صدىً لكلام الحقّ تبارك وتعالى، ويمكن تطبيقها مع الآيات الإلهيّة. ونشير فيما يلي إلى الآيات التي تدعو الإنسان إلى الطهارة والعفّة:

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾.[٥]

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾.[٦]

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحاً حتّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.[٧]

﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاء اللاتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحاً فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.[٨]

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا

---

١. *صحيفه إمام*: ٢٨٣/٨.

٢. المصدر: ٥٤١/٥.

٣. شرح *چهل حديث*: ٥١٠ ـ ٥١١.

٤. *صحيفه إمام*: ٥٠١/٦.

٥. النور: ٣٠.

٦. المؤمنون: ٥؛ المعارج: ٢٩.

٧. النور: ٣٣.

٨. النور: ٦٠.

وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾[1]

لقد أمر الله تبارك وتعالى الإنسان وألزمه بالحفاظ على عفته، بل إنّه من غير الملائم أن يصدر منه عملاً خلاف العفّة، وكما يلاحظ في كلام الله تبارك وتعالى، وفي خطابات الإمام رحمه الله التأكيد أكثر على عفّة النساء وحجابها الذي يلعب دوراً مهمّاً ليس فقط في عفّتها وطهارتها، بل في عفّة وطهارة الرجال أيضاً، ويصل تأثيره إلى المجتمع بأسره، فالحجاب ضامن لعفّة المرأة وسلامة المجتمع، والمجتمع الذي تنمو عفّته في ظلّ ارتداء الحجاب هو أكثر سعادة من المجتمعات التي لا تلتزم بالحجاب المانع من السقوط في هوى النفس ورغباتها غير الإنسانيّة.

لقد أصدرت فرنسا ـ وهي تدّعي بأنّها أوّل من اعترفت بحقوق الإنسان ـ في السنوات الأخيرة قانوناً يمنع ارتداء الحجاب؛ لأنّهم رأوا النساء المسلمات في بلدانهم يمارسن دورهنّ الاجتماعي، وهنّ محجبات ومحافظات على عفّتهن في مجتمع قائم على أساس الأمن والسلامة والصفاء، ممّا يمنع وصول أمثال فرنسا من الوصول إلى الأهداف غير الإنسانيّة والمخالفة للعفّة والعصمة.

وحاصل الكلام: إنّ العفّة ضمان لسلامة المجتمع من الانحراف، وأساس لتربيّة جيل صالح في المجتمع في سبيل نيل السعادة وتحقيق الأهداف العالية.

الإخلاص

الإخلاص هو: أن يطهّر الإنسان نيّته من المفاسد والعيوب. ولا خوف على الإنسان المخلص الذي جعل نفسه وأعماله خالصة لله تعالى، وسيكون موفّقاً في جميع أبعاد حياته؛ لأنّه يقدّم عمله إلى مَن بيده تدبير كلّ شيء؛ ولهذا فإنّ الله تعالى سيكون معه. هكذا ينظر الإمام الخميني رحمه الله إلى الإخلاص ويوصي به ويرسّخ جذور الأخلاق في نفسه في جميع أُموره يقول رحمه الله:

كونوا مخلصين، واخدموا من أجل الله تعالى وعباده، واطلبوا الثناء والأجر من الله

---

١. النور: ٣١.

تعالى، فهو الذي يجازيكم ويعطيكم الأجر.[١]

اسعوا أن تكون أعمالكم لله تعالى، وعندما تكون أعمالكم له، فلا خوف عليكم من أيّ شيء، وسيكون الله معكم، ومن كان الله معه، فلا خوف عليه من أيّ شيء.[٢]

لا ينبغي لأيّ أحد منّا أن يتوقّع المدح، يجب علينا أن نعمل بحكم الله تعالى، وأن لا نهتّم بمسألة أيّ شخص يدخله السرور لعملنا في سبيل الله، وأيّ شخص لا يسرّه ذلك.[٣]

إذا كان لشخص يريد امتلاك الجن والأنس أو امتلكها، وكان دافعة من ذلك إلهيّاً دينيّاً، فهو عارف بالله وزاهد في الدنيا، وإذا كان دافعه لذلك نفسانيّاً وشيطانيّاً، فإنّ كلّ ما يحصل عليه، ولو كان بمقدار سبحة يسبّح بها يُبعده عن الله تعالى بذلك المقدار.[٤]

وكلمات الإمام رحمه الله هي ـ في الواقع ـ شرح لكلام الله تعالى الذي جعل الإخلاص وديعة عند عباده. ونذكر فيما يلي الآيات الكريمة حول الإخلاص:

﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾.[٥]

﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ...﴾.[٦]

﴿أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾.[٧]

﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾.[٨]

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء﴾.[٩]

إذاً فالإخلاص يوجب سعادة الإنسان والمجتمع؛ لأنّه عندما تكون جميع أعمال الإنسان لله تعالى، وليس الله شيء سوى الخير والكمالات والجمال، إذاً فهذا الإنسان لا يأتي من

---

١. *صحيفه إمام*: ٤٤٣/١٧.

٢. المصدر: ٤٤٤/١٠ ـ ٤٤٥.

٣. المصدر: ٤٤١/١٧.

٤. المصدر: ٥١٢/١٨.

٥. الأعراف: ٢٩.

٦. الزمر: ٢.

٧. الزمر: ٣.

٨. الزمر: ١١.

٩. البيّنة: ٥.

الأعمال إلّا ما كانت خيراً وكمالاً وجمالاً إلهيّاً، وبالنتيجة فإنّ ذلك المجتمع وأفراده سيكونون في صعود مستمرّ نحو السعادة.

التضحيّة

ومن الصفات الرحمانيّة الأُخرى التي لها دخل في سعادة الإنسان هي التضحيّة. وهذه الصفة تجلب النصر للإنسان في جميع أبعاد حياته. وقد اعتبر الإمام الخمينيّ﵀ صفة الإيثار السبب في انتصار أبطال الإسلام في الدفاع المقدّس، يقول﵀:

> لقد كان هذا التوجّه إلى الله، والارتباط به تعالى والتضحيّة هو سرُّ الانتصار. فما دام الإنسان مشغولاً بأهوائه منهمكاً برغباته، معرضاً عن ربّه فسوف يكون ذلك سبباً لانتكاسته في معترك الحياة، كما أنّ التوجّه إلى الله يؤدّي إلى الموفقية والانتصار، ولقد نصركم الله حينما أعرضتم عن آمالكم الدنيوية.[1]

وعندما تشير الآيات الكريمة إلى التضحيّة بعض الأشخاص، فإنّها تذكرهم بعنوان أنّهم أشخاص شجعان لا يحزنون.

﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.[2]

﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾.[3]

إذاً فالإنسان الذي توجد فيه هذه الخصوصيّة سيكون موفّقاً في حياته ومقتنعاً بها، وذا تأثير كبير في ضمان سعادة المجتمع والأشخاص كافّة.

العزم والإرادة القوية

ومن الصفات والخصائص الإنسانيّة الأُخرى التي لها دور في سعادة الفرد والمجتمع هي: العزم والإرادة، وهما يعتبران من نقاط قوّة الإنسان، كما سيتّضح ذلك من الآيات الإلهيّة وكلمات الإمام الخمينيّ﵀ الآتية.

وقوّة العزم والإرادة في كلّ إنسان بمقدار معرفته، فكلّما ازدادت معرفته بالأشياء ازدادت

---

١. *صحيفه إمام*: ١١/٣٦٨ ـ ٣٦٩.

٢. البقرة: ١١٢.

٣. لقمان: ٢٢.

إرادته لذلك الشيء، فالمعرفة مؤثّرة في تحديد مصير الإنسان وسعادته. يقول الإمام الخميني رحمه الله في هذا:

العزم: جوهرة إنسانيّة، وميزان امتياز الإنسان وتفاوت درجاته يكون بحسب تفاوت درجات عزمه.[1]

والعزم والإرادة القويّة لازمة جدّاً في ذلك العالم ومؤثّرة أيضاً، والميزان درجة من درجات الجنّة، وهي من أفضل الجنان، ولا يحظى الإنسان بتلك الجنّة ما لم يكن صاحب إرادة نافذة وعزم قوي.[2]

ونذكر فيما يلي الآيات التي تتحدّث عن هذا الموضوع:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾.[3]

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.[4]

﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾.[5]

وهذه الآيات والأقوال السالفة الذكر تبيّن العزم والإرادة القويّة في سبيل الله، وكلّما كان العزم والاستقامة قويّة في هذا الطريق، فإنّ الرعاية الإلهيّة ستكون قويّة بذلك المقدار، وستكون السعادة حليفه دائماً.

إذاً كم هو جميل أن يكون عزم الإنسان قويّاً، ويظهر في هذا السبيل الثبات والاستقامة من أجل نيل السعادة، وتحقّق المجتمع السعيد؟

قوّة القلب

كلّ مَن كان ذا قلب سليم وقوي، فإنّه سيتغلب على الصعاب دونما ريب، ويكون ذلك ضامناً لسعادته. وقد أكّد الإمام الخميني رحمه الله كثيراً على تقوية القلب، كما أكّدت الآيات القرآنيّة على أنّ الجنّة ستكون من نصيب ذوي القلوب السليمة والقويّة. يقول الإمام رحمه الله في هذا المورد:

---

١. شرح *چهل حديث*: ٧.
٢. المصدر: ١٢٥.
٣. فصّلت: ٣٠.
٤. الأحقاف: ١٣.
٥. الجن: ١٦.

إنّ الفكر يسبق كلّ عمل، وكلّ عمل لا بدّ من التفكّر والتأمّل في جوانبه قبل القيام به. وإذا ما كان في روحنا ضعف، فإنّنا لا نستطيع أن نعمل شيئاً، قوّوا أرواحكم، وقوّوا قلوبكم، وانقطعوا إلى الله.[1]

﴿إِلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.[2]

﴿إِذْ جَاء رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.[3]

إذاً فالإنسان صاحب القلب السليم والقوي يستطيع أن يكون مؤثّراً في سعادته وسعادة المجتمع. نسأل الله تبارك وتعالى أن يهب لنا قلباً مطمئناً، كما وهب للإمام رحمه الله قلباً مطمئناً في جوار رحمته.

الذكر الدائم لله

ذكر الله تعالى والتوجّه إليه يهدي الإنسان إلى الخير والإحسان، ويقوده إلى السعادة. يقول الإمام رحمه الله بهذا الصدد:

إنّ أصل نجاة الناس واطمئنان قلوبهم وانعتاقهم وتحرّرهم من الدنيا ومتعلّقاتها، لا يحصل إلّا بالذكر الدائم لله تعالى.[4]

لا تنسوا التوجّه إليه سبحانه، فإنّ التوجّه إليه منشأ لجميع الخيرات لدنياكم وآخرتكم، وبذكره تعالى تطمئن القلوب: ﴿أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾.[5]

ونذكر هنا بعض الآيات التي تحثّ الإنسان على ذكر الله:

﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾.[6]

﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾.[7]

﴿إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾.[8]

---

١. *صحيفه إمام*: ٤٢٦/١٨.

٢. الشعراء: ٨٩.

٣. الصافات: ٨٤.

٤. *صحيفه إمام*: ١٨/٥١٠ ـ ٥١١.

٥. المصدر: ١٥٥/١٠.

٦. النور: ٣٧.

٧. الرعد: ٢٨.

٨. الشعراء: ٢٢٧.

﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً * وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً﴾.[١]
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾.[٢]
﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاَةَ فَاذْكُرُواْ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ...﴾.[٣]
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ﴾.[٤]
﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُواْ اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ﴾.[٥]

إذاً فذكر الله تعالى يضمن هدوء الإنسان واطمئنانه، ويتبعه هدوء المجتمع واطمئنانه؛ لأنّ ذكره تعالى سبب لعشقه، والشخص العاشق، لا يأتي من الأعمال إلّا ما يرضى بها معشوقه. وانطلاقاً من كون ذكر الله ينبوعاً لكلّ كمالات الخير، فالإنسان لا يفكّر حينئذٍ إلّا في الأعمال الحسنة، وبالنتيجة فإنّ حركة المجتمع ستصاحب حركة الفرد نحو السعادة والكمالات الرحمانيّة يقيناً.

التوكّل على الله

التوكّل هو: الاعتماد على الغير، والتوكّل على الله يعني الاعتمادعليه. وهذه الصفة الرحمانيّة مؤثّرة جداً في حياة الفرد والمجتمع، ولها دور في نجاحه وموفقيّته. وقد أكّد الإمام الخميني كثيراً على هذه الصفة الإنسانيّة الحميدة، قال قائلاً:

إنّ مبدأ عزّة النفس هو التوكّل على الله تعالى والاعتماد على الحقّ سبحانه، وغايته هو الله تعالى، وثمرته ترك غيره.[٦]

ما دام الاعتماد على الله موجوداً، وما دام التوجّه إلى الله موجوداً، وما دامت روحيّة الشجاعة هذه موجودة عندكم، فإنّكم ستنتصرون.[٧]

ما دمتم متمسّكين به سبحانه، فلا تخافوا من أيّ شيء ومن أيّ أذىً؛ لأنّ غاية ما

---

١. الإنسان: ٢٥ ـ ٢٦.
٢. الأحزاب: ٤١ ـ ٤٢.
٣. النساء: ١٠٣.
٤. الأنفال: ٤٥.
٥. البقرة: ٢٠٠.
٦. *شرح حديث جنود عقل وجهل*: ٣٣٦.
٧. *صحيفه إمام*: ٥٨/٧.

يواجهه الإنسان القتل والشهادة في سبيل الله، وليس في ذلك أيّ خوف.[1]

ونذكر الآن الآيات القرآنيّة التي كانت منشأ لكلمات الإمام رحمه الله:

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ﴾.[2]

﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾.[3]

﴿عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا...﴾.[4]

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.[5]

﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾.[6]

﴿قُلْ حَسْبِيَ اللهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾.[7]

إذاً فهذه الآيات القرآنيّة، وكلمات الإمام الخميني رحمه الله التي هي بيان لهذه الآيات، تتضمّن صفة التوكّل التي تغيّر الرؤية الفكريّة للإنسان، وتهديه إلى الجهة الصحيحة، فلا تؤثّر الحوادث العصيبة على عزمه واستقامته، أو لا تترك فيه أثراً سلبيّاً، بل تبعث فيه قوّة وتكون منشأ لكثير من الصفات الفاضلة عنده.

إذاً إذا استفاد أفراد مجتمع ما من هذه الخصلة، فإنّهم لن يكونوا متأخّرين وعاجزين في أيّ وقت من الأوقات، بل يمكن أن يكونوا مجتمعاً سعيداً ومملوءاً بالصفات الرحمانيّة.

السيطرة على اللسان

اللسان إحدى النعم الإلهيّة، ولكن هذه النعمة إذا لم يستفد منها بشكل صحيح تتبدّل إلى نقمة، فإنّ أكثر الناس يدخلون النار بسبب ألسنتهم. نعم، الاستفادة الصحيحة من اللسان والسيطرة عليه تمنح الإنسان الثبات في الطريق الصحيح. وإذا ما فقد الإنسان السيطرة على لسانه، فسيتعرض إلى آفات كثيرة لا يمكن إحصاؤها.

---

١. المصدر: ٥١١/١٢.
٢. الفرقان: ٥٨.
٣. آل عمران: ١٥٩.
٤. الأعراف: ٨٩.
٥. التوبة: ٥١.
٦. يوسف: ٦٧.
٧. الزمر: ٣٨.

وقد أكّد الإمام الخمينيرحمه الله كثيراً على سيطرة اللسان، قائلاً:

إنّ عصا اللسان وعصا القلم هي من أشدّ العصي، حيث إنّ فسادها يعادل مئات المرّات من باقي العصي... . فعندما يريد الإنسان التكلّم يجب عليه أن يملك لسانه، وأن يكون مسيطراً عليه، لا أن يسيطر الشيطان على نفسه وعلى لسانه.[1]

وقد خاطب الإمامرحمه الله زوجة ابنه السيّدة الطباطبائي قائلاً:

نظراً للعلاقة العاطفيّة التي تربطني بك وبأحمد، فإنّي أُوصيكما بالحذر من الآفات الشيطانيّة، وخاصّة آفات اللسان الكثيرة، وأن تبذلوا جهدكم بالسيطرة عليه.[2]

ونذكر هنا بعض الآيات القرآنيّة في باب القول واللسان:

﴿لاَّ يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللّهُ سَمِيعاً عَلِيماً﴾.[3]

﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾.[4]

وقد أكّدت الآيات القرآنيّة على أنّ الإنسان يجب أن يكون قوله معروفاً وليّناً وجميلاً، ونهت بشدّة عن إظهار القبائح بواسطة اللسان إلّا حيال الظلم. إذاً هذه الخطابات والآيات تبيّن أن المساحة المسموح للسان التحرك فيها هي الأقوال الجميلة والظاهرة، لا الجهر بالسوء وقبائح الناس؛ لأنّ هذا العمل يوجب الفساد.

العدالة

إنّ العدالة والوسطية في الأمور الحياتيّة قد أُبتنيت عليها جميع الفضائل الأخلاقيّة في الدين الإسلامي، وهي ليست في عرضها، ولمّا كان المجتمع البشري اليوم بحاجة إلى هذه الفضيلة قبل أيّ شيء آخر، فلا بدّ من الإشارة إليها هنا بنحو إجمالي.

وللإمام الخمينيرحمه الله في هذا الموضوع كلمات كثيرة نتطرّق لها هنا بصورة مختصرة جدّاً حسب الآتي:

العدالة هي الحدّ الوسط بين الإفراط والتفريط والغلو والتقصير، وهي من الفضائل الإنسانيّة الكبيرة، بل نُقل عن الفيلسوف الكبير أرسطا طاليس: العدالة ليست جزءاً من

---

١. *صحيفه إمام*: ١٤/١٤٤ ـ ١٤٥.

٢. المصدر: ١٨/٤٥٦.

٣. النساء: ١٤٨.

٤. الشعراء: ٨٤.

الفضيلة، بل هي جميع الفضائل.

والجور ـ الذي هو ضدّها ـ ليس جزءاً من الرذيلة، بل هو مجمع الرذائل كلّها[1].

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾.[2]

﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.[3]

﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾.[4]

وإذا ما كان العدل والقسط قائماً في جميع أبعاد حياة الفرد والمجتمع، فسوف لا يكون هنالك أيّ فساد في هذا العالم. وما نراه من شيوع القتل والقتال والفحشاء، والفساد في شرق العالم وغربه فسببه عدم العدالة والإفراط والتفريط في الأمور الفرديّة والاجتماعيّة والسياسيّة وغيرها.

التوبة

إذا ارتكب الإنسان ذنباً أو خطأً وأحسّ بعدها بالندم واعتزم على تركه في المستقبل، يقال: إنّ هذا الشخص قد تاب، وهذا يستدعي أن يكون للتائب مقاماً جيّداً بين الصالحين، ولكن لا ينبغي للإنسان تأخير التوبة، بل يجب عليه المسارعة لكسب هذه الفضيلة. وقد تحدّثت آيات الذكر الحكيم بصراحة عن هذا الموضوع، وانطلاقاً من هذه الآيات أوصى الإمام الخميني رحمه الله بالسعي لكسب هذه الفضيلة، ويقول رحمه الله في هذا المورد:

أيّام الشباب هي ربيع التوبة، حيث ثقل الذنوب أخفّ، وكدورات القلب وظلمة الباطن أقلّ، وشروط التوبة أسهل، فالإنسان في الشيخوخة يكون حرصه وطمعه وحبّه للجاه والمال وطول أمله أكبر... .

إذاً فيا أيّها العزيز، خف من مكائد الشيطان وكن منه على حذر! ولا تتعامل مع الله بالمكر والحيلة، حيث نقضي خمسين عاماً من العمر في الركض وراء الشهوات وعند الموت نجبرها بكلمة الاستغفار.

إنّ هذا مجرّد خيال ساذج... . فعليك أيّها العزيز، المبادرة إلى الاستعداد وأن تتمنطق بنطاق الهمّة وتجعل عزمك محكماً وإرادتك قويّة، وعليك بالتوبة من ذنوبك ما دمت في أيّام شبابك أو ما دمت في الحياة الدنيا، ولا تدع الفرصة التي وهبها الله لك من

---

١. شرح حديث جنود عقل وجهل: ١٥٠.

٢. النحل: ٩٠.

٣. الحجرات: ٩.

٤. النساء: ٥٨.

الفوات، ولا تهتمّ بتسويلات الشيطان ومكائد النفس الأمارة.[١]

ونشير هنا إلى بعض الآيات التي تتحدّث عن التوبة:

﴿أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.[٢]

﴿وَالَّذِينَ عَمِلُواْ السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِهَا وَآمَنُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.[٣]

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.[٤]

﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً * وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾.[٥]

من هنا يمكننا أن نفهم قيمة التوبة في أيّام الشباب، كما صرّحت بذلك الآيات القرآنيّة، وأوصى به الإمام الخميني في ظلّ هذه الآيات الكريمة. فالإنسان التائب ـ مضافاً إلى بناء حياته الشخصيّة ـ يصنع المجتمع ويرتقي به نحو الكمال والسعادة، نسأل الله تعالى أن يجعلنا من التائبين.

الرذائل الأخلاقيّة

حبّ النفس

أجمع علماء الأخلاق على ذمّ حبّ النفس واتّباع الهوى التي تجعل الإنسان يحبّ أن تكون جميع الأشياء له، ولنفسه وتابعة لنفسه الأمارة. ويُعتبر حبّ النفس من الرذائل الأخلاقيّة، وما لم يُحرّر الإنسان نفسه من هذا القيد فهو واقع في المفسدة، ولا يستطيع الحصول على السعادة الواقعيّة؛ لأنّ الإنسان يعرّض نفسه وشرفه وكرامته، حتّى دينه وإيمانه للخطر من أجل حبّ النفس، ونيل أهوائه النفسانيّة التي تجعله مستعداً لارتكاب كلّ فعل للحصول على رغباته. ولهذا وقع حبّ النفس الأمارة محلّاً للذمّ في الآيات الإلهيّة.

ومن هذا المنطلق كانت مورداً للذمّ أيضاً في كلمات الإمام التالية:

---

١. شرح چهل حديث: ٢٧٣ ـ ٢٧٤.

٢. التوبة: ١٠٤.

٣. الأعراف: ١٥٣.

٤. النحل: ١١٩.

٥. النساء: ١٧ ـ ١٨.

إنّ من النتائج الخبيثة لحبّ النفس وحبّ الدنيا هي أن تعمي عين الإنسان وتصم أذنه عن غير الشهوات والآمال الدنيويّة.[١]

إنّ حبّ الدنيا و حبّ النفس عقبة في طريق الإنسان للوصول إلى كلّ كمال... وأمّ الأوثان، وهي وثن نفسك.[٢]

بسبب حبّ النفس والدنيا اشتعلت نار الشهوة والغضب، وعلى أثر تلك القوة الواهمة تخرج عن حدّ الاعتدال وتنجر وراء الخطط الشيطانية... هذه هي أمّ الأمراض التي يبتلي الإنسان بأنواع الابتلاءات، وتجرّه إلى الهلاك الأبدي.[٣]

نفس الإنسان متمردة، إذا غفل الانسان عنها لحظة والعياذ بالله فإنّها تجرّه إلى الكفر فضلاً عن الفسق.[٤]

إنّ جميع الابتلاءات التي يمرّ بها الإنسان منشؤها حبّ الإنسان نفسه... وجميع ما نتعرّض له من ابتلاءات هي بسبب حبّ الجاه وحبّ النفس، حبّ الجاه يبعث الإنسان نحو القتل، ويدفعه إلى الفناء، ويلقيه في جهنم. فهو رأس كلّ خطيئة.[٥]

... إنّ شيطان النفس الأمّارة في كلّ انسان أكبر من جميع الشياطين ـ حتّى هذا الشيطان الكبير المعروف ـ.[٦]

ونشير هنا إلى بعض الآيات الإلهيّة التي تذمّ حبّ النفس والأهواء النفسانية:

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * وَقَالُوا مَا هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾.[٧]

﴿وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾.[٨]

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى﴾.[١]

---

١. شرح حديث جنود *عقل وجهل*: ١٧٢.
٢. المصدر: ٢٥٤.
٣. المصدر: ٢٥٥ ـ ٢٥٦.
٤. *صحيفه إمام*: ٢/ ٣٩.
٥. *تفسير سوره حمد*: ١١١.
٦. *صحيفه إمام*: ١٣/ ١٩٩.
٧. الجاثية: ٢٣ ـ ٢٤.
٨. الأنعام: ١٥٠.

﴿وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾.[٢]

﴿وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾.[٣]

إذاً اعتبرت هذه الآيات حبّ النفس منشأً لجميع الأعمال السيئة، بل اعتبرت علّة إنكار الرسل والأنبياء هي الأهواء النفسانيّة، بل أكثر من ذلك حينما اعتبرت هوى النفس إلهاً لهؤلاء الغافلين. وكذلك ذهب الإمامﷺ ـ وانطلاقاً من هذه الآيات الكريمة ـ إلى أنّ حبّ النفس أُمّ الأوثان وأُمّ الأمراض.

ويمكن القول: إنّ مثل هذا الشخص لا يحصل على أيّ نفع، ولا يمكن توقّع حصول المجتمع على نفع منه، بل على العكس من ذلك؛ فإنّه يلهث وراء هوى نفسه، ويعرّض أفراد المجتمع إلى الخطر، بل يعرّض المجتمع نفسه إلى الخطر. فحبّ الجاه هذا وحبّ النفس يجرّ صاحبه إلى معارك دموية، ولن يحصل المجتمع البشري منه غير الفساد، ولهذا تكون هذه الخصلة منبع لكلّ قبح وسوء.

العجب

العجب أحد أنواع التكبّر الذي يوصل الإنسان إلى الهلاك. وتنشأ هذه الصفة الرذيلة من جهل الإنسان، وإلّا فإنّ الإنسان لو كان عارفاً بنفسه وكانت معرفته بخالقه أكبر، فسوف لا يبتلى بهذا المرض الروحي في أيّ وقت من الأوقات. وقد عدّ الإمام الخمينيﷺ هذه الخصلة من المهلكات، يقولﷺ:

> العجب تكبّر وتعالٍ على الآخرين وادّعاء للعظمة، والإنسان عندما يرى كمالاً لنفسه تعرض له حالة من السرور والغنج والدلال وغير ذلك، ويطلق على هذه الحالة بالعجب.[٤]

ويرى الإمامﷺ أنّ للعجب مراتب، ومن جمله مفاسده: استصغار المعاصي، والاعتماد على أعماله، واعتبار الناس لا شيء، والرياء، والتكبر... ، يقولﷺ:

---

١. النجم: ٢٣.

٢. ص: ٢٦.

٣. الكهف: ٢٨.

٤. شرح *چهل* حديث: ٧٩.

اعلم أنّ العجب بنفسه من المهلكات والموبقات التي تجعل إيمان الإنسان وأعماله هباءً منثوراً.[١]

ونشير أيضاً إلى الآيات الإلهيّة:

﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً﴾.[٢]

﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾.[٣]

إذاً ربّما يظنّ الإنسان أنّ بعض الأعمال السيئة حسنة، ممّا يسبب له حالة العجب.

التكبّر

التكبّر إحدى ثمرات العجب، وقد وقع التكبّر محلّاً للذمّ في الدين الإسلامي؛ لأنّ التكبّر يمنع الإنسان من الحصول على السعادة؛ لأنّ المتكبّر يرى نفسه دائماً أكبر من الآخرين، ولهذا لايرضخ للحقّ، والذي لا ينصاع للحقّ كيف يمكن أن يصل إلى السعادة؟ ولقد ذمّ القرآن هذه الخصلة بنحو صريح. وعلى ضوء هذه الآيات منع الإمام رحمه الله بشدّة عن هذه الصفة، يقول رحمه الله:

التكبّر حالة نفسانيّة تجعل الإنسان يشعر بالترفع والتعالي والأفضليّة على الغير، فتظهر منه بسبب ذلك بعض الأعمال التي يطلق عليها عنوان التكبّر، حيث لا يرى المتكبّر فيها إلّا نفسه، فيصير أنانيّاً، فإذا ازدادت أنانيته يصير معجباً بنفسه، وإذا طفح عجبه ضيّع نفسه وباعها.[٤]

الغرور يوقع صاحبه في حبائل الشيطان والنفس الأمارة، ويمنعه من كسب المعارف وتحصيل الأخلاق الكريمة والأعمال الصالحة.[٥]

ونذكر فيما يلي بعض الآيات الناهية عن التكبّر:

﴿وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾.[٦]

---

١. المصدر: ٦٧ ـ ٦٨.

٢. فاطر: ٨.

٣. الكهف: ١٠٤.

٤. شرح *چهل* حديث: ٧٩.

٥. شرح حديث جنود *عقل وجهل*: ١٣٢.

٦. الحديد: ٢٣.

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾.[١]

إذاً يمكن القول ـ بعد الأخذ بنظر الاعتبار هذه الخطابات ـ: إنّ الإنسان المتكبّر، وفي الواقع يضيّع نفسه؛ لأنّه يُبعدها دائماً عن تحصيل الكمالات والصفات الحسنة، فلا نفع فيه لنفسه، ولا للمجتمعات البشريّة، والإنسان المتكبّر إذا أراد أن يعيش سعيداً فعليه أوّلاً معالجة مرض التكبّر في نفسه.

الحسد ومفاسده

ومن الرذائل الأُخرى التي وقعت محلّاً للذمّ: الحسد، وهو عبارة عن إرادة الاستحواذ على النعم التي أُعطيت للآخرين، والرغبة في عدم امتلاك الآخرين لها. وينبعث الحسد من الحقد، والحسود لا يمكن أن يحصل على السعادة الواقعيّة؛ لأنّه سيتضرّر أوّلاً بالحسد عند إظهاره قبل أن يتضرّر به المحسود، كالشيطان الذي حلّت به اللعنة الأبديّة بسبب حسده! والحسود ـ في الواقع ـ يعصي الله سبحانه بحسده ويعترض على العدل والحكمة الإلهيّة؛ لأنّه يحسد ما وهبه الله تعالى من النعم لأحد عبيده.

وقد أشار القرآن إلى موارد الحسد، وطلب من رسوله أن يستعيذه بالله من شرّ حاسد إذا حسد. وقد أكد الإمام رحمه الله كثيراً على الابتعاد عن هذه الرذيلة، ويقول رحمه الله في هذا المورد:

اعلم أنّ الحسد أحد الأمراض القلبيّة المهلكة التي يتولّد منها أمراض قلبية أُخرى كثيرة من الكبر والمفاسد العمليّة التي كلّ واحدة منها من الموبقات، وسبب مستقلّ لهلاك الإنسان ... . وأنّ الحسد ليأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب... . المؤمن لا يريد الشرّ للمؤمنين ويطلب العزّة لهم، والحسود على خلاف ذلك.

المؤمن لا يغلبه حبّ الدنيا، والحسود مبتلى بهذه الرذيلة لشدّة حبّه لها، المؤمن لا يخاف ولا يحزن إلّا من المبدأ المتعال ومَن إليه الرجوع، والحسود، خوفه وحزنه يدور حول المحسود. المؤمن مبسوط الجبين وبُشره في وجهه، والحسود جبينه مقبوض وعبوس. المؤمن متواضع، والحسود متكبّر... .

ومن المفاسد الكبيرة التي هي من لوازم الحسد: الغضب على الخالق وولي النعم والإعراض عن تقديراته.[٢]

---

١. لقمان: ١٨.

٢. شرح چهل حديث: ١٠٨ ـ ١٠٩.

ونذكر هنا بعض الآيات التي أشارت إلى رذيلة الحسد:

﴿وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.[1]

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾.[2]

﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾.[3]

إذاً فالحسد من مهلكات النفس، ويذهب بالأعمال الصالحة للإنسان، والحسد يجعل صاحبه من جيش الشيطان فيرتكب جميع الأعمال السيئة. فالحاسد لا يشكل خطراً على نفسه فحسب، بل خطره يعم المجتمع بأسره.

الغضب

الإنسان القوي هو مَن يستطيع أن يمسك نفسه عند الغضب ويجعله تحت سيطرة العقل والشرع، ولا يغضب إلّا في موضع الغضب، فيطفئ شعلة الغضب أمام الأشخاص عديمي الفهم والضعفاء. يقول الإمام الخميني رحمه الله حول هذا الموضوع:

> كثيراً ما نرى إنساناً يغضب، ومن شدّة غضبه يخرج عن دينه وينطفئ نور الإيمان في قلبه، فتحرق ظلمة الغضب وناره العقائد الحقّة، بل يظهر عنده الكفر الجحودي فيجرّه إلى الهلاك الأبدي. وعندما ينتبه إلى ذلك لا ينفعه الندم.[4]

ثُمّ ينقل حديثاً عن الإمام الباقر عليه السلام في حديث يخاطب فيه المولى الجليل موسى عليه السلام:

> ياموسى، أمسك غضبك عمّن ملّكتُك عليه، أكفُّ عنك غضبي.[5]

وهنالك أمثلة في القرآن الكريم تؤكّد ضرورة كظم الإنسان غيظه وإطفاء نار غضبه.

﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.[6]

---

١. الحشر: ١٠.

٢. البقرة: ١٠٩.

٣. الفلق: ٩.

٤. شرح *چهل حديث*: ١٣٦.

٥. *الكافي*: ٣٠٣/٢، الحديث٧.

٦. آل عمران: ١٣٤.

﴿لاَّ يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ۞ إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾.[١]

نعم، فالإنسان الناجح في حياته هو من يستطيع أن يوجد في نفسه ملكة العفو وكظم الغيظ.

الغرور والأنانية

عندما لا يستطيع الإنسان أن يُخرج نفسه من بحر الغرور، فلا يمكنه الحصول على السعادة الواقعية؛ لأنّ الغرور يمنع من الوصول إليها، ويجلب للإنسان ألف آفة. وقد أكّد الإمام الخمينيّ رحمه الله كثيراً على إزالة هذه الرذيلة بقوله:

كلّما ترقّى الجهل في مراتب الجهالة، فإنّ هذه الصفة ـ أي: الغرور والأنانيّة ـ تزداد عنده، ولم تثمر صلاة أربعة آلاف عام التي صلّاها الشيطان إلّا ترسيخاً للأنانيّة وكثرة العجب والفخر، حتّى وصل إلى المقام الذي وقف فيه في مقابل الحقّ، وقال: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾.[٢]

فهو لشدّة جهله وغروره وأنانيّته لم يتمكن من رؤية نورانيّة آدم عليه السلام، واستعمل قياس المغالطة.[٣]

الغرور من أكبر حبائل إبليس التي تمنع السالك من سلوك طريق الحقّ، بل ترجعه القهقرى.[٤]

نحن مبتلون بأنواع الشيطنة في أنفسنا من أعمال الانحطاط والضعة، فنجّوا أنفسكم وعلينا بنجاة أنفسنا، فإذا استطعنا النجاة من هذا القيد كان ما دونه يسيراً ستكون الوحدة سهلة، ولكن يجب علينا النجاة أوّلاً من هذا القيد، قيد الأنانيّة أنّ كلّ ما موجود هو لي وحدي، وأنا محور كلّ الأشياء لا غيري، فإنّ هذه الحالة موجودة في كلّ النفوس إلّا أن تُهذّب.[٥]

حجاب الأنانيّة والغرور من الحجب الغليظة التي يُبتلى بها كلّ شخص والتي تمنعه من إدراك جميع الحقائق وجميع محسّنات وكمالات الغير ومقبّحات ونقائص نفسه،

---

١. النساء: ١٤٨، ١٤٩.

٢. الأعراف: ١٢.

٣. *شرح حديث جنود عقل وجهل*: ٤٤.

٤. المصدر: ٥٢.

٥. *صحيفه إمام*: ٥٣٠/١٧.

وهذا حجاب من إرث إبليس.[1]

اعلم أنّ مع الغرور لا تؤثّر المواعظ الإلهيّة ودعوات الأنبياء ومواعظ الأولياء؛ لأنّ الغرور متأصّل في الجميع، وهذا من المصائد الكبرى لإبليس والنفس وخططها الدقيقة، حيث يبعد الإنسان عن التفكير في نفسه وأمراضه، ويسبب له النسيان والغفلة، فتعجز أطباء النفوس عن علاجه، إلى أن يأتي الوقت الذي يُغلق أمامه تماماً طريق الإصلاح. قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾.[2][3]

ووصايا الإمام الخميني رحمه الله مستنبطة من القرآن المجيد. فقد صرّحت الكثير من الآيات بأنّ الغرور هو السبب الأصلي في تعاسة الناس، ودخولهم جهنم في يوم القيامة، ويُقسم الله تبارك وتعالى بأنّ أيّ موعظة لا تنفع مع مثل هؤلاء الناس: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.[4]

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.[5]

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الأُمَمِ فَلَمَّا جَاءهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلا نُفُوراً * اسْتِكْبَاراً فِي الأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلا بِأَهْلِهِ﴾.[6]

إذاً فالغرور يجعل الإنسان في قمّة الفساد، ويضرب على قلبه حجاباً يفقد على أثره المغرور نور الإيمان وملكة العمل الحسن، ويوجهه نحو الأعمال القبيحة والسيئة، إذاً لا يصل المغرور إلى السعادة أبداً، ولا يمكن أن يكون له دور مؤثّر في ضمان سعادة المجتمع.

الغفلة

وهي من عوامل تعاسة الإنسان وسوء حظّه، وإذا ما أسرع الإنسان لمعالجة هذه الحالة، وتوجّه إلى الله تعالى، فإنّه يستطيع الوصول إلى السعادة الحقيقية، يقول الإمام الخميني رحمه الله:

ما دام الإنسان في دار الدنيا ودار الغرور، فإنّ كلّ مرتبة من الكمال والجمال

---

١. المصدر.

٢. مريم: ٣٩.

٣. شرح *حديث جهل وعقل*: ١٣٧.

٤. غافر: ٦٠.

٥. الأعراف: ٣٦.

٦. فاطر: ٤٢، ٤٣.

الروحاني يصل إليها وكلّ مرتبة من العدالة والتقوى يحظى بها، يمكن أن يتراجع عنها ويتغيّر بشكل كامل وينتهي أمره إلى الشقاء والخذلان، فلا ينبغي أن يغفل الإنسان عن نفسه لحظة، ولا يكون مغروراً بكماله، ألّا لايغفل في جميع الأحوال عن التمسّك بالعنايات الخفيّة للحقّ تعالى.[1]

لا تغفلوا عن الله، لا تغفلوا عن قدرة ما فوق الطبيعة، القدرة الكبرى، اعتمدوا على تلك القدرة التي هي في عونكم.[2]

ونذكر هنا بعض الآيات الناهية عن الغفلة وعدم غفلة الله تبارك وتعالى عن عباده:

﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾.[3]

﴿إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾.[4]

﴿وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.[5]

إذاً لا ينبغي للإنسان أن يغفل عن نفسه وعن خالقه؛ لأنّه من الممكن في أيّ لحظة أن تجرّه الغفلة إلى نار الفساد، ويبتلي بالوقوع في الرذائل رغم ما يتمتّع به من الفضائل، وكلّما كان الإنسان في مكانة اجتماعيّة أعلى فإنّ غفلته ستلحق به ضرراً أكبر، فالغفلة إذاً تمنع من سعادة الفرد والمجتمع، اللّهمّ لا تجعلنا من الغافلين.

الغيبة

الغيبة والبحث عن العيوب من الرذائل، والإنسان الذي يتّصف بها لا يحظى بالسعادة وحسن الحظ. وقد أكّد الإمام الخمينيرحمه‌الله كثيراً على وجوب التطهّر من هذه الرذيلة، يقولرحمه‌الله:

لا تغفل عن عدوّ الإنسانيّة والمعنويّة الكبير هذا، فإذا كنت في جلسة أُنس مع أصدقائك، فانظر كم ارتكب لسانك من ذنوب كبيرة إن كنت تستطيع عدّها، وانظر ماذا فعلت خلال ساعة لأجل إرضاء صديقك، وكم من المصائب جلبت لنفسك التي منها

---

١. شرح حديث جنود *عقل وجهل*: ٥٢.

٢. صحيفه *إمام*: ٣٨٧/١٢.

٣. الأعراف: ٢٠٥.

٤. النساء: ١.

٥. البقرة: ١٤٩.

غِيبة إخوانك وأخواتك، وأُنظر بسمعة أي شخص كنت تعبث.[١]

وقد ذمّت الآيات الإلهيّة الغيبة ونهت عنها بشدّة كما ورد:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيتاً فَكَرِهْتُمُوهُ﴾.[٢]

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾.[٣]

إذاً فالغيبة والبحث عن عيوب الآخرين من الصفات السيئة، والإنسان الباحث عن الكمال لا يغتاب أبداً؛ لأنّ هذه الصفات السيئة تمنع الإنسان من الوصول إلى الكمال والسعادة. وهذا النوع من الصفات تؤدّي إلى كثرة الفساد والانحراف في المجتمع، إذاً فالغيبة لا تمنع الإنسان فقط من الوصول إلى كماله، بل تزعزع أركان سعادة المجتمع. ولهذا ينبغي على الإنسان الصالح الحذر من هذا النوع من الصفات.

التعلّق بالدنيا وخطر الانحراف

السعي وراء الدنيا للتقرّب إلى الله ليس أمراً مذموماً، وإنّما المذموم هو التعلّق بالدنيا؛ لأنّ الاشتغال بها وحبّ الجاه والجمال تصرف الإنسان عن المحبوب الحقيقي الذي يملك كلّ عالم الوجود. واليوم يمكن الحصول على مصاديق كثيرة لذلك في المجتمعات البشريّة وخاصّة في المجتمع الغربي إلى حدّ دفع بعض العلماء إلى إطلاق شعار موت الله. وقد أوصى الإمام الخميني﵀ كثيراً حول هذا الموضوع، حيث قال﵀:

الرغبة في الدنيا وزخارفها والتوجّه إليها، وحبّ زينتها من أكبر جنود إبليس والجهل، ومن أدقّ مصائد النفس، وبواسطتها يبتلى الإنسان بمكيدة البلاء والضلال عن طريق الهداية والرشد، ويُحجب عن الوصول إلى المثل الإنسانيّة، ويحرم من التمتّع بثمرة شجرة الولاية.[٤]

إنّ مرجع جميع الاختلافات الفاقدة لهدف واضح ومقدّس هو حبّ الدنيا. وإذا كانت هناك اختلافات بينكم، فهي لعدم تفريغ قلوبكم من حبّ الدنيا، وبما أنّ منافع

---

١. *صحيفه إمام*: ٤٥٥/١٨.

٢. الحجرات: ١٢.

٣. الهمزة: ١.

٤. شرح حديث جنود *عقل وجهل*: ٣٠٣.

الدنيا محدودة، فإنّ الحصول عليها يدفع الآخرين إلى التنافس عليها.[١]

إذا اُبتلي الإنسان بمرض حبّ الدنيا واتّباع الهوى، فسوف يملأ هذا الحبّ قلبه، وينفر عمّا سواها، فيعادي ـ والعياذ بالله ـ الله تبارك وتعالى وعبادة وأنبياءه وأولياءه وملائكته، ويشعر بالحقد والكراهيّة اتجاههم.[٢]

وقد أكّدت الآيات الإلهيّة على هذا الأمر، وهو أنّ حبّ الدنيا وتعلّق الإنسان بزينتها يكون سبباً في الفساد والتعاسة والانحراف عن الحقّ.

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ ... وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إلا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾.[٣]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾.[٤]

﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً أُوْلَئِكَ فِي ضَلاَلٍ بَعِيدٍ﴾.[٥]

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ﴾.[٦]

﴿وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾.[٧]

﴿الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَاء يَوْمِهِمْ هَـذَا وَمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾.[٨]

إذاً فسبب تعاسة الإنسان هو هذا التعلّق بالماديّات والدنيا الظاهريّة. وإذا أراد الإنسان السعادة الأبديّة، فعليه أن يتعلّق قلبه بمالك الوجود لا بالوجود وما فيه؛ لأنّ التعلّق بالدنيا موجب للانحراف عن الحقّ والحقيقة دونما ريب.

---

١. *جهاد اكبر*: ٣٠.

٢. المصدر: ٥٢، ٥٣.

٣. الحديد: ٢٠.

٤. فاطر: ٥.

٥. إبراهيم: ٣.

٦. النحل: ١٠٧.

٧. آل عمران: ١٨٥.

٨. الأعراف: ٥١.

اليأس

إنّ اليأس من إيحاءات الشيطان، واليأس في مقابل المشاكل أو فقدان الأمل من الرحمة الإلهيّة، وهو يسلب الإنسان التمكّن من النجاح في الحياة. والإنسان الواقعي هو الذي يتصدّى للمصاعب ويتغلب عليها، ويكون أمله دائماً بالرحمة الإلهيّة بلا انقطاع. وقد عدّ الله تبارك وتعالى في بعض آيات القرآن الكريم اليأس من صفات الكفّار وجاحدي الحقّ والحقيقة، وانطلاقاً من هذه الآيات الشريفة اعتبر الإمام الخميني﵀ اليأس من صفات الشيطان المساويّة لإنكار الحقيقة، يقول﵀:

اليأس من جنود إبليس، أي أنّ الشياطين هم الذين يوصون الإنسان باليأس.[1]

ونذكر فيما يلي بعض الآيات الناهية عن اليأس بما يلي:

﴿وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّه أنه لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّه إِلَا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾.[2]

﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّآلُّونَ﴾.[3]

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا أنه هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.[4]

إذاً فالنصوص المتقدّمة تنهى عن اليأس بصورة واضحة وصريحة، وتؤكّد على أن يعيش الإنسان الأمل؛ لأنّ الإنسان الذي يحيا مع الأمل يكون موفقاً في حياته أينما ذهب، ويمكنه من الوصول إلى أهدافه السامية وسعادته وكماله المطلوب.

نسيان الحقّ تعالى

ومن الخصائص الأُخرى التي تجعل الإنسان من جنود الشيطان هي نسيان الحقّ تعالى. ومن أراد نيل السعادة فعليه الارتباط بالله سبحانه، وألّا لا ينساه لحظة واحدة. ونشير الآن إلى بعض كلمات الإمام الخميني﵀ وبعض الآيات الإلهيّة حول هذا الموضوع، يقول الإمام الخميني﵀:

إنّ نسيان الحقّ يوجب نسيان الأنفس، سواء كان (النسيان) بمعنى الغفلة أو بمعنى الترك، وكلاهما بمعنى عدم الانتباه. ومن لوازم نسيان الحقّ تعالى أن ينسى الإنسان

---

١. *صحيفه إمام*: ٥٣٦/١٣.

٢. يوسف: ٨٧.

٣. الحجر: ٥٦.

٤. الزمر: ٥٣.

نفسه، أو قُلْ إنّ الله تعالى يُنسيه نفسه.[١]

وإليك بعض الآيات القرآنيّة التي صرّحت بأنّ نسيان الحقّ تعالى هو ـ في الواقع ـ نسيان الإنسان لنفسه:

﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.[٢]

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾.[٣]

إذاً فهذا النسيان يتضرّر به الإنسان؛ لانّ مالك الوجود بأسره جعل دوام وقوام جميع الموجودات بالارتباط به، وإذا ما ظنّ الإنسان أنّه مستقلّ عن الله تعالى، فسوف تقلّ عنايات الله عنه ويوكله إلى نفسه، وإذا ما أوكله إلى نفسه فإنّه سوف يفتح عليه باب العصيان، ويغلق أمامه طرق السعادة وتضيق عليه الدنيا بما رحبة، ولا يرى الآثار الوضعيّة لنسيان الله تعالى في هذه الدنيا فقط، بل سيراها في الآخرة أيضاً.

وكما لاحظتم الآيات المذكورات أعلاه، فإنّ الله تعالى يشير بصراحة إلى هذا الأمر. وكذلك يحذّر الإمام الخمينيّ رحمه الله وانطلاقاً من هذه الآيات الكريمة من نسيان الحقّ تبارك وتعالى.

إذاً فمن خلال هذه المقالة نعرف كيف أنّ الإمام الخمينيّ رحمه الله يوصي بنظام أخلاقي للبشرية قائم على أساس تعليمات القرآن. وأخيراً أرى لزاماً عليّ الاعتراف مرّة أُخرى أنّني لم أذكر سوى بعض الفضائل والرذائل لا جميعها، فنسأل الله تعالى أن يوفّقنا لتكون أقوالنا وأعمالنا قرآنيّة وأخلاقيّة، وأن يجعلنا كالإمام الخمينيّ رحمه الله، آمين يارب العالمين.

---

١. *صحيفه إمام*: ٥١٩/١٨.

٢. الحشر: ١٩.

٣. طه: ١٢٤ ـ ١٢٦.

المصادر

القرآن الكريم

١. *آداب الصلاة*، الإمام الخميني رحمه الله، مؤسّسه تنظيم ونشر آثار إمام خميني رحمه الله، طهران، ١٣٧٦ش.

٢. *بنيادهاى اخلاقى اسلامى* (ترجمة الأخلاق)، سيّد عبدالله شبر، مهدي الحائري، بنياد فرهنگى امام مهدي، ١٣٦٩ش.

٣. *تفسير سوره حمد*، الإمام الخميني رحمه الله، مؤسّسه تنظيم ونشر آثار إمام خميني رحمه الله، طهران، ١٣٨١ش.

٤. *شرح چهل حديث*، الإمام الخميني رحمه الله، مؤسّسه تنظيم ونشر آثار إمام خميني رحمه الله، طهران ١٣٧١ش.

٥. *شرح حديث جنود عقل وجهل*، الإمام الخميني رحمه الله، مؤسسة تنظيم ونشر آثار إمام خميني رحمه الله، طهران، ١٣٨٠ش.

٦. *صحيفه امام*، الإمام الخميني رحمه الله، مؤسّسه تنظيم ونشر آثار إمام خميني رحمه الله، طهران، ١٣٧٩ش.

٧. *الكافي*، محمّد بن يعقوب الكليني، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، ١٣٦٥ش.

السلوك القرآني للإمام الخميني⁧رحمه الله⁩ مع الآخرين

قربان حسين شاه

المقدّمة

قال الإمام الكاظم عليه السلام:

رجل من أهل قم يدعو الناس إلى الحقّ، يجتمع معه قوم كزبر الحديد، لا تزلّهم الرياح العواصف، ولا يملّون من الحرب، ولا يجبنون، وعلى الله يتوكّلون، والعاقبة للمتقين.[1]

الإمام الخميني رحمه الله في رأي العلّامة الشهيد المطهري

من المناسب أن نتحدّث بلسان شهيد من مجموعة شهداء نصروا، وصحبوا الإمام رحمه الله، والذي عبّر عنه الإمام بأنّه ثمرة حياته، ليعيننا على التعرّف على سلوك الإمام روح الله رحمه الله يقول المطهري.

لقد سافر ـ الإمام رحمه الله ـ وشايعته قوافل القلوب، فقد كان تلهج ألسنة العوام والخواص باسمه وذكره، والاستماع إلى خطاباته، وروحه الثائرة، وإرادته وعزمه الحديدي، وشجاعته، ووضوح فكره، وإيمانه الجيّاش، ألا وهو نفس النفوس، بطل الأبطال، نور عين وعزيز روح الأمّة الإيرانية، أُستاذنا العظيم الجليل، آية الله العظمى الخميني رحمه الله، فهو الحسنة التي وهبها الله تعالى لأبناء هذا القرن والدهر، وهو المصداق البارز والواضح:

---

١. *بحارالأنوار*: ٢١٦/٥٧.

فإنّ فينا أهل البيت في كلّ خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين.[١]

يبدو أنّ القلم عاجز عن كتابة قليل من كثير عن صحبة استمرت اثني عشر عاماً في حضور درس أُستاذنا الكبير والمنافع الروحيّة والمعنويّة التي اكتسبتها من قربه المبارك.

إنّ الشهيد المطهري الذي بكاه نائب حجّة الله في الأرض الإمام الخمينيّ رحمه الله، قال حول الإمام الخمينيّ رحمه الله أيضاً في بحث: أهداف الروحانيّة، في نهضتنا اليوم تبلورت جميع طبقات الشعب الإيراني برجال الدين وتبلور رجال الدين في ذلك الرجل التاريخي الكبير العظيم الذي تهتز قلوبنا لذكره واسمه، أُستاذنا الكبير آية الله العظمى السيّد الخمينيّ رحمه الله.

لقد دبّ الأمل في قلبي تدريجيّاً بأنّ هذه الثورة لن تبقى منحصرة في حدود إيران، بل ستشمل سبعمئة مليون مسلم، وكم هو فخر لإيران أن تبدأ الثورة الإسلاميّة منها وينتشر الإسلام منها إلى جميع الدول الإسلاميّة، وأنا مطمئن بتحقّق ذلك. لقد أخبروني بأنّ كارتر قد اتّصل بآية الله العظمى قبل عدّة أيّام وهدّده في حال تعرّضه لبختيار؛ بأنّ الدولتين العظمتين قد اتّفقتا على هذه الدولة، وأنّ عليكم أن تحسبوا حسابكم، ولكنّ هذا الرجل العظيم لم يعبأ بتهديدهم؛ لأنّه مصداق قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾.[٢]

بالرغم من تتلمذي على يد هذا الرجل الجليل ما يقرب من اثنتي عشر عاماً، ومع ذلك، ففي سفري الأخير إلى باريس للقائه وزيارته أدركت من روحيّته أُموراً زادتني إيماناً. وعندما رجعت سألني أصدقائي: ماذا رأيت؟ قلت لهم: رأيت أنّه آمَن بأربعة:

آمن بهدفه: مؤمن بهدفه، ولو اجتمعت الدنيا على أن تزحزحه عن هدفه ما استطاعت.

آمن بطريقه: مؤمن بالطريق الذي اختاره وسار عليه، ولا يمكن صرفه عن هذا الطريق، وهو يشبه إيمان النبي صلى الله عليه وآله بهدفه وطريقه.

آمن بقوله: لم أجد أحداً مثله من بين جميع الرفاق والأصدقاء الذين أعرفهم، له إيمان بروحية الشعب الإيراني وإرادته. ينصحه المقرّبون له أن يخفّف قليلاً فإنّ الناس يضعفون ويتراجعون، فكان يقول: كلاّ، إنّ الناس ليس كما تقولون، أنا أعرف الناس أحسن منكم. وها نحن نرى يوماً بعد يوم صحّة كلامه.

---

١. *الكافي*: ٣٢/١، ح ٢.

٢. آل عمران: ١٧٣.

والأهمّ من كلّ ذلك أنّه آمن بربّه: فلقد قال لي في لقاء خاصّ: يا فلان، ليس نحن الذين نفعل هذا، إنّي أحسّ بوضوح أنّ يد الله تعالى معنا. والإنسان الذي يحسّ بيد الله، ويسير في طريق الله، فإنّ الله ينصره، ويكون مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾،[1] وكما في سورة الكهف: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدىً﴾،[2] فقاموا لله ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[3]».[4]

لقد كان من المقرّر في هذه المحاولة المتواضعة بحث السلوك القرآني للإمام الخميني رحمه الله مع الآخرين. وعندما شرعت بالمطالعة وجدت أنّ سيرته هي نفس سيرة النبي صلى الله عليه وآله الذي كان لنا أُسوة. ومن هنا كان من الصعب عليّ أن أطرح شيئاً من عندي حول الموضوع، فاكتفيت بنقل كلماته قدس سره. وقد بحثت إلى حدّ ما في الأبعاد القرآنيّة المختلفة في سيرة الإمام الخميني رحمه الله؛ لأنّنا لا نعلم شيئاً عنه. وأخيراً أرى لزاماً عليّ أن أتقدّم بالشكر الجزيل للأُستاذ المحترم حجّة الإسلام والمسلمين الدكتور محمّد علي رضائي الذي لولا إرشاداته لكنت محروماً من كتابة هذا البحث.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أتباع إمام الزمان عليه السلام، وأن يجعل قلبه راضياً عنّا.

أهمّية الوحدة الإسلاميّة

قال الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾.[5]

كتب أحد رجال الدين المعروفين في إحدى المدن التي يقطنها الشيعة، وأهل من السنّة معاً رسالة إلى الإمام رحمه الله طالباً منه المساعدة في بناء مدرسة دينيّة في المدينة، وذكر فيها أنّ لأهل السنّة مدرسة دينيّة أيضاً، في إشارة منه إلى أنّ هذه المدينة الصغيرة ليست بحاجة إلى مدرسة دينيّة، وأنّ الباعث لإنشائها وجود مدرسة دينيّة لأهل السنّة. وقد ظنّ هذا الرجل أنّ ذلك سيدفع الإمام رحمه الله ويرغّبه في بناء هذه المدرسة الدينيّة.

ولكن عندما عُرضت عليه الرسالة، قال بلهجة قاطعة:

---

١. محمّد صلى الله عليه وآله: ٧.

٢. الكهف: ١٣.

٣. الكهف: ١٤.

٤. *پيرامون انقلاب اسلامي*: ٢١ ـ ٢٢.

٥. آل عمران: ١٠٣.

لا ينبغي أن نكون في موقع المنافسة معهم! وليس هذا سبباً كافياً لئن تكون لدينا أيضاً مدرسة هناك.

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾،[١] وقد شخّص الإمام رحمه الله في سلوكه هذا أمرين:

الأوّل: يجب توفير الأجواء والإمكانيّات اللّازمة لبناء مدرسة علميّة في المدن الصغيرة.

الثاني: إذا كان أتباع المذاهب الإسلاميّة الأُخرى يسكنون في نفس المدينة، فلا ينبغي أن توجد حالة منافسة معهم.[٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.[٣]

لقد أعلنت مراراً، أنّه لا يوجد في الإسلام عرف ولغة وقوميّة ومجموعة.[٤]

تكريم أولاد الشهداء

إنّ عاطفة الإمام وحبّه للمؤمنين والمستضعفين عميق وعجيب بمقدار قوّته وصلابته في مقابل المستكبرين والظالمين. وكان المحرومون والمستضعفون يبادلونه تلك العاطفة، كما يبادله المستكبرون والظالمون الحقد والعداوة.

وقبل مدّة زمنيّة بعثت امرأة إيطاليّة، وهي تعمل معلّمة تدين المسيحيّة برسالة إلى الإمام تُظهر فيها ودّها وتعاطفها مع الإمام رحمه الله والطريق الذي سار عليه، وقد ارفقت هذه الرسالة بقلادة ذهبيّة قالت أنّها ذكرى يوم زواجي ولهذا أحبّها كثيراً، فأرسلتها إليكم لبيان شدّة علاقتي وشوقي بكم وبطريقكم.

فاحتفظت بهذه الرسالة والهدية فترة من الزمن، وأخيراً قدمتهما مع ترجمتها وأنا متردّد في قبول الإمام رحمه الله قراءتها، وسلّمته القلادة أيضاً، فأخذها ووضعها على منضدة صغيرة كانت إلى جانبه.

وبعد يومين أو ثلاثة، ومن باب الصدفة جاؤوا بطفلة لا يتجاوز عمرها ثلاث سنوات، وكان والدها قد فُقد في جبهات القتال، وعندما التفت الإمام رحمه الله إلى وجودها، قال: ادخلوها

---

١. التوبة: ١٠.

٢. *سرگذشته هاى ويژه از زندگى امام خمينى*: ٦٣/٥ ـ ٦٤.

٣. الحجرات: ١٣.

٤. *صحيفه إمام*: ٣٥١/٩.

إلى هنا، ثُمّ أجلسها على فخذه وألصق خدّه بخدّها ومسح يده على رأسها، في صورة لم يُشاهد أنّه فعلها مع أحد أولاده، وأخذ يحدّثها بصوت خافت، ومع أنّ المسافة بيننا وبينه لم تتجاوز متراً ونصف، ولكن لم نستطع تميز كلامه، وبعدها أخذت الطفلة بالضحك بالرغم من أنّها كانت حزينة أوّلاً، فانبسطت أسارير الإمام وظهرت عليه أمارات الفرح.

ثُمّ رأيت الإمام وقد مدّ يده وتناول القلادة التي أرسلتها المرأة الإيطاليّة وألبسها في جيد هذه الطفلة، وكادت الطفلة تطير من الفرح لشدّة سرورها، ثُمّ خرجنا بعد انتهاء اللقاء.[1]

نعم، إنّ كلّ عمل يأتي به الإمام كأنّه كان مصداقاً لآية من آيات القرآن الكريم.

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ﴾.[2]

المبادرة إلى التحيّة

إذا دخل الإمام إلى مكان ما فمن الصعب جدّاً أن يسبقه أحد إلقاء التحيّة. وقد اتّفق أن دخلت مرّة الغرفة التي يجلس فيها عادة قبل أن يأتي، وكنت انتظر لحظة دخوله وقد وضعت يدي على صدري، ولكن مع ذلك لم أستطع أن أبادره بالتحيّة؛ لأنّه سلّم، ثُمّ دخل الغرفة، وكنت أظن أنّه سيدخل الغرفة أوّلاً، ثُمّ يسلّم.[3]

﴿وَإِذَا جَاءكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ...﴾.[4]

وكنت يوماً في النجف أيضاً ماشياً في الزقاق بين مسجد المرحوم الشيخ الأنصاري وبيت الإمام، وكنت مطرقاً برأسي، فأحسست فجأة بأنّ أحداً سلّم عليّ، وعندما رفعت رأسي وقع نظري على وجه الإمام المبارك، فأحسست للحظة بثقل وضغط عجيب، وكأنّ لساني قد عُقد؛ إذ إنّه الإمام ومرجع التقليد والمحبوب و... . وأنا لا شيء الطالب الذي لا يتجاوز عمره السابعة عشر عاماً، ولكن الذي حدث قد حدث، ولم تكن لي وسيلة أمام ابن رسول الله ذلك النبي الذي خاطبه تعالى بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، سوى ردّ السلام؛ لأنّه واجب.[5]

---

١. *سرگذشته هاى ويژه از زندگى امام خميني*: ٦٦/٥ ـ ٦٧.

٢. البقرة: ١٧٧.

٣. *سرگذشته هاى ويژه از زندگى امام خميني*: ٧٢/٥.

٤. الأنعام: ٥٤.

٥. *سرگذشته هاى ويژه از زندگى امام خميني*: ٧٢/٥ ـ ٧٣.

المساعدة على الخير والتقوى

﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾.[١]

عندما عُيّن منصور رئيساً للوزراء، أرسل مولوي رئيس دائرة أمن طهران إلى الإمام رحمه الله الذي كان قد خرج توّاً من السجن - شهر خرداد سنة ١٣٤٢ش - ليحصل له على إذن للاستمرار في عمله كرئيس وزراء، وبعد عشر دقائق أو ربع ساعة دخل الإمام رحمه الله وجلس ولم تمض دقائق حتّى خيّم السكوت على الحاضرين، فقال الإمام رحمه الله: ماذا يريد السادة الضيوف؟

فقال مولوي: لقد أرسلنا إليك السيّد منصور ليطلب الإذن من سماحتكم للبدء في عمله في منصبه الجديد.

فقال الإمام:

> ليس لي عقد أُخوّة مع أحد، ولا عداوة مع شخص، فلست أُكِن العداوة لمنصور، وليس لي عقد أُخوة معه، إنّي أنظر إلى أعمال هؤلاء، فإذا استمرّت أعمال هؤلاء على ما كانت عليه سابقاً، من مخالفة الإسلام والقرآن والشرع، فإنّي سوف استمرّ على طريقتي التي كنت عليها، وإذا غيّر هؤلاء موقفهم بالنسبة للإسلام والقرآن والناس والمستضعفين، فهو أمر جيّد... .[٢]

ومن ذكرياتي في النجف أنّ مجموعة من مسؤولي الحكومة العراقيّة أنذاك التقوا عدداً من المراجع - السيّد الشاهرودي، والسيّد الخوئي، والسيّد الإمام - وكانوا يتصورون أنّهم سيحظون بتأييد الإمام رحمه الله في قبال نظام الشاه؛ لكونه معارض للحكومة الإيرانيّة، ويناضل ضد الشاه، والحكومة العراقية على خلاف مع الشاه أيضاً، ومن هذه الجهة سيحظون بتأييد الإمام رحمه الله، وتصوّروا أنّ طريقة الإمام رحمه الله هي كطريقة الساسة الآخرين الذين يدعمون الحكومة العراقيّة، ولو قليلاً من أجل الحصول على إمكانيات أكثر، ولكنّهم لم يستطيعوا الحصول على أيّ تأييد من الإمام رحمه الله، بل لم يستقبلهم الإمام رحمه الله استقبالاً حسناً.

وأتذكر أنّهم قد نشروا في صحفهم بعد رجوع الوفد الحكومي أنّه قد زار المراجع وتكلّل اللقاء بالدعاء لرئيس الجمهوريّة العراقيّة أحمد حسن البكر، ورغم أنّ الصحف لم تذكر اسم الإمام رحمه الله وانّما اكتفت بكلمة: المراجع، ولكن الإمام رحمه الله غضب من هذا التصرّف وأمر أحد

---

١. المائدة: ٢.

٢. *پا به پای آفتاب*: ٣٥٤/٣.

أصحابه الاتّصال هاتفياً بنائب محافظ النجف، والطلب منه تكذيب الخبر، وقال: اتّصلوا بهم هاتفيّاً واطلبوا منهم تكذيب الخبر إلى مدّة أربع وعشرين ساعة، وإذا لم تفعل هذه الصحيفة ذلك، فانّه سيعلن أمام العالم بكذب هذا الخبر، وقد كان هذا الموقف من الإمام رحمه الله قويّاً وحازماً بحيث لم يستطع البعثيّون أن يعملوا شيئاً أمامه واضطروا إلى تكذيب الخبر.[1]

نظم الأُمور

ورد في القرآن أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله كان أُسوة وقدوة لكم، وبما أنّ الإمام كان مقتدياً بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله فقد كانت حياته منظّمة.

أستطيع أن أقول فيما يتعلّق بأخلاق الإمام وسلوكه عندما كنت في خدمته: إنّ الإمام في المدّة التي كان فيها وحيداً، ولم تلتحق به عائلته إلى النجف بعد، وقد استغرق ذلك طويلاً كان قد استأجر داراً بسيطة للسكن فيها، جعل قسماً منها له، وقسماً آخر لاستقبال ضيوفه، وكان الإمام رحمه الله خلال هذه الفترة إمّا مشغولاً بالعبادة أو المطالعة... . وهذا العمل المنظّم للإمام رحمه الله كان درساً كبيراً للأشخاص الذين يتردّدون على داره وحظوا برؤيته عن قرب.

فلقد كانت جميع أعمال الإمام منظّمة بنحو عندما كان يرجع منْ خارج البيت ويجلس نصف ساعة في دار الضيافة لاستقبال الضيوف ـ حيث كان العلماء والفضلاء يأتون لزيارته ـ كان مجيئه وذهابه منظماً إلى حدّ كبير، فقد كان ينهض عادة الساعة التاسعة ليلاً من مجلسه دائماً... .

وكان دقيقاً إلى درجة أنّ الطلاب كانوا يضبطون ساعاتهم حين ذهاب الإمام إلى الصحن العلوي، فقد كان التنظيم في أعماله واضحاً ودقيقاً جدّاً. وكان يمكن أن يكون هذا درساً لهؤلاء الذين كانوا ينظرون إلى سلوك الإمام ويشاهدونه عن قُرب، وأن يتعلّموا هذه الخصلة منه التي هي خصلة إسلاميّة، ومن صميم تعاليم الإسلام، حيث كانت هذه ظاهرة واضحة ومحسوسة في حياة الإمام رحمه الله.[2]

عزّة النفس

﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾.[3]

كان الإمام يحبّ الطلاب من أهل العفاف وعزّة النفس، فكان يأتي بعض الطلّاب

---

١. راجع: *پا به پای آفتاب*: ٢٦/٥ ـ ٢٧.

٢. *سرگذشته های ویژه از زندگی امام خمینی*: ١٥٠/٥. ١٥١؛ نقلاً عن حجّة الإسلام والمسلمين عميد زنجاني.

٣. المنافقون: ٨

أحياناً يشكون فقرهم، ولم يكن الإمام يظهر لطفاً معهم، أي: أنّه كان لا يحبذ للطلاب إظهار فقرهم وشكوى حالهم.

وليس معنى هذا أنّه لم يكن يساعدهم، فقد كتبتُ إليه مراراً على قصاصة من الورق أو برسالة أعلمه فيها أنّ فلاناً يحتاج كذا مبلغ من المال، فكان يقضي حوائجهم برعاية أبوية، وكنت الواسطة مرّات عديدة في استلام الأموال من الإمامرحمه الله وإيصالها إلى الأشخاص المذكورين، ولكن الإمامرحمه الله لم يكن مرتاحاً أن يأتي الطالب بنفسه ويشكو حاله ويطلب المساعدة. وقد حصل مرّات عديدة أن يأتي مثل هؤلاء الأشخاص بأنفسهم ويطلبوا المساعدة، ولكنّ الإمامرحمه الله كان يردّهم ويفهمهم عدم صحّة هذا العمل، وخاصّة عندما كانوا يفعلون ذلك بمشاهدة أشخاص آخرين.

وكان الإمامرحمه الله بنفسه يتمتّع بهذه الصفة، وهي عدم الشكوى لأحد، ويحب أن يكون جميع الطلاب والعلماء كذلك حتّى وإن كانوا محتاجين فلا ينبغي أن يشكون حاجتهم لأحد، ويحتفظوا بعزّة النفس والتوكل على الله تعالى.[1]

ضمان الأرزاق

بعد وفاة آية الله البروجرديرحمه الله كان مجموعة من الطلّاب قلقين على مستقبل الحوزة، وبعضهم على أصل بقاء الحوزة، وبعضهم على الوضع المادي للحوزة، وعند اقتراب موعد سفر الطلبة للتبليغ في شهر محرم أوصى بعض العلماء الطلبة أن يخبروا الناس بحاجة الحوزة إلى المال، ولكنّ الإمامرحمه الله قال في خطبته لهؤلاء الطلبة:

إيّاكم أن تريقوا ماء وجه الحوزة حين سفركم إلى المدن والقصبات للتبليغ! فلاتمدّوا يد التسول للحوزة، إنّ الله تعالى قد ضمن أرزاقكم، وهو الحافظ لهذه الحوزة.[2]

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.[3]

عندما بدأ جهاد الإمام ضدّ الشاه، فهو في الواقع كان تطبيقاً لفرع من فروع الدين، سواء كان ذلك في البدء أو بعد ذلك، فهو لم يتخلَّ عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان الإمامرحمه الله يريد دائماً أن يتقدّم في مهمّته من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكنّ

---

١. *سرگذشته‌های ویژه از زندگی امام خمینی*: ١٥١/٥؛ نقلاً عن حجّة الإسلام والمسلمين عميد زنجاني.

٢. *برداشت‌هایی از سیره امام خمینی*: ٢٦٧/٣؛ نقلاً عن آية الله توسلي.

٣. آل عمران: ١٠٤.

أحداً لم يكن يسمع ذلك، فقد خاطب محمّد رضا شاه في المدرسة الفيضيّة قائلاً:

إنّي أنصحك أيّها الشاه، يا جناب الشاه، أن تنتهي عن هذه الأعمال، إنّهم يستغفلونك.[1]

وبعد وفاة آية الله كاشاني رحمه الله جاء مجموعة من أهالي طهران إلى قم للقاء الإمام رحمه الله. وفي هذا اللقاء تقدّم أحد هؤلاء ليقبّل يد الإمام رحمه الله، وكان في أصبعه خاتم من ذهب. وعندما أراد تقبيل يد الإمام رحمه الله سحب الإمام رحمه الله يده، وقال:

ياعزيزي إنّ هذا الخاتم حرام للرجال، انزع هذا الخاتم من يدك وضع خاتماً آخر مكانه.

فقال ذلك الرجل: سمعاً وطاعة، ونزع خاتمه ووضعه في جيبه... . وأتذكر إنّي كنت جالساً في مجلس يضمّ مجموعة من الفضلاء، فسأل أحدهم الإمام رحمه الله سؤالاً علميّاً، وكان أحد العلماء قد همس في أذن أحد العلماء الآخرين، فانقبض وجه الإمام رحمه الله وقال:

إنّ بيتي ليس محلّاً للهمس، يجب أن تكون المجالس مجالس إلهيّة، ولا يمكن أن تكون المجالس فيها همز ولمن ضدّ المؤمنين والمسلمين.[2]

تهذيب النفس

لم يكن درسه درس تعليم وتعلّم فقط، بل كان متقيّداً أن يكون درس تهذيب أيضاً، وبعبارة أُخرى: كان درسه عمل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾.[3] وما كان مثيراً للعجب لنا ومن ألطافه الكبيرة هو التهذيب العملي الذي كان لدى الإمام رحمه الله، وهو ذات التهذيب الذي كان يوصي به الإمام الصادق عليه السلام: «كونوا لنا دعاة صامتين».

تفويض الأمر إلى الله

﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾.[4]

وعلى هذا الأساس، فإنّ أحد أسباب نجاح الإمام الخميني رحمه الله في قيادة وإدارة المجتمع الإسلامي هو تفويض الأمر إلى الله ـ أي: أنّه كان يعتقد أنّ العناية الإلهيّة هي التي تسيرنا ـ ولكن بشرط ألّا ننسى الله تعالى وأوامره إلينا.

يقول حجّة الإسلام والمسلمين عبّاس المهري بهذا الصدد:

بعد دخول الإمام الخميني رحمه الله الأرض الكويتيّة، اتّصلوا بي هاتفيّاً، وقالوا إنّ الإمام

---

١. *صحيفه إمام*: ٢٤٥/١.

٢. *سرگذشته هاى ويژه از زندگى امام خمينى*: ١٦٦/٥؛ نقلاً عن آية الله حسين مظاهري.

٣. الجمعة: ٢.

٤. غافر: ٤٤.

الخمينيّ هنا، وكان قد استحصل له على إذن رسمي بالدخول طبقاً لاسمه في جواز سفره.

وبعد أن تعرّفوا عليه رفضوا دخوله، وقد تأثّرت كثيراً لذلك، فقلت للإمام: لماذا خرجت؟ فقال: هم أخرجونا، هم الذين أرسلونا، ولكنّنا خرجنا بأرجلنا.

وقد أجبروا الإمام مرّتين على الرجوع إلى العراق، ولم يستجيبوا للضغوط. فقلت للإمام: أتأذن لي بالذهاب لأكلّم المسؤول هنا [في الحدود]؟ فقال الإمام: لا، أليس من المؤسف أن يريق الإنسان ماء وجهه لمثل هؤلاء التافهين؟! بل نرجع، ونحن مع الله.

وقد أحسّ الإمام بعدم ارتياحي، وعند حركتنا نصحني بكلمتين أو ثلاث، قال: لاتحزن؛ لأنّ أمرنا ليس بأيدينا، لقد فوضنا أمرنا إلى الله، وكلّ ما يريده الله، لنا فهو خير.[1]

﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.[2]

إنّ الله معنا

في تلك الأيّام التي استشهد فيها المرحوم الشيخ مفتّح، وكان الحديث عن الحصار الاقتصادي، فقال الإمام: بالرغم من فرضهم الحصار الاقتصادي علينا، ولكن الله معنا، فإنّهم لا يستطيعون فرض ذلك على الله تعالى، فإنّ أحداً لا يستطيع محاصرة الله؛ لأنّنا جميعاً واقعون في محاصرته.[3]

والمثال الآخر: تهديدهم بالحصار الاقتصادي عند حكمه بالإعدام على المرتد سلمان رشدي، حيث قال في هذا المجال:

﴿إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ﴾، أعلم المسلمين الغيارى جميعاً، بأنّ مؤلّف كتاب الآيات الشيطانيّة الذي رتّبه وطبعه ونشره ضد الإسلام والنبي والقرآن وكذلك الناشرين المطّلعين على محتواه محكومون بالإعدام. أطلب من المسلمين الغيارى تنفيذ حكم الإعدام بسرعة به أينما وجدوه؛ لكيلا يتجرأ غيره على إهانة مقدّسات المسلمين، وكلّ من يُقتل في هذا السبيل، فهو شهيد إن شاء الله. وكلّ من يستطيع الوصول إليه ولكن لا يقدر على إعدامه، فليعرّفه إلى الآخرين لينال جزاء أعماله.[4]

وبرأي الإمام، فإنّ حكم هذا المرتدّ قد استنبطه من قوله تعالى ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللّهِ لِلَّذِينَ

---

١. سرگذشته هاى ويژه از زندگى امام خمينى: ١٦٣/٦ ـ ١٦٤.

٢. آل عمران: ١٧٠.

٣. برداشت هاى از سيره امام خمينى: ١٩٧/٣.

٤. المصدر.

يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾،[١] أو من قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ﴾.[٢]

وقد حاولت وسائل الإعلام الغربيّة النسبة كذباً إلى مسؤولي نظام الجمهوريّة الإسلاميّة أنّ مؤلّف كتاب الآيات الشيطانيّة إذا تاب، فإنّ حكم الإعدام سيلغى عنه، ولكن الإمام الخميني قال:

إنّ هذا الموضوع كذب مئة بالمئة، وإذا تاب سلمان رشدي، وكان أزهد أهل زمانه، فإنّه يجب على جميع المسلمين بذل المال والنفس وجميع اهتمامهم في سبيل تنفيذ حكم الإعدام به.

[وأضاف الإمام قائلاً:]

إذا عرف شخص من غير المسلمين محلّ إقامته، وكان يستطيع الوصول إليه وإعدامه أسرع من المسلمين، فإنّه يجب على المسلمين دفع مكافأة له، كجائزة أو أجرة لهذا العمل.[٣]

تنبؤات الإمام الخميني

١. انتصار الثورة الإسلاميّة وهزيمة النظام الشاهنشاهي الأمريكي

ينبغي على أمريكا أن تعيد النظر في دعم الشاه، ويجب على الساسة الأمريكان ودولتهم الحذر من هذه السياسة الظالمة والمخالفة لحقوق البشر، والمخالفة لمصالح الشعب الأمريكي.

لقد أنهت النهضة الإسلاميّة المقدّسة عصر الغزاة والديكتاتوريّين في إيران، وليعلم أصحاب المناصب الذين مارسوا العنف ضدّ الشعب الإيراني أنّ انتصار الشعب قريب وسيكون انتقامه شديداً من الخونة، إنّ عهد الشاه إلى زوال والحركة الثوريّة للشعب ستكون قاصمة.[٤]

وهذا البيان مبنيّ على أساس الآية القرآنيّة:

﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ﴾.[٥]

٢. تنبؤ هزيمة أمريكا أمام الثورة الإسلاميّة وقضية الرهائن

لقد رأيتم كيف ذهب الشباب وسيطروا على مركز الفساد الأمريكي وقبضوا على

---

١. النساء: ١٧.

٢. النساء: ١٨.

٣. *صحيفه إمام*: ٢٦٨/٢.

٤. المصدر: ٤٩٩/٤.

٥. الأنعام: ١٢٥.

الأمريكان الذين كانوا هناك، ولن تستطيع أمريكا ارتكاب أيّ خطأ، وليطمئن الشباب أنّ أمريكا لا تستطيع ارتكاب أيّ حماقة، وأنّ حديثهم حول التدخل العسكري هباءً منثوراً، إنّ أمريكا لا تستطيع التدخّل العسكري في هذه البلاد، وهو أمر خارج عن قدرتها.[1]

٣. تنبؤ سقوط الماركسية وتمزّق الاتّحاد السوفيتي

... ليكن معلوماً للجميع أنّ الماركسيّة يجب البحث عنها منذ الآن فصاعداً في متاحف التاريخ؛ لأنّ الماركسية لا قدرة لها على الاستجابة لأيّ حاجة من الحاجات الواقعيّة للإنسان؛ لأنّها مذهب مادّي، والمادية لا تستطيع إنقاذ البشريّة من خطر عدم الاعتقاد بالمعنويّات الذي هو أشدّ أمراض المجتمع البشري في الشرق والغرب... . واليوم، فإنّ الدول التي تشير على نهجكم وتهتمّ بمصالح مواطنها سوف لا تكون مستعدة للتضحية بثرواتها الوطنيّة التي تحت الأرض وفوقها لإثبات نجاح الماركسيّة، خصوصاً بعد أن ثبت فشل الماركسيّة التي سمع أبناء هذه الدول صوت تحطم عظامها وانهيارها.[2]

٤. تنبؤ اضمحلال التمدّن المادي الغربي

قال رحمه الله مخاطباً غوربا تشوف

إذا أردتم اليوم اللجوء إلى الرأسماليّة الغربيّة لحلّ المعضلات الاقتصاديّة الاشتراكيّة والماركسيّة، فإنّكم لن تتمكنوا بذلك من رفع آلام مجتمعكم، وسوف يأتي الآخرون ليعالجوا أخطاءكم، كما أنّ الماركسية اليوم وصلت إلى طريق مسدود في مناهجها الاقتصاديّة والاجتماعيّة، فكذلك الأنظمة الغربيّة مبتلاة بهذه المسائل أيضاً، ولكن بشكل آخر وسيأتي دورهم.

جناب السيّد غورباتشوف، يجب مواجهة الحقيقة، إنّ المشكلة الأساسيّة لبلدكم ليست الملكيّة والاقتصاد والحريّة، بل عدم الاعتقاد الواقعي بالله، وهي ذات المشكلة التي جرّت الغرب أيضاً إلى الابتذال وأوصلته إلى طريق مسدود أو ستجرّه إلى ذلك، أنّ مشكلتكم الأساسية هي محاربتكم الطويلة والباطلة مع الله ومبدأ الوجود والخلقة.[3]

ويواصل الإمام رحمه الله قائلاً:

إنّ القرآن الكريم يفتقد الأساس للتفكير المادي، ويقول لأُولئك الذين يظنون بعدم

---

١. *صحيفه إمام*: ٥١٦/١٠.

٢. المصدر: ٢٢١/٢١، ٢٢٢.

٣. المصدر: ٢٢٠، ٢٢١.

وجود الله وإلّا لكنّا نراه: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حتّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾،[١] ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾،[٢] ولنترك القرآن العزيز والكريم واستدلالاته في الوحي والنبوة والقيامة؛ لأنّه برأيكم أوّل البحث.[٣]

جناب السيّد غورباتشوف... . اليوم أطلب منكم الفحص والتحقيق الجدّي حول الإسلام.

وهذا ليس لحاجة الإسلام والمسلمين إليكم، بل بسبب القيم العليا وشموليّة الإسلام التي يمكن أنّ تكون وسيلة لراحة ونجاة جميع الشعوب، وحلّاً للمشاكل الأساسيّة للبشريّة.[٤]

ثُمّ يقول رحمه الله:

وأعلن أخيراً وبصراحة إنّ الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانية باعتبارها أكبر القواعد وأقدرها في العالم الإسلامي تستطيع وبسهولة أن تملأ الفراغ العقائدي في نظامكم. وعلى كلّ حال، فإنّ بلدنا ـ وكما في الماضي ـ تعتقد بحسن الجوار واحترام العلاقات المتبادلة.[٥]

﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.[٦]

علاقة الإمام بالناس

لم تكن علاقة الإمام بالناس علاقة عادية، بل كانت علاقة قائمة على أساس المحبّة، كان كما قال الله تبارك وتعالى عن علاقة النبي صلى الله عليه وآله بالناس: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.[٧]

لقد كان الإمام رحمه الله يتحرّق ألماً من أجل الناس، فكان كالأب الرؤوف الذي ينشد دائماً السعادة لأولاده الطيبين. ولقد بكى الإمام رحمه الله مراراً وهو يشاهد على شاشة التلفاز مظاهر الفقر والحرمان.

وكان يوصي دائماً أثناء لقائه مع المسؤولين مخاطباً إيّاهم: يجب عليكم أن تكونوا خدّاماً للناس، وكان يحذّرهم من سوء معاملتهم لهم، وأنّه ليس من حقّكم أن تقفوا في وجه الناس. وفي أحد الأيّام خرج الإمام رحمه الله من بيته قبل الوقت المتعارف لخروجه في كلّ يوم في الوقت الذي كان

---

١. البقرة: ٥٥.

٢. الأنعام: ١٠٣.

٣. *صحيفه إمام*: ٢٢٢/٢١.

٤. المصدر: ٢٢٥.

٥. المصدر: ٢٢٦.

٦. التوبة: ٤٠.

٧. التوبة: ١٢٨.

يزدحم فيه الناس خلف السياج الحديدي، وعندما رأوا الإمام رحمه الله ازداد ازدحام الناس على الأبواب أملاً أن تفتح فيسارعون إلى الدخول. فنظر الإمام رحمه الله بغضب إلى ما حوله، ثُمّ التفت إلينا وإلى الحرس الثوري، وقال: إذا لم ترفعوا غداً هذه الحواجز الحديديّة، فإنّي سأحرقها بالنار.

وفي أحد الأيّام، وبسبب ازدحام الناس وقع بعضهم على الأرض وسحقوه تحت الأقدام وتوفّي آخر، وعندما سمع الإمام رحمه الله بذلك قلق قلقاً شديداً، وقال:

لن آتي إلى المدرسة الفيضية بعد الآن.

وقد أُعيد هذا الأمر مرّات عديدة في جماران، فتوفّي ثلاثة أشخاص وجرح آخرون، وفي أحد الأيّام بذل الحرس الثوري جهداً كبيراً ليخلّص أنفسهم من شدّة الازدحام. وقد حصل كلّ ذلك بسبب عشقهم للإمام رحمه الله، وما تحمّله من الأخطار من أجل نجاتهم وهدايتهم، ومع ذلك كان الإمام رحمه الله يقول:

أقسم بالله بأنّي لم أخطُ خطوة من أجل المرجعيّة والقيادة، ولكنّها إذا أناخت ببابي، فإنّي لا أردها انطلاقاً من الإحساس بالمسؤوليّة.

تعبّد الإمام الخمينيّ رحمه الله في تنفيذ أحكام الله

لم يكن النبي صلى الله عليه وآله يفكّر بالانتقام ممّن يظهر له عدم الاحترام، وكان يغض الطرف عن أخطاء الآخرين، ولكن مع كلّ هذا العفو والتسامح لا يهدأ له بال عندما يتعدّى أحد على الدين إلّا بإجراء حكم الله، ولا يبالي بوساطة الآخرين. فعندما علم بأنّ فاطمة المخزوميّة قد سرقت لم يقبل وساطة أُسامة بن زيد فيها، وإعفائها من القصاص، وقال صلى الله عليه وآله:

إنّما هلكت الأمم قبلكم إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحدّ... .[1]

أمثلة من تعبّد الإمام الخمينيّ رحمه الله في تنفيذ أحكام الله

تستند السيرة العمليّة لأولياء الله في جميع أبعاد شخصيتهم على عبوديّة الله. وعلى هذا الأساس، فإنّ أكثر المباني خصوصيّة في الأنبياء والأئمّة هو كونهم عباد صالحين لله. ويمكن القول باعتقاد ثابت: إنّ جميع ما وفّق له الإمام رحمه الله في الأبعاد الدينيّة والاجتماعيّة والسياسيّة والشخصيّة كانت مشاعل مضيئة استمدّت نورها من عبوديّته لله عزّ وجلّ.

---

١. *إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري*: ٩/٤٥٤.

يجب أن نكون عبيداً لله، وأن نعتبر كلّ شيء من الله.[١]

وجوهر العبوديّة الإطاعة المحضة لله تعالى والتسليم له في مقابل التكاليف الإلهيّة. قال الإمام الخميني رحمه الله مرّة لأعضاء المجلس الثوري للثقافة:

يجب علينا أن ننظر ما هو تكليفنا الإلهي فنعمل به، وألّا نفكّر بشيء آخر غيره، وإلّا فمن الممكن أنّ الناس الذين يهتفون اليوم: «يعيش فلان» سيهتفون غداً: «الموت لفلان»، ينبغي علينا ألّا نخاف من ذلك، والمهمّ هو العمل بالتكليف.[٢]

تقول السيّدة المصطفوي بنت الإمام رحمه الله:

إنّي أتذكّر أنّه قال كلمة في شهر خرداد ١٣٤٢ش، وبقي ثابتاً عليها إلى الأخير، وتلك الكلمة هي: الإسلام.

وفي سبيل الإسلام خاطر بأولاده، خمسة عشر عاماً قضاها بين السجن والهجرة والنفي، ولم يفتر لحظة في تطبيق أحكام الإسلام... . وتتلخص حياته باتّباع الإسلام والأحكام الإسلاميّة، وكان يحسّ دائماً بالنصر ويقول: وعلى كلّ حال، فنحن ما دمنا نمتثل الأوامر الإلهيّة فنحن منتصرون، سواء هزمنا ظاهرياً، أو قُتل منّا جماعة أم لم يُقتلوا، نحن منتصرون على كلّ حال.[٣]

ويقول حجّة الإسلام والمسلمين علي أكبر الأشتياني:

حُكم على أحد الأشخاص بالإعدام على أثر الانقلاب الفاشل الذي قاده قطب زاده، فتوسّط هذا الشخص عند السيّد اللواساني،[٤] وطلب منه أن يشفع له عند الإمام رحمه الله لإلغاء حكم الإعدام.

فتشرّف السيّد اللواساني بحضوره عند الإمام رحمه الله وبعد التحيّة والسؤال عن الصحّة والأحوال عرض على الإمام رحمه الله ما جاء لأجله، فردّه الإمام بنحو صريح جدّاً وقال له بعد برهة من السكوت:

مع كلّ ما أُكنّه لك من احترام لا استطيع أن أُقدم رضا المخلوق على رضا الخالق، لا أستطيع أن أقدم رضاك على رضا الله، ولا أستطيع أن أقدم العلاقات الشخصيته على القوانين الإلهيّة؛ ولهذا يجب تنفيذ الحكم.[٥]

---

١. *صحيفه إمام*: ٢٨١/٦.

٢. *صحيفه دل*: ٢١/١.

٣. *پا به پاى آفتاب*: ١٦٧/١؛ نقلاً عن فريد مصطفوي.

٤. السيّد محمّد صادق اللواساني.

٥. *پا به پاى آفتاب*: ٢٣/٢ ـ ٢٤.

ولابأس أن ننقل خاطرة أُخرى في كيفيّة تعبّد الإمام بالأحكام الإلهيّة:

عندما علم المرحوم آية الله الطالقاني بإلقاء القبض على أحد أولاده، غاب عن الأنظار عدّة أيّام احتجاجاً على هذا الموضوع، ثُمّ تشرّف بالحضور عند الإمام... ، فقال له:

إنّ ولدكم أحد المنحرفين المرتبطين بالمنظمات اليساريّة، ولا ينبغي لكم عدم تأذي كثيراً بسبب اعتقاد ولدكم... ، والله إذا انحرف أحمد أدنى انحراف، وكان حكمه الموت، فإنّي بنفسي سأقتله.[1]

وقال الأشتياني أيضاً:

نتذكّر جميعاً أنّ بني صدر قد خدع كثيراً من العوام وجمعهم حوله، وكان يستند على قاعدة شعبيّة قويّة، وفي إحدى الأيّام تشرف مجموعة من أئمّة الجمعة من مدن مختلفة بلقاء الإمام. وكانت يبدو عليهم الارتياح بعد رجوعهم من لقاء الإمام. فسألتهم متفحّصاً عن سبب ذلك؟ فأجابوا: إنّ الإمام قال: إذا تمّت الحجّة الشرعيّة على عزله، فسوف لن أتردد في ذلك، واعلموا أنّ خلع بني صدر لا يستغرق أكثر من دقيقة واحدة.[2]

وقال الإمام يوماً لمجموعة من مخاطبيه:

لا تتصوّروا أنّي أخاف من الضجيج والضوضاء، لو تبدّل شعار كلّ هذه الجماهير الحاضرة في الحسينيّة من: «يعيش الخميني» إلى شعار يخالفه، فسوف لا يكون لذلك أيّ تأثير عليّ، بل إنّي أعمل بتكليفي الشرعي فقط.

﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾.[3]

وهناك حادثة أُخرى في تأريخ الثورة يعلمها الجميع، وهي إقالة نائب الإمام، والولي من بعده من منصبه وعزله، والتي كانت إحدى الحوادث المريرة على الإمام. وقد وقع تاريخ العزل في ١٣٦٨/١/٨.

ومن الجدير بالذكر أنّ مجلس الخبراء اختار في دورته الأُولى آية الله المنتظري نائباً للإمام الخميني في سنة ١٣٦٢؛ لكونه من تلاميذ الإمام ومن مناضلي انتفاضة ١٥ خرداد. وكتب الإمام الخميني في آخر رسالة وجهّها له، والتي أدّت إلى إقالته من منصبه، صرّح فيها أنّه كان معارضاً منذ البدء لاختياره في هذا المنصب، وكان يعتبره فاقداً للقدرة

---

١. المصدر: ٢٤، ٢٥.

٢. المصدر: ١٥.

٣. النساء: ٦٩.

اللّازمة على تحمّل هذه المسؤوليّة الخطيرة. ويظهر من هذه الرسالة أنّ عدم اعتراض الإمام﵀ على اختيار مجلس الخبراء، كان بسبب عدم رغبته التدخّل في وظائف هذا المجلس. وهذه النقطة جديرة بالاهتمام في طريقة إدارة الإمام الخميني﵀. وفي هذه الرسالة تأكيد على أنّ من مصلحة الشيخ المنتظري عدم تكرار مثل هذه الأخطاء، وأن يطهّر بيته من الأشخاص غير الصالحين، ومن تردّد الأشخاص المعارضين للنظام على مكتبه.

وتُبين رسالة الإمام﵀ إلى أعضاء المجلس وهيئة مجلس الوزراء في ٢٦ فروردين ١٣٦٨ش، الآثار المريرة لهذه الواقعة والتزامه بحفظ النظام والإغماض عن العلاقات العاطفيّة والشخصيّة في مقابل الأهداف الأهمّ، وقد جاء في هذه الرسالة:

سمعت أنّكم لستم على اطّلاع بما جرى مع الشيخ المنتظري، ولم تعلموا ما حقيقة الأمر، فاعلموا أنّ أباكم العجوز قد بذل كلّ ما في وسعه خلال العامين المنصرمين عن طريق البيانات والرسائل كي لا تؤول الأُمور إلى ما آلت إليه، ولكنّني ـ مع الأسف ـ لم أُوفّق لذلك.

ومن جهة أُخرى فإنّ واجبي الشرعي يملي عليّ أن اتّخذ قراراً أحفظ فيه النظام والإسلام.

ولهذا قرّرت بقلب محزون تنحية ثمرة عمري من منصبه لمصلحة النظام والإسلام.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ﴾.[1]

لقد وعد الله تعالى أهل الإيمان وأتباع الدين الإلهي بالنصر والاستقلال وكانت أعمالهم مطابقة لما يفرضه عليهم دينهم: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾،[2] ﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.[3]

صبر الإمام﵀ عند استشهاد نجله

لقد مضت عشرة أيّام على استشهاد آية الله المجاهد السيّد مصطفى (طاب ثراه)، والحوزة العلميّة في النجف الأشرف ما زالت في حالة حزن، وقد عطّلت دروسها عطلة وأقامت العزاء ومجالس الفاتحة، وقد قرّر البعض الاستمرار في ذلك إلى أربعين يوماً، ولكن المرجع الأعلى، الإمام الخميني﵀، رمز الصبر والتقوى، قال:

---

١. النور: ٥٥.

٢. الأنبياء: ١٠٥.

٣. آل عمران: ١٣٩.

لا ينبغي تعطيل الدروس، ولتبدأ الحوزة بالدروس.[١]

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾.[٢]

وكذلك أرسل رسالة تعزية إلى تلاميذ، ومحبّي الأستاذ العلّامة السيد مصطفي المتأثرين والمحزونين باستشهاده قائلاً:

ينبغي أن تكونوا صانعي الحياة، ولا تجزعوا من مثل هذه الأمور، وواصلوا دروسكم وبحثكم وتكميل نفوسكم وبنائها و.... .[٣]

وقد عِلم الإمام الخمينيّ رحمه الله بوفاة نجله بعد ساعتين من وفاته، ولكنّه لم يغيّر برنامجه اليومي، فقد واصل برنامجه في نفس اليوم الذي نُقل فيه جثمان المجاهد الشهيد إلى كربلاء... وذهب الإمام الخمينيّ رحمه الله إلى دار ولده الشهيد بعد أداء صلاة الظهر، وقدّم التعازي إلى عائلته وأولاده وأوصاهم بالصبر، وقال لوالدة الشهيد الحزينة:

إنّ الأمانة التي وهبها الله لنا قد أخذها، أنا أصبر، وأُوصيك بالصبر، وليكن صبرك لله تعالى... .

وعندها ذهب الإمام لأوّل مرّة لزيارة مِزار ولده جلس، وكان تحيط به أعداد غفيرة، وهي تنظر إليه ماذا سيفعل القائد الأب، في مزار ولده المجاهد؟ وقد رأى الجميع جلوسه المتواضع على الأرض... ، وقرأ سورة الفاتحة بكلّ اطمئنان، ثُمّ خاطب الحاضرين قائلاً:

اقرؤوا الفاتحة أيضاً للمرحوم الشيخ محمّد حسين الأصفهاني»، ثُمّ قرأ الفاتحة للمرحوم بني صدر وطلب له المغفرة.

وقال:

اطلبوا المغفرة من الله تعالى لنجله الشهيد.[٤]

وقال في استشهاد ولده العزيز رحمه الله:

إنّ لله تعالى ألطافاً ظاهرة، وألطافاً خفيّة، وليس لدينا علم بألطافه الخفيّة... ، وإنّه لطيف بعباده.[٥]

---

١. *شهيدى ديگر از روحانيت*: ٢٩.

٢. البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧.

٣. *شهيدى ديگر از روحانيت*: ٢٩ و ٣٠.

٤. المصدر: ١٨٥ ـ ١٨٦.

٥. المصدر: ٣٦ ـ ٣٧.

الإمام الخمينيﷺ يطلب النصيحة من أحد الشباب

ذُكرت في كتاب *تعليمات اجتماعي* للصفّ الثالث الابتدائي، رسالة طفل من أهل نيسابور إلى الإمامﷺ، وقد ردّ الإمام على هذه الرسالة، وإليك نصّه:

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أبنائي الأعزاء الطيّبين، كم كان جيّداً لو كنتم قد كتبتم النصيحة التي هي ببالكم، نحن نحتاج جميعاً إلى النصيحة، ونصيحتكم أيّها الأعزاء، لا غرض وراءها، ونابعة من صفاء قلوبكم. واليوم أُريد أن أنصحكم بصفتي أبوكم العجوز، وهي أن تسعوا إلى طلب العلم وتحصيل المعرفة والتمسّك بالأخلاق والسلوك الحسن لتكونوا أشخاصاً صالحين ومفيدين للإسلام العظيم ووطنكم العزيز. الله يعينكم ويحفظكم.[1]

اجتناب الغيبة وإهانة الآخرين

قال حجّة الإسلام والمسلمين توسّلي:

كان هناك بعض الطلاب والمحقّقين قد خصّصوا جزءاً من أوقاتهم في النهار والليل في براني الإمام الخمينيﷺ للتباحث، وربّما تعرّضوا لنقد بعض العلماء، وكانوا قلقين بسبب عدم إقدام الإمامﷺ على التصدّي للمرجعيّة، بل اعتزلها.

وفي أحد الأيّام جاء السيّد مصطفىﷺ برسالة من الإمام يقول فيها:

سمعت أنّ البعض هنا يغتابون العلماء ويتجاسرون عليهم. أنا غير راضٍ أن يُغتاب أحد في هذا البيت أو يتعرّض للإهانة.

وهذه من الخصال الممتازة التي يتمتّع بها الإمامﷺ، وقد كان يتجنّب الغيبة منذ أيّام شبابه.[2]

ولقد أُصيب الإمامﷺ مرّة بالحمّى بسبب اغتياب أحد الطلاب لأحد المراجع، فعطّل الدرس ثلاثة أيّام ولم يخرج من الدار، وعندما حضر للدرس كانت أنفاسه المباركة تتصاعد بسرعة.[3]

الاهتمام بالمحتاجين

يقول حجّة الإسلام والمسلمين محيي الدين فرقاني: لقد أخبر شخص الإمامﷺ بحاجة عجوز شوشتري، وعندما وصلنا إلى صحن الإمام أمير المؤمنينﷺ أراد الإمام الدخول إلى

---

١. *صحيفه إمام*: ٧٠/١٦.

٢. *پا به پای آفتاب*: ١٠٩/٢.

٣. راجع: *برداشت‌هايى از سيره امام خمينى*: ٢٩٩/٣.

الصحن، التفت إليّ، وقال: ياسيّد فرقاني، ذكّرني غداً الساعة التاسعة صباحاً بهذا الرجل.

وخرجت من الدار في صباح اليوم الثاني، ورأيت الطلاب يبكون وقد تعالى منهم الضجيج، وكان أحمد ـ نجل الإمام ـ واقفاً في باب الدار من غير عمامة. وكان ذلك اليوم هو يوم استشهاد السيّد مصطفى، ولم يكن الإمام يعلم بذلك.

وذهب السيّد أحمد مع مجموعة من الأشخاص لإخبار الإمام بشكل تدريجي لكي لاينصدم عند سماعه الخبر، ولكنّ السيّد أحمد لم يستطع السيطرة على نفسه وأجهش بالبكاء.

فالتفت الإمام بوجهه فجأة، وقال:

ماذا حدث يا أحمد؟ هل مات مصطفى؟ إنّ أهل السماء يموتون، وأهل الأرض لايبقون، الجميع يموت، وليتفرّق السادة إلى أعمالهم.

وقام هو أيضاً، وقد تهيأ للوضوء. وبعد الوضوء بدأ بقراءة القرآن، واجتمع العلماء والناس في ساحة البراني لتقديم العزاء، وحضر الإمام أيضاً في نفس المكان.

وتذكّرت أنّ الساعة التاسعة الآن، ولكن قلت في نفسي: ليس من الصحيح أن أذهب، وأذكّر الإمام بأنّ الآن الساعة التاسعة، وهو في هذه الحال. وكنت واقفاً في الباب، وفجأة رأيت الإمام قد نظر نحوي بحدّة، فتهيّأت وقلت: نعم بماذا تتفضلون؟ فقال:

ألم يكن مقرّراً أن تذكّرني بالشيخ الفلاني الساعة التاسعة، والآن الساعة التاسعة وعشر دقائق؟!

فضربت وجهي بكلتا يدي، وكنت أسعى ألّا أبكي عند الإمام حتّى لايتأذّى، ولكن لم أستطع تمالك نفسي، وقلت للإمام مع هذه الأوضاع؟ فقال: يعني ماذا؟ قم، وتعال معي.

فذهب من بين الناس ودخل الغرفة ووضع مقداراً من المال في ظرف بنحو لم يلتفت إليه أحد، ثُمّ أغلق الظرف، وقال لي: خذ الآن هذا الظرف وأعطه للشيخ الشوشتري، وانقل تحيتنا إليه، ثُمّ ارجع.

فدهشت وذهبت، وقلت في نفسي: الآن الضيوف كثيرون، ولن يذهب اليوم الإمام إلى المسجد، سأذهب بعد ذلك. وبعد خمس دقائق صاح بي الإمام: ياسيّد فرقاني لمَ لا تذهب؟

فقلت: سأذهب.

فقال: يا الله، الآن فاذهب.

فذهبت ووصلت إلى بيت ذلك الرجل، فلطمت زوجة ذلك الرجل وجهها، وقالت:

الموت لي، أفي مثل هذا اليوم تذكّرنا [السيّد] الخميني رحمه الله، وكنت أتصوّر أنّه سوف لا يتذكّرنا إلى سنة بسبب وفاة ولده.

وقلت للشيخ الشوشتري: إنّ السيّد الخميني رحمه الله قد أرسلني إليك. فصرخ الشيخ العجوز، وضرب رأسه ووجهه بيده، وقال: هل اليوم وقت هذا العمل؟ لقد مات ولده الآن، وقلبه محزون!

وعندما رجعت إلى بيت الإمام، التفت إليّ وسألني ليطمئن: هل ذهبت؟

فقلت: نعم.[1]

ويقول آية الله السيّد جعفر كريمي:

جاء في إحدى الليالي فقير إلى البرّاني لطلب حاجة له، ولكن المسؤول عن البرّاني لم يتعاملوا معه بشكل مناسب، وكان الإمام رحمه الله يراقب الموقف بدقّة وعن بُعد، وعندما نهض من المجلس قاصداً الزيارة ووصل إلى باب البرّاني، اعترض بشدّة على مسؤول البرّاني وقال له: ما هذا النوع من التعامل؟ فأجابه: إنّه قد جاء أمس وأوّل أمس. فقال له الإمام رحمه الله:

دعه يأتي، أنّه محتاج، وحاجته هي التي جاءت به إلى هنا: وصاحب الحاجة أعمى لا يرى إلّا قضاء حاجته.

فإمّا أن نقضي حاجته أو نقول له قولاً نُرضيه، لا تؤذوا الناس.[2]

الإيثار

يقول السيّد مصطفى كفّاش زاده:

إنّ أجمل ذكرياتي هي عودتنا من فرنسا إلى طهران. وقد أمر الإمام رحمه الله في ذلك اليوم أن يأتوا بجميع الأشخاص الموجودين في محلّ إقامته ليلاً إلى دار سكناه. وكان يقصد الأشخاص العاملين هناك. وقد كنّا حوالي عشرين شخصاً، حيث ذهبنا بعد صلاة الجمعة للقاء الإمام رحمه الله، فنصحنا ودعا لنا. وبعد أن أظهر لنا الاحترام رحمه الله قال:

لا تأتوا معي على ظهر هذه الطائرة؛ لأنّني أحسّ بالخطر، أثر كوني أواجه الخطر وحدي.[3]

وفي ذلك الوقت كانت الطائرة التي تقلّ الإمام رحمه الله معرّضة لخطر الإسقاط من قبل الحكومة الإيرانيّة.

---

١. *با به پاى آفتاب*: ٣: ٢١. ٢٥.

٢. المصدر: ٥٨/٣.

٣. المصدر: ٧٥.

ويقول السيّد علي الغيوري، وهو من تلاميذ الإمامرحمه الله:

إنّي أتذكّر جيّداً في اليوم الذي هجموا فيه على قم وألقوا الطلاب من سطح المدرسة الفيضيّة وطوابقها العليا وارتكبوا تلك المجزرة، واعتدوا على الطلاب بالضرب بالعصي والحجارة، وجرحوا بعضهم. وعندما بلغ الخبر إلى بيت الإمامرحمه الله، قال بعض الحاضرين: أتسمح لنا بغلق الباب، فإنّهم مصممون أن يأتوا إلى هنا بعد المدرسة الفيضيّة.

فقال الإمام في المرّة الأُولى: اتركوا الباب مفتوحاً.

وكرّر الحاضرون طلبهم بإغلاق الباب قائلين: لعلّهم يأتون الآن، ويضربون ويخرّبون. وأجابهم الإمام بنفس الجواب بقوة.

وفي المرّة الثالثة اقترح السيّد اللواساني قائلاً: أتأذن يا سيّدنا بإغلاق الباب؟ فأجابه الإمام قائلاً:

يا سيّد، انهض واخرج من داري، أنت تقول إنّهم قتلوا أولادي في المدرسة وضربوهم وجرحوهم، وتريدني أن أغلق الباب عليّ لأبقى سالماً؟ إذا كنتم تريدون مثل هذا العمل، فإنّي سأخرج حافياً وعباءتي بيدي، وأذهب إلى الفيضية، وإلى الحرم.[1]

ويقول السيّد أحمد نجل الإمامرحمه الله:

أصابت أطراف جماران في إحدى الأيّام بعد الظهر سبع إلى ثمان صواريخ، فذهبت إلى الإمامرحمه الله وقلت له: إذا أصاب أحد صواريخنا قصر صدام، وأُصيب صدام، فكم كنّا سنفرح؟ وبالمقابل إذا أصابت إحدى صواريخهم هذا وسقط السقف وأصبت، فماذا سيحدث؟

فقال الامامرحمه الله:

والله، إنّي لا أرى لنفسي فضلاً على ذلك الحارس الواقف قرب داري، والله، لا يختلف الأمر بالنسبة لي أن أكون أنا المقتول أو هو.[2]

عدالة الإمام الخمينيرحمه الله

قال الإمام الخمينيرحمه الله ضمن خطاب له:

الناس سواسية في الإسلام في مقابل القانون، وحتّى النبي الأكرمصلى الله عليه وآله. تجري عليهم جميعاً أحكام الإسلام، وشرف الناس وقيمتهم في تبعيتهم للقانون، وهذا هو عين التقوى، والمتخلّف عن القانون مجرم وخاضع للمحاكمة... ، وقد أعلنت مراراً عديدة: إنّ كلّ شخص

---

١. المصدر: ٩٣/٥ ـ ٩٤.

٢. المصدر: ١١٢/١، ١١٣.

أو مجموعة ـ حتّى لو كانوا من أقاربي ـ مسؤولون عن أقوالهم وأعمالهم، وإذا ما خالفوا أحكام الإسلام ـ لا سامح الله ـ فإنّ جهاز القضاء مكلّف بمحاكمتهم.[1]

وسمعت من أحد المقرّبين من الإمام رحمه الله في النجف الأشرف أنّهم قالوا للإمام رحمه الله: إنّ تجلكم السيّد أحمد لا يمتلك داراً، فلو تفضلتم بشراء دار له. فأجابهم الإمام رحمه الله:

عندما يمتلك جميع الطلاب داراً، فحينئذٍ سيمتلك سيّد أحمد داراً.

يقول الإمام رحمه الله مخاطباً قوى الأمن:

إنّكم إذا دخلتم بيت شخص للبحث عن المواد المخدرة، فلا يجوز لكم النظر في ألبوم صوره، أو النظر إلى ثلاجته، وحتّى إذا ارتكب ذنباً، فليس من وظيفتك إلقاء القبض عليه وإفشاء سرّه.[2]

قصّة إرسال مذكرة اعتقال إلى الإمام الخميني رحمه الله

يقول آية الله السيّد عبدالكريم الموسوي الأردبيلي، والذي كان رئيساً للقوّة القضائيّة آنذاك: أمضى المدّعي العام للمحكمة مذكرة اعتقال باسم روح الله المصطفوي، وأرسلها بيد شرطي إلى جماران. فاتّصلوا بي من مكتب الإمام رحمه الله وسألوني عن قضيّة طلب إحضار الإمام رحمه الله في المحكمة.

وهي قضية يرجع تاريخها إلى زمن قصف القوات العراقيّة المناطق الحدوديّة بالمدفعيّة، ومنها مدينة: خرمشهر. وقد أحسّ الإمام رحمه الله في تلك الظروف ألّا يترك أهالي خرمشهر مدينتهم أمام هجوم العراقيّين، ويجب عليهم الدفاع عنها. وبناءً على توصيّات الإمام رحمه الله بقيت مجموعة من سكّان المدينة إلى جانب قوات التعبئة الشعبيّة والحرس الثوري تدافع عن خرمشهر، ولكن وبسبب كثافة نيران القوات العراقيّة، وضعف القدرات الدفاعيّة للقوات الإسلاميّة، احتلّ الجيش العراقي خرمشهر واستولوا على كلّ ممتلكاتها.

وكان أحد سكّان خرمشهر قد بقي فيها إطاعة لأوامر الإمام رحمه الله، وبسبب نيران العدو فقد أمواله وأملاكه، وفي ردّة فعل استثنائية قام بتقديم شكوى تحريرية إلى محكمة طهران على الإمام رحمه الله تحت اسم روح الله مصطفوي، وقد كتب في عريضته التي رفعها إلى القضاء:

كنت قد جمعت أثاثي للخروج من المدينة، ولكن عندما أمرتنا بعدم ترك خرمشهر

---

١. *صحيفه إمام*: ٢٢١/١٤.

٢. *برداشت‌هايى از سيره امام خمينى*: ٤٠٦/٢.

لمخالفة ذلك للشرع، بقيت فيها وجاء الجيش العراقي وقصفها، وفقدتُ جميع ما أملكه من أثاث ومال، والآن يجب عليك أن تدفع لي ثمن الأثاث. وكان المبلغ الذي طالب به يبلغ أقلّ من مليون تومان.

يقول آية الله السيّد عبدالكريم الموسوي الأردبيلي بعد نقل هذه المقدّمات: عندما أمضى المدّعي العام طلب حضور روح الله مصطفوي، أرسلها بيد شرطي إلى جماران، وقد اتصلوا بي من مكتب الإمام رحمه الله وسألوني عن مسألة طلب حضور الإمام رحمه الله في المحكمة؟

ولم أكن وقتها على علم بالموضوع، فطلبت بعض الوقت لمتابعته وإعطاء الجواب. وعندما تابعت القضيّة أوضحوا لي الأمر هكذا: لا يعتبر الإمام مقصّراً من الناحية القانونيّة، بمجرّد أنّه قال للناس لا تخرجوا من المدينة وسماعهم له، وإن ترتّب على ذلك ضرر مالي.

وبعد فترة من الزمن التقيت مع الإمام رحمه الله فسألني عن قصّة شكوى الرجل الخرمشهري، كيف كانت؟ وإلى أين وصلت؟ وعندما أوضحت له القضيّة من الناحيّة القانونيّة، قال:

لو قلتم لي لأعطيته مبلغاً من المال.

فقلت: إذا فعلنا ذلك واطّلع الآخرون عليه لم يمكن بعد ذلك احتواء القضيّة والسيطرة عليها.

وأضاف آية الله الموسوي الأردبيلي: وبدلاً من أن يتضجّر الإمام رحمه الله ويسأل معترضاً عن الذي اشتكى عليه ـ وبأيّ جرأة أرسل المدّعي العام طلباً لحضوري في المحكمة ـ أكّد على لزوم متابعة الشكوى وإرضاء صاحب الشكوي.[1]

النظافة

النظافة وطهارة الظاهر بين الناس من مصاديق الأخلاق الحسنة.

يقول رسول الله صلى الله عليه وآله:

تنظّفوا بكلّ ما استطعتم، فإنّ الله تعالى بنى الإسلام على النظافة، ولن يدخل الجنّة إلّا كلّ نظيف.

تقول السيّدة زهراء إشراقي حفيدة الإمام رحمه الله:

جئت يوماً إلى البيت من الجامعة، ولم يكن مظهري مرتّباً، فذهبت مباشرة للقاء الإمام، وكانت ثيابي سوداء وحذائي رمادياً.

---

١. راجع: المصدر: ٣١٨/٢، ٣١٩.

وكان الإمام رحمه الله يتمشّى في صحن الدار، فقطّب حاجبيه، وسألني: لماذا تذهبين إلى الجامعة بهذا المظهر؟ فقلت ممازحة له: لا يمكن الذهاب إلى الجامعة في جمهوريّتكم الإسلاميّة بمظهر أفضل.

فقال: لقد ارتكبتي ذنبين؛ الأوّل: إنّك مرائية، وتريدين أن تقولي إنّ استطاعتي الماليّة قليلة، بحيث لا استطيع أن اشتري حذاءً، وذنبك الآخر هو إنّك غير مرتّبة، وهو أمر خلاف شرع الإسلام وقانونه.

فقلت: إنّي إذا أردت الذهاب إلى الجامعة بمظهر مرتّب، فربّما أشكلوا عليّ. فقال الإمام: إذا أرادوا الإشكال عليك، فقولي: الخميني رحمه الله هو الذي قال لي يجب أن تذهبي إلى الجامعة بمظهر مرتّب.[1]

---

١. *پا به پای آفتاب*: ٣١٦/١.

المصادر

القرآن الكريم.
١. *إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري*، القسطلاني، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٠م.
٢. *برداشت هايى از سيره امام خميني*ﷺ، غلام علي رجائي، مؤسّسه تنظيم ونشر آثار امام خميني ﷺ، طهران، ١٣٨٢ش.
٣. *پا به پاى آفتاب*، أمير رضا ستوده، نشر پنجره، چاپ دوم، ١٣٨٠ش.
٤. *سرگذشت هاى ويژه از زندگى حضرت امام خميني*ﷺ، مصطفى وجداني، انتشارات پيام آزادى، چاپ سيزدهم، ١٣٧٢ش.
٥. *شاخص هاى علوى در شخصيت امام خميني*ﷺ، أحمد أمير، انتشارات دفاع، چاپ اول، ربيع ١٣٨١ش.
٦. *شهيدى ديگر از روحانيت* (سيد مصطفى خميني)، مؤسّسه تنظيم ونشر آثار إمام خميني، طهران، ١٣٧٦ش.
٧. *صحيفه امام*، الإمام الخميني ﷺ، مؤسّسه تنظيم ونشر آثار إمام خميني ﷺ، طهران، ١٣٦٨ش.
٨ *صحيفه دل*، حميد بصيرت منش وآخرون، مؤسّسه تنظيم ونشر آثار إمام خميني ﷺ، طهران، ١٣٧٧ش.

دور القرآن في المجتمع في منظور الإمام الخميني

محمّد حبيبي

الخلاصة

القرآن يهدي المجتمع، ويؤمّن له سعادة الدنيا والآخرة. وتشتمل هذه المقالة على هذه المقالة أربعة فصول. حاولنا في الفصل الأوّل البحث عن دور القرآن في اصلاح المجتمع؛ إذ يبدو أنّ وجود مجتمع سالم يتوقّف على سلامة أفراده.

وفي الفصل الثاني بيّنا نظريّات الإمام الخمينيﷺ حول دور القرآن في ضمان حياة وسعادة المجتمع في الدارين.

وعرضنا في الفصل الثالث وصايا الإمام الخمينيﷺ في لزوم عدم ابتعاد المجتمع عن القرآن؛ لأنّ القرآن أساس عزّة الشعب وانتصاره.

وتناولنا في الفصل الأخير كيفية بناء الإنسان؛ لأنّ مفهوم بناء الإنسان عبارة أُخرى عن بناء المجتمع.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ هذه المقالة تحتوي على نقص كبير، ولهذا اعتذر للقراء الكرام سلفاً.

المقدّمة

يقول الله تبارك وتعالى في كتابه الشريف: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾.[1]

---

١. النحل: ٨٩

ويقول الإمام الصادق:

إنّ الله تبارك وتعالى أنزل في القرآن تبيان كلّ شيء حتّى والله ما ترك الله شيئاً يحتاج إليه العباد، حتّى لا يستطيع عبد يقول: لو كان هذا أُنزل في القرآن إلّا وقد أنزله الله فيه.[١]

يرى آية الله ناصر مكارم الشيرازي أنّ في هذه الآية دلالة على أنّ القرآن كتاب جامع، حيث يقول:

يمكن الاستدلال جيّداً وبملاحظة مفهوم «لكلّ شيء» أنّ في القرآن بياناً لكلّ شيء.[٢]

فكلمة ﴿كلّ شيء﴾ تحتوي على مفهوم عام ومفتوح، وعلى هذا الأساس فإن القرآن بيّن كلّ شيء.

ويقول الإمام الخميني حول القرآن: القرآن بيّن كلّ شيء.[٣]

وعلى كلّ حال يمكن الاستنتاج أنّ القرآن كتاب جامع لشؤون حياة جميع الناس إلى يوم القيامة. ويستطيع جميع الناس وعلى طول حياتهم الاهتداء بالقرآن.

فنحن نبحث ونخطط لحياتنا في كلّ شيء نريده، وللقرآن أيضاً تخطيطه. فمثلاً عندما نتحدّث عن المجتمع نرى القرآن قد تحدّث حول هذا الموضوع أيضاً.

من المسلّم به أنّ القرآن كتاب هدى، فإذا لم يبيّن الأُمور الحياتية المهمّة التي تضمن سعادة الناس، فإنّ ذلك مخالف للهدف والحكمة من إيجاد الخلق.

نعم، القرآن كتاب هدى للإنسان[٤] أي للنوع الإنساني.[٥] ومن هنا يمكن القول: إنّ المقصود من الإنسان ليس هو بكر وزيد وعلي وأمثالهم، بل كلّ من ينطبق عليه مفهوم الإنسان، سواء كان يعيش لوحده، أو في ضمن مجموعة يُطلق عليها المجتمع.

ما المراد من قولنا: إنّ القرآن فيه كلّ شيء؟ وكيف يكون القرآن محور كلّ شيء؟ إنّ أساس جميع الأُمور الموجودة في القرآن الكريم هي الهداية. فإنّ أهمّ شيء في القرآن هو معرفة الله، وتأتي بعدها الهداية.[٦]

---

١. *الكافي*: ٥٩/١، الحديث ١.

٢. *تفسير نمونة*: ٣٦١/١١.

٣. *صحيفه إمام*: ٢٨٧/٦.

٤. راجع: البقرة: ١٨٥.

٥. النوع: مفهوم كلّي يبيّن جميع حالات الشيء أو حقيقته. (راجع: المنطق: ٧٩/١)

٦. راجع: *آداب الصلاة*: ١٨٤.

كتب العلّامة الطباطبائي في *تفسير الميزان*:

المراد من «كلّ شيء» جميع تلك الأشياء التي تؤول إلى الهداية.[١]

ويقول الإمام الخميني رحمه الله:

اعلم أنّ هذا الكتاب الشريف ـ كما صرّح هو به ـ كتاب الهداية وهادي سلوك الإنسانيّة ومربّي النفوس وشافي الأمراض القلبية ومنير طريق السير إلى الله.[٢]

وبما أنّ موضوع هذه المقالة هو «القرآن في رأي الإمام الخميني» يطرح السؤال التالي نفسه: **ما هو نظر الإمام الخميني رحمه الله؟**

إنّ هناك من يتصوّر أنّ القرآن هو لمجرّد القراءة في المساجد، وليس له أي دور في المسائل الاجتماعيّة، في حين أنّ الإمام الخميني رحمه الله يصرّح بالدور المهمّ للقرآن في كلّ شيء:

لقد نسينا الآيات المتعلّقة بالمجتمع، والآيات المتعلّقة بالسياسة، والآيات المتعلّقة بالحرب، وكثيرمن الآيات المتعلّقة بهذه المسائل نسيناها أو أنسونا إيّاها.[٣]

ويقول في موضع آخر:

الإنسان غير محدود، ومربّي الإنسان غير محدود، ونسخة تربية الإنسان ـ التي هي القرآن ـ غير محدودة بعالم الطبيعة والمادة، ولا بعالم الغيب، ولا بعالم التجرّد.[٤]

وقال أيضاً:

لقد جاء الإسلام بكلّ شيء للمسلمين، وفي القرآن كلّ تلك الأشياء.[٥]

الفصل الأوّل: المكانة المطلقة للقرآن في إصلاح أفراد المجتمع

إنّ لدينا كتاباً يحتوي على المصالح الشخصيّة والمصالح الاجتماعيّة والمصالح السياسيّة وإدارة شؤون الدولة، وجميع الأشياء فيه.[٦]

وطبقاً لما قاله الإمام الخميني رحمه الله: القرآن كتاب جامع، ولا يحتوي على الأُمور المعنويّة فقط، ولا على الأمور الشخصيّة والفردية؛ بل يتضمّن أيضاً اصلاح جميع أُمور الناس كالأُمور الاجتماعيّة والسياسيّة وإدارة شؤون الدولة.

---

١. ترجمة *تفسير الميزان*: ٤٦٩/١٢.
٢. *آداب الصلاة*: ١٨٤.
٣. *صحيفه إمام*: ١١/١٥.
٤. المصدر: ١٢: ٤٢٢.
٥. المصدر: ٣٢٠.
٦. المصدر: ٤٢٣/١٨.

ومعنى المجتمع هو مجموعة من الناس الذين يعيشون في أرض معيّنة ويتمتعون بشكل نسبي بمشاركة ثقافية وتشكّل مدني وسياسي واقتصادي.[١] ويتكوّن المجتمع من أفراد مختلفين. وأصغر مجموعاته الاجتماعيّة هي العائلة، ثُمّ القرية، ثُمّ المدينة، ثُمّ الدولة و....

وتتضمّن حياة الإنسان ثلاثة أبعاد: الأوّل: ارتباط حياة الفرد بنفسه، والثاني: ارتباطه بالمجتمع، والثالث: ارتباطه بالله تعالى.

وقد جعل الله تعالى قوانين خاصّة لكلّ واحد من أبعاد حياة الإنسان؛ ليكون موفّقاً في جميعها. وجعل الله تعالى تلك القوانين في كتبه السماويّة، وهي مدوّنة في الوقت الحاضر في القرآن الكريم.

وإذا ما التزم جميع أفراد المجتمع بجميع قوانين الحياة في أبعادها الثلاثة فإنّه سيوجد مجتمعاً سالماً، وعلى هذا يكون المجتمع سالماً عندما يكون أفراده سالمين. ويمكن القول: إنّ أبعاد المجتمع تأخذ شكلها من أبعاد حياة أفراد المجتمع، بمعنى إذا كانت الأبعاد الثلاثة لحياة جميع أفراد المجتمع سالمة، فإنّه سينتج أشخاصاً سالمين يعيشون معاً في ظلّ علاقات سليمة.

والقرآن بصفته كتاب هداية، فهو يتولّى إدارة جميع هذه الأبعاد بشكل جيّد، ويضع القوانين للمجتمع وأفراده. يقول الإمام الخمينيّ﵀ حول هذا الموضوع:

> إنّ لدينا كتاباً يحتوي على المصالح الشخصيّة والمصالح الاجتماعيّة والمصالح السياسيّة وإدارة شؤون الدولة وجميع الأشياء فيه.[٢]

ولأجل توضيح ذلك أكثر نحاول فيما يلي طرح نظريّات الإمام الخمينيّ﵀ حول دور القرآن في أبعاده المتعددة في حياة الإنسان. وستكون النتيجة أنّ مكانة القرآن مهمّة جداً في تنظيم وإصلاح أبعاد حياة أفراد المجتمع السالم والصالح. وعلى هذا يمكننا القول: بأنّ إصلاح القرآن للمجتمع يتمّ عن طريق إصلاحه لأفراد هذا المجتمع.

و فيما يلي نتحدّث عن دور القرآن في تنظيم وإصلاح حياة أفراد المجتمع من منظور الإمام الخمينيّ﵀:

١. إصلاح حياة الشخص في ارتباطه مع نفسه

إنّ أوّل عمل قام به القرآن في إصلاح المجتمع برأي الإمام الخمينيّ﵀ هو إصلاح

---

١. *فرهنگ بزرگ سخن*: ٢٠٧٢/٣.

٢. *صحيفه إمام*: ٤٢٣/١٨.

أفراد ذلك المجتمع، ثُمّ بعد صلاح أفراد المجتمع أمرهم بإصلاح المجتمع. يقول الإمام‌رحمه‌الله:

جاء كتاب الله ليجعل من الإنسان إنساناً. وكما يسعى الإنسان لإصلاح مجتمعه عليه السعي لإصلاح نفسه وكمالها ليصل إلى مرتبة أعلى.[١]

في المرحلة الأُولى يأمر القرآن أفراد المجتمع بتهذيب وإصلاح أنفسهم، ثُمّ يأمرهم في المراحل التالية بإصلاح الآخرين.[٢] ولا ينبغي لهم التصدّي لإصلاح الآخرين قبل إصلاح أنفسهم؛ لأنّ فاقد الشيء لا يعطيه.

والخلاصة: فإنّ القرآن يأمر الإنسان بإصلاح نفسه في هذا البعد من أبعاد الحياة (ارتباط حياته مع نفسه) فيكون للإنسان دور مهمّ في إصلاح حياته.

وكلّ ذلك من أجل وصول الإنسان إلى مراتب عالية.[٣]

٢. إصلاح حياة الشخص وتأثيره على إصلاح المجتمع

للقرآن دور مهمّ أيضاً في إصلاح المجتمع، فقد أمر المؤمنين بإصلاح مجتمعهم؛ لأنّ إصلاح المجتمع بدون وجود أفراد المجتمع ـ باعتبارهم الواسطة ـ أمر مستحيل. والأمر بتطبيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل من أمثلة الأوامر القرآنيّة في الاهتمام بالحياة الاجتماعيّة. ومن المسلَّم أنّ تحقيق مثل هذا الأمر بدون وجود إنسان باعتباره الواسطة أمر محال.

ويحتوي القرآن الكريم على أوامر عامّة في البعد الثاني ـ أي البعد الاجتماعي ـ لحياة الإنسان. يقول الإمام الخميني‌رحمه‌الله:

إنّ القرآن، يتناول موضوعات سياسيّة وحربية وقتالية، وقد طُرحت فيه بكثرة.[٤]

ويقول أيضاً:

إنّ لدينا كتاباً يحتوي على المصالح الشخصيّة والمصالح الاجتماعيّة والمصالح السياسيّة وإدارة شؤون الدولة وجميع الأشياء فيه.[٥]

---

١. المصدر: ٢٣٠/٣.

٢. راجع: المصدر: ١٥/‏٥٠٤ ـ ٥٠٥.

٣. المصدر: ٢٣٠/٣.

٤. المصدر: ١٧٨/٩.

٥. المصدر: ٤٢٣/١٨.

ويقول في موضع آخر أيضاً:

إنّ مسألة الدعوة إلى المجتمع، والدعوة إلى السياسة، والدعوة إلى إدارة الدولة، وجميع هذه من العبادات التي هي ليست منفصلة عن السياسة والمصالح الاجتماعيّة.[١]

ونأتي هنا بمثال من كلام الإمام لإثبات دور القرآن في الحياة الاجتماعيّة.

إذا قُدّر يوماً لهذا المجتمع الإسلامي الكبير أن يتقارب مع بعضه ويتّحد، فلا يمكن لأي قوّة مواجهته.[٢]

ويريد الإمام بكلامه هذا إثبات أنّ الوحدة أو الاتّحاد هو أمر قرآني.

٣. إصلاح حياة الشخص في الارتباط مع الله

لا شك أنّ للقرآن كلاماً كثيراً حول هذا البعد، وهو البعد الثالث من أبعاد الحياة. وأساس جميع الأوامر القرآنيّة في هذا البعد هو التقوى. ولئلّا نبتعد عن بحثنا حول القرآن والمجتمع سوف لا نذكر رأي الإمام في هذا البعد الثالث.

وعلى أي حال إذا كان جميع أفراد المجتمع سالمين ومتّحدين فإنّه سيتكوّن منهم مجتمع سالم. وقد وضع الإسلام قوانين من أجل إيجاد الإصلاح في الأبعاد الثلاثة المتقدّمة، وإذا ما روعيت فسينتهي إلى خير المجتمع.

الخلاصة

يمكن تلخيص دور القرآن في الأبعاد الثلاثة للحياة بالشكل التالي:

أ) في علاقة الإنسان مع نفسه: يأمر القرآن الإنسان قبل كلّ شيء باصلاح نفسه.

ب) في علاقة الإنسان مع المجتمع: سنّ القرآن قوانين مهمّة تشمل الأُمور الاجتماعيّة والسياسيّة والحربية وأمثالها، كما أمر بالوحدة بين الأفراد.

ج) في علاقة الإنسان مع الله: يأمر القرآن بوجوب إطاعة الإنسان لله تعالى.

الفصل الثاني: سعادة المجتمع في الدارين

القرآن الكريم هو الذي ضمن سعادة جميع البشر، وكلّ مَن كان تحت ظلال راية

---

١. المصدر.

٢. المصدر: ١٥/٤٨٢.

القرآن الكريم فهو سعيد في الدنيا والآخرة.[١]

ليس هنالك مجتمع لا يحبّ السعادة. والناس جميعاً يحبّون السعادة بالفطرة، ولكنّهم لايستطيعون تشخيص السعادة الحقيقية. ويبيّن لنا ديننا أنّ السعادة الحقيقية للإنسان ليس في المال والثروة، وليس في الجاه والمنصب. السعادة الحقيقية للإنسان في الجنّة. يقول الإمام علي عليه السلام: ثمن الإنسان الجنّة فقط، فلا ينبغي للإنسان أن يبيع نفسه بغيرها.

وقد بيّن القرآن أنّ السعادة فقط هي لأهل التقوى، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾[٢] وتبيّن هذه الآية بوضوح أنّ الفوز الكبير للمتّقين، لا غيرهم.

فهل مَن كان بعيداً عن القرآن من المتّقين؟ كلاّ أبداً. ولأجل معرفة ذلك لا بدّ من التعرّف على معنى التقوى والمتقين.

يقول آية الله المشكيني حول التقوى:

حفظ النفس عن مخالفة الله تعالى، بإتيان حلاله واجتناب حرامه.[٣]

وعلى هذا، فكلّ من يأتي بالواجبات وينتهي عن المحرّمات فهو متّقي، وكلّ مَن لم يكن كذلك فليس متقياً.

وكلّ مَن لم تكن التقوى شغله فلن يصل إلى السعادة قطعاً. ومن هذه الجهة فإنّ المجتمع الذي فيه أهل التقوى لا بدّ أن يكون سعيداً.

ولكن من أين لنا أن نعرف الواجبات والمحرّمات؟ وجواب هذا السؤال يوضّحه الإمام الخميني رحمه الله هكذا:

يجب علينا أن نقرأ القرآن، وقبل كلّ شيء يجب علينا أن نرى ماذا يقول القرآن، فإنّ تكليفنا ووظيفتنا يعيّنها القرآن.[٤]

فالقرآن هو الذي يعيّن وظائف وتكاليف الإنسان ومع عدم وجود القرآن كيف يمكن للإنسان أن يكون متّقياً؟

ويقول الإمام الخميني رحمه الله في موضع آخر كلاماً بنفس هذا المضمون وحول دور القرآن في تعيين الوظائف والتكاليف الشرعيّة:

---

١. المصدر: ١٠١/٦.

٢. النبأ: ٣١.

٣. *درس‌های اخلاق*: ٣٨.

٤. *صحيفه إمام*: ٣٤٨/٣.

ومن المطالب الأُخرى للقرآن الشريف هو بيان ظواهر الشريعة والآداب والسنن الإلهيّة.

إذا لم يكن هنالك القرآن كيف يمكن للإنسان أن يعلم بقوانين الشريعة ويتّبعها ويعمل بالآداب والسنن الإلهيّة من دون تطبيقها والالتزام بها؟ وكيف يمكن أن يكون متّقياً ويصل إلى السعادة الأبديّة؟

من الواضح جدّاً إذا كان في المجتمع أشخاص بعيدين عن القرآن فلا يمكن أن يصل إلى سعادة الدارين؛ لأنّ الذي يعيّن وظائفنا وتكاليفنا هو القرآن.

قال الإمام الخمينيّ يوماً في مجموعة من أهالي فلسطين حول ضرورة وجود القرآن باعتباره إماماً وهادياً للمجتمع:

وصيتي لجميع أصناف البشر والمسلمين والعرب إذا أرادوا التغلّب على مشكلاتهم فيجب عليهم أن يربّوا أنفسهم تربية إسلاميّة، ويجب عليهم التحرّك وفقاً لما يريده الإسلام، فالقرآن هو هاديهم وإمامهم.[١]

ويستطيع المسلمون التغلّب على مشكلاتهم بمساعدة القرآن، فقد قال الإمام: يجب أن يكون القرآن هادياً وإماماً.

وصرّح في موضع آخر أنّه إذا لم نتمّسك بالقرآن فسوف نهلك:

أيتها القطرات الصغيرة اتّصلي بالبحر لكي تحافظي على نفسك ولا تُستهلكين وتفنين. أيتها الأفكار القصيرة استيقظي واتّصلي بهذا البحر، بحر الأُلوهية، بحر النبوّة، بحر القرآن الكريم.[٢]

لقد اتّضحت أهمّية القرآن باعتباره منجي للبشرية والمجتمعات ولكن من المؤسف أنّ عدم استفادة أكثر المسلمين منه أدّى إلى فشلنا وتقهقرنا عن ركب الحضارة والرقي.

قال الإمام الخمينيّ في جمع من ممثلي شيعة جنوب لبنان مظهراً أسفه:

لقد جاء الإسلام بكلّ شيء للمسلمين، ففي القرآن كلّ شيء، ولكنّنا مع الأسف لم نستفد منه، فهجره المسلمون، ولم يستفيدوا منه كما ينبغي. لا بدّ من توجيه الجماهير نحو القرآن وجرّها إلى الإسلام.[٣]

وقال الإمام في موضع آخر:

---

١. *صحيفه إمام*: ٥٠٤/٦.

٢. المصدر: ٥٣٦/٩.

٣. المصدر: ٣٢٠/١٢.

إنّ مشاكل المسلمين كثيرة، ولكن مشكلة المسلمين الكبرى أنّهم تركوا راية القرآن جانباً وانضمّوا إلى رايات الآخرين.[١]

فقد أوضح الإمام هنا أنّ من بين جميع مشاكل المسلمين مشكلة ابتعادهم عن القرآن الكريم وحرمانهم من نور هدايته. وكيف يمكن العيش في مكان مظلم لا نور فيه؟

وذلك يكشف عن مدى اهتمام الإمام الخميني رحمه الله بالقرآن.

وعلى أيّ حال، لا يمكن للمجتمع الوصول إلى السعادة إذا كان بعيداً عن القرآن ومفاهيمه البناءة.

الخلاصة

يمكن تلخيص دور القرآن في المجتمع بالنقاط التالية:

١. القرآن ضامن لسعادة المجتمع في الدنيا والآخرة.

٢. لقد بيّن القرآن وظائف وتكاليف المجتمع.

٣. إنّ في القرآن هداية المجتمع وقيادته.

٤. القرآن منقذ الأمّة من الهلاك.

٥. إنّ القرآن تبيان لكلّ ما يضمن سعادة المسلمين ورقيّهم.

٦. الابتعاد عن القرآن يؤدّي إلى مشاكل كبيرة.

الفصل الثالث: عزّة وانتصار المجتمع في ظلّ الإسلام

﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾.[٢]

إنّ مسؤولية حفظ القوانين الإلهيّة والعمل بالقرآن الكريم يعتبران أساساً لعودة عظمة الإسلام ومجده.[٣]

ورغم أنّ المقصود من الأعزّاء في هذه الآية نحن المسلمون إلّا أنّ مجتمعنا الإسلامي هو أفقر المجتمعات وبلادنا تعج بنشاط المستعمر، فلو كنّا متمسكين بالقرآن لما كنّا على هذه الحالة، ولكان النصر حليفنا. وما دام الإسلام هو ملجأ الأمّة الإسلاميّة فهي منتصرة. وما دامت

---

١. المصدر: ٢٧٥/١٢.

٢. المنافقون: ٨

٣. *صحيفة إمام*: ٤٦٠/٢.

راية القرآن بأيدينا فنحن منتصرون. هذه هي نظرة الإمام الخميني، فهو لا يرى للثروة وعدد الأشخاص وعدّتهم تأثيراً في ذلك، بل يبقى التمسّك بالقرآن هو الضامن الوحيد لنصرنا.

يقول الإمام الخميني:

ما دام الإسلام هو حصن شعبنا فنحن منتصرون، وما دامت راية الإسلام خفّاقة على رؤوسنا فنحن منتصرون، فعليكم المحافظة على سرّ هذا النصر.[١]

ونحن الذين اتّبعنا الإمام﵀ يجب علينا العمل بأوامره التي منها جعل القرآن راية لشعبنا، ولزوم المحافظة على سرّ النصر بيننا.

ومن الواضح أنّ من يريد الاهتداء فلا بدّ له من هادٍ ومرشد، والقرآن كتاب الهداية فيه أوامر ونواهي؛ ولا يكفي وجود هذه الأوامر والنواهي من دون العمل بها.

ولقد أكّد الإمام الخميني﵀ حول ضرورة العمل بكتاب الهدى والرشاد. وإذا التزمنا بما جاء به القرآن من أوامر ونواهي فإنّا سنجني منافع كثيرة. فقد بيّن الإمام الخميني﵀ أنّنا إذا ما التزمنا بالقرآن فسوف نتحكّم بسياسة العالم.

عندما يقول القرآن: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾،[٢] ويقول: ﴿وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾.[٣] فإذا ما طبّقنا هذه الأحكام السياسيّة الراقية فإنّ سيادة العالم من نصيبكم.[٤]

لقد أكّد الإمام﵀ دائماً وفي مناسبات مختلفة حول ضرورة العمل بأحكام القرآن. وتحدّث يوماً حول عزّة المجتمع الإسلامي وقال: إنّه إذا ما التزمنا دائماً بأحكام القرآن فإنّنا سوف نحيا حياة طيبة كريمة، وستفقأ عيون من ينهب ثروات العالم، وستُقطع أيديهم المتطاولة والعدوانية.

لتجمع القطرات المنفصلة من بحر القرآن والإسلام، ولتتصل بهذا المحيط الإلهي، وتستنير بهذا النور المطلق لترتدّ عنكم خاسئة عيون طمع ناهبي العالم، وتقطع أيديهم المتطاولة والعدوانية، وتصلوا إلى الحياة الطيبة والقيم الإنسانيّة.[٥]

---

١. المصدر: ٢٤/٧.

٢. آل عمران: ١٠٣.

٣. الأنفال: ٤٦.

٤. *صحيفه إمام*: ٣٩/١٦.

٥. المصدر: ٥١٦.

إنّ كثيراً من الدول الإسلاميّة قد فقدت عزّتها وعظمتها وهذه الأحداث المؤلمة قد سبّبت في ضعف المسلمين، وإذا ما تقصينا أسباب هذا الانهيار فسنجد أنّ الابتعاد عن القرآن وعدم العمل به هو السبب في ذلك.

إذا ما التزمنا دائماً بأحكام القرآن وعملنا بها فإنّ المسلمين سيتحررون من العبودية، وستعود لهم أمجادهم وحياتهم الحرّة الكريمة، وهذا هو الدور الذي يقوم به القرآن الكريم في المجتمع.

يقول الإمام الخميني رحمه الله حول دور القرآن في القضاء على المفاسد:

إذا ما لجأنا إلى القرآن الكريم، فسوف لا يسمح الأجانب لأنفسهم باستعبادكم، وأن يطؤوا بأقدامهم مفاخركم الوطنيّة والإسلاميّة.[1]

وليس هنالك إلّا طريق واحد لاستعادة عظمة وعزّة المجتمع الإسلامي ألا وهو المحافظة على قوانين القرآن والعمل بها.

يقول الإمام حول هذا المضمون:

إنّ مسؤولية حفظ القوانين الإلهيّة والعمل بما جاء في القرآن الكريم هو الطريق الوحيد لاستعادة عزّة وعظمة الإسلام والمسلمين.[2]

ولكن هل الوصول إلى النصر والحصول على العزّة عمل سهل؟ نعم، عندما نلجأ إلى القرآن ونطبّق أحكامه فإنّ ذلك سيكون سهلاً، ففي القرآن حكم للمجتمع يرى الإمام وجوب الالتزام به، وذلك الحكم هو الوحدة والاتّحاد. فجميع علماء الاجتماع يعتقدون بأنّ اتّحاد المجتمع في جميع شؤون الحياة الاجتماعيّة جوهرة ثمينة.

وكان الإمام يهتمّ كثيراً بالاتّحاد ووحدة المجتمع، وقال: إذا أردنا الانتصار فيجب علينا الاتّحاد. وقال أيضاً: إنّ القرآن قد عرّفنا مراراً بهذا الأمر الضروري.

لقد أكّد القرآن على قضية الاتّحاد، وطرحها بتعابير مختلفة.[3]

وتدلّ كلمات الإمام على أنّ القرآن قد أولى اهتماماً كبيراً بسوق المجتمع نحو الوحدة ممّا يعني أنّ القرآن لم يترك الأُمور الاجتماعيّة للناس من دون تدخّل ولا هداية.

---

١. المصدر: ٤١١/١.

٢. راجع: المصدر: ٤٦٠/٢.

٣. *صحيفه إمام*: ٤٨١/١٥.

لقد كان انتصار الثورة الإسلاميّة في إيران بسبب نور القرآن وهدايته، وأنّ انتصار الشعب الايراني وهزيمة نظام الشاه، وانتصار شباب الشعب الإيراني وهزيمة جيش العراق كان بسبب تأثير نورانيّة القرآن الكريم، فإنّ النور دائماً يقهر الظلام ويتغلّب عليه.

يقول الإمام الخمينيّ في جمع من نساء جنوب طهران حول تجلّي نور القرآن في قلوب الشعب الإيراني:

> إنّ نور القرآن والإسلام هو الذي تجلّى في قلوبكم وفي قلوب جميع أبناء الشعب الإيراني.

وقال أيضاً في جمع من عمال الجمارك حول القدرة الغيبية التي تقف وراء قدرتهم وترغيبهم في تحطيم السدود الشيطانية:

> لقد تحطمت هذه السدود بتوجّهكم نحو القرآن، هذه السدود التي كان يظنّ الجميع أنّها غير قابلة للتحطيم.[1]

ولهذا ينبغي علينا الحفاظ على النصر والعزّة. وليس أمامنا طريق سوى التعرّف على القرآن الكريم. ومن هنا يرى الإمام الخمينيّ أنّه لأجل المحافظة على البلاد والدولة إلى الأبد فلا بدّ من تعريف المجتمع بالقرآن وتربيته على ضوء تعاليمه القدسية.

ولقد خاطب الإمام مسؤولي الدولة قائلاً:

> إذا توليتم تربية الناس تربية سالمة، ودعوتموهم إلى معرفة الله، فتعرفوا على المعارف الإلهيّة، وتعرّفوا على القرآن، فإنّ بلادكم ستبقى سالمة ويمتد نفوذها لا محالة إلى جميع أرجاء العالم.[2]

النتيجة

دور القرآن الكريم في المجتمع كما يلي:

١. إنّ العزّة للمجتمع الإسلامي فقط.

٢. إنّ تمسكهم به هو أساس الانتصار الأبدي للشعب.

٣. إنّ القرآن يحث على الوحدة الوطنيّة.

٤. إنّ التمسّك بالقرآن هو أساس نجاة المجتمع من أيدي المستعمرين.

---

١. المصدر: ١٣٦.

٢. المصدر: ٣٥٧/١٩.

٥. إنّه يفضي إلى حياة كريمة للمجتمع.
٦. إنّه يقود إلى القيم الإنسانيّة.
٧. إنّه يؤدّي إلى مسك القدرات السياسيّة والسيطرة عليها.
٨. يمنع من نهب حقوق الشعب ويمنع من التعدّي على حرمات والإسلام.
٩. يحرر المجتمع الإسلامي من العبودية.
١٠. إنّ القرآن هو الطريق الوحيد لاستعادة عزّة وعظمة الإسلام والمسلمين.
١١. إنّه يجلّي النور الإلهي في قلوب الشعب.
١٢. إنّه يمنح روح المقاومة والنضال للشعوب.
١٣. إنّ العمل بالقرآن والتربيّة القرآنيّة يؤدّي إلى بقاء البلاد سالمة ومحفوظة من المخاطر.
١٤. إنّه يؤدّي إلى سراية نجاح المجتمع الإسلامي إلى سائر المجتمعات الأُخرى.

الفصل الرابع: بناء الإنسان «بناء المجتمع»

جاء القرآن الكريم لبناء الإنسان ونقله من إنسان بالقوة إلى إنسان بالفعل.[١]

القرآن كتاب بناء الإنسان وتربيته، وجاء لأجل هذا الغرض، فليس الغرض منه تأمين الأُمور الماديّة والحيوانيّة فقط، بل تربية الإنسان في جميع أبعاده، وإذا لاحظ الأُمور الماديّة فلكونها في خدمة المعنويّات.[٢]

لقد جاء الأنبياء لإصلاح الناس وهدايتهم، ولم تكن لهم مهمّة غير هذه. وكان هدف الأنبياء العظام والأئمّة الأطهار عليهم السلام هو تربية الناس. فقد أرسل الله تبارك وتعالى الأنبياء من أجل تهذيب الناس وإصلاحهم. وإذا ما صلح شخص له موقع اجتماعي أو كان عالماً من علماء الدين فإنّ المجتمع سيكون صالحاً بتبعه، لاهتمامه به وتوجّهه إليه.[٣]

مفهوم لفظ الإنسان

محور البحث في هذا الفصل حول بناء القرآن لشخصيّة الإنسان. والمقصود من الإنسان هنا هو المجتمع؛ لأنّ بناء الإنسان يشمل بناء المجتمع أيضاً.

---

١. المصدر: ٢١٨/٣.
٢. المصدر: ٥٣٢/٧.
٣. المصدر: ٢٨٥.

وتوجد في علم المنطق بحوث حول النسب الأربعة.[١] وفيها تطرح النسب الخاصّة بين مجموعة من المفاهيم. ونريد الآن التعرّف على النسبة بين مفهوم الإنسان ومفهوم المجتمع.

فإنّ النسبة بين الإنسان والمجتمع هي نسبة العموم والخصوص المطلق، كالنسبة بين الحديد والفلز.[٢] فكل حديد فلز، وبعض الفلزات حديد وبعضها ليس بحديد.

إنّ القرآن كتاب جامع نزل لهداية الإنسان لا لهداية خصوص المجتمع فقط الذي هو أضيق دائرة من مفهوم الإنسان. وعليه فهذه البحوث هي في الحقيقة ليست إلّا تطبيقاً للبحوث المرتبطة بالإنسان على المجتمع، وعندما يتكلّم الإمام حول بناء الإنسان فكلامه يشمل مفهوم بناء المجتمع أيضاً.

بناء الإنسان في رأي الإمام الخميني

لا يرى الإمام بناء الإنسان ذا بُعد واحد، ولا يقول باختصاصه بالمعنويّات:

> الإنسان غير محدود، ومن يتولّى تربيته غير محدود، والوصفة المكتوبة لتهذيبه ـ التي هي القرآن ـ غير محدودة أيضاً، فالإنسان غير محدود بعالم الطبيعة والمادّة، ولا بعالم الغيب، ولا بعالم التجرّد، فهو غير محدود بأي شيء.[٣]

والمفهوم من كلام الإمام أنّ الإنسان موجود استثنائي، وهو تأييد لما قيل بأنّ الإنسان يمكنه أن يكون كلّ شيء ويرقى إلى كلّ شيء سوى مقام الأُلوهية.

ولما كان الإنسان غير محدود، فإنّ كتاب هدايته غير محدود أيضاً؛ إذ لو كان كتاب الهداية محدوداً لما أمكن هداية الإنسان غير المحدود. وعلى هذا فالقرآن لا يبني الجانب المعنوي في الإنسان فقط، بل يأخذ بنظر الاعتبار جانبه المادّي أيضاً.

فبناء القرآن للإنسان يشمل جميع جوانب حياته.

يقول الإمام الخميني حول هذا الموضوع:

> القرآن كتاب لبناء الإنسان في جميع مراحله التي يمرّ بها.[٤]

---

١. المنطق: ٧٣/١.

٢. المصدر.

٣. *صحيفه إمام*: ٤٢٢/١٢.

٤. المصدر: ٥٠٤/١٥.

مراحل بناء القرآن للإنسان

يمرّ بناء القرآن للإنسان بمراحل عديدة، فهو لا يبيّنه دفعة واحدة، بل يستغرق مراحل عديدة تبدأ بتهذيب الإنسان.

يقول الإمام الخميني:

إنّ القرآن في الوقت الذي هو كتاب لتهذيب الأخلاق هو كتاب استدلّال وكتاب حكومة.[1]

ونفهم من كلام الإمام والقرائن الأُخرى أنّ القرآن في المرحلة الأُولى يطهّر قلب الإنسان الذي هو مصدر لجميع الأفعال. فإذا كان القلب سليماً صارت جميع الأفعال سليمة، وقد جاء في كلام النبيّ الأكرمﷺ أنّه يوجد في قلب الإنسان مقدار من الدم الغليظ، فإذا بقي هذا الدم سالماً بقيت جميع الجوارح سالمة. وفي ذلك إشارة إلى ما ذكرناه آنفاً.

وبعد أن يهذّب القرآن قلب الإنسان ويطهّره يوجّهه نحو خالق العالم، فإنّ معرفة الله سبحانه هي أساس الدين، كما جاء في كلام أمير المؤمنينعليه السلام في نهج البلاغة: «أوّل الدين معرفة الله».

وقال الإمام الخمينيرحمه الله أيضاً:

إنّ الهدف الأساسي من الوحي هو إيجاد المعرفة للبشر، ومعرفة الحقّ تعالى الذي هو رأس جميع الأمور.[2]

يهدف القرآن إلى بناء إنسان مؤمن غير مادّي، والإنسان الإلهي هو مَن كانت أعماله جميعاً لله تعالى وفي سبيل الله، وعندما تكون جميع الأفعال إلهية فسوف لا يحصل في ذلك الطريق أيّ عقبات. إنّ الإنسان الإلهي تجلّي من تجلّيات الله، ولمّا كان الله تعالى لا يخطأ أبداً، فكذلك تجلّي الله.

يقول الإمام:

إنّ القرآن يبني إنساناً إلهياً يقوم على أساس هذه القدرة الإلهيَة.[3]

مَن هو الإنسان الذي بناه القرآن؟

وبعد تلك المراحل يربّي القرآن أُناساً علماء ليكونوا من أفضل ما يقدّمه القرآن للمجتمع.

---

١. المصدر: ٤٣٤/١٧.

٢. المصدر: ٢٢٥/١٩.

٣. المصدر: ٥٠٣/٦.

يقول الإمام حول هذا الموضوع:

إنّ القرآن أُعجوبة فريدة، لكونه يمارس إدارة الإنسان وتربيته على جميع المستويات، فهو في الوقت الذي يخرّج الفقيه، يخرّج أيضاً الحكيم والفيلسوف والمقاتل.[١]

ولما كان هؤلاء نتاج القرآن فهم أفضل من غيرهم، وإذا كان هناك مجتمع ساذج فلكونه بعيداً عن مبادئ القرآن وتعاليمه.

النوع الأعلى لبناء الإنسان

إنّ ممّا يثير الدهشة أنّ القرآن يخرج إنسانية الإنسان من القوة[٢] إلى الفعل،[٣] ويُخرج كمالات الإنسان من القوة إلى الفعل، كما أنّ الشيطان وهوى النفس يخرجان انحرافات الإنسان وانحطاطه من القوة إلى الفعل.

فمن جهة يستطيع الإنسان أن يصل إلى أعلى درجات الكمال كالنبيّصلى الله عليه وآله والأئمّة المعصومينعليهم السلام فهم الكمّل من الناس، وكلّ إنسان له القابلية لئن يكون مثل هؤلاء، وهذا هو الهدف القرآني في بناء الإنسان برأي الإمام الخمينيرحمه الله. وإذا أراد الإنسان الاعتماد على القرآن، فإنّه سيصل قطعاً إلى أعلى درجات الكمال كالنبيّ والأئمّةعليهم السلام.

ويستطيع الإنسان أن يصل إلى أدنى درجات الذلّة والانحطاط بخروج الصفات الرذيلة من القوة إلى الفعل ليكون فرعوناً ونمروداً ومعاوية. وهذا هو الهدف الذي يصبو إليه الشيطان في إغواء الإنسان وتحريفه.

والنقطة المهمّة هي أنّ إحدى خطط القرآن في المجتمع هو إيصال أفراد المجتمع إلى التكامل.

وقد كان الإمام الخمينيرحمه الله يعتقد بهذه الحقيقة، حيث قال:

جاء القرآن لبناء الإنسان ليخرج كمالاته من القوة إلى الفعل.[٤]

وقال في موضع آخر أيضاً:

القرآن كتاب بناء الإنسان. وما دام الإنسان بالقوة فهو جامع لكلّ المراتب، فلقد

---

١. المصدر: ٢٨٧.

٢. الاستعداد الذي يملكه الإنسان.

٣. الحالة الآنية التي فيها الإنسان.

٤. *صحيفه إمام*: ٢١٨/٣.

جاء كتاب الله ليجعل من الإنسان إنساناً، وكذلك جاء لإصلاح مجتمعه ليوصله إلى مرتبة الكمال في أعلى مراتبه.[١]

وقال أيضاً:

القرآن كتاب بناء الإنسان وتربيته جاء لبناء الإنسان. فليس الغرض منه تأمين الأُمور الماديّة والحيوانيّة والتوسعة والإعمار فقط، بل لتربية الإنسان في جميع أبعاده، وإذا لوحظت فيه الأُمور الماديّة فلكونها في خدمة الأُمور المعنويّة.[٢]

والخلاصة أنّ القرآن يتولّى بناء جميع أبعاد الإنسان.

ويمكن تلخيص البحوث المتقدّمة بما يلي:

١. القرآن يبني جميع أفراد البشر، لا المجتمع فقط.

٢. إنّه يتولّى بناء جميع أبعاده الإنسانيّة.

٣. إنّ القرآن يبني قلب الإنسان أوّلاً ثُمّ ينوّره بنور التوحيد.

٤. يتولّى القرآن تربية العلماء والعاملين تحت إمرتهم من أجل سعادة المجتمع.

٥. إنّ أعلى كيفيّة في بناء القرآن للإنسان هو إخراج كمالات الإنسان من القوّة إلى الفعل.

الخاتمة

إنّ لدينا كتاباً ينزعج منه أعداؤنا ويتأذّى منه الكثير، فإنّ هؤلاء يعتقدون بأنّ الإسلام والقرآن المجيد يهدد مصالحهم وهو ممّا يدعو للفخر والاعتزاز، ويجب علينا حفظه و وأن نستفيد منه على أحسن وجه.

يقول الإمام عن انزعاج الأعداء من القرآن:

تعتقد أمريكا أنّ الإسلام والقرآن المجيد يضرّ بمصالحها وهي تحاول إزالة هذا المانع من أمامها.[٣]

إنّ هؤلاء يريدون حذف القرآن، ولكن يجب علينا ألّا نبقى ساكتين وأن نحول دون تحقيق هؤلاء لهدفهم هذا. ومن المؤسف عدم استفاده شعبنا من القرآن كما ينبغي، وإذا كانوا مطّلعين على أحكامه فهم لا يعملون بها، والعالم بلا عمل كالنحلة بلا عسل، ورغم أنّ

---

١. المصدر: ٥٣٢/٧.

٢. المصدر: ٤١١/١.

٣. المصدر: ٤١١/١.

القرآن بين أيدينا إلّا إننا قد لا ننتصر بصورة كاملة على أعدائنا.

ومن المؤسف حقّاً أن تكون لدينا هذه الجوهرة الكريمة ونحن في نفس الوقت بعيدون عنها بعداً أدّى إلى تخلّف مجتمعنا وتضرّره أضراراً فادحة لا تعوض.

يقول الإمام في جوابه على رسالة الطلاب الجامعيين في أمريكا وكندا بعد إظهار أسفه:

إنّ ابتعاد الدول الإسلاميّة عن القرآن الكريم قد أوقع الأمّة الإسلاميّة في نكبة سوداء، وجعل مصير الشعوب المسلمة والدول الإسلاميّة عرضة لمؤامرات الاستعمار الشرقي والغربي.[1]

إنّ ما يوجب اضطراب مصير الأُمّة الإسلاميّة والمجتمع المسلم هو الابتعاد عن القرآن الكريم وعدم الالتزام بآيات الله تعالى. وقد ورد في القرآن الكريم أنّ النبيّ الأكرم سيحزن يوم القيامة حزناً شديداً بسبب سلوك أُمّته وهجرانها القرآن.

يقول الإمام حول مهجورية القرآن والوضع المزري للإسلام والمسلمين:

نرى في القرآن الكريم النبيّ الأكرم يشكو إلى الله تعالى: ﴿إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَـٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً﴾.[2] وأنا أطرح أمامكم اليوم أيّها السادة المحترمون هذه المهجورية والمظلومية وانظروا ما عليه حال الإسلام والمسلمين.[3]

وصيّة الإمام للمجتمع الإسلامي حول القرآن

يجب علينا ألّا نبتعد عن القرآن، فكيف بنا إذا كنّا نحن الذين نبعد القرآن عن أنفسنا. وقد حذّرنا الإمام الخمينيّ مراراً من الابتعاد عن القرآن، وصرّح بأنّه هو سبب الضعف الذي حلّ بجميع الدول الإسلاميّة، وألحق أضراراً بالحياة الدينية، كإيجاد التفرقة المذهبية من قِبل الأعداء والذي ينتهي إلى القضاء على الإسلام والدين.

إنّ عدم الالتزام بالقرآن الكريم وعدم الاعتماد على قواعد الإسلام يجلب هذه الأضرار إلى الأُمّة الإسلاميّة، وإيجاد الاختلافات المذهبية يؤدّي إلى تضعيف الدول الإسلاميّة لكي يُقضى على المذهب والدين معاً والعياذ بالله.[4]

---

١. المصدر: ٤٣٨/٢.

٢. الفرقان: ٣٠.

٣. *صحيفه إمام*: ١٦/٣٣ ـ ٣٤.

٤. المصدر: ٣٧٦/١.

إذا عرضنا القرآن الكريم إلى العالم فإنّ الجميع سوف يسارعون إليه. أنّه كتاب استثنائي، وفيه مناهج لسعادة الإنسان، وأي إنسان لا يحبّ السعادة؟ فجميع الناس يحبّونها. وإذا ما أدرك الجميع عظمة القرآن فإنّ الجميع سوف يرغبون فيه ويلتفون حوله، وإذا لم يدركوا ذلك فالسبب يعود إليهم، فهم الذين يجب عليهم عرض القرآن كما هو. يقول الإمام عن هذا الموضوع:

> يجب علينا عرض القرآن والإسلام بالنحو الذي هو عليه؛ فإذا عرضا كذلك فسيُقبل عليه الجميع وسيدركون أحكام الإسلام ويدخلون فيه.[١]

ونحن أتباع هذا الرجل العظيم فلا ينبغي أن ندع كلامه يذهب أدراج الرياح، فإذا كُنّا محبّين له وجب علينا منذ الآن قراءة القرآن بتدّبر، وننظر ماذا يقول؛ ونتعرّف على تكاليفنا منه، ثُمّ نسعى لامتثالها لنكون من المتقين. ويجب علينا أن نكون متقين لنصل إلى سعادة الدارين.

---

١. المصدر: ٥٠٩/٦.

المصادر

القرآن الكريم

١. *آداب الصلاة*، الإمام الخميني رحمه الله، مؤسّسه تنظيم ونشر آثار إمام خمينى، طهران، ١٣٧٨.

٢. *تفسير نمونه*، ناصر مكارم الشيرازي، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، ١٣٨٠.

٣. *درسهاى اخلاقى*، علي المشكيني، المترجم: علي رضا فيض، پارسيان ، قم.

٤. *صحيفه امام*، الإمام الخميني رحمه الله، مؤسّسه تنظيم ونشر آثار إمام خمينى، طهران، ١٣٧٩.

٥. *فرهنگ بزرگ سخن*، حسن أنوري، الطبعة الأولى، ١٣٨١.

٦. *الكافي*، محمّد بن يعقوب الكليني، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، ١٣٦٥.

٧. *المنطق*، محمود المنتظري، انتشارات مركز مديريت حوزة علميّة، قم، ١٣٨٤.

٨. *الميزان في تفسير القرآن*، السيّد محمّدحسين الطباطبائي، ترجمة: محمّد باقر الموسوي الهمداني، دفتر انتشارات اسلامى، قم، ١٣٦٣.